Restauré par A. et Mme R.-Buisson
1995 - 5246F

Nº 8

~~(186ª)~~
108

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعان

الحمد لله الملك السلام المهيمن العلام شارع الاحكام ذى الجلال والاكرام
الذى انزل القران بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا
وبالاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما فسبحان
من استاثر بالاولية والقدير ووسم كل شئ سواه بالحدوث والعدم
ومن علينا بنبينا محمد عليه افضل الصلاة والسلام وانعم علينا
بكتابه المفرق بين الحلال والحرام والصلاة والسلام على خير من
اوحى اليه حبيب الله ابى القاسم محمد النبى الامى المثبت بالعصمة
المويد بالحكمة وعلى جميع الانبيا والملايكة البررة الكرام عدد
ساعات الليالى والايام وعلى اله الاطهار وخلفايه وجميع
المهاجرين والانصار وعلى بقية الصحابة الاخيار صلاة وسلاما
دايمين متلازمين انا الليل واطراف النهار اما بعد فيقول

BULAC

فقير

فقير رحمة ربه القريب محمد الشربيني الخطيب ان الله جل ذكره ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين بشيرا للمومنين ونذيرا
للمخالفين اكمل به تبيان النبوة وختم به ديوان الرسالة وانزل
عليه بفضله كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه ناطقا بينات
وحجج قرانا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية
مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية حسناته ظاهرة باهرة
في وجه كل زمان دايرا من بين ساير الكتب على كل لسان وكل مكان
اعجز الخليقة عن معارضته وعن الاتيان بسورة من مثله في
مقابلته ثم سهل على الخلق مع اعجازه تلاوته ويسر على الالسن
قراته امر فيه وزجر وبشر وانذر فهو كلام معجز في رقايق منطوقه
ودقايق مفهومه لا نهاية لاسرار علومه وقد الف ايمة السلف
كتبا في معرفة احكامه ونزوله كل على قدر فهمه ومبلغ علمه فشكر
الله تعالى سعيهم ورحم كافتهم ثم خطر لي ان اقتفي اثرهم واسلك
طريقتهم لعل الله ان يرزقني من مددهم ويعيد علي من بركتهم فترددت
في ذلك مدة من الزمان خوفا من الدخول في هذا الشان لقوله صلى الله
عليه وسلم من قال في القران برايه فاصابه فقد اخطا وقول سعيد
ابن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال في
القران برايه وفي رواية بغير علم فليتبوء مقعده من النار وقول
ابي بكر رضي الله تعالى عنه لما سيل عن قوله تعالى وفاكهة وابا
فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا
اعلم الى ان يسر الله تعالى لي زيارة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

عليه وعلى سايرالنبيين والال والصحب اجمعين فى اول عام
تسعماية احدى وستين استخرت الله فى حضرته بعد ان صليت
ركعتين فى روضته وسالته ان ييسر لى امرى فشرح الله سبحانه
وتعالى لذلك صدرى فلما رجعت من سفرى واستمر ذلك الانشراح
معى ولكتمت ذلك فى سرى حتى قال شخص من اصحابى رايت فى
منامى ان النبى صلى الله عليه وسلم او الشافعى يقول لى قل لفلان
يعمل تفسيرا على القرآن فعن قايل الا وقد قورت فى وظيفة مشيخة
تفسير فى البيمارستان ثم سالنى بعد ذلك جماعة من اصحابى
المخلصين وعلى اقتباس العلم مقبلين بعد ان راونى فرغت من
شرح منهاج الطالبين ان اجعل لهم تفسيرا بين الطويل الممل
والقصير المخل فاجبتهم الى ذلك ممتثلا وصية رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى
عنه انه عليه الصلاة والسلام قال ان رجالا ياتونكم من اقطار
الارض يتفقهون فى الدين واذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا واقتدوا
بالماضين من السلف فى تدوين العلم ابقاء على الخلف وليس على
ما فعلوه مزيد ولكن لابد فى كل زمان من تجديد ما طال به العهد
وقصر للطالبين فيه الجد والجهد تنبيها للمتوقفين وتحريضا
للمتشبطين وليكون ذلك عونا للقاصرين مثلى مقتصرا فيه
على الارجح من الاقوال واعراب ما يحتاج اليه عند السوال وتركه
التطويل بذكر اقوال غير مرضية واعاريب محلها كتب العربية وحيث
ذكرت فيه شيا من القرآت فهو من السبع المشهورات وقد اذكر

بعض

بعض اقوال اواعاريب لقوة مدارکها اولورودها ولکن بصبغة
قيل ليعلم ان المرضى اولها وتسميته السراج المنير في الاعانة على
معرفة بعض معاني کلام ربنا الحکيم الخبير واسأله من فضله و
احسانه ان يجعله عملا مقرونا بالاخلاص والقبول والاقبال
وفعلا متقبلا مرضيا زکيا يعد من صالح الاعمال وقد تلقيت
التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة رواية ودراية عن ائمة
ظهرت وبهرت مفاخرهم واشتهرت وانتشرت مآثرهم جمعني
الله واياهم والمسلمين في مستقر رحمته بمحمد واله وصحابته وها
انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقوله وهو الموفق لکل خير ومعطي
کل سؤال **سورة فاتحة الکتاب** وتسمى ام
القران لانها مفتتحة ومبدوة فکانها اصله ومنشاوه ولذلک
تسمى اساسا اولانها تشتمل على ما فيه من الثنا على الله تعالى والتعبد
بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحکم
النظرية والاحکام العملية التي هي سلوک الطريق المستقيم والاطلاع ع
على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الکنز لانها نزلت
من کنز تحت العرش والوافية والکافية لانها وافية کافية في صحة
الصلاة بخلاف غيرها عند القدرة عليها والشافية والشفا فوله
عليه الصلاة والسلام هي شفا کل داء والسبع المثاني لانها
تسبع ايات باتفاق کلن من عد البسملة اية منها جعل السابقة
صراط الذين الى اخرها ومن لم يعدها اية منها جعل السابقة غير
المغضوب عليهم الى اخرها وسميت مثاني لانها تثنى في الصلاة اى

تكرر فيها بان تقرا فى كل صلاة وفى كل ركعة وقول بعضهم تثنى فى كل
ركعة فيه بجوز وهى مكية على قول الاكثر وقال مجاهد مدنية وقيل
نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين
حولت القبلة ولذلك سميت مثانى قال البغوى والاول اصح وقال
البيضاوى وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من
المثانى وهو مكى بالنص انتهى واراد بالنص السنة فقد ثبت ذلك
عن ابن عباس وقول الصحابى فى القرآن خصوصا فى النزول له
حكم المرفوع والقرآن العظيم والسور والراقية وسورة الحمد والشكر
والدعاء وتعليم المسالة لاشتمالها على ذلك وسورة المناجاة وسورة
التفويض وفاتحة القرآن وام الكتاب وسورة الحمد الاولى وسورة
الحمد المقضية وسورة السوال والصلاة لخبر قسمت الصلاة
بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى
ما سال يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى
يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله اثنى على عبدى يقول العبد مالك
يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى يقول العبد اياك نعبد واياك
نستعين يقول الله عز وجل هذه الاية بينى وبين عبدى ولعبدى
ما سال يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله فهؤلاء
لعبدى ولعبدى ما سال ولانها جزؤها فهو من باب تسمية جزء
الشئ باسمه كله وقوله تعالى بسم الله اى الملك الاعظم الذى لا تعبد
الا اياه الرحمن اى الذى عم بنعمتى ايجاده وبيانه جميع خلقه

اسفله

اسئله واعلاه ادناه واقصاه الرحيم اى الذى خص من بينهم اهل
وده ورضاه آية من الفاتحة وعليه قرا مكة والكوفة وفقهاؤهما
وابن المبارك والشافعى وقيل ليست منها وعليه قرا المدينة
والبصرة والشام وفقهاؤهما والاوزاعى ومالك ويدل للاول
ما راى انه صلى الله عليه وسلم عد الفاتحة سبع ايات وعد بسم
الله الرحمن الرحيم اية منها رواه البخارى فى تاريخه وروى الدارقطنى
عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا
قرأتم الحمد لله فاقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم انها ام القرآن وام
الكتاب والسبع المثانى وبسم الله الرحمن الرحيم احدى اياتها
وروى ابن خزيمة باسناد صحيح عن ام سلمة رضى الله تعالى
عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم عد بسم الله الرحمن الرحيم اية
والحمد لله رب العالمين الى آخرها ست ايات وآية من كل سورة الا
براءة لاجماع الصحابة على اثباتها فى المصحف بخطه اوائل السور
سوى براءة مع المبالغة فى تجريد القرآن عن الاسماء وتراجم السور
والتعوذ حتى لم تكتب آمين فلو لم تكن قرآنا لما اجازوا ذلك لانه
يحمل على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا وايضا هى اية من القرآن فى سورة
النمل قطعا ثم انا نراها مكررة بخط القرآن فوجب ان تكون منه
بيان الملازمة قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله ويل يومئذ
للمكذبين تكرر فى القرآن بخط واحد وبصورة واحدة قلنا ان
الكل من القرآن فان قيل لعلها تثبت للفصل اجيب بانه يلزم عليه
اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا ولثبتت فى اول براءة ولم تثبت فى اول

الفاتحة فان قيل القرآن انما يثبت بالتواتر اجيب بان محله فيما
ثبت قرآنا قطعا اما ما يثبت قرآنا حكما فيكفي فيه الظن كما يكفي
في كل ظني خلافا للقاضي ابي بكر الباقلاني وابن اثباتها في
المصحف بخطه من غير نكير في معنى التواتر وايضا قد يثبت التواتر
عند قوم دون اخرين فان قلت لو كانت قرآنا لكفر جاحدها
اجيب بانها لو لم تكن قرآنا لكفر مثبتها وايضا التكفير لا يكون
بالظنيات وقد اوضحت ذلك مع زيادة في شرحي التنبيه والمنهاج
اما براءة فليست البسملة اية منها باجماع فائدة ما اثبت
في المصحف الآن من اسما السور والاعشار شيء ابتدعه الحجاج في
زمانه والباء في بسم الله متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرا
لان الذي يتلوه مقروء اذ كل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله يضمر
ما جعل التسمية مبدأه كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم
الله كان المعنى بسم الله احل او بسم الله ارتحل وذلك اولى من ان
يضمر ابتداء لعدم ما يطابقه وما يدل عليه ومن ان يضمر ابتداء
لما ذكر فان قيل المصدر لا يعمل محذوفا اجيب بانه يتوسع في
الظرف والجار والمجرور ما لا يتوسع في غيرهما وتقديره مؤخرا كما
قاله الامام الرازي اولى كما في اياك نعبد واياك نستعين لانه اعم
وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان
اسمه تعالى مقدم ذاتا لانه قديم واجب الوجود لذاته فقدم
ذكرا فان قيل قال الله تعالى اقرا باسم ربك فقدم الفعل اجيب
بانه في مقام ابتداء القراءة وتعليمها لانها اول سورة نزلت فكان الامر

بالقراءة اهم يا عتبار هذا العارض وان كان ذكر الله تعالى اهم في نفسه
وذكرت اجوبة عن ذلك في مقدمتي على البسملة والحمدلة والباء
للاستعانة او للمصاحبة والملابسة على جهة التبرك والحق
متبركا باسم الله اقرا والثاني اولى لما فيه من التحاشي عن جعل اسم
تعالى آلة والاحسن ان يكون لها اعمالا للفظ في معنييه الحقيقيين
او الحقيقي والمجازي عند من يجوزه اما مذهب الشافعي والبسملة وما
بعدها الى اخر السورة مقوله على السنة العباد ليعلموا كيف
يتبركون باسمه ويحمدونه على نعمه ويسالون من فضله ويقدرون في اول
الفاتحة قولوا كما قاله الجلال المحلي ليكون ما قبل اياك نعبد مناسبا
له لكونه من مقوله العباد فان قيل من حق حروف المعاني التي جاءت
على حرف واحد ان يبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو واو
العطف وفائه اجيب بانها انما كسرت للزومها المرقة والجر
ولتشابه حركة ما عملها وحذفت الالف من بسم خطا كما حذفت لفظا
دون باسم ربك وان كان وضع الخط على حكم الابتداء دون الدرج
لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء عوضا عن طرح الالف والحق
بها بسم الله مجراها ومرساها وانه من سليمان وانه بسم الله الرحمن
الرحيم وانما لم تكتب في القرآن الا مرة واحدة لشبهها لها صورة فان
قيل لم حذفت في بسم الله دون الله والرحمن الرحيم اجيب
خطأ لا يقاس عليها خط المصحف وخط العروضيين وكما تحذف
الالف اذا اضيف الاسم لغير الله ولا مع غير الباء والاسم مشتق
من السمو وهو العلو لانه رفعة للمسمى وشعار له فهو من الاسماء

المحذوفة الاعجاز كيد ودم لكثرة الاستعمال وبنيت اوايلها على السكون
وادخل عليها مبتدا بها همزة الوصل لتعذر الابتدا بالساكن ولان
من دابهم ان يبدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن وقيل من الوسم
وهو العلامة فورنه على الاول افع محذوف اللام وعلى الثاني اعل
محذوف الفا وفيه عشر لغات نظمها بعضهم في بيت فقال
بسم وسما واسم بتثليث اول لهن سما عاشر تمت انجلى والاسم
اذا اريد به اللفظ ففيه المسمى لانه يتالف من اصوات مقطعة غير
قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى
والمسمى لا يكون كذلك واذا اريد به ذات الشيء فهو المسمى كما سياتي
بهذا المعنى وقوله سبح اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه مما
يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة
لها عن الرفث وسوء الادب والاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
وان اريد به الصفة كما هو راي ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام
الصفة الى ما هو نفس المسمى كالواحد والقديم والى ما هو غيره كالخالق
والرازق والى ما ليس هو ولا غيره كالعلم والقدرة فانهما زايدان على
الذات وليسا غير الذات لان المراد بالغير ما يفك عن الذات وهما
لا ينفكان فان قيل لم بدا بسم الله دون بالله اجيب بان
التبرك والاستعانة بذكر اسمه وللفرق بين اليمين والتيمن
والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد واصله
اله قال الرافعي كما مام ثم اد خلوا عليه الالف واللام ثم حذفت

عنده

الهمزة

همزة ونقلت حركتها الى اللام فصار اللاه بلامين متحركتين ثم
سكنت الاولى واد غمت فى الثانية للتسهيل انتهى والاله فى الاصل
يقع على كل معبود حق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كالنجم
اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا والحق انه اصل بنفسه غير ماخوذ
من شئ بل وضع علما ابتداء كما ان ذاته لا يحيط بها شئ ولا ترجع الى
شئ كذا اسمه تعالى وقيل ماخوذ من اله اذا تحير لان العقول تتحير
فى معرفته وقيل غير ذلك وهو غريب عند الاكثرين وعند المحققين انه
اسم الله الاعظم وقد ذكره الله تعالى فى اثنين وثلثمائة وستين
موضعا واختار النووى تبعا لجماعة انه الحى القيوم قال ولذلك
يذكر فى القرآن الا فى ثلاثة مواضع فى البقرة وآل عمران وطه والرحمن
الرحيم صفتان مشبهتان بنيتا للمبالغة من رحم بنى له منزلة
اللازم او بجعله لازما ونقله الى فعل بالضم والرحمة لغة رقة القلب
تقتضى التفضل والاحسان فالتفضل غايتها واسما الله تعالى
المأخوذة منهما ذلك انما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى افعال
دون المبادى التى تكون انفعالات فرحمة الله تعالى ارادة ايصال
الفضل والاحسان او نفس ايصال ذلك فهى من صفات الذات على
الاول ومن صفات الفعل على الثانى والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة
البناء تدل على زيادة المعنى كما فى قطع بالتخفيف وقطع بالتشديد
فان قيل حذر ابلغ من حاذر اجيب بان ذلك اكثرى لا كلى وبان
الكلام فيما اذا كان المتلاقيان فى الاشتقاق مشتركى النوع فى المعنى
كغرث وغرثان لا كحذر وحاذر للاختلاف وقدم الله عليهما لانه

اسم ذات وهما اسم صفة والرحمن علم الرحيم لانه خاص اذ لا يقال
لغير الله بخلاف الرحيم والخاص مقدم على العام وانما قدم والقياس
يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم عالم نحرير لانه صار العلم
من حيث انه لا يوصف به غيره ولذلك رجح جماعة انه علم ولانه
لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم كالتابع والتتمة والردف
ليتناول ما دق منها ولطف فليس من باب الترقي بل من باب
التتميم والتكميل والمحافظة على رؤس الاي وهل الرحمن مصروف
او لا فيه قولان مال السعد التفتازاني الى جواز الامرين لان شرط
منع صرف فعلان صفة وجود فعلى وشرط صرفه وجود فعلانة
وهما منتفيان هنا لكن اظهرهما انه ممنوع الصرف الحاقا له بما هو
الغالب من نظائره في الزيادة والوصف والثاني انه مصروف
الحاقا له بالاصل في مطلق الاسم وهو الصرف هذا مع ان المختار
في منع الصرف ما ذكر انتفاء فعلانة لا وجود فعلى والحاصل انه
تعارض في صرفه وعدم صرف الاصل والغالب فان قيل هذا اذا
لم تدخله ال اجيب بان المختار ان غير المصروف اذا دخلت
عليه ال والاضافة فيه باق على منع صرفه وان جر بالكسرة فوائد
الاولى الوقف على الله تبيح للفصل بين التابع والمتبوع وعلى الرحمن
كذلك وقيل كاف وعلى الرحيم تام الثانية عدد حروف البسملة
الرسمية تسعة عشر حرفا وعدد ملائكة خزنة النار عليها تسعة
عشر قال ابن مسعود من اراد ان ينجيه الله تعالى من الزبانية
فليتعلمها ليجعل الله تعالى بكل حرف جنة وقاية من واحد التالية

قال

قال النسفي في تفسيره قيل الكتب المنزلة من السما الى الدنيا ماية
واربعة صحف شيث ستون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل
التوراة عشرة والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وجميع كل الكتب
مجموعة في الفاتحة ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة ومعاني
البسملة مجموعة في بايها ومعناها بي كان ما كان وبي يكون ما يكون
زاد بعضهم ومعاني البا في نقطتها وتخصيص التسمية بهذه الثلاثة
التي هي الله والرحمن والرحيم ليعلم العارف ان المستحق ~~للعبادة~~ لان
يستعان به في جميع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم
كلها عاجلها واجلها جليلها وحقيرها فيتوجه العارف بجملته حرصا
ومحبة الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره
بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله الحمد اللفظي لغة الثنا
باللسان على الجميل الاختياري على قصد التبجيل اي التعظيم سوا
تعلق بالفضايل وهي النعم القاصرة ام بالفواضل وهي النعم المتعدية
فدخل في الثنا الحمد وغيره وخرج باللسان الثنا بغيره كالحمد النفسي
وبالجميل الثنا باللسان على غير الجميل ان قلنا براي ابن عبد السلام
ان الثنا حقيقة في الخير والشر وان قلنا براي الجمهور وهو الظاهر
انه حقيقة في الخير فقط ففائدة ذلك تحقيق الماهية او رفع توهم
ارادة الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يجوزه وبالاختياري المدح
فانه يعم الاختياري وغيره تقول مدحته اللولوة على حسنها دون
حمدتها وظاهر قول الزمخشري الحمد والمدح اخوان مترادفان وبه
صرح في الفايق لكن الاوفق ما عليه الاكثر انهما غير مترادفين بل

وصحف

نقلها الاستبداد

انهما

متشابهان معنى او اشتقاقا كبيرا والاشتقاق ثلاثة اقسام كبير
واكبر واصغر وقد يعبر عنه بالصغير فالكبير ان يشترك اللفظان
في الحروف الاصول من غير ترتيب كالحمد والمدح والاكبر ان يشتركا في
اكثر الحروف الاصول كالفلق والفلج والفلذ مع اتحاد في المعنى او
تناسب والاصغر ان يشتركا في الحروف الاصول المرتبة كضرب
والضرب ويعلى قصد التبجيل ما كان على قصد الاستهزاء والسخرية
نحو قوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم وتناول الظاهر
والباطن اذ لو تجرد الثناء على الجميل عن مطابقة الاعتقاد او
مخالفة افعال الجوارح لم يكن حمدا بل تهكما او تمليحا وهذا لا يقتضي
دخول الجنان والاركان في التعريف لان المطابقة وعدم المخالفة
اعتبرا فيه شرطا لا شطرا وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من
حيث انه منعم على الحامد او غيره سواء كان ذكرا باللسان ام
اعتقادا ومحبة بالجنان ام عملا وخدمة بالاركان كما قيل
افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي واللسان والضمير المحجبا
فمورد اللغوي هو اللسان وحده ومتعلقه يعم النعمة وغيرها
ومورد العرفي يعم اللسان وغيره ومتعلقه يكون النعمة وحدها
فاللغوي اعم باعتبار المتعلق واخص باعتبار المورد والعرفي بالعكس
والشكر لغة هو الحمد عرفا وعرفا صرف العبد جميع ما انعم الله
تعالى به عليه من السمع وغيره الى ما خلق لاجله والمدح لغة
الثناء باللسان على الجميل مطلقا على جهة التعظيم وعرفا ما يدل
على اختصاص الممدوح بنوع من الفضايل فالشكر اعم من الحمد

والمدح

اى المذكور من الحمد والمدح

والمدح من وجه لانه يختص باللسان واخص منهما من وجه اخر
لانه يختص بالثنا على الانعام وضد الحمد الذم وضد الشكر الكفران
وضد المدح الهجو وجملة الحمد لله خبرية لفظا انشائية معنى
لحصول الحمد بالتكلم بها مع الاذعان لمدلولها ويجوز ان تكون
موضوعة شرعا للانشا وقيل خبرية لفظا ومعنى قال بعضهم
وهو التحقيق اذ ليس معنى كونها انشائية الا انها جملة انشا
الى امد الثنا بها وذلك لا ينافي كونها خبرية معنى ولام لله
للملك او الاستحقاق او الاختصاص وقيل للتعليل والاولى انها
للاختصاص بالمعنى الاعم الصادق بالملك وبالاستحقاق لا بالمعنى
الاخص المقابل لهما وعلى كل فهي متعلقة بمحذوف هو الخبر حقيقة
فالحمد يختص بالله كما افادته الجملة الاسمية سوا جعلت لام
التعريف فيه للاستغراق كما عليه الجمهور وهو ظاهر ام للجنس
كما عليه الزمخشري لان لام لله للاختصاص كما مر فلا فرد منه لغيره
ام للعهد كالتي في قوله تعالى اذ هما في الغار كما نقله ابن عبد
السلام واجازه الواحدي على معنى ان الحمد الذي حمد الله به نفسه
وحمده به انبياوه واولياوه مختص به والعبرة بحمد من ذكر فلا فرد
منه لغيره واولى الثلاثة الجنس زاد بعضهم او للكمال كما افاده
سيبويه في الداخلة على الصفات قال البيضاوي اذ الحمد في الحقيقة
كله له اذ ما من خير الا وهو مليه بوسط او بغير وسط كما قال
وما بكم من نعمة فمن الله انتهى فان قيل بل هو موليه مطلقا بغير
وسط اجيب المراد بالوسط من تصل اليه النعمة اولا ثم تنتقل

كالرحمن الرحيم صح

فيه الى غيره لانه وسط فى التاثير فان قيل لم خص الحمد بالله
ولم يقل الحمد للخالق او نحو من بقية الصفات اجيب بان لا يتوهم
اختصاص استحقاق الحمد بوصف دون وصف قاله البيضاوى
وفيه اشعار بانه تعالى حى قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من
كان هذا شانه **رب العالمين** اى مالك جميع الخلق من الانس
والجن والملائكة والدواب وغيرهم اذ كل منها يطلق عليه عالم يقال
لعالم الانس وعالم الجن الى غير ذلك وسمى المالك بالرب لانه يحفظ
ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله تعالى
ارجع الى ربك والعالمين اسم جمع عالم بفتح اللام وليس جمعا له
لان العالم عام فى العقلاء وغيرهم والعالمين مختص بالعقلاء والخاص
لا يكون جمعا لما هو اعم منه قاله ابن مالك وتبعه ابن هشام فى
توضيحه وذهب كثير الى انه عالم على حقيقة الجمع ثم اختلفوا فى
تفسير العالم الذى جمع هذا الجمع فذهب ابو الحسن الى انه
اصناف الخلق العقلاء وغيرهم وهو ظاهر كلام الجوهرى وذهب
ابو عبيدة الى انه اصناف العقلاء فقط وهم الانس والجن والملائكة
وقيل عنى به الناس جميعا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه
يشتمل على نظائر ما فى العالم الكبير ووجه اشتمال الصغير وهو
الانسان على نظائر ما فى الكبير وهو ما سوى الله تعالى ذاته
شبيهة بتفاصيل العالم الكبير اذ الكبير ينقسم الى ظاهر ومحسوس
كعالم الملك وهو ما ظهر للحواس وتكون بقدرة الله تعالى
بعضه من بعض وتضمحله التغيير والى باطن معقول كعالم

الملكوت

الملكوت وهو ما اوجده سبحانه وتعالى بالامر الالهى بلا تدريج
وبقى على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه والى
عالم الجبروت وهو ما بين العالمين مما يشبه ان يكون فى
الظاهر من عالم الملك فجبر بالقدرة الازلية بما هو من عالم
الملكوت والانسان كذلك ينقسم الى ظاهر محسوس وهو الجسم والعظم
والدم والى باطن كالروح والعقل والارادة والقدرة والى ما هو
مشابه لعالم الجبروت كالادراكات الموجودة بالحواس والقوى
الموجودة باجزاء البدن فان قيل لم جمع جمع قلة مع ان المقام
يستدعى الاتيان بجمع الكثرة اجيب بان فيه تنبيها على انهم
وان كثروا قليلون فى جنب عظمته وكبريائه تعالى **الرحمن**
الرحيم مالك يوم الدين ذكر سبحانه وتعالى فى هذه السورة
من اسمايه خمسة الله والرب والرحمن والرحيم والمالك والسبب
فيه لانه يتولد خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك بوجود النعمة
فانا رب ثم عصيت فسترت عليك فانا رحمن ثم تبت فانا رحيم
ثم لابد من ايصال الجزا اليك فانا مالك يوم الدين فان قيل
انه تعالى ذكر الرحمن الرحيم فى التسمية ثم ذكرهما مرة ثانية دون
الاسما الثلاثة الباقية فما الحكمة فى ذلك اجيب بان الحكمة فى
ذلك كانه قال تعالى اذكرانى الها ورب مرة واحدة واذكرانى رحمن
رحيم مرتين ليعلم ان العناية بالرحمة اكثر منه سايرالامور ثم
لما بين الرحمة المتعانقة فكانه قال لاتغتروا بذلك فانى مالك
يوم الدين ونظيره قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد

العقاب ذى الطول وقرأ عاصم والكسائى مالك بالف بعد الميم
ويعضده قوله تعالى لا يملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ
الباقون بغير الف ويعضده قوله تعالى ملك الناس وبينهما
عموم مطلق فكل ملك مالك ولا عكس لعموم ولاية الملك التزاما
لاطاعة ولا يقدح فيها ان يقال مالك الدواب والانعام
والوحوش والطيور دون ملكها لان ذلك ليس من جهة عدم
شمول احاطته لذلك بل من جهة انه انما يضاف عرفا الى ما
فيه انقياد وامتثال وينفذ فيه التصرف بالامر والنهى قاله
السعد التفتازانى وقيل هما بمعنى وهو القادر على اختراع الاعيان
من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله ويوم الدين يوم
الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وهو يوم القيامة وخص الذكر لانه
لا ملك ظاهر فيه لاحد الا لله تعالى لان الملك اليوم لله الواحد
القهار فان قيل اضافة اسم الفاعل غير حقيقة فلا تكون
معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة
اجيب بانها انما تكون غير حقيقة اذا اريد باسم الفاعل الحال
او الاستقبال فكان فى تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة
او غدا فاما اذا قصد به معنى الاستمرار الذى هو موصوف بذلك
دائما فتكون الاضافة حقيقية كخالق الخلق فصح وقوعه صفة
للمعرفة فان قيل التقييد بيوم الدين ينافى الاستمرار لكونه مختصا
فى الاستقبال اجيب بان معناه الثبوت والاستمرار من غير
اعتبار حدوث فى احد الازمنة ومثل هذا المعنى لا يمتنع ان يقترن

بالسينية

بالنسبة الى يوم الدين كانه قيل هو ثابت الملكية فى يوم الدين او
المراد انه جعل يوم الدين لتحقق وقوعه بمنزلة الواقع فتستمر
ملكيته فى جميع الازمنة تنبيه اجرا هذه الاوصاف على الله
تعالى من كونه رب العالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها
وباطنها عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب
للدلالة على انه تعالى الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه
على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته لها اياك
نعبد واياك نستعين اياضمير منصوب منفصل وما يلحقه
من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب
والغيبة لا محل لها من الاعراب وفيه اقوال اخر ذكرتها فى شرح
القطر فان قيل الم كرر ضمير اياك اجيب بانه كرر للتخصيص
على انه المستعان به لا غيره فان قيل لم قدمت العبادة على الاستعانة
اجيب لتتوافق رؤس الآى وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على
طلب الحاجة ادعى الى الاجابة وايضا لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه
او هم ذلك فخر واعتزازا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك
نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا تتم ولا تتيسر به الا بمعونة
منه تعالى وتوفيق فان قيل لما عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ
الخطاب اجيب بان عادة العرب التفنن فى الكلام والعدول
من اسلوب الى اخر تحسينا للكلام وتنشيطا للسامع فيكون
اكثر اصغاء للكلام فتعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى
المتكلم والعكس فيها فهذه اقسام اربعة ذكرها البيضاوى

والتحقيق كما قاله بعض المتاخرين انها ستة لان الملتفت اليه
اثنان وكل منهما غيبة او خطاب او تكلم من ذلك قوله تعالى حتى
اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الاصل بكم فهو التفات من الخطاب
الى الغيبة وقوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه الاصل فساقه فهو التفات من الغيبة الى التكلم والاستعانة
طلب معونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية فالضرورية ما لا
يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول الة ومادة
يفعل بها وعند استجماع ذلك يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح
ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل
ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على الشي او يقرب الفاعل الى
الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف
غالبا وقد يتوقف كاكثر الواجبات المالية فان قيل لما اطلقت
الاستعانة اجيب بانها انما اطلقت لاجل انها تتناول
المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات واستحسن هذا
الزمخشري قال لتلايم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض تنبيه
الضمير المستكن في نعبد ونستعين للقاري ومن معه من الحفظة
وحاضري صلاة الجمعة اوله وساير الموحدين ادرج عبادته
في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعل عبادته تقبل
ببركة عبادتهم وبحاجته يجاب اليها ببركة حاجتهم ولهذا شرطت
الجماعة في الصلاة فان قيل لم قدم المفعول اجيب بان تقديمه
للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس

فيها ح

رضي

رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم
في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود
اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت
عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه وصلة بينه وبين
الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة
جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا
حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه
ولذلك فضل ما حكي عن حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حين قال
لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه موسى صلى الله عليه
وسلم حيث قال ان معي ربي سيهدين لان الاول قد مر ذكر الله
تعالى على الهوية والثاني بالعكس اهدنا الصراط المستقيم بيان
للمرغوبة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا
والهداية الدلالة بلطف وكذلك تستعمل في الخير فان قيل قال
الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم اجيب بانه ورد على التهكم
تنبيه هدى اصله ان يتعدى باللام او الى كقوله تعالى
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم
فهو مثل معاملة اختاره في قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين
رجلا ميقاتنا وقد تهدى بنفسه كما هنا وهو حينئذ يحتمل
لانتهاء الحرف وعدم اضماره وهداية الله تتنوع انواعا لا
يحيط بها عدد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكلها
تنحصر في اجناس مرتبة الاول اضافة القوى التي يتمكن بها

المومن من الاهتدى الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة
والمشاعر القاهرة والثانى نصب الدلايل الفارقة بين الحق والباطل
والصلاح والفساد واليه اشار تعالى حيث قال وهديناه النجدين
اى طريق الخير والشر وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب
واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا وقوله
ان هذا القران يهدى للتى هى اقوم والرابع ان ينكشف لقلوبهم
السرايرويريهم الاشيا كما هى بالوحى والالهام والمنامات الصادقة
وهذا القسم يختص بنيله الانبيا والاوليا واياه عنى تعالى بقوله
اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فان قيل ما معنى طلب الهداية وهم
مهتدون اجيب بانهم طلبوا زيادة ما منحوه من الهدى والثبات
عليه كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والصراط من
قلب السين صادا ليطابق الطا فى الاطلاق وقد تشم الصاد
صوت الزاى ليكون اقرب الى المبدل عنه قرا حمزة الصراط المعرف
فى هذه السورة بالاشمام وهو ان ينطق القارى بحرف متولد
بين الصاد والزاى واشم خلف صراط الثانى كالاول وكذا جميع
ما فى القران من معرف ومنكر وقرا قنبل جميع ما فى القران
بالسين وقرا الباقون بالصاد الخالصة فى الجميع وهذه لغة قريش
وهى الثابتة فى الامام وهو مصحف سيدنا عثمان رضى الله تعالى
والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام

وهذا

وهذان القولان مرويان عن ابن عباس متحدان ما صدقا وان
اختلفا مفهوما صراط الذين انعمت عليهم بالهداية بدل من الاولى
بدل كل من كل والعامل فيه متحد على راى الجمهور وقيل العامل فيه
هو العامل فى البدل منه وهو ظاهر مذهب سيبويه وافتاه ابن
مالك فان قيل ما فايدة ذكر صراط الذين انعمت عليهم بدلا تابعا
وهلا اقتصر عليه مع انه المقصود بالنسبة اجيب بان فايدة
التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه
بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان
له فكانه من البين الذى لاخفا فيه ان الطريق المستقيم ما يكون
طريق المومنين وهذا هو الموافق لما خرج ابن جرير عن ابن
عباس ان المراد بالذين انعمت عليهم الانبيا والملايكة والصديقون
والشهدا ومن اطاعه او عبده وقيل الذين انعمت عليهم الانبيا
خاصة صلوات الله وسلامه عليهم وقيل اصحاب موسى وعيسى
قبل التحريف والنسخ تنبيه اطلق الانعام يشمل كل انعام
لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته
واشتملت عليه وتبدل من الذين بصلته غير المغضوب عليهم
وهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه ولا اى
ولا تدخل لا فى غير الضالين وهم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل
كثيرا وضلوا الاية ونكتة البدل افادة ان المهتدين ليسوا
يهودا ولا نصارى وقيل ان غير صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة
المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال

وقيل المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون وذلك لانه
تعالى بدا في اول البقرة بذكر المومنين واثنا عليهم في خمس اياث
ثم اتبعه بذكر الكفار وهو المراد من قوله تعالى ان الذين كفروا ثم
اتبعهم بذكر المنافقين بقوله ولا الضالين وهو قوله تعالى ومن
الناس من يقول امنا بالله وكذا ها هنا بدا بذكر المومنين وهو
قوله انعمت عليهم ثم اتبعهم بذكر الكفار وهو قوله غير المغضوب
عليهم ثم اتبعهم بذكر المنافقين بقوله ولا الضالين فان قيل
كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف واذا اضيف
الى المعارف اجيب بانه يصح باحد تاويلين احدهما اجراء الموصول
مجرى النكرة ان لم يقصد به معهود كالمحلى بالام في قول القايل
ولقد امر على اللييم يسبني اذ لا مرور على الكل والثاني جعل معرفة
بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليه فليس
في غير اذن الابهام الذي ياتي عليه ان يتعرف تنبيه انما سمى كل
من اليهود والنصارى بما ذكر مع انه مغضوب عليهم وضال
لاختصاص كل منهما بما غلب عليه وقال صلى الله عليه وسلم ان
المغضوب عليهم اليهود وان الضالين النصارى رواه ابن جرير
وصححه وقيل المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون
بالله لان المنعم عليهم من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير
للعمل به وكان المقابل له من اخل باحدى قوتيه العاقلة والعاملة
والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا
وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا

بعد الحق الا الضلال فان قيل ما معنى غضب الله لان الغضب
ثوران النفس لارادة الانتقام وهي محال في حقه تعالى اجيب
بانه اذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية فمعناه
ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم
ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده ونعوذ من بالله من
غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قيل اى فرق بين عليهم
الاولى والثانية اجيب بان محل مجرور الاولى النصب على المفعولية
ومحل مجرور الثانية الرفع لانه نائب مناب الفاعل فان قيل
لما دخلت لا في ولا الضالين اجيب بانها مع غير كما قررته
تبعا للجلال المحلي وانها مزيدة كما قال الزمخشري بناء على ما في
غير من معنى النفي كانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين
وللتصريح بتعلق النفي بكل من المعطوف والمعطوف عليه فايدة
اول السورة مشتمل على الحمد لله والثناء عليه والمدح له واخرها
مشتمل على الذم للمعرضين عن الايمان به والاقرار بطاعته وذلك
يدل على ان مطلع الخيرات وعنوان السعادات هو الاقبال على الله
ومطلع الافات ورأس المخالفات هو الاعراض عن الله تعالى
والبعد عن طاعته والاجتناب عن خدمته فان قيل ما فايدة
غير المغضوب الى بعد ذكر انعمت عليهم اجيب بان الايمان
انما يكمل بالرجاء والخوف كما قال عليه الصلاة والسلام لو وزن
خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فقوله صراط الذين انعمت
عليهم يوجب الرجاء الكامل وقوله غير المغضوب عليهم الخ

يوجب الخوف الكامل وحينئذ يتقوى الايمان بركنيه وطرفيه
وينتهي الى حد الكمال وقرا حمزة عليهم غير المغضوب عليهم
بضم الها وقفا ووصلا وكذا جميع ما في القران وقرا ابن كثير
عليهم بواو بعد الميم في الوصل فاذا وقف اسقط الواو وكذا
يفعل في كل ميم جمع بعدها حرف متحرك واما قالون فهو مخير
في ميم الجمع ان شا وصلها بواو وان كان بعدها همزة قطع فتصير
عنده من منفصل وفي ولا الضالين مدان لازم وعارض
فاللازم هو الذي على الالف بعد الضاد قبل اللام المشددة
والعارض هو الذي على اليا قبل النون والسنة للقاري ان يقول
بعد فراغه من الفاتحة امين مفصولا عن الفاتحة بسكتة
وهو اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رضي الله
عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال
افعل بني على الفتح كاين لالتقا الساكنين وجاز مد الفه وقصرها
قال مجنون ليلى لا تسلبني حبها ابدا ويرحم الله عبدا قال امينا
اي بالمد وقال جبريل لما سيل الاسدي المسمى بفطحل تباعد
عني فطحل ان سالته امين فزاد الله ما يشا لغدا فذكره مقصور
وكان من حقه التاخير لان التامين انما يكون بعد الدعا لكن
قدمه للضرورة وليس امين من القران اتفاقا بدليل انه لم
يثبت في المصاحف كما مرت الاشارة اليه ولكن ليس ختم السور
به لقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل عليه السلام
امين عند فراغي من قراة الفاتحة كما رواه البيهقي وغيره وقال

صلى

صلى الله عليه وسلم انه كالختم على الكتاب كما رواه ابو داود في سننه
وقال علي رضي الله عنه امين خاتم رب العالمين ختم دعا عبده
لما روى عن وابل بن حجر انه عليه الصلاة والسلام كان اذا
قرأ ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته وعن الحسن لا يقوله
الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة مثله والمشهور عنه عن
اصحابه انه يخفيه والمأموم يؤمن مع امامه لقوله صلى الله
عليه وسلم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملا
تقول امين وان الامام يقول امين فمن وافق تأمينه تأمين
الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه زاد الجرجاني في امالية
وما تأخر واحسن ما قيل به هذا الخبر ما رواه عبد الرزاق عن
عكرمة قال صفوف اهل الارض تلي صفوف اهل السما فاذا
وافق تامين من في الارض تامين من في السما غفر للعبد قال
ابن حجر وسئل هذا لا يقال بالرأي فالمصير اليه اولى وعن ابي
هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لابي الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة ولا الانجيل ولا الزبور
مثلها قال بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع
المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته رواه الترمذي
وقال حسن صحيح وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نادى ملك
فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة
الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته

يكة

وما رواه البيضاوي عن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما
مقضيا فيقرأ صبي منهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه
الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة حديث موضوع

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم قال الشعبي وجماعة
الم وسائر حروف الهجائي اوائل السور من المتشابه الذي
استأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها
ونكل العلم فيها الى الله سبحانه وتعالى وفائدة ذكرها مجرد
الايمان بها والتسليم في ذلك ان العقول الضعيفة لا
تحتمل الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش
والله تعالى استأثر بعلم لا يقدر عليه عقول الانبياء والانبياء
استأثروا بعلم لا يقدر عليه عقول العامة وقال ابو بكر رضي
الله تعالى عنه في كل كتاب سر وسر الله في القرآن اوائل
السور وقال علي رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة
هذا الكتاب حروف التهجي قال داود بن ابي هند كنت اسأل
الشعبي عن فواتح السور فقال يا داود ان لكل كتاب سرا
وان سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك
وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
انه قال معنى الم انا الله اعلم ومعنى الم انا الله اري ومعنى
الم انا الله اعلم واري قال الزجاج وهذا حسن وان الحروف

تذكر

تذكر حرفا من كلمة تريدها كقولك قلت لها قفي فقالت قاف
اى وقفت وقيل هي اسما السور وعليه اطباق اكثر المتكلمين
واختاره الخليل وسيبويه سميت بها اشعارا بانها كلمات
معروفة التركيب فلو لم يكن وحي من الله تعالى لم تتساقط
قدرتهم عند معارضتها ونقضه الامام الرازي بانها لو كانت
اسما لها لوجب اشتهارها بها وقد اشتهرت بغيرها كسورة
البقرة وآل عمران وقيل اسم القرآن قاله قتادة والحكمة في
الاتيان بهذه الاحرف الثلاثة ان الالف من ادنى الحلق
وهو مبدء المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها
والميم من الشفة وهي اخرها جمع الله تعالى بينهما ايما الى ان
العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله
تعالى وما تكاثر وقوع الالف واللام في تراكيب الكلام جاءا
في معظم الفواتح مكررين وهو فواتح سورة البقرة وآل عمران
والاعراف ويونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر
والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة فان قيل هلا عددت
هذه الاحرف باجمعها في اوائل القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور
اجيب بان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلفها لا
غير وتجديده على غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقرب في
الاسماع والقلوب من ان يتوارد كره مرة وكذلك مذهب كل تكرير
جاء في القرآن بمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان
قيل هلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها

فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على
حرفين والم والرا وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على
اربعة احرف وكهيعص وحمعسق على خمسة احرف اجيب
بان هذا على عادة افنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه
على طرق شتى ومذاهب عدة وكما ان ابنية كلماتهم على حرف
وحرفين الى خمسة احرف لم تجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح
تلك المسالك فان قيل ما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة
التي اختصت بها اجيب بانه لما كان الغرض هو التنبيه
والمبادي كلها في تادية هذا الغرض سوا لا مفاضلة كان تطلب
وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده
زيد والاخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك
بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل بذلك فان قيل هل
لهذه الفواتح محل من الاعراب اجيب بان لها محلا فيمن جعلها
اسما لانه عنده كساير الاعلام محلها يحتمل ثلاثة اوجه اما
الرفع بانها مبتدا او خبر لمبتدا محذوف اي هذه الم او النصب
بفعل مقدر كاذكر او اقرا او اقل او الجر بتقدير حذف حرف القسم
ذلك الكتاب الذي تقراه يا محمد على الناس لا ريب فيه
لا شك في انه من عند الله تعالى فان قيل لم صحت الاشارة
بذلك الى ما ليس ببعيد اجيب بان الاشارة وقعت فيه
للتعظيم ولذلك قال الطيبي احسن ما قيل في توجيه ذلك
قول صاحب المفتاح قال ذلك الكتاب ذهابا الى بعده درجة

وقيل

وقيل وقعت الى المر بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمقتضى
حاكم المتباعد وهذا فى كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يعود
وذلك ما لا شك فيه وبحسب الحاسب ثم يقول وذلك كذا وكذا
وقال تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال نبى الله يوسف
صلى الله عليه وسلم لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما
بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى وانه لما وصل من
المرسل الى المرسل اليه صلى الله عليه وسلم وقع فى حد البعد
كما تقوله لصاحبك وقد اعطيته شيأ احتفظ بذلك اى تمسك
به وقيل معناه ذلك الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا
سنلقى عليك قولا ثقيلا او فى الكتب المتقدمة لان سورة البقرة
مدنية كما مر وأكثرها احتجاج على اليهود وعلى بنى اسرائيل
وقد كانت بنو اسرائيل اخبرهم موسى وعيسى عليهما الصلاة
والسلام ان الله يرسل محمدا وينزل عليه كتابا فقال تعالى
ذلك الكتاب اى الذى اخبر الانبيا المتقدمون بان الله ينزله
على النبى المبعوث من ولد اسماعيل وقيل انه تعالى لما اخبر فى
القرآن بانه فى اللوح المحفوظ والكتاب وانه فى ام الكتاب لدينا
وقد كان صلى الله عليه وسلم اخبر امته بذلك فغير ممتنع
ان يقول تعالى ذلك الكتاب المثبت فى اللوح المحفوظ والكتاب
مصدر سمى به المفعول للمبالغة او قال بنى للمفعول كاللباس
ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه ما يكتب
واصل الكتب الضم والجمع سمى الكتاب كتابا لانه جمع حروف

الى حرف والكتاب جاء في القرآن على وجوه احدها الفرض قال
تعالى كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام ان الصلاة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وثانيها الحجة والبرهان قال
تعالى فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين اي برهانكم وثالثها
الاجل قال تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
اي اجل ورابعها بمعنى مكاتبة السيد رقيقه قال تعالى والذين
يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فان قيل كيف نفى الريب
على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه اجيب بانه
تعالى ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا به
للريب ومظنة له لانه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث
لا ينبغي لاحد ان يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في
ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فانه لم ينف
عنهم الريب بل ارشدهم الى الطريق المزيح للريب وهو ان
يجتهدوا في معارضة سورة من سوره ويبذلوا فيها غاية
جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة
ولا مدخل للريبة وقيل هو خبر بمعنى النهي اي لا ترتابوا فيه
كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج اي لا ترفثوا
ولا تفسقوا ولا تجادلوا والريب في الاصل مصدر بني للشيء الحاصل
فيه الريبة وهي تلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه
يعلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما
لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة رواه الترمذي

الم

لكن بلفظ فان الصدق طمانينة والكذب ريبة وصحح معناه
اترك ما فيه شك الى ما لا شك فيه فاذا ارتابت نفسك في شيء
فاتركه واذا اطمانت اليه فافعله فان نفس الموسن تطمين الى
الصدق وترتاب من الكذب وهذا مخصوص بذوي النفوس
الشريفة القدسية الطاهرة وتنبيه جملة النفي خبر
مبتدوه ذلك هدى خبر ثان اي هاد للمتقين الصابرين
الى التقوى بامتثال الاوامر واجتناب النواهي لانفعايهم بذلك
النار وتخصيص المتقين بالذكر تشريفا لهم ولانهم هم المنتفعون
بالهدى كما قال تعالى انما انت منذر من يخشاها وقال تعالى
انما تنذر من اتبع الذكر وقد كان صلى الله عليه وسلم منذرا
لكل الناس لان هؤلاء هم الذين انتفعوا بانذاره ولهذا ثلاث
مراتب الاولى التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك
وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن
كل ما يوثم من فعل او ترك حتى الصغاير عند قوم وهذا
التجنب هو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله
تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا وعلى هذا قول عمر من عبد
العزيز التقوى ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله فمن رزق الله
بعد ذلك فهو خير الى خير والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره
عن الحق تعالى وهذه هي التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته وقال ابن عمر التقوى
ان لا ترد نفسك خيرا من احد قرا ابن كثير فيهي هدى فيصل

الهاء من فيه بيا في الوصل لانها مكسورة وقبلها ساكن فان كانت
قبل هاء الكناية مضمومة وقبلها ساكن وصلها بواو فان كان
قبلها محرك وبعدها محرك فجميع القراء يصلونها مكسورة بيا
ويصلونها مضمومة بواو فمثال الكسر به ان يوصل ومثال
المضمومة قال له صاحبه وهو يحاوره اشبه ذلك فان كان
قبلها محرك وبعدها ساكن فالجميع على عدم الصلة مثال ذلك
به الله وله الملك وما اشبه ذلك ويد غم ابو عمرو الهاء في الهاء
بخلاف عنه وكذا كل مثلين ما لم يكن الحرف الممدغم تاء متكلم كلنت
ترابا او تاء مخاطب مثل انت تكره الناس او منونا كسميع
عليم او مشدد مثل فتنهم مدغمات ربه ثم وصف المتقين
بما هو شانهم بقوله الذين يؤمنون بالغيب اي يصدقون
بما غاب عنهم من البعث والجزاء والجنة والنار والصراط
والميزان والايمان لغة التصديق وشرعا التصديق بما علم
بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد
والنبوة والبعث والجزاء مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق و
والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة
والخوارج والاصح انه التصديق وحده ويدل له انه تعالى
اضاف الايمان الى القلب فقال اكتب في قلوبهم الايمان وقال
قلبه مطمئن بالايمان وقال ولم تؤمن قلوبهم وعطف عليه
العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقوله في الجهاد فقاتلوا
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم

القصاص

القصاص في القتلى فلو لم يكن الايمان التصديق فقط بل هو
وترك المعاصي لم يكونوا مؤمنين فان قيل قال الله تعالى في
الله عنه وغيره ان الايمان قول وعمل وينقص اجيب
بان ذلك محمول على الايمان الكامل وقرأ ورش والسوسي
بابدال الهمزة الساكنة في يؤمنون واوا وكذا يقرأ حمزة في
الوقف ويقيمون الصلوة اي يديمون ادائها ويحافظون عليها
في مواقيتها بحدودها واركانها وهيآتها يقال قام بالامر
واقامه اذا اتى به يقضي حقه لان الحقيق بالمدح من راعى
حدودها الظاهرة من الفرايض والسنن وحقوقها الباطنة
كالتشوق والاقبال على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن
صلوتهم ساهون وذلك ذكر في سياق المدح والتقييد في
الصلاة في معرض الذم قول المصلين والمراد بها الصلوات
الخمس ذكر بلفظ الواحد ان كقوله تعالى فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق بين الكتب
والصلاة في اللغة الدعا قال الله تعالى وصل عليهم اي ادع
لهم وفي الشرع اسم لافعال واقوال مخصوصة مفتتحة بالتكبير
مختتمة بالتسليم وقرأ ورش بتغليظ اللام في الصلاة
حيث جا ومما رزقناهم اي اعطيناهم ينفقون يخرجون المال
في طاعة الله فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكاة ذكر افضل
انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانها بالصلاة لانهما
يذكران معا في القران ويحتمل ان يراد به الانفاق مما منحهم

الله من النور الظاهرة والباطنة ويؤيده ما رواه الطبراني
في الاوسط مرفوعا سئل الذين يتعلم العلم لم لا يحدث به
كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه والى هذا ذهب من قال
ومما خصصناه به من انوار المعرفة بفيضون والرزق
بالكسر في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم اي
حظكم ونصيبكم من القرآن انكم تكذبون واما بالفتح فهو
مصدر بمعنى اعطاء الحظ كما انه بالكسر يكون مصدرا ايضا
كما قيل به في قوله تعالى ومما رزقناهم ومن رزقناه منا رزقا
حسنا وفي العرف اسم لكل ما ينتفع به حتى الولد والرقيق
والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه تعالى
منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول
الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه اذ انا
بانهم ينفقون الحلال الصرف الطيب وان انفاق الحرام لا
يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله
تعالى بقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم
منه حراما وحلالا واجاب اهل السنة عما ذكروا بان الاسناد
للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم بتحريم ما لم يحرمه
او اختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا الشمول
الرزق له بما رواه ابن ماجه وغيره من حديث صفوان
ابن امية قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة

فلا

قال انى ارزق الامن وفى بكفى فاذن لى فى الغنا من غير فاحشة
قال اذن لك ولا كرامة كذبت اى عدو الله لقد رزقك الله
حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما
احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذى
به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة
فى الارض الا على الله رزقها تنبيه تقدم رزقنا هم على
ينفقون للاهتمام والمحافظة على رؤس الاى وادخال
من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهى عنه
حتى من لم يصبر على الاضافة والافلاس باسراف فقد
تصدق ابو بكر رضى الله عنه بجميع ماله ولم ينكر عليه
النبى صلى الله عليه وسلم والذين يومنون بما انزل
اليك اى القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر
عنه بلفظ المضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على
ما لم يوجد فيكون مجازا باعتبار تسمية الكل باسم البعض او
تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع فيكون استعارة باعتبار
تشبيه غير المتحقق بالمتحقق وفى كل من هذين الوجهين جمع بين
الحقيقة والمجاز وهو جايز عند الشافعى رضى الله تعالى
عنه وما انزل من قبلك اى التوراة والانجيل وغيرهما
من سايرالكتب السابقة على القران والايمان بالانزال
جملة فرض عين وبالاولدون الثانى تفصيلا من حيث
انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه

على كل احد يوجب الخروج وتشويش المعاش وهذه الاية
في الموضعين من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وامثاله
فائدة الكتب المنزلة مائة واربعة كتب انزل على
السيد شيث ستون صحيفة وعلى السيد ابراهيم ثلاثون
وعلى السيد موسى قبل التوراة عشر فهذه مائة والاربعة
الاخر التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم
واختلف القراء في مد وقصر ما انزل فقالون والدوري
عن ابي عمرو يمدان ويقصران وابن كثير والسوسي يقصران
بلا خلاف ويتفاوتون في طول المد فاطولهم مدا ورش
وحمزة ودونهما عاصم ودونه ابن عامر والكسائي وهذا
كله مد منفصل وبالاخرة هم يوقنون اي يعلمون انها
كائنة لان اليقين هو العلم بالشيء بعد ان كان صاحبه
شاكا فيه قاله الامام ولذلك لا يوصف به العلم القديم وكل
العلوم الضرورية فلا يقال تيقن الله كذا ولا تيقنت
ان الكل اكبر من الجزء فائدة سميت الدنيا دنيا
لدنوها من الاخرة وسميت الاخرة اخرة لتاخرها وكونها
بعد فناء الدنيا وهي تانيث الاخر صفة الدار بدليل قوله
تعالى تلك الدار الاخرة قرا ورش الاخر بنقل حركة الهمزة الى
الساكن قبلها حيث جاء وكذا الارش وقد افلح ومن اظلم
وما اشبه ذلك اولئك الموصوفون بما ذكر على هدى
اي رشد من ربهم ونكر هدى للتعظيم فكانه يريد به

وباقي القراء وهم ورش
وعاصم وحمزة والكسائي
[illegible]

هدى

هدى لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره والكد تعظيمه بان الله
مانحه والموفق له تنبيه جميع القراء يدون اولئك بلا
خلاف لانه متصل لكن مرتبة ابن كثير وابى عمرو دون مرتبة
ابن عامر والكسائى فى المتصل والمنفصل واولا كلمة موضعها
الكناية عن جماعة والكاف للخطاب كما فى حرف ذلك
واولئك هم المفلحون اى الفائزون بالجنة والناجون من
النار كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات
يقتضى كل واحد من الاختصاصين وان كلا منهما كاف فى
تمييزهم بها عن غيرهم فلا يحتاجون فيه الى مجموعهما فان قيل
لم وسط العاطف بين هاتين الجملتين هنا دون ما فى
الاعراف فانهما من غير عاطف اجيب بانهما مختلفان
باختلاف المسندين فيهما كما علمت هدى من ربهم والمفلحون
وان تناسبا تعقلا لاختلفان مفهوما ووجودا ومقصودا
لان الهدى فى الدنيا والفلاح فى العقبى واثبات كل منهما
مقصود فى نفسه بخلاف كالانعام والغافلين فانهما وان
اختلفا مفهوما قد اتحدا مقصودا ووجودا الا لمعنى
للتشبيه بالانعام لا المبالغة فى الغفلة فى الدنيا فناسب
العطف فى الاولين دون الثانى تنبيه تامل كيف نبه
سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله
احد من وجوه شتى بنا الكلام على اسم الاشارة للتقليل مع
الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسط الفصل لاظهار

قدرهم والترغيب فى اقتفا اثرهم واصل الفلاح القطع والشق
ومنه سمى الزارع فلاحا لانه يشق الارض فهم المقطوع لهم
بالخيرة الدنيا والاخرة ولما ذكر الله تعالى خاصة عباده
وخالصة اوليايه بصفاتهم التى اهلتهم للهدى فى الفلاح
عقبهم بذكر اضدادهم المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى
ولا تغنى عنهم الايات والنذر بقوله تعالى ان الذين كفروا
والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر
ومنه قيل للزراع والليل كافر وللكمام الثمر كافور وفى الشرع
انكار ما علم بالضرورة مجى الرسول به وينقسم الى اربعة
اقسام كفر انكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق فكفر
الانكار هو ان لا يعرف الله اصلا ولا يعترف به وكفر الجحود
هو ان يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه كما كفر ابليس واليهود
قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفر العناد هو
ان يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به كما كفر
ابى طالب حيث يقول

ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان البرية دينا

لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

واما كفر النفاق فهو ان يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب
وجميع هذه الاقسام من لقى الله بواحد منها لا يغفر له قال
الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به تنبيه احجت
المعتزلة بما جاء فى القرآن بلفظ المضى خوان الذين كفروا

انا نحن نزلنا الذكر انا ارسلنا نوحا على حدوث القرآن
لاستدعاء ما جاء فيه بلفظ الماضي سابقية المخبر عنه
والقديم يستحيل ان يكون مسبوقا بغيره واجاب اهل السنة
بان ما جاء فيه بلفظ الماضي مقتضى تعلق الحكم بالمخبر عنه
فلا يستلزم حدوث كلام الله كما في علمه تعالى فانه قديم
ومقتضى تعلقه بغير حادث والحاصل انه يلزم من حدوث
مقتضى التعلق وهو الكلام اللفظي حدوث الكلام النفسي
سواء عليهم اى سواء لديهم انذرتهم ام لم تنذرهم اى
خوفتهم وحذرتهم امرا او الانذار اعلام مع تخويف وتحذير فكل
منذر معلم وليس كل معلم منذرا وانما اقتصر عليه دون البشارة
لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع
الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم الانذار كانت
البشارة بعدم النفع اولا لا يؤمنون بما جئت به وهذه
الاية في اقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله
تعالى كابي جهل وابي لهب وغيرهما فلا تطمع في ايمانهم واحتج
بهذه الاية من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه وتعالى
اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا وقع
الخلف في كلامه تعالى وهو محال واجيب ان التكليف بالممتنع
لغيره كالتكليف بتعلق علم الله تعالى بعدم وقوعه فانه جائز
ووقع اتفاقا تنبيه هنا همزتان مفتوحتان من كلمة تقالون
وابو عمرو بينهما لان الثانية ويدخلان بينهما الفا وكذا

وحدوث مقتضى التعلق لا يستلزم حدوث المخبر عنه صح

لذاته جائز عقلا غير واقع بخلاف التكليف بالممتنع صح

ورش وابن كثير الا انهما لم يدخلا الف بينهما ولورش وجه
اخر وهو ان يبدل الثانية حرف مد وهشام له وجهان تسهيل
الهمزة الثانية وتحقيقها مع ادخال الف بينهما والباقون بالتحقيق
والقصر وجميع القراء يحققون الاولى ثم ذكر سبب تركهم الايمان
بقوله ختم الله على قلوبهم اى طبع واستوثق فلا يدخلها
ايمان ولا خير والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب
الخاتم عليه كتم له وعلى سمعهم اى مواضعه فلا ينتفعون
بما يسمعون به من الحق وقوله تعالى وعلى ابصارهم اى اعينهم
غشاوة مبتدا وخبر اى على اعينهم غطاء من عند الله تعالى
فلا يبصرون الحق وعبر الله تعالى عن احداث هذه الهيئة
بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وابصارهم وبالاقفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم
قاسية وهذه الهيئة من حيث ان الممكنات باسرها مستندة
الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه تعالى ومن حيث
انها مسببة عما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها
بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم
وردت الاية مظهرة عليهم شناعة صفتهم ووخامة
عاقبتهم فان قيل لم وحد السمع دون القلوب والابصار
اجيب بانه على حذف مضاف مثل وعلى حواس سمعهم كما مر
تقديره او باعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر

لانه ح

لانثنى

لا تثنى ولا تجمع والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد
يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع قال
البيضاوي ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة
للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق القلب
ويراد به العقل والمعرفة كما قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب اى عقل واملا ابو عمرو الف ابصارهم وكذا
كل الف بعدها راء مكسورة متطرفة وانما جاز امالتها مع
الصاد لان الراء المكسورة تقلب المستعلية لما فيها من التكرير
ولهم عذاب عظيم اعقوبة دائمة في الاخرة وهذا وعيد وبيان
لما يستحقونه والعذاب كما يعيق الانسان ويشق عليه
وقال الخليل العذاب ما يمنع الانسان عن مراده ومنه الماء
العذب لانه يمنع العطش وانما وصف العذاب بالعظيم دون
الكبير لان العظيم فوقه لان العظم نقيض الحقير والكبير
نقيض الصغير واذا كان الحقير مقابلا للعظيم والصغير
للكبير كان العظيم فوق الكبير لان العظيم لا يكون حقيرا
والكبير قد يكون حقيرا كما ان الصغير قد يكون عظيما وتنكير الغشاوة
والعذاب للتنويع لانهما لما قرنا بالختم على القلوب كان المعنى
نوعا عظيما منه اى على ابصارهم غشا ليس مما يتعارفه الناس
وهو التعامي عن الايات ولهم من الامم العظام نوع لا يعلم كنهه
الا الله ونزل في المنافقين حكاية لحالهم قوله تعالى ومن الناس
اما ابو عمرو والف قبل السين المكسورة اما لة محضة وهكذا

كل الف مثلها والباقون بالفتح **من يقول امنا بالله وباليوم الآخر** اجمع المفسرون على ان ذلك وصف المنافقين قالوا صنف الاصناف الثلاثة من المومنين والكافرين والمنافقين فبدا بذكر المومنين الذين اخلصوا دينهم لله وما لطافت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا وثلث بالصنف الثالث المذبذبين بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهذا الصنف احبث الكفرة وابغضهم الى الله تعالى لانهم مع مشاركتهم للكفار الاصليين انهم جاهلون بالقلب كاذبون باللسان من حيث انهم ينسبون الى الله تعالى ما هو برئ منه كالولد والزوجة والشريك زادوا عليهم بامور منكرة منها انهم قصدوا التلبيس ورضوا لانفسهم الكذب ولبسوا الكفر على المسلمين فخلطوا به خداعا واستهزاء لذلك طول الله في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل على اعمالهم وخطيئاتهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار واللام في الناس للجنس ومن موصوفة لا للعهد قال تعالى ومن الناس ناس يقولون وقيل للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة يراد بها ابن ابي واصحابه وفظر اوصافهم من حيث انهم صمموا على النفاق وغلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لاياتي خواتم تحت هذا الجنس فان قيل لم اختصت من بالموصوفة على تقدير الجنس وبالموصولة

على تقدير العهد اجيب بان الجنس لابهامه يناسب الموصوفة
لتنكيرها والعهد لتعيينه يناسب الموصولة لتعريفها
واختصاص الايمان بالله واليوم الاخر بالذكر تخصيص ما هو
المقصود الاعظم من الايمان وادعا بانهم احتازوا الايمان من
المبدا وايذان بانهم منافقون فيما يظنون بانهم مخلصون فيه
فكيف بما يقصدون به النفاق وهو عدم التصديق بالقلب
لان القوم كانوا يهودا وكانوا يومنون بالله واليوم الاخر ايمانا
كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها
غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغير ذلك ويرون
المسلمين انهم مثل ايمانهم وفي تكرير البا ادعا الايمان بكل واحد
على الاصالة والاستحكام والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر
الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
لانه اخر الاوقات المحدودة بطرفين وما هم بمومنين لابطانهم
الكفر وهذا انكار لما ادعوا اثباته ووحد الضمير في يقول
نظرا الى لفظة من لانها صالحة للتثنية والجمع والواحد وجمع فيما
بعده نظرا الى معناها فان قيل كيف طابق قوله وما هم بمومنين
قولهم امنا بالله فان الاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني
في ذكر شان الفاعل لا الفعل فكان المطابق له وما امنوا
اجيب بانه لما عدل الى ذلك لرد كلامهم بابلغ وجه واكده
لان اخراج ذواتهم عن عدد المومنين ابلغ من نفي الايمان عنهم
في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالبا ونظيره قوله تعالى

والمعاد

آمنوا

يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها وهو ابلغ
من قولك وما يخرجون منها واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا
من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به وهو قولهم تعالى
بالله وباليوم الاخر الان وما هم بمومنين بجوابه والاية تدل
على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن
مومنا الان من تفوه بالشهادتين قارغ القلب عما يوافقه
او يخالفه لم يكن مومنا يخادعون الله والذين امنوا اذا اظهروا
خلاف ما ابطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم احكامه الدنيوية
ويحقنوا دماءهم ويحفظوا اموالهم واصل الخدع في اللغة الاخفاء
ومنه المخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع والمخادع اظهر خلاف
ما يضمر والمخادعة تقتضي اثنين وخداعهم مع الله ليس
على ظاهره لانه تعالى لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا اخدعته
بل المراد اما مخادعة رسوله او ولي يه على حذف المضاف لانهم
لم يعتقدوا ان الله بعث الرسول اليهم فلم يكن قصدهم
في نفاقهم مخادعة الله تعالى فعلم ان خداعهم مع الله ليس المراد
ظاهره كما في قوله تعالى واسيل القرية اي اهلها او على ان معاملة
الرسول معاملة الله تعالى من حيث انه خليفته كما قال تعالى
من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان
واستبطان الكفر وصنيع الله معهم من اجراء احكام المسلمين
عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار

استدراكا تم

استدراجا لهم وامتثال الرسول والمومنين امر الله في اخفا
حالهم واجرا حكم الاسلام مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة
صنيع المتخادعين ويحتمل ان يخادعون يخدعون لانه بيان
ليقول او استيناف يذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في
زنة فاعلة للمبالغة من ان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل حتى
غولب فيه كان ابلغ منه اذا جا بلا مقابلة معارض استصحبت
الزنة ما ذكر من المبالغة وقال الجلال المحلي والمخادعة هنا
من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحسين **وما يخادعون**
الا انفسهم لان وبال خداعهم راجع عليهم فيفتضحون
في الدنيا باطلاع نبيه على ما ابطنوه ويعاقبون في الاخرة
ونفس ذات الشي حقيقته وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بضم
اليا وفتح الخا والف بعدها وكسر الدال وقرا الباقون وهم
عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وما يخدعون بفتح اليا
وسكون الخا ولا الف بعدها وفتح الدال ولا خلاف بين القرا في
الكلمة الاولى وهي يخادعون الله فالجميع قرا بضم اليا وفتح
الخا والف بعدها وكسر الدال واما الرسم في الموضعين فبغير
الف **وما يشعرون** اي لا يحسبون بمعنى لا يعلمون ان خداعهم
لانفسهم لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع
ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مرفوق
الحواس وهو المصاب بافة **في قلوبهم مرض** اي شك ونفاق
لان ذلك يمرض قلوبهم اي يضعفها والمرض حقيقة هو فيما

يراد ح

فيخرجه

يعرض للبدن عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله
ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمال افعالها كالجهل
وسوء العقيدة والحسد والبغض وحب المعاصي لانها مانعة
عن نيل الفضايل او يؤديه الى زوال الحياة الحقيقية الابدية
والاية تحتمل الحقيقة والمجاز وعلى المجاز اقتصر اكثر المفسرين
لانه ابلغ من الحقيقة **فزادهم الله مرضا** بما انزل من القران
لانه كلما انزل اية كفروا بها فازدادوا شكا ونفاقا واسناد الزيادة
الى الله تعالى من حيث انه خلقها واوجدها والى السورة في قوله
تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا وقرا حمزة وابن ذكوان
بامالة الالف بعد الزاي محضة والباقون بالفتح **ولهم عذاب
اليم** اي هو الم بفتح اللام وصف به العذاب للمبالغة
اذ الالم انما هو للمعذب حقيقة لا للعذاب فنسبة الالم الى العذاب
مجاز ويجوز كسر اللام مولم كسميع بمعنى مسمع وعليه فنسبة
الاليم الى العذاب حقيقة **بما كانوا يكذبون** قرا نافع وابن
كثير وابو عمرو وابن عامر بضم اليا وفتح الكاف وتشديد الذال
اي بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرا الباقون بفتح
اليا وسكون الكاف وتخفيف الذال اي بتكذيبهم في قولهم امنا
لان الايمان التصديق بالقلب والكذب هو الخبر عن الشي
على خلاف ما هو به قال البيضاوي تبعا للزمخشري وهو حرام
كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب على الكذب
وما روي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث

كذبات

كذبات وذكر قوله في الكوكب هذا ربي وقوله بل فعله كبيرهم هذا
وقوله اني سقيم فالمراد التعريض اي وهو اللفظ المشار به
الى جانب والغرض جانب اخر وقيل هو خلاف التصريح وهو
تضمين الكلام دلالة ليس لها ذكر ويسمى تعريضا لما فيه من
التعريض عن المطلوب ولكن لما شبه به الكذب في صورته
وهذا ليس على اطلاقه فان من الكذب ما هو مباح وما هو مندوب
وما هو واجب لان الكلام وسيلة الى المقصود فكل مقصود
محمود ان امكن التوصل اليه بالصدق فالكذب فيه حرام
وان لم يمكن الا بالكذب فهو مباح ان كان المقصود مباحا ومندوب
ان كان المقصود مندوبا وواجب ان كان المقصود واجبا وفي
حديث الطبراني في الكبير كل الكذب يكتب على ابن ادم الا
ثلاثا الرجل يكذب في الحرب فان الحرب خدعة والرجل يكذب
على المراة فيرضيها والرجل يكذب بين الرجلين فيصلح بينهما
وفي حديث في الاوسط الكذب كلمة اثم الا ما نفع به مسلم
او دفع به عن بين واذا قيل لهم اي لهولا فهو عطف تفسير على
يكذبون فمحله نصب لكونه معطوفا على خبر كان فيكون جزا من
السبب الذي استحقوا به العذاب الاليم او على يقول فلا محل
له من الاعراب لكونه معطوفا على صلة من فلا يكون جزا
من السبب والقايل هو الله تعالى او رسوله صلى الله عليه وسلم
او بعض المومنين لا تفسدوا في الارض بالكفر والتعويق عن
الايمان والفساد خروج الشي عن الاعتدال والصلاح ضده

اي لما روى البخاري ومسلم في حديث الشفاعة فيقول ابراهيم اني كذبت ثلاث كذبات

سمي به انتهى

فلا محل

والفساد يعم كل ضار والصلاح يعم كل نافع وكان من افسادهم
في الارض اثارة الحروب والفتن بخداعة المسلمين ومعاونة الكفار
المتمحض كفرهم على المسلمين فان ماذكر يودي الى فساد ما في
الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي به
والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع والاعراض عنها مما يوجب
القتل والاختلاط فتخل بنظام العالم لان ذلك فساد لان الفساد
جعل الشيء فاسدا وصنيعهم لم يكن كذلك فقوله تعالى لا تفسدوا
في الارض بمعنى باعتبار المآل اى لا تفعلوا ما يودي الى الفساد به
وليس معنى الافساد هنا الاتيان بالفساد ليصح حمل الكلام
على الحقيقة نبه على ذلك السعد التفتازاني قالوا انما نحن مصلحون
جواب اذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح
مخاطبتنا بذلك وان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالتنا
ستمحضة عن شوايب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخلت
على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا
ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم
من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا
قال الله تعالى يرد عليهم ابلغ رد الا انهم هم المفسدون اى
بما ذكر ولكن لا يشعرون اى لا يفطنون بمعنى لا يعلمون
انهم هم المفسدون بذلك اى لانهم يظنون ان ذلك الذي هم
عليه من ابطال الكفر صلاح وقيل لا يعلمون ما اعد الله لهم
من العذاب ووجه الابلغية في ذلك تقديره بانهم المشبهة

على

على التحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا
دخلت على النفي افادت نفيا تحقيقا وباب المقدرة للنسبة
وتعريف الخبر وتوسط ضمير الفصل والاستدراك لما يشوش
واذا قيل لهم امنوا هذا من تمام النصح والارشاد فان كمال
الايمان مجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود
بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله
امنوا كما امن الناس اي كايمان الناس الكاملين في الانسانية
الموافق باطنهم فيه لظاهرهم العاملين بمقتضيته وفي اللام
في الناس للجنس فان اسم الجنس كما يستعمل للمسماة مطلقا يستعمل
لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه او للعهد والمراد
به الرسول ومن معه او عبد الله بن سلام وغيره من مؤمني
اهل الكتاب وقرا هشام والكسائي قيل بادغام الكاف وهو ان
تضم القاف قبل الياء ولورش في الهمز من امنوا وآمن المد
والتوسط والقصر قالوا انؤمن كما امن السفهاء اي الجهال فان اللام
في السفهاء للعهد وهم من تقدم او لجنس السفه باسره وانما
سفهوهم لاعتقاد فساد رايهم او لتحقيرهم شانهم فان اكثر
المؤمنين كانوا فقراء كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة
بمن امن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه
قال الله تعالى رادا عليهم ابلغ رد الا انهم هم السفهاء ولكن لا
يعلمون انهم سفهاء بما فعلوه من ابطان غير ما اظهروه وجه
الابلغية في تجهيلهم ان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو

العقلاء

ومنهم حال من

الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المتردد في جهله
فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر فان قيل كيف يصح
النفاق مع المجاهرة بقولهم انؤمن كما امن السفهاء اجيب
بان هذا القول كانوا يقولونه فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر
الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك والسفه
خفة وسخافة رأي يقتضيها نقصان العقل والعلم يقابله فان
قيل لم عبر في هذه الاية بلا يعلمون وفي التي قبلها بلا يشعرون اجيب
بان التعبير بلا يعلمون اكثر مطابقة لذكر السفه لانا السفه
جهل فطابقه العلم ولان امر الايمان اخروي يحتاج الى دقة
نظر فعبر في الاية التي اشتملت عليه بلا يعلمون وشعور مضارع
شعر يقال شعرت كذا اي حسست به او ادركته اي فطنت
له وقد استعمل بالمعنى الاول في قوله وما يشعرون وفي الثاني
بقوله لا يشعرون كما يعلم مما قررته في الايتين وقرا ابن عمر
وعاصم وحمزة والكسائي السفها الا بتحقيق الهمزتين وكذا كل
همزتين وقعتا في كلمتين اتفقتا او اختلفتا والباقون وهم
نافع وابن كثير وابو عمرو بابدال الثانية واوا خالصة واذا
لقوا الذين امنوا اللقا المصادفة وهي الاجتماع من غير مواعدة
يقال لقيته ولاقيته اذا صادفتموا استقبلتموا صل لقوا
لقيوا حذفت الضمة للاستثقال ثم اليا لالتقائها ساكنة
مع الواو وقالوا امنا اي كايمانكم واذا خلوا منهم ورجعوا
الى شياطينهم اي الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم

واما البغي والفساد وهو منهو كالمحسوس لا يحتاج الى دقة نظر فغيرني الاية التي اشتملت عليه بلا يشعرون ح

المظهرون

المظهرون خلاف ذلك واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او هم
كبار المنافقين والقايلين مقالهم قالوا انا معكم اي في الدين
والاعتقاد خاطبوا المومنين بالجملة الفعلية وخاطبوا الشياطين
بالجملة الاسمية المؤكدة لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث
الايمان وقصدوا بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه
لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق ورغبة فيما خاطبوا به المومنين
ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المومنين من
المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن
مستهزءون باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اي مسخرون بهم
باظهارنا الاسلام لان المستهزئ بالشيء المستحق به مصر
على خلافه فهذا تاكيد لما قبله او بدل منه لان من حقوق
الاسلام فقد عظم الكفر واستبشع فكان الشياطين قالوا
لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المومنين
وتدعون الايمان فاجابوا بذلك تجنيسا بين سبحانه وتعالى
بهذه الاية معاملة المنافقين مع المومنين والكفار ورد الوا
وغيره لكن سند ضعيف ان ابي واصحابه استقبلهم نفر من
الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم
فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه وقال مرحبا بالصديق سيد
بني تيم شيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضي الله
عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في الدين

باب

حدي

ابن

ثم اخذ بيد علي رضي الله تعالى عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم صح

الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه اي
زوج بنته عند العامة وعند العرب كل من كان من قبل المراة
وكل منهما صحيح هنا سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت وما مصدرية قوله تعالى ومن الناس من يقول
امنا فسوف لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير
الله يستهزئ بهم اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء
باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ او لكونه
مماثلا له في القدر ومثل هذا يسمى مشاكلة او ينزل بهم الحقارة
والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يرجع وبال
الاستهزاء عليهم فيكون كالاستهزاء بهم او يعاملهم معاملة
المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام الاسلام عليهم واستدراجهم
بالامهال والزيادة في النعمة مع التمادي في الطغيان واما في الاخرة
فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه
فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين
امنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل
على انه تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم
وان استهزاءهم لا يبالي به لحقارته ويمدهم في طغيانهم اي ضلالتهم
يعمهون يترددون متحيرين والطغيان بالضم والكسر مجاوزة
الحد في العصيان والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه
قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم قال البيضاوي والعمه في البصيرة
كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه

باللفظ

وارض

وارض عمها لا منار لها انتهى وظاهر كلامه اختصاص العمى بالبصيرة
والعمى بالبصر وهو ما ذكره ابن عطية فبينهما تباين وقال الامام
وغيره العمى في البصيرة والعمى عام فيها وفي البصر فبينهما عموم
مطلق وامال الدوري عن الكسائي الف طغيانهم امالة محضة
وفتحها الباقون **اولئك الذين اشتروا الضلالة** اي اختاروها
عليه واستبدلوها به واصل الشرا بذل الثمن لتحصيل ما
يطلب من الايمان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث
انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشترا والا فالثمن
ما دخلت عليه البا فباذله مشتر واخذه بايع ثم اتسع فيه
فاستعمل للرغبة عن الشي طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى
الذي جعله الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين
الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها على
الهدى وامال الف الهدى حمزة والكسائي محضة وورش بالفتح
وبين اللفظين والباقون بالفتح **فما ربحت تجارتهم** اي فما ربحوا
فيها والتجارة التصرف بالبيع والشرا والربح الفضل على راس
المال واسناده الى التجارة وهو الارتباح على سبيل الاتساع
لتلبسها بالفاعل ولمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح
والخسران واتفق القرا على ادغام التا في التا وكذا كل مثلين
الاول منهما ساكن **وما كانوا مهتدين** لطرق التجارة فان
المقصود منها سلامة راس المال والربح وهولا قد اضاعوا
الامرين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف

بالهدى صح

فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم
ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى الادراك الحق وينال الكمال
فبقوا خاسرين ايسين عن الربح فاقدين للاصل **مثلهم**
اى شبههم ووصفهم فى نفاقهم **كمثل الذى** بمعنى الذين
بدليل سياق الاية ونظيره والذى جاء بالصدق وصدق
به اولئك هم المتقون وقوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا
او قصد به جنس المستوقد او الفوج الذى **استوقد** اى
اوقد نارا فى ظلمة لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل
وهو بيان تصوير تلك الحقيقة وابرازها فى معرض المشاهد
المحسوس زيادة فى التوضيح والتقرير فانه اوقع فى القلب
واقمع للخصم قال البيضاوى والاستيقاد طلب الوقود
والسعى فى تحصيله وهو مطاوع الايقاد وارتفاع لهبها انتهى
والاكثر على ان استوقد هنا بمعنى اوقد كما قدرته لا بمعنى طلب
الوقود **فلما اضاءت** اى انارت النار واضاء لازم ومتعد يقال
اضاء الشىء بنفسه واضاءه غيره **ما حوله** اى المستوقد
فابصر وامن مما يخافه **ذهب الله بنورهم** اطفاه وهذا جواب
لما واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان
الاطفاء حصل بسبب خفى او امر سماوى كريح او مطر وللمبالغة
ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب
والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وامسكه
وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء

واستدفاء

الذى

الذى هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله
بضوءهم احتمل ذهابه بما فى الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى
نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك
واكده بقوله تعالى وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ما حولهم
متحيرين عن الطريق خايفين فذكر الظلمة التى هى عدم
النور وانطماسه بالكلية وكيف جمع الظلمة وكيف نكرها
وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة خالصة وهو قوله تعالى لا
يبصرون وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم
القيمة يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم وظلمة الضلال وظلمة سخط الله تعالى وظلمة
العقاب السرمدى او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة
والاية وهى قوله مثلهم الخ مثل لايمان المنافقين من حيث
انه يعود عليهم بحقن الدما وسلامة الاموال والاولاد ومشا
ركة المسلمين فى المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب
اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشا حالهم باطفا الله تعالى
اياها واذهاب نورها هذا هو الوارد اخرجه ابن جرير عن
ابن عباس وقيل مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدى
واضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فيبقى متحيرا مستحسرا
تقريرا وتوضيحا لما تضمنه قوله تعالى اوليك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى ويدخل تحت عموم ما تضمنته الاية هولا
المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان

ضربه الله صح

ركة

الحق صح

واظهاره صح

الكفر حين خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة على الهدى
المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما آمن وقرا ورش
بترقيق ولا يبصرون صم عن الحق فلا يسمعون سماع
قبول واصل الصمم صلابة من اجتماع الاجزاء ومنه قيل حجر
اصم وقناة صما وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع
لان سببه ان يكون باطن الصماخ مجتمعا لا تجويف فيه يشتمل
على هوا يسمع الصوت بتموجه بكم خرس عن الخير فلا
يقولونه والخرس في الاصل عدم القدرة على النطق عمي عن
طريق الهدى فلا يرونه والعمى في الاصل عدم البصر عما من
شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون
اي لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة
التي اشتروها او كصيب فهو معطوف على الذي استوقد
اي كمثل اصحاب صيب لقوله يجعلون اصابعهم في اذانهم
واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق
للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين
وقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا فانه يفيد التساوي
في حسن المجالسة في المثال الاول ووجوب العصيان في الثاني
ومن ذلك قوله او كصيب من السما ومعناه بقرينة السياق
ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سوا
في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما وباية ما شئت
وان كان الثاني ابلغ كما قاله الزمخشري قال لانه ادل على فرط

مثلهم صح

الحيرة

الحيرة وشدة الامر وقطاعته والصيب اصله صيوب من صاب
يصوب وهو المنزول يقال للمطر وللسحاب والاية تحتملها
اى ينزل من السماء ذلك فان قدرت الصيب بالمطر فالمراد
بالسما السحاب او السما بعينها واذ قدرته بالسحاب فالمراد
السما بعينها والسما كل ما علاك واظلك وهى من اسما الاجناس
تكون واحدا وجمعا فيه اى الصيب وقيل السما ظلمات جمع
ظلمة فان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه مع ظلمة
الليل ورعد وهو صوت يسمع من السحاب قال البيضاوى
والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها
اذا ساقتها الريح من الارتفاد وبرق وهو ما يلمع من السحاب
من برق الشى بريقا هذا ما اجرى عليه الجوهرى وغيره وهو
المناسب هنا وان اطلق الرعد على الملك ايضا فهو مشترك
بين الصوت المذكور والملك الثابت فى الاحاديث ففى بعضها
انه ملك موكل بالسحاب بيده مخراق من نار يزجر به السحاب
يسوقه الى حيث يشا الله وصوته ما يسمع وفى بعضها انه
ملك يبعق بالغيث كما يبعق الراعى بغنمه وفى بعضها انه ملك
يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادى الابل بحدايه
وفى بعضها انه ملك سمى به وهو الذى يسمعون صوته
يجعلون اى اصحاب الصيب اصابعهم اى انامل هم وانما
اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة لما فى ذلك من الاشعار
بدخول اصابعهم فوق المعتاد فرارا من شدة الصوت فى اذانهم

وقوله من الصواعق متعلق ~~بقوله~~ بيجعلون اي من اجلها
يجعلون وهو جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت من
يسمعها او يغشى عليه ويقال لكل عذاب مهلك صاعقة وقيل
الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله على من يشاء روي عن سالم
ابن عبد الله بن عمر عن ابيه رضي الله تعالى عنهم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع الرعد والصواعق قال
اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل
ذلك وامال الدوري عن الكسائي الالف التي بعد الذال في
اذانهم امالة محضة والباقون بالفتح وقوله تعالى حذر
الموت نصب على العلة كقول الشاعر
واغفر اي استر عورا الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما
قال البيضاوي والموت زوال الحياة زاد في الطوالع عما من شانه
الحياة وفيه تساهل اذ يلزم منه ان يكون الجنين قبل
حلول الحياة فيه ميتا والاظهر كما في شرح المواقف ان يقال
عدم الحياة عما اتصف بها بالفعل فبينهما تقابل التضاد
لقوله خلق الموت والحياة فجعل الموت مخلوقا والعدم لا
يخلق ورد بان الخلق بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد والاعدام
مقدرة ولو سلم بانه بمعنى الايجاد فالمعنى خلق اسباب
الموت والحياة وبذلك علم ان القول الاول هو المعتمد وكلام
ايمة اللغة طافح به وحاصله ان الموت مفارقة الروح الجسد
وما ورد في الاحاديث من انه جسم حيث قيل في بعضها انه كبش

وفي

وفي بعضها انه على صورة كبش لايمر على احد الا مات فيرود
بانه لم يقصد بالموت فيها حقيقته بل قصد انه بصورة كبش
كما في خبر الشيخين وغيرهما انه يجاء بالموت يوم القيمة كانه
كبش املح فيوقف بين الجنة والنار الخ والله محيط بالكافرين
علما وقدرة فلا يفوته كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم
الخداع والحيل وقيل مهلكهم دليله قوله تعالى الا ان يحاط بكم
اى تهلكوا والجملة اعتراضية لا محل لها قاله ابو حيان لانها
دخلت بين هاتين الجملتين وهما يجعلون اصابعهم ويكاد
البرق وهما من قصة واحدة ويميل ورش الالف بعد الكاف
بين بين وكذا كافرين حيث جاء وقرا ابو عمرو والدوري عن
الكسائي بالامالة المحضة فيهما حيث جاء والباقون بالفتح
يكاد البرق يقرب لان كاد من افعال المقاربة الخبر من
الوجود فحصول سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض
مانع وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا لفظا
علما انه المقصود بالقرب يخطف ابصارهم يختلسها والخطف
الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم مشوا فيه اى ضوئه واذا اظلم
عليهم قاموا اى وقفوا متحيرين فادته تقالى شبههم في
كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة اصابهم
مطر فيه ظلمات من صفتها ان السائر لا يمكنه المشي فيها
ورعد من صفته ان يضم السامعون اصابعهم الى اذانهم
من هوله وبرق من صفته ان يقرب من ان يخطف ابصارهم

يصور

وضعت لمقارنة

ويعميها من شدة توقده فهذا مثل ضربه الله للقران وصنيع الكافرين
والمنافقين معه فالمطر القران لانه حياة القلوب كما ان المطر
حياة الابدان والظلمات ما في القران من ذكر الكفر والشرك
والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من
الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون
يسدون اذانهم ~~مخافة~~ عند قراة القران ميل القلب اليه
وكازعاج ما في القران من الحجج وانما قال تعالى مع الاضاءة كلما ومع
الاظلام اذا لانهم حراص على المشي كلما صادفوا منه فرصة مما
يحبون انتهزوها ولا كذلك الوقف فيما يكرهون ومعنى قاموا
وقفوا كما مر ومنه قامت السوق اذا ركدت اي سكنت ويقال
قامت السوق بمعنى نفقت فهو من الاضداد ولو شاء الله
لذهب بسمعهم بمعنى اسماعهم وابصارهم الظاهرة
كما ذهب بالباطنة اي ولو شاء ان يذهب بسمعهم بشدة صوت
الرعد وابصارهم للمعان البرق لذهب بهما فحذف المفعول وهو ان يذهب
~~في شاء او اراد اذا في حيز الشرط كما هنا~~ لدلالة الجواب
على ذلك المحذوف حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقول
القايل فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليك ولكن ساحة الصبر اوسع
واتى فيه بالمفعول لان بكا الدم مستغرب ونصب دما لتضمنه
معنى النصب ولو من حروف الشرط قال البيضاوي وظاهرها
الدلالة على انتفا الاول لانتفا الثاني ضرورة انتفا لازمه
انتهى وهذا مذهب ابن الحاجب واما مذهب الجمهور وهو الاصح فانها

قلوبهم صح

الملزوم عند انتفا صح

في الاصل

في الاصل لانتفا الثاني لانتفا الاول فمعنى لو جيتني اكرمتك
ان انتفا الاكرام لانتفا المجي وقيل انها لمجرد الربط كان ومن ثم
قال التفتازاني ان لو هنا لمجرد الشرط بمنزلة ان لا بمعناها
الاصلي وفايدة الجملة الشرطية ابدا المانع لذهاب سمعهم وابصارهم
مع قيام ما يقتضيه وهو انه تعالى امهل المنافقين فيما هم فيه ~~لشقاوة~~
في الفتن والفساد ليكون عذابهم اشد وللتنبيه على ان تاثير
الاسباب في مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى وان وجودها
مرتبطا باسبابها واقع بقدرته تعالى وقوله تعالى ان الله على
كل شي اي يشاوه قدير كالتصريح بما ذكر والتقدير له والشي
يختص بالموجود لما تعلقت به القدرة لانها الصفة المؤثرة
على وفق الارادة وتاثيرها الايجاد وايجاد الموجود محال فالذي
تعلقت به القدرة معدوم وهو شي فالمعدوم شي اجيب
بان المحال ايجاد الموجود بوجود سابق وهو غير لازم واللازم
ايجاد موجود هو اثر ذلك الايجاد وليس بمحال والقدرة هو
التمكن من ايجاد الشي وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة
الانسان هيية بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة
عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شا فعل وان شا ~~ترك~~
لم يفعل والقدير الفعال لما يشا على ما يشا ولذلك قلما يوصف
به غير الباري تعالى واشتقاق القدير من القدرة لان القادر
يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيئته
وفي ذلك دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقايه و

هذه

ليتمادوا

فلا يطلق على المعدوم
فان قيل لو اختص الشي
بالموجود

وان مقدور صح

مقدورات العبد مقدور الله تعالى خلافا لابي علي وابي هاشم لانه
شي وكل شي مقدور واحتج بعض الفرق بان هذه الاية تدل
على ان الله تعالى ليس بشي ~~قال لانها تدل على ان الله تعالى~~
~~ليس بشي~~ قال لانها تدل على ان كل شي مقدور الله تعالى والله
سبحانه وتعالى ليس بمقدور له فوجب ان لا يكون شيا واحتج
ايضا على ذلك بقوله تعالى ليس كمثله شي ~~فوجب~~ لو كان تعالى شيا
فهو تعالى مثل نفسه لكان تعالى يكذب قوله تعالى ليس كمثله
شي فوجب ان لا يكون شيا حتى لا يناقض هذه الاية واعلم
ان هذا الخلاف في الاسم لانه لا واسطة بين الموجود والعدم
واحتج اصحابنا بوجهين الاول قوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة
قل الله والثاني قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه والمستثنى داخل
في المستثنى منه فوجب ان يكون شيا واجيب عن قوله ان هذه
الاية تدل على ان الله تعالى قادر على نفسه بان تخصيص العام
جايز في الجملة وايضا تخصيص العام جايز بدليل العقل فان قيل
اذا كان اللفظ موضوعا للكل ثم انه تبين انه غير صادق
في الكل كان كاذبا وذلك يوجب الطعن في القران اجيب بان
لفظ الكل كما انه مستعمل في المجموع فقد يستعمل مجانا في الاكثر
فاذا كان ذلك مجانا مشهورا في اللغة لم يكن استعمال اللفظ
فيه كذبا ورقق ورش الراء من قدير وصلا ووقفا وباقي
القرا بالترقيق وقفا لا وصلا ولما عدد سبحانه وتعالى فرق
المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل تعالى عليهم

بالخطاب

بالخطاب على سبيل الالتفات بقوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا
ربكم تحريكا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة
وتفخيما لشانها وجبرا لمشقة العبادة بلذة المخاطبة وبادر في
وضع للدانية البعيد وقد يقام به القريب تنزيلا له منزلة
البعيد اما لعظمته كقول الداعي يارب ويا الله وهو اقرب
اليه من حبل الوريد او لغفلته ولقلة فهمه او للاعتناء
بالمدعو اليه وزيادة الحث عليه ولفظ الناس عم الموجودين
وقت النزول لفظا ومن سيوجد تنزيلا للمعدوم منزلة الموجود
لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام ان مقتضى خطابه
واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما
خصه الدليل وان قال الامام الرازي الاقرب انه لا يتناوله
لان يا ايها الناس حرف خطاب مشافهة وخطاب المشافهة
مع المعدوم لا يجوز وتناوله له لدليل منفصل وهو ما تواتر
من دينه عليه الصلاة والسلام ان احكامه ثابتة في حق من
سيوجد الى قيام الساعة فان قيل روي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس مكي
ويا ايها الذين امنوا مدني فكيف تكون هذه السورة مكية
وقد نزلت بالمدينة اجيب بان المراد بعوام السورة مكية
او مدنية ان غالبها ذلك ولا يخفى ان يقال ان ذلك اكثري
لا كلي فان سورة البقرة والنساء والحجرات مدنيات باتفاق
وقد قال تعالى في كل منها يا ايها الناس وسورة الحج مكية سوى

ما استثنى وفيها من غيره يا ايها الذين امنوا اركعوا ولا يختص
ذلك الخطاب بالكفار ولا نامرهم بالعبادة فان المامور به هو
المشترك بين بدئ العبادة والزيادة والمواظبة عليها
فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الايمان بما يجب
تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب
العبادة بل يجب رفع الكفر والاشتغال بالعبادة ومن المومنين
وانما قال تعالى ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية
وقوله تعالى الذي خلقكم اي انشاكم ولم تكونوا شيا صفة
جرت عليه للتعظيم الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها
اربابا والخلق ايجاد الشي على تقدير واستواي واصله
للتقدير يقال خلق الخلق اذا قدرها وسواها بالمقياس
قرا ابو عمرو خلقكم بادغام القاف في الكاف بخلف عنه وخلق
الذين من قبلكم وهذا متناول لكل ما يتقدم الانسان
بالذات او الزمان كتقدم الجزء على الكل والواحد على الاثنين
وهو منصوب عطف على الضمير المنصوب في خلقكم كما علم من
التقدير وبالجملة اخرجت مخرج المقدر عندهم اما لاعترافهم
به كما قال تعالى ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولين
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم
من العلم به بادنى نظر وقوله تعالى لعلكم تتقون اما حال
من ضمير اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تدخلوا
في سلك المتقين الفايزين بالهدى والفلاح المستوجبين

فيها

ازديادهم وثباتهم عليها صح

الشي وجوب ما لا يتم به وكما الحدث لا وجوب الصلاة فانه لا يمنع وجوبه صح

لجواز

لجوار الله تعالى فنبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين
وهو التبري من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي
ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجا كما قال تعالى يدعون
ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه واما من مفعول
خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في
صورة من ترجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة
الدواعي عليه وغلب تعالى المخاطبين بقوله لعلكم على الغايبين
في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا ولعل في الاصل للترجي وفي
كلامه تعالى للتحقيق والاية تدل على ان الطريق الى معرفة
الله تعالى والعلم بوحدانيته والعلم باستحقاقه للعبادة
النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق
بعبادته عليه تعالى ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما
عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ قبل العمل
وقوله تعالى الذي جعل لكم اي خلق الارض فراشا اي بساطا
تفرش صفة ثانية او منصوب بتقدير امدح او مرفوع
خبر مبتدا محذوف ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها
بارزا عن الماء مع ما في طبع الماء من الاحاطة وصيرها متوسطة
بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيبة لان يقعدوا
ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها
مسطحة لان كرة شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يتاتى
الا بالافتراش عليها فليس في ذلك الا ان الناس يفترشونها

الاجر صح

جهاء

كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او على شكل
الكرة وجعل السما بناء اى قبة مضروبة عليكم والسما
اسم جنس يقع على الواحد وعلى المتعدد كالدينار والدرهم
وقيل جمع سماة والبنا مصدر سمى به المبنى بيتا كان او قبة
او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا
عليها خباء جديدا وقوله تعالى وانزل من السما ماء معطوف
على جعل والمراد بها اما السحاب فان ما علاك سماء واما الفلك
فان المطر يبتدئ اما من السما الى السحاب ومنه الى الارض
كما دلت عليه الظواهر من الايات كقوله تعالى وانزلنا
من السما ماء فسلكه ينابيع فى الارض وعن خالد بن معدان
قال المطر ماء من تحت العرش فينزل من سما الى سما حتى
يجتمع فى سما الدنيا فيجتمع فى موضع فتجى السحاب السود
فتدخله فتشربه فيسوقها الله حيث يشاء واما من اسباب
سماوية تثير الابخرة الرطبية من اعماق الارض الى جو الهوى
فتعقد سحابا ماطرا فاخرج به من انواع الثمرات رزقا
لكم تاكلونه وتعلفونه لدوابكم وخروجها بقدرة الله تعالى
ومشيته ولكن جعل الما الممزوج بالتراب سببا فى اخراجها
ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة
صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منها وابدع فى الما
قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع
الثمار وهو تعالى قادر على ان يوجد الاشيا كلها بلا اسباب

وقوله تعالى
انزل من السما
ماء الخ

ومواد

ومواد كما اودع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها
مرتقيا منها حالا الى حال صنايع وحكم تجده فيها الاولى الابصار
عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة
تنبيه من الاولى للابتداء ومن الثانية للتبعيض بدليل
قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات لان ثمرات جمع قلة منكرا فكان
المنكرين لما اعنى ما ورزقا كانه تعالى قال وانزلنا من السما
بعض الما فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا
التبعيض هو الموافق للواقع اذ لم ينزل من السما الما كله
ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل بالمطر كل المرزوق ويصح
ان تكون من الثانية للتبيين ورزقا مفعول وهو مبين
بمعنى المرزوق كقول القايل انفقت من الدراهم الفافا
قيل المحل محل جمع الكثرة فكيف اتى بجمع القلة اجيب بان
المجموع يتعاوض بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من
جنات واوقع جمع القلة موضع جمع الكثرة بدليل ذكر كم
كقوله تعالى ثلاثة قروء فاوقع جمع الكثرة موضع جمع القلة
لان مميز الثلاثة لا يكون الا جمع كلة اولان الثمرات
لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة فلا تجعلوا لله
اندادا اى شركا في العبادة فان سمي ما يعبده المشركون مردودن
لله انداد مع انهم ما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته
ولا انها تخالفه في افعاله اجيب بانهم لما تركوا عبادته الى
عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها

قيل الحر حر

ذوات واجبة بالذات قادرة على انها تدفع عنهم باس الله
وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم الله تعالى بهم وشنع
عليهم بان جعلوا انداد المن يمتنع ان يكون له ند ولذلك قال
موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه
اربا واحدا ام الف رب ادين اى اطيع من دان اى انقاد
اذا انقسمت اى تفرقت الامور تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل البصير الم تعلم بان الله افنى رجالا كان
مثالهم الفجور وابقى اخرين يبر قوم فيربوا منهم الطفل
الصغير وقوله تعالى وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا
ومفعول تعلمون متروك اى وحالكم انكم من اهل العلم والنظر
واصابة الراى فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات
موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات منفا عن متشابهة
المخلوقات او مقدر وهو ان الانداد لا تماثله ولا تقدر على مثل
ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من
شيء وعلى كون وانتم تعلمون حالا فالمقصود منه التوبيخ سوا
اجعل مفعول تعلمون متروكا او مقدرا وان كان التوبيخ في
الاول اكد كما صرح به الكشاف لا تقييد الحكم وقصره وهو النهي
عن جعلهم لله اندادا بحال علمهم فان العالم والجاهل المتمكن
من العلم سوا في التكليف تنبيه قال البيضاوي واعلم
ان مضمون الايتين اى يايها الناس اعبدوا ربكم والذي
جعل لكم الخ هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك وبيانه

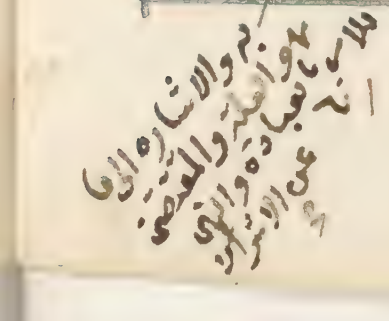

به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي للامر بالعبادة والنهي عن الاشراك

انه تعالى رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها
العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خلقهم وخلق اصولهم
وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة اي الارض
والسما والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم اي
يعم الثمرات الملابس كالمطاعم والرزق اعم من الماكول والمشروب
ثم لما كانت هذه امور لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته
رتب عليها النهي عن الاشراك ولعله سبحانه اراد من الاية
الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر ويستوفيه الكلام الاشارة
اي تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات
على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسما
والعقل بالما وما افاض عليه من الفضايل العلمية والنظرية
المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج اي
اقتران القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة
من ازدواج اي اقتران القوى السماوية الفاعلية والارضية
المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل
حد مطلعا انتهى هذا روي عن الحسن مرفوعا ما تضمنته من
الاسرار التي اطلع الله عليها الخواص وقيل ظاهرها تلاوتها
وباطنها فهمها والحد احكام الحلال والحرام والمطلع الاشراف
على معرفتها لما قرر سبحانه وتعالى وحدانيته وبين الطريق
الموصل الى العلم بها ذكر عقبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وهو القران المعجز بفصاحته التي غلبت فصاحة

مرسلا وظهر الاية
ما ظهر من معانيها
لاهل العلم بالظاهر
وباطنها ما صح

على بليغ مع كثرتهم وافراطهم فى المصادمة وتهالكهم على المغالبة
بقوله تعالى وان كنتم فى ريب اى شك مما نزلنا على عبدنا
محمد من القران انه من عند الله فاتوا بسورة وما قال تعالى
بما نزلنا لانزوله نجما نجما بحسب الوقايع على ما يرى عليه
اهل الشعر والخطابة ما يرونهم كما حكى الله تعالى عنهم بقوله
تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة
فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازالة للشبهة والزاما
للحجة فان اهل الشعر والخطابة بانون باشعارهم وخطبهم
على قدر الحاجة شيئا فشيئا ولما كان القران منزها عن ذلك
طعنوا فيه بانه سئل كلامهم فقيل لهم ان ارتبتم فى قوله
نجما فاتوا بنجم منه لانهم اذا عجزوا عن نجم منه فعجزهم عن
كله اولى واضافة البعد الى نفسه تنويها بذكره او تنبيها
على انه مختص به منقاد لحكمه والسورة من القران الطائفة
منه المترجمة بها التى لها اول واخر اقلها ثلاث ايات والكلمة
فى تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجانس
التعلم وتنشيط القارى وتسهيل الحفظ والترغيب فان
القارى اذا ختم سورة فرح ذكر عنه بعض كربه كالمسافر
اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ اذا حفظ سورة
اعتقد انه اخذ من القران حظائرا ما وفاز بطائفة محدودة
مستقلة بنفسها فعظم ذكر عنده وابتهج به الى غير ذلك من
الفوايد وقوله تعالى من مثله صفة سورة الى سورة كما بينه

من

من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وفي ايده
عند الاخفش اى سورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم
وقيل الضمير لعبدنا ومن للابتداء اى بسورة كائنة ممن هو
على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم
والوجه الاول لانه المطابق لقوله تعالى في سورة يونس فاتوا
بسورة مثله ولسائر ايات التحدي ولان الكلام في المنزل
لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه لنسق الترتيب والنظم
ان المعنى وان ارتبتم في ان القران من عند الله فاتوا بقران
من مثله ولانه مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما الى
واحد من اجناسهم ابلغ في التحدي مما ان يقال لهم ليات
بنحو ما اتى به عبدنا اخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة
اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان عود الضمير الى عبدنا
يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته وهو باطل بما قبله
تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله فانه تعالى امرهم ان يستعينوا
بكل من ينصرهم سواه ان فوا مثله امرا والشهداء جمع شهيد بمعنى
الحاضر والقايم بالشهادة ومنه قيل للمقتول في سبيل الله
شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او لان ملكه حضروه ومعنى
دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانها ادنى
البعض من البعض ودونك هذا اى خذه من ادنى منك
ثم اتسع فيه فجعل غير المرتب فقيل عمرو دون زيدا في الشرف ومنه

الشيء الادون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى اخر وتخطى
امر الى اخر وان خلى عن الرتبة قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين
ومن متعلقة باعوانهم لابتداء الغاية والمعنى وادعوا الهتكم
التي تعبدونها غير الله وتزعمون انها تشهد لكم يوم القيامة
اي استعينوا بهم في الاتيان بما ذكر ان كنتم صادقين في ان
محمدا صلى الله عليه وسلم يقول من تلقاء نفسه وان الهتكم تشهد
لكم بذلك وجواب هذا الشرط محذوف تقديره فافعلوا اي ما
ذكر من الاتيان بسورة دل عليه قوله تعالى فان لم تفعلوا ذلك
والصدق الخبر المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة
الامارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك رسول الله
لما لم يعتقدوا مطابقته ورد هذا القول بصرف التكذيب
الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا
عالمين به وقوله ولن تفعلوا جملة معترضة اي لا يقع منكم
ذلك ابدا لاعجاز القران فاتقوا النار التي وقودها اي ما
تتقد به الناس والحجارة التي نحتوها واتخذوها اربابا من
دون الله طمعا في شفاعتها والانتفاع بها ويدل لذلك
قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا
بما هو من جنس جرمهم كما عذب الكافرون بما كثروه من حجارة
الكبريت كما رواه الطبراني عن ابن مسعود والحاكم والبيهقي
عن ابن عباس رضي الله عنهما وعليه اكثر المفسرين وان قال
البيضاوي انه تخصيص بغير دليل لان مثل هذا التفسير

الوارد

الوارد عن الصحابي فيما يتعلق بأمر الآخرة له حكم الرفع وايضا
عبارة الكبريت اشد تجرد وأكثر التهابا وتوقيدا على غيرها
سرعة من الاحجار الايقاد ونتن الريح وكثرة الدخان وشد
الالتصاق بالابدان وقيل جميع الحجارة تنبيه فعلوا
مجزوم بلم لابان لان لم واجبة الاعمال مختصة بالمضارع
متصلة بالمعمول وكانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء
منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه قال فان تركتم
الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما وحاصله ان ان تقتضي الاستقبال
وقيل انها بمعنى اذ ولا اشكال وقيل كل منهما على حقيقته
والمعنى ان من في المستقبل عدم فعلكم في الماضي وانتم تفعلون في
المستقبل فاتقوا النار ولن كلا في نفي المستقبل غير انها ابلغ
وهو حرف بسيط تلوا الوضع وصل الاصلية ان حذفت الهمزة
منها لكثرتها في الكلام ثم الالف لالتقاء الساكنين ولما كانت
الاية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم
نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار وقوع
الجملة صلة فان الصلة يجب ان تكون معلومة الانتساب الى
الموصوف كالصلة والا لكان خبرا ولهذا قالوا ان الصفات
تقبل العلم بها اخبارا كما ان الاخبار بعد العلم بها اوصاف فمتى
علل الصفة في اية التحريم ما ذكر في الصلة اجيب بان الصفة
والصلة يجب كونهما معلومين للمخاطب لا للكل سامع وما في
التحريم خطاب للمؤمنين وقد علم ذلك لسماعهم من النبي صلى

الله عليه وسلم ولما سمع الكفار ذلك الخطاب اوركوا انه
نار الموصوفة بتلك الجملة فجعلت فيما خوطبوا به اعدت اى
هيئت للكافرين وجعلت عدة لعذابهم وفي ذلك دليل على ان
النار مخلوقة معدة لهم الان والجملة استيناف او حال من النار
اعدت والعامل في الحال اتقوا وهي حال لازمة فلا يشكل بان
النار اعدت للكافرين اتقوها امر لتنبيه قال البيضاوي
في الايتين اى اية ان كنتم في ريب واية فانكم لتفعلوا ما يدل
على النبوة من وجوه الاول ما فيها اى في مجموعهما من التحدي
والتعريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتعريف
والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض
اقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واجتهادهم بانفسهم
وتهالكهم على المصادمة لمعارضته والتجاوا الى جلا الوطن
وبذل المهج لان قوله من التحدي راجع للاولى والباقي راجع
الى الثانية والثاني تضمنهما اى مجموعهما الاخبار عن الغيب
على ما هو فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما
والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه فحيث لم يصر لان ذلك
راجع للاية الثانية والثالث انه عليه الصلاة والسلام
لو شك في امره اى بنفسه لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة
مخافة ان يعارض فتذهب حجته وهذا راجع للاية الاولى
ثم عطف سبحانه وتعالى حال من امن بالقرآن ووصف ثوابه
على حال من كفر به وكيفية عقابه على عادة ما جرت به العادة

الالهية

الالهية من ان يتبع الترغيب والترغيب تنشيطا لاكتساب
ما ينجي وتنشيطا عن اقتراف ما يردي بقوله تعالى وبشر
الذين امنوا وعملوا الصالحات اى الطاعات ان لهم جنات
اى حدايق ذات شجر ومساكن وانما امر الله سبحانه وتعالى الرسول
صلى الله عليه وسلم او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة
ان يبشر الذين امنوا ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة
تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقا بان يبشروا ويهيأوا بما
اعد لهم والبشارة الخبر الصدق السار اولا فانه يظهر اثره
السرور في البشارة لان النفس اذا سرت انتشر الدم انتشارا
لما في الشجرة ولذلك قال الفقها البشارة هو الخبر حتى لو قال
الرجل لعبيده من يبشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه
فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا فان قيل
ما الجواب عن قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم اجيب بان
ذلك ورد على سبيل التهكم كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم
وعطف سبحانه وتعالى العمل على الايمان مرتب للحكم عليهما اشعارا
بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع
بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التيقن والتصديق
امر والعمل الصالح كالبنا عليه ولا نفع تام باس لا بنا عليه
ولذلك قل ما ذكرا مفردين وفي عطف العمل على الايمان دليل
على ان الصالحات خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشي
لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه وجمع سبحانه

وتعالى الجنة لان الجنان على ذكر ابن عباس سبع جنة الفردوس
وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى
ودار السلام وعليون وفى كل واحدة من هذه السبع مراتب
ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام
فى الصالحات للجنس لا للاستغراق اذ لا يكاد المؤمن ان يعمل
جميع الصالحات واللام فى لهم تدل على استحقاقهم اياها لاجل
ما رتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاتهما فانه لا يكافى
النعم السابقة فضلا من ان تقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل
بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان
يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم
ولعله سبحانه وتعالى لم يقيدهما استغنا بهذه الآية
واشباهها تجرى من تحتها اى من تحت اشجارها ومساكنها
الانهار كما تراها جارية تحت الاشجار الثابتة على شواطيها
وعن مسروق انهار الجنة تجرى فى غير اخدود قال الجوهرى
الاخدود شق مستطيل فى الارض واللام فى الانهار للجنس
كما فى قولك لفلان بستان تفجير الماء الجارية الا البيضاء او
للعهد والمعهود هى الانهار المذكورة فى قوله تعالى انهار من ماء
غير اسن الآية انتهى والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع
فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والمراد بالانهار ماؤها
على حذف مضاف او تسميته بها باسم مجراه مجازا او استاد

الجرى

الجرى اليها بجار كما فى قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما
رزقوا منها من ثمرة رزقا اى اطعموا من تلك الجنات ثمرة ومن
صلة قالوا هذا الذى رزقنا اى اطعمنا من قبل اى من قبل
هذا فى الدنيا جعل الله تعالى ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل
النفس اليه اولما يرى فان الطباع مايلة الى المالوف مستنفرة
عن غيره اى هذا من نوعه لتشابه ما يوتون به فى الصورة
كما قال تعالى وأتوا به متشابها اى فى اللون والصورة مختلفا
فى الطعم وذلك ابلغ فى باب الاعجاز والداعى لهم الى ذلك فرط
استغرابهم وافتخارهم بما وجدوا من التفاوت العظيم فى
اللذة والتشابه البليغ فى الصورة وقيل فى الجنة لان طعامها
متشابه الصورة كما حكى عن الحسن ان احدهم يوتى بالصحفة
فياكل منها ثم يوتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك
فتقول الملايكة كل فاللون واحد والطعم مختلف وكما روى انه
عليه الصلاة والسلام قال والذى نفس محمد بيده ان الرجل
من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هى واصلة الى فيه حتى
يبدل الله مكانها مثلها وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها
الى فرعها وثمرها كمثل الابل كلما نزعت ثمرة عادت مكانها
اخرى والعنقود اثنا عشر ذراعا فان قيل على الاول التشابه
هو التماثل فى الصفة وهو منقود بين ثمرات الدنيا والاخرة
كما قال ابن عباس ليس فى الجنة من اطعمة الدنيا الا اسمها
اجيب بان التشابه بينهما حاصل فى الصورة التى مناط

الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه والاية
كما قال البيضاوي محمل اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في
مقاربة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة
في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي
رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والرتبة وعلو
الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى وقوا ما انكم
تعملون في الوعيد ولهم فيها اى الجنات ازواج من الحور
العين والادميات مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من
احوالهن كالحيض والدرن اى الوسخ ودنس الطبع وسوء الخلق
فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال ومعنى
تطهيرهن مما ذكر كما قال التفتازاني انها منزهة عن ذلك
مبراة عنه بحيث لا يعرض لمن لها التطهير الشرعي بمعنى
ازالة النجس الحسي والحكمي كما في الغسل عن الحيض والزوج يقال
للذكر والانثى قال تعالى واصلحنا له زوجه وهو في الاصل لما له
قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فايدة المطعوم هو التغذي
ودفع ضرر الجوع وفايدة المنكوح التوالد وحفظ النوع
وهذه الفوايد مستغنى عنها في الجنة اجيب بانها مطاعم الجنة
ومناكحها وسايراحوالها انما تشارك نظايرها الدنيوية
في بعض الصفات والاعتبارات ويسمى باسمها على سبيل
الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى
يستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فايدتها وهم فيها

خالدون

خالدون اى دايمون احيا لا يموتون ولا يخرجون والاصل
فى الخلود الثبات الذى دام او يريد به اذا كان وضعه للدوام لكن
التقييد التابيد فى قوله تعالى خالدين فيها ابدا تاكيد لانا سيسا
والاصل بخلافه فكل المراد به الدوام فى الاية عند الجمهور لما يشهد
له من الايات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء
متضادة الكيفية معرضة للاستحالات الموزية على الانفكاك
والانحلال فكيف يعقل خلودها فى الجنات اجيب بانه تعالى
يعيدها بحيث لا يصورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها
مثلا متقاومة فى الكيفية متساوية فى القوة لا يقوى شئ
منها على حالة الاخر متفانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن
بعض كما يشاهد فى بعض المعادن ولما كان معظم اللذات الحسية
متصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقرا
وكان مال ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعم جليلة اذا قارنها
خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوايب الالم بشر
المؤمنين بالمساكن والمطاعم والمناكح فبشر بالاول بقوله
تعالى جنات تجرى من تحتها الانهار وبالثانى بقوله تعالى كلما
رزقوا منها من ثمرة رزقا الاية وبالثالث بقوله تعالى ولهم فيها
ازواج مطهرة ومثل ما اعد لهم فى الاخرة باحسن ما يستلذ
منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمال
فى التنعم والسرور ولما ضرب الله سبحانه وتعالى المثل بالذباب
والعنكبوت فى قوله وان يسلبهم الذباب وقوله تعالى كمثل

العنكبوت قالت اليهود ضرب المثل بذلك مما يستحيى منه
لخسته فليس من عند الله فنزلت ردا عليهم ان الله لا يستحيى
اى لا يترك ان يضرب مثلا ما بعوضة وهى صغيرة البق ترك
من يستحيى ان يمثل بها لحقارتها وان بصلتها مخفوضة المحل
عند الخليل باضمار من منصوب بافضا الفعل اليه بنفسه فان
استحيى يتعدى بنفسه ايض يقال استحييت منه واستحييته
وما اما ابهامية تزيد النكرة قبلها ابهاما واما مزيدة لتاكيد
معنى مضمون الجملة قبلها كالتى فى قوله تعالى فبما رحمة من الله
ولا يراد بالمزيدة اللغو الضايع فان القران كله هدى وبيان
بل المراد بالمزيد ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان
تذكر مع غيرها فتفيد به وثاقة وقوة وهو زيادة فى الهدى
غير قادح فى القران وبعوضة عطف بيان او بدل من مثلا او
مفعول ثان ليضرب بمعنى يجعل والحياء انقباض النفس عن القبيح
مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التى هى الجراة على
القبايح وعدم المبالاة بها وبين الخجل الذى هو انحصار النفس
عن الفعل مطلقا فاذا وصف به البارى سبحانه وتعالى كما
جا فى الحديث ان الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه
ان الله حى كريم يستحيى اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا
حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك كما قدرته اللازم للانقباض
كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين
لمضيهما وتحتمل الاية خاصة ان يكون مجى الحيا فيها للمشاكلة

وهو

وهو ان يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ولو تقديرا كما
هنا وهو قوله الكوة اما يستحي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب
والعنكبوت ولما كان التمثيل يصار اليه لكشف المعنى الممثل له
ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد
فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه
العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحبه لهذا
شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء
واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم
وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل سبحانه وتعالى في
غل الصدر بالغائلة والقلوب القاسية بالحصاة وبخالطة
السفهاء بالنار الزبابير ونصه على ما حكاه الامام الرازي في
الاول لانها تكون في المخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك
الغائلة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم وتبقون الغل
في صدوركم وفي الثاني قلوبكم كالحياة التي لا تطبخها النار
ولا تلينها الماء ولا تنسفها الرياح وفي الثالث لا تثيروا الزنابير
فتلدغكم فكذلك لا تخالطوا السفهاء فيشتموكم وجاء في كلام
العرب اسمع من فراد لان العرب تزعم انه يسمع صوت اخفاف
الابل من مسيرة يوم فيتحرك لها وقيل من مسيرة سبع
ليال والعزم من فخ البعوض يضرب لمن يكلف الامور الشاقة
فما فوقها اي ما زاد على البعوضة في الجثة كالذباب والعنكبوت
والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل البعوضة فضلا عما هو

كالحصاة ح

اكبر منه او المعنى الذى جعلت فيه مثلا وهو الصغير والحقارة
كجناحها فانه عليه الصلاة والسلام ضرب جناحها مثلا للدنيا
بقوله فى خبر الترمذى لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة
ما سقا كافرا منها شربة ماء ونظيره فى احتمال الفوقية للحقارة والمعنى
ما روى البخارى وغيره ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت
عائشة رضى الله تعالى عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة
ومحيت بها عنه خطية فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة فى الالم
كالسقوط على الطنب وما اريد عليها فى القلة كقرصة النملة
والطنب حبل الخباء والفسطاط بيت من شعر فاما الذين امنوا
فيعلمون انه اى ضرب المثل بذلك الحق اى الواقع موقعه
من الامم لانه الحق الثابت الذى لا يسوغ انكاره وهو جمع
الاعيان الثابتة والافعال الصايبة والاقوال الصادقة من
قولهم حق اذا ثبت ومنه ثوب محقق اى محكم النسج واما
حرف تفصيل يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى
الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه
مهما يكن من شئ فزيد ذاهب اى هو ذاهب لا محالة وانما منه
عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا
ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الفاء على الخبر وهو ضمير المبتدا
عن جملة الشرط لفظا واما الذين كفروا فيقولون ماذا يحتمل
وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذى وما بعده صلة

والمجموع

والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اى شى
اراد الله بهذا فهو منصوب المحل على المفعولية لايراد فما وذا
كما فى الكشاف فى حكم ما وجده لو قلت ما اراد الله وكان من حقه
واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه وهو الذين امنوا
ويقابل قسيمه وهو يعلمون انه الحق لكن لما كان قولهم هذا
وليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية عن عدم
علمهم ليكون كالبرهان عليه والارادة صفة ذاتية قديمة
زايدة على العلم ترجح احد مقدوريه على الاخر وتخصيصه
بوجه دون وجه بخلاف القدرة فانها لا تخصص الفعل ببعض
الوجوه بل هى موجدة للفعل مطلقا وقوله تعالى مثلا نصب
على الحال من اسم الاشارة او التمييز والمعنى اى فايدة فى ذلك
فقال تعالى يضل به كثيرا بان يكذبوا به ويهدى به كثيرا بان
يصدقوا به وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم
لا بالقياس اى لا بالنظر الى مقابليهم فان المهتدين قليلون
بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور
ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة
المهتدين باعتبار الفضل والشرف كما قال المتنبى فى مدح على ابن
يسار ساطلب حقى بالقنا ومشايخ كانهم من طول ما التثموا مردا
ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا
وقال ان الكرام كثيرا اى كراما فى البلاد وان قلوا اى عددا كما غيرهم قل

بضم الفاء وكسرها اى قليل كرما وان كثروا عددا وما يضل به
الا الفاسقين اى الخارجين عن حد الايمان بالكفر كقوله
تعالى ان المنافقين هم الفاسقون وتخصيص الاضلال بهم
مرتبا على صفة الفسق يدل على ان الذى اعدهم للاضلال وادى
بهم الى الضلال بالمثل وسبب ضلالهم به ان كفرهم وعدولهم
عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة
المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت
به ضلالا لتهم فانكروا المثل واستهزءوا به واما الفاسق فى الشرع
فهو الخارج عن امر الله بارتكاب كبيرة او اصرار على صغيرة
ولم تغلب طاعاته على معاصيه ولا يخرجه ذلك عن الايمان
الا اذا اعتقد حل المعصية سواء كانت كبيرة ام صغيرة قال
تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة جعلوا
الفاسق قسما ثالثا لا مؤمنا ولا كافرا لان منزلتى المؤمن والكافر متباينة
كل واحد منهما فى بعض الاحكام ثم بين سبحانه وتعالى صفة الفاسقين
بقوله الذين ينقضون عهد الله وهو اما الماخوذ بالعقل
وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب
وجوده وصدق رسوله وعليه يدل قوله تعالى واشهدهم على
انفسهم واما الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم
رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره
ولم يخالفوا حكمه وعليه يدل قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب الاية وقيل عهود الله ثلاثة عهد

اخذه

المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من الفضة باسرها كما
ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض
وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح حالا ويصح ان يكون الخطاب
للكفار والمومنين فانه سبحانه وتعالى لما بين دلايل التوحيد
والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان
عدد عليهم النعمة العامة والخاصة واستبعد صدور الكفر منهم
واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب
عظم معصية المنعم واذ يكون مع المومنين خاصة لتعزيز
المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم
الكفر وكنتم امواتا اى جمادا لا قاحياكم بما افاضكم من العلم والايمان
ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون
فيثيبكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
والحياة حقيقة في القوة الحاسة وما يقتضيها وبها يسمى
الحيوان حيوانا مجازا في القوة النامية لانها من طلايعها وتوابعها
وفيما يخص الانسان من الفضايل كالعقل والعلم والايمان من
حيث انه كمالها وغايتها والموت بازايها يقال على ما يقابلها
في كل مرتبة مثال ما يقابل الحقيقة قوله تعالى قل الله يحييكم
ثم يميتكم ومثال ما يقابل المجاز الثاني قوله تعالى اومن كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف
بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة
لهذه الحقيقة فينا او معنى قايم بذاته تعالى ثم اوما الى مشيته

وقدرته تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض اى لاجلكم وانتفاعكم
فى دنياكم بانتفاعكم بها فى مصالح ابدانكم بوسط كالادوية
المركبة او غير وسط كالثمرة والادوية المفردة وفى دينكم بالاستدلال
على موجدكم فى ذلك نعمة على عباده سبحانه وتعالى وما نفهم
كل ما فى الارض الان اريد بالارض جهة السفل كما يراد بالسما
جهة العلو وقوله تعالى جميعا حال من الموصول الثانى وهو
ما وهى حال مؤكدة لما الاتحادها فى العموم وهذا اقرب من جعله
حالا من ضمير لكم لان سياق الايات انما هو فى تعداد النعم لا فى
تعداد المنعم عليهم ولان المنة بتعداد النعم اظهر من المنة
بتعداد المنعم عليهم لان تعداد النعم يصل الى كل احد ثم استوى
الى السما اى قصد الى خلقها بارادته واصل الاستواء طلب السوء
واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء يمكن
حمله على الله تعالى لانه من خواص الاجسام وقيل استوى
استولى كما قيل

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

والمراد بالسما هذه الاجرام العلوية او جهات العلو ليطابق
قوله تعالى فسواهن فجمع الضمير العايد الى السما لارادة
الجنس وقيل لان السما جمع سماة اى جعلهن مستويات لا
تشقق فيهن ولا تفاوت قال البيضاوى وثم لتعلم التفاوت
ما بين الخلقين اى فى القدر والعظم وفضل خلق السما على خلق
الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا اللتراخى فى الوقت

فاذه

اخذه بواسطة الرسل على العلما بان يبينوا الحق ولا يكتموه
وقوله تعالى من بعد ميثاقه اى توكيد يحتمل الضمير للعهد
فهو من اضافة المصدر الى المفعول ولله فهو من اضافة المصدر
الى الفاعل قال البيضاوى ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر
واعترض بان النحويين لم يذكروا مفعولا فى صيغ المصادر
واصله ان يكون وصفا كمطعام ومسقام واجيب بحمل ذلك
على انه اسم واقع موقع المصدر كما يشير اليه قوله بمعنى المصدر
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل وهو الرحم لانهم قطعوا
رحم النبى صلى الله عليه وسلم بالمعاداة معه ويحتمل كل قطيعة
لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين
والتفرقة بين الانبيا عليهم الصلاة والسلام والكتب فى
التصديق وترك الجماعات وساير ما فيه رفض خير او تعاطى
شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات
من كل وصل وفصل والامر هو القول وقرا ورش بتغليظ اللام
وصلا واذا وقف رقق وغلظ وادغم خلف النون فى اليا بغير
غنة ويفسدون فى الارض بالمعاصى وتعويق الناس عن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والاستهزا بالحق وقطع الوصل التى
بها نظام العالم او صلاحه اولئك هم الخاسرون بفوات التوبة
والمصير الى العقوبة باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم
الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن فى الايات بالايمان
بها والنظر فى حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفا

والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب ثم وبخ سبحانه وتعالى
الكفار بقوله كيف تكفرون بالله اى اخبرونى على اى حال
تكفرون وكنتم امواتا اى نطفا فى اصلاب ابائكم احياء
لكم فاحياكم فى الارحام ثم فى الدنيا بخلق الارواح ونفخها فيكم
وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه
بخلاف البواقى وقرأ الكسائى بالامالة وورش بالفتح وبين اللفظين
والباقون بالفتح ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم للبعث
يوم القيامة ينفخ فى الصور او للسؤال فى القبور قال الانصارى
ولم لا يجوز ان يراد مطلق الاحياء بعد الاماتة على ما لم يعم الاحياء
فى القبر والنشور وكأنه بعد فيه لشدة ارتباط الاحياءين
وانضمامهما فى الانقطاع عن الدنيا ثم اليه ترجعون ترددون
بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب
فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم بهذه فان قيل ان علموا انهم كانوا
امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون
اجيب بانهم تمكنهم من العلم بما نصب لهم من الدلايل ينزل
منزلة علمهم فى ازالة العذر سيما وفى الاية تنبيه على ما يدل على
صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر ان يحييهم
ثانيا فان بدا الخلق ليس اهون عليه من اعادته فان قيل كيف
تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر اجيب بانها نعمة
وصلة الى الحياة الدايمة التى هى الحقيقة كما قال تعالى وان الدار
الاخرة لهى الحيوان يعنى الحياة كانت من النعم العظيمة مع ان

فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه
يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق
السما وتسويتها انتهى واجيب بانه لا يدل على ذلك وكان تقدم
خلق جرم الارض على خلق جرم السما لا ينافي تاخر دحوها عنه
وهو بسطها ورده التفتازاني بانه ليس على ما ينبغي لان ثم
تدل على تاخر خلق السما عن خلق ما في الارض من عجايب الصنع
حتى اسباب اللذات والالام وانواع الحيوانات حتى الهوام
لا عن مجرد خلق جرم الارض قال وسنذكر في حم السجدة
ما يدل على تاخر ايجاد السما عن خلق الارض ودحوها جميعا
حتى قيل انه خلق الارض وما فيها في اربعة ايام ثم خلق السما
وما فيها في يومين وكثر ذلك في الروايات فلا يفيد حمل ثم على
تراخي الرتبة انتهى والاوجه كما قال بعض المفسرين الموافق
لظاهر ما هنا ولما سياتي في فصلت تاويله مع الايضاح ان
يقال ان خلق جرم الارض مقدم على خلق جرم السما وخلق
وصفها اعني دحوها مقدم على خلق وصف السما اعني
تسويتها سبعا فمرجع الاشارة في قوله تعالى بعد ذلك جرم السما
لا وصفها وبذلك علم ان جعل ثم للتراخي في الوقت لا يخالف ما
ذكر خلافا لما زعمه البيضاوي فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد
اثبتوا بالبراهين تسعة افلاك وهي كرة القمر فكرة عطارد
فكرة الزهرة فكرة الشمس فكرة المريخ فكرة المشتري فكرة
زحل فالفلك الذي فيه الكواكب الثابتة فالفلك الاعظم وهو

متحرك كل يوم وليلة على التقريب دورة واحدة اجيب بان
ما ذكروه ليس مستندا الى دليل شرعي فلا ينبغي اعتباره قال
البيضاوي وان صح فليس في الآية نفي الزايد مع انه ان ضم اليها
العرش والكرسي لم يبق خلاق وقوله تعالى وهو بكل شيء عليم
اي مجملا ومفصلا فيه تعليل كانه قال لانه عالما بكيفية
الاشياء كلها خلقها على هذا النمط الاكمل والاوجه الانفع
واستدلال بان من كان وقفه على هذا النسق العجيب في الترتيب
الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها
بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم
افلا تعتبرون ان القادر على خلق ذلك ابتدا وهو اعظم منكم
قادر على اعادتكم وقرا حمزة والكسائي ثم استوى وفسوا الف
بالامالة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح
وقرا قالون وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها
واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة وقيل اذ زايدة وقال ربك
وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وهو اما يقدر
اذكر وهو الاولى من ان يكون اذ مزيدة واذ واذا حرفا توقيت
الا ان اذ للماضي واذا للمستقبل وقد يوضع احدهما موضع
الاخر قال المبرد اذا جاء اذ مع المستقبل كان معناه معنى اذا
كقوله تعالى واذ يمكر بمعنى واذ مكروا واذا جاء اذا مع الماضي كان
معناه مستقبلا كقوله تعالى اذا جاء نصر الله اي يجيء وقرا
ابو عمرو بادغام اللام في الراء خلاف عنه والباقون بالاظهار

والملايكة

والملايكة جمع مكد اصله ملاك والتاء تانيث الجمع وهو مقلوب
مالك من الالوكة وهو الرسالة لانهم وسايط بين الله
وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم لتوسط الانبيا
بينهم وبين الناس واختلف العقلا في حقيقتهم بعد اتفاقهم
على انها ذوات موجودة قايمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين
الى انها اجسام لطيفة شفافة يقدرون عندها بصور مختلفة
قادرة على التشكل باشكال مختلفة والجن قادرة على ذلك واستدلوا
على ذلك بان الرسل كانوا يرونهم اجساما لطيفة متشكلة
باشكال مختلفة وزعم الحكما يعني الفلاسفة انها جواهر مجردة
مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وقالت طايفة من النصارى
هي النفوس الفاضلة اي المتصفة بفضايل العلم والعمل
بخلاف الشريرة فانها عندهم الشياطين البشرية قوله البشرية
وما بعده صفة للنفوس صفة الناطقة المفارقة للابدان يعني
ما دامت في الابدان تسمى النفوس فاذا فارقتها كانت الملايكة
والمقول له الملايكة كلهم لعدم اللفظ وعدم المخصص وقيل
ملايكة الارض وخلاف ذلك ان الله تعالى خلق السماوات والارض وخلق
الملايكة والجن فاسكن الملايكة السماوات واسكن الجن في الارض
فكثروا فيها دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا
فيها فبعث الله تعالى جندا من الملايكة يقال له الجن وهم
خزان الجنان واشتق لهم اسم من اسم الجنة وابيسهم ابليس
فكان رايسهم ومن اشدهم وقوة واكثرهم علما فهبطوا الى الارض

وطردوا الجن الى شعوب الجبال وبطون الاودية وجزاير
البحور وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى
الله ابليس ملك الارض وملك السما الدنيا وخزانة الجنة
وكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السما وتارة في الجنة فدخله
العجب وقال ما اعطاني الله تعالى هذا الملك الا لاني اكرم الملايكة
عليه فقال الله تعالى ولجنده اني جاعل في الارض خليفة
وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل
فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد مسند اليه ويجوز ان يكون
بمعنى خالق فيتعدى لمفعول واحد وهو خليفة والخليفة
من يخلف غيره وينوب به اي جاعله بدلا منكم ورافعكم الى
فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملايكة عبادة والها فيه للمبالغة
والمراد به صلى الله عليه وسلم لانه كان خليفة الله في ارضه
وكذا كل شي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل
نفوسهم وتنضيد امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى ان من ينوبه
بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فبصدد تلقي امره بغير
وسط ولذلك لم يستنبي ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا اي في صورة رجل الا ترى ان الانبيا لما ذاقت
قوتهم واشتغلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضي ولو لم
تمسسه نار ارسل اليهم الملايكة ومن كان من اعلا رتبة كلمه
بلا واسطة كما كلم موسى صلوات الله وسلامه عليه في
الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقيل انه

خليفة

خليفة من سكن الارض قبله وقيل المراد ادم وذريته لانهم
يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا واقراد اللفظ اما
للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه او على تاويل من يخلف وفايدة
قوله هذا للملايكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان
يشير تعالى بوجوده سكان مكونة ولمته بالخليفة قبل خلقه
واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسوالهم وجوابه
وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير
الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها بالمعاصي ويسفك الدما اى يريقها بالقتل
كما فعل بنو الجان تعجبوا من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها
من يفسد فيها وقصدهم استكشاف ما خفي عليهم من الحكمة
التي بهرت تلك المفاسد والفتها وليس باعتراض على الله تعالى
ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلم من يظن بهم
ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او تلقي
من اللوح او استنباط مما ركز في عقولهم ان العصمة من
خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الاخر والا فهم ما كانوا
يعلمون الغيب ونحن نسبح ملتبسين بحمدك اى نقول
سبحان الله وبحمده وهذا صلاة ما عدا الادميين وعليها
يرزقون قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده اى يقول
سبحان الله وبحمده وروى عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم سيل اى الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته
او لعباده سبحان الله وبحمده وقيل ونحن نصلى بامرك قال
ابن عباس كل ما فى القران من التسبيح فالمراد منه الصلاة
ونقدس لك ننزهك عما لا يليق بك فاللام صلة والجملة
حال مقدرة لجهة الاشكال كقولك احسن الى اعدائك وانا
الصديق المحتاج والمعنى انستخلف عصاة ونحن معصومون
احقابذلك والمقصود منه الاستفسار عما فيهم مع ما هو
متوقع منهم على الملائكة المعصومين فى الاستخلاف لا
العجب والتفاخر وقيل نقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب
لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح
وسفك الدماء الذى هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس
عن الاثام قال تعالى انى اعلم ما لا تعلمون من المصلحة فى
استخلاف ادم وان ذريته فيهم المطيع والعاصى فيظهر
العدل بينهم وقيل ان فيكم من يعصينى وهو ابليس وجنوده
وقيل انى اعلم انهم مذنبون وانا اغفر لهم وقرا نافع وابن كثير
وابو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون وهو على مراتبهم فى
المد وعلم ادم الاسماء اى اسماء المسميات كلها حتى الفسقية
والفوقية وقيل علمه اسم ما كان وما يكون الى يوم القيامة
وقيل صيغة كل شئ قال اهل اللغة ويدل ان الله عز وجل علم ادم
جميع اللغات ثم كل واحد من اولاده بلغة فتفرقوا فى البلدان
واشتهر كل فرقة منهم بلغة وذلك اما بخلق علم ضرورى فيه

او

او القى في قلبه علمها او بارسال ملك او بخطاب الله له او بخلق
الاصوات في الاجسام المسميات والتعليم فعل يترتب عليه
العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم او ادم اسم اعجمي كساير
الانبيا الا صالحا وشعيبا ولوطا ومحمدا بل قيل ان ادم ايضا
عربي وعلى هذا فاشتقاقه من الادمة بضم الهمزة وسكون
الدال بمعنى السمرة او الادمة بفتح الهمزة والدال بمعنى الاسوة
اي القدوة ومن اديم الارض اي ظاهر وجهها روى الحاكم
وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى قبض قبضة
من جميع الارض سهلها وحزنها اي وهو بفتح الحا المهملة ما
غلظ من الارض وصلب اي وعجنت بالمياه المختلفة فخلق
منها ادم ونفخ فيه الروح فصار حيوانا حساسا بعد ان كان
جمادا فلذلك ياتي بنوه مختلفين في الالوان والاخلاق والهيات
واما على الاول فلا اشتقاق له لان ذلك انما ياتي في الاسماء
العربية والاعجمي لا اشتقاق وكنيته ابو محمد وابو البشر
والمعنى انه تعالى خلقه من اجزا مختلفة وقوى متباعدة
مستعد الادراك انواع المدركات والمعقولات والمحسوسات
والمخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشيا وخوا صها
واسمايها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية
الا انها وقرا ورش في الهمزة من ادم بالمد والتوسط والقصر
حيث جا وقوله تعالى ثم عرضهم على الملايكة الضمير فيه
للمسميات المدلول عليها ضمنا في قوله تعالى وعلم ادم الاسما

اذ التقدير اسما المسميات كما مر تقريرا فحذف المضاف
اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام في الاسما
كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال
عن اسما المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسما
اذ العرض لا يصح فيها لانها من المسموعات والعرض يختص
بالمحسوسات بالعين تقول عرضت الجند على الامير
اذا مررتهم عليه ونظرتهما لهم فان قيل لم قال عرضهم
ولم قال عرضها اجيب بان الاسما اذا جمعت من يعقل ومن
لا يعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل كما يكنى عن المذكور والاناث
بلفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل شئ الحيوان والجماد
ثم عرض تلك الاشخاص على الملايكة والكناية راجعة الى
الاشخاص فلذلك قال عرضهم على الملايكة فقال لهم
سبحانه وتعالى تبكيتا لهم وتنبيها على عجزهم عن امر الخلافة
انبئوني اى اخبروني باسما هؤلاء المسميات ان
كنتم صادقين ان لا اخلق خلقا الا كنتم افضل واعلم منه
وذلك ان الملايكة قالوا لما قال اني جاعل في الارض خليفة
لتخلق ربنا ما شئت فلن تخلق خلقا اكرم علينا منا وان كان
فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يروا فظهر لهم الله
تعالى عليهم فضله بالعلم وجواب الشرط دل عليه ما
قبله قالوا اى الملايكة اقرارا بالعجز واشعارا بان سؤالهم
كان استخبارا ولم يكن اعتراضا انه قد بان لهم ما خفي

عليهم

عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار الشكر
نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما التبس عليهم سبحانك
تنزيها عن الاعتراض عليك لا علم لنا الا ما علمتنا اياه
وفي هذا مراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه سبحانه
وتعالى وتصدير الكلام بسبحانك اعتذار عن الاستفسار
والجهل بحقيقة الحال فانه تعالى منزه عن ان يفعل ما يخرج
عن الحكمة ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه الصلاة
والسلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه الصلاة
والسلام سبحانك اني كنت من الظالمين تنبيه اجمع
في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اربع
مدات الاولى انبئوني والثانية باسماء والثالثة والرابعة
هؤلاء ان فالاول مد بدل والثاني مد متصل والثالث
مد منفصل والرابع مجوز لا متصل قطعا ولا منفصل قطعا
عند من يقول باسقاط احدى الهمزتين فاما الاول فلورش
فيه المد والتوسط والقصر واما الثاني فبالمد للجميع
لانه متصل واما الثالث ففيه المد والقصر كما تقدم لانه
منفصل واما الرابع وهو اولاء ان ففيه هم زتان مكسورتان
من كلمتين فقالون والبزي يسهلان الاولى مع المد والقصر
وورش وقنبل يسهلان الثانية ويجعلانها حرف مد
وابو عمرو يسقط الاولى والثانية فمن قال باسقاط
الاولى مد وقصر ومن قال باسقاط الثانية فبالمد فقط

وباقى القراء يحققون الهمزتين وهم على مراتبهم فى المد انك
انت العليم الذى لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته
الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت ضمير فصل وقيل
تاكيد للكاف كما فى قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت
بانت اذا لتابع يسوغ فيه ما لا يسوغ فى المتبوع وقيل مبتدا
خبره ما بعده والجملة خبر ان قال تعالى يا ادم انبئهم
اى اخبر الملائكة باسمائهم اى المسميات فسمى ادم كل شئ
باسمه وذكر الحكمة التى لاجلها خلق فلما انبأهم باسمائهم قال
الله تعالى لهم موبخا الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض
اى ما غاب فيهما واعلم ما تبدون اى تظهرون من قولكم
اتجعل فيها الخ وما كنتم تكتمون اى تسرونه من قولكم
لن يخلق الله اكرم عليه منا ولا اعلم وقيل ما اظهروا من
الطاعة واسره ابليس من المعصية والهمزة فى الم اقل للانكار
بمعنى النفى دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير
تنبيه هذه الاية وهى اية وعلم ادم واية سبحانك واية
قال يا ادم تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله
على العبادة والا لما اظهر فضل ادم بها وان العلم ما يستدل
فيه شرط فى الخلافة قبل العهدة فيها وان التعليم يجوز اسناده
الى الله تعالى وان لم يجز اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن
يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ
بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر فى القائها على المتعلم

مبينا

مبينا له معانيها وذلك يستدعي في سابقة وضع والاصل
ينبغي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل ادم من الملايكة
والجن فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زايد على مفهوم العلم
لتغاير المتعاطفين والا لتكرر قوله انك انت العليم وان
علوم الملايكة وكمالاتهم تقبل الزيادة وان ادم افضل من
هولا الملايكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى قل
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وان الانبيا
افضل من الملايكة وان كانوا رسلا كما ذهب اليه اهل السنة
وانه تعالى يعلم الاشيا قبل حدوثها لانه اخبر عن علمه
تعالى باسما المسميات جميعها ولم تكن موجودة وقت الاخبار
واذكر اذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم لما انباهم بالاسما
وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء
لحقه واعذارا عما قالوا فيه او امرهم به قبل ان يسوى لقوله
تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
امتحانا لهم واظهارا لفضله وقضية الاول تاخير الامر عن
تسوية خلقه بدليل تاخيره عن انبايهم وتعليمهم
المستلزمين لتسوية وعلى الثاني اقتصر بعض المفسرين
وهو الظاهر اجيب عن دليل الاول بان الواو في قوله
واذ قلنا لا تقتضي الترتيب والسجود في الاصل تذلل مع
تطامن وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور
به اما المعنى الشرعي فالسجود له هو بالحقيقة هو الله تعالى

وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه كما
جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله فمعنى اسجدوا
له اى اليه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا اى
مثالا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ومجمعها لما في
العالم الروحاني والجثماني وذريته للملايكة الى استيفا ما
قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من
المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من
عظيم قدرته وباهر اياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته واما
المعنى اللغوى وهو التواضع لادم تحية وتعظيما له كسجود
اخوة يوسف في قوله تعالى وخروا له سجدا ولم يكن فيه وضع
الجبهة بالارض انما كان الاحنا فلما جا الاسلام بطل ذلك بالسلام
والكلام في ان المامورين بالسجود الملايكة كلهم او طايفة منهم مثل
ما مر فسجدوا اى الملايكة الا ابليس ابى واستكبر
اى امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة
ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه
خيره وصلاحه وقال انا خير منه والا امتناع واختيار
والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب
ذلك بالتشبع وهو التزين باكبر مما عنده يتكبر بذلك ويتزين
بالباطل وكان من الكافرين اى في علم الله او صار منهم باستقباحه
امر الله تعالى اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل منه
والافضل لا يحسن ان يومر بالتخضع للمفضول والتوسل به

كما

كما اشعر به قوله تعالى انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين
لا يترك الواجب وهو السجود وحده والاية تدل على ان ادم
افضل من الملايكة المامورين بالسجود له وان ابليس كان من
الملايكة المامورين بالسجود له وان ابليس كان من الملايكة
والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناوه منهم ولا يرد على ذلك
قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال كان من الجن
فعلا ومن الملايكة نوعا فان قيل له ذرية والملايكة لا ذرية
اجيب بان ابن عباس روى ان من الملايكة نوعا يتولدون
يقال لهم الجن ومنهم ابليس وقيل ان الله تعالى لما اخرجه من
الملايكة جعل له ذرية وان من الملايكة من ليس بمعصوم وان
كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين وهم
الانبيا والغالب في الانس عدم العصمة ولمن زعم انه لم يكن
من الملايكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملايكة
وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه لقوله تعالى الا ابليس
كان من الجن ففسق عن امر ربه وهو اصل الجن كما ان ادم اصل
الانس ولانه خلق من النار والملايكة خلقوا من النور قال
البغوي والاول اصح لان خطاب السجود كان من الملايكة
وقوله تعالى كان من الجن اي من الملايكة الذين هم خزنة الجنة
وقال سعيد بن جبير من الذين يعملون في الجنة وقال قوم من
الملايكة الذين كانوا يصوغون حلي الجنة وقيل ان الجن ايضا

كانوا ماموريين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم
فاذا علم ان الاكابر وهم الملائكة ماموريين بالتذلل لاحد والتوسل
به علم ايضا ان الاصاغر وهم الجن ماموريون به والضمير في فسجدوا
راجع للقبيلين وكما ندل فسجد الماموريون بالسجود الا ابليس
تنبيه من فوايد الاية استقباح الاستكبار وانه يفضي
بصاحبه الى الكفر والحث على الايتمار لامره وترك الخوض فيما
لا ينبغي في سر نفسه وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من
حاله انه يموت على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة
بالخواتيم وان كان بحكم الوقت الحاضر موصنا وقلنا يا ادم
اسكن انت وزوجك الجنة اي اتخذ الجنة سكنا تستقر فيها
لانها استقرار ولبث ولفظة انت تاكيد اكد به المستكن
ليصح العطف عليها وانما لم يخاطبه اولا بان يقول اسكنا
تنبيها على ان المقصود بالحكم وهو الامر بالسكنى التي هي
عليه تتوله حتى في الوجود اذ لم يكن له من يونسه في الجنة
فخلقت حوا بالمد من ضلعه الاقصر من جانبه الايسر وهو
نايم فلما استيقظ من نومه رآها جالسة عند راسه كما حسن
ما خلق الله فقال من انت قالت زوجتك خلقني الله لاسكن
اليك وتسكن الي وسميت حوا لانها خلقت من حي خلقها
الله من غير ان يحس بها ادم ولا وجد لخلقها المما ولو وجد
له المما لما عطف هل على امراة قط وانما صح على المستكن
مع ان المعطوف لا يباشر فعل الامر لانه وقع تابعا ويغتفر

في التابع

فى التابع ما لا يقتضى المتبوع والجنة دار الثواب لان اللام
للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال ان
الجنة بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه
الله تعالى امتحانا لادم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى
ارض الهند كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها
رغدا اى واسعا لذيذا لا جهد فيه فرغدا صفة مصدر محذوف
وقيل مصدر فى موضع الحال حيث شئتما اى اى مكان من الجنة
شئتما وسع الامر عليهما ازالة للعلة والعذر فى التناول
من الشجرة المنهى عنها من بين اشجارها التى لا تحصر وقرا
ابو عمرو بادغام التاء فى الشين بخلاف عنه وابدل السوسى
الهمزة وقفا ووصلا وحمزة فى الوقف فقط ولا تقربا هذه
الشجرة بالاكل منها وهى شجرة الجنة او الكافور او شجرة
العلم او العنب او التين او شجرة من اكل منها احدث والاول
كما قاله البيضاوى ان لا تقيدين من غير دليل قاطع او ظاهر كما
مر تعين فى الاية لعدم توقف ما هو المقصود على التعيين فتكونا
اى فتصيرا من الظالمين اى العاصين تنبيه فى هذه الاية
مبالغات الاولى تعليق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات
التناول مبالغة فى تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها
على ان القرب من الشىء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع
القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى ابو داود
حبك الشىء يعمى ويصم اى يخفى عليك معاينة ويصم اذ نيك

عن سماع مساويه فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة
ان يقعا فيه الثانية جعل قربانهما الى الشجرة سببا لان يكونا
من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المحاذير فازلهما
الشيطان اى ابليس سمي به لبعده عن الخير وعن الرحمة
وقرا حمزة بالف بعد الزاى وتخفيف اللام اى نحاهما والباقون
بغير الف بعد الزاى وتشديد اللام اى اذهبهما عنها اى الجنة
وازالة قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما
نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من
الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله انى لكما لمن الناصحين
واختلف فى انه تمثل لهما فقال لهما بذلك والقاه اليهما على
طريق الوسوسة وكيف توصل الى ازالتهما بعد ما قيل اهبطوا
اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول بعد خروجه
الاول على جهة الكرامة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان
يدخل لوسوسة ابتلاء لادم وحوا فلما دخل وقف بين ادم
وحوا وهما لا يعلمان انه ابليس فبكى وناح نياحة احزنتهما
وهو اول من ناح فقالا له ما يبكيك فقال ابكى عليكما تموتان
فتفارقان ما انتما فيه من النعمة وكان ادم لما راى ما فى الجنة
من النعم قال لو ان خلدا فاغتنم الشيطان ذلك منه فاتاه
الشيطان من قبل الخلد فوقع قوله فى انفسهما واغتر ومضى
ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد
قال ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغتر

وما ظننا

وما ظننا ان احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوا الى اكل الشجرة ثم
ناولت حوا ادم حتى اكلها وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله
ما اكل ادم من الشجرة وهو يعقل ولكن حوا سقته الخمر حتى سكر
فادته اليه فاكل وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل في
صورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى
دخلت به وكانت صديقا لابليس وكانت من احسن الدواب
لها اربع قوايم كقوايم البعير وكانت من خزان الجنة فسالها
ابليس ان تدخله الجنة في فمها فادخلته ومرت به على الخزنة
وهم لا يعلمون فادخلته الجنة وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما
والعلم الى ذلك كما قال البيضاوي عند الله فاخرجهما مما كانا
فيه من الكرامة والنعيم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
قال الله تعالى لادم اليس فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن
الشجرة قال بلى وعزتك يا رب ولكن ما ظننت ان احدا يحلف
بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطن الى الارض ثم لا تنال العيش
الا كمدا فاهبط من الجنة وكانا ياكلان فيها رغدا فعلم من
صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى اذا
بلغ حصد ثم داسه ثم داره ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم اكله
فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شا الله قال ابراهيم بن ادهم
اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا وقال سعيد بن جبير عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ادم لما اكل من الشجرة
التي نهي عنها قال الله عز وجل يا ادم ما حملك على ما صنعت قال

يا رب زينة لي حواء قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع
الا كرها ودميتها في الشهر مرتين فحرنت حواء عند ذلك فقيل
عليك الرنة وعلى بناتك قلما الكلام منها سقطت عنها ثيابهما
وبدت سوآتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله تعالى وقلنا
اهبطوا خطابا لادم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها
جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الانس فكانهما في الانس كلهم
اوهما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها الوسوسة
اودخلها مسارقة او من السما الامن الباب على الخلاف المتقدم
وقيل هما وابليس والحية فهبط ادم بسرنديب بارض الهند
على جبل يقال له نود وحواء بجدة وابليس بالابلة وقيل
ببيسان بالبصرة على ميال والحية باصبهان وقوله تعالى
بعضكم لبعض عدو حال استغني ضميرها لواو عن الضمير والمعنى
متعادين فان كان الخطاب لهما ولابليس والحية فالمراد العداوة
بين المومنين من ذرية ادم والحية وبين ابليس قال الله
تعالى عز وجل ان الشيطان لكما عدو مبين وروى عكرمة
عن ابن عباس انه كان يامر بقتل الحيات وقال من ترك من
خشية او مخافة ثاير فليس منا وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة
في الحديث ما سالمناهن منذ حاربناهن وروى انه نهى عن
ذوات البيوت وروى عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا فان رايتم
منهم شيا فاذنوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه

فانما

فانما هو شيطان ولكم في الارض مستقر اى موضع قرار ومتاع اى
ما تتمتعون به من بنائها الى حين اى وقت انقضاء اجالكم
فتلقى ادم من ربه كلمات اى استقبلها بالاخذ والقبول
والعمل بها حين علمها وهى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله
الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا انت
وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ادم يا رب لم تخلقنى
بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فى الروح من روحك قال
بلى قال الم تسكنى جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت
ارا جعى انت الى جنتك قال نعم رواه الحاكم وصححه وقول ادم
ارا جعى بتخفيف الياء اسم فاعل اضيف الى المفعول وانت
فاعل لاعتماده على الاستفهام او مبتدأ خبره ما قبله وقرا
ابن كثير بنصب الميم من ادم ورفع التاء من كلمات على انها
تلقته والباقون برفع الميم وكسر التاء والكسر هذا علامة النصب
لانه جمع مؤنث سالم فينصب بالكسرة فتاب عليه اى قبل
توبته وانما رتب تاب عليه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمن تلقى
الكلمات معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم
على ان لا يعود اليه ورد المظالم ان كانت واكتفى بذكر ادم لان حواء
كانت تبعا له فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى اكثر القرآن والسر
انه هو التواب الرجاع على عبده بالمغفرة او الذى يكثر اعانتهم
على التوبة واذا وصف بها البارى اريد بها الرجوع عن العقوبة

الى المغفرة الرحيم البالغ في الرحمة وفي الجمع بين التوبة والرحمة
وعد للتايب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها اي من الجنة
جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على هبوطهم
الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم
اهبطوا للتكليف فمن اهتدى لهذا نجى ومن ضله هلك وقيل
الهبوط الاول من الجنة الى السما الدنيا والهبوط الثاني من السما
الدنيا الى الارض فاما ياتينكم يا ذرية ادم مني هدى اي رشد
وبيان شريعة وقيل كتاب ورسول فمن تبع هداي بان امن بي
وعمل بطاعتي وكرر لفظ الهدى ولم يظهر اما لاظهار شانه
وفخامته خصوصا مع اضافته اليه او لانه اراد بالثاني اعم من الاول
وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل فمن تبع ما اتاه راغبا فيه
ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه
ولا هم يحزنون بفوات محبوب عنهم وهو النظر الى وجهه تعالى
فانه المقصود الاعظم فالخوف على الواقع نفا عنهم العقاب فاثبت
لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقيل لا خوف عليهم في الدنيا
ولا هم يحزنون في الاخرة وامال الدوري عن الكسائي الف هداي
محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وانما
جي بحرف الشك واتيان الهدى واقع كاين لانه محتمل في
نفسه غير واجب عقلا والذين كفروا اي جحدوا وكذبوا
باياتنا اي كتبنا اولئك اصحاب النار يوم القيامة هم فيها
خالدون ماكثون فيها ابدا لا يخرجون منها ولا يموتون فيها

والاية

والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث
انها تدل على الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن
المتميزة عن غيرها بفصل تنبيه في هذه الايات دلالة على
ان الجنة مخلوقة وانها في سماء عالية وان التوبة مقبولة
وان متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دايم وان
الكافر فيه مخلد وان عصاة لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم
فيها خالدون واستدل بعض الخوارج كالحشوية وهم قوم
جوزوا الخطاب بما لا يفهم بها على عدم عصمة الانبيا بوجوه الاول
ان ادم عليه السلام كان نبيا وارتكب المنهي المركب له عاص
والثاني انه جعله بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله
تعالى الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه اسند اليه العصيان
والغي وقال وعصى ادم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة
وهو الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه
خاسر ولمغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم
يذنب ما جرى عليه ما جرى واجيب عن ذلك بوجوه الاول
انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعى مطالب بالدليل وادليل الثاني
ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر
حظه بترك الاولى ووفاء بما قاله تعالى للملايكة قبل خلق ادم
اني جاعل في الارض خليفة ولا يكون خليفة في الارض الا بالاهباط
اليها وامره بالتوبة تلافيا لما فاته الثالث انه فعله ناسيا

لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ
عن اسباب النسيان اذا رفع الاثم بالنسيان من خصائص
هذه الامة كما ثبت في الاخبار الصحيحة لخبر الشيخين رفع
عن امتي الخطا والنسيان وروى الترمذي وصححه اشد الناس
بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل رواه الحاكم بلفظ اشد الناس بلاء
الانبياء ثم العلماء الصالحون الرابع انه عليه الصلاة والسلام
اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه كما ظن ان النهي للتنزيه
او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها
وكان المراد بالاشارة الاشارة الى النوع لا الى شجرة معينة كما روى
ابو داود وغيره انه عليه الصلاة والسلام اخذ حريرا في
يمينه وقال هذان حرام على ذكور امتي حل لاناثها فان قيل
المجتهد ان اخطا لا يواخذ اجيب بانه انما عوتب على ذلك
تعظيما لشان الحظية ليجتنبها اولاده وقرا ورش بامالة الف
الناس بين بين وقرا ابو عمرو والدوري عن الكسائي بالامالة
محضة والباقون بالفتح يا بني اسرائيل اي اولاد يعقوب
واسرائيل لقبه ومعنى اسرا بالعبرانية عبد وايل الله فمعناه
عبد الله وقيل صفوة الله صلى الله وسلم عليه اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها والذكر
يكون بالقلب ويكون باللسان وتقييد النعمة بهم لان الانسان
غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حملته
الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله

عليه

عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر لله وقيل اراد بها ما
انعم على ابائهم من فلق البحر وانجائهم من فرعون باغراقه
وتظليل الغمام عليهم في التيه وانزال المن والسلوى وغير ذلك
من النعم التي لا تحصى قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها واوفوا بعهدي اي بامتثال امري وبما عهدت
اليكم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم
اي الذي عهدته اليكم من الثواب عليه بدخول الجنة تنبيه
للوفا بالعهد درجات كثيرة فاول مراتبه مناهو الاتيان بكلمتي
الشهادتين ومن الله تعالى حقن الدماء والمال وآخرها منّاه
الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن
غيره ومن الله تعالى الفوز بالغنا الدايم واما روي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم
في رفع الاصار والاثقال والاغلال وعن غير ابن عباس اوفوا
باداء الفرايض وترك الكبايراوف بالمغفرة والثواب اواوفوا
بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم
فبالنظر الى الوسايط وايايَ فارهبون فيما تاتون وتذرون هو
وخصوصا في نقض العهد والرهبة خوف مع تحرز تنبيه
الاية متضمنة للوعد والوعيد انه على وجوب الشكر والوفا
بالعهد وان المومن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله واسوا ما انزلت
من القران وقوله تعالى مصدقا حال موكدة مما انزلت او من ضميره
المحذوف لما معكم من التوراة بموافقته له ولغيره من الكتب

الالهية فى القصص ونعت النبى صلى الله عليه وسلم والمواعد
والدعا الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس
والنهى عن المعاصى والفواحش وغيرها مما لم تزل من جوبيات
الاحكام بسبب تفاوت الاعصار فى المصالح من حيث ان
كل واحد منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من
خوطب بها حتى لو نزل المتقدم فى ايام المتاخر لنزل على وفقه
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام كما رواه الامام احمد لو عاش
لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى وفى ذلك تنبيه على ان
اتباع تلك الكتب الالهية لا ينافى الايمان بالقران بل يوجبه
ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به اى بالقران بل
يجب ان تكونوا اول مومن به لانكم اهل نظر فى معجزاته وافضل
بشانه فان قيل كيف نهوا عن المتقدم فى الكفر وقد سبقهم
مشركوا العرب اجيب بان المراد التعريض بما يجب عليهم
لمقتضى حالهم لا الدلالة على ما تخلف الظاهر كقولك لمن اساء
انا افلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب لان
خلفكم تبع لكفرائهم عليكم او ممن كفر بما معه فان من كفر
بالقران فقد كفر بما يصدق او مثل من كفر من مشرك مكة
تنبيه اول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول
فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك
كساحلة اى كل واحد منا ولا تشتروا تستبدلوا بايات
التى فى كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا

اى عوضا يسيرا من الدنيا اى لا تكتموها خوف فوات ما تاخذونه
من سفلتكم وذلك ان رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مآكل
يصيبونها من سفلتهم وجهال لهم ياخذون منهم كل سنة شيأ
معلوما من زروعهم وضروعهم ونقودهم فخافوا انهم بينوا
صفة النبى صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان يقطع عنهم تلك المآكل
فغيروا نعته وكتموا اسمه فاختاروا الدنيا على الاخرة فنهوا
عن ذلك فان حظوظ الدنيا وان جلت قليلة مستردلة
بالاضافة الى ما يفوت من حظوظ الاخرة وايای فاتقون
خافونى فى ذلك دون غيرى ولا تلبسوا اى تخالطوا الحق
الذى انزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم بالباطل
الذى تختلقونه وتكتبونه بايديكم من تغيير صفته وتكتموا الحق
اى تكتموا نعت النبى صلى الله عليه وسلم وانتم تعلمون انكم
لا تلبسون الحق بالباطل كما تعلمون فانه اقبح اذ الجاهل يعذر
واقيموا الصلوة اى الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها
واتوا الزكوة اى اداء زكاة اموالكم المفروضة لمصرفها بشروع
الاسلام بعد ما امرهم بامور له وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بها والزكاة ما اخوذة من زكاة الزرع اذا نما وكثر او من الزكاة
بمعنى الطهارة وكلا المعنيين موجود فى الزكاة فان اخراجها
يستجلب بركة المال ويثمره للنفس فضيلة الكرم ويطهر
المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اى
صلوا مع المصلين من امة محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ اى الفرد بسبع
وعشرين لما فيها من تظاهر اى تعاون النفوس وعبر عن الصلاة
بالركوع احترازا عن صلاة اليهود لان صلاتهم لم يكن فيها ركوع
اى صلوا مع الذين فى صلاتهم ركوع وقيل الركوع الخضوع
والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الشاعر لا تذل الضعيف
وردى لا تمنن الفقير علك اى لعلك ان تركع يوما والدهر
قد رفعه فيركع من الركوع وهو الانحناء والميل واراد به انحطاط
من الرتبة ونزل فى علماء اليهود وكانوا يقولون لاقربائهم
المسلمين سرا اثبتوا على دين محمد صلى الله عليه وسلم فانه حق
ولا تتبعونه اتامرون الناس بالبر اى بالايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم فى ذلك تقريع مع توبيخ وتعجيب والبر شرعا
التوسع فى الخير من البر بالفتح وهو الفضاء الواسع يتناول
كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر فى عبادة الله وبر فى معاملة
الاقارب وبر فى معاملة الاجانب وتنسون انفسكم اى تتركونها
من البر كالمنسيات وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون
وانتم تتلون الكتاب اى التوراة وفيها الوعيد على العناد
وترك البر ومخالفة القول والفعل افلا تعقلون سوء
فعلكم فتصدكم عنه او فلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون من عدم
مواتاة عاقبته لكم والاية ناعية على من يعظ غيره ولا
يتعظ بنفسه بسوء صنيعه وخبث نفسه وان فعل
فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل فان الجامع بين

العلم

العلم والعقل يابى عن كونه واعظا غير متعظ نفسه والمراد
بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل
لها ليقوم نفسه ثم يقوم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ
فان الاضلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال
بالاخر ولكن روى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت اسرى بى رجالا
تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هولا يا جبريل
قال هولا الخطبا من امتك يامرون الناس بالبر وينسون
انفسهم وهم يتلون الكتاب وعن اسامة رضى الله تعالى عنه
انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجا
بالرجل يوم القيمة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه اى فتنقطع
امعاوه فى النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اهل النار
عليه فيقولون اى فلان ما شانك اليس كنت تامرنا بالمعروف
وتنهانا عن المنكر قال كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم
عن المنكر واتيه وقال شعبة عن الاعمش فيطحن فيها كطحن
الحمار برحاه واستعينوا اى اطلبوا المعونة على اموركم بالصبر
اى الحبس للنفس على ما تكره والصلاة افردها بالذكر تعظيما
لشانها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية
من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى
الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح
واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة

الرحمن وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن
الاطيبين وهما الاكل والجماع روى الامام احمد وغيره ات
النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة
اى لجأ اليها وحزبه بجاء مهملة وزاى وباء موحدة اهمه ونزل به
وقيل الخطاب لليهود فهو متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق
عليهم لما فيه من التكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال
امروا بالصبر وهو الصوم ومنه سمي شهر رمضان شهر الصبر
لانه يكسر وترغب في الاخرة وقيل الواو بمعنى على اى واستعينوا
بالصبر على الصلاة كما قال الله تعالى وامر اهلك بالصلاة
واصطبر عليها فيحتمل ان يراد بالصلاة الدعاء وانها اى الصلاة
رد الكناية اليها لان الصبر داخل فيها لاشتمالها عليه وامر بالصبر
كما قال تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ولم يقل يرضوهما
لان رضى الرسول داخل في رضى الله عز وجل او لانها اعم كما في قوله
تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله رد الكناية الى الفضة لانها اعم وقيل رد الكناية الى كل منهما
وان كل خصلة منهما كما قال تعالى كلتا الجنتين اتت اكلها اى
كل واحدة منهما وقيل معناه واستعينوا بالصبر وانه لكبيرة
والصلاة وانها لكبيرة فحذف احدهما اختصارا قال الحسين
ابن الفضل رد الكناية الى الاستعانة لكبيرة اى ثقيلة شاقة
كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين
اى الساكنين الى الطاعة والخشوع السكون قال تعالى وخشعت

الاصوات للرحمن والخضوع اللين والانقياد وكذا يقال الخشوع
بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون اى يستيقنون
واطلق الظن على العلم لتضمنه معنى التوقع انهم ملاقوا
ربهم بالبعث وانهم اليه راجعون فى الاخرة فيجازيهم
بافعالهم وانها لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم لان نفوسهم مرتاضة
بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها وتستلذ
بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام وجعلت
قرة عينى فى الصلاة يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت
عليكم بالشكر عليها بطاعتى كرره للتوحيد وتذكير التفضل
الذى هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا
لمن غفل عنها واخل بحقوقها وعطف على نعمتى وانى فضلتكم
اى اباكم الذين كانوا فى عصر موسى صلى الله عليه وسلم وبعده
قبل ان يغيروا على العالمين اى عالمى زمانهم بما منحهم الله من
العلم والايمان والعمل وجعلهم انبيا وملوكا مقسطين وذلك
التفضيل وان كان فى حق الاباء ولكن يجعل به شرف فى الابنا
واستدل بذلك على ان الاصلح لا يجب على الله لان تفضيلهم لو
وجب عليه لم يجز جعله منة عليهم لان من اتى بما وجب عليه
لا منة له به على احد واتقوا خافوا يوما اى ما فيه من الحساب
والعقاب وهو يوم القيامة لا تجزى اى لا تقضى نفس عن
نفس فيه شيا اى حقا لزمها تنبيه قول البيضاوى
وايراده اى شيا منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط

الكلي تبع فيه الكشاف وهو جار على مذهب المعتزلة من انهم
ينكرون الشفاعة وسياتي الجواب على مذهبهم ولا تقبل
بالتاء على التانيث كما قرا به ابن كثير وابو عمرو وبالياء على التذكير
كما قرا به الباقون منها شفاعة اى من النفس الثانية لقوله
تعالى ولا هم ينصرون اى يمنعون من عذاب الله اذ الضمير
في الجملتين للنفوس العاصية ويصح رجوعه للنفس الاولى
لانها المحدث عنها في قوله تعالى لا تجزي نفس عن نفس شيا
والثانية مذكورة على سبيل المفضلة لا العودة وتذكير ضميري ولا
هم ينصرون مع ان الضمير راجع للنفوس وكان المناسب
ان يا بالتانيث لانه بمعنى العبادة او الاناس كما تقول ثلاثة
انفس بالتاء مع تانيث النفس لتاويل النفوس بالاشخاص
او الرجال والنصرة اخص من العونة لاختصاصه بدفع الضرر
وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر
واجاب اهل السنة عن ذلك باجوبة منها ان الاية مخصوصة
بالكفار والايات والاحاديث الواردة في الشفاعة وبويد
هذا ان الخطاب معهم وعلى هذا يتمشى قول البيضاوي الخ
ويكون المراد حينيذ انه ليس لها شفاعة فتقبل كما قال تعالى
حاكيا عنهم فما لنا من شافعين ومنها الاية نزلت في الملائكة
اليهود تزعم ان ابائهم تشفع لهم ومنها انها لا تشفع الا باذن
الله واذكروا اذ انجيناكم اى ابائكم الخطاب به وبما بعده
للموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بما انعم على ابائهم تذكيرا

لهم بنعمة الله ليسوسنوا من الفرعون اى اتباعه واهل دينه
والمشهور ان اصل الاهل اهيل وقال الكسائى وتجمع
اصله اوله من ال يؤل اى رجع قلبت الواو والفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها وتصغيره اويل فان قيل ٣ الاول
اختلاف اهل وال معنى اذ الاهل القرابة والال من يؤول
اليك بقرابة او راى او مذهب وان الالف لم يثبت ابدا لها
من الها اجيب بان القايل بالاول جرى على القول بان
اللفظين بمعنى واراد بالاهل احد معانى ال وابدل الواو
من الها لتقاربهما مخرجا وخص بالاضافة الى اولى القدر والشرف
كالانبياء والملوك وانما قيل آل فرعون لتصوره بصورة الاشراف
او لشرفه فى قومه عندهم وفرعون هو الوليد بن مصعب
ابن ريان وكان من القبط من العمالقة وعمر اكثر من اربعماية
يسومونكم يولونكم ويذيقونكم سوء العذاب اى اشده
والجملة حال من الضمير فى نجيناكم او آل فرعون او منهما جميعا
لان فيها ضميرا كل واحد منهما يذبحون ابناءكم المولودين
ويستحيون نساءكم اى يتركونهن احياء هذا بيان ليسومونكم
ولذلك لم يعطف وذكر ان فرعون لعنه الله راى فى منامه
كان نارا اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت
كل قبطى بها ولم تتعرض لبنى اسرايل فهاله ذلك وسال الكهنة
عن رويا فقالوا يولد فى بنى اسرايل غلام يكون على يده
هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى

اسرايل وجمع القوابل فقال لهن لا يسقطن على ايديكن غلام
من بني اسرايل الا قتل ولا جارية الا تركت ووكل بالقوابل فكن
يفعلن ذلك حتى قيل انه قتل في طلب موسى اثني عشر الف صبي
وقال وهب بلغني انه ذبح في طلب موسى تسعين الف قالوا
واسرع الموت في مشيخة بني اسرايل فدخل روس القبط على فرعون
وقالوا ان الموت قد وقع في بني اسرايل فتذبح صغارهم ويموت
كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة
ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيه وولد
موسى في السنة التي يذبحون فيها وفي ذلكم بلاء ان اشير الى
صنيعهم فهو محنة او الى الانجا فهو نعمة فان البلا يكون بمعنى الشدة
وبمعنى النعمة ويجوز ان يشار بذلكم الى الامرين فالله تعالى قد
يختبر على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر قال تعالى ونبلوكم
اي نختبركم بالشر والخير فتنة من ربكم اي بتسليطهم
عليكم او ببعث موسى وتوفيق او بهما وقوله
تعالى عظيم صفة بلا وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب
العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر
عنه مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين
واذكروا اذ فرقنا فلقنا بكم اي بسببكم البحر حتى دخلتموه
هاربين من عدوكم وذلك ان فرعون لما دنا هلاكه امر الله
تعالى موسى عليه الصلاة والسلام ان يسري ببني اسرايل
من مصر ليلا فامر موسى قومه ان يسرجوا في بيوتهم السرج

الى

الى الصبح وخرج موسى فى ستمائة الف وعشرين الف مقاتل
لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وكانوا
يومئذ دخلوا مصر مع يعقوب عليه الصلاة والسلام اثنين
وسبعين انسانا ما بين رجل وامراة فساروا وموسى على ساقتهم
وهارون على مقدمتهم ثم علم بهم فرعون فجمع قومه وامرهم
ان لا يخرجوا فى طلب بنى اسرايل حتى يصيح الديك قال ابن
مسعود فوالله ما صاح ديك فى تلك الليلة ثم خرج فرعون
فى طلبهم وعلى مقدمتهم هامان فى الف الف وسبعمائة الف وكان
فيهم سبعون الف من دهم الخيل سوى سائر الشهبات قال
محمد بن كعب وكان فى عسكر فرعون مائة الف حصان ادهم
سوى سائر الشهبات وكان فرعون يكون فى الدهم وقيل
كان لفرعون فى سبعة الاف الف وكان بين يديه مائة الف
نائب ومائة الف اصحاب حراب ومائة الف اصحاب الاعدة
فسارت بنو اسرايل حتى وصلوا الى البحر والماء فى غاية الزيادة
ونظروا فاذا بفرعون حين اشرقت الشمس فبقوا متحيرين
وقالوا يا موسى كيف نصنع وابن ما وعدتنا هذا فرعون
خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا
قال الله تعالى فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون
قال موسى كلا ان معى ربى سيهدين فاوحى الله تعالى اليه
ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم ينفلق فاوحى الله تعالى
اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يا اباقالق باذن الله

فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فظهر فيه اثنى عشر طريقا
لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وارسل
الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا فخافت بنو اسرائيل
البحر كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى
بعضهم بعضا فخافوا وقالوا اكل اسبط قد قتل اخواننا فاوحى
الله تعالى الى جبال الماء ان اشبكي فصارت شبكا كالطاقات
يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر
سالمين فذلك قوله تعالى فانجيناكم اى من الغرق وانجينا
آل فرعون وذلك ان فرعون لما وصل البحر فراه منفلقا قال
لقومه انظروا الى البحر انفلق من هيبتي حتى ادرك عبيدي
الذين اقفوا ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوه وقيل
قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل يعني موسى وكان
فرعون على حصان ادهم ولم ير في خيل فرعون فرس انثى فجا
جبريل على فرس انثى فتقدمهم وخاض البحر فلما شم ادهم فرعون
ريحها اقتحم البحر في اثرها وهم لا يرونه ولا يملك فرعون من
امره شيا وهو لا يرى فرس جبريل واقتحمت الخيول خلفه
في البحر وجا ميكايل على فرس خلف القوم يستحثهم ويسوقهم
حتى لا يشذ رجل منهم ويقول لهم الحقوا باصحابكم حتى خافوا
كلهم البحر وخرج جبريل من البحر وهم اولهم بالخروج امر الله
البحر ان ياخذهم فالتطم عليهم فغرقهم اجمعين وكان بين
طرفي البحر اربعة فراسخ وهو بحر القلزم طرف من بحر فارس

قال

قال قتادة بحر من وراء مصر يقال له اساف وذلك بمرأى من بني
اسرائيل فذلك قوله تعالى وانتم تنظرون الى معاينتهم
واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة
اوجثتهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا
واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل
ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق
موسى الكليم ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة فهم بمعزل من الفطنة والذكاء وسلامة
النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم
مع ان ما تواتر من معجزاته امور تظن به مثل القرآن والتحدي
به والفضايل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم دقيقة يدركها الاذكياء واذ وعدنا موسى بغير
الف بين الواو والعين لانه تعالى وعد موسى الوحي وواعد
موسى ربه المجيء للميقات الى الطور وقيل هذا من المفاعلة
التي تكون من الواحد كعاقبت اللص وطارقت الفعل وامال
حمزة الف موسى محضة وابو عمرو بين بين وورش بالفتح
وبين اللفظين اربعين ليلة ان يعطيه عند انقضايها
التوراة يستعملون بها وضرب له ميقاتا ذي القعدة
وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور
وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء وخلق الله الليل
قبل النهار قال الله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار

وقول البيضاوى ان ذلك الوعد لما عاد والى مصر بعد هلاك
فرعون تبع فى ذلك الكشاف ولم يعرف ذلك لغيرهما وانما قولهما
بالشام لان اتيان موسى للميقات كان بطور سينا وهو بالشام
لا بمصر وقد قال البرماوى عقيل فى تفسيره لم يصرح احد من
المفسرين والمؤرخين بانهم دخلوا مصر بعد خروجهم منها فان
قيل قوله تعالى فاخرجناهم من جنات الى قوله تعالى واورثناها
بنى اسرائيل يقتضى انهم عادوا اليها اجيب بان المعنى
ان الله تعالى اورثهم ومكنهم اياها ولم يردهم اليها وجعل
مساكنهم الشام ثم اخذتهم قرا ابن كثير وحفص عن عاصم اتخذتم
باظهار الذال قبل التاء والباقون بادغام الذال فى التاء العجل
الذى صاغه لكم السامرى الها ومعبودا من بعده اى بعد
ذهابه الى ميقاتنا وذلك ان بنى اسرائيل لما امنوا من عدوهم
ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها فوعد الله تعالى
موسى ان ينزل عليهم التوراة فقال موسى لقومه انى ذاهب
لميقات ربى لينزل كتاب فيه بيان ما تاتون وما تذرون
واستخلف اخاه هارون فلما اتاه الوعد جاءه جبريل على
فرس يقال له فرس الحياة وكان رجلا صابئا من قبيلة يقال
له سامرة راى موضع قدم الفرس يخضر من ذلك وكان
منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر التى فى
روعه انه اذا القى فى شئ غيره وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا
حليا كثيرا من قوم فرعون حين اراد والخروج من مصر

لعل

لعمل عرس لهم فاهلك الله فرعون وقومه فبقيت تلك الحلى
فى ايدى بنى اسرائيل قال السدى فامرهم هارون ان يلقوها
فى حفرة حتى يرجع موسى ففعلوا فلما اجتمعت الحلى صاغها
السامرى عجلا من ذهب فى ثلاثة ايام مرصعا بالجواهر كاحسن
ما يكون ثم القى فيه القبضة التى اخذها من تراب حافر فرس
جبريل فصار يخور ويمشى فقال السامرى هذا الهكم واله
موسى فنسى اى فتركه ها هنا وخرج يطلبه وكانت بنو
اسرائيل قد اخلفوا الوعد فقدوا اليوم مع الليلة يومين
فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا فى الفتنة
وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة واتمها بعشر
وسيأتى الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى فى محله وكانت فتنتهم
فى تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ورأوا
العجل وسمعوا قول السامرى عكف منهم ثمانية الاف رجل
على العجل يعبدونه وقيل كلهم عبدوه الا هارون مع اثنى عشر
الف رجل قال البغوى وهو الاصح وقال الحسن كلهم عبدوه
الا هارون ولذلك قال تعالى وانتم ظالمون اى باتخاذه لوضعكم
العبادة فى غير محلها ثم عفونا محونا عنكم ذنوبكم حين تبتم
والعفو محو الجريمة من عفى اذا درس من بعد ذلك اى
الاتخاذ لعلكم تشكرون اى لكى تشكروا فمننا عليكم بتنبيه
انما قدرت لعل بكى اخذا مما قبل ان لعل فى القرآن بمعنى كى غير
قوله تعالى لعلكم تخلدون فانها بمعنى كان اى كانكم

تخلدون واذكروا اذ اتينا موسى الكتاب اى التوراة وقوله
تعالى والفرقان عطف تفسير اى الفارق بين الحق والباطل
والحلال والحرام وقيل اراد بالفرقان معجزات موسى كانفلاق
البحر الفارقة بين المحق والمبطل فى الدعوى او بين الكفر
والايمان لعلكم تهتدون اى لكى تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر
فى الايات من الضلال واذكروا اذ قال موسى لقومه الذى
عبدوا العجل يا قوم انكم ظلمتم قرا ورش بتغليظ اللام
والباقون بالترقيق انفسكم باتخاذكم العجل الها قالوا فاى
شى نصنع قال فتوبوا اى ارجعوا عن عبادة العجل الى باريكم
اى خالقكم وقرا ابو عمرو باسكان الهمزة وروى عن الدورى
عنه باختلاس الحركة وروى عن السوسى ابدالها يا ساكنة
وامال الدورى عن الكسائى الالف بعد البا الموحدة واذا وقف
حمزة على باريكم سهل الهمزة بين بين قالوا كيف نتوب قال
فاقتلوا انفسكم اى ليقتل البرى منكم من عبادة العجل من
عبده وقيل المراد بالقتل قطع الشهوة كما قيل من لم يعذب
نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحييها ورد هذا جماعة باجماع
المفسرين على ان المراد هنا القتل الحقيقى ذلكم اى القتل خير
لكم عند باريكم من حيث انه طهرة عن الشرك ووصلة
الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فلما امرهم موسى بالقتل
قالوا نصبر لامر الله فجلسوا بالاغنية محتبين وقيل لهم من
حل حياته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو

ملعون

ملعون اى مردود توبته واسلت القوم عليهم الخناجر فكان
الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه فلم يمكنه المضى لامر الله
تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل فارسل الله عليه ضبابة
تشبه سحابة تغشى الارض كالدخان وسحابة سودا لا
يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المسا فلما كثر القتل
دعا موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وبكيا وتضرعا
وقالا يا رب هلكت بنوا اسرايل البقية البقية فكشف الله
تعالى السحابة عنهم وامرهم ان يكفوا عن القتل فكشفت عن
الوف من القتلى روى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال
عدد القتلى سبعون الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله
تعالى اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان
من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله
تعالى فتاب عليكم اى فعلتم ما امرتم به فتاب عليكم اى فتجاوز
عنكم وقبل توبتكم تنبيه ذكر البارى فى قوله تعالى فتوبوا
الى باريكم وترتيب الامر بالقتل عليه اشعار بانهم بلغوا غاية
الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة
البقر التى هى مثلهم فى الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق
بان يسترد منه ما انعم به عليه ولذلك امروا بفك تركيب
ذواتهم بالقتل انه هو التواب اى الذى يكثر قبول التوبة
من المذنبين الرحيم اى البالغ فى الانعام على خلقه واذ قلتم
يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وذلك ان الله

تعالى امر موسى عليه الصلاة والسلام ان يأتيه في نفر من بني
اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين
رجلا من قومه من خياركم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا
ثيابكم ففعلوا ذلك فخرج موسى الى طور سينا لميقات ربه
فقالوا لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال لهم افعل فلما
دنا موسى من الجبل وقع عليهم عمود الغمام فغشي الجبل كله
فدخل في الغمام وقال للقوم ادنوا فدنوا فدخلوا في الغمام
وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع وجهه نورا ساطع
لا يستطيع احد من بني ادم ان ينظروا اليه فضرب دونهم الحجاب
وسمعوه وهو يكلم موسى بامره ونهيه واسمعهم الله تعالى انى
انا الله لا اله الا انا اخرجتكم من ارض مصر من بيت عبودية فاعبدوني
ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام اقبل عليهم
فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة عيانا وذلك ان العرب
تجعل العلم بالقلب رؤية فقالوا جهرة ليعلم ان المراد منه العيان
روى عن السوسي امالة الالف بعد الراء في نرى وترقيق اللام
عن اسم الله وروى عنه تفخيم اللام مع الامالة وله وجه ثالث
كالجماعة وهو عدم الامالة مع تفخيم اللام فان قيل اين تمال
الالف وهي تسقط عند التقاء الساكنين اجيب بانه لو لا
امالتها اميلت الرا لان القارئ اذا اراد ان يميل الالف لا
يتمكن من الامالة الا بامالة ما قبله فاخذتكم الصاعقة
اى الصيحة فتتم وقيل جاءت نار من السما فاحرقتهم وذلك

لفرط

لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى
يشبه الاجسام فطلبوا رويته رؤية الاجسام فى الجهات
والاحياز القابلة للرائى وهو محال بل المراد انه يرى رؤية تنزهه
عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الاخرة والافراد من الانبيا
فى بعض الاحوال فى الدنيا **وانتم تنظرون** اى ينظر بعضكم
الى بعض حين اخذتهم الموت وقيل تعلمون ويكون النظر بمعنى
العلم فلما هلكوا جعل موسى يبكى ويتضرع ويقول ماذا
اقول لبنى اسرايل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم او شيئ
اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل
يناشد ربه حتى احياهم الله تعالى رجلا بعد رجل بعد ما
ماتوا وليلة ينظر بعضهم الى بعض اى كيف يحيون كما قال
تعالى **ثم بعثناكم** احييناكم والبعث اثارة الشئ عن محله
يقال بعثت البعير فانبعث وبعثت النائم فانبعث **من بعد**
موتكم بسبب الصاعقة قال قتادة احياهم ليستوفوا بقية
اجالهم وارزاقهم ولو ماتوا باجالهم لبعثوا وقيد البعث
بعد الموت لانه قد يكون عن اغماء او نحوه كقوله تعالى فضربنا
على اذانهم فى الكهف الى ان قال **ثم بعثناهم** اى من النوم **لعلكم**
تشكرون نعمة البعث او ما كفروه من النعم المتتابعة
وظللنا عليكم الغمام فى التيه يقيكم حر الشمس والغمام من
الغمر وهو ما له التغطية والستر يسمى السحاب غماما لانه يغطى
وجه الشمس وذلك انه لم يكن له فى التيه كن يستترهم

شكوا الى موسى صلى الله عليه وسلم فارسل الله تعالى غماما
ابيض رقيقا اطيب من غمام المطر وجعل لهم عمودا من نور
يضئ لهم بالليل اذ لم يكن قمر سيرون في ضوءه وكانت ثيابهم
لا تتسخ ولا تبلى وغلظ ورش اللام المفتوحة بعد الظاء وانزلنا
عليكم المن والسلوى في التيه والاكثرون على ان المن هو
الترنجبين قال مجاهد هو شئ كالصمغ كان يقع على الاشجار
طعمه كالشهد وكان يقع على اشجارهم كل ليلة مثل الثلج فكل
انسان منهم صاع فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته
فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فانزل الله عليهم السلوى جمع
سلواة وهو الطير السماني بتخفيف الميم والقصر جمع سمانا
وهو العلم المعروف وقيل هو طائر يشبهه بعث الله سحابة
فطرت السماني في عرض ميل وطول ميل في السماء بعضه على
بعض وكان الله تعالى ينزل عليهم المن والسلوى كل صباح
من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فكان كل واحد منهم يأخذ
ما يكفيه يومين يوما وليلة واذا كان يوم الجمعة يأخذ كل واحد
منهم ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت وقرأ
السلوى حمزة والكسائي بالامالة محضة وابو عمرو بين بين
وورش بالفتح وبين اللفظين فان قيل لم قدم في الآية المن
على السلوى مع انها غذاء والمن حلوى والعادة تقديم الغذاء على
الحلوى اجيب بان نزول المن من السماء امر مخالف للعادة
فقدم لاستعظامه بخلاف الطير المألوف وايضا هو مقدم

في النزول

فى النزول عليهم كلوا على ارادة القول اى قلنا لهم كلوا من طيبات
حلالات ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فكفروا النعمة وادخروا
فقطع الله ذلك عنهم وودود وفسد ما ادخروه فقوله تعالى وما
ظلمونا اى بذلك فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا
بهذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون لان وباله
عليهم روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم تخبث الطعام
ولم يخنن اللحم ولولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر واذ قلنا
لهم بعد خروجهم من التيه ادخلوا هذه القرية اى بيت
المقدس كما قاله مجاهد او اريحا بفتح الهمزة وكسر الراء وبالحاء
المهملة كما قاله ابن عباس وهى قرية الجبارين كان فيها قوم
من بقية عاد يقال لهم العمالقة وراسهم عوج بن عنق قال
ابن الاثير وهى قرية بالغور قريبة من بيت المقدس وقيل
البلقاء وقيل الرملة والاردن وفلسطين وقيل الشام سميت
القرية قرية لانها تجمع اهلها ومنه المقراة للحوض لانها تجمع الماء
فكلوا منها حيث شئتم رغدا اى واسعا لا حجر فيه وادخلوا
الباب اى بابا من ابواب القرية وكان لها سبعة ابواب سجدا
اى منحنين او ساجدين السجود الشرعى لله
شكرا على اخراجكم من التيه وقولوا مسئلتنا حطة اى ان
تحط عنا خطايانا قال قتادة امروا بالاستغفار وقال ابن
عباس بلا اله الا الله لانها تحط الذنوب وقيل معناه امرنا

حطة اى شأننا ان نحط فى هذه القرية ونقيم فيها حتى
ندخل الباب سجدا مع التواضع نغفر لكم خطاياكم بسجودكم
ودعائكم وقرا نافع بيا مضمومة على التذكير مع فتح الفا وقرا
ابن عامر تغفر بتا مضمومة على التانيث مع فتح الفا ايضا
وقرا الباقون بالنون مفتوحة مع كسر الفا وقرا الكسائى
خطاياكم بالامالة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون
بالفتح وسنزيد المحسنين بالطاعة ثوابا جعل الله تعالى
قوله قولوا حطة تربة للمسى وسبب زيادة الثواب للمحسن
فان قيل كيف عطف وسنزيد مع انه مرفوع على نغفر مع
انه مجزوم جوابا للامر اجيب بانه اخرجه عن صورة
الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله
فكيف اذا فعله وانه يفعل الاعمالة وسبب اخراج ما ذكر
عن صورة الجواب الى الوعد ان الزيادة اذا كانت من وعد الله
كانت اعظم مما اذا كانت مسببة عن فعلهم فبدل الذين
ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم تعالى احبة فى شعرة
وقد خلوا يزحفون على استاههم مخالفة فى الفعل كما بدلوا القول
روى معمر عن همام بن منبه انه سمع ابا هريرة يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبنى اسرايل ادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على
استاههم وقالوا حبة فى شعرة وفى رواية فى شعيرة وقوله
تعالى فانزلنا على الذين ظلموا فيه وضع الظاهر موضع المضمر

مبالغة

مبالغة فى تقبيح امرهم واشعار بان انزال الرجز عليهم لظلمهم
بوضع غير ما مور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما
يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا اى عذابا مقدرا
من السما وقيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم فى ساعة
واحدة سبعون الفا وقيل اربعة وعشرون الفا بما كانوا
يفسقون اى بسبب فسقهم اى خروجهم عن الطاعة واذ
استسقى موسى طلب السقى لقومه وذلك انهم عطشوا
فى التيه فسالوا موسى ان يستسقى لهم ففعل فاوحى الله
اليه كما قال فقلنا اضرب بعصاك الحجر وكانت من آس الجنة
بالمد اى شجرها وهو المرسين وروى عن ابن عباس انها
كانت من عوسج طولها عشرة اذرع على طول موسى وكان
لها شعبتان تشتعلان فى الظلمة نورا واسمها عليق وقال
مقاتل اسمها بقفة حملها ادم من الجنة ودفع الى شعيب
فاعطاه لموسى مع العصاة او الحجر الذى فر بثوبه لما وضعه
عليه ليغتسل وسربه على ملا من بنى اسرايل وهو حجر
خفيف مربع كراس الرجل رخام او كدان وبراه الله بعد ما
رموه به من الادرة وهى بضم الهمزة كبر الانثيين فلما وقف
اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله تعالى يقول
ارفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة او للجنس قال
البيضاوى وهذا اظهر فى الجنة ويدل له قوله وهب لم يكن حجرا
معينا بل كان موسى يضرب اى حجر كان فينفجر عيونا لكل

سبط عين ثم تسيل كل عين في جدول الى السبط الذي امر
ان يسقيهم وكانوا بنوا اسرايل اثني عشر سبطا ولكن لما قالوا
كيف بنا لو فضينا الى ارض لا حجارة فيها حمل حجرا في مخلاته
وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل
فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطاشا فاوحى الله
تعالى اليه لا تفزع الحجارة وكلمها تعطك لعلهم يعتبرون وقوله
تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف اي
فضربه فانفجرت اي سالت قال ابو عمرو بن العلا انبجست
عرقت وانفجرت سالت وقال عطا كان يضربه موسى اثني عشرة
ضربة فيظهر على كل موضع ضربة مثل ثدي المراة فيعرق ثم
تتفجر الانهار ثم تسيل قد علم كل اناس اي سبط منهم مشربهم
اي عينهم التي يشربون منها لا يدخل سبط على غيره في
شربه وقلنا لهم كلوا واشربوا من رزق الله اي كلوا
من المن والسلوى واشربوا من الما فهذا كله من رزق الله
الذي ياتيكم بلا مشقة ولا تعثوا اي لا تعتدوا في الارض
مفسدين اي حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد
قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي
بفعله ومنه ما يتضمن اصلا راجحا على الفساد كقتل
الخضر الظلام وخرقه السفينة تنبيه من انكر امثال
هذه المعجزات فلغاية جهله بالله تعالى وقلة تدبره في عجايب
صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر كالنورة

ويجذب

ويجذب الحديد كالمغنطيس وينفجر الخل كالكهربا فانه اذا
وضع في الما من تحت الارض او لجذب الهوا من الجوانب الاربعة
وتصييره ما بقوة التدبير ونحو ذلك واذكروا اذ قلتم
يا موسى لن نصبر على طعام واحد وذلك انهم لما سيموا
من اكل المن والسلوى وانما عبر عنهما بطعام واحد لعدم تبدلهما
كقول العرب طعام مايدة الامير واحد يريدون انه لا يتغير
الوانه او لان العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر
عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى يخرج منهما اللولو
والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب او لانهم كانوا
يعجنون المن بالسلوى فيصير واحدا او لانهم كانوا ياكلون
احدهما بالاخر فكانا كطعام واحد او ضرب واحد لانهما معا
طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة اي اهل زراعات
فاشتاقوا الى اصلهم الرقي وعادتهم الخبيثة ولذا قالوا
فادع لنا ربك اي فاسيل لاجلنا ربك يخرج لنا يظهر
لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوة موسى بسبب
الاجابة وقوله تعالى مما تنبت الارض من الاسناد المجازي
واقامة القابل وهي الارض لانها قابلة للنبات مقام الفاعل
ومن في قوله مما تنبت الارض للتبعيض ومن في قولهم من
بقلها للبيان والبقل ما تنبت الارض من الخضر وهو ما
ليس له ساق والمراد به المايية التي توكل كالكرفس والنعناع
والكراث وقثائها وفومها وهو الخبز كما قاله ابن عباس ومنه

قوموا لنا اى اخبروا او الحنطة كما قاله عطا او الثوم كما قاله
الكلبى وعدسها وبصلها قال اى الله او موسى اتستبدلون
الذى هو ادنى اى اخس واردى من ادنو اذا قرب فى المكان
فاستعير للخسة كما استعير البعد فى الشرف والرفعة
فقيل بعيد الهمة بعيد المحل بالذى هو خير اى اشرف وهو
المن والسلوى فانه خير فى اللذة والنفع وعدم الحاجة الى
الى السعى اى اتاخذون هذا بدل هذا والهمزة للانكار فابوا
ان يرجعوا فدعى موسى ربه فقال تعالى اهبطوا اى انزلوا
فان هبط يستعمل متعديا بنفسه كما هنا فيكون بمعنى النزول
ويستعمل متعديا بمن فيكون بمعنى الخروج من مكان الى اخر
مساو له او اعلا منه مصرا من الامصار او امصر البلد العظيم
لا العلم بفتح اللام وقيل اراد به العلم وهى مصر موسى وفرعون
قاله البيضاوى ويؤيده اى القول بان المراد بمصر العلم
انه غير منون فى مصحف ابن مسعود اى وهى قراءة شاذة
وانما صرفه على هذا مع ان فيه العلمية والتانيث لسكون
وسطه او على تاويل مصر بالمكان قد ذكره فيستحق فيه سببا
واحدا فانصرف فان لكم فيه ما سالتم من نبات الارض
وضربت عليهم اى احيطت احاطة القبة بمن ضربت عليه
او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط الذلة اى
الذل والهوان وقيل الجزية والمسكنة اى الفقر وسمى الفقير
مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة وفعل بهم ذلك

بجازاة لهم على كفران النعمة ولذلك تجد اليهود في غالب
الامر اذلا مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان
يضاعف جزيتهم وقيل الذلة فقر القلب فلا ترى في اهل الملل
اذل واحرص على المال من اليهود وقرأ حمزة والكسائي عليهم بضم
الهاء والميم وقفا ووصلا وباقي القراء بكسر الهاء وضم الميم وصلا
وفي الوقف بكسر الهاء وسكون الميم وباؤا اي رجعوا بغضب
من الله ولا يقال بالا بشر واصل البوء المساواة وقال ابو
عبيدة احتملوا واقروا به ومنه الدعاء ابوء بنعمتك وابوء
بذنبي اي اقر وقوله تعالى ذلك اشارة الى ما مر من ضرب الذلة
والمسكنة والبوء بالغضب بانهم اي سبب انهم كانوا يكفرون
بايات الله بصفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم في التوراة
ويكفرون بالانجيل والقرآن وبالمعجزات التي من جملتها ما عد
عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار
العيون من الحجر ويقتلون النبيين بغير الحق اي ظلما فانهم
قتلوا شعيبا وزكريا ويحيى وغيرهم روي ان اليهود قتلوا
سبعين نبيا في اول النهار وقامت سوق بقلهم اخر النهار
فان قيل لم قال بغير الحق وقتل النبيين لا يكون الا بغير
الحق اجيب بانه ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة
بالحق وتارة بغير الحق وهو مثل قوله تعالى قل رب احكم بالحق
ذكر الحق وصفا للحكم لان حكمه ينقسم الى الحق والجور وانه
بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقد به جواز قتلهم فان قيل

ان الله تعالى قد اخبر بقتل الانبيا ونذر الرسل فكيف الجمع
اجيب بان المحل مختلف فالرسول غير النبي وبان المراد
بالنصر الغلبة باظهار الحجة لا العصمة من القتل وانما حملهم
على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه تعالى بقوله
تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى جرهم العصيان
والتمادى والاعتداء الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان
صغار الذنوب اسباب تؤدى الى ارتكاب كبائرها كما ان صغار
الطاعات اسباب مؤدية الى تحرى كبائرهم وكرر الاشارة
للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب
ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى
الكفر والقتل والباء بمعنى مع وعلى هذا انما جوزت الاشارة
بالمفرد الى شيئين قصاعدا على تاويل ما ذكر والذى حسن
ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست
على الحقيقة ولذلك جاز الذى بمعنى الجمع وقرا النبيين نافع
بالهمزة والباقون بالياء وورش على اصله فى الهمز فالمد والتوسط
والقصر ان الذين امنوا بالنبيين من قبل والذين هادوا
اى اليهود سموا به لقولهم انا هدنا اليك اى ملنا اليك وقيل
لانهم هادوا اى تابوا من عبادة العجل وكانهم سموا باسم اكبر
اولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال ابو عمرو بن
العلا لانهم يتهودون اى يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون
ان السموات والارض تحركت حين اتى الله موسى التوراة

والنصارى

والنصارى جمع نصراني كندامى واليا في نصراني للمبالغة
سموا بذلك لانهم نصروا المسيح قال الحواريون نحن انصار
الله فان قيل هذا ليس جاريا على قواعد الاشتقاق فانه يقال
لواحد ناصر وفاعل لا يجمع على فعالى اجيب بان ذلك كاف
في الاشتقاق وان لم يجمع المفرد على فعالى او لانهم معه في قرية
يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها على الاول او من
اسمها على الثاني والصابيين وهم طائفة من النصارى وقيل
من اليهود وقيل قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل
دينهم دين نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هم عبدة
الملائكة او الكواكب وقرا نافع وحده بالياء اما لانه خفف
الهمزة او لانه من صبى اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان
الى دينهم او من الحق الى الباطل والباقون بالهمزة بعد الباء الموحدة
من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا اي من كان منهم
في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه وبالمبدا والمعاد عاملا
بمقتضى شرعه وقيل من امن من هولاء الكفرة ايمانا خالصا
ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم اي ثواب
اعمالهم عند ربهم بان يدخلهم الجنة ولا خوف عليهم
في الدنيا ولا هم يحزنون في الاخرة او حين يخاف الكفار
من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت
الثواب تنبيه روعي في ضمير امن وعمل لفظ من وفيما
بعدها معناها ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر

ان اوبدل من اسمران وخبرها فلهم اجرهم والف المتضمن المسند
اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبران من حيث انها
لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذكروا اذ اخذنا
ميثاقكم اى عهدكم باتباع موسى والعمل بما في التوراة وقد
رفعنا فوقكم الطور اى الجبل حين اعطيتم الميثاق وذلك ان
موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة وراوا ما فيها
من التكاليف الشاقة كبرت عليهم لانها كانت شريعة
ثقيلة وابوا قبولها فامر الله تعالى جبريل باقتلاع الطور
فظلله فوقهم وكان على قدر عساكرهم وكان فرسخا في فرسخ
فرفعه فوق رؤسهم مقدار قامة رجل كما بالظلة وقال لهم ان
لم تقبلوا التوراة ارسلت هذا الجبل عليكم وقال عطاء عن
ابن عباس رفع الله فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من
قبل وجوههم واتاهم البحر المالح من خلفهم وقيل فان قبلتم والا
رضختكم بهذا الجبل واغرقتكم في هذا البحر او حرقتكم بهذه
النار فلما راوا ان لا مهرب لهم من ذلك قبلوا وسجدوا وجعلوا
يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا
يسجدون الا على اصناف وجوههم ويقولون هذا السجود
لرفع العذاب عنا خذوا ما اتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه بالعمل
به او تفكروا فيه فانه تذكر بالقلب كما ان الدرس ذكر
باللسان.

باللسان او اد رسوه ولا تنسوه لعلكم تتقون لكى تتقوا النار
او المعاصى ثم توليتم اعرضتم عن الوفا بالميثاق من بعد
ذلك اى بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته اى
بتوفيقكم للتوبة او بالامهال وتاخير العذاب عنكم او بارسال
محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم
من الخاسرين اى من المغبونين بالانهماك فى المعاصى او
بالعقوبة وذهاب الدنيا والاخرة تنبيه اوفى الاصل
لامتناع الشى لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد ابانا
او هو امتناع الشى لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند
سيبويه مبتدا خبره واجب الحذف لدلالة الكلام وعند
الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد
علمتم اللام موطية للقسم اى عرفتم الذين اعتدوا
تجاوزوا الحد منكم فى السبت بصيد السمك وذلك انهم
كانوا زمن داود عليه الصلاة والسلام بارض يقال لها
ايلة حرم الله تعالى عليهم صيد السمك يوم السبت فكان
اذا دخل السبت لم يبق حوت فى البحر الا حضر هناك واخرج
خرطومه حتى لا يرى الماء لكثرتها فاذا مضى تفرقت
ولزمت قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تاتيهم حيتانهم يوم
سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم
بما كانوا يفسقون ثم ان الشيطان وسوس لهم وقال
انما نهيتكم عن اخذها يوم السبت فعمد رجال فحفروا

الحياض حول البحر وشرعوا منه اليها الانهار فاذا كان عشية الجمعة
فتحوا تلك الانهار فاقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا تقدر على
الخروج لبعد عمقها وقلة مائها فاذا كان يوم الاحد اخذوها
فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم ففعلوا ذلك زمانا ولم
تنزل عليهم عقوبة فتجروا على الذنب وقالوا ما نرى السبت
الا قد احل لنا فاكلوا وملحوا وباعوا فلما فعلوا ذلك صار اهل
القرية وكانوا نحو من سبعين الفا ثلاثة اصناف صنف
امسك ونهى وصنف امسك ولم ينه وصنف انتهك الحرمة
وكان الناهون اثني عشر الفا فلما ابا المجرمون قبول نصحهم
قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار
فقلنا لهم لاصرارهم على المعصية كونوا قردة ناسين
اي متبعدين فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج
من المجرمين احدا ولم يفتحوا بابهم فلما ابطاوا تسوروا
على الحائط فاذا جميعا قردة لهم اذناب يتعاوون قال قتادة
صار الشبان قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام
ثم هلكوا ولم يمكث ممسوخ فوق ثلاثة ايام ولم يتوالدوا
وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة
كما مثلوا بالحمار كما في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا رواه
عنه ابن جرير ورده وقال انه مخالف لظاهر القران والاحاديث
واجماع المفسرين وقوله تعالى كونوا ليس بامر اذ لا قدرة
لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك

كما

كما اراد بهم فجعلناها اى تلك العقوبة نكالا اى عبرة تتكمل
المعتبر بها اى تمنعه من ارتكاب مثل ما عملوا ومنه عن اليمين
وهو الامتناع لما بين يديها وما خلفها اى للامم التى فى
زمانها وبعدها او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او
لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم
وما تاخر منها وموعظة للمتقين الله من قومهم او لكل متق
سمعها وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم
واذكر اذ قال موسى لقومه ان الله يامركم قرا ابو عمرو
بسكون الراء وروى عن الدورى اختلاس الحركة والباقون
بالحركة الكاملة والحركة ضمة ان تذبحوا بقرة اول هذه
القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما
فات عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع اخر من مساويهم
وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء فى السؤال وترك المسارعة
الى الامتثال وقصته انه كان فيهم رجل غنى وله ابن عم فقير
لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله
الى قرية اخرى فالقاه ببابها ثم يصبح يطلب ديته وجا
يناس الى موسى يدعى عليهم القتل فسالهم فجحدوا فاشتبه
امر القتل على موسى قال الكلبى وذلك قبل نزول القسامة
فى التوراة فسالوا موسى ليدعو الله ليبين لهم بدعائه فدعا
فامرهم الله تعالى بذبح بقرة ويضربوا القتيل ببعضها
فيحيى فيخبر بقاتله فقال موسى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة

قالوا اتخذنا هزوا اى نستهزو بنا نحن نسيل عن امر القتيل
ويامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك استبعادا لما قالوه استخفافا
به قرا حمزة بسكون الزاى فى الوصل واذا وقف قال هذا بنصب
الزاى من غير همز وروى عنه الادغام وهو ان يشدد الزاء
وقرا حفص بضم الزاى بعدها همزة مفتوحة قال اعوذ
اى امتنع بالله من ان اكون من الجاهلين لان الهزا فى مثل
ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمى به على طريقة البرهان
واخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استقطاعا له فلما علم
القوم ان ذبح البقرة عزم من الله استوصفوه ولعلهم
عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزاتها ولكنهم شددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم وكان تحته حكمة وذلك انه كان فى بنى اسرايل
رجل صالح له ابن طفل وله عجلة اتى بها الى غيضة وقال
اللهم انى استودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات الرجل
فصارت العجلة فى الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من
راها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته فكان يقسم الليل ثلثا
يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح
انطلق فاحتطب على ظهره فياتى به السوق فيبيعه بما
شاء الله ثم يتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويعطى والدته ثلثه
فقالت له امه يوما ان اباك ورثك عجلة استودعها الله
فى غيضة كذا فانطلق وادع الله الله ابراهيم واسماعيل
واسحاق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها

خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تلك
البقرة تسمى الذهبية لحسنها وصفوتها فاتى الفتى الغيضة
فراها ترعى فصاح بها وقال اقسم عليك بالله ابراهيم واسمعيل
واسحاق ويعقوب فاقبلت تسعى بين يديه فقبض على
عنقها يقودها فتكلمت البقرة وقالت باذن الله تعالى
وقالت ايها الفتى البار بوالدته ارجعني فان ذلك اهون عليك
فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها
فقالت البقرة يا بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر
على ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقطع من اصله
وينطلق معك لفعل لبر بامك فصار الفتى بها الى امه
فقالت له انك فقير لا مال لك وشق عليك الاحتطاب
بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة فقال بكم
ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن
البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا
ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان
الله به خبيرا فقال الملك له بكم تبع هذه البقرة قال بثلاثة
دنانير واشترط عليك رضى والدتي فقال الملك له سنة دنانير
ولا تستامر والدتك فقال الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا لم اخذه
الا برضى امي فردها الى امه فاخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها
بستة دنانير على رضى مني فانطلق بها الى السوق واتى الملك
فقال استامرت امك فقال الفتى انها امرتني ان لا انقصها من

ستة دنانير على ان استامرها فقال الملك فانى اعطيك اثنى
عشر دينارا على ان لا تستامرها فاتى الفتى ورجع الى امه
واخبرها بذلك فقالت ان الذى ياتيك ملك من الملوك فى
صورة ادمى ليختبرك فاذا اتاك فقل له انا مرنا ان نبيع هذه
البقرة امر لا تفعل فقال الملك اذهب الى امك وقل لها امسكى
هذه البقرة فان موسى بن عمران سيشتريها منك لقتيل يقتل
فى بنى اسرايل فلا تبيعوها الا بملء مسكها اى جلدها ذهبا
دنانير فامسكوها وقدر الله تعالى على بنى اسرايل فرح تلك
البقرة بعينها فجاز الواسيتوصفوها حتى وصف تلك
البقرة مكافاة لهم على بر والدته فضلا منه ورحمة فذلك
قوله عز وجل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى اى ما سنها
وكان من حقه ان يقولوا اى بقرة هى او كيف هى لان لفظ ما
يسيل به عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به على خلاف
المعهود جدبها شئ من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته
ولم يروا مثله قال موسى انه اى ربى يقول انها بقرة
لا فارض اى مسنة وسميت فارضا لانها فرضت سنها اى
قطعتها وبلغت اخرها ولا بكر اى صغيرة عوان اى
نصف اى وسط قال الشاعر نواعم بين ابكار وعون جمع
عوان بين ذلك اى بين ما ذكر من الفارض والبكر فان قيل
بين يقتضى شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك
اجيب بانه فى معنى شئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر

كما تقرر وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة
يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت
الخطاب بالامر ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من جانب
البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسوالهم ويلزمه
النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال التخيير الثابت بالنص
والحق جواز تاخير البيان عن الوقت المذكور والنسخ قبل
الفعل ويؤيد الراي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه
الصلاة والسلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزاتهم ولكنهم
شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتعريضهم بالتمادي
وزجرهم عن المراجعة بقوله تعالى فافعلوا ما تؤمرون به
من ذبحها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال موسى انه
اي ربي يقول انها بقرة صفرا فاقع لونها اي شديد الصفرة
ولذلك تؤكد به الصفرة فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود
حالك وعن الحسن سواد شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى
جمالات صفر قال البيضاوي ولعله عبر بالصفرة عن السواد
لانه من مقدماته قال البغوي والاول اصح لانه لا يقال
اسود فاقع انما يقال اصفر فاقع واسود حالك واخضر ناصح
تسر الناظرين اليها اي يعجبهم حسنها وصفا لونها والسرور
اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي اسايمة امر عامله وعلى
هذا فليس تكرار للسوال الاول ان البقر اي جنسه المنعوت

كما ذكر تشابه اى التبس واشتبه امره علينا لكثرته
فلم نهتد والى المقصودة تشبه لم يقل تشابهت عليا
لان المراد جنس كامر اولتذكير لفظ البقر كقوله تعالى
اعجاز نخل منقعر وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها
وفى الحديث لولم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد واحتج
به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى ان الامر
قد ينفك عن الارادة والامر يكون للشرط بعد الامر معنى
والمعتزلة الملزامية على حدوث الارادة لانها وقعت شرطا
والشرط امر محدث فى المستقبل واجيب بان تعلق الاقتدى
بالمشيئة التى هى الارادة باعتبار تعلق المشيئة بالاهتدى
وهذا التعلق هو الحادث ولا يلزم من ذلك قيام الحوادث
به تعالى لان التعلق امر اعتبارى قال موسى انه اى ربى
يقول انها بقرة لا ذلول اى غير مذللة بالعمل تثير الارض
تقلبها للزراعة والجملة صفة ذلول داخلة فى النفى ولا
تسقى الحرث اى الارض المهيئة للزرعية ولا الثانية
مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قال لا
ذلول مثيرة وساقية مسلمة من العيوب واثار العمل
لا شية اى لا لون فيها سوى لون جميع جلدها قال
مجاهد لا بياض فيها ولا سواد قالوا الان جئت اى نطقت
بالحق اى بالبيان التام الشافى الذى لا اشكال فيه فطلبوها
فوجدوها عند الفتى البار بامه فاشتروها على مسكها اى

جلدها

جلدها ذهبا كما قال له الملك وقوله تعالى فذبحوها فيه
اختصار التقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها
وما كادوا اى ما قاربوا يفعلون لتطويلهم وكثرة
مراجعاتهم او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء ثمنها
وكاد ينافى قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف
وقتيهما اذ المعنى ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم
وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجا الى الفعل واذ
قتلتم نفسا خطاب للجمع بوجوه القتل فيهم فادارأتم فيه
ادغام التاء فى الاصل فى الدال اى تخاصمتم وتدافعتم فيها
اى فى شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم
بان طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه والله مخرج اى مظهر
ما كنتم تكتمون فان القاتل كان يكتم القتل وقوله تعالى فقلنا
اضربوه اى القتيل عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض
والضمير للنفس وتذكير الضمير على تاويل الشخص او
القتيل ببعضها اى ببعض البقرة واختلفوا فى ذلك البعض
فقال ابن عباس رضى الله عنهما واكثر المفسرين ضربوه
بالعظم الذى يلى الغضروف وهو بالاذن من العظام وقال
مجاهد وسعيد بن جبير بعجب الذنب لانه اول ما يخلق
واخر ما يبلى ويركب عليه الخلق وقال الضحاك بلسانها
قال الحسين بن الفضل لانه آلة الكلام وقال عكرمة
والكلبى بفخذها الايمن وقيل ببضعة منها لا بعينه ففعلوا

ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب
دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله
الميراث وقتل وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة
وفيه اضمار بتقدير فضرب فحيي قال تعالى كذلك الاحيا
يحيي الله الموتى الخطاب مع من حضر حياة القتيل او وه
نزول الاية ويريكم اياته دلايل قدرته لعلكم تعقلون لكي
يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على اح
الانفس كلها فتؤمنون قال البيضاوي ولعله تعالى انما لم
يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب وادا
الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل اي توكل
ابي اليتيم والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان
يقدم قربه والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويقال بثمنه
كما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه ضحى بنجيبة اي
من الابل بثلثمائة دينار وان الموتى في الحقيقة هو الله تعالى
اذ لا يتصور حياة ميت من غيره والاسباب امارات لا اثر
لها وان من اراد ان يعرف اعداء وه الساعي في اماتته
الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة
الشهوية حين زال عنها انرة الصبا اي عدم التكليف
وهو نظير لا بكر ولم يلحقها ضعف الكبر وهو نظير لا فارض
وكانت معجبة رافعة المنظر اي وهو نظير تسر الناظرين غير
مذللة في طلب الدنيا اي وهو لا ذلول تثير الارض مسلمة

عن دسمها لاسمة اى لاعلامة بها من قبايحها حيث يصل
اثره اى الذبح الى نفسه فتحيى حياة طيبة ويموت الذبح
عما به ينكشف الحال ويرتفع مابين العقل والوهم من
التدارء والنزاع اى لان العقل يامر بالخير والوهم يامر بالشهوات
ثم قست قلوبكم ايها اليهود اى صلبت من قبول الحق لان
القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما فى الحجر وقساوة
القلب مثل فى بعده عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة
عن الاحياء لا للتراخى فى الزمان بل الاستبعاد بحسب القرينة
ماقبلها بمعنى انه يبعد عن العاقل قسوة القلب بعد ظهور
تلك الاية العظيمة من بعد ذلك المذكور من احياء القتيل
وما قبله من الايات فان ذكر ما يوجب لين القلب لان
كما لجارة فى قسوتها قرا قالون وابو عمرو والكسائى بسكون
الهاء الباقون بكسرها او اشد قسوة من الحجارة وقيل او
بمعنى الواو وكتب له مايه الف او يزيد دون وانما لم يشبهها
بالحديد مع انه اصلب من الحجارة لان الحديد قابل للين فانه
يلين بالنار قوله تعالى جمالات صفر قال البيضاوى وجعله
عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته قال البغوى
والاول اصح لانه لا يقال اسود فاقع انما يقال اصفر فاقع
واسود حالك وحصور وقد لان لداود عليه الصلاة
والسلام والحجارة لا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب
القاسى فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اى من

بعض الحجارة وقيل اراد به الحجر الذى كان يضرب عليه موسى
للاسباط وان منها لما يشقق فيه ادغام التاء فى الاصل فى
الشين فيخرج منه الما اى عيونا دون الانهار وان منها
لما يهبط اى ينزل من اعلا الجبل الى اسفله من خشية الله
وقلوبكم لا تتاثر ولا تلين ولا تخشع يا معشر اليهود فان قيل
الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى اجيب بان الله يفهمه ويلهمه
فيخشى بالهامه قال البغوى ومذهب اهل السنة ان لله
تعالى علما فى الجمادات وساير الحيوانات سوى العقلا لا يقف
عليها غيره فلها صلاة وتسبيح كما قال جل ذكره وان من شى
الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته
وتسبيحه وقال تعالى الم تر ان الله يسجد له من فى السموات
ومن فى الارض والشمس والقمر الاية فيجب على المرء الايمان كان
به ويكل علمه الى الله سبحانه وتعالى روى ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان على ثبير والكفار يطلعونه فقال الجبل انزل عنى فانى
اخاف ان تؤخذ على فيعاقبنى الله بذلك فقال له جبل حرا
الى الى يا رسول الله وروى عن على رضى الله تعالى عنه
صلى الله عليه وسلم قال انى لاعرف حجرا بمكة كان
يسلم على قبل ان ابعث وانى لاعرفه الآن وروى عن على
انه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فرحنا
فى نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر فلم نمر بشجرة
ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى عن

جابر

جابر انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب استند
الى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى
عليه اضطربت تلك السارية وحنت حنين الناقة حتى
سمعها اهل المسجد حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعتنقها فسكنت وقال مجاهد لا ينزل حجر من اعلى الى
اسفل الا من خشية الله ويشهد لذلك قوله تعالى لو
انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من
خشية الله وما الله بغافل اى بساه عما تعملون وعيد
وتهديد وقيل بتارك عقوبة ما تعملون فيجازيكم به وقرا
ابن كثير بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب افتطمعون
اى افترجون ايها المؤمنون ان يؤمنوا اى اليهود لكم اى
لاجل دعوتكم او يصدقوكم فيما تخبرونهم به وقد كان فريق
طائفة منهم اى احبارهم يسمعون كلام الله اى التوراة ثم
يحرفونه بغيرونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم
وقيل هولاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم
موسى عليه الصلاة والسلام بالطور ثم قالوا سمعنا
الله يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا
فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اى فهموه
بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون
والجملة للذكار اى لا تطمعوا في ايمانهم فلهم سابقة في الكفر واذا
لقوا اى منافقو اليهود الذين امنوا قالوا امنا بانكم على

الحق ورسولكم هو المبشر به في التوراة واذا خلى اى رجع بعضهم
الى بعض قالوا اى روساؤهم الذين لم ينافقوا ككعب بن الاشرف
وكعب بن اسد ووهب بن يهود المنافق اتحدثونهم اى
المومنين بما فتح الله عليكم اى بما بين لكم في التوراة من نعت
محمد صلى الله عليه وسلم ليحاجوكم اى ليخاصموكم به عند ربكم
اى بما انزل ربكم في كتابه ويقيموا عليكم الحجة بترك اتباعه
مع علمكم بصدقه جعلوا محاجتهم بكتاب الله محاجة عند
الله كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل
بين يدى رسول ربكم وقيل عند ربكم في الاخرة وقوله تعالى
افلا تعقلون اما من تمام كلام اللايمين وهم خاص اليهود
وتقديره افلا تعقلون انهم محاجونكم فيحجبونكم واما خطاب
من الله للمومنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى فلا
تعقلون حالهم وانهم لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون اى
اللايمون او المنافقون او كلاهما ان الله يعلم ما يسرون وما
يعلنون من اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفا ما فتح
الله عليهم واظهار غيره وغير ذلك فيرجعوا عن ذلك ومنهم
اى اليهود اميون اى عوام جهلة لا يعلمون الكتاب اى لا
يعرفون التوراة او الكتابة فيطالعون التوراة ويتحققون ما
فيها وقوله تعالى الا اماني استثنا منقطع اى لكن اكاذيب
تلقوها من روسايهم فاعتمدوها وان هم اى ما هم الا قوم
يظنون ظنا لا علم لهم وقد يطلق الظن بازا العلم على كل راى

واعتقاد

واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد
وكالزايغ عن الحق بسبب شبهة قامت عنده فويل اى
واد فى جهنم كما رواه الترمذى قال سعيد ابن المسيب لو سيرت
فيه جبال الدنيا لاماعت من شدة حره وقال ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما هو شدة العذاب للذين يكتبون الكتاب اى
المحرف من التاويلات الزايغة وقوله تعالى بايديهم تاكيد
كقوله كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا من الدنيا وهم اليهود غيروا صفة النبى صلى الله
عليه وسلم فى التوراة واية الرجم وغيرها وكتبوها على خلاف
ما انزل فكانت صفته صلى الله عليه وسلم فى التوراة اكحل
العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فكتبوها طويلا ازرق
العين سبط الشعر وغيروا اية الرجم بالجلد والتحميم اى تسويد
الشعر للوجه فويل لهم مما كتبت ايديهم من المحرف وويل لهم
مما يكسبون من الرشا وقالوا اى اليهود لما وعدهم النبى صلى
الله عليه وسلم النار لن تمسنا اى تصبنا النار الا اياما
معدودة محصورة قليلة روى ان بعضهم قالوا نعذب
بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة
الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما
واحدا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة ايام فان قيل لم وصف
الايام مع انها جمع بالمفرد اجيب بانها فى معنى الجماعة فيكون
مفردا تقديرا ولان جمع القلة كما قال الرضى فى حكم المفرد

يوصف بالمعرد كما هنا قلا انسكاك ثم كذبهم الله تعالى بقوله
قل لهم يا محمد اتخذتم حذف منه همزة الوصل استغنى بهمزة
الاستفهام وقرا ابن كثير ومفضل عن عاصم باظهار الذال عند
التاء والباقون بالادغام عند الله عهدا اى ميثاقا فاسنه بذلك
وقوله تعالى فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اى ان
اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل
على ان الخلف في خبر الله تعالى محال ام تقولون على الله ما لا
تعلمون ام اما منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير
والتقريع واما معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين
على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما وقوله تعالى بلى اثبات
لما نفوه من مساس النار لهم فان بلى ونعم حرفا استدراك
ومعناهما نفى الخبر الماضى واثبات الخبر المستقبل اى بل تمسكم
وتخلدون فيها من كسب سيئة اى فيصحة واحاطت به خطيئته
وقرا نافع وحده خطياته بالجمع اى استولت عليه وشملته
جميع احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شئ من
جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان عمره وان لم يكن له
سوى تصديق قلبه واقرار لسانه لم تحيط الخطية به
ولذلك فسرها السلف بالكفر وقيل السيئة الكبيرة والاحاطة
ان يصر عليها لان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استحوذ الى
معاودة مثله والا نهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى
تستولى عليه الذنوب ويأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا

الى المعاصى

الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا
لمن ينعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان
عاقبة الذين اساءوا السوءى ان كذبوا بايات الله والفرق
بين السيئة والخطيئة ان السيئة قد يتعمل فيما يقصد بالذات
والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب
استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على التهكم كقوله تعالى
فبشره بعذاب اليم فاولئك اصحاب النار اى ملازمون لها في
الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها هم فيها خالدون اى دائمون
وفي فيه معنى من والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب
الكبيرة لانها في الكافر كما مر والذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى
على ان يشفع جرت عادته سبحانه وتعالى وعده بوعيده ليترجى
رحمته ويخشى عذابه تنبيه عطف الفعل على الاسم لدلالته
على خروجه عن مسماه واذكر اذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
في التوراة وقلنا لا تعبدون الا الله هذا اخبار في معنى النهى
كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى
لما فيه من ايهام ان المنهى مسارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على
الخطاب وبالوالدين احسانا اى بران بهما وعطفا عليهما وتركوا
عند امرهما فيما لا يخالف امر الله تعالى قال البيضاوى وهذا
متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا انتهى ويلزمه

ان احسانا فی الایة منصوب علی المصدر المؤکد لعامله المحذوف
مع ان مذهب سیبویه ان المؤکد ممنوع او نادر وقوله تعالی وذی القربی
ای القرابة والیتامی والمساکین عطف علی الوالدین ویتامی
جمع یتیم وهو الطفل الذی لا اب له کندیم وندامی وهو قلیل
ومسکین تفعیل من السکون کان الفقر اسکنه وقولوا للناس
حسنا من الامر بالمعروف والنهی عن المنکر والصدق فی شان
محمد صلی الله علیه وسلم والرفق بهم وقیل هو اللین فی القول
والمعاشرة بحسن الخلق وقرا حمزة والکسائی بفتح الحاء والسین
والباقون بضم الحاء وسکون السین مصدر وصف به مبالغة
واقیموا الصلاة واتوا الزکاة قال البیضاوی یرید ای الله بها
ما فرض علیهم فی ملتهم ثم تولیتم فی هذا التفات عن الغیبة
قال البیضاوی ولعل الخطاب مع الموجودین منهم فی عهد رسول
الله صلی الله علیه وسلم ومن قبلهم علی التغلیب ای اعرضتم
عن المیثاق ورفضتموه الا قلیلا منکم ای وهو من اقام
الیهودیة علی وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم قوم
معرضون ای عادتکم الاعراض عن المواثیق والتولیة
کاعراض اسلافکم واذکروا اذ اخذنا میثاقکم وقلنا لا تسفکون
دماءکم ای تریقونها بقتل بعضکم بعضا ولا تخرجون انفسکم
من دیارکم ای لا یخرج بعضکم بعضا من داره وانما جعل غیر
الرجل نفسه لاتصاله به نسبا ودینا وقیل لا تفعلوا ما
یردیکم ویصیرکم عن احیاء الابدیة فانه القتل فی الحقیقة

ولا تفترقوا ما تمتعون بعض الجنة التي هي دياركم كأنه الجلاء
الحقيقي ثم اقررتم بهذا العهد انه حق وقبلتم وانتم
تشهدون على انفسكم هذا تأكيد كقولك اقر فلان به
شاهدا على نفسه وقيل انتم ايها المشهودون تشهدون
على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم
يا هؤلاء تقتلون انفسكم فيه استبعاد لما ارتكبوه بعد
الميثاق والاقرار والشهادة عليه اى ثم بعد ذلك تقتل بعضكم
بعضا وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون قرا عاصم
وحمزة والكسائى بتخفيف الظاء والباقون بتشديدها اى تتعاونون
عليهم بالاثم اى المعصية والعدوان اى الظلم وان
يأتوكم اسارى قرا حمزة بفتح الهمزة وسكون السين وبالف
بعد السين والباقون بضم الهمزة وفتح السين والف بعدها
تفدوهم قرا عاصم والكسائى بضم التاء وفتح الفاء والف
بعدها والباقون بفتح التاء وسكون الفاء ولا الف بعدها
اى تستنقذوهم من الاسر بالمال وغيره وقوله تعالى وهو
اى الشأن محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله تعالى وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض ومعنى الاية قال
السدى ان الله اخذ على بنى اسرائيل فى التوراة ان لا تقتل
بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وترك
المظاهرة عليهم مع اعدائهم وايما عبد او امة وجد تموه
فى بنى اسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه

ونون

وكانت فريضة خالفوه الاوس وخالفت التصير الخروج
فكان كل فريق يعاون من حلفايه ويخرب ديارهم ويخرجهم
فاذا اسروا عدوهم وكانوا اذا سيلوا تقاتلوهم وتفدوهم
قالوا امرنا بالفداء فيقال فلم تقتلوهم فيقولون حيا ان
يستذل حلفاؤنا فوبخهم الله تعالى بقوله افتؤمنون ببعض
الكتاب وهو الفداء وتكفرون ببعض وهو ترك القتال والاخراج
والمظاهرة فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي اى عذاب وهوان
في الحياة الدنيا فكان خزي قريظة القتل والسبي وخزي بني
النضير الجلاء والنفي عن مكان لهم الى اذرعات واريحا من الشام
ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب اى عذاب جهنم وانما
رد من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وما
الله بغافل عما تعملون قرا نافع وابن كثير وشعبة بالياء على
الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب اولئك الذين اشتروا
اى استبدلوا الحياة الدنيا بالاخرة باداثروها عليها
فلا يخفف عنهم العذاب في الدنيا بفقصان الجزية والتعذيب
في الاخرة ولا هم ينصرون اى يدفعها عنهم ولقد اتينا
اعطينا موسى الكتاب اى التوراة جملة واحدة وقفينا
من بعده بالرسل اى اتبعناهم رسولا في اثر رسول كقوله
تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترا يتقارب قفاه اذا اتبعه اياه
واتينا عيسى بن مريم البينات اى المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات اى بالمجهل

وعيسى بالعبرانية ايشوع ومعناه الخادم وايدناه
اى قويناه بروح القدس قرا ابن كثير باسكان الدال حيث
جاء والباقون بضمها وهذا من اضافة الموصوف الى الصفة
اى الروح المقدسة وهو جبريل وصف به لطهارته وتاييده
به ان امر ان يسير معه حيث سار حتى يصعد به الى السما
وقيل روح عيسى عليه الصلاة والسلام ونفخها لطهارته
عن مس الشيطان او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام
الطوامث اى الحيض وقيل باسم الله الاعظم الذى كان يحيى
به الموتى ولما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه الصلاة
والسلام قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما انتقص
علينا من الانبياء فعلت فاتنا بما اتى به عيسى ان كنت
صادقا فقال الله تعالى افكلما جاءكم رسول يا معشر اليهود
بما لا تهوى اى تحب انفسكم من الحق وقوله تعالى استكبرتم
اى تكبرتم عن اتباعه جواب كلما وهو محل الاستفهام والمراد
به التوبيخ ففريقا اى طائفة كذبتم كموسى وعيسى عليهما
الصلاة والسلام والفا لسببية الاستكبار للتكذيب
او التفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى فان قيل
هلا قال وفريقا قتلتم اجيب بانه انما ذكر بلفظ المضارع
لحكاية الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فان
الامر فظيع ومراعاة للفواصل قال الزمخشرى او اريد
وفريقا تقتلونهم بعد اى الان لانكم در تم حول قتل محمد

لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسميتم له الشاة وقال
صلى الله عليه وسلم عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودنى
فهذا وان قطعت المبرا وقالوا للنبى استهزا قلوبنا غلف
جمع اغلف باغطية لا يتوصل اليها ما جيت به ولا تفقهه مستعار
من الاغلف الذى لم يختن كقولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا
اليه وقيل اصل غلف بالسكون غلف بالضم فخفف والمعنى
انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا نفى ما تقول اى
فما تقوله ليس بعلم او نحن مستغنون بما فيها عن غيره
ثم رد الله تعالى عليهم ان تكون قلوبهم كذلك بقوله تعالى
بل للاضراب لعنهم الله بكفرهم اى بسبب كفرهم والمعنى
انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله
خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم كما قال تعالى فاصمهم واعمى
ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم
والاستغنا عنك فقليلا ما يومنون ما مزيدة لتاكيد القلة
اى ايمانهم ايمانا قليلا جدا وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل
اراد بالقلة العدم ولما جاهم كتاب من عند الله هو القران
مصدقا لما معهم من كتابهم وهو التوراة لا يخالفه وكانوا
اى اليهود من قبل اى من قبل مجيئه يستفتحون اى
يستنصرون على الذين كفروا اى مشركى العرب اذا قابلوهم
يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبى المبعوث فى اخر
الزمان الذى نجد صفته ونعته فى التوراة ويقولون لاعدايهم

من

من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا
فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم اى اليهود ما عرفوا
من الحق وهو بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به حسدا
وخوفا على الرياسة وجواب لما الاولى دل عليه لما الثانية
فلعنة الله اى عذابه وطرده على الكافرين اى عليهم
وانما اتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون
اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلون فيه دخولا
اوليا او اقصديا لانهم المقصودون بالذات وتناول الكلام
لغيرهم على سبيل التبع فهو كما اذا ظلمك انسان فقلت الا
لعنة الله على الظالمين كان ذلك الظالم واليا او مقصودا
في الدعاء والباقون تبعا بئسما اشتروا اى باعوا به انفسهم
اى حظها من الثواب وما نكرة بمعنى شيا مميزة لفاعل
بئس المستكن اى بئس الشى شيا اشتروا به انفسهم
والمخصوص بالذم ان يكفروا اى كفرهم بما انزل الله من
القران بغيا اى حسدا او طلبا لما ليس لهم وهو علة
يكفروا كما قاله البيضاوى دون اشتروا وان قاله الزمخشرى
لفصل المحصور بين بغيا الذى هو العلة وهو المعلول
وهو اشتروا وحسدوه على ان ينزل الله من فضله
اى الوحى على من يشا للرسالة من عباده وهو محمد صلى
الله عليه وسلم وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون نون ينزل
وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى فباؤا

اى رجعوا بغضب على غضب اى مع غضب واختلف فى معنى
ذلك فقال ابن عباس ومجاهد الغضب الاول بتضييعهم
التوراة وتبديلهم والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقال السدى الاول كفرهم بعبادة العجل والثانى بالكفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقال قتادة الاول بكفرهم بعيسى
والانجيل والثانى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وللكافرين
عذاب مهين اى ذو اهانة بخلاف عذاب العاصى فانه
طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله من القرآن
وغيره فيعم سائر الكتب المنزلة قالوا نؤمن بما انزل علينا
اى التوراة يكفينا ذلك ويكفرون الواو للحال بما وراءه
اى مما سواه من الكتب كقوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك
اى سواه وقال ابو عبيدة بما بعده اى من القرآن وقوله تعالى
وهو اى ما وراءه الحق حال وقوله مصدقا لما معهم اى من
التوراة حال ثانية مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم كفروا
بما وافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض الله تعالى بقتل
الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة بقوله تعالى قل لهم يا
محمد فلم تقتلون اى قتلتم انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين
بالتوراة والتوراة لا تسوغه بل نهيتم فيها عن قتلهم والخطاب
للموجودين فى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بما فعل
اباؤهم لرضاهم به وعزمهم عليه قرأ نافع وحده انبياء
الله بالهمز فى كل القرآن والباقون بالبدل وليس لورش الا

المد فقط لانه متصل ولقد جاءكم موسى بالبينات اى
الايات التسع فى قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع
ايات بينات كالعصى واليد وفلق البحر ثم اتخذتم العجل
اى الها من بعده اى بعد ذهابه الى الميقات وقوله تعالى
وانتم ظالمون اى باتخاذه حال اى اتخذتم العجل ظالمين
بعبادته او بالاخلال بايات الله او اعتراض اى وانتم
عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم على العمل بما فى التوراة
وقد رفعنا فوقكم الطور اى الجبل حين امتنعتم من قبولها
ليسقط عليكم واسمعوا ما تؤمرون به سماع قبول
قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك وقيل سمعنا
بالاذان وعصينا بالقلوب قال اهل المعانى انهم لم يقولوا
هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوا بالاذان وتلقوه بالعصيان
نسب ذلك الى القول اتساعا واشربوا فى قلوبهم العجل
اى خالط حبه قلوبهم كما يتداخل الشراب اعماق البدن
وفى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انما يأكلون
فى بطونهم نارا فائدة قال البغوى فى القصص ان
موسى عليه الصلاة والسلام امر ان يبرد العجل بالمبرد ثم
يذر فى النهر وامر بالشرب منه فمن بقى فى قلبه شئ من حب
العجل ظهرت سمالة الذهب على شاربه بكفرهم اى
بسبب كفرهم وذلك انهم كانوا جسمية او حلولية ولم يروا
جسما اعجب منه فتمكن من قلوبهم ما سول لهم السامرى

قل لهم يا محمد بئس ما اى شيا يامركم به ايمانكم بالتوراة عبادة
العجل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلواتك
تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم فى قوله تعالى ان كنتم مومنين
بعبادة العجل قل لهم ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
اى خاصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين فى قولكم وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة مثل
قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ولن يدخل الجنة الا
من كان هودا وقولهم نحن ابنا الله واحباوه فكذبهم الله
عز وجل والزمهم الحجة فقال قل لهم يا محمد ذلك لان من ايقن انه
من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم
والتخلص من الدار ذات الشوايب كما روى عن المبشرين بالجنة
رضى الله تعالى عنهم فقد كان على رضى الله تعالى عنه يطوف
بين الصفين فى غلالة فقال له ابنه الحسين ما هذا نرى
المحاربين فقال له يا بنى لا يبالى ابوك على الموت سقط ام عليه سقط
الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احضر قال حبيب
اى الموت جا على ناقة اى وقت حاجتى اليه وقيل اراد بالحبيب
لقا الله لا افلح من ندم يعنى على التمنى ارادته انه كان الموت
وما ندم على التمنى حين جا الموت وقال عمار بصفين الان
الاتى الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب
الموت ويحن اليه روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم

بريقه

بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي الا مات
تنبيه خالصة نصبها على الحال من الدار او من الضمير
في خبر كان العايد الى الدار وتعلق بتمنيه الشرطان على ان الاول
قيد في الثاني ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات
النار من الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جا به وتحريف كتاب
الله وساير انواع الكفر والعصيان ولما كانت اليد العاملة
مختصة بالانسان الة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر
منافعه عبر بها عن النفس تارة كما هنا وعن القدرة اخرى
كما في قوله تعالى يد الله فوق ايديهم وهذه الجملة اخبار
بالغيب وكان اخبر به كقوله تعالى ولن تفعلوا فان قلت ما
اعلمك انهم لم يتمنوا اجيب بانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل
ساير الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من
اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل
ذلك فان قيل التمني ليس من اعمال القلوب انما هو قول الانسان
بلسانه ليت لي كذا اذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال
ان يقع التحدي بما في الضماير والقلوب ولو كان التمني بالقلوب
وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك
فان قيل لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون اجيب بانه حكى
عنهم من اشيا قاولوا بها المسلمين من الافترا على الله وتحريف
كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه وما لا تحل له
الا الكذب الصرف ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان

التمنى من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا
صادقين فى قولهم واخبارهم عن ضمايرهم وكان الرجل يخبر
عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه
امر خفى لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين
اى الكافرين فيجازيهم فى ذلك فيه تهديد لهم وتنبيه على انهم
ظالمون فى دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم اللام
لام القسم والنون تاكيد القسم تقديره والله لتجدنهم يا محمد
اى اليهود احرص الناس على حياة هو من وجد بمعنى علم
المتعدى الى مفعولين ومفعوله هو احرص فان قيل لم قال حياة
بالتنكير اجيب بانه اريد حياة مخصوصة هى قدر من افرادها
وهو الحياة المتطاولة واحرص من الذين اشركوا اى المشركين
للمبالغة عليها لعلمهم بان مصيرهم النار دون المشركين
لانكارهم له فان قيل لم يدخل الذين اشركوا تحت الناس
اجيب بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد وفيه
توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعمر
الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبد لانها جنتهم فاذا اراد
عليها فى الحرص ما له كتاب وهو مقرون بالجزاء كان حقيقا باعظم
التوبيخ يود يتمنى احدهم لو يعمر الف سنة لو مصدرية
بمعنى ان وهى بصلتها فى تاويل مصدر مفعول يود يقول الله
تعالى اليهود احرص الناس على الحياة من المجوس الذين يقولون
ذلك لان تحية المجوس فيما بينهم عشر الف سنة وما هو ان احدهم

بمزحزحه اى مبعده من العذاب اى النار وقوله تعالى ان يعمر
فاعل مزحزحه اى تعميره والله بصير بما يعملون فيجازيهم
وسال عبد الله بن صوريا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عاد انا مرار
واشدها انه لما انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب بخت
نصر واخبرنا بالحين الذى يجيء فيه فلما كان وقته بعثنا
رجلا من بنى اسرائيل فى طلبه ليقتله فانطلق حتى اتيه
ببابل فلا ما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل فقال
ان كان ربكم امره بهلاككم فلن يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه
وكبر بخت نصر وقوى فنزل قل لهم من كان عدوا لجبريل
انه كان لعمر رضى الله تعالى عنه ارض باعلى المدينة وكان من
على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا
يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما احبكم لحبكم
ولا اسالكم لانى شاك فى دينى وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة
فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى اثاره فى كتابكم ثم سالهم
عن جبريل فقالوا ذاك عدو لنا يطلع محمد على اسرارنا وانه
صاحب كل خسف وعذاب وميكايل صاحب الخصب والدعة
اى السلامة فقال عمر وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن
يمينه وميكايل عن يساره وما بينهما عداوة فقال لئن كان
كما تقولون وليسا بعدوين اى لعرب منزلتهما عند الله
وما لكم اكثر من الحمد لان الكفر نتيجة الجهل والبلاده والحمار

مثل فيهما ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله تعالى ثم رجع
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الاية وقال عليه الصلاة والسلام لقد وافقك
ربك يا عمر قال عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب
من الحجر وقال مقاتل قالت اليهود لان جبريل عدونا لانه
امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا ومعنى جبريل عبد الله
في بعض لغاته وايل هو العبد وقرا حمزة والكسائي بفتح الجيم
والراء وهمزة بعد الراء مكسورة ممدودة اي بعدها الغطية وقرا
شعبة كذلك الا انه حذف الياء بعد الهمزة وكسر الراء وكسر الجيم
والراء من غيرهمز بعد الراء ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة
فانه اي جبريل نزله اي القران ونحو هذا الاضمار اغنى اضمار
ما لا يسبق ذكره فيه في تمكنه لشان صاحبه حيث يجعل
لفرط شهوته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه المعرج
بذكر شيء من صفاته على قلبك يا محمد وقوله تعالى باذن
الله اي بامره حال من فاعل نزل مصدقا اي موافقا لما بين يديه
لما قبله من الكتب وهدى من الضلالة وبشرى بالجنة
للمومنين هذه احوال من مفعول نزل وجواب الشرط فانه
نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلو رتبة الانصاف
او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياك لنزوله عليك
بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا لكتب المتقدمة فحذف الجواب
واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزله

عليك

عليك وقيل الجواب محذوف مثل فاليت غيظا او فهو عدو لي
وانا عدوه كما قال تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين والمراد بمعاداة
الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر
الكلام بذكره تفخيما لشانه كقوله تعالى والله ورسوله احق
ان يرضوه فان قيل لم افرد الملكين بالذكر مع دخولهما في الملائكة
اجيب بان ذلك لفضلهما فكانهما من جنس اخر وهو مما ذكر
ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وبان
المحاجة كانت فيها والواو فيها بمعنى او يعني من كان عدوا لاحد
هؤلاء لان الكافر بالواحد كافر بالكل وقدم جبريل لشرفه وقدم
الملائكة على الرسل كما قدم الله على الجميع لان عداوة الرسل
بسبب نزول الكتب ونزولها بتنزيل الملائكة وتنزيلهم بامر
الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب قرا ابو عمرو وحفص
ميكائيل بغير همزة ولا يا بين الالف واللام وقرا نافع بهمزة بعد
الالف ولا يا بعد الهمزة والباقون بهمزة بعد الالف ويا وهم على
مراتبهم في المد ونزل في ابن صوريا لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية اي زائدة فنتبعك
ولقد انزلنا اليك يا محمد ايات بينات واضحات مفصلات
بالحلال والحرام والحدود والاحكام وما يكفر بها الا الفاسقون
اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع المعاصي
دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده او كلما عاهدوا عهدا الهمزة

الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات
وكلما عاهدوا الله عهدا على الايمان بالنبي او ان خرج النبي
ان لا يعاونوا عليه المشركين وقوله تعالى نبذه اي طرحه
فريق منهم اي اليهود بنقضه جواب كلما وهو محل الاستفهام
الانكاري وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض وقوله تعالى بل
للانتقال اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون
وقوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله هو محمد صلى الله عليه
وسلم مصدقا لما معهم من التوراة نبذ فريق من الذين اوتوا
الكتاب كتاب الله اي التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق
لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل
المؤيدين بالايات وقيل كتاب الله هو القران نبذوه بعد
ما لزمهم تلقيه بالقبول وقوله تعالى وراء ظهورهم اي لم يعلموا
بما فيها من الايات بالرسل وغيره مثل لاعراضهم عنه بالكلية
بالاعراض عما يومي به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم
لا يعلمون ما فيها من انه نبي حق او فيه شك يعني ان علمهم
بذلك رضين ولكنهم كابروا وعاندوا وعن سفيان ادرجوه
في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا
حرامه وقوله تعالى واتبعوا عطف على نبذ ما تتلوا اي
ما تلت الشياطين والعرب تضع المستقبل موضع الماضي
والماضي موضع المستقبل وقيل ما كانت تتلوا اي تقرا على عهد
ملك سليمان من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع

ملكه

ملكه فلم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوه وقالوا
للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما علماء بني
اسرايل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله ان يكون هذا من علم
سليمان عليه الصلاة والسلام وامّا سفلتهم فقالوا هذا
علم سليمان واقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب انبيائهم وخفيت
الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم حتى بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم وانزل الله براءة سليمان هذا قول الكلبي
وقال السدي وكانوا الشياطين تسترق السمع فيسمعون
كلام الملائكة فيما يكون في الارض من موت وغيره فيأتون
الكهنة ويخالطون بما يسمعون في كل كلمة سبعين كذبة
ويخبرونهم بها فاكتتب الناس ذلك وفشى في بني اسرايل
ان الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب
فجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال لا اسمع ان
احدا يقول ان الشياطين تعلم الغيب الا ضربت عنقه فلما
مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون امر سليمان
ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثل الشيطان على صورة
انسان فاتى نفرا من بني اسرايل فقال هل ادلكم على كنز لا
تاكلونه ابدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي وذهب
معهم فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا ادن فقال لا ولكني
ها هنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك انه لم يكن احد من
الشياطين يدنو من الكرسي الا احترق فحفروا واخرجوا تلك

المكتب فقال الشياطين ان سليمان كان يضبط الجن
والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وفشا
في الناس ان سليمان كان ساحرا واخذوا بنو اسرائيل تلك
الكتب فلذلك كثر ما يوجد السحر في اليهود فلما جاء محمد صلى
الله عليه وسلم برأه الله سليمان من ذلك وانزل تكذيبا لمن
زعم ذلك واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما
كفر سليمان اى لم يعمل السحر وعبر عنه بالكفر ليدل على انه
كفر اذا استحله او احتيج فيه الى تعلم اعتقاد مكفر هذا
مذهب الشافعي وعند احمد يكفر مطلقا ولكن الشياطين
هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي بكسر النون ولكن مخففة ورفع نون الشياطين
والباقون بنصب النون ولكن مشددة ونصب نون الشياطين
يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم
والجملة حال من ضمير كفروا وتنبيه السحر لغة صرف الشيء
عن وجهه يقال ما سحرك عن كذا اى ما صرفك عنه يعم
واصطلاحا متناولة النفوس الخبيثة لاقوال وافعال يترتب
عليها امور خارجة للعادة واختلف فيه هل هو تخييل او حقيقة
قال بالاول المعتزلة واستدلوا بقوله تعالى يخيل اليه من
سحرهم انها تسعى وقال بالثاني اهل السنة ويدل لذلك
الكتاب والسنة الصحيحة والساحر قد يأتي بفعل او قول
يتغير به حال المسحور فيمرض يموت منه ويفرق به بين

الزوجين وحرم تعليمه او تعلمه قال امام الحرمين ولا يظهر
السحر الا على فاسق ولا تظهر الكرامة على فاسق وحرم بيعه
تعليما او تعلم الكهانة والتنجيم والضرب بالرمل والحصى
والشعير والسبحة ويحرم اعطاء العوض واخذه عنها
بالنص الصريح في حلوان الكاهن والباقي بمعناه والكاهن
من يخبر بواسطة النجم عن المغيبات في المستقبل بخلاف
العراف فانه الذي يخبر عن المغيبات الواقعة كمعرفة السارق
ومكان المسروق والضالة قال في الروضة ولا يغتر بجهالة
من يتعاطى الرمل وان نسب الى علم واما الحديث الصحيح كان
نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك فمعناه من علم
بموافقته له فلا باس ونحن لا نعلم الموافقة فلا يجوز لنا
ذلك وقوله البيضاوي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب
الحيل الآلات كالدولابة او يريه صاحب خفة اليد فغير
مذموم وتسميته سحرا على التجوز لما فيه من الدقة لانه
اي السحر في الاصل اي اللغة لما خفي سببه مردود بل هو
مذموم اي حرام كما صرح به المصنف في الروضة وغيرها
وقوله تعالى وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمون
ما انزل على الملكين وقيل عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما
انزل اي ما الهاه وعلماه من السحر فالانزال بمعنى الالهام
والتعليم قال البيضاوي وعلى هما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء
من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة قال وما روي اي

في كتب السير انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فعرضا
لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت
الى السما بما تعلمت منهما فمحيت عن اليهود ولعله من رموز
الاوايل وحله اي الرمز او ما روى لا يخفى على ذوي البصائر
انتهى قال شيخنا شيخ الاسلام زكريا بادئ يعاد عمر عن العقل
والنفس المطمئنة بالملكين وعن النفس الامارة بالسوء
بالزهرة وعن مفارقتها بالموت بالصعود الى السما وقيل هما
رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما وقيل ما انزل نفي
معطوف على ما كفروا تكذيب لليهود في هذه القصة وقد طول
البغوي في هذه القصة واعتمد ما رواه البيهقي وقال
شيخنا المذكور عن شيخه ابن حجر ان لها طرقا تفيد العلم
بصحتها فقد رواها مرفوعا الامام احمد وابن حبان في الضعفا
وغيرهم وموقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم
باسانيد صحيحة والبيضاوي لما استمد ما روي ولم يطلع
عليه قال ولعله اراد وقوله تعالى ببابل ظرف او حال من
الملكين او الضمير في انزل وهو بلد في سواد العراق وقوله
تعالى هاروت وماروت بدل او عطف بيان من الملكين ومنع
صرفهما للعلمية والعجمة ومن جعل ما فيما انزل نافية ابدل
هاروت وماروت من الشياطين بدل البعض وما بينهما
اعتراض وما يعلمان اي الملكان من احد اي احدا ومن صلة
حتى ينصحاه بقولهما له انما نحن فتنة اي ابتلا من الله

الناس لنمتحنهم بتعليمه واصل الفتنة الاختبار والامتحان
من قولهم فتنت الذهب والفضة اذا اذبتهما بالنار لتميز الجيد
من الردى وانما وحد الفتنة لانها مصدر والمصادر لا تثنى ولا
تجمع فلا تكفر بتعليمه اى فلا تتعلمه معتقدا حله فتكفر
على ما تقدم وقيل انهما يقولان انما
نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات قال عطاء والسدى قالا ان ابى
الا التعلم قالا له ائت هذا الرماد فبل عليه فيخرج منه نور
ساطع فى السما فتلك المعرفة ويخرج شئ اسود شبه الدخان
حتى يدخل مسامعهم وذلك غضب الله وعلى القول بانهما
رجلان فلا يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا
فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد اى فيتعلم الناس
من الملكين ما اى سحرا يفرقون به بين المرء وزوجه بان
يبغض كل منهما فى الاخر بسبب حيلة او تمويه كالنفث
فى العقد او نحو ذلك مما يحدث الله عنده الفراق ابتلاء منه
لان السحر له اثر فى نفسه بدليل قوله تعالى وما هم السحر
بضارين به اى السحر من احد اى احدا ومن صلة الا
باذن الله اى ارادته لان الاسباب غير موثرة بالذات
بل بارادته تعالى ويتعلمون ما يضرهم فى الاخرة ولا ينفعهم
وهو السحر لانهم يتصدون به العمل اولان العلم يجرى العمل
غالبا ولقد اللام لام القسم علموا اى اليهود ومن اللام
لام الابتداء علمت علموا عن العمل ومن موصولة اشتراه

تتلوا الشياطين بكتاب ماله في الاخرة من خلاق اى نصيب
ولبئسما اى شيأ شروا اى باعوا به انفسهم اى الشارين
اى حظها من الاخرة ان تعلموه حيث اوجب لهم النار لو كانوا
يعلمون حقيقة ما يصيرون اليه من العذاب ما تعلموه
وقيل معناه لو كانوا يعلمون بعلمهم فان لم يعمل بما علم كان كمن
لم يعلم ولو انهم اى اليهود امنوا بالنبى والقرآن واتقوا
عقاب الله بترك معاصيه كنبذ كتاب الله واتباع السحر
وجواب لو محذوف اى لاثيبوا عليه لمثوبة اى ثواب
وهو مبتدأ واللام فيه للقسم وقوله تعالى لو كانوا يعلمون
اى ثواب الله خير لما اثروه عليه فجهلهم الله لترك التدبر
او العمل بالعلم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا للنبى صلى الله
عليه وسلم راعنا امر من المراعاة وكانوا يتداولون ذلك للنبى
صلى الله عليه وسلم فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين
وكانت كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهو راعينا
قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الان فكانوا
يأتون ويقولون يا محمد راعنا وهم يعنون به تلك المسبة
ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ فنظر لها
وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا اعداء الله عليكم لعنة الله
والذى نفسى بيده لان سمعتها من احد منكم يقولها لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم
تقولونها فانزل الله تعالى النهى عن ذلك لئلا يجد اليهود

بذلك سبيلا الى شتمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامروا
بما هو في معناها وهو قوله تعالى وقولوا انظرنا اى انظر
الينا وقيل اسمع منا قاله مجاهد وقيل لا تجعل علينا قاله
ابن يزيد واسمعوا ما تؤمرون به سماع قبول لا كسماع
اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا اما امرتم
به جدا حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه من قولكم راعنا وللكافرين
اى الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم عذاب اليم
اى مولم وهو النار ونزل في تكذيب جمع من اليهود يظهر
مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب وقوله تعالى ولا المشركين
اى من العرب عطف على اهل الكتاب ومن للبيان ان الذين
كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركين كقوله
تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والمودة
محبة الشيء مع تمنيه ولذلك تستعمل في كل منهما ان ينزل عليكم
من خير من ربكم فسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم
به وما يحبون ان ينزل عليكم من شيء منه وفسر بالعلم
والنصرة والمراد به ما يعم ذلك كما قاله البيضاوي ومن
الاولى من يدة للاستغراق ومن الثانية لابتداء الغاية
والله يختص برحمته اى بنبوته كما قاله علي رضي الله
تعالى عنه ومجاهد او بالاسلام كما قاله ابن عباس وقتادة
من يشاء وليس الا ما تقتضيه الحكمة ويجب عليه شيء

وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل وهو ابتدا
احسانه بلا علة وقوله تعالى العظيم فيه اشعار بان اتيان
النبوة والاسلام من الفضل العظيم ويدل للاول قوله
تعالى ان فضله كان عليك كبيرا واما طعن الكفار في النسخ
وقالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم
بخلافه ما يقوله الا من تلقاء نفسه يقول اليوم قولا
ويرجع عنه غدا كما اخبر الله تعالى واذا بدلنا اية مكان
اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر نزل ما ننسخ
من اية فبين وجه الحكمة في النسخ بهذه الاية والنسخ في
اللغة شيآن احدهما بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ
الكتاب وهو ان يحول من كتاب الى كتاب فعلى هذا الوجه كل
القران منسوخ لانه نسخ من اللوح المحفوظ والثاني بمعنى
الرفع يقال نسخت الشمس الظل اى ذهبت به وابطلته
فعلى هذا يكون بعض القران ناسخا وبعضه منسوخا وهو
المراد من الاية وهذا على وجوه احدها ان تثبت التلاوة
وينسخ الحكم كاية الوصية للاقارب واية عدة الوفاة الحول
والثاني ان ترفع التلاوة ويبقى الحكم كاية الرجم والثالث ان
يرفع الحكم والتلاوة كما روى ان قوما من الصحابة قاموا ليلة
ليقراوا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم
فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال صلى الله
عليه وسلم تلك سورة رفعت بتلاوتها واحكامها وقيل كانت

سنة

سورة الاحزاب مثل سورة البقرة فرفع اكثرها تلاوة
وحكما ومن نسخ الحكم ما يرفع تلاوة ويقام غيره مقامه
كما ان القبلة نسخت من بيت المقدس الى الكعبة والوصية
للاقارب نسخت بالميراث وعدة الوفا نسخت من الحول
الى اربعة اشهر وعشرا ومصابرة الواحد للعشرة بمصابرته
للاثنين قال البغوي والنسخ انما يعترض على الاوامر والنواهي
دون الاخبار انتهى والنسخ اصطلاحا رفع تعلق حكم شرعي
بدليل شرعي ويفارق التخصيص بان التخصيص لا يرد الا
على متعدد وبانه غير مشروط بالنسخ بخلاف النسخ فيهما
وبانه يفيد عدم ارادة الخروج في الاصل والنسخ يفيد ارادة
المنسوخ في الاصل لكن غير مستمر وقرا ابن عامر ننسخ
بضم النون الاولى وكسر السين من انسخ اي نامر بنسخ
او جبريل بنسخها والباقون بفتح النون والسين وما
شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية او
ننسأها او نؤخرها فلا ننزل حكمها ونرفع تلاوتها او نؤخرها
في اللوح المحفوظ وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح النون الاولى
وفتح السين وهمزة ساكنة بعد السين ولم يبدل لهذه
الهمزة احد من السبعة وقرا الباقون بضم النون وكسر
السين وهمز بعد السين اي ننسها اي نمحها من قلبك
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نتركها لا ننسها قال
الله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوه فتركهم وجواب

الشرط نات بخير منها اى بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر
لاجركم وان كان كلام الله كله خيرا او مثلها فى التكليف
والثواب والمنفعة وتكون الحكمة فى تبديلها بمثلها الاختبار
الم تعلم ان الله على كل شى قدير فيقدر على النسخ والاتيان
بمثل المنسوخ وبما هو خير والاية دلت على جواز النسخ
وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور
المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح
العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف
باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع
فى عصر قد يضر فى غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل
او ببدل اثقل ومن منع نسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ
هو الماتى به بدلا والسنة ليست كذلك قال البيضاوى
والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ
قد يعرف بغيره والسنة ما اتى به الله واستدل بهذه
الاية المعتزلة على حدوث القران فان التغير والتفاوت
من لوازم الحدوث واجاب اهل السنة بانهما من عوارض
الامور المتعلق بها المعنى القايم بالذات القديم لا من عوارض
هذا المعنى وقوله تعالى الم تعلم هنا وفيما مر خطاب لمنكرى
النسخ فالهمزة للانكار وقيل خطاب للنبى صلى الله عليه
وسلم والمراد امته فالهمزة للتقرير ان الله له ملك السموات
والارض يفعل فيهما ما يشاء ويحكم ما يريد فهو يملك اموركم

ويدبرها

ويدبرها وتجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم
به من ناسخ ومنسوخ وهذا الدليل على قوله ان الله على
كل شئ قدير او على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم
من دون الله اى غيره من ولى اى ولى يحفظكم ومن مثله
ولا نصير يمنع عنكم عذابه وفرق بين الولى والنصير
بان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون
اجنبيا عن المنصور وبينهما عموم وخصوص من وجه ونزل
لما سئل اهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم ان يوسع لهم
وان يجعل الصفا ذهبا ام تريدون ان تسئلوا رسولكم
كما سئل موسى اى سأله قومه من قبل اى من قولهم له
ارنا الله جهرة وقيل قالوا له لن نؤمن لك حتى تاتى بالله
والملائكة قبيلا او اتينا بكتاب نقرؤه تنزله من السماء
علينا وفجر لنا انهارا حتى نتبعك وقال عبد الله بن امية
لن نؤمن لك حتى تاتى بكتاب فيه من الله رب العالمين
الى ابن امية اعلم انى ارسلت محمدا الى الناس وام اما معادلة
الهمزة فى ألم تعلم اى الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشيا
كلها يامر وينهى كما اراد وانتم حوذ بالسؤال كما اقترحت
اليهود على موسى عليه الصلاة والسلام واما منقطعة
والمراد ان يوصيهم بالثقة وترك الاقتراح عليه ومن
يتبدل الكفر بالايمان اى ياخذه بدله بترك النظر فى
الايات البينات واقتراح غيرها فقد ضل سواء السبيل اى

اخطأ الطريق الحق والسوا في الاصل الوسط وقرا قالون
وابن كثير وعاصم باظهار قد عند الضاد حيث جاوا دغمها
الباقون ونزل في نفر من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان
وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم
فارجعوا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال لهم عمار كيف
نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت الله
ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود
اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله
ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن
اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما
ود اي تمنى كثير من اهل الكتاب من اليهود لو يردونكم
اي يردوكم يا معشر المؤمنين فلو مصدرية بمعنى ان فاغنى لو
تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا
مرتدين وقوله حسدا مفعول له كما ينا من عند اي من تلقاء
انفسهم اي لم يامرهم الله بذلك وانما حملتهم عليه انفسهم
الخبيثة من بعد ما تبين لهم في التوراة الحق في شان
النبي صلى الله عليه وسلم فاعفوا عنهم اي اتركوهم واصفحوا
اي اعرضوا عنهم فلا تجاوزهم وكان هذا قبل اية القتال ولهذا
قال تعالى حتى ياتي الله بامره فيهم من القتال وقد اذن
في قتالهم وضرب الجزية عليهم ورد عن ابن عباس وابن

مسعود

مسعود ان هذا منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا
يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية وابى النسخ جماعة
من المفسرين والفقهاء واحتجوا بان الله تعالى لم يامر بالعفو
والصفح مطلقا وانما امر به الى غاية وما بعد الغاية يخالف
ما قبلها وما هذا سبيله لا يكون من باب النسخ بل يكون
الاول قد انقضت مدته والاخر يحتاج الى حكم اخر ان الله
على كل شئ قدير فهو يقدر على الانتقام من الكفار وقوله
تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على قاعفوا
كانه تعالى امرهم بالصبر والمخالفة واللجا اليه بالعبادة
والبر وما تقدموا لانفسكم من خير اى طاعة كصلاة وصدقة
تجدوه اى ثوابه عند الله فيجازيكم به ان الله بما تعملون
بصير لا يضيع عنده عمل عامل وقالوا اى كثير من اهل
الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان
هودا جمع هاد كعايد وعود او نصارى قال ذلك يهود المدينة
ونصارى نجران لما تناظروا بين يدى النبى صلى الله
عليه وسلم امته قالت اليهود لن يدخل الجنة الا اليهود ولا
دين الا دين النصرانية فجمع الله بين القولين ثقة بان
السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادى
بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه تلك
امانيهم اى شهواتهم الباطلة التى يمنونها على الله تعالى
بغير حق قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم اى حجتكم على اختصاصكم

بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم اذ كل قول لا دليل
عليه فهو غير صحيح وهذا متصل بقولهم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض وقوله
تعالى بلى اثبات لما نفوه من دخول الجنة غيرهم من اسلم
وجهه لله اى انقاد لامره وخص الوجه لانه اشرف الاعضاء
الظاهرة ففيره اولى وهو محسن في عمله وقيل مخلص وقيل
مومن فله اجره اى ثواب عمله ثابتا عند ربه لا يضيع
ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها
ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد
بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويصح ان يكون من
اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ثم يحسن
الوقف عليه ويصح ان يكون قوله فله اجره عند ربه كلاما
معطوفا على يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى
ليست اليهود على شئ في الاخرة ولما قدم نصارى اهل
نجران على النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود
فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت لهم اليهود ما
انتم على شئ من الدين وكفروا بموسى والتوراة وهم اى الفريقان
يتلون الكتاب اى المنزل عليهم في كتاب اليهود تصديق
عيسى وفي كتاب النصارى تصديق موسى والجملة حال
والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك

اى كما

اى كما قال هولا قال الذين لا يعلمون كعبدة الاصنام والمعطلة
وهم الذين لا يثبتون الصانع وقوله تعالى مثل قولهم بيان
لمعنى ذلك اى قالوا كل ذى دين ليسوا على شى وبخهم الله
تعالى على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا
فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشى اجيب بانهم لم يقصدوا
ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر
بنبيه وكتابه كما مر مع ان ما لم ينسخ حق واجب القبول
والعمل به تنبيه اذا وقف حمزة وهشام على شى فلهما اربعة
اوجه السكون والروم والادغام والروم معه وسكن
حمزة قبل الهمزة بخلاف عن خلاد فى الوصل وادغم ابو عمرو
الكاف فى القاف بخلاف عنه فالله يحكم بينهم اى بين
الفرق الثلاثة وهم اليهود والنصارى والذين لا يعلمون
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين
فيقسم لكل فريق منهم من العقاب الذى استحقه وعن
الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار وقرا ابو
عمرو يحكم بسكون الميم عند البا والاخفا بخلاف عنه ومن
اظلم اى لا احد اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها
اسمه بالصلاة والتسبيح وسعى فى خرابها بالهدم او التعطيل
هذا عام لكل من خرب مسجدا او سعى فى تعطيله وان نزل
فى اهل الروم الذين خربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف
وذبحوا فيه الخنازير فكان خرابا الى ان بناه المسلمون فى ايام

عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقيل الحل همزة لمزة
والمنزول فيه الاخنس بن شريق او كلدة المانعون ما
كان لهم ان يدخلوها اى مساجد الله الا خائفين اى على
حال التهيب وارتعاد الفرايص من المومنين ان يبطشوا
بهم فضلا ان يستولوا عليها او يخربوها او يمنع النبى صلى
الله عليه وسلم عنها وقال قتادة لا يوجد نصرانى فى بيت
المقدس الا اخفه ضربا او ابلغ اليه فى العقوبة وروى انه
لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا مستنكرا مسارقة
وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد
هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقيل ان هذا
خبر بمعنى الامر اى اخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها احد منا
واختلف فى جواز دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ومنعه
مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره فمنع من الاول
وجوز فى الثانى بشرط اذن المسلم والحاجة وغلظ رئيس
اللام من اظلم بعد الظا لهم فى الدنيا خزى اى هوان بالسبى
والقتل والجزية ولهم فى الاخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم
وهو النار ونزل لما عيرت اليهود المومنين فى نسخ القبلة
وقالوا اليست لكم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هذا وتارة
هذا كما قاله علقمة او فى صلاة النافلة على الراحلة فى السفر
حيث ما توجهت به راحلته كما قاله ابن عمر ولله المشرق
والمغرب اى ناحيتى الارض اى له الارض كلها لا يختص به مكان

دون

دون مكان فان منعتم ان تصلوا فى المسجد الحرام والاقصى
فقد جعلت لكم الارض كلها مسجدا فاينما تولوا وجوهكم
اى جهة وهو الصدر فى الصلوة فثم اى هناك وجه الله
اى قبلته كما قاله مجاهد وقال الكلبى فثم الله يعلم ويرى
والوجه صلة كقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه اى الا هو
ان الله واسع اى غنى يعطى من السعة يسع فضله كل
شئ عليم بتدبير خلقه ونزل لما قالت اليهود عزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله وقال مشركو
العرب الملائكة بنات الله قالوا اتخذ الله ولدا قال الله
تعالى ردا عليهم سبحانه تنزيها له عن ذلك فانه يقتضى
التشبيه والحاجة وسرعة الفناء وقال ابن عامر قالوا بغير
واو وقبل القاف والباقون بالواو وقبل القاف بل له ما فى
السموات والارض ملكا وخلقا ومن جملة ذلك العزير والمسيح
والملائكة والملكية تنافى الولدية وعبر بما تغليبا لما لا يعقل
لكثرته كل له قانتون اى منقادون كل بما يراد منه لا يمتنعون
على مشيته وتكوينه وفى ذلك تغليب للعاقل لشرفه والآية
مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه الاول قوله
سبحانه والثانى له ما فى السموات والارض والثالث كل له
قانتون واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه
لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضى تنافيهما بديع
السموات والارض اى موجدهما لا على مثال سبق وهذا

وجه رابع بفساد ما قالوه ايضا لان الولد عنصر الولد المنفصل
بانفصاله مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها مه
فاعل على الاطلاق منزه عن الصفات فلا يكون والدا واذا قضى
امرا اى اراد ايجاد شئ واصل القضى اتمام الشئ قولا كان
كقوله تعالى وقضى ربك او فعلا كقوله تعالى فقضاهن سبع
سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ
من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون وهذا
مجاز من الكلام وتمثيل وانما المعنى ان ما قضاه من الامور
واراد كونه فانما يكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع
ولا توقف كما ان المامور المطيع الذى يومر فيمتثل لا يتوقف ولا
يمتنع ولا يكون الا باوفيه تقرير لمعنى الابداع دايما وهذا
وجه خامس يشعر بفساد ما قالوه ايضا لان اتخاذ الولد
مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغنى عن ذلك وقرا
ابن عامر بنصب النون من يكون جوابا للامر والباقون
بالرفع على معنى فهو يكون فان قيل المعدوم لا خاطب اجيب
بانه لما قدر وجوده وهو كاين لا محالة كان كالموجود فصح
خطابه وقال الذين لا يعلمون للنبى صلى الله عليه وسلم
وهم اليهود كما قاله ابن عباس او النصارى كما قاله مجاهد او
مشركو العرب كما قال قتادة ونفى عنهم العلم لانهم لم يعلموا
به لو لا اى هلا يكلمنا الله كما يكلم الملايكة او الى النبا
بانه رسوله او تاتينا اية اى علامة اقترحناه على

صدقه

كذلك كما قال هؤلاء قال الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية
لانبيائهم مثل قولهم من التعنت وطلب الايات فقالوا
ارنا الله جهرة وهل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من
السماء تشابهت قلوبهم اى قلوب هؤلاء ومن قبلهم في
الكفر والعناد وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قد
بينا الايات لقوم يوقنون الحقائق ولا يعتريهم شبهة
ولا عناد وفيه اشارة الى انهم قالوا ذلك لخفاء الايات او لطلب
مزيد يقين وانما قالوا عتوا وعنادا انا ارسلناك يا محمد بالحق
اى القرآن كما قاله ابن عباس كما قال تعالى بل كذبوا بالحق
لما جاءهم الاسلام وشرائعه كما قاله ابن كيسان قال تعالى وقل
جاء الحق بشيرا اى مبشرا من اجاب الى ذلك بالجنة ونذيرا
اى منذرا من لم يجب بالنار انا ارسلناك لان تبشر وتنذر
لا لتجبر الناس على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم
وتصميمهم على الكفر ولا تسئل عن اصحاب الجحيم اى النار وهم
الكفار لم يؤمنوا بعد ان بينت لهم وبلغت جهدك في دعوتهم
كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرأ نافع
تسأل بفتح التاء وسكون اللام على النهي قال عطاء عن ابن
عباس وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت
شعري ما فعل ابواي فنزلت هذه الآية نهي عن السؤال عن
احوال الكفرة والاهتمام باعدا الله تعالى لكن الخبر ضعيف

والمختار انها نزلت فى كفار اهل الكتاب وقرا الباقون بضم التا
واللام على النفى ولست بمسيلهم كما قال تعالى فانما عليك
البلاغ وعلينا الحساب ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم اى دينهم اى لن ترضى عنك اليهود الا ان
باليهودية ولا النصارى الا بالنصرانية وفى هذا مبالغة فى
اقناط النبى صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم وذلك انهم كانوا
يسالونه الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم اتبعهم فانزل
الله تعالى هذه الآية فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم
فكيف يتبعونه ملته قاله البيضاوى ولعلهم قالوا مثل ذلك
فحكى الله تعالى ذلك عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى
الله الذى هو الاسلام هو الهدى اى هو الذى يصح ان يسمى
هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما يدعون الى ما
اتباعه ما هو بهدى انما هو الهوى الا ترى الى قوله تعالى ولئن
اللام لام القسم اتبعت اهوائهم اى ارائهم الزائغة التى
يدعونك اليها الخطاب معه صلى الله عليه وسلم والمراد
به امته كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك بعد الذى
جاءك من العلم اى من الدين المعلوم صحته بالبراهين
القطعية ما لك من الله من ولى يحفظك ولا نصير ينصرك منه
منه ونزل فى جماعة من اهل الكتاب قدموا من الحبشة وآمنوا
الذين اتيناهم الكتاب وهو مبتدا يتلونه حق تلاوته
اى يعرفونه كما انزل لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت

محمد صلى الله عليه وسلم والجملة حال مقدرة وحق نصب على
المصدر والخبر اى ليكذبوا به اى بكتابهم دون المحرفين
ومن يكفر به اى بالكتاب الموقت بان يحرفونه فاولئك هم
الخاسرون لمصيرهم الى النار الموبقة عليهم ولما صدر قصة
بنى اسرايل بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن
اضاعتها والخوف من الساعة واحوالها فى قوله تعالى يابنى
اسرايل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم اذكر
ذلك بقوله تعالى يابنى اسرايل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم
وانى فضلتكم على العالمين اى عالمى زمانهم واتقوا اى خافوا
يوما لا تجزى اى لا تقضى نفس عن نفس فيه شيا ولا يقبل
منها عدل اى فداء ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون اى
يمنعون من عذاب الله وختم بالمكرر للكلام معهم مبالغة
فى النصح تنبيه اتفق القراء على قراءة يقبل هنا بالتذكير
واذكر اذ ابتلى اى اختبر ابراهيم ربه بكلمات اى
باوامر ونواه وابتلى الله العباد ليس ليعلم احوالهم بالابتلا
لانه عالم بهم ولكن ليعلم العباد احوالهم وعهدنا اى امرنا
الى ابراهيم واسماعيل قيل سمى به لان ابراهيم كان يدعو الله
ان يرزقه ولدا ويقول اسمع يا ايل وايل هو الله فلما رزق
الولد سماه به ان اى بان طهرا بيتى من الاوثان والاخباث
وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين
المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود جمع راكع

وساجدوهم المصلون وقرا نافع وهشام وحفص بيتي بفتح
الياء والباقون بالسكون واذكر اذ قال ابراهيم رب اجعل
هذا اى مكة او الحرم بلدا امنا اى ذا امن كقوله تعالى فى عيشة
راضية او امنا اهله كقول العامل ليل نائم وارزق اهله من
الثمرات انما دعى بذلك لانه كان بواد غير ذى زرع وفى القصص
ان الطايف كانت من مدائن الشام باردن فلما دعا ابراهيم
هذا الدعا امر الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام حتى
قطعها من اصلها وادارها حول البيت سبعا ثم وضعها موضعها
الآن فيها اكثر ثمرات مكة وقوله تعالى من امن منهم بالله
واليوم الاخر بدل من اهله قاس ابراهيم صلوات الله
وسلامه عليه الرزق على الامامة حيث قيده بالمومن كما
قيدت به قال تعالى وارزق من كفر لان الرزق رحمة
دنيوية تعم المومن والكافر بخلاف الامامة والتقدم فى الدين
فامتعه فى الدنيا بالرزق وقرا ابن عامر بسكون الميم وتخفيف
التاء والباقون بفتح الميم وتشديد التاء واما الهمزة بعد
الالف فالجميع اتفقوا على ضمها قليلا اى مدة حياته والكفر
ان لم يكن بسبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله
مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك
عطف عليه ثم اضطره اى الجيه فى الآخرة الى عذاب النار
فلن يجد عنها محيصا وبئس المصير اى المرجع والمخصوص بالذم
محذوف وهو العذاب قال المجاهد وجد عند المقام انا الله ذو

بكة

بكة ارضا جبها صنعة يوم خلقت الشمس والقمر وحرمتها
يوم خلقت السموات والارض وحفتها بسبعة املاك حفا
يا تيها رزقها مباركة لاهلها في اللحم والماء واذكر اذ يرفع ابراهيم
القواعد اى الاسس والجدار من البيت حكاية حال ماضية
كانه قال اذكان يرفع فان قلت وا لفرق بين العبارتين
اجيب بان في ابهام القواعد تنبيها بعد الابهام ما ليس
في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم شان
المبين وقوله تعالى واسماعيل عطف على ابراهيم يقولان
ربنا تقبل منا بنا انك انت السميع للقول فتسمع
دعاءنا العليم بالفعل فتعلم نياتنا روى الرواه ان الله
تعالى خلق موضع البيت قبل الارض بالفي عام فكانت زبده
بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله تعالى
ادم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فانزل الله تعالى
البيت المعمور من ياقوتة من ياقوت الجنة له بابان من زمرد
اخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت
وقال يا ادم اني اهبطت لكبيتا تطوف به كما يطاف حول
عرشي وتصلي عنده كما يصلي حول عرشي وانزل الحجر الاسود
وكان ابيض فاسود من لمس الحيض في الجاهلية فتوجه ادم
من ارض الهند الى مكة ماشيا وقيض الله تعالى له ملكا يدله
على البيت فحج البيت واقام المناسك قال ابن عباس حج ادم
اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك

الى ايام الطوفان فرفعه الله تعالى الى السماء الرابعة يدخله
كل يوم سبعون الفا من الملائكة ثم لا يعودون اليه وبعث
جبريل حتى خبا الحجر الاسود فى جبل ابى قبيس صيانة له
من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم ان الله
تعالى امر ابراهيم بعد ما ولد له اسماعيل واسحاق ببنا بيت
يذكر فيه اسمه تعالى فسال الله عز وجل ان يبنى له موضعه
قال ابن عباس فبعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير
وابراهيم يمشى فى ظلها الى ان وافت به مكة ووقفت على موضع
البيت فنودى منها ابراهيم ان ابن على ظلها ولا تزد ولا تنقص
وقيل ارسل الله تعالى جبريل يدله على موضع البيت فذلك
قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسماعيل
البيت فكان ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة ولما
كان له مدخل فى البناء لطفا عليه وقيل كانا يبنيان فى طرفين
او على التناوب قال ابن عباس بنى البيت من خمسة اجبل
طور سينا وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام والجودى
وهو جبل بالجزيرة وبنيا قواعده من جبل حرا وهو جبل
بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسماعيل
ابتغنى حجرا حسنا يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ابتغنى
حجرا احسن من هذا فمضى اسماعيل يطلبه فصاح ابو قبيس
يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فاخذ الحجر الاسود
فوضعه مكانه وقيل اول من بنى الكعبة ادم ثم اندرس من

زمن

زمن الطوفان ثم اظهره الله لابراهيم حتى بناه وقيل بنته
الملائكة قبل ادم وقد بنى الى يومنا هذا سبع مرات المرة الاولى
هل كان البانى الملائكة او ادم ثم ابراهيم ثم العمالقة ثم جرهم
ثم قريش وقد حضر النبى صلى الله عليه وسلم هذا البناء وكان
ينقل معهم الحجارة ثم ابن الزبير فى خلافته ثم الحجاج الثقفى
وهو الموجود اليوم ربنا واجعلنا مسلمين اى منقادين
مخلصين خاضعين لك والمراد طلب الزيادة فى الاخرة
والاذعان واجعل من ذريتنا اى اولادنا امة اى جماعة
مسلمة خاضعة منقادة لك ومن للتبعيض اى واجعل
بعض ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولان
اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم الاتباع الاقرب المتقاربين
من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد
من وراءهم وخصا بعضهم لتقدم قوله تعالى لا ينال عهدى
الظالمين فعلما ان فى ذريتهما ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضى
اتفاق الناس كلهم على الاخلاص والاقبال الكلى على الله تعالى
فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى الذين معروفوا
افضيتهم الى الدنيا لخربت الدنيا ويصح ان تكون من للتبيين
كقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين
وفصل به بين العاطف وهو واو ومن والمعطوف وهو امة كما
فى قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وقيل
اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا علمنا مناسكنا

شرايع ديننا واعلام حجنا والنسك في الاصل غاية العبادة
وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن المعتاد كالصيد
والتمتع باللباس وغيره والمناسك العابد فاجاب الله تعالى
دعاهما وبعث لهما جبريل فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ
عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال نعم فسمي الوقت عرفة والموضع
عرفات وقرا ابن كثير والسوسي ارنا بسكون الرا وقرا الدوري
عن ابي عمرو باختلاس حركة الواو والباقون بالحركة الكاملة
وتب علينا سأله التوبة مع عصمتهما هضما لانفسهما
وارشادا لذريتهما او لما سلف منهما سهوا قبل النبوة انك انت
التواب لمن تاب الرحيم به ربنا وابعث فيهم اي الامة المسلمة
من ذرية ابراهيم واسماعيل رسولا منهم اي من انفسهم روي
انه قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان فبعث الله
فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم اذ لم يبعث من ذريتهما غير محمد
صلى الله عليه وسلم اذ لم يات نبي من ولد اسماعيل الا النبي صلى
الله عليه وسلم والكل من ولد اسحاق فهو المجاب به دعوتهما كما
قال عليه الصلاة والسلام اني عند الله مكتوب خاتم
النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم باول امري
انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورويا امي حين وضعتني
وقد خرج لها نور اضات له قصور الشام واراد بدعوة ابراهيم
هذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل الانبيا من بني اسرايل
الا عشرة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم واسماعيل

واسحاق

واسحاق ويعقوب ومحمد صلى الله عليه وعليهم اجمعين يتلوا
يقرأ عليهم اياتك ويبلغهم ما يوحى اليهم من دلائل
التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب اى القرآن والحكمة اى
ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام وقال ابن قتيبة
هى العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيما حتى يجمعهما وقال ابو
بكر بن دريد كل كلمة وعظتك او دعتك الى مكرمة او نهتك
عن قبيح فهى حكمة وقيل هى فهم القرآن وقيل الفقه فى الدين
وقيل السنة ويزكيهم اى يطهرهم من الشرك وقيل يشهد
لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا لهم للانبيا بالتبليغ
والتعديل انك انت العزيز الذى لا يقهر ولا يغلب فلا يمنع
ما يريده وقيل هو الذى لا يوجد مثله وقيل هو المنيع الذى لا
تناله الايدى ولا يصل اليه الحكيم فى صنعه ومن لا
يرغب احد عن ملة ابراهيم فيتركها لظهورها ووضوحها
الا من سفه نفسه اى جهل انها مخلوقة لله تعالى يجب عليه
عبادته وذلك ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة
ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله عز وجل
قال فى التوراة انى باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد من
امن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم
سلمة وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله تعالى هذه الآية
قاله البيضاوى وغيره قال الاسيوطى لم اقف على ذلك فى شئ
من كتب الحديث ولا التفاسير المسندة والمثبت مقدم

على غيره وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه وفي الاخبار ان
الله اوحى الى داود عليه الصلاة والسلام اعرف نفسك
واعرفني فقال يا رب كيف اعرف نفسي واعرفك فاوحى الله
تعالى اليه اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفني
بالقوة والبقاء وهذا معنى من عرف نفسه فقد عرف ربه
ولقد اصطفيناه اى اخترناه في الدنيا بالرسالة والخلة وانه في
الاخرة لمن الصالحين الذين لهم الدرجات العلى وفي هذا حجة
وبيان لخطا من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله
في الدارين وكان مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم
القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او
متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر تنبيه قال
الحسين بن الفضل في الاية تقديم وتاخير وتقديرها اقال له
اصطفيناه في الدنيا والاخرة وانه لمن الصالحين وقوله تعالى
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اى ظرف
لاصطفيناه اى اخترناه في ذلك الوقت واما منصوب
باضمار اذكر كانه قال اذكر ذلك الوقت ليعلم انه المصطفى العالم
المستحق للامامة والتقدم وانه نال فانال بالمبادرة الى الاذعان
واخلاص الدين دعاه ربه فكانه قال له كما قال عطاء
اسلم نفسك الى الله عز وجل وفوض امرك اليه قال اسلمت
اى فوضت قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقد صدق ذلك
حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين القي في النار ووصى بها

والعقاب ونظيره قوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصابرين وقيل المعلم رسول الله صلى الله وسلم
والموصوف وانما اسند علمهم الى ذاته تعالى لانهم خواصه واهل
القرب في عنده وقيل معناه ليتميز التابع من المنافق كما قال
تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز
لان العلم به يقع التمييز فالعلم سبب والتمييز مسبب فاطلق
السبب وهو العلم على المسبب وهو التمييز تنبيه العلم
في الاية اما بمعنى المعرفة فيتعدى الى مفعول واحد وهو من
يتبع واما معلق لما في من من معنى الاستفهام واما ان يكون
مفعوله الثاني محذوفا اي ليعلم من يتبع الرسول ممن
ينقلب وان قيل على الاول يكون العلم بمعنى المعرفة
والله تعالى لا يوصف بها لانها تقتضي سبق جهل والله
تعالى منزه عن ذلك اجيب بان ذلك لشيوعها فيما تقتضي
كونه مسبوقا بالعدم وليس العلم الذي بمعنى المعرفة كذلك
اذ المراد به الادراك الذي لا يتعدى الى مفعولين بل قال
الوالعراقي قد وقع اطلاق المعرفة على الله تعالى في كلام
النبي صلى الله عليه وسلم واقوال الصحابة وكلام اهل
اللغة وقوله تعالى وان هي المخففة من الثقيلة واسمها
محذوف واي وانها كانت اي التولية لكبيرة شاقة على
الناس الا على الذين هدى الله منهم وهم الثابتون على
الايمان وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان

وانكم لم تزلوا ولم تزالوا بوابل شكر سعيكم واعدكم الثواب العظيم
اوصلاتكم الى بيت المقدس بلغ شيئكم عليه لان سبب نزولها
ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين
اخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس ان كانت هدى فقد
تحولتم عنها وان كانت ضلالة فقد دينتم الله بها ومن مات
منكم عليها فقد مات على الضلالة فقال المسلمون ان لله
ما امر الله به والضلالة ما نهى الله عنه قالوا فاشهدوا لنا على
من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل ان تحول القبلة
من المسلمين اسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن
معرور من بني سلمة وكانا من النقباء رجالا اخرون فانطلق
عشائرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله
لقد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا
وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى هذه الاية
ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع
صلاتهم فان قيل لم قدم الرؤف على الرحيم مع انه ابلغ
اجيب بانه قدم محافظة على الفواصل وقرا ابو عمرو وشعبة
وحمزة والكسائي لرؤف بقصر الهمزة والباقون بمدها
ولو وقف على الهمزة المد والتوسط والقصر على اصله قد
للتحقيق نرى تقلب اي تردد وجهك في السماء اي في جهتها
منتظرا الى الوحي ومنتشوفا الى الامر باستقبال الكعبة
وهذه الاية وان كانت متاخرة في التلاوة فهي متقدمة في

المعنى

المعنى فانها راس القصة وامر القبلة اول ما نسخ من
امور الشرع وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة
امره الله تعالى ان يصلى الى نحو صخرة بيت المقدس ليكون
اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما
يجدونه من نعته فى التوراة وكان يجب ان يوجه الى الكعبة
لانها كانت قبلة ابراهيم الخ صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد
كان يحب ذلك من اجل ان اليهود كانوا يقولون يخالفنا محمد
فى ديننا ويتبع قبلتنا فقال لجبريل عليه الصلاة والسلام
وددت لو حولنى الله الى الكعبة فانها قبلة ابى ابراهيم فقال
جبريل انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت
ربك فانك عند الله بمكان فعرج جبريل وجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السما وجاز ان ينزل
جبريل بما يجب من امر القبلة وذلك يدل على كمال ادبه
حيث انتظر ولم يسال فنزل قوله تعالى فنولينك اى
فلنحولنك قبلة اى الى قبلة ترضاها اى تحبها وتهواها
لاغراضك الصحيحة التى اضمرتها ووافقتها مشية الله
وحكمته فول اى اصرف وجهك شطر اى نحو المسجد
الحرام اى الكعبة اى استقبل عينها بصدرك فى الصلاة وان
كنت بعيدا عنها وقوله البيضاوى يكفيه مراعاة الجهة فان
فى استقبال عينها حرج عليه وهو ضعيف والحرام المحرم

فيه القتال ومنع من الظلمة ان يعرضوه وقوله تعالى
وحيث ما كنتم اى من بحر او بر شرق او غرب خطاب للامة
فولوا وجوهكم فى الصلاة شطره وكان تحويل القبلة فى رجب
بعد الزوال قبل قتال بدر شهرين وقول البيضاوى وقد صلى
باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى
الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم
فسمى المسجد مسجد القبلتين فيه تحريف فان ظاهره انه
صلى الله عليه وسلم كان اماما فى قصة بنى سلمة وانه تحول
فى الصلاة وليس كذلك فقد روى البخارى عن ابن عمر انه قال
بينما الناس يصلون فى صلاة الصبح اذ اتاهم آت اى من بنى
سلمة فقال ان النبى صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة
قرآن وقد امر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت
وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة ولما تحولت القبلة
قالت اليهود وما هو الا شئ يبتدعه محمد من تلقاء نفسه
فتارة يصلى الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا
لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذى ننتظره فانزل الله تعالى
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه اى التولى الى الكعبة
الحق اى الثابت من ربهم لما فى كتبهم من نعت النبى صلى الله
عليه وسلم من انه يحول اليها وقوله تعالى وما الله بغافل
عما تعملون قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى بالتاء على الخطاب
للمؤمنين اى وما انا بغافل عن جزائكم ولوائكم والباقون

باليا

بالياء على الغيبة اى عما يعمل اليهود اى فاجازيهم فى الدنيا والاخرة
ففى الاية وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين ولما قالت اليهود
والنصارى ايتنا بآية على ان الكعبة قبلة نزل ولئن اللام
موطئة للقسم اتيت الذين اوتوا الكتاب اى اليهود
والنصارى بكل اية اى برهان وحجة على ان التوجه الى
الكعبة هو الحق وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك جواب للقسم
المضمر والمعنى ان تركهم اتباعك ليس على شبهة تزول بها بايراد
الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم لما فى كتبهم من
نعتك انك الحق تنبيه كان مقتضى الظاهر ما يتبعون
لكن اتى بالماضى لتحقق وقوعه كقوله تعالى اتى امر الله
وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا
لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذى ننتظره
تغرير امتهم له وطمعا فى رجوعه وما بعضهم بتابع قبلة
بعض اى انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون فى شأن
القبلة فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع
الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب
كل حزب فيما هو فيه فان قيل كيف قال تعالى وما انت بتابع
قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة اجيب
بان كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا
لحكم الاتحاد فى البطلان قبلة واحدة وقوله تعالى ولئن اتبعت
اهواءهم خطاب مع النبى والمراد به الامة او على سبيل الفرض

والتقدير من بعد ما جاءك بين لك من العلم بالوحي في القبلة
انك اذا ان اتبعتهم لمن الظالمين اي من المرتكبين الظلم
الفاحش وفي هذا لطف للسامعين وزيادة تحذير واستقطاع
لحال من ترك الدليل بعد انارته وتتبع الهوى وتهييج للثبات
على الحق وقد اكد سبحانه وتعالى التهديد في ذلك وبالغ فيه قال
البيضاوي من سبعة اوجه الاول الاتيان باللام الموطئة للقسم
الثاني القسم المضمر الثالث حرف التحقيق اي التاكيد وهي
ان الرابع تركيبه من جملة اسمية الخامس الاتيان باللام في
الخبر اي وهو من الظالمين السادس جعله من الظالمين اي
تعريف الظالمين الدال على المعروفين ولم يقل انك ظالم فان
في الاندراج معهم ايهاما بحصول انواع الظلم لان ال في الظالمين
للاستغراق السابع التقييد بمجيء العلم تعظيما للحق المعلوم
وتحريضا على اقتضائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستقطاعا
لظهور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب اي علمناهم
يعرفونه اي محمدا صلى الله عليه وسلم لسبق ذكره بلفظ
الرسول مرتين وقول البيضاوي تبعا للزمخشري وان لم
يسبق ذكره ممنوع وقيل القران وقيل التحويل ويدل للاول
قوله تعالى كما يعرف ابناءهم اي من بين الصبيان قال عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه لعبد الله بن سلام رضي الله
عنه كيف هذه المعرفة قال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين
رايته كما اعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد

من

من معرفتي بابني فقال عمر وكيف ذلك قال لست اشك في
محمد انه بني واما ولدي فلعل والدته خانت فقال عمر وفقك
الله يا ابن سلام فقد صدقت فان قيل لم خص الابنا من
الاولاد اجيب بان الذكر اشهر واعرف وهم لصحبة الابا
الزم وبقلوبهم الصق وان فريقا منهم اي اهل الكتاب
ليكتمون الحق اي صفته صلى الله عليه وسلم وامر الكعبة
وهم يعلمون ولا يظهرونه عنادا وقوله تعالى الحق من
ربك كلام مستانف والحق اما مبتدا خبره من ربك
والمعنى انه الحق ما ثبت انه من كلام الله تعالى كالذي انت
عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا
محذوف اي هذا الحق من ربك حال او خبر بعد خبر والمعنى ان
ما جاك من العلم او ما يكتمونه هو الحق لا ما يزعمون فلا تكونن
من الممترين اي من الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق
عالمين به اي فلا تكونن من هذا النوع هو ابلغ من لا تمتر
وليس فيه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه
غير متوقع منه بل لتحقيق الامر وانه يحدث لا يشك فيه
ناظر واما ان المراد به امته ولكل اي امة من الامم وجهة اي
قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة هو
موليها وجهه في صلاته وقرا ابن عامر وحده مولاها بفتح
اللام والف بعدها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والباقون
بكسر اللام ويا بعدها وعلى هذا فاحد المفعولين محذوف

اى هو موليها وجهه كما مر تقديره والله تعالى موليها اياه
فاستبقوا الخيرات اى بادروا الى الطاعات وقبولها من امر
القبلة وغيره مما تنالوا به سعادة الدارين اينما تكونوا انتم
واهل الكتاب يات بكم الله جميعا يوم القيامة فيجازيكم باعمالكم
ان الله على كل شى قدير فيقدر على الاحيا والجمع تنبيه رقق
ورش الرا المفتوحة بعد اليا الساكنة واتفق المصاحف على
قطع اين من ما هنا ومن حيث خرجت اى من اين مكان خرجت
للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه اى
هذا الامر للحق من ربك وقوله تعالى وما الله بغافل عما
تعملون قراة ابو عمرو باليا على الغيبة والباقون على الخطاب
بالتا ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره تنبيه ما مقطوعة من حيث
فى موضعى هذه السورة وكرر سبحانه وتعالى التولى لشطر المسجد
الحرام ثلاث مرات لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ
من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان فكرر عليهم
ليثبتوا ويقوموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط
بالاخر لانه تعالى علق بكل اية فايدة ففى الاولى ان اهل الكتاب
يعلمون ان امر محمد او امر القبلة حق لمشاهدتهم له فى
التوراة والانجيل وفى الثانية انه تعالى شهد انه حق
وشهادة الله مغايرة لعلم اهل الكتاب وفى الثالثة بان
العلة وهى قطع حجة اليهود اولان الاحوال ثلاثة اولها

ان

ان يكون الانسان في المسجد الحرام وثانيها ان يخرج عنه ويكون
في البلد وثالثها ان يخرج عن البلد فالاية الاولى محمولة
على الاول والثانية على الثاني والثالثة على الثالث وقوله
تعالى لئلا يكون للناس اي اليهود والمشركين عليكم حجة
اي مجادلة فالتولي علة لقوله تعالى فولوا والمعنى ان التولية
عن الصخرة الى الكعبة تدافع احتجاج اليهود بان المنعوت
في التوراة قبلة الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في
قبلتنا ويدفع احتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم
ويخالف قبلته وقرا ورش بابدال الهمزة من لئلا يا مفتوحة
وقفا ووصلا وحمزة يبدلها وقفا لا وصلا والباقون بهمزة
مفتوحة وصلا ووقفا وقوله تعالى الا الذين ظلموا منهم
بدل واستثنا متصل اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة
الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا
الى دين قومه وحبا لبلده او بدى له فرجع الى دين ابايه
ويوشك ان يرجع الى دينهم فلا تخشوهم اي فلا تخافوا
مطاعنتهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني بامتثال
امري فلا تخالفوا ما امرتكم به تنبيه اليا هنا ثابتة في
الرسم وهي في القراة ثابتة وقفا ووصلا فان قيل اي حجة
تكون لغير الذين ظلموا لو لم تحول حتى احترز من تلك الحجة
ولم يبال بحجة المعاندين اجيب بانهم كانوا يقولون ما لا
يحول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة

فان قيل كيف اطلق الحجة على قول المعاند نجيب بان المراد
بالحجة ما يتمسك به حقا او باطلا كما قال تعالى حجتهم داحضة
وقوله تعالى ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون اى الى الحق
علة محذوف اى وامرتكم بذلك لاتمامي النعمة عليكم وارادتي
اهتداكم او عطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفي نعمتي
ولاتم نعمتي عليكم قاله الكشاف وقيل هو معطوف على لئلا يكون
وجرى عليه البيضاوي والسيوطي قاله البيضاوي تبعا
للكشاف وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة اى ورؤية الله
تعالى وعن علي رضي الله تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام
قال شيخنا القاضي زكريا وورد الحديث الترمذي وذكره مع الاثر
بعده وما يرجح العطف على العلة قوله تعالى كما ارسلنا الخ
متعلق بما قبله وهو اتم اى ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة
او في امر الاخرة اتماما كاتمامها بارسالنا فيكم رسولا منكم وهو
محمد صلى الله عليه وسلم واما متعلق بما بعده وهو اذكروني
اذكركم اى ذكركم بالارسال فاذكروني يتلو عليكم اياتنا
اى القرآن ويزكيكم اى يطهركم من الشرك ويعلمكم الكتاب
اى القرآن والحكمة اى ما فيه الاحكام تنبيه قدم هنا يزكيكم
على يعلمكم باعتبار المقصد واخر دعوة ابراهيم يزكيهم على
يعلمكم باعتبار الفعل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اى بالتفكر
والنظر اذ لا طريق لمعرفته سوى الوحي فاذكروني بالطاعة
كالصلاة والتسبيح اذكركم قال ابن عباس بمغفرتي وقال

سعيد

سعيد بن جبير بمغفرتي وقيل اذكروني في النعمة والرخا اذكركم
في الشدة والبلا كما قال تعالى فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون وفي الحديث عن الله تعالى
انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في
نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير
من ملا يعوان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب
الي ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة
وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى
يقول يا ابن ادم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وان
ذكرتني في ملا ذكرتك في ملا خير منه وان دنوت مني شبرا
دنوت منك ذراعا وان دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا
وان مشيت الي هرولت اليك وان سالتني اعطيتك وان
لم تسالني غضبت عليك وفي رواية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني
وتحركت بي شفتاه وفي رواية جا اعرابي الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اي الاعمال افضل ان تفارق
الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله وقرا ابن كثير بفتح الياء
والباقون بالسكون وهم على مراتبهم في المد واشكروا لي
نعمتي بالطاعة ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر فان
اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره يا ايها الذين
امنوا استعينوا بالصبر على الطاعة والبلا ومن المعاصي

وخطوف النفس والصلاة خصهما بالذكر لانهما ام العبادات
لاشتمالها على فعل القلب وغيره ومناجاة رب العالمين ان
الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن
يقتل في سبيل الله هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون
اى لا تعلمون كيف حالهم في حياتهم قال البيضاوى وهو
تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد وكامن جنس ما يحس
به من الحيوانات وانما هو امر لا يدرك بالعقل بل بالوحى انتهى وهذا
ما عليه اكثر المفسرين قال ابن عادل ويحتمل ان حياتهم
بالجسد وان لم يشاهد ويدل بان حياة الروح ثابتة لجميع
الاموات بالاتفاق فلو لم تكن حياة الشهيد بالجسد
لا يستوى هو وغيره ولم تكن له مزية انتهى وقد يرد بان
الشهداء فضلوا على غيرهم بانهم يرزقون من مطاعم الجنة
وماطلها وغيرهم من المؤمنين متعبدون بما دون ذلك وفي
الحديث ارواحهم في حواصل طير خضر تسرح في انهار
الجنة حيث شاءت ثم تاوى الى قناديل تحت العرش وعن
الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم
فيصل اليهم الروح ان الاستراحة اى التلذذ والتنعم
والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا
فيصل اليهم الوجع والالم وعلى هذا فتخصيص الشهداء الاختصاصهم
بالفرح من الله ومزيد السرور والكرامة والارواح
جواهر قايمة بانفسها تبقى بعد الموت دراكة كما عليه جمهور

الصحابة والتابعين ونطقت به الايات والسنن ولنبلونكم
اى ولنختبرنكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم واللام لجواب
القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء اظهار المطيع من
العاصى لا ليعلم شيأ لم يكن عالما به بشئ اى بقليل من
الخوف اى خوف العدو والجوع اى القحط وانما قللة بالنسبة
لما وقاهم عنهم فخفف عنهم ويحتمل ان رحمته لاقتارهم او
بالنسبة الى ما يصيب به معاندهم فى الاخرة وانما اخرهم
قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال
بالخسارات والهلاك والانفس بالقتل والموت وقيل بالمرض
والشيب والثمرات بالجوائح وعن الشافعى رضى الله تعالى
عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ومن الثمرات
موت الاولاد وعن ابى سنان قال دفنت ولدى سنانا وابو
طلحة الخولانى على شفير القبر فلما اردت الخروج اخذ بيدى
فاخرجنى فقال الا ابشرك حدثنى الضحاك بن عبيد عن
ابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله لملائكته
اقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول افقضتم ثمرة
فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ابنوا لعبدى بيتا
فى الجنة وسموه بيت الحمد وقوله تعالى وبشر الصابرين
اى على ما يصيبهم من المكروه وعطف ما قال التفتازانى
على ولنبلونكم عطف المضمون على المضمون اى الابتلاء

حاصل الكلام وكذا البشارة لكن لمن صبر ثم بين هم بقوله الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله عبيدا وملكا وانا
اليه راجعون في الاخرة والمصيبة كل ما يصيب الانسان
من مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم كل شئ يؤذي المؤمن
فهو له مصيبة وعن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
رضي عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من مصيبة تصيب عبدا فيقول انا لله وانا اليه
راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها
الا اجره الله في مصيبته واخلف عليه خيرا منها قالت فاخلف
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية من استرجع
عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل
له خلفا صالحا يرضاه وقال محمد بن جبير ما اعطى احد
ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع ولو اعطيها
احد لاعطى يعقوب في قصة فقد يوسف الا تسمع الى قوله
يا اسفى على يوسف وليس المصير بالاسترجاع باللسان
بل بالجنان مع القلب بان يتصور ما خلق لاجله فانه راجع
الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف
ما استرده منه فيهون على نفسه ويسلم لربه
والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات اي مغفرة
من ربهم ورحمة اي لطف واحسان والصلاة في الاصل من
الادمي ومن الجن تضرع ودعاء ومن الملائكة استغفار

ومن

ومن الله تعالى رحمة مقرونة بتعظيم وجمع الصلاة للتنبيه
على كثرتها كالتنبيه في لبيك بمعنى الانقطاع لمغفرته
واولئك هم المهتدون الى الصواب حيث استرجعوا
وسلموا لقضاء الله وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه نعم العدلان ونعمت العلاوة والعدلان الصلاة
والرحمة والعلاوة الهداية وقد ورد اخبار في ثواب اهل
البلاء واجر الصابرين منها انه صلى الله عليه وسلم
قال من يرد الله به خيرا يصيب ومنها انه صلى الله
عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا
هم ولا غم ولا خوف ولا اذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر
الله بها من خطاياه ومنها ان امراة جات الى النبي صلى الله
عليه وسلم وبها لمم فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى ان
يشفيني فقال ان شئت دعوت الله ان يشفيك وان شئت
فاصبري ولا حساب عليك قالت بلا صبر ولا حساب
علي ومنها انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اشد
الناس بلاء قال الانبياء والامثل فالامثل يبتلى الرجل على
حسب دينه فان كان في دينه صلبا ابتلي على قدر ذلك وان
كان في دينه رقة هون عليه فما زال كذلك حتى يمشي على
الارض ما له ذنب ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال
ان اعظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم
فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط ومنها انه

صلى الله عليه وسلم قال لا يزال البلا بالمومن والمومنة في
نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطية
ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال مثل المومن كمثل الزرع
لا يزال الريح يثنيه ولا يزال المومن يصيبه البلا ومثل
المنافق كمثل شجرة الارز لا تهتز حتى تستحصد ومنها انه
صلى الله عليه وسلم قال عجب للمومن ان اصابه خير حمد
الله وشكر وان اصابته مصيبة حمد الله وصبر فالمومن
يوجر في كل امره ان الصفى والمروة هما علما جبلين بمكة
في طرفي المسعى قال القرطبي وذكر الصفى لان ادم وقف
عليه وانث المروة لان حوى وقفت عليها من شعاير الله
اي اعلام دينه جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه
ومعبداته فمن حج البيت او اعتمر اي تلبس بالحج او العمرة
والحج لغة القصد والاعتمار الزيارة تغليبا شرعا على قصد
البيت وزيارته على الوجهين المعروفين فلا جناح اي لا اثم
عليه ان يطوف فيه ادغام التا في الاصل في الطا بهما اي بان
يسعى بينهما سبعا فان قيل كيف قيل انهما من شعاير الله
ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما اجيب بانه كان على
الصفى اسان وعلى المروة نايلة وهما صنمان يروى انهما
كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فلما طالت
المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سمعوا
مسحوهما فلما جا الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون

الطواف

الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية فاذن الله تعالى فيه
واخبر انه من شعائر الله والاجماع على ان السعي بين الصفا
والمروة مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعني
احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله تعالى فلا
جناح عليه فانه فهم منه التخيير قال البيضاوي وهو
ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى
الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر
بدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله صلى الله عليه
وسلم ابدأوا بما بدأ الله به يعني الصفا رواه مسلم ومن
تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما
فرض الله عليه من حج او عمرة او طواف ونحو خيرا على انه
صفة مصدر محذوف اي تطوعا او بحذف الجار وايصال
الفعل اليه اي اي بخير وقرا حمزة والكسائي يطوع بالياء على
التذكير وتشديد الطاء والواو وسكون العين وامثله تطوع
فادغم مثل يتطوع والباقون بالتاء على الخطاب وتحقيق
الطاء فتح العين فان الله شاكر لعلمه بالاثابة عليه عليم
بنيته تنبيه الشكر من الله ان يعطي العبد فوق ما
يستحقه فانه يشكر اليسير ويعطي الكثير وتزلت في علماء
اليهود ان الذين يكتمون الناس من احبار اليهود ما انزلنا
من البينات كاية الرجم ونعت اتباعه صلى الله عليه وسلم
والايمان به من بعد ما بيناه اوضحناه للناس في الكتاب

اى التوراة اى لم تدع فيه موضع اشكال ولا انتباه على
احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الواضح فكتموه ولبسوا
على الناس اوليك يلعنهم الله واصل الكفر الطرد والبعد
ويلعنهم اللاعنون اى يسالون الله ان يلعنهم ويقولون
اللهم العنهم تنبيهان احدهما اختلف فى هولا اللاعنين
فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هم جميع الخلايق
الا الجن والانس وقال عطا هم الجن والانس وقال الحسن
جميع عباد الله وقال مجاهد البهايم تلعن عصاة بنى ادم
اذا امسك المطر وتقول هذا من شوم ذنوب بنى ادم ثانيهما
هذه الاية توجب اظهار علوم الدين منصوصه ومستنبطه
وتدل على امتناع اخذ الاجرة على ذلك وقد روى الاعرج عن
ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال انكم تقولون اكثر
ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وايم الله لولا اية
فى كتاب الله ما حدثت احدا بشى ابدا وتلى ان الذين يكتمون
الاية الا الذين تابوا اى رجعوا عن الكتمان وساير ما
يجب ان يتاب منه واصلحوا ما افسدوا من احوالهم
وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله فى كتابهم
فكتموه فاوليك اتوب عليهم اتجاوز عنهم واقبل توبتهم
وانا التواب اى الرجاع لقلوب عباده المنصرفة عنى
الى الرحيم بهم بعد اقبالهم على ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار اى من لم يتب من الكاتمين حتى مات اوليك عليهم

لعنة

لعنة الله ولعنة الملائكة ولعنة الناس اجمعين لعنهم
الله احياء ثم لعنهم امواتا وقال ابو العالية هذا يوم القيامة
يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم تلعنه الناس
فان قيل قد قال الله تعالى والناس اجمعين وفي الناس المسلم
والكافر فما معنى لعنه لا يلعنونه اجيب باجوبة منها ان المراد
منهم من يعتد بلعنه وهم المؤمنون قاله ابن مسعود وعلى
هذا فيكون من العام الذي اريد به الخاص ومنها انهم يلعنونه
في القيامة قال تعالى يلعن بعضكم بعضا وقال كلما دخلت
امة لعنت اختها ومنها ان اللعنة من الاكثر يطلق عليها
لعنة عند جميع الناس تغليبا لحكم الاكثر على الاقل ومنها
انهم يلعنون الظالمين والكافرين ومن لعن الظالمين او
الكافرين فهو منهم فقد لعن نفسه ومعنى لعنة الله لهم
تبريده منهم وطردهم وتبعيدهم عن الرحمة والثواب او
دعاؤه عليهم بذلك خالدين فيها اي اللعنة او النار المدلول
بها عليها لا يخفف عنهم العذاب طرفة عين ولا هم
ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يوجلون او لا ينظرون
ليعتذروا لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون او لا ينظر
اليهم نظرة رحمة ولما قال كفار قريش يا محمد صف لنا ربك
وانسبه لنا والهكم اله واحد وسورة الاخلاص والواحد
هو الذي لا نظير له ولا شريك وقوله تعالى لا اله الا هو
تقرير للوحدانية ودفع لانه يتوهم ان في الوجود الها ولكن

لا يستحق منهم العبادة وقوله تعالى الرحمن الرحيم كالدليل
على الوحدانية فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها بقوله الرحمن
فانه مولى جلايل النعم وفروعها بقوله الرحيم فانه مولى لطايف
النعم ودقايقها وما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فلا يستحق
العبادة احد غيره وهما جران اخران لقوله الحمد ولمبتدا
محذوف وعن اسما بنت يزيد انها سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان في هاتين الايتين اسم الله الاعظم
والهكم اله واحد والم والله لا اله الا هو الحي القيوم ولما سمع
المشركون هذه الاية وكان لهم حول الكعبة ثلثماية
وستون صنما تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية
نعترف بها فقد فنزل ان في خلق السموات والارض الى
اخر الاية فان قيل لم جمع السموات وافرد الارض اجاب البيضاوي
بان السموات طبقات متفاصلة بالذات مختلفة الحقيقة
بخلاف الارضين انتهى وهذا انما يتاتى على قول بعض الحكما
ان المراد بالارضين الاقاليم والاولى ما اجاب به البيضاوي
من ان بعضها جنس اخر والارضون كلها من جنس واحد
وهو التراب ان قيل لم طبقات كالسموات والاية في السموات
سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من
الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك والاية في الارض مدها
وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الاشجار والانهار
والجبال والبحار والجواهر والنبات وغير ذلك واختلاف

الليل والنهار اى تعاقبهما فى المجئ والذهاب يخلف احدهما
صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الآخر خلفه اى بعده وقال
تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة قال عطاء اراد ما
اختلفا فيها فى النور والظلمة والزيادة والنقصان والليل
جمع ليلة والليالى جمع الجمع والنهار جمع نهر وقدم الليل على
النهار فى الذكر لانه اقدم قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ
منه النهار والفلك اى السفن التى تجرى فى البحر بما
ينفع الناس من التجارة والحمل والآية فيها تسخيرها وجريها
على وجه الماء وهى موقورة لا ترسب تحت الماء تنبيه انث
الفلك لانه بمعنى السفينة لان واحد السفن وجمعه سواء
لو كانت بمعنى المركب لذكرها مع انها فى اللغة تذكر وتؤنث
قال تعالى اذا انشأ الى الفلك المشحون وصفة الجمع غير صفة
الواحد تقديرا ذهنى فى الجمع كالضمة فى حمر وفى الواحد كالضمة
فى قفل قال البيضاوى والقصد بهذا الفلك الى الاستدلال
بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه
الى البحر والاطلاع على عجايبه ولذلك قدمه على ذكر المطر
والسحاب لان منشأها البحر فى غالب الامر انتهى فجعل الآية
فى البحر لا فى السفن والاولى جعل الآية فيهما وقوله لان منشأها
البحر هو قول الحكماء والاشاعرة على خلافه وهو الذى دلت
عليه الاخبار قال شيخنا القاضى زكريا وحاصلها ان السحاب
منشأه شجرة فى الجنة والمطر من بحر تحت العرش وما

انزل الله من السماء ماء اى مطرا من جنسه من الاولى
للابتداء والثانية للبيان قال البغوى قيل اراد بالسماء السحاب
يخلق الله الماء فى السحاب ثم من السماء السحاب ينزل وقيل
اراد بالسماء السحاب يخلق الله الماء فى السحاب ثم من السماء
السحاب ينزل وقيل اراد بالسماء المعروفة يخلق الله الماء
السماء ثم ينزل من السماء الى السحاب ثم من السحاب ينزل الى
الارض انتهى وفيه مامر فاحيا به الارض بالنبات بعد موتها
اى بسببها وجدوبتها وبث اى فرق ونشر بالماء فيها من
الارض من كل دابة فان قيل هل بث عطف على انزل او احيا
اجيب بانه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان
قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصار اجمعها
كالشئ الواحد فكانه قيل وما انزل فى الارض من ماء وبث فيها
من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض
وبث فيها من كل دابة لان الدواب يعيشون بالخصب ويعيشون
بالحيا اى المطر وتصريف الرياح الى قبول ودبور وجنوب
وشمال تقابلها والشمال التى تهب من جانب القطب والجنوب
تقابلها قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح والماء وسميت
الريح ريحا لانها تريح النفوس قال شريح القاضى ما هبت ريح
الا لشفاء سقم او لسقم صحيح فائدة البشارة فى هذه الآية
من الرياح فى الصبا والشمال والجنوب اما الدبور فهى الريح
العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح ثمانية اربعة الرحمة وهى

المبشرات

المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات واربعة للعذاب
وهي العقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر
وقراة حمزة والكسائي الريح بالتوحيد والباقون بالجمع فايدة
اخرى كل ريح في القران ليس فيها الف ولا لام اتفق القرا على
توحيدها وما فيها الف ولام كما هنا اختلفوا في جمعها وتوحيد
الحرف الاول في سورة الروم الرياح مبشرات اتفقوا على جمعها
والريح تذكر وتونث والسحاب اي الغيم المسخر اي المذلل
بامر الله يسير حيث شا الله بين السما والارض بلا
علاقة لا ينزل ولا يرتفع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى
ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله
واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات اي
دلالات واضحات على وحدانية الله تعالى لقوم يعقلون
اي ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلايل على عظيم
القدرة وباهر الحكمة وقول البيضاوي وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر
بها قال الولي العراقي لم اقف عليه وقال السيوطي لم يرد في
هذه الاية ولا بهذا اللفظ ثم قال عن عايشة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال انزل على الليلة ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ثم قال ويل
لمن قراها ولم يتفكر فيها قيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن
قال يقراهن وهو يعقلهن ولا ينافي هذا انه ورد ايضا في هذه

الاية ومن حفظ حجة على من لم يحفظ قال البيضاوي وفي الاية
تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر
فيه انتهى ولا ينافي هذا قول الشافعي رضي الله عنه لان يلقى
العبد ربه بكل ذنب ما عدا الشرك خير له من ان يلقاه بعلم
الكلام لانه محمول على التوغل فيصير فلسفيا ومن الناس
وهم المشركون من يتخذ من دون الله اى غيره اندادا اى
اصناما يعبدونها يحبونهم بالتعظيم والخضوع كحب الله
اى كحبهم لله كما قال الزجاج يحبون الاصنام كما يحبون الله
لانهم اشركوها مع الله فسووا بين الله وبين اصنامهم
في المحبة او يحبونها لانهم كحب المومنين لله والذين امنوا
اشد حبا لله اى اثبت وادوم على حبه لانهم لا يختارون
على الله ما سواه والمشركون في محبتهم لاغراض فاسدة وهو
تنزل بادنى سبب ولذلك كانوا اذا اتخذوا صنما احسن منه
طرحوا الاول واختاروا الثاني او ياكلونه كما اكلت باهلة
الهها من جبس عند المجاعة ويعرضون عن معبودهم
في وقت البلاء ويقبلون على الله كما اخبر الله تعالى عنهم
فقال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اى
والمومن لا يعرض عن الله تعالى في السراء والضراء والشدة
والرخاء وقيل انما قال تعالى والذين امنوا اشد حبا لله لان
الله احبهم اولا فاثمر اجبه ومن شهد له المحبوب بالمحبة
كانت محبته ثم قال الله تعالى يحبهم ويحبونه فمحبة العبد

لله طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد
ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي ولو
يرى الذين ظلموا اى لاتخاذ الانداد اذ يرون اى يبصرون
العذاب يوم القيامة واذ بمعنى اذا او اجرد المستقبل
وهو يرى مجرى الماضي لان ان موضوعة للماضي والوقف
هنا على الاستقبال لتحققه كقوله تعالى ونادى اصحاب
الجنة ان اى بان القوة اى القدرة والغلبة لله وقوله
تعالى جميعا حال وان الله شديد العذاب وجواب لو
محذوف والتقدير لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذ عاينوا
العذاب لندموا اشد الندم والفاعل ضمير السامع
والذين ظلموا ويرى بمعنى يعلم وان وما بعدها سدت مسد
المفعولين وقرا نافع وحده بالتاء على الخطاب اى ولو ترى
يا محمد ذلك لرايت امرا عظيما واما السوسي الالف المنقلبة
بعد الراء في الوصل فخلاف عنه وغلظ ورش اللام بعد الطاء وقرا
ابن عامر يرون بضم الياء والباقون بفتحها اذ بدل من اذ
قبله تبرا الذين اتبعوا وهم الرؤساء من الذين اتبعوا
وهم الاتباع اى ينكر الرؤساء اضلال الاتباع يوم القيامة
حين يجمع الله السادة والاتباع وقد راوا العذاب اى
رايين له قالوا او للحال وقد مضمرة كما قدرتها وقيل عطف على
تبرا وقوله تعالى وتقطعت عطف على تبرا وقوله تعالى بهم
بمعنى عنهم الاسباب اى الوصل التي كانت بينهم في الدنيا

من القرابات والصداقات وصارت مخالفتهم عداوة وقال
الذين اتبعوا اى الاتباع لو ان لنا كرة اى رجعة الى
الدنيا فنتبرأ منهم اى الرؤساء كما تبرءوا منا او
للتمنى ولذلك اجيب بالفاء كذلك اى مثل ذلك الاراءة الفظيع
يريهم الله اعمالهم اى السيئة وقوله تعالى حسرات اى
تتقلب ندامة عليهم ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية
القلب والا فحال وقوله تعالى وما هم بخارجين من النار اصله
وما يخرجون لان المناسب ان تعطف جملة فعلية على جملة
فعلية لكن عدل به الى هذه العبارة للمبالغة فى الخلود والاقناط
عن الخلاص والرجوع الى الدنيا واختلف فى سبب نزول
قوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا فقال
البيضاوى نزلت فى قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة
والملابس اى لا على وجه التورع كما تفعله الصوفية وما
قاله قول مرجوح كما قاله شيخنا القاضى زكريا والمشهور
انها نزلت فيهم اية المايدة وهى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم واما هذه الاية فانما نزلت فى الكفار
الذين حرموا السوائب والوصايل ونحوها ومن ثم
عبر هنا بيا ايها الناس وثم بيا ايها الذين امنوا تنبيه
حلالا مفعول كلوا او حال وقوله تعالى طيبا اما صفة
مؤكدة واما طاهرا من كل شبهة وهو ما يستطيبه الشرع
قال الكشاف ومن للتبعيض لان كل ما فى الارض ليس بمأكول

هذا

هذا ان جعلنا حلالا حالا فان جعلناه مفعولا فمن للابتدا
كما قاله التفتازاني لان من التبعيضية في موضع المفعول
اي كلوا بعض ما في الارض ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي
طرقه كما قاله الزجاج او المحقرات من الذنوب كما قاله ابو
عبيدة فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل
حرام وقرا ابن عامر وقنبل وحفص والكسائي بضم الطا
والباقون بالسكون انه لكم عدو مبين اي بين العداوة
او مظهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة
لمن يغويه وقد اظهر عداوته بامتناعه من السجود
لادم ثم بين سبحانه وتعالى عداوته بانه لا يامر بخير قط
بقوله انما يامركم بالسوء اي القبيح شرعا والفحشا اي ما
تجاوز الحد في القبح من العظايم وعن ابن عباس ان السوء
من الذنوب ما لا حد فيه والفحشا من المعاصي ما يجب به
الحد وقال السدي الفحشا هي الزنا وقيل البخل قال البيضاوي
واستعير الامر لتزيينه ونعته لهم تسفيها لهم وتحقيرا
لشانهم انتهى قال شيخنا القاضي زكريا ولا حاجة الى صرف
الامر عن ظاهره لان حقيقته طلب الفعل ولا ريب ان
الشيطان يطلب السوء والفحشا ممن يريد اغواه ويامركم
ايضا ان تقولوا على الله ما لا تعلمون كتحليل المحرمات
وتحريم الطيبات واتخاذ الانداد وقوله تعالى واذا قيل
لهم اتبعوا ما انزل الله من التوحيد وتحليل الطيبات متصل

بما قبله وهو نازل في مشركي العرب وكفار قريش والضمير في
لهم عايد على الناس المذكورين في قوله تعالى ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا عدل عن الخطاب عنهم للندا
على ضلالتهم كانه التفت الى العقلا وقال لهم انظروا الى هولا
الحمقا ماذا يجيبون وقيل مستانف والها والميم في لهم كناية
من غير مذكور روي عن ابن عباس انه قال دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع ابن خارجة
ومالك ابن عوف بل نتبع ما الفينا عليه ابانا فانزل الله تعالى
هذه الاية قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا اي وجدنا
عليه ابانا من عبادة الاصنام وتحريم العجاير والسوايب
فانهم كانوا خيرا واعلم منا قال الله تعالى اولو كان اي يتبعونهم
ولو كان اباوهم لا يعقلون شيا اي من امر الدين شيا
مطلقا فانهم كانوا يعقلون امر الدنيا فلفظه عام ومعناه
الخصوص ولا يهتدون الى الحق والهمزة للانكار والواو للحال
او العطف وجواب لو محذوف اي لو كان اباوهم جهلة
لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم
ومثل اي صفة الذين كفروا ومن يدعوهم الى الهدى
كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاوندا اي صوتا ولا
يفهم معناه والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق
الراعي بالضان قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما
منتك نفسك في الخلا ضلالا واما نعق الغراب بالغين

المعجمة

المعجمة والمعنى انهم فى سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم
تسمع صوت راعيها ولا تفهمه وقيل معنى الاية مثل الذين
كفروا فى دعا الاصنام التى لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق
بالغنم ولا ينتفع من نعيقه بشئ غير انه فى عنا من الدعا
والنداء كذلك الكافر ليس له من دعا الهته الا العنا والدعا
كما قال تعالى وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما
استجابوا لكم ثم وصف سبحانه وتعالى الكفار بصفات ذم
فقال صم اى هم صم عن سماع الحق تعود الغرب لمن
يسمع ولا يعقل ما يقال له انه اصم بكم عن الخير لا يتكلمون به
عمى عن الهدى لا يبصرون فهم لا يعقلون الموعظة
لاضلال نظرهم يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات اى
حلالات ما رزقناكم روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس ان الله
طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين بما امر به
المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وقال
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر
الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب
ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام فانى
يستجاب لذلك ولما وسع الله الامر على الناس كافة
واباح لهم ما فى الارض سوى ما حرم عليهم امر المومنين منهم
ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويتوموا بحقوقها فقال واشكروا

الله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون اى ان
صح انكم مخصوصون به بالعبادة وتعرفون انه مولى النعم فان
عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر
بالشكر لاتمامه وهو يعدم عند عدمه روى البيهقى
وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله انى واحد
والانس فى نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر
غيرى ثم بين سبحانه وتعالى المحرمات بقوله انما حرم عليكم
الميتة اى اكلها اذ الكلام فيه وكذا ما بعدها وهى التى ماتت
من غير ذكاة شرعية والحق بها بالسنة ما ابين من حى وميت
منها السمك والجراد والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا
حرمة التصرف فى المذبوح والدم اى المسفوح كما قاله
تعالى فى سورة الانعام او دما مسفوحا وروى ابن عمر رضى
الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احلت
لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال وهو
فى حكم الموقوف بل رفعه ابن ماجه وغيره لكن بسند ضعيف
ولحم الخنزير اى جميع اجزايه وعبر عن ذلك باللحم
لانه معظم المقصود منه وغيره تبع له وما اهل به لغير الله
اى ذبح على اسم غيره والاهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه
عند الذبح لالهتهم فمن اضطر اى الجاته الضرورة الى اكل شئ
مما ذكر فاكله غير باغ اى خارج على المسلمين وقيل
مجاوز المقدار الذى احل له ولا عاد اى متعد على المسلمين

فيها مطلق الامر حضه الدليل كالتصرف

بقطع الطريق وقيل لا يقصر فيما ابيح له فيدعه وقال سهل
ابن عبد الله غير باغ مفارق للجماعة ولا عاد مبتدع مخالف
للسنة فلم يرخص للمبتدع في تناول المحرم عند الضرورة
وقال مسروق من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم
ياكل ولم يشرب حتى مات دخل النار واختلف العلما في قدر
ما يحل للمضطر اكله من الميتة على قولين احدهما ان ياكل
مقدار ما يمسك رمقه وهو قول ابي حنيفة والراجح
الشافعي والقول الاخر يجوز ان ياكل حتى يشبع وبه قال
مالك فلا اثم اي لا حرج عليه في اكل ما ذكر وقرا ابو عمرو
وعاصم وحمزة بكسر نون فمن اضطر في الوصل والباقون
بضمها فايدة قال البغوي غير نصب على الحال وقيل على
الاستثنا واذا رايت غير تصلح في موضعها لا فهي حال واذا
صلح في موضعها الا فهي استثنا ان الله غفور لما اكل في حال
الاضطرار رحيم حيث رخص للعباد في ذلك فان قيل انها تفيد
قصر الحكم على ما ذكر وكم من محرم لم يذكر اجيب بان المراد
قصره على ما ذكر مما استحله الكفار لا مطلقا وقصر ما ذكر
على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشيا ما
لم تضطروا اليها تنبيه الحق بالباغي والعادي كل
عاص لسفره كالابق والمكاس فلا يحل لهم اكل شي من ذلك
ما لم يتوبوا وعليه الشافعي ونزل في علما اليهود ورؤسايهم
الذين كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والماكل وكانوا

يرجون ان يكون النبي المنعوت منهم فلما بعث صلى الله عليه
وسلم من غيرهم خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم
فعمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم
اخرجوها اليهم فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير
وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يتبعونه
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على
نعت محمد صلى الله عليه وسلم ويشترون به اى بالمكتوم ثمنا
اى عوضا قليلا اى يسيرا اى الماكل التى يصيبونها من
سفلتهم اولئك ما ياكلون فى بطونهم اى ملا بطونهم يقال
اكل فلان فى بطنه واكل فى بعض بطنه الا النار اى ما يوديهم
الى النار وهو الرشوة وثمن الدين وما كان يفضى بهم الى
النار لانها عقوبة عليه فكانهم اكلوا النار وقيل معناه
انه يصير نارا فى بطونهم ولا يكلمهم الله يوم القيامة اى
لا يكلمهم بالرحمة وبما يبشرهم انما يكلمهم بالتوبيخ او يكون
عليهم غضبانا لما ثبت بالنصوص انه تعالى يبيا لهم والسوال
كلام فحمل نفى الكلام على الغضب فهو كناية ويجوز ابقا
الكلام على ظاهره ويحمل نصوص السوال على انه يقع بالسنة
الملائكة ولا يزكيهم اى ولا يطهرهم من دنس الذنوب ولهم
عذاب اليم اى مولم وهو النار اولئك الذين اشتروا
اى استبدلوا الضلالة بالهدى فاخذوها بدله فى
الدنيا واستبدلوا العذاب بالمغفرة اى المعدة لهم فى الاخرة

اولم

او لم يكتموا الحق بالطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم
على النار اى ما اشد صبرهم وهو تعجب للمومن من ارتكاب
موجباتها من غير مبالات والا فاى صبر لهم كما قال الحسن
واليه ما لهم عليها من صبر ولكن ما اجراهم على العمل الذى
يقربهم الى النار وقال الكسائى فما اصبرهم على عمل اهل النار
اى ما ادومهم عليه روى عن الكسائى انه قال قال لى قاضى
اليمن بمكة اختصم الى رجلان من العرب فحلف احدهما على
حق صاحبه فقال ما اصبرك على عذاب النار ذلك اى الذى
ذكر من اكلهم النار وما بعده بان اى بسبب ان الله نزل
الكتاب وقوله تعالى بالحق متعلق بنزل فرفضوه به
بالتكذيب او الكتمان وقوله تعالى وان الذين اختلفوا
فى الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض
كتب الله وكفرهم ببعضها واما للعهد وحينئذ الاشارة
اما الى التوراة واختلافهم حيث امنوا ببعضها وكفروا
ببعضها بكتمه واما الى القران واختلافهم فيه قولوا سحر
وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفى شقاق
اى خلاف بعيد عن الحق واختلف فى المخاطب بقوله
تعالى ليس البر اى وهو فعل مرضى ان تولوا وجوهكم
اى فى الصلاة قبل المشرق والمغرب على قولين احدهما
انهم المسلمون والثانى اهل الكتابين الاول معناه ليس
البر كله فى الصلاة ولكن البر ما فى هذه الاية قاله ابن

عباس ومجاهد وعطاء وعلى الثانى ليس البر صلاة اليهود
الى المغرب وصلاة النصارى الى المشرق فانهم الكثر واله
الخوض فى امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر
هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما
انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما فى هذه الاية قال
قتادة والربيع ومقاتل وقال قوم هو عام لهم وللمسلمين
اى ليس البر مقصورا بامر القبلة وقرا حفص وحمزة بنصب
البر على انه خبر مقدم والباقون برفعه وقوله تعالى ولكن البر
من امن على تاويل حذف المضاف اى بر من امن او بتاويل
البر بمعنى ذى البر ولكن البر الذى ينبغى ان يهتم به بر
من امن ولكن ذا البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة
والكتاب اى الكتب ان اريد به الجنس والا فالقرآن
والنبيين والتاويل الاول اولى لان السابق فى الاية
انما هو نفى كون البر تولية الوجه والذى يستدرك انما
هو من جنس ما يبقى وقرا نافع وابن عامر بكسر نون
ولكن مخففة ورفعا البر والباقون بنصب النون مشددة
ونصب الراء والبر بين تقدم ان نافع يقرؤه بالهمز والباقون
على البدل وورش على اصله من المد والتوسط والقصر
واتى المال على اى مع حبه به كما قال عليه الصلاة والسلام
لما سئل اى الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح
تامل العيش اى الحياة وتخشى الفقر وتامل الغنى ولا تمهل

حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد
كان لفلان وقيل الضمير لله اى على حب الله ذوى القربى
اى القرابة قال صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسلمين
صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة واليتامى جمع
يتيم وتقدم تعريفه والمساكين جمع مسكين وهو من له
مال او كسب يقع موقعا من كفايته ولا يكفيه بخلاف الفقير
فانه من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من كفايته وسياتى
بيان ذلك ان شاء الله فى سورة براءة وابن السبيل اى المسافر
يقال للمسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف
ينزل بالرجل قال صلى الله عليه وسلم من كان
يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه والسايلين اى
الطالبين الذين لجاتهم الحاجة الى السوال قال صلى الله عليه
وسلم للسايل حق وان جا على ظهر فرسه رواه الامام احمد
وفى رواية وذو السايل ولو بظلف محرق وفى الرقاب اى فى فكها
معاونة المكاتبين وقيل فرض الاسرى وقيل ابتياع الرقاب
لعتقها واقام الصلوة واتى الزكاة المفروضة فان قيل قد
ذكر ايتاء المال فى هذه الوجوه ثم قفا بايتاء الزكاة فقد دل
ذلك على ان ما فى المال حقا سوى الزكاة وتلى هذه الاية
فى الحديث نسخت الزكاة كل صدقة رواه الدارقطنى
والبيهقى اى نسخت الزكاة وجوب كل صدقة ورد ليس
فى المال حق سوى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا فيما

بينهم وبين الله عز وجل وفيما بينهم وبين الناس اذا
وعدوا انجزوا واذا حلفوا او نذروا اوفوا واذا قالوا صدقوا
واذا ايتمنوا ادوا وتنبيه الموفون عطف على من امن
وقيل رفع على المبتدا والخبر اى وهم الموفون وقوله تعالى
والصابرين فى البأساء اى شدة الفقر والضراء اى المرض
وحين البأس اى وقت شدة القتال فى سبيل الله نصب
على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على الشدايد ومواظن
القتال على سائر الاعمال وروى عن على رضى الله تعالى
عنه انه قال كنا اذا احمر البأس اى اشتد الحرب واتقى القوم
القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن احد
اقرب الى العدو منه اولئك اى الموصوفون بما ذكر الذين
صدقوا فى الدين واتباع الحق وطلب البر اولئك هم
المتقون الله النار كون الكفر وسائر الرذايل قال البيضاوى
رحمه الله تعالى والاية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية
باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها
منحصرة فى ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة
وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله تعالى من امن
الى والنبيين والى الثانى بقوله تعالى واتى المال الى وفى
الرقاب والى الثالث بقوله تعالى واقام الصلاة الى اخرها
ولذلك وصف المجتمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده
وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه

اشار

اشار بقوله عليه الصلاة والسلام من عمل بهذه الاية
فقد استكمل الايمان ونزل في جبين في احيا العرب اقتتلوا
في الجاهلية قبل الاسلام بقليل فكان بينهما قتلى وجراحات
ياخذ بعضهم من بعض حتى جا الاسلام او كان لاحد الجبين
طول على الاخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساهم
بغير مهور فاقسموا لنقتلن بالعبد الحر منهم وبالمراة الرجل
منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي
جراحات اوليك فرفعوا امرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
يا ايها الذين امنوا كتب اي فرض عليكم القصاص وهو المساواة
والمماثلة في القتلى وصفا وفعلا الحر يقتل بالحر ولا يقتل
بالعبد ويقتل العبد بالعبد ويقتل الانثى بالانثى وبينت
السنة ان الذكر يقتل بالانثى وان المماثلة تعتبر في الدين
فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر وللايمة في ذلك خلاف وادلة
مذكورة في الفقه وكلهم على هدى من ربهم فمن عفي له اي من
القاتلين من اي دم اخيه المقتول شي بان ترك القصاص
منه وتنكير شي يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه
ومن بعض الورثة وفي ذكر اخيه تعطف الى العفو وايذان
بان القتل لا يقطع اخوة الايمان ومن مبتدا شرطية او موصولة
والخبر فاتباع اي فعلى العافي اتباع للقاتل بالمعروف بان
يطالبه بالدية بلا عنت وترتيب الاتباع على العفو يفيد
ان الواجب احدهما وهو احد قولي الشافعي والثاني وهو

الاصح عنده الواجب القصاص عينا والدية بدلا منه فلو
عفى ولم يسمها فلا شئ فان قيل ان عفى يتعدى بعن الى الجاني
والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى
عفو الله عنك وقال عفى الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل
عفوت لفلان عن ماجنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت
له عنه وعلى هذا فى الاية كانه قيل فمن عفى له عن جنايته
فاستغنى عن ذكر الجناية واذا اى وعلى القاتل اداء الدية
اليه اى العافى وهو الوارث باحسان اى بلا مطل ولا بخس
ذلك الحكم المذكور فى العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة
لما فيه من التسهيل والنفع لاناس اهل التوراة كتب عليهم
القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل
العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث
القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى
اى ظلم القاتل بان قتله بعد ذلك اى العفو عن الدية او
مجانا فله عذاب اليم اى مولم فى الاخرة بالنار او فى الدنيا
بالقتل واخذ الدية ان عفى عنها وقوله تعالى ولكم فى القصاص
حياة كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة حيث جعل الشئ
محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان فى هذا
الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما وذلك انهم كانوا يقتلون
بالواحد الجماعة قال الزمخشرى وكم قتل مهلهل باخيه
كليب حتى كاد يفنى بكر بن وايل وكان يقتل بالمقتول

غير

غير قاتله فتشور وتقع بينهم المشاجرة فلما جا الاسلام شرع
القصاص حيث كانت فيه حياة او نوع من الحياة وهي الحياة
الحاصلة بالارتداع عن القتل لان القاصد للقتل اذا علم
انه ان قتل يقتل فيكون فيه بقاؤه وبقاء من عزم قتله وفي
المثل القتل انفى للقتل وقيل في المثل القتل قلل القتل وقيل المراد
بالحياة الحياة الاخروية هذا بالنسبة للاولى واما بالنسبة
لله تعالى فان تاب فذاك والا فهو تحت المشيئة ثم نادى
ذوي العقول الكاملة بقوله يا اولى الالباب للتامل
في حكمة القصاص من استبقا الارواح وحفظ النفوس بين
بين سبحانه وتعالى مشروعية ذلك بقوله لعلكم تتقون القتل
مخافة القود او تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة
على القصاص والحكم به والاذعان له وهو خطاب له فضل
اختصاص بالامة كتب اي فرض عليكم اذا حضر احدكم
الموت اي حضرت اسبابه وظهرت اماراته ان ترك خيرا
اي مالا نظيره قوله تعالى وما تنفقوا من خير وقيل ما لا
كثير المروي عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان رجلا
اراد الوصية فسالته ثم مالك فقال ثلاثة الاف فقالت
كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان
هذا شيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله تعالى
عنه ان مولاه اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه
وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير

وقوله تعالى الوصية مرفوع بكتب وذكر فعلها للفاصل ولانها
بمعنى ان يوصى ولذلك ذكر الراجع فى قوله فمن بدله بعد
ما سمعه والعامل فى اذا اسند لو كتب لا الوصية لتقدمه
عليها وجواب ان اى فليوص للوالدين وللاقربين
بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث لما روى
عن سعيد بن مالك رضى الله تعالى عنه قال جاءنى النبى
صلى الله عليه وسلم يعودنى فقلت يا رسول الله اوصى بمالى
كله قال لا قلت فالشطر قال لا قلت فالثلث قال الثلث
والثلث كثير انك ان تدع ورثتك اغنيا خير لك من ان
تدعهم عالة يتكففون الناس بايديهم اى يسالون الناس
الصدقة باكفهم وقوله تعالى حقا مصدر قال البيضاوى
تبعا للزمخشرى وغيره مؤكد بمضمون الجملة قبله اى
حق ذلك حقا ورده ابو حيان بان قوله تعالى على المتقين
متعلق بحقا او صفة له وكل منهما يخرجه عن التاكيد
اما الاول فان المصدر المؤكد لا يعمل انما يعمل المصدر الذى
ينحل الى حرف مصدرى والفعل او المصدر الذى هو بدل
من اللفظ بالفعل واما الثانى فلان حقا مختص بالصفة فلا
يكون مؤكدا وقيل حقا نعت لمصدر كتب اى كتبا او ايصاء
حقا وقيل حال من مصدر احدهما معرفا وقيل نصب على المفعولية
اى جعل الوصية حقا على المتقين الله وهذا منسوخ بآية
المواريث وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل حق

حقه الا الوصية لوارث بنا على الاصح من ان الكتاب ينسخ
بالسنة وان لم تتواتر وبذلك ظهر ما فى قول بعضهم ان
الكتاب لا ينسخ بالسنة وان الحديث من الاحاد فمن بدله
اى غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه اى وصل
اليه علمه وتحقق عنده فانما اثمه اى الايصاء المبدل
على الذين يبدلونه والميت برئ منه وفى هذا اقامة
الظاهر مقام المضمر ان الله سميع لما اوصى به الموصى عليم
بفعل الوصى فيجازيه عليه وفى هذا وعيد للمبدل بغير
حق فمن خاف من موص اى توقع وعلم كقوله تعالى فان
خفتم ان لا يقيما حدود الله اى علمتم وقرا حمزة بامالة
الالف بعد الخاء من خاف حيث جاء وقرا شعبة وحمزة
والكسائى بفتح الواو من موص وتشديد الصاد والباقون
بسكون الواو وتخفيف الصاد جنفا اى ميلا عن الحق
بالخطا فى الوصية او اثما بان تعمد الحيف فى الوصية فاصلح
بينهم بين الوصى والموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع
فلا اثم عليه فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق
بخلاف الاول ان الله غفور رحيم فيه وعد للمصلح وذكر
المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم
يا ايها الذين امنوا كتب اى فرض عليكم الصيام هو لغة
الامساك عما تنازع ومنه قوله تعالى فقولى انى نذرت
للرحمن صوما اى صمتا لانه امساك عن الكلام وفى

قوله

الشروع الامساك عن المفطرات مع السنة فانها اعظم ما تشتهيه
النفس كما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء والامم
من لدن ادم الى عهدكم قال علي رضي الله تعالى عنه او لهم
ادم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة
من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم وفي قوله تعالى
كتب عليكم الى آخره تأكيد للحكم وترغيب على الفعل
وتطييب على النفس وفي موضع التشبيه في كان كاتب
قولان احدهما ان التشبيه في حكم الصوم وصفته لا في
عدده قال سعيد بن جبير كتب عليهم اذا نام احدهم قبل
ان يطعم انه لم يحل له ان يطعم الى الليلة القابلة والنساء
عليهم حرام ليلة الصيام وهو عليهم ثابت وقد رخص لكم
هذا فعلى هذا تكون هذه الاية منسوخة بقوله تعالى احل
لكم ليلة الصيام الرفث الاية فانها فرقت بين صوم اهل
الكتاب وبين صوم المسلمين والثاني انه كصومهم في عدد
الايام لما روي ان رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم
موتان اي وهو بضم الميم موت يقع على الماشية فزادوا
عشرا قبله وعشرا بعده فرجعوا خمسين وقيل كان يقع
في الحر الشديد وكان يشق عليهم في اسفارهم ومتاجرهم
في معايشهم فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على ان يجعلوا
صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه
في الربيع وقالوا نزيد عشرين يوما يكفر ما صنعنا قال

السدي

السدى عن مشايخه وقيل زادوا فيه عشرة ايام ولا كفارة
لما صنعوا فصار اربعين يوما ثم ان ملكهم اشتكى فمه فجعل
لله عليه ان هو شفى من وجعه ان يزيد في صومهم
اسبوعا فبرا فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك ووليهم
ملك اخر فقال اتموه خمسين يوما وعلى هذا تكون الاية محكمة
منسوخة لعلكم تتقون بصومكم المعاصي فان الصوم
يكسر الشهوة التي هي مبداها كما قال عليه الصلاة
والسلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه
اي مؤن النكاح فليتزوج فانه اغض للبصر واحفظ للفرج
ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اي قاطع
لشهوته او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم
شعارهم وقوله تعالى اياما نصب بصوموا مقدرا
لدلالة الصيام عليه لا بالصيام لوقوع الفصل بينهما
معدودات اي قلايل كقوله تعالى دراهم معدودة واصله
ان المال القليل يقدر بالعدد ويحكر فيه والكثير يهال هيلا
ويحثى حثيا او موقتات بعدد معلوم وهي رمضان كما
سياتي وقلله تسهيلا على المكلفين وقيل هي عاشورا
وثلاثة من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان فمن كان منكم
مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر اي
مسافر سفر قصر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم

عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط
وان افطر والمضاف وهو صوم والمضاف اليه وهو
ايام المرض والسفر للعلم بها واختلفوا في المرض الذي يبيح
الفطر والاصح فيه ما قدرناه وذهب اهل الظاهر الى ان
ما ينطلق عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه
وفي السفر الذي يباح فيه الفطر والاصح فيه ايضا ما
قدرناه وهو مرحلتان وقال الاوزاعي اقله مرحلة
وقال ابو حنيفة واصحابه ثلاثة وعلى الذين يطيقونه
اي ان افطروا فدية هي طعام مسكين اي قدر ما ياكله
في يوم وهو مد على الاصح من غالب قوت بلده وقال
بعضهم نصف صاع من القمح او صاعا من غيره وقال
بعضهم ما كان المفطر يتقوته يومه الذي افطر وقال
ابن عباس يعطي كل مسكين عشاه وسحوره واختلف
العلما في تاويل هذه الاية وحكمها فذهب اكثرهم الى انها
منسوخة وهو قول ابن عمر وسلمة بن الاكوع وغيرهما
وذلك انهم كانوا في صدر الاسلام مخيرين بين ان يصوموا
وبين ان يفطروا ويفدوا خيرهم الله تعالى لانهم كانوا
لم يتعودوا الصيام ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة
بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابن عباس
الا الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على الولد فانها باقية
بلا نسخ في حقهما وذهب جماعة منهم الى ان لفظة لا

مقدرة

فدية في الاية اى وعلى الذين لا يطيقونه لكبر او مرض لا يرجى برؤه فدية وهو قول سعيد بن جبير وجعل الاية محكمة وقرا نافع وابن ذكوان بغير تنوين في فدية وخفض الميم من طعام والباقون بتنوين فدية ورفع من طعام وقرا نافع وابن عامر مساكين بفتح الميم والسين وبعد السين وفتح النون والباقون بكسر الميم وسكون السين وبالف بعدها وكسر النون منونة فمن تطوع خيرا بالزيادة على القدر المذكور في الفدية فهو اى التطوع خير له فيثيبكم الله عليه وان تصوموا اى ايها المطيقون مبتدا خبره خير لكم اى من الافطار والفدية ان كنتم تعلمون اى ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجواب ان كنتم محذوف فدل عليه خير لكم اى فالصوم خير لكم وقوله تعالى شهر رمضان مبتدا خبره ما بعده او بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام بدل اشتمال او بدل كل من كل ان قدر مضاف او خبر مبتدا محذوف اى تقديره ذلكم شهر رمضان والشهر من الشهور ورمضان مصدر رمض اذا احرق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون فان قيل اذا كانت التسمية وقعت والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من

ونبه وقوله صلى الله عليه وسلم بعد من ادرك رمضان
ولم يغفر له اجيب بان ذكد على حذف المضاف لامن اللبس
قال التفتازاني وجاز الحذف من الاعلام وان كان من قبيل
حذف بعض الكلمة لانهم اجروا مثل هذا العلم مجرى المضاف
والمضاف اليه حيث اعربوا الجزءين وانما سماه العرب بذلك
اما لان تماضهم فيه من حر الجوع والعطش واما لان تماضى
الذنوب فيه وقيل لما نقلوا من اسما الشهور عن اللغة القديمة
سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام
رمضان الحر قال ايمة اللغة كان اسما الشهور في اللغة القديمة
موتمر، تاجر، خوان، وبهمان، خنين، ورنه،
محرم، صفر، ربيع اول، ربيع ثاني، جماد اول، جماد ثاني،
الاصم، وعل، نائق، عادل، هواع، برك،
رجب، شعبان، رمضان، شول، ذو القعدة، ذو الحجة،
على الترتيب وسمي المحرم لتحريم القتال فيه وصفر لخلو
مكة عن اهلها الى الحروب والربيعان لابتاع الناس فيهما
اذ اقامتهم وجماد لجمود الماء فيهما ورجب لترجيب العرب
اياه اي تعظيمهم له وشعبان لتشعب القبايل فيه
ورمضان لرمض الفصال فيه وشوال لشول اذناب
اللواقح فيه وذو القعدة للقعود فيه عن الحرب وذو الحجة
لحجهم فيه الذي انزل فيه القرآن جملة من اللوح المحفوظ
الى السما الدنيا ليلة القدر ثم تنزل منجما الى الارض وقيل

ابتدا

ابتدا فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر وقيل انزل في شانه
القران وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى
الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان
وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة
والقران لاربع وعشرين رواه الامام احمد وغيره فائدة
قال ابن عادل يروى ان جبريل عليه السلام نزل على ادم
اثنى عشر مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى ابراهيم اثنتين
واربعين مرة وعلى نوح خمسين مرة وعلى موسى ان عمايه
مرة وعلى عيسى عشر مرات وعلى محمد صلى الله عليه وسلم اربع
وعشرين الف مرة وقرا ابن كثير القران بنقل حركة الهمزة
الى الراء بتصيير الراء مفتوحة والف بعدها في الحرف والمنكر
حيث جاء كذا يقرا حمزة في الوقف وقوله تعالى هدى للناس
وبينات من الهدى والفرقان حالان من القران اى انزل
وهو هداية للناس باعجازه من الضلالة الى الحق وهو ايات
واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل اما
فيه من الحكم والاحكام فان قيل لنا معنى قوله وبينات من
الهدى بعد قوله هدى للناس اجيب بانه تعالى ذكر اولا
انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله
وفرق به الحق من الباطل عن وحيه وكتبه السماوية الهادية
الى الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد اى حضر منكم
الشهر فليصمه وقوله تعالى ومن كان مريضا او على سفر

اى فافطر فعدة من ايام اخر تقدم مثله وكرر ليلا يتوهم
نسخه بتقييم من شهد يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر ولذلك ابلح لكم
الفطر فى المرض والسفر واختلفوا هل الفطر فى السفر افضل
او الصوم والاصح انه ان شق عليه الصوم فالفطر افضل
والا فالصوم وروى عن ابن عباس وابى هريرة وعروة
ابن الزبير وعلى بن الحسين انهم قالوا لا يجوز الصوم فى
السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقول النبى صلى
الله عليه وسلم ليس من البر الصيام فى السفر واجاب الاول
عن الحديث بانه محمول على من يشق عليه الصوم فقد قال
جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان فى سفر فراى زحاما ورجلا قد ظلل
عليه فقال ما هذا قالوا هذا صائم فقال صلى الله عليه وسلم
ليس من البر الصيام فى السفر الدليل على جواز الصوم فى
السفر قول ابى سعيد رضى الله تعالى عنه كنا نسافر مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فمنا الصائم
ومنا المفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على
الصائم وقوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما
هداكم ولعلكم تشكرون اى الله على فعله عمل لفعل محذوف
دل عليه ما سبق او شرع جملة ما ذكر من امر الشاهد
بصوم الشهر وامر المرخص له بالقضاء وبراعاة عدة ما

افطر

افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر بقوله تعالى ولتكملوا
العدة علة الامر بمراعاة العدة وقوله تعالى ولتكبروا علة
ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عدة الفطر وقوله
تعالى ولعلكم تشكرون علة الترخيص تعظيم الله تعالى
بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بنوع من اللف والنشر
لطيف المسلك ومعنى التكبير تعظيم الله تعالى بالحمد
والثناء عليه ولذلك عدى بحرف الاستعلاء لكونه متضمنا
معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم
وقيل تكبير عيد الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وقرأ
البعض ولتكملوا بفتح الكاف وتشديد الميم والباقون بسكون
الكاف وتخفيف الميم تجيء ورد في فضل شهر رمضان
وثواب الصابرين آخبار منها ما رواه ابو هريرة انه صلى
الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان صعدت الشياطين
ومردة الجن وغلقت ابواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت
ابواب الجنة فلم يغلق منها باب ونادى منادٍ يا باغي الخير
اقبل ويا باغي الشر اقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة
ومنها ما رواه ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال من صام
رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومنها
ما رواه سليمان قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في آخر يوم من شعبان فقال ايها الناس قد اظلكم شهر
عظيم فيه ليلة القدر خير من الف شهر جعل الله صيامه

فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان
كمن ادى فريضة فيما سواه وهو الشهر الصبر والصبر ثوابه
الجنة وشهر المساواة وشهر يزاد فيه الرزق من فطر فيه
صايما كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان
له مثل اجره من غير ان ينقص من اجره شئ قالوا يا رسول الله
ليس كلنا نجد ما يفطر الصايم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صايما على مذقة لبن
او تمرة او شربة ماء ومن اشبع صايما سقاه الله عز وجل
من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة وهو شهر
اوله رحمة واوسطه مغفرة واخره عتق من النار فاستكثروا
فيه من اربع خصال خصلتين ترضون به ربكم وخصلتين لا
غنى لكم عنهما تسالون الله الجنة وتعوذون به من النار
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الله تعالى كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة عشر امثالها الى
سبعماية ضعف الا الصوم فانه لي وانا اجزي به يدع طعامه
وشهوته من اجلي للصايم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة
عند القاية ولخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك
الصوم جنة وعن سهل بن سعد انه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان
لا يدخله الا الصايمون وعن ابي عمر انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصيام والقران يشفعان للعبد يوم

يقول الصوم ربي اني منعته الطعام والشهوات بالنهار
فشفعني فيه ويقول القران رب منعته النوم بالليل
فشفعني فيه فيشفعان وسال جماعة النبي صلى الله عليه
وسلم اقريب ربنا فنناجيه او بعيد فنناديه فنزل واذا
سالك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو
تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم
بحال من قرب مكانه منهم ونحوه قوله تعالى ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد وقوله تعالى اجيب دعوة الداعي اذا دعان
اي بانالته ما سال تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة
وقرا ورش وابو عمرو باثبات اليا فيهما وصلا لا وقفا واختلف
عن قالون فيهما والباقون بحذفهما وصلا ووقفا فان قيل ما
وجه قوله تعالى اجيب دعوة الداعي وقوله ادعوني استجب
لكم وقد يدعى كثير فلا يجيب اجيب بانهم اختلفوا في معنى
الايتين خاص وان لفظهما عام تقديره اجيب دعوة الداعي
ان شيت كما قال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شا
او اجيب دعوة الداعي ان وافق القضا او اجيبه ان كانت
الاجابة خيرا له واجيبه ان لم يساله محالا وعن ابي هريرة
رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستجيب الله لاحدكم ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او
يستعجل قالوا وما الاستعجال يا رسول الله قال يقول قد
دعوتك يا رب قد دعوتك يا رب فلا اراك تستجيب لي

فيتعسر عند ذلك فيدع ان يترك الدعا وقيل هو عام ومعنى
قوله اجيب اى اسمع ويقال ليس فى الاية كل من اجابة
الدعوة فاما اعطا الامنية فليس بمذكور فيها وقد يجيب
السيد عبده او الوالد ولده ثم لا يعطيه سوله والاجابة
بينة لا محالة عند حصول الدعوة وقيل معنى الاية انه لا
يخيب دعاه فان قدر له ما سأله اعطاه وان لم يقدر له
ادخر الثواب له فى الاخرة او كف عنه به سوا لقوله صلى
الله عليه وسلم ما على الارض رجل مسلم يدعو الله بدعوة
الا اتاه الله اياها او كف عنه من السوء مثلها مالم يدع
باثم او قطيعة رحم وقيل ان الله يجيب دعوة المومن فى
الوقت ويوخر اعطا مراده ليدعوه فيسمع ويعجل اعطا
من لا يحبه لانه يبغض صوته وقيل ان للدعا اداب وشرايط
وهى اسباب الاجابة فمن استكملها كان من اهل الاجابة ومن
اخل بها فهو من اهل الاعتدا فى الدعا فلا يستحق الجواب
فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم
اذا دعوتنى بمهماتهم وقوله تعالى وليؤمنوا بى امر بالثبات
والمداومة على الايمان لعلهم اى كى يرشدون والرشد
اصابة الحق احل لكم ليلة الصيام اى الليلة التى تصحون
منها صايمين الرفث الى نسايكم الرفث كناية عن الجماع
لانه لا يكاد يخلو عن رفث وهو الافصاح بما يجب ان
ان يكنى عنه ولا زم من لوازمه كالرفث وتعدى بالى

لتضمنه

تضمنه معنى الافضاء وكنى عن الجماع هنا بلفظ الرفث
الدال على معنى القبح خلاف قوله وقد افضى بعضكم الى
بعض استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة ولذلك سماه
خيانة فيما يأتي خيانة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله
حيي كريم يكني عما ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة
والافضاء والدخول فالرفث انما عنى به الجماع وقال الزجاج
الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجال من النساء قال اهل
التفسير كان في ابتداء الامر اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب
والنساء الى الليل ثم ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واقع
اهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اعتذر
الى الله والى اليك من نفسي هذه الخاطئة اني رجعت الى اهلي
بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لي
نفسي فجامعت اهلي فهل تجد لي من رخصة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال
فاعترفوا بمثله فنزل في عمر واصحابه هذه الاية في تحوين
المباشرة في جميع الليل على جواز تاخير الغسل الى الفجر وصحة
صوم المصبح جنبا هن لباس لكم وانتم لباس
اي سكن لهن كما قال تعالى وجعل منها زوجها ليسكن
اليها وكما قيل لا يسكن شيء الى شيء كسكون احد الزوجين
الى الاخر وقيل سمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما

عند النوم وتعانقهما واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل
واحد من الزوجين لصاحبه كالثوب الذي يلبسه قال الجعدي
اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا *
والضجيع المضاجع وما زايدة وثنا عطفها امال شقها
وتثنت مالت والشاهد في قوله فكانت عليه لباسا وقيل
ان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور كما جا في
الخبر من تزوج فقد احرز ثلثي دينه علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم اي تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص
حظها من الثواب بالمجامعة بعد العشا كما وقع ذلك لعمر
وغيره وقال البر لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون
رمضان كله وكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله
هذه الاية فتاب عليكم اي قبل توبتكم وعفى عنكم اي
محى ذنوبكم ولم يمل الف عفا لانه واوي فالآن اي اذا نسخ
عنكم التحريم باشروهن اي جامعوهن حلالا وسمي المجامعة
مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد منهما بصاحبه وابتغوا
اي واطلبوا ما كتب الله لكم اي ما قسم لكم واثبت في اللوح
من الولد بالمباشرة لا تباشروا لقضا الشهوة وحدها
ولكن لابتغا ما وضع الله له النكاح من التناسل او قصد
العفة وقال مجاهد ابتغوا الولد فان ايتلد هذه فهذه وقال
مقاتل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب
والجماع في اللوح المحفوظ وقيل وابتغوا المحل الذي كتب الله

لكم

لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وقيل هو نهي عن
العزل لانه في الحراير فقوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين
لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر اي الصادق
نزل في رجل من الانصار اسمه ابو قيس وذلك انه ظل نهاره
يعمل في ارض وهو صايم فلما امسى رجع الى اهله بتمر فقال
لامراته قدمي الطعام وارادت المراة ان تطعمه شيا سخنا
فاخذت تعمل له في شي وكان في ابتدا الاسلام من صلى العشا
او نام قبلها حرم عليه الطعام والشراب فلما فرغت من طعامه
اذ هو قد نام وكان قد اعمى وكل فايقظته فكره ان يعصي الله
ورسوله وابى ان ياكل فاصبح صايما مجهودا فلم ينتصف النهار
حتى غشي عليه فلما افاق اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما راه قال يا ابا قيس مالك امسيت طليحا فذكر الله
هذه الاية وقد شبه سبحانه وتعالى اول ما يبدو الفجر
المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين
ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من
الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه ويصح ان تكون
من للتبعيض فانما يبدو بعض الفجر وعلى كل منهما فهي مع دخولها
في محل الحال والمعنى على التبعيض حال كون الخيط الابيض بعضا
من الفجر وعلى البيان حال كونه الفجر فان قيل كيف التبس
على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين
ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت اقوم من

الخيط الاسود من الابيض فلما اصبحت غدوت
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان
وسادك اذا لعريضا وروى انك لعريض القفا انما ذاك
بياض النهار من الليل اجيب بانه عقل عن البيان وذلك
غرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاه لانه مما يستدل
به على بلادة الرجل وقلة فطنته وقال سهل بن سعد
الساعدي نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا اراد ا
الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود
فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبين له فانزل الله تعالى بعد
ذلك من الفجر فان قيل كيف جاز فعل ذلك في رمضان مع تاخير
البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اجيب
بان ذلك كان دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة
جائز اذا كتفى او لا باشتمالها في ذلك ثم صرح بالبيان لما
التبس على بعضهم ثم اتموا الصيام من الفجر الى الليل اي الى
دخوله بغروب الشمس كما روى عن ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل
الليل من ها هنا وادبر النهار من ها هنا وغربت الشمس
فقد افطر الصائم اي دخل وقت افطاره تنبيه انما قدرت
في الاية الكريمة من الفجر ليدل على عدم جواز النية في النهار
في صوم رمضان كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى
عنه والا ان الى يكون المعيا بها ينقضي شيا فشيا والاتمام

فعل

فعل الجزء الاخير فقط وهو لا ينقضي كذلك وفي الآية دليل
على نفي الوصال لانه تعالى جعل الليل غاية الصوم وغاية
الشيء منتهاه وما بعدها يخالف ما قبلها ولا تباشروهن
اي نساءكم وانتم عاكفون اي مقيمون في المساجد بنية
الاعتكاف والمراد بالمباشرة الوطي نزلت في نفر من
الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يعتكفون في المسجد
فاذا عرضت للرجل منهم الحاجة الى اهله خرج اليها فجامعها
ثم اغتسل ثم يرجع الى المسجد فنهوا عن ذلك ليلا ونهارا
حتى يفرغوا من اعتكافهم وفيه دليل على ان الاعتكاف
لا يختص بمسجد دون مسجد وان يكون في المسجد لا في
غيره اذ ذكر المساجد لا يجوز ان يكون لجعلها شرطا في
منع مباشرة المعتكف لمنعه منها وان كان خارج المسجد
ومنع غيره ايضا منها فيها فتبين كونها شرطا لصحة الاعتكاف
وان الوطي محرم في الاعتكاف ويفسده لان النهي في العبادات
يوجب الفساد اما ما دون الجماع من المباشرات فانه كان
يشهوة فحرام ولا يبطل اعتكافه ان لم ينزل فان انزل وكان
بلا حائل فكالجماع والا فلا فعن عائشة رضي الله تعالى
عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
اعتكف ادنى الي رأسه فارجله وكان لا يدخل البيت الا لحاجة
الانسان في المساجد حدود الله حدها لعباده ليقفوا
عندها فلا تقربوها نهى تعالى ان يقرب الحد الحاجز بين

الحق والباطل لما بدا في الباطل فضلا ان يتخطى عنه وهذا
ابلغ من قوله تعالى في اية اخرى فلا تعتدوها لكن في
ذكر مامورات وهي لا ينهى عن قربانها فالمراد منها اضدادها
بنا على ان الامر بالشيء نهي عن ضده او مستلزم له ليصح
ان نهي قربانها ان يجوز ان يراد بحدود الله محارمه ونهى عنه
وعلى هذا فانهى عن القربان ظاهرها قال عليه الصلاة
والسلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله في ارضه محارمه
فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه رواه الشيخان كذلك
اى كما بين لكم ما ذكر يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون
اى لكى يتقوا مخالفة الاوامر والنواهى فيسلموا من العذاب
ولا تاكلوا اموالكم بينكم اى لا ياكل بعضكم مال بعض منه
بالباطل اى الحرام شرعا كالغصب والسرقة وقوله
تعالى وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهى او منصوب باضمار
ان والادلاء الالقاء والارسال بها اى بحكومتها او بالاموال
رشوة الى الحكام لتاكلوا بالتخاكم فريقا اى طائفة
من اموال الناس بالاثم اى بما يوجب اثما كشهادة
الزور واليمين الكاذبة او متلبسين بالاثم غالبا اما
للسببية فتكون متعلقة بتاكلوا او للمصاحبة فتتعلق
بمحذوف وقع حالا من فاعل تاكلوا والاثم
تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم
اقبح روى ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي

قطعة

قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بان يحلف امرء القيس فهم بالحلف فقرا عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد
الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض
عبدان فنزلت وهو دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ في
باطن الامر وفيه خلاف ظاهر ويويد قوله صلى الله عليه
وسلم لخصمين اختصما اليه انما انا بشر وانتم تختصمون
لدي ولعل بعضكم يكون الحق بحجته اي اقوم واقدر عليها
من بعض فاقضي له على ما اسمع منه فمن قضيت له بشي
من اخيه فانما اقطع له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد
منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوضيا ثم استهما ثم
ليحلل كل واحد منكما صاحبه وسال معاذ بن جبل وثعلبة
ابن غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال الهلال يبدو
رقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يملا نورا ويستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود رقيقا كما بدا اولا ولا يكون على حالة واحدة
كالشمس فنزل يسئلونك يا محمد عن الاهلة جمع هلال
مثل رد والردية والهلال اسم له اول الليلة الاولى والثانية
والثالثة وبعدها يسمى قمرا وهنا سماه باول حالاته لان الناس
يرفعون اصواتهم بالذكر عند رويته من قولهم استهل
الصبي اذا صرخ حين يولد قل لهم هي مواقيت للناس
جمع ميقات اي معالم للناس يعلمون بها اوقات زرعهم

ومتاجرهم ومحال دیونهم ومبایعهم واقطارهم وعدد
نسایهم وایام حیضهن وعدة حملهن وغیر ذلک وقوله
تعالی ولله علی الناس حج یطلق بها وقته اداء وقضاء
هذه هی الحکمة الظاهرة فی ذلک ولهذا خالف بین الاهلة
وبین الشمس فلو استمرت الاهلة علی حالة لم یصر فی
حالها ما ذکر ولما کان الناس فی الجاهلیة وفی اول الاسلام
اذا احرم الرجل منهم بالحج او العمرة لم یدخل حایطا ولا
بیتا ولا دارا من بابه فان کان من اهل المدر نقب نقبا فی
ظهر بیته ویدخل منه ویخرج او یتخذ سلما فیصعد منه
وان کان من اهل الوبر خرج من خلف الخیمة والفسطاط
ولا یدخل ولا یخرج من الباب حتی یحل من احرامه ویرون
ذلک برا الا ان یکون من الحمس وهم قریش وکنانة وخزاعة
وثقیف وبنو عامر بن صعصعة وبنو نضر بن معاویة
سموا خمسا لشدتهم فی دینهم والخامسة الشدة والصلابة
فدخل رسول الله صلی الله علیه وسلم ذات یوم بیتا لبعض
الانصار فقال له رفاعة بن تابوت علی اثره من الباب وهو
محرم فانکروا علیه فقال له رسول الله صلی الله علیه وسلم
لم دخلت من الباب وانت محرم قال رایتک دخلت فدخلت
علی اثرک فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم انی احمس
فقال الرجل فان کنت احمس فانی احمس رضیت بهدیک
وسمتک ودینک فانزل الله تعالی ولیس البر بان تاتوا

البیوت

البيوت من ظهورها ولكن البر اى ذا البر من اتقى الله
بترك مخالفته ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انهم سالوا
عن الحكمة فى اختلال احوال الشهور وعن دخولهم بيوتهم من
غير ابوابها اى انه تعالى لما ذكر انها مواقيت الخ وهذا ايضا
من اقوالهم فى الحج ذكره للاستطراد وانهم لما سالوا عما لا
يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السوال عما يعنيهم
وهو معرفة الحلال والحرام ومختص بعلم النبوة عقب بذكر
جواب ما سالوه تنبيها على ان اللايق بهم ان يسالوا امثال
ذلك وبهتوا بالعلم بها او على ان المراد به التنبيه على
تعكيسهم السوال وتمثيلهم بحال من تنكب باب البيت ودخل
من وراية والمعنى وليس البر ان تعكسوا فى مسايلكم ولكن
من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من ابوابها
فى الاحرام كغيره اذ ليس فى العدول بر او باشر والامور
من وجوهها التى يجب ان تباشر عليها والمراد تحريضهم
على التقوى وربط القلوب على ان جميع افعال الله تعالى وحكمه
وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك فى ذلك
حتى لا يسارع عنده مجانى السوال من الاتهام بمقارنة الشك
لا سيما عما يفعله وهم يسالون واتقوا الله فى تغيير الاحكام
لعلكم تفلحون تكى تفوزوا بالهدى والبر وقرا ورش وابو
عمرو وحفص البيوت بضم الباء حيث جا معرفا كان او منكرا
وكسرها الباقون ولا خلاف فى وليس البر هنا ان الرامز فوعة

للجميع وقرا نافع وابن عامر ولكن بكسر النون مخففة
ورفع الرا والباقون بفتح النون مشددة ونصب الرا ولما
صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت
عام الحديبية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج مع اصحابه للعمرة وكانوا الفا واربعماية فساروا
حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون عن البيت الحرام
وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام
فيطوف بالبيت فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعمرة القضا وخاف المسلمون ان لا يوفوا
لهم ويقاتلوهم في الحرم والاحرام والشهر الحرام وكره المسلمون
ذلك نزل وقاتلوا اى جاهدوا في سبيل الله لاعلا كلمته
واعزاز دينه الذين يقاتلونكم من الكفار ولا تعتدوا
عليهم بالابتدا بالقتال ان الله لا يحب المعتدين اى لا
يريد بهم الخير لانه غاية المحبة اذ المحبة حقيقتها محال
في حقه تعالى لانها ميل النفس وسبب ذلك انهم كانوا
منعوا من قتال الكفار وامروا بالصبر على اذاهم بقوله
تعالى لتبلون في اموالكم الاية ثم امروا به اذا ابتدا به بهذه
الاية ثم ابيح لهم ابتداوه في غير الاشهر الحرم بقوله تعالى
فاذا انسلخ الاشهر الحرم الاية ثم امروا به مطلقا من غير
تقييد بشرط ولا زمان بقوله تعالى واقتلوهم حيث
ثقفتموهم اى وجدتموهم في حل او حرم وقرا ابو عمرو

بادغام

باد غام الثاني الثا بخلاف عنه حيث جا واخرجوهم من حيث
اخرجوكم اى من مكة وقد فعل ذلك بما لم يسلم عام الفتح
والفتنة اى الشرك منهم اشد اى اعظم من القتل لهم في
الحرم والاحرام الذى استعظمتموه او المحبة التى يفتتن بها
الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام
تعبها وتالم النفس بها قيل لبعض الحكما ما اشد من الموت
قال الذى يتمنى فيه الموت وقال القايل لقتل بحد السيف
اعظم موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب
الاخرة كما قال تعالى ذوقوا فتنتكم ولا تقاتلوهم اى لا تبدأوهم
عند المسجد الحرام اى في الحرم حتى يقاتلوكم فيه فان
قاتلوكم فيه فاقتلوهم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرا
حمزة والكساى ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم بفتح التا الفوقية
من تقتلوهم واليا من يقتلوكم وسكون القاف ولا الف
بعد القاف وضم التا فيهما والباقون بفتح التا واليا وفتح
القاف وبعد القاف الف وكسر اليا واما فان قاتلوكم
فحذف حمزة والكساى الالف واثبتها الباقون والمعنى على
قراة حمزة والكساى حتى يقتلوا بعضكم جعل وقوع القتل
في بعضهم وقال بعضهم وان تقتلونا نقتلكم كذلك اى
القتل والاخراج جزا الكافرين اى يفعل بهم مثل ما
فعلوا فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله غفور يغفر
لهم ما قد سلف رحيم بهم فلا يواخذ بذلك وقاتلوهم

حتى لا تكون اى توجد فتنة اى شرك ويكون الدين
اى العبادة له وحده لا يعبد سواه فان انتهوا عن الشرك
فلا تعتدوا عليهم دل على هذا فان قد وأنا اى اعدا بقتل
او غيره الا على الظالمين اى فلا تعتدوا على المنتهين
اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم والفا الاولى للتعظيم
والثانية للجزاء وسمى جزاء الظالمين عدوانا للمشاكلة لقوله
تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه الشهر الحرام
اى المحرم مقابل بالشهر الحرام وذلك ان النبى صلى الله
عليه وسلم لما خرج معتمرا فى ذى القعدة سنة ست
وصده المشركون عن البيت بالحديبية ورجع فى العام
القابل فى ذى القعدة وقضى عمرته سنة سبع واستعظم
المسلمون قتالهم فى الشهر الحرام نزلت هذه الآية ان هذا
الشهر بذلك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به وقوله والحرمات
قصاص استجاج عليه اى كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ
عليها يجرى فيه القصاص وانما جمعها لانه اراد حرمة
الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام اى فلما هتكوا
حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم
عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم اى كما قال تعالى فمن اعتدى عليكم
بالقتال فى الحرام او الاحرام او الشهر الحرام فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم سمى الجزاء باسم الاعتداء على
ازدواج الكلام كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها واتقوا

الله

الله في الانتصار لانفسكم عنهم ولا تعتدوا الى ما امر برخص
لكم واعلموا ان الله مع المتقين بالعفو والصبر فيحميهم
ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله اى طاعته سوى الجهاد
وغيره ولا تلقوا بايديكم اى بانفسكم عبر بالايدى عن
الانفس كقوله تعالى بما كسبت ايديكم اى بما كسبتم والبا
زايدة الى التهلكة اى الهلاك بالامساك عن النفقة في
الجهاد او الاسراف حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن
ترك الغزو الذى تقوية للعدو وروى ان رجلا من المهاجرين
حمل على صف العدو فصاح به الناس التى بيده الى
التهلكة فقال ابو ايوب الانصارى نحن اعلم بهذه الاية
وانما نزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهلينا
واولادنا واموالنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت
الحرب اوزارها رجعنا الى اهلينا واولادنا واموالنا
فصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل
والمال وترك الجهاد فما زال ابو ايوب يجاهد في سبيل الله
حتى كان اخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن
معاوية فتوفي هناك ودفن في اصل سورها وهم يستسقون
به وروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث
نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق وقال محمد

ابن سيرين وعبيدة السلماني الالقاء الى التهلكة هو
القنوط من رحمة الله تعالى قال ابو قلابة هو الرجل يصيب
الذنب فيقول قد هلكت ليست لي توبة فييأس من رحمة الله
ويتهمك في المعاصي فنهاهم الله تعالى عن ذلك كما قال تعالى
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واحسنوا اي
بالنفقة وغيرها ان الله يحب المحسنين اي يثيبهم
واتموا الحج والعمرة لله اي ادوهما بحقوقهما وفي الاية حينئذ
دليل على وجوبهما اذ الاصل في الامر الوجوب وما روي عن
جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا
معارض بما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله تعالى عنه اني
وجدت اي علمت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما
منهما فقال اهديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر
وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما لانه رتب الاهلال
بهما على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون
العكس وقيل انهما مهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي
ذلك عن علي وابن عباس رضي الله عنهم وقيل ان تتزود لكل
واحد منهما سفرا وقيل ان تكون النفقة حلالا وقيل ان
تخلصهما للعبادة ولا تشوبهما بشيء من التجارة والاغراض
الدنيوية فان احصرتم اي منعتم عن اتمامهما يقال احصره
واحصره العدو اذا منعه قال تعالى الذين احصروا في
سبيل الله وقال القائل

وما هجر الا ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول
لكن الاشهر ان يقال في العدو حصره وفي المرض احصره
والمراد هنا حصر العدو ولقوله تعالى فاذا امنتم ولنزول
الاية في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
لا حصر الا حصر العدو واما ما روى عنه عليه الصلاة
والسلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فمحمول على
من شرطه لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت
الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني
ومحلي بكسر الميم المحل الحبس والحصر ويجوز ان يكون
مصدرا ميميا فان استيسر من الهدى اي فان اردتم التحلل
فعليكم ما استيسر او فالواجب او فاهدوا ما استيسر
من الهدى وهو بدنة او بقرة او سبع من احدهما او شاة
يذبحها حيث احصر من حل او حرم عند الاكثر لانه عليه
الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بالحرم وهي من الحل وقيل
لابد ان يبعث به الى الحرم لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم
حتى يبلغ الهدى محله اي لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدى
المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان يذبح
فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث
يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما لكن يندب ارساله الى الحرم
خروجا من خلاف ابي حنيفة واقتصاره تعالى على الهدى
دليل على عدم القضاء كما قاله الشافعي وذهب ابو حنيفة

الى وجوب القضاء ولابد من نية التحلل عند الذبح او الحلق
او التقصير بعده مع نية التحلل وبذلك يحصل التحلل
والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان فمن كان منكم
مريضا اى مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه
كقمل وصداع فحلق فى الاحرام ففدية اى فعليه فدية
ان حلق ولو بعض شعر راسه ثلاث شعرات فاكثر ولا
من صيام وهو ثلاثة ايام او صدقة وهى ثلاثة اصع
من غالب قوت البلد على ستة مساكين لكل واحد نصف
صاع او نسك وهو بدنة او بقرة او سبع واحد منهما
او شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال له لعلك اذاك هوام راسك قال نعم يا رسول الله
قال احلق وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او
انسك شاة وكان كعب يقول انزلت فى هذه الآية واو
للتخيير والحق بالمعذور من حلق لغير عذر لانه اولى
بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس
والدهن لعذر او غيره فاذا امنتم من العدو وكان ذهب
او كنتم فى حال سعة وامن فمن تمتع بالعمرة اى بسبب
فراغه منها بمحظورات الاحرام الى الحج اى الاحرام
به بان يكون احرم بها فى اشهره فما استيسر اى فعليه
ما تيسر من الهدى وهو ما تقدم بذبحه بعد الاحرام
بالحج ويجوز تقديمه على الاحرام بعد الفراغ من العمرة فمن لم

تجد

يجد اى الهدى لفقده او فقد ثمنه فصيام اى فعليه صيام
ثلاثة ايام فى الحج اى فى حال احرامه به ولا يجوز له ان يقدمه
على الاحرام لانه عبادة بدنية فلا يجوز تقديمه على وقته
ولا تاخيره عنه والافضل ان يحرم قبل السادس لكراهة
صوم عرفة ولا يجب عليه ان يحرم قبل زمن يسع الصوم
بل يستحب له لكن اذا احرم وجب عليه الصوم ولا يجوز
ان يصوم يوم النحر ولا ايام التشريق على اصح قولى الشافعى
وهو ما عليه الاكثر وسبعة من الايام اذا رجعتم الى
وطنكم مكة او غيرها وقيل اذا فرغتم من اعمال الحج وفيه
التفات عن الغيبة وفائدة قوله تعالى تلك عشرة
ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن
سيرين لا تريد انه اوجب السهما جميعا او واحدا منهما لكان
ممتثلا وانه يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من
جهتين فيتاكد العلم قال اكثر العرب لا تحسن الحساب
وفى امثال العرب علمان خير من علم وان المراد بالسبعة
العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما وقوله تعالى كاملة
صفة مؤكدة تفيد المبالغة فى محافظة العدد وان لا ينتهاون
بها ولا ينتقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اقتمام
بامر تامره به وكان منك بمنزلة الله الله لا تقصر او
مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهى
الاحاد ويتم مراتبها وقيل كاملة فى وقوعها بدلا من الهدى

حيث لا يقصر ثواب الصوم عن ثواب الهدى ذلك اى الحكم
المذكور من وجوب الهدى او الصيام على من تمتع لمن لم يكن
اهله حاضرى المسجد الحرام وهم من مساكنهم دون مرحلتين
من الحرم لقربهم منه والقريب من الشئ يقال انه حاضره
قال تعالى واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر
اى قريبة منه وفى ذكر الفعل اشعار باشتراط الاستيطان
فلو اقام قبل اشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك
وهو اصح قولى الشافعى والثانى لا والاهل كناية عن
النفس والحق بالتمتع فيما ذكر بالسنية القارن وهو
من يحرم بالعمرة والحج معا او يدخل الحج عليها قبل الطواف
واتقوا الله فى المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا
فى الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالفه ليكون
علمكم بشديد عقابه لطفا لكم فى التقوى الحج اشهر
اى وقته لقوله تلك شهران معلومات وهى شوال وذو
القعدة وعشر ليال من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم
النحر عندنا والعشر كله عند ابى حنيفة وذو الحجة كله
عند مالك وعلى الاولين انما سمى شهرين وبعض الشئ
اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق
الواحد كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما لحفصة وعائشة
فمن فرض على نفسه فيهن الحج بالاحرام به عندنا او
بالتلبية وسوق الهدى عند ابى حنيفة وفيه دليل على

ان من احرم بالحج فى غير اشهر الحج لا ينعقد احرامه بالحج
وهو قول ابن عباس وجماعة من الصحابة واليه ذهب
الاوزاعى والشافعى وقال ينعقد احرامه عمرة لان الله
تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد فى غيرها
لم يكن لهذا التخصيص فايدة ولما انه تعالى علق الصلاة بالمواقيت
ثم من احرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لا ينعقد
احرامه عن الفرض وانما ينعقد عمرة لان الاحرام يشبه
التعلق وذهب جماعة الى انه ينعقد احرامه بالحج وهو
قول مالك والثورى وابى حنيفة اما العمرة فجميع السنة
وقت لها الا ان يكون عليه بقية من اعمال الحج كالرمى فلا رفث
اى جماع منه بما قال ابن عباس وجماعة من الصحابة
وقيل الرفث غشيان النساء والقبلة والغمز وان يعرض
لها بالفحش من الكلام وقيل هو الفحش والقول القبيح ولا
فسوق اى ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب
وارتكاب المحظورات وقيل هو السباب والتنابز
بالالقاب ولا جدال اى خصام مع الخدم والرفقة وغيرهما
فى الحج اى فى ايامه فنفى الثلاث على قصد النهى للمبالغة
والدلالة على انها معتقبة بل لا تكون وما كان منها مستقبحا
فى نفسه ففى الحج اقبح كلبس الحرير فى الصلاة والتطرب
بقراءة القرآن وهو مد الصوت وتحسينه بحيث يخرج
الحروف عن هيئاتها فانه يقبح فى كل كلام لكنه فى قراءة القرآن

قيت

اقبح وقرا ابن كثير وابو عمرو برفع الثاء من رفث والقاف من
فسوق والتنوين فيهما على معنى لا يكون رفث ولا فسوق
والباقون بنصبهما ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت
تخالف ساير العرب فتقف بالمشعر الحرام وساير العرب
يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويوخرونه سنة
وهو فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة
فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي
عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه
وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولدته امه
وانه لم يذكر الجدال **وما تفعلوا من خير** كصدقة **يعلمه
الله** فيه حث على الخير عقب به النهي عن الشر وان
يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق
البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة
وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي وتزودوا لمعادكم
التقوى فانه خير زاد وروى البخاري وغيره ان اهل اليمن
كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ونحن
نحج بيت افلا يطعمنا فيكونون على الناس فيسالوهم وربما
يفضي الحال بهم الى النهب والغصب فقال الله جل ذكره
وتزودوا اي ما تبتلغون به وتكفون به وجوهكم قال اهل
التفسير الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها
فان خير الزايد التقوى اي ما يتقى به سوال الناس وغيره

واتقوني

واتقون يا اولى الالباب اى ذو العقول فان قضية اللب
خشية الله وتقواه وحثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون
المقصود بها هو الله تعالى فيتبرا من كل شى سواه وهو
مقتضى العقل المعرى عن شوايب فلذلك خص
اولى الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح فى ان تبتغوا
اى تطلبوا فضلا اى رزقا من ربكم بالتجارة فى الحج
فنزلت ردعا لناس من العرب كانوا يتاثمون اى يتجرون
ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشرا فلم تقم لهم
سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هولا
الداج وليسوا بالحاج وروى البخارى انه كانت عكاظ ومجنة
وذو المجاز اسواقهم فى الجاهلية يتجرون فيها فى ايام الموسم
وكانت معايشهم الا من التجارة فى الحج وعطا وعكاظ سوق
لقيس ومجنة بفتح الميم اشهر من كسرها وبفتح الجيم
وتشديد النون سوق لكنانة بمر الظهران وذو المجاز
وهو بفتح الميم وبالزاى سوق لهذيل فاذا افضتم دفعتم
من عرفات واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما
حذف من دفعوا من موضع كذا اى دفعوا انفسهم واختلفوا
فى المعنى الذى لاجله سمى الموقف عرفات واليوم عرفة فقال
عطا كان جبريل عليه السلام يرى ابراهيم عليه الصلاة
والسلام المناسك ويقول عرفت فيقول عرفت فسمى
المكان بذلك عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك كان ادم

عليه الصلاة والسلام لما اهبط ووقع في الهند وجد بجده
فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة
فتعارفا فسمي المكان واليوم بما ذكر وقال السدي لما اذن
ابراهيم في الناس بالحج واجابوا بالتلبية واتاه من اتاه امره
الله ان يخرج الى عرفات وفعل به فلما بلغ الجمرة الاولى استقبله
الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصوة
فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار ووقع على الجمرة
الثالثة فرماه وكبر فلما راى الشيطان انه لا يطيعه ذهب
فانطلق ابراهيم حتى اتى ذا المجاز فلما نظر اليه لم يعرفه
فجاز فسمي ذا المجاز ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها
بالنعت فسمي المكان واليوم بما ذكر فان قيل هلا منعت
الصرف وفيها السببان العلمية والتانيث اجيب بان
التانيث لا يخلو اما ان يكون بالتا التي في لفظها واما بتا
مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست التانيث وانما
هي مع الالف التي قبلها علامة جمع التانيث ولا يصح تقدير
التانيث لان هذه التا لاختصاصها بجمع المونث ما نعة
من تقديرها كما لا تقدر تا التانيث في بنت لان التا التي فيها
هي بدل من الواو لاختصاصها بالمونث كتا التانيث فابت
تقديرها وفي الاية دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان اذا
تدل على ان المذكور بعدها محقق لا بد منه فكانه قيل
بعد افاضتكم من عرفات الذي لا بد منها اذكروا الله وكلما افاضة

من عرفات لا تكون الا بعد الوقوف بها فوجب ان يكون
الوقوف بها واجبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج
عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك فاذكروا الله بالتلبية
والتهليل والتكبير والثنا والدعوات وقيل بصلاة المغرب
والعشا عند المشعر الحرام وهو جبل في اخر المزدلفة يقال
له قزح وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف به
يذكر الله ويدعو حتى اسفر جدا رواه مسلم وقال جابر
دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى
بها المغرب والعشا باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما
شيا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حتى تبين له
الصبح باذان واقامة ثم ركب القصوى حتى اتى المشعر
الحرام استقبل القبلة فدعا وكبر وهلل ووحد ولم يزل
واقفا حتى اصبح جدا وقوله تعالى عند المشعر الحرام قريبا
منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر وسمي مشعرا من الشعار وهي
العلامة لانه من معالم الحج ووصف بالحرام لحرمته وتسمى
المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين صلاتي المغرب والعشا
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه نظر الى الناس
ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون
وقيل سميت جمعا لان ادم اجتمع فيها مع حوا عليها السلام
اي دنا منها وقيل وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى

الله تعالى اى يتقرب بوقوف فيها واذكروه كما هداكم
لمعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل وان كنتم
من قبله اى الهدى لمن الضالين اى الجاهلين بالايمان
والطاعة وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة
وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان نظنك لمن
الكاذبين اى ما نظنك الا من الكاذبين ثم افيضوا ايها
قريش من حيث افاض الناس وذلك انهم وحلفاءهم
ومن دان بدينهم وهم الحمس كانوا يقفون بالمزدلفة وسائر
الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم ويقولون نحن
اهل الله وقطان حرمه ولا نخرج منه فامروا ان يساووهم
وثم للترتيب فى الذكر وفى الكلام تقديم وتاخير تقديره فمن
فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ثم افيضوا
من حيث افاض الناس فاذا افضتم من عرفات فاذكروا
الله عند المشعر الحرام وقيل التفاوت بين الافاضتين
ان المراد فى الثانية عن الاولى اذ الاولى هى الصواب
والثانية خطا كما فى قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى
غيرهم فانك تذم لتفاوت ما بين الاحسان الى
الكريم والى غيره وبعد ما بينهما وقيل ثم بمعنى الواو كما فى
قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا واستغفروا الله
من ذنوبكم فى تغيير المناسك وغيره ان الله غفور رحيم
يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا افضيتم اى ادبتم

مناسككم

مناسككم اى عبادات حجكم كان رميتم جمرة العقبة وطفتم
واستقر تم بمنى واد غم ابو عمرو والكاف فى بخلاف عنه ولم
يدغم مثلهن من كلمة فى القرآن الا هنا وفى سورة المدثر
وهو قوله تعالى ما سلككم فى سقر فاذكروا الله بالتكبير
والتحميد والثناء عليه كذكركم اباكم وذلك ان العرب كانت
اذا فرغت من الحج وقفت بين المسجد بمنى وبين الجبل
فيعددون فضائل اباهم ويذكرون محاسن ايامهم فامرهم
الله بذكره وقال فاذكرونى فانا الذى فعلت ذلك بكم وباباكم
واحسنت اليكم والبهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الاباء وذلك ان
الصبى اول ما يتكلم ينهج بذكر ابيه لا يذكر غيره فيقول
الله فاذكروا الله لا غير كذكر الصبى اباه او اشد ذكرا
من ذكركم اباهم ونصب اشد على الحال من ذكر المضيف
باذكروا اذ لو تاخر عنه لكان صفة له فمن الناس من يقول
ربنا اتنا نصيبنا فى الدنيا وهم المشركون كانوا لا
يسالون الله تعالى فى الحج الا الدنيا يقولون اللهم اعطنا
غنما وابلا وبقرا وعبيدا وكان الرجل يقوم فيقول اللهم
ان ابى كان عظيم الفيئة كثير الجفنة كثير المال فاعطنى
مثل ما اعطيته وما له فى الاخرة من خلاق اى نصيب لان
همه مقصور بالدنيا ومنهم اى الناس من يقول ربنا
اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار

بعد دخولها وهم المومنون واختلفوا في معنى الحسنتين
فقال علي رضي الله تعالى عنه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة
والحسنة في الاخرة الجنة يدل له قوله صلى الله عليه وسلم
الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة وفي الاخرة الحور
او عذاب النار المراة السوء وقال الحسن الحسنة في الدنيا
العلم والعبادة والحسنة في الاخرة الجنة وقال السدي الحسنة
في الدنيا الرزق الحلال والحسنة في الاخرة المغفرة والثواب
وادغم ابو عمرو اللام في الراء بخلاف عنه اوليك الدعوات بالحسنتين
لهم نصيب اي ثواب مما كسبوا اي من جنس ما كسبوا والله
سريع الحساب اي اذا حاسب فحسابه سريع لا يحتاج
الى عقد يد ولا رعي صدر ولا روية فكر قال الحسن اسرع من
لمح البصر وفي الحديث يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار
من ايام الدنيا واذكروا الله اي كبروه ادبار الصلوات
وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات
اي ايام التشريق الثلاثة وسميت معدودات لقلتهن
كقوله تعالى دراهم معدودة والايام المعلومات عشر
ذي الحجة اخرهن يوم النحر والتكبير في الايام المعدودات
عقب كل صلاة ولو فائتة ونافلة مشروع في حق الحاج وغيره
لكن غير الحاج يكبر من صبح يوم عرفة الى عقب عصر اخر
ايام التشريق للاتباع رواه الحاكم وصحح اسناده واما الحاج
فيكبر من ظهر يوم النحر لانها اول صلاته بعد انتهاء وقت

التلبية

التلبية الى عقب صبح اخر ايام التشريق لانها اخر صلاة له
بمنى ولا يسن التكبير عقب صلاة الفطر لعدم ورود ه
فمن تعجل اى استعجل بالنفر من منى في يومين اى
في ثاني ايام التشريق بعد رمي جمار بعد الزوال عند الشافعي
واصحابه قال في الكشاف وعند ابي حنيفة واصحابه
ينفر قبل طلوع الفجر فلا اثم عليه بالتعجل ومن تاخر
حتى تاتي ليلة الثالث ورمى جماره بعد زوال الشمس نا
وقال في الكشاف يجوز تقديم الرمي على الزوال عند ابي حنيفة
فلا اثم عليه بذلك اى هم مخيرون في ذلك فان قيل اليس
التاخير افضل اجيب بان التخيير يقع بين الفاضل
والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان
الصوم افضل عند عدم المشقة وقيل ان اهل الجاهلية
كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل اثما ومنهم من جعل
المتاخر اثما فورد القران بنفي الاثم عنهما جميعا وقيل
التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لمن اتقى الله
في حجه لانه الحاج على الحقيقة عند الله وقال النبي صلى الله
عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه واتقوا الله في جميع اموركم ليسهل لكم
واعلموا انكم اليه تحشرون في الاخرة فيجازيكم باعمالكم
ومن الناس من يعجبك قوله اى يعظم في نفسك ومنه
النفس العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريف

الثقفي حليف بني زهرة واسمه ابي وسمي الاخنس لانه
خنس يوم بدر بثلثمائة رجل من بني زهرة عن القتال
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان منافقا حلو
المنظر حلو الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم يحلف انه
مؤمن به ومحب له ويقول يعلم الله اني صادق وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدنى مجلسه وقوله تعالى في الحياة
الدنيا متعلق بالقول اي يعجبك ما يقوله في امور الدنيا
واسباب المعاش او في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة
بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به
ما يراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم بكلامه اذا في الدنيا لا في الاخرة او يعجبك
اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في
الاخرة لما يرهقه من الموقف من الدهشة والكلكنة او لانه
لا يؤذن له في الاعتذار فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد
الله على ما في قلبه انه موافق لكلامه وهو الد الخصام اي
شديد الخصومة لك وكل من عاداك لعداوته لك وقال الحسن
الد الخصام اي كاذب في القول وقال قتادة شديد القسوة
في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة
وفي الحديث ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم واذا تولى
اي انصرف عنك بعد الانة القول واجلا المنطق سعى
اي مشى في الارض ليفسد فيها قال ابن جريج يقطع الرحم

ويسفك دماء المسلمين ويهلك الحرث والنسل وذلك ان
الاخنس كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا
فاحرق زرعهم واهلك مواشيهم وقيل واذا كان والياً فعل
ما يفعله وكاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث
والنسل وقيل يظهر حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر
فيهلك الحرث والنسب وحكى الزجاج عن قوم ان الحرث
النباء والنسل الاولاد قالوا وهذا ليس بمعروف لان المراة تسمى
حرثاً اى ويدل له قوله تعالى فاتوا حرثكم انى شئتم والله
لا يحب الفساد اى لا يرضى به لان المحبة وهى ميل
القلب محالة في حقه تعالى فهى مستعملة في حقه تعالى في معنى
الرضى واذا قيل له اتق الله في فعلك اخذته العزة
اى حملته الانفة والحمية على العمل بالاثم الذى يوجب
بالتقائه فحسبه اى كافيه جهنم جزاء وعذابا وهى علم
لدار العقاب وهو في الاصل مرادف النار وسميت بذلك
لبعد قعرها واصلها من الجهم وهو الكراهة والغلظ
فالنون زايدة وقيل معرب نقل من العجمية الى العربية به
وتصرف فيه واصله كهنام ابدلت الكاف جيما واستثقلت
الالف وقوله تعالى ولبئس المهاد جواب قسم مقدر
والمخصوص بالذم محذوف للعلم به تقديره جهنم والمراد
الفراش ومن الناس من يشرى اى يبيع نفسه
اى يبذلها في الجهاد ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى

يعني ابتغاء مرضات الله اي طلبا لرضاه وقال الكلبي
المشركين نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه
المشركون في رهط من المسلمين فعذبوهم فقال لهم اني
شيخ كبير لا يضركم امكم ام كنت من غيركم فهل لكم ان
تاخذوا مالي وتدعوني وديني ففعلوا وكان شرط عليهم
راحلة ونفقة فاقام بمكة ما شاء الله ثم خرج الى المدينة
فتلقاه ابو بكر وعمر رضي تعالى عنهما في رجال فقال له ابو
بكر ربح بيعك ابا يحيى فقال وما ذاك فقال انزل الله
فيك وقرا عليه هذه الآية فعلى هذا يكون بذل بمعنى
بيع وبذل وقيل نزلت في الزبير والمقداد ابن الاسود
وذاك ان كفار قريش بعثوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو بالمدينة انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علمائك
اصحابك يعلموننا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث
اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة فكنت
من جملتهم خبيب فقتلوهم واسروا خبيبا قال اسروه
والله ما رايت اسيرا خيرا من خبيب والله وجدته يوما
ياكل قطفا من عنب في يده وانه لموثق بالحديد وما
بمكة من ثمرة ان كان الا رزقا رزقه الله خبيبا ثم ارادوا
قتله فخرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل وارادوا ان
يصلبوه فقال دعوني اصلي ركعتين فتركوه حتى صلاهما
ثم قال لولا ان تحسبوا ان ما بي جزع لزدت اللهم

احصهم

احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم احدا ثم انشا
يقول ولست ابالى حين اقتل مسلما على اى شق كان فى الله
مصرعى
ومزعى
مصرعى
ومزعى
مصرعى
ومزعى

كما توفت الحرب قال القايل

ابا خراشة اما انت ذا نفر ۞ فان قومي لم ياكلهم الضبع

السلم تاخذ منا ما رضيت به ۞ والحرب تكفيك من انفاسها جزع

اى ادخلوا فى جميع شرايعه وذلك انهم كانوا يعظمون السبت
ويكرهون لحم الابل والبانها وقرا نافع وابن كثير والكسائى
السلم بفتح السين والباقون بكسرها وتقدم الكلام فى
خطوات لابن عامر وقنبل وحفص والكسائى بضم الطا
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم اى ملتم
عن الدخول فى جميعه من بعد ما جاءتكم البينات اى الحجج
الظاهرة انه حق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه شى عن
انتقامه منكم حكيم فى صنعه تنبيه قول البيضاوى
حكيم لا ينتقم الا بحقه تبع فيه الزمخشرى وهو مذهب
المعتزلة فانهم يقولون لا ينتقم الا بقدر ما يستحقه
العاصى ومذهب اهل السنة انه ينتقم ويعاقب من
شا وان كان مطيعا اذ هو متصرف فى ملكه يفعل ما
يشا بمن شا وان لم يقع منه الانتقام الا ممن اسا وروى
ان قاريا قرا غفور رحيم بدل عزيز حكيم فسمعه اعرابى
لم يقرا القران فانكره وقال ان كان هذا كلام الله فلا يذكر
الغفران عند الزلل انه اغرا عليه وقوله تعالى هل
ينظرون استفهام فى معنى النفى اى ما ينظرون الا
ان ياتيهم الله اى امره او باسه كقوله تعالى او ياتى امر

ربك

ربك اى عذابه بقوله تعالى ظاهرا بأسنا او يأتيهم الله
بأسه فحذف المأتى به للدلالة عليه بقوله تعالى ان
الله عزيز حكيم فى ظلل جمع ظلة وهو ما اظلك من
الغمام اى من السحاب الابيض سمى غماما لانه يغم اى يستر
وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة وهى نزول
المطر فاذا جاءه العذاب كان اقطع لان الشر اذا جاء من
حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب
الخير ويأتيهم الملائكة قائمة الواسطة فى اتيان امر
او الاتيان على الحقيقة بأسه قال البغوى والاولى فى
هذه الاية وفيما شاكلها ان يؤمن الانسان بظاهرها
ويكل علمها الى الله تعالى ويعتقد ان الله تعالى منزه عن
سمات الحوادث وعلى ذلك مضت ائمة السلف وعلماء السنة
انتهى واما ائمة الخلف فانهم يؤولون هذه الاية بنحو ما
اولنا به وامثالها بحسب المقام وهو احكم ومذهب السلف
اسلم وكان مكحول ومالك والليث واحمد يقولون فى هذا
وامثاله امروها كما جاءت بلا كيف وقضى الامر اتم امر
هلاكهم وفرغ منه وضع الماضى موضع المستقبل لدنوه
وتيقن وقوعه والى الله ترجع الامور فى الاخرة فيجازيهم
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح التاء وكسر الجيم والباقون
بضم التاء وفتح الجيم وقوله تعالى سل امر للرسول او لكل
احد بنى اسرائيل توبيخا كم اتيناهم كم استفهامية

سلة سل عن المفعول الثانى وهو ثانى مفعولى أتيناهم
ومميزها من اية اى معجزة بينة اى ظاهرة فى الدلالة
على صدق من جاءها كقلب العصا حية وابراء الاكمه والابرص
وفلق البحر وانزال المن والسلوى فبدلوها كفرا ومن
يبدل نعمة الله اى ما انعم به عليه من الايات لانها
سبب الهداية التى هى اجل النعم كفرا من بعد ما جاءته اى
وصلته وتمكن من معرفتها فان الله شديد العقاب
فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة وهى
التبديل زين للذين كفروا الحياة الدنيا اى حسنت
فى اعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا
عليها واعرضوا عن عقباها والمزين فى الحقيقة هو الله
تعالى اذ ما من شئ الا وهو فاعله وكل شئ من الشيطان
والقوة الحيوانية وما ألفه فيها من الامور البهيمية
والاشياء الشهية مزين بالعرض واختلف فى سبب
نزول هذه الاية فقيل نزلت فى مشركى العرب ابى جهل
واصحابه وكانوا يتنعمون بما بسط لهم فى الدنيا من المال
ويكذبون ويسخرون من الذين امنوا اى يستهزؤن
بالفقراء من المؤمنين قال ابن عباس اراد بالذين امنوا
عبد الله بن مسعود وعمارا وصهيبا
وبلالا وخبابا وامثالهم وقال قتادة نزلت فى المنافقين
عبد الله بن ابى واصحابه كانوا يتنعمون فى الدنيا

خلق ح

ويسخرون

ويسخرون من ضعفا المومنين وفقرا المهاجرين ويقولون
انظروا الى هولا الذى يزعم محمد انه يغلب بهم وقال
عطا نزلت فى رؤسا اليهود من بنى قريظة والنضير
وقينقاع سخروا من فقرا المهاجرين فوعدهم الله ان
يعطيهم اموال بنى قريظة والنضير بغير قتال والذين
اتقوا اى الشرك وهو الفقرا فوقهم يوم القيامة
لانهم فى اعلا عليين وهم فى اسفل السافلين او حالهم
غالبة حالهم لانهم فى كرامة وهم فى هوان او هم غالبون
عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول عليهم هولا
فى الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين امنوا
من الكفار يضحكون روى عن اسامة بن زيد عن زيد
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفت على
باب الجنة فرايت اكثر اهلها المساكين ووقفت على باب
النار فرايت اكثر اهلها النسا واذا اهل الجد محبوسون
الا من كان منهم من اهل النار فقد امر به الى النار وروى
عن سهل بن سعد الساعدى انه قال مر رجل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس
ما رايك فى هذا قال رجل من اشرف الناس هذا والله حرى
ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع قال فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما رايك فى هذا فقال يا رسول

الله بهذا رجل من فقراء المسلمين فهذا حري اي حقيق ان خطب
ان لا ينكح وان شفع لا يشفع وان قال لا يسمع لقوله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض
من مثل هذا والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب
اي رزقا واسعا بغير تقدير في الدنيا للكافر استدراجا
وللمؤمن ابتلاء كما وسع على عبد الرحمن بن عوف وفي
الاخرة للمؤمن خاصة تفضلا كان الناس امة واحدة
اي متفقين على الحق روى عن ابي العالية عن كعب قال
كان الناس حين عرضوا على ادم وخرجوا من ظهره واقروا
بالعبودية امة واحدة مسلمين ولم يكونوا امة واحدة
قط غير ذلك اليوم ثم اختلفوا بعد ادم وقال الكلبي هم
اهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة
نوح وقال قتادة وعكرمة كان الناس من وقت ادم الى مبعث
نوح وكان بينهما عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة
من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح وقال مجاهد
اراد ادم وحده كان امة واحدة سمي الواحد بلفظ الجمع
لانه اصل النسل وابو البشر ثم خلق الله حواء ونشر
منهما الناس وكانوا مسلمين الى ان قتل قابيل هابيل
فاختلفوا وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
قال كان الناس على عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام
امة واحدة كافرين كلهم فبعث الله ابراهيم وغيره من

النبيين

النبيين كما قال تعالى فبعث الله النبيين اى اختلفوا
فبعث الله وانما حذف لدلالة فيما اختلفوا فيه وجملة الانبيا
كما رواه الامام احمد مرفوعا من حديث عن كعب مائة الف
واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة
عشر والمذكور منهم فى القران باسم العلم الموضوع له ثمانية
وعشرون نبيا اى وهم ادم وادريس ونوح وهود وصالح
وابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف ولوط
وموسى وهارون وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود
وزكريا وسليمان والياس واليسع وذو الكفل وايوب
ويونس ومحمد صلى الله وسلم عليهم اجمعين وذو القرنين
وعزير ولقمان على القول بنبوة الثلاثة مبشرين من
امن واطاع بالجنة ومنذرين من كفر وعصى بالنار وانزل
معهم الكتاب المراد به الجنس فهو بمعنى الكتب لكنه تعالى
لم ينزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن له
كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم وقوله
تعالى بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق شاهدا
به ليحكم بين الناس اى الله او الكتاب او النبى المبعوث
ورجح الثانى التفتازانى وقال لا بد فى عوده الى الله من تكلف
فى المعنى اى ليظهر حكمه والى النبى من تكلف فى اللفظ حيث
لم يقل ليحكموا ورجح ابو حيان الاول وهو الظاهر قال
والمعنى انه انزل الكتاب ليفصل به بين الناس وشبه

الحكم الى الكتاب مجازا كان اسناد النطق اليه فى قوله تعالى هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق كذا قدره بما اختلفوا فيه من الدين
وبما اختلف فيه اى الدين الا الذين اوتوه اى الكتاب
المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل من اجله
للاختلاف فى سببا لاستحكام الخلاف فاس بعضى وكفر بعض
من بعد ما جاءتهم البينات اى الحجج الظاهرة على التوحيد ومن
متعلقة باختلف وهى وما بعدها مقدم على الاستثناء فى
المعنى بغيا من الكافرين بينهم حسدا وظلما لحرصهم
على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه وقوله
تعالى من الحق بيان لما اختلفوا فيه اى فهدى الله الذين
امنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف باذنه اى بارادته
قال ابن دريد فى هذه الاية اختلفوا فى القبلة فمنهم من يصلى
الى المشرق ومنهم من يصلى الى المغرب ومنهم من يصلى الى
الغرب ومنهم من يصلى بيت المقدس فهدانا الله للكعبة
واختلفوا فى الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا
فى الايام فاخذت اليهود السبت والنصارى الاحد فهدانا
الله للجمعة واختلفوا فى ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا
وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله للحق من ذلك
واختلفوا فى عيسى فجعلته النصارى الها فهدانا الله للحق
فيه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم هو طريق
الحق لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة وما ياتكم

مثل

مثل اى شبه الذين خلوا من قبلكم من المومنين من الخوف
فتصبروا كما صبروا واختلفوا فى نزول هذه الاية فقال
قتادة نزلت فى غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما
اصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش
وانواع الاذى كما قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر وقال
عطا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
اشتد عليهم الامر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم
واموالهم بايدى المشركون واثروا رضى الله ورسوله فاتتهم
اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسرت
قوم النفاق فانزل الله هذه الاية تطمينا لقلوبهم وقيل
نزلت فى حرب احد واختلف فى معنى امر فقال
صلة اى احسبتم وقال الزجاج هى بمعنى اى بل حسبتم
وما بمعنى لم اى لم يأتكم قوله تعالى مستهم البأساء اى
شدة الفقر والضراء اى المرض والجرح جملة مستانفة
مبينة ما قبلها وزلزلوا اى ازعجوا ازعاجا شديدا بما
اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين امنوا
معه لتناهى الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال
الصبر متى يأتى نصر الله الذى وعدناه استطالة
لتاخره فاجيبوا من قبل الله الا ان نصر الله قريب
اتيانه وفى هذا اشارة الى ان الوصول الى الله تعالى والفوز
بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد

والربا فانت كما قال عليه الصلاة والسلام كما رواه الشيخان
وغيرهما حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفي
رواية لهم حجبت اي جعلت حجابا دون الجنة فمن اقتحمه
ودخلها والشهوات حجاب دون النار فمن اقتحمه دخلها
وقرا نافع يقولون بالرفع انها حكاية حال ماضية وفائدتها
تصوير تلك الحال العجيبة واستحضار صورتها في مشاهد
السامع ليتعجب منها وقرا الباقون بالنصب يسئلونك
يا محمد ماذا اي الذي ينفقون هو السائل كما قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما عمرو بن الجموح الانصاري وكان شيخا
قانيا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا
واين نضعها فنزل قل لهم ما انفقتم من خير اي مال
قليلا كان او كثيرا فللوالدين والاقربين واليتامى
والمساكين وابن السبيل اي هم اولى به سيل عن المنفق
فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة
باعتبار لانه كان في سوال عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية
واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم
من خير وما تفعلوا من خير اتفاق وغيره فان الله
به عليم فيجازيكم به تنبيه ليس في الاية ما ينافي
فرض الزكاة ليتسخ به كما قيل لان الزكاة لا تعطى للوالدين
ولا للاقربين من الاولاد واولاد الاولاد وذلك محمولة على
الانفاق على من ذكر تطوعا او على الانفاق على الفقراء من

الوالدين والاولاد واولاد الاولاد وذلك لين منسوخ كتب
اى فرض عليكم القتال للكفار وهو كره اى مكروه لكم
طبعا للمشقة وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وهو
جميع ما كلفتم به فانه الموجب لسعادتكم فلعل لكم في
القتال وان كرهتموه خيرا لان فيه اما الظفر والغنيمة او
الشهادة والاجر وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم وهو
جميع ما نهيتم عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يهوى
به الى الردى فترك القتال وان حببتموه شر لان فيه الذل
والفقر وحرمان الاجر وانما ذكر عسى لان النفس اذا انا
ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون
ذلك فبادروا الى ما يامركم به يسئلونك يا محمد عن الشهر
الحرام المحرم روى انه عليه الصلاة والسلام بعث عبد
الله بن جحش بن عمته على سرية في جمادى الاخرة قبل قتال
بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة
ليترصد عير القريش فيهم عمرو بن عبد الله بن الحضرمي
وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير
وفيها تجارة من تجارة الطايفة وكان ذلك غرة رجب وقيل
تطير منه جمادى فقالت قريش قد استحل محمد الشهر
الحرام الذى يامن فيه الخايف وتتفرق فيه الناس الى
معايشهم فيسفك فيه الدماء واخذ الاسارى وعير بذلك
اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة

استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وشق ذلك على اصحاب
السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى
الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس لما
نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو
اول غنيمة فى الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه
يستشنعا ويستكبرا وقيل اصحاب السرية قالوا يا رسول الله
انا قتلنا الحضرمى ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا
ندرى رجب اصبناه ام فى جمادى فانزل الله هذه الاية
واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وقوله تعالى قتال فيه بدل اشتمال
من الشهر قل لهم قتال فيه كبير اى عظيم وزرا وقد تم
الكلام هنا ثم ابتدا فقال وصد فهو مبتدا اى منع الناس
عن سبيل الله اى دينه وكفر به اى الله وصد المسجد
الحرام اى مكة واخراج اهله منه وهم النبى صلى الله عليه
وسلم والمومنون وخبر المبتدا وما عطف عليه اكبر اى
اعظم وزرا عند الله مما فعلته السرية من قتل ابن الحضرمى
فى الشهر الحرام خطا وبنا على الظن ومما تقرر علم ان صد المسجد
الحرام معطوف على سبيل الله وقول البيضاوى ولا يحسن
عطفه على سبيل الله لان عطف قوله تعالى وكفر به على صد
مانع منه بجاب عنه بان الكفر بالله والصد عن سبيله
متحدان معنى فكانه لا فضل بالاجنبى بين سبيل الله و

عطف

عطف عليه ويصح ايضا ان يكون معطوفا على الهاء به اذ
يجوز العطف بدون اعادة الجار كما جرى عليه ابن مالك
وان كان مذهب البصريين خلافه وجرى عليه البيضاوي
والفتنة اى الشرك منكم اكبر من القتل لكم فيه فلما نزلت
هذه الاية كتب عبد الله بن انيس الى مومني مكة اذا عيروكم
المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم بالكفر
واخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين من مكة
ومنعهم المسلمين عن البيت ولا يزالون اى الكفار يقاتلونكم
ايها المومنون حتى يردوكم عن دينكم الى الكفر فذكر اخبارا
عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون حتى يردوهم
عن دينهم وحتى للتعليل لا للغاية كما قيل لانه افيد من حيث
ان فيه ذكر الحامل على المقاتلة بخلاف الغاية اى يقاتلونكم
كي يردوكم وقوله تعالى ان استطاعوا فيه استبعاد له
لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت فلا تبقي على
وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اى بطلت اعمالهم اى الصالحة
في الدنيا والاخرة فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها والتقييد
بالموت يفيد انه لو رجع الى الاسلام لم يبطل عمله كما هو
مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه خلافا لابي حنيفة
رضي الله تعالى عنه حيث قال ان الردة تحبط الاعمال مطلقا
لقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله واجيب

بانه محمول على المقيد عملا بالدليلين فلا يجب عليه ان يعيد
الحج الذي اتى به قبل الردة وكذا غيره لكن يبطل ثوابه كما نص
عليه الشافعي وان خالف فيه بعض المتاخرين واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون كساير الكفرة ولما ظن السرية
انهم سلموا من الاثم فلا يحصل لهم اجر انزل الله تعالى ان
الذين امنوا والذين هاجروا اي فارقوا عشايرهم ومنازلهم
واموالهم وجاهدوا المشركين في سبيل الله اعلاء دينه
وكرر سبحانه وتعالى الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما
مستقلان في تحقيق الرجا اولئك يرجون رحمة الله اي
ثوابه اثبت لهم الرجا اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع
في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور للمومنين
لما فعلوه خطا وقلة احتياط رحيم بهم بان يجزل لهم الاجر
والثواب يسئلونك عن الخمر والميسر روي لما نزل بمكة
قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال
يومئذ ثم ان عمر ومعاذ في نفر من الصحابة قالوا افتنا في الخمر
يا رسول الله فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها
قوم وتركها اخرون ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما
فدعا ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم
بخمر فشربوا وسكروا فحضرت صلاة المغرب فقدموا بعضهم
ليصلي بهم فقرا قل يايها الكافرون اعبد ما تعبدون هكذا

الى اخر

الى اخر السورة بحذق لا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
فحرم السكر في اوقات الصلاة فتركها قوم وقالوا لا خير في شئ
يحول بيننا وبين الصلاة وتركها قوم في اوقات الصلاة
وشربوها في غير وقتها حتى كان الرجل يشرب بعد صلاة
الصبح فيصحو اذا جاء وقت الظهر ان عتبان بن مالك
صنع طعاما ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن
ابي وقاص رضي الله تعالى عنه وقد كان شوى لهم رأس بعير
فاكلوا منه وشربوا الخمر حتى انتشوا منهم ثم افتخروا عند
ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة
فيها هجاء الانصار وفخر لقومه فاخذ رجل من الانصار لحى
البعير فضرب به راس سعد فشجه موضحة فانطلق
سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى له الانصار
فقال عمر اللهم بين لنا بيانا شافيا فنزل انما الخمر
والميسر الى قوله تعالى فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله
تعالى عنه انتهينا يا رب قال القفال الحكمة في وقوع التحريم
على هذا الترتيب ان القوم كانوا الفوا شرب الخمر وكانت
انتفاعهم به كثيرا فعلم انه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم
فاستعمل في التحريم هذا التدريج والوقف وسمي عصير العنب
والتمر اذا اشتد وغلا خمرا لانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه
يسكر اي يحجزه وهي حرام مطلق وكذا كلما اسكر عند

اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ
حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر
وسمى القمار ميسرا لانه اخذ مال الغير بيسر والمعنى
يسيلونك عن تعاطيها القول قل لهم فيهما اى فى
تعاطيهما اثم كبير اى عظيم لما يحصل بسببهما من
المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش وقرا حمزة والكسائى بالثاء
المثلثة والباقون بالباء الموحدة ومنافع للناس باللذات
والفرح ومصادقة الفتيان وتشجيع الجبان وتوفر المروة
وتقوية الطبيعة فى الخمر واصابة المال بلا كد فى الميسر
واثمهما اى ما ينشأ عنهما من المفاسد اكبر اى اعظم
من نفعهما المتوقع منهما واذا قيل ان هذا هو المحرم للخمر
فان المفسدة اذا ترجحت اقتضت تحريم الفعل والظاهر
ان المحرم لها اية المايدة كما مر ويسيلونك يا محمد ماذا ينفقون
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وحثهم على الصدقة فقالوا
ماذا ننفق فقال الله تعالى قل العفو قرا ابو عمرو ويرفع
الواو بتقدير هو والباقون بنصبها بتقدير انفقوا
واختلفوا فى معنى العفو وهو نقيض الجهد بان ينفق ما
لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع كما قال
الشاعر

خذى العفو منى تستديمى مودتى ولا تنطرى فى سورتى حين اغضب

وسورة الغضب شدته وحدته وقال قتادة وعطاء والسدى

وهو

وهو ما فضل عن الصحابة وكانت الصحابة رضي الله تعالى
عنهم يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون
بالفضل فحكم هذه الاية وقال مجاهد معناه التصدق عن
ظهر غنا وروى ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببضعة
من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة
فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم حتى كرر مرارا فقال لها بها
مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال
يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف
الناس انما الصدقة عن ظهر غنا واليد العليا خير من
اليد السفلى وابدء بمن تعول قال ابن الاثير والظهر
قد يزاد في مثل هذا اشباعا لكلام وتمكينا كان صدقته
مستندة الى ظهر قوي من المال وقال عمر وبن دينار الوسط
من غير اسراف ولا اقتار كما قال تعالى والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما كذلك كما تبين
لكم ما ذكر يبين الله لكم الايات قال الزجاج انما قال كذلك
على الواحد وهو يخاطب جماعة لان الجماعة معناها القبيل
كانه قيل كذلك ايها القبيل وقيل هو خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم لان خطابه يشتمل على خطاب الامة كقوله تعالى
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن في زوال
الدنيا وفنائها فترهدوا فيها وفي اقبال الاخرة وبقائها
فترغبوا فيها ويسئلونك يا محمد عن اليتامى وقد مر ذكرهم

جمع يتيم وان اليتيم طفل لا اب له قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما لما نزل قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتي هي احسن وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما الاية تحرج المسلمون اموال اليتامى تحرجا شديدا
فان واكلوهم ياثموا وان عزلوا ما لهم من مالهم وصنعوا
لهم طعاما وحدهم فخرج فاشتد ذلك عليهم فسالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله قل اصلاح لهم
اي اليتامى في اموالهم بتنميتها ومدخلتكم معهم خير من
مجانبتكم وان تخالطوهم اي تخلطوا نفقتهم بنفقتكم فاخوانكم
اي فهم اخوانكم في الدين ومن شان الاخ ان يخالط اخاه اي
فلكم ذلك وقيل المراد بالمخالطة وما اباح لكم مخالطتهم العنت
الشدة والمشقة ومعناه كلفكم في كل شي ما يشق عليكم
ان الله عزيز غالب على امره يقدر على الاعنات وغيره حكيم
يحكم بما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا اي
لا تتزوجوا ايها المسلمون المشركات اي الكافرات حتى
يومن روي انه عليه الصلاة والسلام بعث مرثدا
الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما
قدمها سمعت به امراة مشركة يقال لها عناق وكانت
خليلية في الجاهلية فاتته وقالت يا ابا مرثد الا تخلوا
فقال ويحك يا عناق ان الاسلام قد حال بيننا وبينك
فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر رسول

المصاهرة والله يعلم المفسد لاموالهم بمخالطته من
المصلح بها فيجازي كلا منهما ففي ذلك وعيد ووعد لمن خالطهم
لافساد واصلاح ولو شاء الله لاعنتكم اي لضيق
عليكم بتحريم المخالطة صح صح

الله عليه وسلم فلما رجع اليه قال يا رسول الله اتحل لي ان اتزوج
بها فانزلت هذه الاية هذا ما اورد الواحدي وغيره ولكن
الذي رواه ابو داود وغيره انه سبب في نزول اية النور
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة الاية والاية وان كانت
شاملة للكتابيات لكنها مخصوصة بغيرهن بقوله
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وقد تزوج عثمان
بنصرانية فاسلمت وتزوج حذيفة بيهودية وطلحة بن
عبيد الله نصرانية فان قيل كيف اطلقتم اسم الشرك
على من ذكر الابوة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو الحسن
ابن فارس لانه يقول القرآن كلام غير الله ومن يقول الكلام
القرآن كلام غير الله فقد اشرك مع الله غير الله انتهى وقال
تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولامة مومنة خير
من امة من حرة مشركة ولو اعجبتكم لجمالها وما لها نزلت
في خنساء وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان قال حذيفة
يا خنساء قد ذكرت في الملا الاعلى على سوادك ودمامتك
فاعتقها وتزوجها وقال السدي نزلت في عبد الله بن رواحة
كان له امة فاعتقها وتزوج بها فطعن عليه ناس من المسلمين
وقالوا انتكح امة وعرضوا عليه حرة مشركة فانزل الله
تعالى هذه الاية ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا اي ولا تزوجوا
منهم المومنات حتى يومنوا وهذا على عمومه باجماع

ولعبد مومن خير من اى من حر مشرك ولو اعجبكم لماله
وجماله وقيل المراد بالامة والعبد المراة والرجل حرين كانا
او رقيقين لان الناس عبيد الله واماوه اولئك اى اهل
الشرك يدعون الى النار اى الكفر المودى الى النار فلا
تليق مصاهرتهم وموالاتهم والله يدعوا اى اولياه
المومنين فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما
لشانهم ويدعوا على لسان رسله وهذا كما قال ابو حيان ابلغ
فى التباعد من المشركين اجرا للفظ على ظاهره والاول ذكر
لطلب المعادلة بين المشركين والمومنين الى الجنة والمغفرة
اى العمل الصالح الموصل اليها فهم الاخفا بالمواصلة باذنه
اى بامر الله ورضاه على التفسير الاول او بقضايه وارادته
على التفسير الثانى فتجب اجابته بتزويج اوليايه ويبين
اى الله اياته للناس لعلهم يتذكرون اى لكى يتذكروا
فيتعظوا ويسئلونك يا محمد عن المحيض اى الحيض او مكانه
ماذا يفعل بالنسا فيه روى ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا
الحيض ولم يواكلوهن كفعل اليهود فان اليهود كانت اذا
حاضت المراة منهم اخرجوها من البيت ولم يواكلوها ولم
يشاربوها ولم يجامعوها فى البيت فاستمر ذلك الى ان سال
ابو الدحداح فى نفر النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال
الله تعالى قل لهم هو الحيض او مكانه اذى قذر او مملة
فان قيل لماذا ذكر الله تعالى يسئلونك بغير واو ثلاثا ثم بها

ثلاثا

ثلاثا اجيب بان السوالات كانت الاول فى اوقات متفرقة
والثلاثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف
الجمع وهو واو العطف وهى الجمع فى الحكم لا الزمان واعترض هذا
الجواب بانه كان يجب على هذا ان تدخل الواو على اثنين من
الثلاثة الاخيرة لان العطف يكون فى الثانية والثالثة منها
واجيب بانهم لما سالوا مما كانوا ينفقون فاجيبوا بمصرف
النفقة اعادوا سوالهم بالواو ما ينفقون فاجيبوا نسب
لما قبله عطف بالواو ولما كان الثالث سوالا عن اعتزال
الحيض كما يعتزلوا القيامى فناسب ما قبله فى الاعتزال عطف
بالواو ولا كذلك الثلاثة الاول اذ لا تعلق بينها فاعتزلوا
النسا اى اتركوا وطيهن فى المحيض اى وقته او مكانه لان ذلك
هو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم
كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض وما استدل به البيضاوى
من قوله صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم نامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم
قال شيخنا القاضى زكريا لمراده بهذا اللفظ فى بعض التفاسير
لغيره وقوله تعالى ولا تقربوهن اى بالجماع حتى يطهرن
تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع
ويدل عليه صريح قراة شعبة وحمزة والكسائى بتشديد
الطاء والهاء اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والباقون بسكون
الطاء وضم الهاء مخففة والتزاما قوله فاذا تطهرن فاتوهن

اى للجماع فانه يقتضى تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال
ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه ان طهرت لاكثر الحيض وهو
عنده عشرة ايام جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم
الله بتجنبه فى الحيض وهو القبل ولا تتعدوه الى غيره واما
الملامسة فيما بدا ما بين السرة والركبة والمضاجعة معها
قبل الغسل ولو قبل انقطاع الحيض فجائز قالت عايشة
رضى الله تعالى عنها كان يامرنى صلى الله عليه وسلم فاتزر
فيباشرنى وانا حايض وكان يخرج راسه الى وهو معتكف
فاغسله وانا حايض وعن ام سلمة رضى الله تعالى عنها
قالت حضت وانا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الخميلة
فانسللت فخرجت منها فاخذت ثياب حيضتى فلبستها
فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انفست قلت نعم فدعانى
فدخلنى معه فى الخميلة ان الله يحب اى يثيب ويكرم التوابين
من الذنوب ويحب المتطهرين اى المتنزهين عن الفواحش
والاقذار كالمجامعة الحايض والاتيان فى غير القبل نساؤكم حرث
لكم اى مزرع ومنبت للولد كالارض للنبات فاتوا
حرثكم اى محله وهو القبل انى اى كيف شئتم من قيام
وقعود واضطجاع واقبال وادبار روى الشيخان ان اليهود
كانوا يقولون من جامع امراته من دبرها اى من خلفها فى قبلها
جاء ولدها احول فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الاية وقدموا لانفسكم من الاعمال الصالحات

كالتسمية

بالتسمية عند الجماع وطلب الولد ما يدخر لكم الثواب واتقوا
الله في امره ونهيه واعلموا انكم ملاقوه بالبعث فتزودوا
بما لا تفتضحون به فانه يجازي بكم باعمالكم وبشر المومنين
بالكرامة والنعيم الدايم امر الرسول صلى الله عليه وسلم
ان ينصحهم ويبشرهم صدقه وامتثل امره منهم وقوله
تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم نزلت في ابي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه لاحلافه ان لا ينفق على مسطح حين
خاض في حديث الافك لافترايه على عايشة او في عبد
الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه اي زوج اخته
بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته فالعرضة
لما يعرض فيمنع من الشي اي لا تجعلوا الحلف سببا مانعا
لكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى صلة رحم او بر فيقول
حلفت بالله لا افعله فيعتل بيمينه في ترك البر كما قال
تعالى ان تبروا اي مخافة ان لا تبروا فهو في موضع نصب
مفعول من اجله وعند الكوفيين ليلا تبروا كقوله تعالى
يبين الله لكم ان تضلوا اي ليلا تضلوا وقال ابو اسحاق
في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف اي ان تبروا وتتقوا
خير لكم وقيل التقدير في ان تبروا فلما حذف حرف الجر
نصب وقيل هو في موضع جر بالحرف المحذوف وتتقوا
وتصلحوا بين الناس فتكره اليمين على ذلك وليس فيه
الحنث وكيف لما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف

يمينا فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى
هو خير بخلافها على فعل البر ونحوه وقد طائفة والله سميع
لاقوالكم عليم باحوالكم لا يواخذكم الله باللغو الكائن
فى ايمانكم واللغو كل مطرح من الكلام لا يعتد به واختلف
اهل العلم فى اللغو فى اليمين المذكور فى الاية فقال قوم
هو ما سبق اليه اللسان على عجلة اصلة كلام من غير
عقد وقصد كقول القائل لا والله وبلى والله وكلا والله
وعن عايشة رضى الله تعالى عنها انها قالت لغو اليمين
قول الانسان والله وبلى ورفعه بعضهم وبهذا قال
الشافعى رضى الله عنه وقال قوم هو ان يحلف على شئ
يرى انه صادق ثم يتبين انه خلاف ذلك وبه قال ابو
حنيفة رضى الله عنه وقال زيد بن اسلم هو دعاء الرجل
على نفسه كقول الانسان اعمى الله بصرى اذا لم افعل كذا
وكذا فهذا اللغو لا يواخذ الله به قال تعالى ويدع الانسان
بالشر دعاءه بالخير وقال تعالى ولو يعجل الله للناس الشر
استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم ولكن يواخذكم بما
كسبت قلوبكم اى قصدته من الايمان اذا حنثتم والله
غفور حيث لا يواخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل
بالمواخذة على يمين الجد تربصا للتوبة تنبيه
اليمين لا ينعقد الا بالله العظيم او باسم من اسمائه
او صفة من صفاته فاليمين بالله كان يقول والذى

اعيده والذى نفسى بيده وباسمايه كان يقول والله
والرحمن وبصفاته كان يقول وعزة الله وعظمة الله
وجلال الله فاذا حلف بشى من ذلك على امر مستقبل
ثم حنث وجبت عليه الكفارة وسياتى بيانها ان شا الله
تعالى فى سورة المايدة واذا حلف على امر ماض انه كان ولم
يكن وهو عالم به حالة ما حلف فهى اليمين الغموس
وهى من الكباير فتجب بها الكفارة كما قاله الشافعى رضى الله
تعالى عنه وقال بعض العلما لا كفارة فيها كاكثر الكباير واما
الحلف بغير ما ذكر كالحلف بالكعبة وبيت الله ونبى الله
او بابيه ونحوه فلا يكون يمينا ولا يجب به الكفارة اذا حنث
وهو يمين مكروه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ادرك عمر وهو يسير فى ركب وهو يحلف بابيه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابايكم فمن
كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت للذين يولون من
نسايهم اى يحلفون ان لا يجامعوهن والايلا الحلف
وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى
بمن قال قتادة كان الايلا طلاقا لاهل الجاهلية وقال
سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرار غيره فيحلف ان
لا يتمر بها ابدا فيتركها ابدا لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه
فى ابتدا الاسلام فضرب الله له اجلا فى الاسلام كما قال
تعالى تربص اى انتظار اربعة اشهر اى للمولى حق

التشت في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق وكذا قاله
الشافعي رضي الله تعالى عنه لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر
وبعيد فان فاؤا اي رجعوا في المدة او بعدها عن اليمين
الى الوطء لان الفيئة وعزم الطلاق مشروعان عقب الايلاء
وحصول التربص به ان يكون مدخولا بها واقعا بعدها
فان الله غفور لهم ما اتوه من ضرر المرأة بالحلف رحيم
بهم وان عزموا الطلاق اي صمموا عليه بان لم يفيئوا
فليوقعوه فان الله سميع لقولهم عليم بعزمهم اي ليس
لهم بعد تربص بما ذكر الا الفيئة او الطلاق ففيه دليل على انها
لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها لانه شرط فيه العزم
وقال فان الله سميع فدل على انه يقتضي مسموعا والقول
هو الذي يسمع وقال بعض العلماء عليه اذا مضت اربعة
اشهر يقع عليه طلقة بائنة وقول ابن عباس واصحاب الرأي
وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع طلقة واحدة رجعية
ولو حلف ان لا يطأها اقل من اربعة اشهر لا يكون موليا بل
حالف اذا وطئها قبل مضي تلك المدة وجبت عليه كفارة
يمين ان كان الحلف بالله ولا يختص الايلاء بالحلف بالله
تعالى فلو قال لزوجته ان وطئتك فعبدي حر او ضرتك
طالق او لله علي عتق رقبة او صوم او صلاة فهو مول
لان المولى من يلزمه امر يمتنع بسببه من الوطء
والمطلقات يتربصن بانفسهن عن النكاح ثلاثة

قرء

قروء يمضى من حين الطلاق جمع قرء بفتح القاف وضمها
وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلاة والسلام رحما
رواه ابو داود وغيره دعى الصلاة ايام اقرائك وللطهر
الفاصل بين حيضتين وهو المراد فى الآية لآية الدال على
براءة الرحم لا الحيض كما قاله بعض العلما لقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون
فى الحيض واما ما رواه ابو داود والترمذى وغيرهما من
قوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها
حيضتان فلا ينافى ما رواه البخارى فى قصة ابن عمر مره
فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر
ثم ان شاء امسك وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة
التى امر الله تعالى ان يطلق لها النسا بقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن فان قيل ما معنى ذكر الانفس فهل لا قيل يتربصن
ثلاثة قروء اجيب بان فى ذكر الانفس تهييجا لهن على
التربص وزيادة بعث بان فيه ما يستنكف منه فيحملهن
فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان نفس النسا طوامح
اى نواظر الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها
على الطموح ويجبرنها على التربص وكان القياس فى جمع
قروء ان يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتوسعون
فى ذلك فيستعملون كل واحد من البنايين وكان الاخر الاترى
الى قوله بانفسهن وما هنا الا نفوس كثيرة قال البيضاوى

ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقرا تضمن معنى الكثرة
فحسن بنا الكثرة ووجوب ذلك في الدخول بهن اما غيرهن
فلا عدة لهن لقوله تعالى فان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
فما لكم عليهن من عدة وفي غير الايسة والصغيرة فعدتهن
ثلاثة اشهر والحوامل فعدتهن قران بالسنة ولا يحل
لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد ان كانت
حاملا او من الحيض ان كانت حايلا ان كن يومن بالله
واليوم الاخر قال البيضاوي ليس المراد تقييد نفي الحل
بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان اي كماله وان المومن
لا يجترى عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج
المطلقات والبعولة جمع بعل والتا لاحقة لتانيث الجمع
كالعمومة والخولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك
بعل حسن البعولة نعت به مبالغة كما في رجل عدل او اقيم
مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن احق بردهن
اي بمراجعتهن في ذلك اي في زمن التربص فان قيل كيف
جعلوا احق بالرجعة فكان للنسا حقا فيها اجيب
بان افعل هاهنا بمعنى الفاعل فان البعل لا حق له في الرد
فكانه قيل وبعولتهن حقيقون بردهن وقيل ارد على
بابه للتفضيل اي احق منهن بانفسهن لو ابين الرد
او من ابانهن وسمي الزوج بعلا لقيامه لامر زوجته واصل
البعل السيد والمالك ان ارادوا اي البعولة اصلاحا

بالرجعة

بالرجعة لاضرار المراة وليس المراد من هذا الشرط قصد
الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار
والمصارفة عن اعتبار مفهوم هذا الشرط الاجماع ولهن على
الازواج مثل الذى لهم عليهن من الحقوق بالمعروف
شرعا من حسن العشرة وترك الضرار ونحو ذلك قال ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما فى معنى ذلك انى احب ان اتزين لامراتى
كما احب ان تتزين لى لهذه الاية وعن ابى هريرة رضى الله
تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
اكمل الايمان احسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم فان
قيل ما المراد بالمماثلة اجيب بان المراد ان لهن حقوقا على
الرجال مثل حقوقهم عليهن فى الوجوب واستحقاق
المطالبة عليها لا فى الجنس اذ ليس الواجب على كل منهما من
جنس ما وجب على الاخر فلو غسلت ثيابه او خبزت لم
يلزمه ان يفعل مثل ذلك ولكن يقابلها بما يليق بالرجال
وللرجال عليهن درجة اى فضيلة فى الحق لان المراة تنال
من مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها فى مصالحها
ولاحقوقهم فى انفسهن بالوطى والتمتع وحقوقهن المهر
والانفاق وترك الضرار وقيل لصلاحيته للامامة والقضا
والشهادة وقيل بالجهاد وقيل بالميراث وقيل بالدية وقيل

بالعقل والله عزيز وملكه قادر على انتقام من خالف الاحكام
حكيم فيما دبره لخلقه بشرعها لحكم ومصالح الطلاق اى
التطليق كالسلام بمعنى التسليم الذى يراجع به مرتان
اى اثنتان روى عن عكرمة عن عروة بن الزبير قال كان الناس
فى الابتداء يطلقون من غير حصر وكان عدد كان الرجل يطلق امرأته
فاذا قاربت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها كذلك ثم يراجعها
بقصد مضارتها فنزلت هذه الاية وروى ابو داود وغيره
انه صلى الله عليه وسلم سئل ابن الثالثة فقال صلى الله عليه
وسلم او تسريح باحسان فامساك اى فعليكم امساكهن
اذا راجعتموهن بعد الطلقة الثانية بمعروف وهو كل ما
يعرف فى الشرع فى ادا حقوق النكاح وحسن الصحبة او تسريح
باحسان بالطلقة الثالثة او بالا يراجعها حتى تبين
تنبيه اختلف العلماء فيما اذا كان احد الزوجين رقيقا
فذهب الكثرون منهم الشافعى رضى الله تعالى عنه الى ان المعتبر
عدد الطلاق بالزوج فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث
طلقات والعبد لا يملك على زوجته الحرة الا طلقتين وذهب
الاقلون منهم ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه الى ان الاعتبار
بالمرأة فى عدد الطلاق كالعدة فيملك العبد على زوجته الحرة
ثلاث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين و

يحل

يحل لكم ايها الازواج ان تاخذوا مما اتيتموهن من المهور شيئا
اذا طلقتموهن وروى انها نزلت في جميلة اخت عبد الله بن
ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فشكته
الى ابيها فقال ارجعي الى زوجك فاني اكره للمراة ان لا تزال رافعة
يديها تشكو زوجها فلما رات ابا هالة يشكها رجعت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فارسل خلفه فجاه فقال له ما لك
ولاهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه الارض
احب الي منها غير انك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تقولين فقالت هو مني اكرم الناس حبا لزوجته ولكن
لا انا ولا ثابت لا يجتمع راسي وراسه شي والله لا عيبه
في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام وما اطيقه بغضا
اي اكره ان اقع فيما يقتضي الكفر بغضا
فيه ويحتمل ان يريد كفران العشيرة اني رفعت جانب
الخباء فراتيه اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فقال ثابت قد اعطيتها حديقة فهل
لها فلتردها علي واخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته
وتملكين امرك قالت نعم فقال صلى الله عليه وسلم لثابت خذ
منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل وفي رواية اقبل الحديقة
وطلقها طلقة الا ان يخافا اي الزوجان الا يقيما حدود
الله اي لا ياتيا بما حده لهما من الحقوق وقرا حمزة يخافا

بضم الياء بالبناء للمفعول فان خفتم ايها الامة والحكام ان لا يقيما
حدود الله اى فيما حدد من الاحكام فلا جناح عليهما فيما افتدت
به نفسها من المال فيطلقها اى لا حرج على الزوج فى اخذه
ولا على الزوجة فى بذله وهذا هو الاصل والا فيجوز على عوض
وان لم يخافا فتنبيه على ما تقرر ان الخطاب فى الزوجين
وثانيا للاية والحكام وكونه كذلك معين فى القرآن وغيره ويجوز
ان يكون الخطاب كله للاية والحكام وكما يناسب ذلك قوله تعالى
ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا لانهم الذين يامرون بالاخذ
والاتيان عند التراضى اليهم وكانهم الاخذون والمؤتون تلك
اى الاحكام المذكورة حدود الله وهى ما منع الشرع من
المجاوزة عنه فلا تعتدوها اى فلا تتعدوها بالمخالفة وقوله
تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيبه
للنهى بالوعيد مبالغة فى التهديد تنبيه ظاهر الاية
يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا يجوز ما
ساق الزوج اليه فضلا عن الزايد ويؤيد ذلك قوله صلى
الله عليه وسلم كما رواه البيهقى ايما امراة سالت زوجها
طلاقا من غير باس اى حرام عليها رايحة الجنة وما روته
انه صلى الله عليه وسلم لجميلة اترديين عليه حديقته
فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام
اما الزايد فلا ولجمهور استكرهوا الخلع ولكن تعدوا فان المنع

عن التعدد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاعلة فان
سماه اقتداء فان طلقها اى الزوج بعد السنتين فلا تحل
له من بعد اى بعد الطلقة الثالثة حتى تنكح اى تتزوج زوجا
غيره اى المطلق والنكاح يتناول العقد والوطى وتعلق
بظاهر الاية من اقتصر على العقد كابن المسيب والجمهور على
انه لا بد من الاصابة لما روى الشيخان ان امراة رفاعة
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقنى
وان عبد الرحمن بن الزبير اى بفتح الزاء وكسر الباء تزوجنى
وانا معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال اتريدين ان ترجعى الى رفاعة لا حتى تذوقى
عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة
ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من
لفظ الزوج والعسيلة مجاز عن قليل الجماع اذ يكفى قليل
الانتشار شبهت تلك اللذة بالعسل وصغرت وانثت لانها
لان الغالب على العسل التانيث قاله الجوهرى وروى انها لبثت
ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت
ان زوجى قد مسنى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم كذبت فى
قولك الاول فلن اصدقك فى الاخر فلبثت حتى قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول
الله ارجع الى زوجى الاول فان زوجى الاخر مسنى وطلقنى
فقال لها ابو بكر قد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

ابنته وقال له قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر
اتت عمر وقالت له مثل ذلك فقال لها عمر ان رجعت اليه
لارجمنك والحكمة في التحليل الردع عن المسارعة الى الطلاق
والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل
فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه
مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل
والمحلل له رواه الترمذي والنسائي وصححه وعن عمر رضي
الله تعالى عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما تنبيه
شملت الاية الكريمة ما اذا طلق الزوج زوجته الامة ثلاثا ثم
ملكها فانه لا يحل له ان يطأها بملك اليمين حتى تنكح زوجا
غيره فان طلقها الزوج الثاني بعد ما اصابها فلا جناح عليهما
اي المرأة والزوج الاول ان يتراجعا الى النكاح بعقد جديد
بعد انقضاء العدة ان ظنا اي ان كان في ظنهما ان يقيما
حدود الله اي ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية
هذا هو الاصل والا فهو ليس بشرط للجواز ولم يقل ان علما
انها يقيما حدود الله لان اليقين يغيب عنها لا يعلمه الا
الله قال في الكشاف ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من
طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يلزمني زيد
ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما
يظن ظنا وتلك اي الاحكام المذكورة حدود الله يبينها
لقوم يعلمون اي يتدبرون ما امرهم الله به وينتهون عنه

ويعلمون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اى قاربن انقضاء عدتهن ولم يردا نقضاء العدة حقيقة
لان العدة اذا انقضت لم يمكن للزوج امساكها فالبلوغ
ها هنا بلوغ مقاربة وفى قوله تعالى بعد ذلك فبلغن اجلهن
فلا تعضلوهن حقيقة انقضاء العدة والبلوغ يتناول
المعنيين يقال بلغ المدينة اذا قرب منها واذا دخلها فامسكوهن
بان تراجعوهن بمعروف من غير ضرار وقيل بان تشهد
على رجعتهن وان يراجعها بالقول لا بالوطى او سرحوهن بمعروف
اى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيكن املك بانفسهن
ولا تمسكوهن بالرجعة وقوله تعالى ضرارا مفعول له
لتعتدوا اى لا تقصدوا بالمراجعة المضارة بتطويل الحبس
نزلت هذه فى رجل من الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق
امراته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها بقصد
مضارتها ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه اى اضرها بتعريضها
الى عذاب الله وقرا ابو الحرث الليثى باد غام لام من يفعل فى
الذال حيث جاء والباقون بالاظهار ولا تتخذوا ايات الله هزوا
اى مهزوا بها بمخالفتها لان كل من خالف امر الشرع فهو متخذ
ايات الله هزوا وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق
ويقول كنت العب فنزل وروى ابو هريرة انه صلى الله
عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق
والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم التى جملتها

الاسلام وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم وما انزل عليكم
من الكتاب والحكمة اى السنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما
وذكر مقابلتها بالشكر والقيام بحقوقها يعظكم به اى بما
انزل عليكم ليدعوكم به الى دينه واتقوا الله واعلموا ان الله
بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء ففي ذلك تاكيد وتهديد واذا
طلقتم النسا فبلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا تعضلوهن
اى تمنعوهن من ان ينكحن ازواجهن اى المطلقين لهن وعن
الشافعي رضي الله تعالى عنه دل سياق الكلامين اى وهما
امسكوهن الخ وفلا تعضلوهن على افتراق البلوغين
فالمراد بالاول المقاربة وبالثاني الوصول كما تقرر والعضل
الحبس والتضييق ومن العضل بهذا المعنى عضلت
الدجاجة اذا علقت بيضها فلم تخرج فائدة رسمت
التاء في نعمت بالتاء المجرورة ووقف ابن كثير وابو عمرو والكسائي
بالهاء ويميلها الكسائي في الوقف ووقف الباقون بالتاء على الرسم
والمخاطب بذلك الاوليا لما روي انها نزلت في معقل بن يسار
حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول ففي الاية دليل على
ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لعضل الولي
فائدة ولا يعارض ذلك باسناد النكاح اليهن لانه انما
اسند اليهن لتوقف النكاح على اذنهن وقيل الخطاب للاوليا
والازواج وقيل للناس كلهم فيما بينكم هذا الامر فانه ان وجد
بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له وقوله تعالى اذا

اى القران صح

تراضوا

تراضوا اى الازواج والمناسطرف لان ينكح اولا تعضلوهن
وقوله تعالى بالمعروف اى بما يعرفه الشرع ويستحسنه من
كونه بعقد حلال حال من ضمير تراضوا او صفة مصدر
محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل
عن التزوج من غير كفو غير منهي عنه ذلك اى النهى عن
العضل يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر لانه
الملتفظ به فان قيل لمن الخطاب فى قوله ذلك يوعظ به اجيب
بانه يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد
كما فى قوله تعالى يوعظ به اجيب بانه يجوز كما فى قوله تعالى
يا ايها النبى اذا طلقتم النساء ونحوه ذلكم اى ترك العضل
ازكى اى انفع لكم واطهر بينهما والله يعلم ما فى المصلحة
وانتم لا تعلمون ذلك القصور علمكم بقوله تعالى والوالدات
يرضعن اولادهن خبر بمعنى الامر كقوله تعالى والمطلقات
يتربصن وهو امر استحباب لا امر ايجاب لانه لا يجب عليهن
الارضاع اذا كان يوجد من يرضع الولد لقوله تعالى فى سورة
الطلاق فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن فان رغبت
الام فى الارضاع فهى اولى من غيرها اما اذا لم يوجد من
يرضعه فيجب عليها ارضاعه والوالدات يعم المطلقات
وغيرهن وقيل يختص بالمطلقات اذ الكلام فيهن حولين
اى عامين كاملين صفة مؤكدة كما فى قوله تعالى تلك عشرة
كاملة لان العرب قد تسمى بعض الحول حولا وبعض الشهر شهرا

بينهم ج

منكم ج

كما قال تعالى الحج اشهر معلومات وانما هو شهران وبعض الثالث
وقال تعالى ومن تعجل في يومين فلا اثم عليه وانما يتعجل في يوم
وبعض يوم وقال قتادة فرض الله تعالى على الوالدات ارضاع
حولين كاملين ثم انزل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم
الرضاعة اى هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك حد
محدود انما هو على مقدار اصلاح المولود وما يعيش به وعلى
المولود له اى الوالد رزقهن اى اطعام الوالدات وكسوتهن
اجرة لهن على الارضاع اذا كن مطلقات واختلف في استيجار
الام للارضاع يجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت
زوجة او معتدة نكاح فان قيل لم قال تعالى المولود له دون
الوالد اجيب بانه تعالى انما ذكر ذلك ليعلم ان الوالدات وانما
ولدت لهم لان الاولاد للاباء ولذلك ينتسبون اليهم لا الى
الامهات وانشد المامون بن الرشيد

فانما امهات الناس اوعية ، مستودعات وللابناء ابا

فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهن
الا ترى انه ذكر باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو
قوله تعالى بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو قوله تعالى
لا تكلف نفس الا وسعها اى طاقتها فلا يكلف واحد
منهما ما ليس في وسعه لا تضار والدة بولدها اى
بسببه بان تكره على ارضاعه او تكلف فوق طاقتها ولا يضار
مولود له بولده اى بسببه ان يكلف فوق طاقته

واطاقة

واطاقة الولد اى كل منهما للاستعطاف والتنبيه على ان
الولد حقيق بان ينفق على استصلاحه وقرا ابن كثير وابو
عمرو يضار بضم الرا بدل من قوله لا تكلف والباقون بفتحها
وعلى الوارث اى وارث الاب وهو المدلى على وليه فى مال الولد
مثل ذلك اى الذى كان على الاب للوالدة من الرزق والكسوة وقيل
هو وارث الولد الذى لو مات الولد ورثه وقيل الباقى من الابوين
من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا
واجعلها الوارث اى الباقى منا والمعنى واجعل كل منهما فى لزومه
لنا مدة الحياة كانه قال باق بعد الموت فان ارادا اى
الوالدان فصالا اى فطاما له صادرا عن تراض اى اتفاق
منهما وتشاور بينهما لتظهر مصلحة الولد فيه فلا جناح
عليهما فى ذلك زايدا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد
التحديد وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الولد حذرا
لان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض او غيره وان اردتم
خطاب للاوليا ان تسترضعوا مراضع غير الوالدات اولادكم
يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه فحذف
المفعول الاول للاستغنا عنه كما تقول استحجبت الحاجة
ولا تذكر من استحجبته وكذلك حكم كل مفعولين يكون
احدهما عبارة عن الاول هذا ما جرى عليه الزمخشرى من
ان تسترضع ليتعدى لمفعولين بنفسه والجمهور على انه
انما يتعدى الى الثانى بحرف الجر وتقديره ضالا ولادكم فلا

جناح عليكم في ذلك اذا سلمتم اليهن ما اتيتم اذا اردتم
ايتاءه لهن من الاجر كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم وانما قدر ذلك لان ما تحقق ايتاؤه لا يتصور تسليمه
في المستقبل وقوله تعالى بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه
المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه
ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل
لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل وقرا ابن كثير بقصر
همزة ايتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى
انه كان وعده ماتيا اى مفعولا والباقون بالمد وهو على
مراتبهم وقوله تعالى واتقوا الله مبالغة في المحافظة على
ما شرع في امر الاطفال والمراضع وحثهم على ذلك وهددهم
بقوله تعالى واعلموا ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه
شيء والذين يتوفون اى يموتون منكم ويذرون اى يتركون
ازواجا يتربصن اى ينتظرون بانفسهن وهو خبر
بمعنى الامر وهو امر ايجاب اى يجب عليهن ان يتربصن
بعد هرق النكاح اربعة اشهر وعشرا اى عشرة ايام وكان
القياس تذكير العدد بان يوتى فيه بالتاء ولكن لما حذف
المعدود جاز فيه ذلك كما في قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا علم
ان لبثتم الا يوما لان قوله في سورة طه ان لبثتم الا يوما
بعد قوله ان لبثتم الا عشرا يدل على ان المراد بالعشر الايام
وان ذكر بما يدل على الليالي لانهم اختلفوا في مدة اللبث

فقال

فقال بعضهم عشرا وبعضهم يوما فدل على ان القايل باليوم
انما هو ايام الليالي وكما في قوله صلى الله عليه وسلم من صام
رمضان واتبعه ستا من شوال قال البيضاوي ولعل
المقتضي لهذا التقدير بهذه المدة ان الجنين في غالب الامر
يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا او لاربعة ان كان انثى فاعتبر
اقصى الاجلين وزيد عليها العشر استظهارا اذ ربما تضعف
حركته في المبادي فلا يحس بها اي بالحركة انتهى وهذا في
غير الحوامل اما هن فعدتهن ان يضعن حملهن باية الطلاق
وفي غير الاما فانهن على النصف من ذلك بالنسبة وعن علي
وابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الحامل تعتد باقصى الاجلين
احتياطا وحكي عن ابي الاسود الدولي انه كان يمشي خلف
جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر الفا فقال الله وكان
احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله تعالى عنه على ان امره
ان يضع كتابا في النحو لكن يجوز الكسر على انه متوفى اجله
ويدل له قوله تعالى والذين يتوفون بفتح اليا على قراة
شاذة فقلت عن علي ان يستوفون اجالهم فاذا بلغن اجلهن
اي انقضت عدتهن فلا جناح اي لا حرج عليكم ايها
الاوليا فيما فعلن في انفسهن اي من التعرض للخطاب وساير
ما حرم عليها للعدة دون العقد فان العقد الى الولي وقيل
المخاطب بذلك الايمة والمسلمون جميعا بالمعروف اي بالوجه
الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكر فعلى

المخاطب ان يكون هن فان قصر فعليهن الجناح والله بما تعملون
خبير عالم بباطنه كظاهره فيجازيكم عليه ولا جناح اى
حرج عليكم فيما عرضتم به والتعريض فى الكلام كما يفهم
منه السامع مراده بما يوضع له حقيقة او مجازا كقول
القايل جيتك لاسلم عليك ولا تخطر الى وجهك الكريم ولذلك
قالوا وجيتك بالتسليم منى تقاضيا وسمى التلويح لانه
يلوح منه ما يريده والفرق بينه وبين الكناية ان الكناية
هى الدلالة على الشى بذكر لوازمه ورواد فه كقولك طويل
النجاد وهو بكسر النون حمايل السيف وكثير الرماد من
خطبة النسا المعتدات للوفاة والخطبة بالضم والكسر اسم
الهيئة يعنى ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة
بطلب المراة للنكاح والتعريض بالخطبة مباح فى عدة
الوفاة وهو ان يقول ب راغب فيك من يجد مثلك انك
جميلة وانك لصالحة وانك لعيلى كريمة وانا فيك لراغب
وان من غرضى ان اتزوج بك وان جمع الله بينى وبينك
بالحلال اعجبنى وكان تزوجتك لاحسن اليك ويحوذلك
من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى يحبس نفسها عليه
ان رغبت فيه روى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان
عن خالته قالت دخل على ابو جعفر بن على وانا فى عدتى فقال
قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى
قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة فكانت

عنه

عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من
الله تعالى وهو متحامل على يديه حتى اثر الحصير في يديه
من شدة تحامله عليها فكانت تلك خطبته واما عدة
الفرقة في الحياة فيحل لغير صاحب العدة التعريض في غير
رجعية لعدم سلطنة الزوج عليها اما التصريح فحرام
اجماعا واما الرجعية فلا يحل التعريض لها لانها في حكم الزوجية
اما صاحب العدة فيحل التعريض والتصريح ان حل له
نكاحها والا فلا او اكننتم اي اضمرتم في انفسكم من نكاحهن
فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا قال السدي هو ان يدخل
فيسلم ويهدي ان شاء ولا يتكلم بشيء علم الله انكم ستذكرونهن
بالخطبة ولا تصبرون عنهن فاباح لكم التعريض وفيه نوع
توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا اي نكاحا فالسر كناية عن
النكاح الذي هو الوطي لانه مما يسر قال الاعشى
ولا تقربن من جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا
وقال امرء القيس
الا زعمت نسابة اليوم انني كبرت وان لا يحسن السر امثالي
ثم عبر بالسر الذي هو كناية عن الوطي عن عقد النكاح لان
العقد سبب في الوطي وقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على
المراة من اجل الزينة وهو يعرض بالنكاح ويقول لها دعيني
فاذا وفيتي عدتك اظهرت نكاحك قال الحسن وقيل هو
ان يصف نفسه لها بكثرة الجماع كان يقول اتيك الاربعة

واخشية وبحوذلك فان قيل اين المستدرك بقوله ولكن لا
تواعدوهن سرا اجيب بانه محذوف لدلالة مستذكرونهن
عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن
لاتواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا اى ماعرف
شرعا من التعريض فلكم ذلك فان قيل اين المستثنى منه
اجيب بانه محذوف اى لاتواعدوهن مواعدة الا مواعدة
معروفة غير منكرة او الا مواعدة بقول معروف قاله في
الكشاف ولايجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا
لاداية الى قولك لاتواعدوهن الا التعريض وقال البيضاوي
وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لاداية
الى قولك لاتواعدوهن الا التعريض وهو اى التعريض غير
موعود اى بل منجز وقيل لاتواعدوهن سرا اى في السر على
ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستقبح لان
مساريهن في الغالب بما يستحيا عن المجاهرة به ولاتعزموا
عقدة النكاح اى على عقده وفي ذلك مبالغة في النهي عن
عقد النكاح في العدة لان العزم يتقدم على العقد فاذا نهى
عما يتقدمه فهو اولى بالنهي كما في قوله تعالى ولا تقربوا
الزنا حتى يبلغ الكتاب اى المكتوب احله بان ينتهي
ما فرض فيه من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
من العزم وغيره فاحذروه اى خافوا عقابه واعلموا ان
الله غفور لمن عزم ولم يفعل خوفا من الله حليم لا

يعاجلكم

يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم ان طلقتم النساء
لم تمسوهن اى تجامعوهن او لم تفرضوا لهن فريضة
اى مهرا وما مصدرية ظرفية اى لا تبعة عليكم فى الطلاق
زمن عدم المسيس والفرض بائنا ولا مهر والمتعة بكسر
الباء ما يتبع المال او البدن من ثواب الحقوق وهو من تبعه
الرجل حتى وقراحمزة والكسائى بضم التاء والف بعد الميم
والباقون بفتح التاء ولا الف بعد الميم وقوله تعالى ومتعوهن
عطف على مقدر لانه طلب فلا يعطف على الاجناح لانه خبر
اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة فى ايجاب المتعة جبر
ايحاش الطلاق ويسن ان لا تنقص عن ثلاثين درهما او
ما قيمته ذلك واذا تراضيا بشئ فذاك وان تنازعا فى قدرها
قدرها قاض باجتهاده بقدر حالهما من يساره واعساره
ونسبها وصفاتها كما قال تعالى على الموسع اى الغنى منكم قدره
اى ما يطيقه ويليق به وعلى المقتر اى ضيق الرزق قدره
اى ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله صلى الله عليه
وسلم لانصارى طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها امتعها
قال لم اجد شيئا قال متعها بقلنسوتك ومفهوم الاية
يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى لم يمسها
الزوج والحق بها الشافعى رضى الله عنه الممسوسة المفوضة
وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرا ابن ذكوان وشعبة
وحمزة والكسائى بفتح الدال والباقون بسكونها وقوله

تعالى متاعا تاكيد المتعوهن بمعنى تمتيعا وقوله تعالى
بالمعروف اى شرعا صفة متاعا وقوله تعالى حقا صفة
ثانية لمتاعا اى متاعا واجبا عليهم او مصدر مؤكد اى احق
ذلك حقا على المحسنين اى المطيعين الذين يحسنون الى
انفسهم بالمسارعة الى الامتثال اوالى المطلقات بالتمتع
وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه الصلاة والسلام
من قتل قتيلا فله سلبه ترغيبا وتحريضا ولما ذكر تعالى
حكم المفوضة اتبعها حكم قسيمها بقوله تعالى وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف
ما فرضتم يجب لهن ويرجع لكم النصف وهو دليل على ان الخلع
المنفى ثم تبعه المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها
الا ان يعفون اى الزوجات فلا ياخذن شيأ فان قيل اى
فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون اجيب
بان الواو في الاول ضمير هو والنون علامة الرفع والواو في
الثاني لام الفعل والنون ضمير هن والفعل مبني في لفظه
للعامل وهو في محل النصب او يعفو الذي بيده عقدة النكاح
وهو الزوج المالك لعقده وحله بما يعود اليه بالتشطير
فيترك لها الكل وقيل هو الولي اذا كانت المراة محجورة وهذا
قول قديم للشافعي وهو مروي عن ابن عباس وقوله
تعالى وان تعفوا مبتدا خبره اقرب للتقوى والخطاب
للرجال والنساء جميعا لان المذكر والمؤنث اذا اجتمعا كانت

الغلبة

الغلبة للمذكر اى وعفو بعضكم عن بعض اقرب للتقوى
ولا تنسوا الفضل بينكم اى بتفضل بعضكم على بعض
باعطا الرجل تمام الصداق او بترك المراة نصيبها حثهما جميعا
على الاحسان ان الله بما تعملون بصير لا يضيع فضلكم
واحسانكم بل يجازيكم به حافظوا على الصلوات الخمس
بادايها فى اوقاتها ولعل الامر بالصلاة انما وقع فى تضاعيف
احكام الاولاد والازواج ليلا يلهيهم الاشتغال بشانهم
عنها والصلاة الوسطى اى الوسطى بين الصلوات او
الفضلى من قولهم الاوسط وانما افردت وعطفت على
الصلوات لانفرادها بالفضل وهى صلاة العصر على الراجح
لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة
الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة
اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملائكة قال صلى الله
عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار
وقيل صلاة الصبح لانها بين صلاتى النهار والليل والواقعة
فى الجزء المشترك بينهما ولانها مشهودة يشهدها الملائكة
الحفظة ونص عليها الشافعى رحمة الله عليه لكن رجح
الاصحاب الاول عملا بقوله حيث صح الحديث فهو مذهبى
وقيل صلاة الظهر لانها وسط النهار وكانت اشق الصلوات
عليهم فكانت افضل لانه صلى الله عليه وسلم سيل اى الاعمال
افضل فقال احمزها وهو بحا مهملة وزاى اقواها واشدها

وقيل صلاة المغرب لانها متوسطة بالعدد لان عددها
بين عددي الركعتين والاربع وقيل صلاة العشا لانها بين
جهريتين واقعتين طرفي النهار لا يقصران وهما المغرب
والصبح وقال بعضهم هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها
ابحهما الله تعالى تحريضا للعبادة في المحافظة على اداء جميعها
كما اخفى ليلة القدر في شهر رمضان وساعة اجابة الدعا في
يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم في الاسما ليحافظوا على جميعها
وقوموا لله في الصلاة قانتين اي مطيعين لقوله صلى
الله عليه وسلم كل قنوت في القران فهو طاعة او ساكتين لقوله
صلى الله عليه وسلم كل قنوت في القران لحديث زيد بن ارقم
كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فامرنا بالسكوت ونهينا
عن الكلام رواه الشيخان وقال ابن المسيب المراد به القنوت
في الصبح فان خفتم من عدو او سبع او سيل او نحو ذلك
فرجالا جمع راجل اي مشاة صلوا او ركبانا جمع راكب اي
كيف امكن مستقبلي القبلة وغيرها ويومي بالركوع
والسجود ويجعل السجود اخفض من الركوع والصلاة
في حال الخوف على اقسام وهذه صلاة شدة الخوف وسياتي
بقية الاقسام ان شا الله تعالى في سورة النسا ولا ينتقص
عدد الركعات بالخوف عند اكثر اهل العلم وروى مجاهد
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قال فرض الله الصلاة
على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف

ركعة

ركعة وفي الآية دليل على وجوب الصلاة حالة المقاتلة وإليه
ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال ابو حنيفة رضي الله
تعالى عنه لا يصلي حال المشي والمقاتلة ما لم يمكن الوقوف
وقال سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه اذا كنت في القتال
ومرب الناس بعضهم بعضا فقل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر واذكر الله فتلك صلاتك فاذا امنتم
من الخوف فاذكروا الله اي صلوا الصلوات الخمس تامة
بحقوقها كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون قبل تعليمه من فرايضها
وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما موصولة او مصدرية
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم
قرا نافع وابن كثير وشعبة والكسائي وصية بالرفع اي فعليهم
وصية والباقون بالنصب فليوصوا وصية وقوله تعالى
متاعا نصب على المصدر اي متعوهن متاعا اي ما يمتعن
به من النفقة والكسوة الى تمام الحول من موتهم الواجب
عليهن تربصه وقوله تعالى غير اخراج نصب على الحال
اي غير مخرجات من مسكنهن نزلت هذه الآية في رجل من اهل
الطايف يقال له الحكم بن الحرث هاجر الى المدينة وله اولاد
ومعه ابواه وامراته فمات فانزل الله هذه الآية فاعطى له
النبي صلى الله عليه وسلم والديه واولاده من ميراثه ولم
يعط امراته شيا وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها
حولا وكانت عدة الوفاة في ابتداء الاسلام حولا ولها النفقة

والسكنى وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام
الحول وكان نفقتها وسكنتها واجبة فى مال زوجها تلك السنة
ما لم تخرج ولم يكن لها الميراث فان خرجت من بيت زوجها
سقطت نفقتها وكان على الرجل ان يوصى بها فكان كذلك
حتى نزلت اية الميراث فنسخ الله نفقة الحول بالربع والثمن
وسبع عدة الحول بآية اربعة اشهر وعشرا السابقة فان قيل
كيف نسخت الاية السابقة المتاخرة اجيب بانها متقدمة
فى التلاوة متاخرة فى النزول كما فى قوله تعالى سيقول السفها
مع قوله قد نرى تقلب وجهك فى السما فان خرجن من قبل
انفسهن قبل الحول من غير اخراج الورثة فلا جناح عليكم
يا اولياء الميت فيما فعلن فى انفسهن من معروف شرعا
كالتزين واخراج الاحداد وقطع النفقة عنها خيرها الله
تعالى بين ان تقيم حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان
تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى الى ان نسخت باربعة اشهر
وعشرا والله عزيز فى ملكه حكيم فى صنعه لا سبيل
عما يفعل وللمطلقات متاع اى يعطين بالمعروف بقدر
الامكان وقوله تعالى حقا نصب بفعله المقدر على المتقين
الله فان قيل لم كرر الله تعالى ذلك اجيب بان ذلك لحكمة
وهو ان الاية السابقة فى غير الممسوسة وهذه اعم منها
فتشمل الممسوسة ايضا كذلك اى كما بين لكم ما سبق من
احكام الصلاة والعدد يبين الله لكم اياته وعدد سبحانه

وتعالى

وتعالى انه سيبين لعباده من الدلايل والاحكام ما يحتاجون
اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون اى تتدبرون
فتستعملون العقل فيها وقوله تعالى الم تر استفهام تعجيب
وتشويق الى استماع ما بعده لمن سمع بقصتهم من اهل
الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم يره ولم
يسمع وهذا هنا اولى فانه صار مثلا فى التعجيب اى نبئته
علمك الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف ان بعة
او ثمانية او عشرة او ثلاثون او اربعون او سبعون الفا
وقوله تعالى حذر الموت مفعول له هم قوم من بنى اسرايل
كانوا فى قرية يقال لها داوردان جهة واسطة وقع بها
الطاعون فخرجت طايفة منها وبقيت طايفة فهلك
اكثر من بقى فى القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع
الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا اصحابنا كانوا
احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع الطاعون
ثانيا لنخرجن الى ارض لا وبا بها فوقع الطاعون من قابل
فهرب عامة اهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فلما
نزلوا الممالك الذين يبتغون فيه النجاة نادا هم ملك من اسفل
الوادى واخر من اعلاه ان موتوا جميعا فماتوا ثم احياهم الله
تعالى كما قال فقال لهم الله موتوا اى فماتوا ثم احياهم
ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره وقيل
قوم من بنى اسرايل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر

الموت فاماتهم الله ثمانية ايام واكثر ثم احياهم بدعاء نبيهم
حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاى ثالث خلفا
بنى اسرايل بعد موسى وكان يقال له ابن العجوز لان امه
كانت عجوزا فسالت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه
الله لها قال الحسن ومقاتل بعوذ والكفل وسمى حزقيل ذا الكفل
لانه كفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل قال ذهبوا فانى
ان قتلت كان خيرا من ان تقتلوا معى جميعا فلما جاء اليهود
وسالوا حزقيل عن الانبيا السبعين قال لهم ذهبوا وما
ادرى اين هم ومنع الله حزقيل من اليهود فلما مر حزقيل
على تلك الموتى ووقف عليهم فجعل يتفكر فيهم فبكى وقال
يارب كنت فى قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك
ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحدى لا قوم لى فاوحى
الله تعالى اليه ان ناد ايتها العظام ان الله يامرك ان تجتمعى
فاجتمعت العظام من اعلى الوادى وادناه حتى التزق بعضها
ببعض كل عظم جسد التزق بجسده فصارت اجسادا
من عظام لا لحم ولا دم ثم اوحى الله اليه ان ناد ايتها الاجسام
ان الله يامرك ان تكسى لحما فاكتست لحما ثم اوحى الله
اليه ان ناد ايتها الاجساد ان الله يامرك ان تقوموا فجعلوا
احيا ورجعوا الى بلاد قومهم وقال مجاهد انهم قالوا حين احيوا
سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت فرجعوا الى قومهم يحيون
وعاشوا دهرا عليهم اثر الموت لا يلبسون ثوبا الا عاد كالكفن

حتى ماتوا الاجالهم التى كتبت لهم ولو جاءت اجالهم ما بعثوا
واستمر ذلك فى اسباطهم قال ابن عباس والى ذلك ليوجد
اليوم فى ذلك السبط من اليهود وفايدة هذه القصة
تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على
التوكل والاستسلام للقضا فان الموت اذا امر يكن منه
بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون فى سبيل الله تعالى ان
الله لذو فضل على الناس اى عامة فليذكر كل احد ما له عليه
من الفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون كما ينبغى اما الكفار
فلم يشكروا واما الموصوفون فلم يبلغوا غاية شكره تنبيه
انما كثر الناس ولم يضمر ليكون اعم على العموم ليلا يدعى
مدع ان المراد بالناس الاولى اهل زمان فيخص بالثانى الكثير
وقاتلوا فى سبيل الله اعداء الله ليكون كلمة الله هى العليا
واعلموا ان الله سميع لاقوال الكل يسمع ما يقوله المتخلفون
والسابقون عليم باحوالكم فيعلم ما تضمرونه فيجازيكم
من ذا الذى يقرض الله الذى تفرد بالعظمة بانفاق ماله
فى سبيل الله ومن استفهامية مرفوعة الموضع بالابتدا وذا
خبره والذى صفة ذا او بدل واقراض الله مثل لتقديم
العمل الذى يطلب ثوابه فهو اسم لكل ما يعطيه الانسان
ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المومنين له على رجا
ما وعد لهم من الثواب قرضا لانهم يعلمون لطلب ثوابه
واصل القرض فى اللغة القطع سمى القرض به لانه يقطع

من ماله شيأ يعطيه ليرجع اليه مثله وقيل في الآية
اختصار ومعناه من ذا الذي يقرض عباد الله الفقراء
المحتاجين من خلقه كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله
اي عباد الله كما جاء في الحديث عن ابي هريرة رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول
يوم القيامة ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب
كيف اطعمك وانت رب العالمين قال استطعمك عبدي
فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك
عندي قرضا حسنا اي جامعا لطيب واخلاص النية وقيل
الايمان والاذى ولما كانت النفس مجبولة على الشح بما
عندها الا لفائدة رغبها سبحانه وتعالى في ذلك بقوله
فيضاعفه اي جزاه له في الدنيا والاخرة واول هذه
المضاعفة ان الزايدة ضعفا ليس كسر الكان صلى الله عليه
وسلم لا يقترض من قرضا الا اوفى عليه زيادة وقال خياركم
احسنكم قضاء وقد انبا سبحانه وتعالى ان اقتراضه بما هو
فوق ذلك لانه يضعف القرض بمثله وامثاله بقوله
اضعافا كثيرة من عشر الى اكثر من سبعمائة كما سياتي روي
عن ابن مسعود رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال
ابو الدحداح الانصاري يا رسول الله ان الله ليريد منا
القرض قال نعم يا ابا الدحداح قال ارني يدك يا رسول الله
فناوله يده قال فاني قد اقرضت ربي حايطي وحايطه

فيها

فيها ستمائة نخلة وام الدحداح فيه وعيالها فجا ابو الدحداح
فناداها يا ام الدحداح قالت لبيك قال اخرجي فقد اقرضته
ربي عز وجل وقرا ابن عامر وعاصم فيضاعفه بنصب الفا
على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي
يقرض في معنى ايقرض الله احد والباقون برفعها واسقط
الالف وشدد العين ابن كثير وابن عامر والباقون باثبات
الالف وتخفيف العين ولما رغب سبحانه وتعالى في اقراضه
اتبعه جملة واحدة من ضمير يضاعف مرهبة مرغبة فقال
والله يقبض اي يمسك الرزق عن من يشا ابتلا ويبسط
اي يوسعه لمن يشا امتحانا ما اقتضته حكمته سبحانه وتعالى
وقرا قنبل وابو عمرو وابن عامر وحفص وحمزة بالسين بخلاف
عن ابن ذكوان وخلاد والباقون بالصاد والرسم بالصاد
واليه ترجعون اي فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا
من بني اسرائيل اي الى قصتهم والملا من القوم اشرافهم
واصل الملا الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم
والرهط والابل والخيل والجيش ومن للتبعيض من بعد موت
موسى ومن للابتدا اذ قالوا لنبي لهم اكثر المفسرين على
انه شمويل قال مقاتل وهو من نسل هارون وقيل هو
يوشع من نون بن افرايتم بن يوسف عليه الصلاة
والسلام وقيل هو شمعون وانما سمي بذلك لان امه دعت
الله ان يرزقها غلاما فاستجاب دعاها فسمته شمعون

يقول سمع الله دعاي والسين تصير شينا بالعبرانية
وسبب سوال بني اسرايل نبيهم ذلك انه لما مات موسى
عليه الصلاة والسلام وخلف في بني اسرايل الخلوف
وعظمت الخطايا سلط الله عليهم قوم جالوت وكانوا
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين
وهم العمالقة فظهروا على بني اسرايل وغلبوا على كثير من
ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واثروا من ابنا ملوكهم
اربعماية واربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية واخذوا
توراتهم ولقي بنوا اسرايل منهم بلا شديدا ولم يكن لهم
حينيذ نبي يدبر امرهم وكان بسط النبوة قد هلكوا فلم
يبق منهم الا امراة حبلى فحبسوها في بيت رهبة ان تلد
جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرايل في
ولدها وجعلت المراة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت
غلاما فسمته شموبل يقول سمع الله دعاي فكبر الغلام
فاسلمته لتعليم التوراة في بيت المقدس فكفله شيخ من علمايهم
وتبناه فلما كبر الغلام اتاه جبريل اذهب الى قومك فبلغهم
رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه
وقالوا استعجلت بالنبوة فان كنت صادقا ابعث اي اقم
لنا ملكا نقاتل معه في سبيل الله تنتظم به كلمتنا ونرجع
اليه ويكون ذلك اية من نبوتك وانما كان قوام بني اسرايل
كلمتنا بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياهم فكان الملك

هو الذي يسير بالجموع والذي يقيم له امره ويشير عليه
برشده ويأتيه بالخبر من ربه ولما قالوا له ذلك قال لهم
هل عسيتم قرأ نافع بكسر السين والباقون بفتحها وقوله
تعالى ان كتب ان فرض عليكم القتال مع ذلك الملك ان
لا تقاتلوا خبر عسى والاستفهام للتقرير المتوقع بها
يعني المثبت للمتوقع وان كان التثبيت من التقرير وهو
الحمل على الاقرار قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد
اخرجنا من ديارنا وابنائنا بسببهم وقتلهم اي اي
غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث
عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد فلما كتب
عليهم القتال تولوا عنه وجبنوا وضيعوا امر الله الا
قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا
على الغرفة على ما سيأتي ان شاء الله تعالى وقوله تعالى والله
عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وتنبيه
هذه الاقاصيص ليس المراد منها حديثا عن الماضين
وانما هو اعلام بما يستقبل الاتون مما قال لقابل به
اياك اعني واسمعي يا جارة فلذلك لا يسمع القرآن
من لم ياخذ جملته خطابا لهذه الامة بكل ما قص له من
اقاصيص الاولين ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم
ربه ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصى وقرن فيه دهن القدس
وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله هذه

العصى وانظر القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل
وشر الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرايل فدهن به
راسه ولكنه ملك عليهم وكان طالوت راسما بالعبرانية
شاول بن قيس من اولاد ابن بنيامين بن يعقوب سمى
طالوت لطوله وكان اطول من كل احد ممن فى زمانه براسه
ومنكبه وكان رجلا دباغا يعمل الاديم قاله وهب وقال
السدى كان سقايا يستقى على حمار له من النيل فضل حماره فخرج
فى طلبه وقال وهب بل ضلت حمر لابى طالوت فارسله
وغلاما له فى طلبها فمر ببيت شمويل فقال الغلام لطالوت
لو دخلنا على هذا النبى فسالناه على امر الحمر لرشدنا
وبدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران شان الحمر
اذ نش الدهن الذى فى القرن فقام شمويل فقاس طالوت
بالعصى فكانت على طوله فقال لطالوت قرب راسك فقربه
فدهنه بدهن القدس ثم قال له انت ملك فى بنى اسرايل
الذى امرنى الله ان املكه عليهم فقال طالوت اما علمت ان
سبطى ادنى اسباط بنى اسرايل وبيتى ادنى بيوتهم قال بلى
قال فباى اية قال باية انك ترجع وقد وجدت الحمر فكان
كذلك ثم اخبرهم نبيهم بملكه كما قال تعالى وقال لهم نبيهم
الذى تقدم ذكره ان الله قد بعث لكم اى لاجل سوقكم طالوت
ملكا وهو اسم عجمى كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف
لتعريفه وعجمته قالوا انى اى كيف يكون له الملك علينا

اى من

اى من اين يكون له ذلك ونحن اه والحال انا نحن احق
اى اولى بالملك منه وانما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرايل
سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فكان سبط النبوة
سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون عليهما
الصلاة والسلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب
ومنه كان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ولم
يكن طالوت من احدهما انما كان ابن سبط نبيامين بن
يعقوب وكانوا علموا ذلك نباعظيما كانوا ينكرون النساء على ظهر
الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع الملك والنبوة عنهم
وكانوا يسمعون سبط الامة فلما قال لهم نبيهم ذلك انكروا
لانه لم يكن من سبط المملكة ومع ذلك قالوا ولم اى والحال انه
لم يؤت سعة من المال يستعين بها على اقامة الملك ولما
استبعدوا المملكة لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك
بامور حكاها الله تعالى عن نبيهم بقوله تعالى قال نبيهم ان
الله اصطفاه اى اختاره للملك عليكم والعهدة فى
التملك اصطفاه الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم
بالمصالح منكم هذا الامر الاول والثانى قوله وزاده عليكم
بسطة اى سعة فى العلم الذى تحصل به المملكة ويتمكن
به من معرفة الامور السياسية وفى الجسم الذى يتمكن به
من الظفر عند مبارزة من الشجعان وقصده من سائر الاقران
ويكون اعظم فى القلب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة

انه كما ذكر ثم وقد زاده الله في العلم فكان اعلم بني اسرائيل
يومئذ والجسم فكان اجملهم واتمهم خلقا كان الرجل القائم
يريده فيتناول راس طالوت والثالث قوله والله يؤتي ملكه
اي الذي هو له وليس لغيره فيه شيء ملكه كما انه تعالى مالك
الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء سواء كان نبيا امر
فقيرا كما اتاكوه بعد ان كنتم مستعبدين عند الفرعون
والرابع قوله واسع اي واسع الفضل يوسع على الفقير
ويعتني عليهم بمن يليق بالملك من النبيين وغيرهم وقال
لهم نبيهم لما ارادوا ذلك وطلبوا منه اية تدل على
انه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية
اي علامة ملكه ان ياتيكم التابوت اي الصندوق وكان فيه
صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام انزله الله على ادم
صلى الله عليه وسلم وكان من عود الشمشار بمجمتين
اولاهما مكسورة وبينهما ميم ساكنة خشب تعمل منه
الامشاط مموه بالذهب نحو من ثلاثة اذرع في ذراعين فكان
عند ادم الى ان مات ثم عند شيث ثم توارثه اولاد ادم الى ان
بلغ ابراهيم ثم كان عند اسمعيل لانه كان اكبر ولده ثم عند
يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى ثم تداوله
انبياء بني اسرائيل ثم استقر عند بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا
في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم
فيستفتحون به على عدوهم كما قال تعالى فيه سكينة اي

طمانينة

طمانينة لقلوبكم من ربكم فاى مكان كان التابوت اطمانوا
اليه وسكنوا قاله قتادة والطبع فلما عصوا وفسدوا سلط
الله عليهم الوالقة اصحاب جالوت فغلبوهم على التابوت
واخذوه وقال على هى صورة لها راسان ووجه وذنب كذنب
الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان
من زمرد وزبرجد وقال ابن عباس هو طشت من ذهب
من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقال وهب هى روح من
الله تتكلم اذا اختلفوا فى شى تخبرهم ببيان ما يريدون
ولما كان الكليم واخوه عليهما الصلاة والسلام اعظم انبيائهم
قال وفيه بقية مما ترك ال موسى وال هارون والها انفسهما
والال مقحم لتفخيم شانهما وقيل ابناؤهما وقيل ابناء بنى اسرايل
لانهم ابناء عم موسى وهارون والبقية هى رضاض الالواح اى
فتاتها وعصى موسى وثيابه ونعلاه وعمامة هارون وقفيز
من المن الذى كان ينزل عليهم وقوله تعالى تحمله الملايكة
حال من فاعل ياتيكم ان فى ذلك لاية لكم على ملكه وقوله
تعالى ان كنتم مومنين يحتمل ان يكون من كلام نبيهم وان
يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فحملته الملايكة بين السما
والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعه عند طالوت
فاقروا بملكه وقيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملايكة
وهم ينظرون اليه فلما راوه لم يشكوا فى النصرة فاقروا
بملكه وتسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لى فى كثرا

ان لا يخرج معي رجل بنا بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة
مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امراة ولا
يبت بها ولا ابتغى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع
اليه من اختاره ثمانون الفا وكان الوقت صيفا في حر
شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان
المياه لا تحملنا فادع الله ان يجعل لنا نهرا كما قال تعالى فلما
فصل اى خرج طالوت اى الذى ملكوه بالجنود من بيت
المقدس اى التى اختارها والجنود جمع جند وهم اتباع الملوك يقال
جدة للمتبع قال ان الله مبتليكم اى مختبركم لنظهر منكم
المطيع والعاصى وهو اعلم بهم قال ابن عباس والسدى هو
نهر فلسطين وقال قتادة هو نهر بين الاردن وفلسطين فمن
شرب منه اى من مائه فليس منى اى من اتباعى ومن لم يطعمه
اى يذقه فانه منى اى من اتباعى وانما علم ذلك بالوحى ان
كان نبيا كما قيل او باخبار النبى عليه الصلاة والسلام وقوله
تعالى الا من اغترف غرفة بيده اى فاكتفى بها ولم يزد
عليها فانه منى استثنا منقطع من قوله فمن شرب وانما
قدمت عليه الجملة الثانية للغاية بها كما قدم الصابيون
على خبر ان فى قولك ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى
الرخصة فى القليل دون الكثير وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
غرفة بفتح الغين والباقون بضمها فاعدة قال ابو عمرو
وابن العلا سمعت اعرابيا ينشد وقد كنت خرجت الى

ظاهر

ظاهر البصرة متفرجا مما نالني من طلب الحجاج

صبر النفس عند كل ملمة ان في الصبر حيلة المحتال
لا تضيقن في الامور فقد لاواها بغير احتيالي
ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال
قد يصاب الجبان في اخر الصف وينجوا مقارع الابطال

فقلت ما وراك يا اعرابي قال مات الحجاج فلم يدر بايهما اخرج بموت الحجاج ام بقوله فرجة لاني اطلب شاهدا لاختيار القراة في سورة البقرة غرفة بالضم فشربوا منه لما وافوه بكثرة وقوله تعالى الا قليلا منهم اي فاقتصر على الغرفة نصب على الاستثنا روي ان من اغترف غرفة كما امر الله قوي قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لمشربه واروته والذين شربوا وخالفوا امر الله اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقا العدو واختلفوا في عدد الذين لم يشربوا قال البغوي الصحيح انهم ثلثماية وبضعة عشر اي عدد اهل بدر وقال السدي كانوا اربعة الاف ويويد الاول ما روي عن البرا انه قال كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتحدث ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا بضعة عشر وثلثماية ويروى ثلثماية وثلاثة عشر وفي هذا ايذان بان اعظم الجيوش جيش يكون فيه من اهل الورع تعدد التايبين من اصحاب طالوت

الذين كان تعدودهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
بدر وهم ثلثمائة وثلاثة عشر عدد المسلمين من كثرة عدد
البدريين ولما كان قصص بنى اسرايل مثلا لهذه الامة كان مبتلى
هذه الامة بانهر ابتلاهم بنهر الدنيا الجارى خلالها وفى
افراد ايذان بان الاخذ من الدنيا انما يكون بيد لا بيدين
لاشتمال اليد على جانبى الخير والشر فلما جاوزه اى النهر
هو اى طالوت والذين امنوا معه اى وهم الذين اقتصروا
على الغرفة قالوا اى الذين شربوا الا قليلا اى لا قوة لنا
اليوم بجالوت وجنوده اى بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه
ولما اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بهذا القول نسبه على انه لا ينبغى
ان يصدر منهم ان اجله مقدر لا يزيد بالجبن والاحجام ولا ينقص
بالجرأة والاقدام انه يلقى الله تعالى فيجازيه على عمله وان النصر
من الله لا بالقوة والعدد فقال قال الذين يظنون اى يوقنون
انهم ملاقوا الله بالبعث وهم الذين جاوزوه كم من فئة اى
جماعة وهى جمع لا واحد له من لفظه وجمعه فيات وفيتون
فى الرفع وفيتين فى النصب والخفض وكم يحتمل ان تكون خبرية
بمعنى كثيرا او مبتدية وان تكون استفهامية ومن مزيدة
والاول اولى بقرينة المقام قليلة كما كان فى هذه الامة
فى يوم بدر غلبت فئة كثيرة باذن الله اى بارادته وتيسيره
ثم انظر الى هذا الحال العجيب وهو انه لما انتدب
جيش لا يحصون فشرط عليهم الشاب الفارغ من بنا دار

وبنا بامراة فلم يكن الموجود بالشرط الا ثمانين الفا ثم
امتحنوا بالنهر فلم يثبت معه الا ثلثماية وثلاثة عشر وهم
دون الثلث من ثمن العشر من المتصفين بالشرط من
الذين هم دون الدون من المنتبذين الذين هم دون الدون
من السايلين من بعث الملك فكان الخالصون معه كما
قال القايل

الم تعلم باني صبر في احك الاصدقا على محكي فمنهم يهرج لا نجر فيه
ومنهم من اجوزه وانت الخالص الذهب المصفى بتزكيتي ومثلي من يزكي

ثم بين سبحانه وتعالى ان ملاك كل ذلك الصبر بقوله والله مع
الصابرين بالنصر والمعونة فلا يخذل من كان معه ولما برزوا
اي ظهروا وهم على ما هم عليه من الضعف والقلة لجالوت اسم
ملك من ملوك الكنعانيين بالشام في زمن بني اسرايل جبار
من العمالقة من اولاد عمليق بن عار وجنوده على ما هم فيه
من القوة والكثرة لتجاوا الى الله بالدعا كما نبه على ذلك في قوله
قالوا ربنا افرغ اي اصبب علينا صبرا وثبت اقدامنا
بتقوية قلوبنا على الجهاد وانصرنا على القوم الكافرين
وفي الدعا ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم
الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب
منه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم باذن
الله اي بارادته وقتل داود جالوت قال اهل التفسير
عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا ابو داود في ثلاثة عشر

ابنا له وكان داود اصغرهم فارسل جالوت الى طالوت ان
ابرز الى او ابرز من يقاتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم
فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت ه
زوجته ابنتي وانا صفته ملكي نهاب الناس جالوت فلم يجبه
احد فسال طالوت نبيهم ان يدعو الله فدعا في ذلك فاوحى
الله اليه ان في ولد ايشا من يقتل الله به جالوت وكان
داود اصغر ولد ايشا فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل
جالوت فطلبه من ابيه فجا فقال له طالوت هل لك ان
تقتل جالوت وازوجك ابنتي وانا صفك ملكي قال نعم قال
اليست من نفسك شيا تتقوى به قال نعم انا ارعى فيجي
الاسد فيا خذ شيا فاقوم اليه فافتح لحييه عنه واشقهما
الى قفاه فمر داود في الطريق فكلمه ثلاثة احجار وقالت
له انك بنا تقتل جالوت فجعلها في مخلاته فلما تصافوا للقتال
وبرز جالوت وسال المبارزة وكان من اشد الناس واقواهم
كان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلثمايه رطل
حديد انتدب له داود واخذ مخلاته وتقلد بها واخذ المقلاع
ومضى نحو جالوت فلما نظر الى داود القى في قلبه الرعب
فقال انت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه
السلاح التام فقال ايتني بالمقلاع والحجر كما ياتي الكلب
قال نعم انت شر من الكلب قال لاحرج لاقسمن لحمك بين
سباع الارض وطير السما قال داود ويقسم بالله لمك فقال

داود باسم آله ابراهيم واخرج حجرا ثم اخرج الآخر وقال
باسم آله اسحاق ووضعه في مقلاعه ثم اخرج الثالث
وقال باسم آله يعقوب ووضعه في مقلاعه فصارت
كلها حجرا واحدا ودور المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح
حتى اصاب انفه البيضة في الطرماغه وخرج من قفاه
وقتل من وراءه ثلاثين رجلا وهزم الله تعالى الجيش وخر
جالوت قتيلا فاخذه داود يجره حتى القاه بين يدي
طالوت وفرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة
سالمين غانمين فجاء داود الى طالوت وقال انجزني ما وعدتني
فزوجه ابنته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود
واحبوه واكبروا امره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر
بذلك فهرب فسلط عليه العيون وطلبه اشد الطلب
فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي
في البرية فقال اليوم اقتله فركض على اثره فاشتد داود
وكان اذا فزع لم يدر كيف دخل غارا واوحى الله تعالى الى العنكبوت
فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بنا
العنكبوت فقال لو كان دخل ها هنا لخرق بنا العنكبوت
فتركه ومضى وانطلق داود الى الجبل مع المتعبدين فتعبد
فيه الى ان قتل طالوت وكان ملك طالوت الى ان قتل اربعين
سنة واتى بنو اسرائيل بداود واعطاه خزائن طالوت وملكوه
على انفسهم قال الضحاك والكلبي ملك داود بعد قتل طالوت

سبعين سنة ولم يجتمع بنو اسرايل على ملك واحد الا
على داود فذلك قوله تعالى واتاه الله الملك والحكمة اه
النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لاحد قبله
بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط وقيل الملك والحكمة
العلم والعمل وعلمه صنعة لبوس لكم صنعة الدرع كان يصنعها
ويبيعها وكان لا ياكل الا من عمل يده ومنطق الطير والصوت
الطيب والجان لم يعط الله احدا من خلقه مثل صوته
كان اذا قرا الزبور تدنو الوحوش حتى تاخذ باعنتها وما
وتظله الطير ويرد الماء الجاري ويسكن الريح والسلسلة
كان لا يمسها ذو عاهة الا برا وكانوا يتحاكمون اليها بعد
الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه وانكر له حقا اتى السلسلة
فمن كان صادقا مد يده اليها فتناولها ومن كان كاذبا لم ينلها
وكذلك الى ان ظهر فيهم الكذب والخديعة فاودع بعض ملوكهم
رجلا جوهرة ثمينة فلما طلبها منه انكرها فتحاكما الى
السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكاز فنقرها
وضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقام
صاحب الجوهرة فتناول السلسلة بيده ثم قام المنكر
وقال لصاحب الجوهرة خذ عكازتي هذه فاحفظها حتى
اتناول السلسلة فقال الرجل اللهم ان كنت تعلم ان
الوديعة التي يدعيها قد وصلت فقرب مني السلسلة
فمد يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها فاسلموا وقد

رفع الله السلسلة ولولا دفع الله الناس بعضهم بدل
بعض من الناس ببعض اى ولولا دفع الله الجنود المسلمين
الكفار لفسدت الارض بغلبة المشركين وقتل المسلمين
وتخريب المساجد او لفسدت الارض بشيوع الكفر فيكون
المعنى ولولا دفع الله بالمومنين والابرار عن الكفار والفجار
لهلكت الارض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمومن عن الكافر
وبالصالح عن الفاجر وقد روى ان الله عز وجل ليدفع
بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرا
ابن عمر الاية وروى عن ابن عباس انه قال يدفع الله
بمن يصلى عمن لا يصلى وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يزكى عمن
لا يزكى وعن جابر بن عبد الله ان الله ليصلح بصلاح
الرجل المسلم ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات
حوله ولا يزالون فى حفظ الله ما دام فيهم وعن ابن مسعود
ان لله عز وجل فى الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب ادم ولله
فى الخلق اربعون قلوبهم على قلب موسى ولله فى الخلق
واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد ابدل الله
مكانه من الثلاثة واذا مات واحد من الثلاثة ابدل الله
مكانه من الخمسة واذا مات واحد من الخمسة ابدل الله
مكانه من السبعة واذا مات واحد من السبعة ابدل
الله مكانه واحد من الاربعين واذا مات واحد من الاربعين
ابدل الله مكانه واحد من الثلثمائة واذا مات واحد من

الثلثماية ابدل الله مكانه من العامة فيهم يحيى ويميت
قال لانهم يسلون الله اكثار الامم فيكثرون ويدعون
على الجبابرة فينقصون ويستسقون فيسقون
ويسالون فينبت لهم الارض ويدعون فيدفع الله عنهم
البلا ولكن الله ذو فضل على العالمين اى كلهم او بالايجاد
وثانيا بالدفاع فهو يكف من ظلم الظلمة اما بعضهم ببعض
او بالصالحين ويسبغ عليهم غير ذلك من اثواب نعمه ظاهرة
وباطنة تلك اى هذه الايات التى قصصناها عليك
من حديث الاولين وتمليك طالوت واتيان التابوت
وانهزام الجبابرة على يد صبى هو داود وقتل داود جالوت
ايات الله الذى جلت عظمته وتمت قدرته وقوته
نتلوها اى نقصها عليك يا محمد بالحق اى بالوجه المطابق
الذى لا يشك فيه اهل الكتاب لانه فى كتبهم كذلك وارباب
التواريخ وانك اى والحال انك لمن المرسلين بما دلت
هذه الايات عليه من علمك بها من غير معلم من البشر ثم
باعجازها الباقى على مدا الدهر ولما تقدم فى هذه السورة
ذكر رسل كثير وختم هذه الايات بذكره بانه صلى الله عليه
وسلم تشوقت النفس الى معرفة احوالهم فى الفضل هم
فيه سوا او هم متفاضلون فاشار الى مقادير الكل فى قوله
تلك الرسل باداة البعد اعلاما ببعد مراتبهم وعلو
منازلهم وانها بالمحل الذى لا ينال والمقام الذى لا يطال تنبيه

تلك

تلك مبتدا والرسل صفته اى الرسل التى ذكرت قصصها
فى السورة او التى ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم او جماعة الرسل فالام للاستغراق والخبر فضلنا
بعضهم على بعض بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره مما
اوجب ذكره فى تفاضلهم فى الجناب بعد ان فضلنا الجميع
بالرسالة ولما كان اكثر السورة فى بنى اسرايل واكثر ذلك
فى اتباع موسى عليه الصلاة والسلام ذكر وصفه مع
وصف نبينا صلى الله عليه وسلم فقال منهم من كلم الله
بلا واسطة وهو موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم كلم
موسى ليلة المعيرة وهى بفتح الحاء تحير فى معرفة طريقه
من مسيره من مدين الى مصر وفى الطور ومحمد ليلة المعراج
حين كان قاب قوسين او ادنى وبين التكليمين بون عظيم
ومنهم ايضا دم كما ورد فى الحديث ورفع بعضهم وهو محمد
صلى الله عليه وسلم درجات على غيره بعموم الدعوة
وختم النبوة به والاتباع الكثيرة فى الازمان الطويلة
ونسخ جميع الشرايع وكونه رحمة لعالمين وتفضيل
امته على ساير الامم بالمعجزات المتكاثرة المستمرة واظهرها
القران الذى عجز اهل السموات والارض بسورة من مثله
والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضايل العلمية
والعملية الغالبة للحصر ولم يوت الا القران وحده تكفى
به فضلا منيفا على سايد ما اوتى الانبيا لانه المعجزة على

وجه الدهر دون سائر المعجزات وبانشقاق القمر باشارته
وحنين الجذع بفارقته وتسليم الحجر عليه وكلام البهائم
والشهادة برسالته ونبع الماء بين اصابعه وغير
ذلك مما لا يحصيه الا الله تعالى وروى عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطى من
الايات ما امن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته
وحيا اوحاه من الله الى فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم
القيامة وروى عنه انه قال اعطيت خمسا لم يعطهن
احد قبلي نصرت بالرعب من مسيرة شهر وجعلت لي
الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة
فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت
الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس
عامة وروى عنه انه قال فضلت على الانبياء بست
اوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق
كافة وختم بي النبوة **وآتينا عيسى ابن مريم البينات**
من احياء الموتى وغيره **وأيدناه بروح** اي قويناه بروح
القدس وهو جبريل يسير معه حيث سار وسمي عيسى
صلى الله عليه وسلم باسمه لافراط اليهود في تحقيره والنصارى
في تعظيمه حيث قالوا هو ابن الله واتهم محمد صلى الله
عليه وسلم في قوله تعالى بعضهم حيث لم يقل ورفع محمد

صلى

صلى الله عليه وسلم لما فى الانبهام من تفخيم فضله واعلاء
قدره مالا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذى
لا يشبه والمتميز الذى لا يلتبس ويقاد للرجل من فعل
هذا فيقال احدكم او بعضكم يراد به الذى يعرف ويشتهر
فيكون اعظم من التصريح به وانوه بصاحبه وسيل الخطية
عن اسم الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو
شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال لذكرت نفسى
لم يفخم امر ولو شاء الله اى الذى له جميع الامر هدى
الناس جميعا باتفاقهم على دين واحد ما اقتتل الذين من
بعدهم اى بعد الرسل ما اقتتلت امم من بعد ما
جاءتهم البينات اى المعجزات الواضحات على ايدى رسلهم
لاختلافهم فى الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا
لمشيئته تعالى ذلك فمنهم اى فتسبب على اختلافهم
ان كان منهم من امن اى ثبت على ايمانه ومنهم من كفر
كالنصارى بعد المسيح ولما كان من الناس من اعمى الله
قلبه فنسب افعال المختارين من الخلق اليهم استقلالا
قال الله تعالى معلما ان الكل لخلقه تاكيد لما مضى من ذكر وجيز
ذكر الاسم الاعظم ولو شاء الله ما اقتتلوا بعد اختلافهم
بالايمان والكفر ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء
فضلا منه ويخذل من يشاء عدلا منه والآية دليل على ان
الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على

بعضى ولكن بنص لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل
لا بالاعتقاد وان الحوادث بمشيئة الله لقوله تعالى بفعل ما
يريد تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا ولما
كان الاختلاف على الانبياء سببا للجهاد الذى هو حفيظ
الدين وكان عباد الجهاد النفقة اتبع ذلك قوله رجوعا
الى اول السورة من هنا الى اخرها واتى التاكيد بلفظ
الامر لما تقدم الحث عليه من امر النفقة يا ايها الذين
امنوا انفقوا مما رزقناكم اى ما اوجبت عليكم انفاقه
من الزكاة قال السدى وقال غيره اراد به صدقة التطوع
والنفقة فى الخير اى فلا تبخلوا بالانفاق فاى اداد من
البخل قال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
وصرف الامر بالتبعيض الى الحلال الطيب يمنع احتجاج
المعتزلة بها فى ان الرزق لا يكون الا حلالا لكونه مامورا به
واتبعه بما يرغب ويرهب من حال يوم التناد الذى ينقطع
فيه الاسباب التى اقامها سبحانه وتعالى فى هذه الدار
فقال من قبل ان ياتى يوم موصوف بانه لا بيع فيه اى فداء
ولا خلة اى صداقة تنفع ولا شفاعة بغير اذنه والمعنى
انه لا يفدى فيه اسير بمال ولا يراعى لصداقة من يساوى
ولا شفاعة من كبير لعدم ارادة الله تعالى لشىء من ذلك
ولا يكون الا ما يريد وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنصب فى
بيع وخلة وشفاعة ولا تنوين على الاصل والباقون بالرفع

والتنوين

والتنوين على انها فى تقدير جواب هل فيه بيع او خلة او
شفاعة وما حث سبحانه وتعالى على الانفاق ختم الاية
بذم الكافرين بكونهم لم يتخلقوا بهذه الصفة لتخليهم من
الايمان وبعدهم منه وتكذيبهم بذلك اليوم فهم لا ينفقون
لخوفه ولا ذهابه فقال ولا بدل ولا نصرة للكافر والكافرون
اى المعلوم كفرهم فى ذلك اليوم هم المختصون بانهم الظالمون
اى الكاملون فى الظلم لا غيرهم وقوله سبحانه وتعالى الله
لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة
الغير الحى اى الدايم البقا القيوم اى الدايم القيام بتدبير
الخلق وحفظه لا تاخذه سنة وهو ما يتقدم النوم من
الفتور الذى يسمى النعاس قال ابن الرقاع العامل وسنان
اقصده اى اصابه النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس
بنام اى لا ياخذه نعاس ولا نوم وهو حال يعرض للحيوان
من استرخاء انصباب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة
بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس قال قيل لم قدم
السنة على النوم قياس المبالغة عكسه اجيب بان هذا
ذكر على ترتيب الوجود اذ وجود السنة سابق على وجود
النوم فهو على طريقة لا يغادر صغيرة ولا كبيرة قصد
الى الاحاطة والاحصاء لانه لما عبر بالاخذ الذى هو بمعنى القهر
والغلبة وجب تقدم السنة كما لو قيل فلان لا يغلبه امير
ولا سلطان وجملة لا تاخذه سنة ولا نوم نفى للمشبه بينه

وبين خلقه وتاكيد الكون حيا قيوما فانه من اخذه نعاس
او نوم كان بان يخل بالحياة قاصرا في الحفظ والتدبير
ولذلك ترك العطف وفي الجملة التي بعده من قوله له ما
في السموات الخ اي بيده وفي تصريفه واختصاصه
ما في السموات وما في الارض اي ملكا وخلقا تقديرا
لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما
ما وجد فيهما كالملايكة والانس والجن وقوله تعالى من ذا
الذي اي لا احد يشفع عنده الا باذنه بيان لكبريائه شانه
وانه لا احد بيساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده
شفاعة وتواضعا فضلا ان يدفعه عنادا ومخاصمة يعلم
ما بين ايديهم اي الخلق من امر الدنيا وما خلفهم اي من امر
الاخرة قاله مجاهد وقال الكلبي ما بين ايديهم يعني الاخرة
لانهم يقدمون عليها وما خلفهم ما هم فاعلوه ولا يحيطون بشيء
اي قليلا ولا كثيرا من علمه اي لا يعلمون شيا من معلوماته
الا بما شاء اي يعلمهم به منها باخبار الرسل وسع كرسيه
السموات والارض اختلفوا في الكرسي فقال الحسن هو
العرش نفسه وقال ابو هريرة هو موضع اقدام العرش
والاحاديث تدل عليه ومعنى وسع اي سعته مثل سعة
السموات والارض وفي الاخبار ان السموات والارض في جنب
الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة
في فلاة ويروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان السموات

السبع

السبع فى الكرسى كدراهم سبعة القيته فى ترس وقال على
ومقاتل كل قاية من الكرسى طولها مثل السموات السبع
والارضين السبع وهو بين يدى العرش ويحمل الكرسى
اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم فى الصخرة
التى تحت الارض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام
ملك على صورة ابى البشر ادم عليه الصلاة والسلام وهو
يسال للادميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وملك
على صورة سيد الانعام وهو الثور يسال للانعام
الرزق من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة
منذ عبد العجل وملك على صورة سيد السباع وهو
الاسد يسال الرزق للسباع من السنة الى السنة
وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسال للطير
الرزق من السنة الى السنة وفى بعض الاخبار ان ما بين حملة
العرش وحملة الكرسى سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا
من نور غلظ كل حجاب مسيرة عام ولولا ذلك لاحترقت حملة
الكرسى من نور حملة العرش وقيل المراد بالكرسى علمه وقيل
ملكه وقيل تصوير لعظمته وتمثيل لمجرد ولا يؤده اى لا يثقله
ولا يشق عليه حفظهما اى السموات والارض وهو العلى
اى الرفيع فوق خلقه المتعال عن الاشباه والانداد العظيم
اى الكبير الذى لا اكبر منه ولا اعظم المستحق بالاضافة اليه
كل ما سواه وهذه الاية تسمى اية الكرسى مشتملة على امهات

المسايل الالهية فانها دالة على انه موجود واحد فى الالهية
متصف بالحياة واجب الوجود موجد لغيره اذ القيوم
هو القايم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول
مبراعن التغير والفتور ولا يناسب الاشباح ولا يعتريه
ما يعترى الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول
والفروع ذو البطش الشديد الذى لا يشفع عنده الا من
اذن له عالم بالاشيا كلها جليلها وخفيها كليها وجزيها
واسع الملك والقدرة اى المقدور كلما يصح ان يملك ويقدر
عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدرك
وهو عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام
ان اعظم اية فى القران اية الكرسى رواه مسلم وروى النساى
وابن خبان وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا اية
الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة
الا الموت فاذا مات دخل الجنة وروى البيهقى فى شعبة
انه صلى الله عليه وسلم قال لا يواظب عليها الا صديق او
عابد وروى البيهقى ايضا ان من قراها اذا اخذ مضجعه
امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله
وعن ابى بن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم ساله اى
اية من كتاب الله اعظم قال قلت الله لا اله الا هو الحى
القيوم قال فضرب فى صدرى ثم قال ليهنك العلم ابا
المنذر والذى نفسى بيده ان لها لسانا وشفتين تقدس الملك

عن ساق العرش وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ حين يصبح اية الكرسي واية من اول حم تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم حفظ في يومه حتى يمسي
فاذا قرأها حين يمسي حفظ في ليلته تلك حتى يصبح وروى
ما قرئت اية الكرسي في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين
يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي
علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها
وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله
تعالى عنه اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد
ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد
الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة
وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة
اية الكرسي لا اكراه في الدين اي على الدخول فيه اي فمن
اعطى الجزية لم يكره على الاسلام فهو عام مخصوص باهل
الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث
ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا اتركهما حتى
يسلما فابيا فاتتا النبي صلى الله عليه وسلم
فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر
فنزلت وقيل عام منسوخ فكان هذا في الابتدا قبل ان يؤمر
بالقتال فصارت الاية منسوخة باية السيف قاله ابن

مسعود قد تبين الرشد من الغي اى ظهر بالايات البينة
ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية وان الكفر غي
يودى الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك
بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة
فلم يحتج الى الاكراه والالتجا فمن يكفر بالطاغوت اى من
اختار الكفر بالشيطان او الاصنام فقد استمسك بالعروة
الوثقى اى تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم فى الدين
لا انفصام اى لا انقطاع لها قال التفتازانى شبه التدين
بالدين الحق والثبات على الهدى والايمان بالتمسك بالعروة
الوثقى الماخوذة من الحبل المحكم المامون تقطعها ثم ذكر
المشبه به واراد المشبه وقال الزمخشرى وهذا تمثيل
للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى
يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده
والتيقن به انتهى والوثقى تانيث الاوثق وقيل الفروق
الوثقى السبب الذى يوصل به الى رضى الله تعالى والله
سميع لما يقال عليم بالنيات والافعال وقيل سميع
لدعائك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على ايمانهم الله ولى
اى ناصر ومعين الذين امنوا اى ارادوا ان يومنوا لقوله
تعالى يخرجهم اى بلطفه وتاييده من الظلمات اى الكفر
الى النور اى الايمان او انهم الثابتون على الايمان بان يخرجهم
من الشبهة فى الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له حتى

يخرجوا

يخرجوا منها الى النور اليقين وعن ابن عباس انهم قوم كانوا
كفروا بعيسى فامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والذين كفروا
اوليائهم الطاغوت اى الشيطان وقال مقاتل هو كعب
ابن الاشرف وحيى بن اخطب وسائر رؤساء الضلالة
يخرجونهم اى يدعونهم من النور الذى يمحوه بالفطرة
الى الظلمات اى الكفر فان قيل كيف يخرجونهم من النور
وهم كفار لم يكونوا فى نور قط اجيب بان الطبرانى
روى عن ابن عباس انها نزلت فى قوم امنوا بعيسى
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به اوانه تعالى ذكر
الاخراج فى مقابلة يخرجهم فهو على العموم فى حق جميع الكفار
كما يقول الرجل لابيه اخرجتنى من مالك ولم يكن فيه
كما قال تعالى اخبارا عن يوسف عليه الصلاة والسلام
انى تركت ملة قوم لا يومنون بالله ولم يكن قط فى ملتهم
وقيل نزلت فى قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج
الى الطاغوت باعتبار السبب لانه تعلق قدرته تعالى
وارادته به والطاغوت يكون مذكرا ومونثا وواحدا وجمعا
قال تعالى فى المذكر والواحد يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
وقد امروا ان يكفروا به وقال فى المونث والذين اجتنبوا
الطاغوت ان يعبدوها وقال فى الجمع يخرجونهم من النور
الى الظلمات وقوله تعالى اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون وعيد وتحذير قال البيضاوى ولعل عدم مقابلته

لوعد المومنين تعظيم لشانهم ولما كان النمرود الحاج للخليل
ممن اخرجته الشياطين من النور الى الظلمات ذكره
عقب ذلك فقال الم تر اى تعلم بما نخبرك به علما هو عندك
كالمشاهدة لما لك من كمال البصيرة وبما اودعناه فيك
ومن المعانى المنيرة الى الذى وهو نمرود حاج جادل
وخاصم ابراهيم فى ربه وهو اول من وضع التاج على
راسه وتجبر فى الارض وادعى الربوبية ان اى لان اتاه
الله الملك الطغى اى كانت تلك المحاجة من بطر الملك
وطغيانه فاورثه الكبر والعتو فحاج لذلك قال مجاهد
ملك الارض مشرقها ومغربها اربعة نفر مومنان وكافران
اما المومنان فسليمان صلى الله عليه وسلم وذو القرنين
واما الكافران فنمرود بن كنعان وبخت نصر ولم يملكها غيرهم
وفى الاية دليل على ان الله تعالى يعطى الكافر نعيما حجة على
منع ايتاء المالك للكافر من المعتزلة واول الملك بالمال والخدم
الذى يتسلط به على غلبة الناس لا الملك الحقيقى وبهذا
اول الزمخشرى اذ قال ابراهيم ربى الذى قرا حمزة ربى بسكون
الياء والباقون بفتحها يحيى ويميت اى يخلق الموت والحياة
فى الاجساد وهذا جواب سوال غير مذكور تقديره قال
له نمرود من ربك فقال ابراهيم ذلك واختلفوا فى وقت
هذه المناظرة فقال مقاتل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه
نمرود ثم اخرجه ليحرقه بالنار فقال له من ربك الذى تدعو

اليه

اليه وقال الحروف كان هذا بعد القائه في النار وذلك ان
الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون
من عنده فكان اذا اتاه الرجل في طلب الطعام سأله من
ربك فيقال له ذلك قال انا احيي واميت فرأنا قع بعد
الالف من انا فتصير مدا منفصلا والباقون بالقصر
قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما
واستحيى الاخر فجعل ترك القتل احيا فانتقل ابراهيم
الى حجة اخرى لا عجز ابل راه من غبدوته فان حجته لازمة
لانه اراد بالاحياء احياء الميت فكان له ان يقول فاحيي
امت ان كنت صادقا فلكنه انتقل الى حجة اوضح من
الاولى ذكرها بقوله تعالى قال ابراهيم ان الله ياتي
بالشمس وهو الذي اوجدها من المشرق اي في كل يوم قبل
ان توجد انت بدهور فات بها انت من المغرب ان كنت
صادقا فيما تدعيه ولو يوما واحدا وفي ذلك اشعار
بان ردده تعالى لابد وان ياتي بالشمس من المغرب ليكون
ذلك اظهار تصريفه لها حيث شاء حتى يطلوها من حيث
غربت كما يطلع الروح من حيث قبضت ليكون طلوع
الشمس من مغربها اية مقاربة قيام الساعة وطلوع
الارواح من ابدانها فبهت الذي كفر فحير ودهش
وانقطعت حجته ولم يعط ابراهيم طعاما فرجع فمر على
كثيب رمل اعفر فاخذ منه تطييبا لقلوب اهله اذ

دخل عليهم فلما اتى اهله ووضع متاعه نام فقامت امرأته
الى متاعه ففتحته فوجدته اجود طعام رآه فاخذته
وصنعت له منه وقربته له فقال لها من اين لك هذا قالت
من الطعام الذى جئت به فعرف ان الله رزقه فحمد الله
تعالى فان قيل كيف بعث نمرود وكان يمكنه ان يعارض
ابراهيم فيقول له سل انت ربك حتى يأتى بها من المغرب
اجيب بان الله تعالى صرفه عن ذلك اظهارا للحجة عليه
او معجزة لابراهيم عليه الصلاة والسلام او انه خاف ان
لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكانت زيادة فى فضيحته
وانقطاعه ثم بعث الله تعالى الى نمرود ملكا ان آمن بى
واترك لك على ملكك قال فهل رب غيرى فجاءه الثانية فقال
له قابى عليه ثم اتاه الثالثة فابى عليه فقال له الملك
فاجمع جموعك الى ثلاثة ايام فجمع الخبار جموعه فامر الله
تعالى الملك ففتح عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس
فلم يروها من كثرتها فبعثها الله عليهم فاكلت شحومهم
وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود كما هو لم يصبه
من ذلك شئ فبعث الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره
فمكث اربعمائة سنة يضرب راسه بالمطارق واحرم الناس
به من جمع يديه ثم ضرب بهما راسه وكان جبارا اربعمائة
سنة فعذب باربعمائة سنة لملكه ثم اماته الله وهو
الذى بنا صرحا طويلا فيصعد منه الى السما ليقاتل

(اهلها)

اهلها فارسل الله عليه الريح فهدمته وسياتي قصته في
غافر ان شاء الله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين
بالكفر على محجة الاحتجاج او كالذي مر على قرية تقديره
او رايت مثل الذي فحذف لدلالة المر تر عليه لان كلتيهما
كلمة تعجب وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكرين
للاحيا كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف
مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام المر تر
الى الذي حاج او الذي مر والمار عزير بن شرحيا او الخضر
او كافر بالبعث ويويد هذا نظمه مع نمرود في سلك وكلمة
الاستبعاد التي هي انى يحيي واكثر المفسرين على الاول
والقرية بيت المقدس ففعلوا حتى ملوه ثم امرهم ان
يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده صغيرهم
وكبيرهم من بني اسرايل فاختار منهم سبعين الف صبي
فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل
منهم اربعة وفرق من بقي من بني اسرايل ثلاث فرق
فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا اقرهم بالشام وقيل هي
القرية التي خرج منها الوف وقيل غيرهما وهي خاوية
اي ساقطة على عروشها اي سقوفها بان سقط
السقف اولا ثم سقط الجدران عليه لما خربها بخت
نصر قال انى اي كيف يحيي هذه الله بعد موتها اي
صارت اليه من الخراب وذهاب الاهل فبعيدها الى

ما كانت عليه اهلة عامرة اهلة وهذا اعتراف بالعجز عن
معرفة طريق الاحيا واستعظام قدرة المحيي ان كان
القايل مومنا واستبعادا ان كان كافرا فاماته الله والبثه
ماية عام ميتا ثم بعثه بالاحيا ليريه كيفية ذلك
قال كم لبثت اي مكثت وعن ابن عباس ان عزيرا دخل على
حمار له فنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين فنزل في
ظل تلك الخربة واخرج قصعة كانت معه فاعتصر من العنب
الذي كان معه في القصعة ثم اخرج خبزا يابسا معه
فالقاه في تلك القصعة في العصير يبتل ليا كله ثم استلقى
على قفاه واسند رجليه الى الحايط فنظر سقف تلك البيوت
وراى ما فيها وهي قايمة على عروشها وراى عظاما بالية
فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها فلم يشك ان الله يحييها
ولكن قال تعجبا فبعث الله ملك الموت فقبض روحه فاماته
الله ماية عام فلما اتت عليه ماية عام وكان فيما بين ذلك
وبني اسرايل امور واحداث فبعث الله الى عزير ملكا
فخلق قلبه ليعقل به وعينيه لينظر بهما فيعقل كيف
يحيي الله الموتى ثم ذكر خلقه وهو ينظر كسا عظامه اللحم
والشعر والجلد ثم نفخ فيه الروح كل ذلك يرى ويعقل
فاستوى جالسا فقال له الملك كم لبثت قال لبثت يوما
وذلك ان الله تعالى اماته ضحى اول النهار واحياه بعد
ماية عام قبل اخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت

يوما

يوما وهو يرى ان الشمس قد غربت ثم التفت فراى بقية
من الشمس فقال او بعض يوم اى بل بعض يوم قال له
الله او الملك بل لبثت مائة عام فراجع وابن كثير وعاصم
باظهار الثا المثلثة فى كم لبثت وفى قال لبثت وقف بل
لبثت والباقون بالادغام ثم قال له الملك او الله فانظر
الى طعامك وكان تينا او عنبا وشرابك وكان عصيرا او
لبنا لم يتسنه اى لم يتغير بمرور الزمان وكان التين او
العنب كانه قطف من ساعته والعصير كانه قد عصرت
ساعته واللبن قد حلب من ساعته قال الكسائى كانه
لم يات عليه السنون وانما افرد الضمير لان الطعام
والشراب كالجنس الواحد فان قيل اذا كان المار كافرا فكيف
يسوغ ان يكلمه الله اجيب الزمخشرى بان الكلام بعد
البعث ولم يكن اذذاك كافرا وقال ابو حيان لا نفى فى الاية
ان الله كلمه شفاها وقرا حمزة والكسائى لم يتسن باسقاط
الهاء اذا وصلها بما بعدها والباقون باثباتها وفى الوقف
ثابتة للجميع وانظر الى حمارك كيف هو فراه ميتا وعظامه
بيض وكان له حمار قد ربطه وقيل راه حيا مكانه لم يربطه
حفظ بالعادة على كما حفظ الطعام والشراب من التغير
وقوله تعالى ولنجعلك اية للناس معطوف على محذوف
تقديره فعلنا ذلك لتعلم ولنجعلك اية وقيل الواو زايدة
مقحمة اى لنجعلك عبرة ودلالة على البعث بعد الموت

الموت وانظر الى العظام كيف ننشزها قرا نافع وابن كثير
وابو عمرو بالراء ومعناه نحييها والباقون بالزاى ومعناه
نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد للناس
واختلفوا فى معنى الاية فقال الاكثرون انه اراد به عظام
حماره وهذا يوجد كون حماره كان ميتا قال السدى ان الله
احيا عزيرا ثم قال له انظر الى حمارك قد هلكت وبليت
عظامه فبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل
وجبل الذى ذهبت به الطير والسباع فاجتمعت فركب
بعضها فى بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس فيه
لحم ولا دم ثم كسى العظام لحما ودما كما قال تعالى ثم نكسوها
لحما فصار حمارا لا روح فيه ثم اقبل ملك يمشى حتى اخذ
بمخطا والحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق باذن الله تعالى
وقال الاقلون اراد به عظام هذا الرجل فاحياه الله بعينه
وراسه وسائر جسده ميت ثم قال انظر الى حمارك فنظر
فرا حماره قائما واقفا لهيئته يوم ربطه وهذا يوجد كون
حماره كان حيا وذلك من اعظم الايات ان يعيش مائة
عام من غير علف وكما قال الضحاك وقتادة وتقدير
الاية اى على هذا وانظر الى حمارك وانظر الى عظامه كيف
ننشزها روى ان عزيرا لما احياه الله تعالى ركب حماره
حتى اتى محلته فانكره الناس وانكر الناس ومنازله فانطلق
على وهو حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة اتت

عليها

التي عليها مائة وعشرون سنة فقال لها عزير بما هذه هذا
منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير ومكانه وقالت
ما رأيت احدا من كذا كذا سنة يذكر عزيرا فقال فاني انا
عزير فقال سبحان الله فان عزيرا فقدناه من مائة سنة
لم نسمع له بذكر قال انك امتّ مائة سنة ثم بعثني
قالت فان عزيرا كان مستجاب الدعوة يدعو للمريض
وصاحب البلاء بالعافية فادع الله يرد علي بصري حتى
اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح يده
على عينيها فصحتا واخذ بيدها فقال قومي باذن الله
تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه
فقالت اشهد انك عزيز فانطلقت الى بني اسرائيل
وهم في انديتهم ومجالسهم وابن العزير شيخ ابن مائة سنة
وثمانية وعشرين سنة وبنو ابنه شيوخ في المجلس قال
الضحاك عاد الى قريته شابا واولاد اولاده شيوخ وعجائز
وهو اسود الراس واللحية فقالت هذا عزير قد جاكم
فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم دعا الى ربه فرد على
بصري واطلق رجلي وزعم ان الله اماته مائة سنة ثم بعثه
فنهض الناس واقبلوا اليه وقال ابنه كان لابي شامة
سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا
هو عزير فقالت بنو اسرائيل فانه لم يكن فينا احد حفظ
التوراة فيما حدثنا غير عزير فعرفهم التوراة من الحفظ ولم

يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هذا ابن الله وسيأتي
الكلام على ذلك في سورة براءة ان شاء الله تعالى فلما تبين له
ذلك بالمشاهدة وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له
ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت
زيدا وقرأ حمزة والكسائي بوصل الهمزة قبل العين وسكون
الميم والباقون بقطع الهمزة ورفع الميم واذكر اذ قال
ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى بصري قرأ ابن كثير والسوسي
بسكون الراء ارني وقرأ الدوري باختلاس الكسرة
والباقون بكسرها كاملة كيف تحيي الموتى قال الحسن
وقتادة والضحاك كان سبب هذا السؤال من ابراهيم
عليه الصلاة والسلام انه مر على دابة ميتة قال ابن جريج
كانت حيفة حمار فرآها وقد تمزعتها دواب البحر والبر
فكانت ذا مد البحر جات الحيتان ودواب البحر فاكلت
منها وما وقع منها يصير في البحر واذا انحسر البحر جات
السباع فاكلت منها وما سقط قطعته الريح في الهوى
فلما رأى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يا رب قد علمت انك
لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف
دواب البحر فاريني كيف تحييها فازداد يقينا فاعلمه الله
تعالى بقوله اولم تؤمن بقدرتي على الاحياء سأله مع علمه
بايمانه بذلك ليجيب بما اجاب به فيعلم السامعون غرضه

قال

قال بلى يا رب امنت ولكن ليطمئن قلبي اي يسكن قلبي
اي المعاينة والمشاهدة اراد ان يصير له علم اليقين فان
العيان يفيد من المعرفة والطمانينة ما لا يفيد الاستدلال
واما قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم
ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي
فقال ابو سليمان الخطابي ليس فيه اعتراف بالشك على نفسه
ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذا لم اشك في
قدرة الله تعالى على احيا الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك
وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله
ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف وقيل سبب سواله
انه لما قال له نمرود انا احيي واميت قال له ان احيا
الله يرد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر
ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه
ليطمئن قلبه في الجواب ان سيل عنه مرة اخرى فان قيل
بم تعلقت اللام في ليطمئن اجيب بانها تعلقت بمحذوف
تقديره ولكن سالت ذلك ارادة طمانينة القلب وقيل
بل كان قصده بالسوال المحيي ولكنه طلبها تلويحا وموسى
عليه الصلاة والسلام لما سال تصريحا اجيب تصريحا
قال تعالى فخذ اربعة من الطير قال مجاهد رايت جريج
اخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا وانما خص الطير
لانه اقرب الى الانسان شبها كتدوير الراس والمشي على

على رجلين واجمع لخواص الحيوان لانها فيها ما يتعلم وما
يهتدى للطريق كالقطاة والهاه كالهدهد وفى هذا
ايما على ان احياء النفس بالحياة الابدية انما يتاتى باماتة
حب الشهوات والزخارف التى صفة الطاوس والصفولة
المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف
بها الغراب والحرص والمسارعة الى الهوى الموسوم بها
الحمام ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وروى بدلها البطة
وبدل الغراب العقعق فصرهن اى فاسكنهن واضممهن
اليك قرا حمزة بكسر الصاد والباقون بضمها فان قيل
ما معنى امر بضم الطير الى نفسه بعد ما خذها اجيب
ليتاملها ويعرف اشكالها وهياتها وحدها ليكون تلك
عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك وذلك قال ابن
عباس وروى بانه امر ان يذبحها وينتف ريشها ويفرق
اجزاءها ويخلط ريشها ودماغها ولحومها وان يمسك
روسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال كما قال تعالى
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا واختلفوا فى عدد الاجزاء
والجبال فقال ابن عباس وقتادة امره ان يجعل كل
طاير اربعة اجزاء ويجعلها على اربعة اجبل على كل جبل جزء
من كل طاير وقال السدى وابن جريج جزاها سبعة اشياء
ووضعها على سبعة اجبل وامسك روسهن ثم دعاهن
تعالين باذن الله فجعل كل قطرة من دم طاير تصير الى

القطرة الاخرى وكل رئيسة الى الرئيسة الاخرى وكل عظم يصير
الى العظم الاخر وابراهيم ينظر حتى صارت حثثا بغير
رؤس ثم اقبلن الى رؤسهن سعيا فالتقى كل طير براسه
فلذلك قوله تعالى ثم ادعهن يأتينك سعيا اى سريعا
وقيل مشيا ليلا لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك
الطير وان ارسلها غير سليمة قال البيضاوى وفى ذلك
اشارة الى ان من اراد احيا نفسه بالحياة الابدية فعليه
ان يقبل بالقوى البدنية كالشهوة والغضب فيقتلها
ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فتطاوعه
بسرعات متى دعاهن بداية العقل او الشرع وكفى لك
شاهدا على فضل ابراهيم وبمن اى بركة الضراعة فى
الدعاء وحسن الادب فى السؤال انه تعالى اراه ما اراد
ان يريه فى المال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته
مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عن ما يريد حكيم
ذو حكمة بالغة فى كل ما يفعله مثل الذين ينفقون اى
يبذلون اموالهم بطيب النفس فى سبيل الله الذى
له الكمال كله اى فى طاعته كمثل ذراع ومثل ما ينفقون
كمثل حبة مما زرعه فلا بد من حذف كما تقرر او يقال مثل
نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة انبتت سبع
سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والمنبت هو الله سبحانه
وتعالى ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما

اسند الى الارض والى الماء وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر
باظهار التاءين فيهما السين والباقون بالادغام ومعنى
انباتها سبع سنابل ان يخرج منها ساق يتشعب منه
سبع شعب كل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير
الاضعاف كانها مصورة بين عيني الناظرين فلنخيل كيف
صح هذا التمثيل ولم تر سنبلة فيها مائة حبة اجيب
بان ذلك موجود في الدخن والذرة وغيرهما ربما فرضت
ساق البر في الارض القوية المغلة تبلغ حبها هذا المبلغ
وعلى تقدير عدم وجوده هو غير مستحيل وما لا يكون
مستحيلا يجوز ضرب المثل به وتاول ذلك الضحاك فقال كل
سنبلة مائة حبة فان قيل هلا قال الله تعالى سبع سنبلات
لانه جمع قلة كما قال الله تعالى سبع سنبلات خضر اجيب
بما تقدم في قوله تعالى ثلاثة قروء والله يضاعف لمن
يشاء بفضله تلك المضاعفة او يضاعف على هذا
ويزيد لمن يشاء ما بين سبعين الى سبعماية الى ما شاء
من الاضعاف ما لا يعلمه الا الله على حسب حال المنفق من
اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تتفاوت الاعمال في مقادير
الثواب والله واسع اى غنى يغنى عن سعة عليم بنية
المنفق وقدر انفاقه وبمن يستحق المضاعفة الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله اى طاعته قال الكلبي
نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله

عنهما

عنهما جاء عبد الرحمن بن عوف الف درهم صدقة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كان عندى ثمانية الاف درهم
فامسكت منها لنفسى وعيالى اربعة الاف واربعة الاف
اقرضتها ربى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك
الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت واما عثمان فجهز المسلمين
فى غزوة تبوك بالف بعير بما فتابها واحلاسها والف دينار
قال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بالف دينار فى جيش العسرة
فصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فرايت النبى صلى الله
عليه وسلم يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر ابن عفان
ما عمل بعد اليوم وقال يارب عثمان رضيت عنه فارض عنه
عمر لا يتبعون ما انفقوا منا اى على المنفق بقولهم احسنت
اليه وجبرت حاله فيمدحون عليه النعمة فحذر الله عباده
المن بالصنيعة واختص به صفة لنفسه لانه من العباد
تعيير وتكدير ومن الله افضال وتذكير وكان السلف
يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها واعجب يتمدحون
بترك المن ويذمون عليه فمن الاول قول القايل

زاد معروفك عندى عظما ، انه عندك مستور عظيم
تتناساه كان لم تاته ، وهو فى العلم مشهور كبير

ومن الثانى قول القايل

وان امرء اسدى الى صنيعة ، وذكرنيها مرة لبخيل
وقيل طعم الالاله احلى من المن ، وهو سر من كالله مع المن

ويطلق المن ايضا على النعمة يقال فلان على منة اى نعمة
وانشد ابن الانبارى
فمتى علمنا بالسلامة فانما كلامك ياقوت ودر منظم
وقال تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا
الاية ولا اذى له كان يذكره كما اى من لا يجب وقوفه
عليه او يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت
بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم اى ثواب
انفاقهم عند ربهم ولا خوف عليهم اى فلا يخافون فقد
اجورهم ولا هم يحزنون فى الاخرة بسبب ان لا يوجد
قول معروف اى كلام حسن ورد على السايل جميل لان
القول الجميل وان كان يرد السايل يفرح قلبه ويروح روحه
وقيل عدة حسنة ومغفرة اى بان يستر خلته ولا يهتك
ستره ويتجاوز عنه اذا وجد منه ما يثقل عليه عند رده
خير من صدقة يدفعها اليه يتبعها اذى اى من
وتعيير للسايل او قول يوذيه فان قيل لم لم يعد ذكر المن
فيقول يتبعها منا ولا اذى اجيب بان الاذى يشمل المن
وغيره فكانه تقرر وانما نص عليه فيما مر لكثرة وقوعه من بعض
الصدقين وعسر تحفظهم منه ولذلك قدم على الاذى قال
بعضهم الاية واردة فى صدقة التطوع لان الواجب لا يحل
منعه ويحتمل ان يراد به الواجب فانه قد يبدل به غير
سايل الى سايل وعن غير الى غير وانما صح الابتدا بالنكرة

وهى

وهي قول لاختصاصها بالصفة وهي معروف واما الموصوف
عليه وهو مغفرة فلا يحتاج الى تخصص لتبعيتها والله
غني عن صدقة العباد وانما امرهم ليثيبهم عليها حليم
بتاخير العقوبة عن المان والمؤذي بصدقته يا ايها الذين
امنوا لا تبطلوا صدقاتكم اي اجورها لان الصدقة وقعت
فلا يصح ان تبطل بالمن والاذى فان قيل ظاهر هذا اللفظ
ان مجموع المن والاذى يبطلان الاجر فيلزم انه لو وجد
احدهما دون الاخر لا يبطل الاجر اجيب بان الشرط ان
لا يوجد واحد منهما لان قوله تعالى ثم لا يتبعون ما
انفقوا منا ولا اذى يقتضي ان لا يقع هذا ولا هذا اي هم
فتبطل بكل واحد منهما ابطالا كالذي اي كابطال اجر نفقة
الذي ينفق ماله رياء الناس اي مرايا لهم ليروا انفقته
ويقولون انه كريم سخي ولا يؤمن بالله واليوم الاخر وهو
المنافق لان الكافر المعلن بكفره لم يؤمر اي فمثله اي
هذا المرائي في انفاقه كمثل صفوان وهو الحجر الاملس عليه
اي استقر عليه تراب والتراب معروف وهو اسم جنس لا
يثنى ولا يجمع وقال المبرد هو جمع واحده ترابة وفائدة
هذا الخلاف في انه لو قال لزوجته انت طالق عدد التراب
انه يقع عليه طلقة على الاول وهو الاصح وثلاث على
الثاني فاصابه وابل وهو الشديد العظيم القطار
فتركه صلدا اي املس نقيا من التراب وقوله تعالى

لا يقدرون على شيء مما كسبوا استيناف لبيان مثل المنافق
المنفق رياء اى لا يجدون له ثوابا فى الاخرة كما لا يوجد على
الصفوان شيء من التراب الذى كان عليه لاذهاب المطر
عليه فان قيل كيف قال تعالى لا يقدرون بعد قوله كالذى
ينفق اجيب بانه تعالى اراد بالذى ينفق الجنس او
الفريق الذى ينفق اما ولان من والذى يتعاقبان فكانه
قيل كمن ينفق وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم انه قال
انى اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول
الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقول الله
لهم يوم يجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم
تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وروى
ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث ان الله
تعالى اذا كان يوم القيامة ينزل الى العباد اى امر ليقضى
بينهم وكل امة جاثية واول من يدعو به رجل جمع القرآن
ورجل قتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى
للقارىء الم اعلمك ما انزلت على رسولى قال بلى قال فاذا
عملت فيما علمت قال كنت اقوم به انا الليل وانا النهار
فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله
بل اردت ان يقال فلان قارىء وقد قيل ويوتى بصاحب المال
فيقول الله الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد
قال بلى يا رب قال فاذا عملت فيما اتيتك قال كنت اصل
الرحم واتصدق فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت

وتقول

ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ويؤتى
بالذى قتل فى سبيل الله فيقول له فيما اقتلت فيقول
يارب امرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول
الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت
ان يقال فلان جرئ وقد قيل ثم ضرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ركبتى فقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول
خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة والله لا يهدى
القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء
والمن والاذى على الانفاق صفة الكفار وينبغى ان يجتنب
عنها ومثل نفقات الذين ينفقون اموالهم ابتغاء اى
طلب مرضات الله اى رضاه وتثبيتا من انفسهم
اى تثبيتا بالنظر فى اصلاح العمل واخلاصه بالحمل على
الحلم والصبر على جميع مشاق التكاليف فانه من لم يرض
نفسه بحملها على بذل المال الذى شقيق الروح فان بذله
اشق شئ على النفس لان النفس اذا رضيت بالتحامل
عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها
وقل طمعها فى اتباعه لشهواتها فيسهل عليه حملها على
سائر العبادات ومتى تركها وهى مطيوعة على التناقل
زاد طمعها فى اتباع الشهوات فمن للتبعيض مفعول به
مثلها فى قولهم هز من عطفه وحرك من نشاط فان قيل
ما معنى التبعيض اجيب بان معناه من بذل ماله لوجه

الله تعالى ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه
فهو الذى تثبتها كلها او تصديقا لله بسلامة وتحقيقا للجزاء
من اصل انفسهم ومن اخلص من قلبه فمن على هذا الابتدائية
الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم كمثل جنة
اى بستان بربوة وهى المكان المرتفع التى تجرى فيه
الانهار فلا يعلوه الماء ولا يعلو على الماء انما جعلها بربوة
لان النبات عليها احسن وازكى وقرا ابن عامر وعاصم
بفتح الراء والباقون بضمها اصابها وابل اى مطر شديد
كثير فاتت اى اعطت اكلها اى ثمرتها وقرا نافع وابن كثير
وابو عمر وبسكون الكاف والباقون بضمها ضعفين اى
مثلى ما يثمر غيرها بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل
وقيل اربعة امثاله لان الضعف قدر الشئ ومثله معه
فيكون الضعفان اربعة واستظهره البقاعى وقال ابو
حيان يحتمل انها للتكثير اى ضعفا بعد ضعف اى
اضعافا كثيرة لان النفقة لا تضاعف بحسنة فقط
بل بعشر وبمائة والزيد ونصفه على الحال اى مضاعفا
فان لم يصبها وابل فطل اى مطر خفيف يصيبها
ويكفيها لارتفاعها والمعنى تثمر وتزكو اكثر المطر او
قل فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت او قلت
والله بما تعملون بصير فيجازيكم به ففيه وعد ووعيد
ايود احدكم احب حبا شديدا ان تكون له جنة اى

بستان

بستان من نخيل جمع نخلة وهو الشجرة القائمة على ساق
ثمرها من اعلاها فانى اكلها نفع حتى فى خشبها مثلها كمثل
المومن الذى ينتفع به كله واعناب جمع عنب وهو
شجر الكرم لا يختص بثمرة جهة العلو اختصاص النخلة
بل متفرع علوا وسفلا ويمنة ويسرة مثله كمثل
المومن المتقى الذى يكرم بتقواه فى كل جهة ولما كانت الجنات
لا تقوم وتدوم الا بالماء قال تعالى تجرى من تحتها الانهار
اى من تحت هذه الاشجار له فيها اى الجنة من كل
الثمل والعنب من كل الثمرات فهى محتوية على سائر انواع
الاشجار وانما خص النخلة والعنب بالذكر لشرفهما وكثرة
منافعهما وحسن منظرهما واصابه اى والحال انه قد
اصابه الكبر اى كبر السن فصار لا يقدر على اكتساب
وله ذرية ضعفا بالصغر كما ضعف هو بالكبر فاصابها
اى الجنة اعصار وهو الريح العاصف الذى يرتفع الى السما
كانه عمود وتسميها العامة الزوبعة وجمعه اعاصير
والاعصار من بين سائر الرياح مذكر ولهذا رجع اليه
الضمير مذكرا فى قوله فيه نار فاحترقت تلك الجنة
فقدها احوج ما كان اليها وهى هو واولاده عجزة متحيرون
لا حيلة لهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق
والمرائى يقول عمله فى حسنته كحسن الجنة ينتفع بها كما ينتفع
صاحب الجنة فاذا كبر وضعف صار له اولاد صغار اصاب

جنة اعصار فيه نار فاحترقت احوج ما يكون اليها وضعفت
اولاده عن اصلاحها ولم يجد هو ما يعود به على اولاده
ولا اولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين
عجزة لا حيلة لهم كذلك يبطل الله عمل المنافق والمرائي
الاخرة حين لا مفيث لهم ولا توبة ولا اقالة والاستفهام
بمعنى النفي وعن ابن عباس ضرب لرجل عمل بالطاعة ثم
بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى احرق اعماله
كذلك اى مثل البيان يبين الله اى الذي له الكمال كله
لكم الايات لعلكم اى لكي تتفكرون فيها فتعتبرون
بها ولما ذكر سبحانه وتعالى الانفاق على قسمين وبين كل قسم
وضرب له مثلا ذكر كيفية الانفاق بقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا انفقوا اى زكوا من طيبات اى جياد ما كسبتم
من المال والتجارة والصناعة وفيه دلالة على اباحة الكسب
وانه ينقسم الى طيب وخبيث وعن عايشة رضى الله تعالى
عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب
ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقال صلى
الله عليه وسلم ما اكل احد طعاما خيرا من ان ياكله من عمل
يده وكان داود لا ياكل الا من عمل يده والزكاة واجبة في مال
التجارة فبعد الحول تقوم العروض فيخرج من قيمتها عشر
دينار او ماية درهم قال سمرة بن جندب كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يامرنا ان نخرج الصدقة من الذي نعد للبيع

وما

ومما اى ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الارض من الحبوب
والثمار والمعادن وحذف المضاف وهو طيبات من الثاني
لتقدم ذكره وفي هذا امر باخراج العشر من الثمار والحبوب
واتفق اهل العلم على ايجاب العشر في النخيل والكروم وفيما
يقتات من الحبوب ان كان سقيا بما السما او من نهر يجري
الما فيه من غير مونة وان كان سقيا بساقية او نضح ففيه
نصف العشر لقوله صلى الله عليه وسلم فيما سقت السما
والعيون او كان عثريا العشر وفيما يسقى بالنضح نصف
العشر وعنه صلى الله عليه وسلم ليس في حب ولا ثمر صدقة
حتى تبلغ خمسة اوسق وقال قوم الاية في صدقة التطوع
قال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع
زرعا فياكل منه انسان او طير او بهيمة الا كانت له به
صدقة ولا تيمموا اى تقصدوا الخبيث اى الردى منه
المذكور تنفقون في الزكاة حال من ضمير تيمموا ولستم باخذيه
اى الخبيث الا ان تغمضوا اى تسامحوا فيه بالحيا مع الكراهة
مجازا من اغمض بصره اذا اغضبه وروى عن البرا قال
لو اهدى ذلك لكم ما اخذتموه الا على استحيا من صاحبه
وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم وعن ابن
عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عن
ذلك هذا اذا كان المال كله او بعضه جيدا فان كان كل ماله
رديا فلا باس باعطا الردى واعلموا ان الله غني عن انفاقكم

وانما يامركم به لانتفاعكم حميد اى يجازى المحسن افضل
الجزاء على انه لم يزل محمودا ولا يزال عذب اوانا ب الشيطان
يعدكم الفقر اى يخوفكم به ان تصدقتم وتيمال وعدته
خيرا ووعدته شرا قال تعالى فى الخير وعدكم الله مغانم
كثيرة وقال فى الشر النار وعدها الله الذين كفروا فاذا اما
يذكر وا فى الشر قلت فى الخير وعد تنوب الشر اوعد قد
والفقر سوء الحال وقلة ما فى اليد واصله من كسر الفقار ان
الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك مالك فانك
اذا تصدقت افتقرت ويامركم بالفحشا اى بالبخل ومنع
الزكاة قال الكلبى كل فحشا فى القران فهو الزنا الا هذا الموضع
والله يعدكم مغفرة منه لما وقع منكم من تقصير وفيه
اشعار انه لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره لما له من
الاحاطة بصفات الكمال ولما جبل عليه الانسان عليه
من النقص وفضله بالزيادة فى الدارين وكل نعمة منه
فضل كما اكد ذلك بقوله تعالى والله واسع فضله عليم
بالمنفق وغيره وفيه اشارة الى انه لا يضيع شيا وانفق
وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال ابن ادم انفق انفق
عليك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمين الله
ملاى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ
خلق السموات والارض فانه لم يغض ما فى يمينه قال وعرشه

على الماء وبيده الاخرى القسط يرفع ويخفض وعن اسماء ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انفقي ولا تحصي فيحصي
الله عليك يؤت الحكمة اى العلم النافع المؤدى الى العمل
وقال السدى هى النبوة وقال ابن عباس وقتادة علم
القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه
ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله وقال الضحاك
هى القرآن والفهم فيه وقال فى القرآن مائة وتسع آيات
ناسخة ومنسوخة والف آية حلال وحرام لا يسع
المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن وقال مجاهد هى القرآن
والعلم والفقه وقوله تعالى من يشاء مفعول اول اخر
للاهتمام بالمفعول الثانى وهو الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد
اوتى خيرا كثيرا المصير الى السعادة الابدية وما يذكر فيه
ادغام التاء فى الاصل فى الذال اى وما يتعظ بما قص
من الآيات اى ما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع
الله فى قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب اى اصحاب
العقول الخالصة من شوائب الوهم والركون الى متابعة
الهوى وما انفقتم اى ايتم من نفقة قليلة او كثيرة
سرا او علانية زكاة او صدقة تطوع او نذرتم من نذر بشرط
او بغير شرط فوفيتم به فان الله يعلمه فيجازيكم به فان قيل
لم وحد الضمير فى يعلمه وقد تقدم شيئان النفقة والنذر
اجيب بان العطف بأو وهى لاحد الشيئين تقول زيد او

عمرو اكرمته ولا يجوز اكرمتهما بل يجوز اذ يراعى الاول نحو زيد
او هند منطلق او الثانى نحو زيد او هند منطلقة والاية
من هذا ومن مراعات الاول واذا راوا تجارة اولهوا انفضوا
اليها ولا يجوز ان يقال منطلقان ولهذا اول النحاة قوله
تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما وكما سياتى ان
شاء الله تعالى وما للظالمين بمنع الزكاة والنذر او بوضع
الانفاق فى غير محله من معاصى الله تعالى من انصار اى
من ينصرهم من الله وينجيهم من عذابه فهو على طريق
التهديد والمقابلة اى الا ناصر لظالم قط فسقط ما
يقال ان بنى الانصار لا يوجب نفى الناصر ان تبدوا اى
تظهروا الصدقات اى النوافل فنعما هى اى فنعم شيا
ابداؤها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح النون والباقون
بكسرها وقرا قالون وابو عمرو باختلاس كسرة العين والباقون
بالكسرة الكاملة وان تخفوها اى تسروها وتؤتوها الفقرا
اى تعطوها اياهم فى فهو خير لكم اى افضل فنزلت وروى
النساء والحاكم ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار فى
اليهود ورضاع وكانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما
اسلموا كرهوا ان ينفقوا عليهم فنزلت وعن بعض العلما لو كان
المنفق عليه اشر خلق الله كان لك ثواب نفقتك واما
الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها الا فى المسلمين اهل
السهمان المذكورين فى سورة التوبة لكن جوز ابو حنيفة

رحمه

رحمه الله صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وقوله تعالى
للفقراء خبر مبتدا محذوف اى صدقاتكم للفقراء او متعلق
بفعل مقدر كما جعلوا ما تنفقون للفقراء الذين احصروا
فى سبيل الله اى حبسوا انفسهم على الجهاد وهم فقراء المهاجرين
كانوا نحو من اربعمائة لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر
كانوا يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم
والعبادة وكانوا يخرجون فى كل سرية يبعثها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم المشهورون باصحاب الصفة
حث الله عليهم الناس وكان من عنده فضل اتاهم به
اذا امسى لا يستطيعون ضربا اى سفرا فى الارض للتجارة
والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد يحسبهم الجاهل اى حالهم
اغنياء من التعفف اى لاجل تعففهم عن السؤال وقرأ
ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها
تعرفهم يا المخاطب بسيماهم اى بعلامتهم من التخشع
والتواضع وسمرة الوجه ورثاثة الحال لا يسألون الناس
الحافا فيلحفون الحافا اى لا سؤال لهم اصلا فلا يقع منهم
الحاف ومثل ذلك قول الشاعر

لا ينزع الارنب من اهوالها ... ولا يرى العنب بها من ينجر

اى ليس فيها ارنب فينزع لهولها ولا عنب فينجر وليس المعنى
انه ينفى النزع عن الارنب والانجار عن العنب والالحاف
الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا شئ يعطاه من قوام

لحفنى من فضل لحافه اى اعطانى من فضل ما عنده وقيل
انهم ان سالوا سالوا بتلطف ولم يلحوا قال صلى الله عليه
وسلم ان الله يحب الحى الحليم المتعفف ويبغض البذى السوال
الملحف وقال صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم حبله
فيذهب فياتى بحزمة حطب على ظهره فيكف بها وجهه خير
له من ان يسال الناس اشياهم اعطوه او منعوه وقال
صلى الله عليه وسلم من سال وله ما يغنيه جاء يوم القيامة
ومسيلته فى وجهه خدوش قيل يا رسول الله وما يغنيه
قال خمسون درهما او قيمتها وما تنفقوا من خير اى مال
فان الله به عليم فيجازيكم وفى هذا ترغيب فى الانفاق الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون
الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير نزلت فى
ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه تصدق باربعين الف
دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة
بالعلانية وفى على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه كانت
عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا ودرهم
نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال الاوزاعى نزلت
فى الذين يربطون الخيل للجهاد فانها تعلف ليلا ونهارا
سرا وعلانية روى انه صلى الله عليه وسلم قال من احتبس
فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه
وريه وبوله فى ميزانه يوم القيامة وقوله تعالى فلهم اجرهم

عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين
ينفقون والفا للسببية فان قيل اى فرق بين قوله
هنا فلهم اجرهم وفيما مر فلهم اجرهم اجيب بان الموصول
لم يضمن معنى الشرط وصمته هنا الذين يأكلون
الربا اى ياخذونه وهو لغة الزيادة وشرعا عقد على عوض
مخصوص غير معلوم التماثل فى معيار الشرع حالة العقد
او مع تاخير فى البدلين او احدهما وهو ثلاثة انواع ربا
الفضل وهو البيع مع زيادة احد العوضين على الاخر وربا
اليد وهو بيع مع تاخير قبضهما او قبض احدهما وربا
النساء وهو البيع الى اجل وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع
المال لقوله تعالى الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما فنبه
بالاكل على ما سواه من وجوه الاتلافات ولان نفس الربا
الذى هو الزيادة لا يأكل وانما يصرف فى المأكول وقال
صلى الله عليه وسلم لعن الله اكل الربا وموكله وشاهديه
وكاتبه والمحلل له فعلمنا ان الحرمة غير مختصة بالاكل
ولما كان بين الصدقة والربا مناسبة من جهة التضاد
لان الصدقة عبارة عن تنقيص المال بامر الله بذلك
والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهى الله عنه
فكان المتضادين ذكر عقب الصدقة ويرسم بالواو
والالف بعد الواو وانما رسم على لغة من يفخم وهو يميل
الالف اى يخرج الواو كما كتبت الصلوة والزكوة وقيل

لان اهل الحجاز نقلوا الخط من اهل الحيرة ولغتهم بالواو
الساكنة فعلموهم الخط على لغتهم وزيدت الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذ يبعثوا من قبورهم الا
اى قيام كما يقوم الذى يتخبطه اى يصرعه الشيطان
وقوله تعالى من المس اى الجنون يتعلق بيتخبطه
من جهة الجنون فيكون فى موضع نصب قاله ابو البقا
والمعنى ان اكل الربا يبعث يوم القيامة وهو كالمصروع
تنكر سيماه يعرف بها عند اهل الموقف فان قيل لم نسب
هذا للشيطان اجيب بانه وارد على ما تزعم العرب ان
الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب
على غير استواء يقال ناقة خبوط اذا تخبطت الناس وتفز
الارض بقوائمها ويقال للرجل الذى يتصرف فى امر ولا
يهتدى فيه انه يخبط خبط عشواء وتخبطه الشيطان
اذا مسه بخبل او جنون لانه كالضرب على غير استواء
فى الادهش ذلك اى الذى نزل بهم بانهم اى بسبب
انهم قالوا انما البيع مثل الربا فى الجواز فان قيل ما الحكمة
فى قلب القضية ومن حق القياس ان يشبه محل الخلاف
بمحل الوفاق لان حل البيع متفق عليه وهم اراد وا
قياس الربا عليه وكان نظم الكلام ان يقال انما الربا
مثل البيع اجيب بان هذا من عكس التشبيه مبالغة
اذ به صار المشبه مشبها به وبالعكس وكان المشبه

به ان يكون اقوى من المشبه او بانهم لم يكن مقصودهم
ان يتمسكوا بنظم القياس بل كان غرضهم ان البيع والربا
متماثلان في جميع الوجوه المطلوبة فكيف يجوز
تخصيص احد المثلين واحل الله البيع وحرم الربا
انكار لتسويتهم وابطال القياس لمعارضته النص تنبيه
اظهر قول الشافعي ان هذه الاية في كل بيع الا ما خص
بالسنة وانه صلى الله عليه وسلم نهى عن بيوع والثاني
انها محكمة والسنة مبينة لها وتظهر فايدة الخلاف في
الاستدلال بها في مسايل الخلاف فعلى الاول يستدل
بها وعلى الثاني لا يستدل فمن جاءه اي بلغه موعظة
اي وعظ من ربه وزجر بالنهي عن الربا فانتهى اي فاتبع
النهي وامتنع عن اكله فله ما سلف اي ما مضى من
ذنبه قبل النهي مغفور له وامره الى الله بعد النهي ان شا
عصمه حتى يثبت على الانتها وان شا حل له حتى يعود وقيل
امره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس
له من امر نفسه شي ومن عاد اي تحلل الربا مشبها له
بالبيع في الحل فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لانهم كفروا بذلك وورد انه صلى الله عليه وسلم لعن اكل
الربا وموكله والواشمة والمتوشمة والمصور وانه صلى
الله عليه وسلم قال الربا سبعون بابا اهونها عند الله
عز وجل كالذي ينكح امه يمحق الله الربا اي يذهب

بركة ويهلك المال الذى يدخل فيه وعن ابن مسعود الربا
وان كثر فالى قل ويربى الصدقات اى يضاعف ثوابها
ويبارك فيما اخرجت روى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربى احدكم فلوه
وروى الامام احمد بانقص مال من زكاة صدقة والله لا يحب
كل كفار اى مصر على تحليل المحرمات كمن يحل الربا اثيم
منهمك فى ارتكابه ان الذين امنوا بالله وبرسوله ونعما
جاء به عنه وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة واتوا
الزكاة وانما عطفها على ما يعمهما لشرفها لهم اجرهم عند
ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون على فائتة
وتقدم مثل هذه الآية ولكن حرت عادة الله سبحانه
وتعالى فى القرآن مهما ذكر وعيد اذكر بعد وعد فلما بلغ
هاهنا فى وعيد الربا اتبعه بهذا الوعد فان قيل ان
الانسان اذا بلغ عارفا بالله وقيل وجوب الصلاة
والزكاة عليه مات فهو من اهل الثواب بالاتفاق فدل
على ان استحقاق الثواب لا يتوقف على حصول العمل
اجيب بانه تعالى انما ذكر هذه الخصال لا لاجل ان استحقاق
الثواب مشروط بها بل لاجل ان لكل منها اثرا فى جلب
الثواب كما قال تعالى فى ضد هذا والذين لا يدعون مع الله
الها آخر ثم قال تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما وسلم
ان من ادعى ان مع الله الها آخر لا يحتاج فى استحقاقه

العذاب

العذاب الى عمل اخر وانما جمع الله تعالى الزنا وقتل النفس مع
دعا غير الله الها لبيان ان كل واحد من هذه الخصال
يوجب العقوبة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما
بقي من الربا اى اتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا
الذى اخذتم بعضه قبل التحريم ان كنتم مومنين اى
بقلوبكم او ان بمعنى اذ فان دليل الايمان امتثال ما
امر تعبد روى انها نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهى
عن الربا كان له قبل فان لم تفعلوا اى تذروا ما بقى من الربا
فاذنوا اى اعلموا من اذن بالشى اذا علم به اى فاعلموا
انتم وايقنوا بحرب من الله ورسوله فان قيل بهذا حكمهم
ان تابوا فما حكمهم ان لم يتوبوا اجيب بان مقتضى ذلك
انهم يقاتلون ان لم يرجعوا قال سعيد بن جبير عن ابن
عباس يقال لاكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب
قال اهل المعانى حرب الله تعالى النار وحرب رسوله صلى
الله عليه وسلم السيف وقرا شعبة وحفص فاذنوا بفتح
الهمزة ومدها وكسر الذال اى فاعلموا بها غيركم وهو من
الاذن وهو الاستماع لانه من طريق العلم والباقون بسكون
الهمزة وفتح الذال فان تبتم اى تركتم استحلال الربا
ورجعتم عنه فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون بطلب
الزيادة ولا تظلمون بالنقصان عن راس المال فان
قيل هلا قال تعالى بحرب الله ورسوله اجيب بان هذا

ابلغ الان المعنى فاذا نوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله
ورسوله ولما نزلت هذه الآية قال المرابون بل نتوب الى الله
فانه لا طاقة لنا من الله ورسوله فوضعوا براس المال فسمحا
من عليه الدين العسرة وقال لمن لهم الدين اخرونا الى ان
تدرك الغلة فابوا ان يوخروا فانزل الله تعالى وان كان ذو
عسرة فنظرة له اى عليكم تاخيره الى ميسرة اى وقت
يسر تنبيه فى كان بعده وجهان اظهرهما انها تامة بمعنى
حدث ووجد اى وان حدث ذو عسرة فتكفى بها عملها لسائر
الافعال والثانى انها ناقصة وخبرها محذوف قال ابو
البقا تقديره وان كان ذو عسرة لكم عليه حق او نحو ذلك
وقدره بعضهم وان كان ذو عسرة غريما وقرا نافع بضم السين
والباقون بفتحها وان تصدقوا اى بالابراء قرا عاصم بتخفيف
الصاد والباقون بالتشديد على ادغام التا فى الاصل
والتخفيف على حذفها خير لكم اى اكثر ثوابا من الانتظار
وعذابا فضل المندوب فيه الواجب فان الابرا مندوب اليه
والانتظار واجب فيحرم حبس المعسر وهل القول قوله
فى اعساره اى لا بد من بينة تشهد بذلك ينظر ان كان
الدين عن عوض كالبيع والقرض فلا بد من بينة وان كان
غير عوض كالضمان والاتلاف والصداق فالقول قول
المعسر بيمينه وعلى الغريم البينة الا ان يعرف له مال فلا بد
من بينة ان كنتم تعلمون فضل التصدق على الانتظار فافعلوا

وقيل

وقيل المراد بالتصدق الانتظار نفسه ورد هذا كما قال الامام
بان الانظار قد علم مما قبل فلا يبقى من عمله على فائدة جديدة
قال عليه الصلاة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره
الا كان له بكل يوم صدقة وروى من انظر معسرا او وضع
عنه انجاه الله من كرب يوم القيامة وعن ابن مسعود رضي
الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الملائكة تلقت روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا له هل عملت خيرا
قط قال لا قالوا تذكر قال لا الا انى كنت رجلا ادين الناس فكنت
امر فتياني ان ينظروا الموسر وان يتجاوزوا عن المعسر
قال الله تعالى تجاوزوا عنه وقال صلى الله عليه وسلم من انظر
معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله
واتقوا يوما **ترجعون** اى تصيرون **فيه الى الله** هو يوم
القيامة اى فاذ هبوا المصير كراليه وقرا ابو عمرو بفتح
التاء وكسر الجيم والباقون بضم التاء وفتح الجيم **ثم توفى** فيه
كل نفس جزاء ما كسبت اى عملت من خير او شر **وهم**
لا يظلمون بنقص حسنة او زيادة سيئة فائدة قال
ابن عباس هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال جبريل ضعها على راس ماييتين ومائتين اية
من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم
احد وعشرين يوما وقال احد عشر تسع ليال وقال سعيد بن
جبير سبع ليال ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من

شهر ربيع الاول وقيل بثمان ساعات وقال الشعبي عن
ابن عباس اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم اية الربا ولما منع الله من الربا اذن في السلم والقرض
بما يعمهما فقال يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين كسلم
وقرض الى اجل مسمى اى معلوم وكذا قال بعض العلما
لا لذة ولا منفعة يوصل اليها بالطريق الحرام الا واقله
سبحانه وتعالى وضع لتحصيل مثل تلك اللذة طريقا حلالا
وسبيلا مستودعا فان قيل المداينة مفاعلة وحقيقتها
ان يحصل من كل واحد منهما دين وذلك هو بيع الدين بالدين
وهو باطل باتفاق اجيب بان المراد من تداينتم معاملتم
والتقدير تعاملتم بما فيه دين فان قيل هل اكتفى بقوله
تداينتم الى اجل واى حاجة الى ذكر الدين اجيب بانه ذكر ليرجع
الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال
فاكتبوا الدين فلم يمكن النظم بذلك الحسن وليلا يتوهم
من الدين المجازاة ولانه ابين لتتوجع الدين الى مؤجل وحال
وفايدة قوله مسمى ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما
كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد
او الدراس او رجوع الحاج لم يجز للجهل بوقت الاجل وانما
امر بكتابة الدين لان ذلك اوثق واومن من النسيان
وابعد من الجحود فان قيل ان كلمة اذا لاتفيد العموم فما المراد
من الاية العموم لان المعنى كلما تداينتم بدين فاكتبوه فلم

عدل عن كل ما وقال اذا تداينتم اجيب بان كلمة اذا وان
كانت لا تقتضي العموم الا انها لا تمنع من العموم وهاهنا
قام الدليل على ان المراد هو العموم واختلفوا في هذه الكتابة
فقال بعضهم هي واجبة والاكثرون على انها امر استحباب
فان ترك فلا باس كقوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة
فانتشروا في الارض وقال بعضهم كانت كتابة الدين
والاشهاد والرهن ثم نسخ الكل لقوله فان امن بعضكم
بعضا فاليود الذي ايتمن امانته ثم بين كيفية الكتابة
فقال تعالى وليكتب اي كتاب الدين بينكم كاتب بالعدل
بالحق في كتابته لا يزيد في المال او الاجل ولا ينقص وهو
في الحقيقة امر للمتدينين باختيار كاتب ففيه دين حتى يجي
مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع مع ان ظاهر امر الكاتب
ولا ياب اي لا يمتنع كاتب من ان يكتب اذا دعي اليها كما
علمه الله اي فضله الله بالكتابة فلا يبخل بها فلينفع
الناس بها كما نفعه الله بتعليمها لقوله تعالى واحسن
كما احسن الله اليك والكاف متعلقة بياب فليكتب تلك
الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء تاكيدا وليملل
الذي عليه الحق اي وليكن المملل على الكاتب من عليه الحق
لانه المقر المشهود عليه والاملاك والاملا لغتان فصيحتان
معناهما واحد جا بهما القران فاملال هاهنا وهو لغة الحجاز
والاملا قوله تعالى فهي تملى عليه بكرة واصيلا وهو لغة

تميم وليتق الله ربه اى كل من المملى والكاتب ولا يبخس اى
لا ينقص منه اى من الحق او مما املى عليه شيئا فان كان
الذى عليه الحق سفيها اى مبذرا او ضعيفا اى صغيرا
او كبيرا اختل عقله لكبره او لا يستطيع ان يمل هو لخرس
او جهل باللغة او نحو ذلك فليملل وليه اى متولى امره
من والد ووصى وقيم ووكيل ومترجم بالعدل وفيه دليل
على جريان النيابة فى الاقرار قال البيضاوى ولعله مخصوص
فيما تعاطاه القيم او الوكيل اى دون المترجم ودونهما
فيما لم يتعاطاه واستشهدوا اى واشهدوا شهيدين
اى شاهدين من رجالكم اى البالغين الاحرار المسلمين دون
الصبيان والعبيد والكفار واختار ابن سيرين شهادة
العبد وابو حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا
اى الشاهدين رجلين فرجل اى فليشهد او فاليستشهد
رجل وامراتان واجمع الفقها على ان شهادة النسا جايزة
مع الرجال فى الاموال حتى يثبت برجل وامراتين واختلفوا
فى الاموال فذهبت جماعة الى انه يجوز شهادتهن مع الرجال
فى غير العقوبات وهو قول سفيان الثورى واصحاب الراى
وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين
وذهب الشافعى الى ان ما يطلع عليه النسا غالبا
كالولادة والرضاع والثيوبة والبكارة ونحوها تثبت
بشهادة رجل وامراتين وشهادة اربع نسوة واتفقوا

على

على ان شهادة النسا غير جايزة فى العقوبات ممن ترضون
من الشهدا اى من كان مرضيا لدينه وامانته تنبيه
شروط قبول الشهدا سبعة الاسلام والحرية والعقل
والبلوغ والعدالة والمروة وانتفا التهمة فمتى فقد شرطا منها
لم تصح تلك الشهادة وانما اشترط العدد فى النسا لاجل ان
تضل اى تنسى احداهما اى الشهادة لنقص عقلهن
وضبطهن فتذكر قرا ابن كثير وابو عمرو بسكون الذال
وتخفيف الكاف والباقون بفتح الذال وتشديد الكاف
وقرا حمزة برفع الرا والباقون بفتح الذال وبالنصب
احداهما اى الذاكرة الاخرى اى الناسية قال الزمخشرى
ومن يدع التفاسير فتذكر اى فتجعل احداهما الاخرى نكرا
يعنى انهما اذا اجتمعا كانتا بمنزلة الذكر وقرا حمزة وحده
ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد
كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه وجملة الاذكار
محله العلة اى لتذكر ان ضلت ودخلت على الضلال
بسبب الاذكار وهم ينزلون على كل واحد من السبب
والمسبب منزلة الاخر ولا ياب اى ولا يمتنع الشهدا اذا ما
اى اذا دعوا لادا الشهادة والتحمل لا مزيدة وسوا شهد على
هذا الثانى تنزيلا لما يشار منزلة الواقع ولا تساموا اى
تملوا من ان تكتبوه اى ما شهدتم عليه من الحق لكثرة
وقوعه او تكسلوا عن ان تكتبوه كنى عن السامة

التى تكون بعد الشروع الكثرة بالكسل الذى يكون ابتدا
لكونهما من لوازمه لان الكسل صفة المنافق قال تعالى واذا
قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقال صلى الله عليه وسلم
لا يقول المومن كسلت صغيرا كان ذلك الحق او كبيرا
قليلا او كثيرا وقوله تعالى الى اجله اى وقت حلوله
الذى اقر به المديون حال من الهاء فى يكتبوه دكثيرا اى
الكتب اقسط اى اعدل عند الله واقوم للشهادة
اى اعون على اقامتها لانه يذكرها تنبيه بحسن على مذهب
سيبويه ان يكون اقسط واقوم مبنيين من افعل من
واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب
بمعنى قسط واقوم من قويم اوهما مبنيان من اقسط
واقام لا من قسط وقام لان قسط بمعنى جار والحيف هنا
على العدل والفعل من اقسط فلزم ان يكون اقسط فى الاية
من المزيد لقصد الزيادة فى القسط قال تعالى ان الله يحب
المقسطين لا من المجرد لان معناه الزيادة فى القاسط وهو
الجائر قال تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وكذا اقوم
معناه اشد اقامة لاقيامها وبناهما من ذلك على غير قياس او
القياس ان يكون البنا من المجرد لا من المزيد ويجوز ان يكون
بناهما من قاسط بمعنى ذى قسط اى عدل وبمعنى قويم اى
ذى استقامة على طريق التعجب كما ابن وتامر فيكون افعل لا
فعل له وانما صحت الواو فى اقوم كما صحت فى التعجب حمود ٥

وادنى

وادنى اى واقرب ان لا ترتابوا اى تشكوا فى قدر الحق وجنسه
والشهود والاجل وكذلك الا ان تكون تجارة حاضرة وهى
تم المبايعة بدين او عين تديرونها بينكم اى تتعاطونها
يدا بيد فليس عليكم جناح اى لا باس ان تبايعتم يدا بيد
ان لا تكتبوها فهو استثناء من الكتابة لبعده حينئذ عن
التنازع والنسيان وقرا عاصم بنصب التاء فيهما على ان تجارة
هى الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة
حاضرة والباقون بالرفع فيهما على ان تجارة هى الاسم والخبر
تديرونها او على كان التامة واشهدوا اى ندبا اذا تبايعتم
عليه سواء كان تاجرا او كليا فانه ادفع للاختلاف فهو تعميم
بعد تخصيص احتياطا فى جميع المتبايعات ويجوز ان يراد
بهذا التبايع الذى هو التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كان
فيه دون الكتابة ولا يضار كاتب ولا شهيد اصله يضارر
ادغمت احدى الراءين فى الاخرى ونصبت لحق التضعيف
لاجتماع الساكنين واختلفوا فمنهم من قال اصله يضارر
بكسر الراء الاولى وجعل الفعل الكاتب والشهيد ومعناه نهيهما
عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير فى الكتابة والشهادة
ومنهم من قال اصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول
وجعلوا الكاتب والشاهد مفعولين ومعناه النهى عن الضرار
بهما مثل ان يعجلا عن مسهم وتكلف الخروج عما حدلهما ولا
يعطى الكاتب جعله ولا الشهيد مؤنة مجيئه حيث كان

والمتبايعان فالاية محتملة للبناء للفاعل وللبناء
للمفعول فتحمل عليهما معا وعلى كل منهما والاولى اولى ولن
تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه فسوق بكم اى
معصية وخروج عن الامر واتقوا الله فى مخالفة امره
ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله
بكل شئ عليم كرر لفظ الله فى الجمل الثلاثة لاستقلال كل
فالاولى حث على التقوى والثانية وعد باتمامه والثالثة
تعظيم لشانه عز وجل ولانه ادخل فى التعظيم من الضمير
وهذا غرابة الدين وقد حث سبحانه وتعالى فيها على
الاحتياط فى امر الاموال لكونها سببا لمصالح المعاش والمعاد
قال القفال رحمه الله تعالى ويدل على ذلك ان الفاظ القرآن
جارية فى الاكثر على الاختصار وفى هذه الاية بسط شديد
الا ترى انه قال اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه ثم قال
ثانيا وليكتب بينكم كاتب بالعدل لان العدل هو ما علمه الله
ثم قال رابعا فليكتب وهذا اعادة للامر الاول ثم قال خامسا
وليملل الذى عليه الحق وفى قوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل
كفاية عن قوله وليملل الذى عليه الحق لان الكاتب بالعدل
انما يكتب بما يملى عليه ثم قال سادسا وليتق الله ربه ثم قال
ثامنا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله وهو
ايضا تاكيد لما مضى ثم قال تاسعا ذلكم اقسط عند الله
واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا فذكر هذه الفوائد التالية

لتلك التاكيدات السالفة وكذلك يدل على المبالغة في
التوصية بحفظ المال الحلال وصونه عن الهلاك ليتمكن
الانسان بواسطته من الانفاق في سبيل الله والاعراض
عن مساخط الله من الربا وغيره والمواظفة على تقوى
الله وان كنتم على سفر اى مسافرين وتداينتم فعلى ممن في
ليلا يتوهم ان المعنى على نية سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن اى
فعليكم رهن مقبوضة فستوثقون بها وبينت السنة
جواز الرهن في الحضر ومع وجود الكاتب فقد رهن رسول
الله صلى الله عليه وسلم درعه في المدينة عن يهودي بيثرب
صاعا من شعير اخذها لاهله فالتقت بما ذكر لان التوثق
فيه اشد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في السفر
اخذا بظاهر الاية واعاد قوله مقبوضة اشتراط القبض
اى في لزوم الرهن لا في صحته والاكتفاء به من المرتهن ووكيله
ولا يشترط القبض عند مالك وقرا ابن كثير وابو عمرو بضم
الراء والهاء ولا الف بعدها والباقون بكسر الراء وفتح الهاء والف
بعدها وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون فان امن بعضكم
اى الدائن بعضا اى المديون واستغنى بامانته عن
الارتهان فليؤد الذى اؤتمن اى المدين امانته اى دينه
سماه امانة لاستيمانه عليه بترك الارتهان به وقرا
ورش فليود بابدال الهمزة واوا واذا وصل السوسي وورش
الذى يأتمن ابدلا الهمزة ياء وفي الابتداء بهمزة مضمومة الجميع

وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات من
حيث الاتيان بصفة الامر الظاهرة في الوجوب والجمع بين
ذكر الله والرب وذكره عقب الامر باداء الدين ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود اذا دعيتم لاقامتها او المدينون وعلى هذا
فشهادتهم اقرارهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه
فان قيل هلا اقتصر على قوله فانه اثم قلبه وما فايدة ذكر
القلب والجملة هي الاثمة للقلب وحده اجيب بان كتمان
الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اى الكتمان
انما معترفا اى محتاطا بالقلب اسند اليه لانه محل كتمان ه
الشهادة واسناد الفعل الى الجارحة التي يحل بها ابلغ الا ترى
انك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني وسمعته
اذني وما عرفته قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة
التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد
كله كما مر قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملكها اشرف
مكان فيه وليلا يظن ان كتمان الشهادة من الاثام المتعلقة
باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن
اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم
من افعال سايرالجوارح وهي لها كالاصول التي تشعبت
منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيات للايمان والكفر
وهما من افعال القلوب واذا جعل كتمان الشهادة من اثام
القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن

عباس رضي الله تعالى عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله
تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان
الشهادة تنبيه اثم خبر وقلبه رفع باثم على الفاعلية
كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتدا
واثم خبره مقدم والجملة خبران وقوله تعالى والله بما تعملون
عليم تهديد لانه لا يخفى عليه منه شئ لله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا قال الجلال السيوطي وعيد او
لمن ذكر بعد ملكا لئلا يتوهم ان ما لا يعقل وان تبدوا
اي تظهروا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه او تخفوه
اي تسروه يحاسبكم اي يجازيكم به الله يوم القيامة
والاية حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر
لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهذا صريح
في نفي وجوبه وقرا ابن عامر وعاصم برفع الراء من يغفر ورفع
الباء من يعذب على الاستيناف والباقون بجزمهما عطفا على
جواب الشرط وادغم الراء المجزومة في اللام السوسي واختلف
عن الدوري وقول الزمخشري ومدغمها الراء في اللام حسن
مخطئ خطأ فاحشا ورواية عن ابي عمرو يعني السوسي مخطئ
من تيمن لانه يلحن وينسب اللحن الى اعلم الناس بالعربية
ما اى هذا ما يودن يجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات
قلة ضبط الرواية والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا
يضبط نحو هذا الا اهل النحو مردود لانه مبني على القول

بان الرا انما تدغم فى الرا لتكرره الغايت بادغامها فى اللام
انما هو مذهب البصريين واما الكوفيون بل وبعض البصريين
كابى عمرو فقايلون بالجواز كما نقله عنهم ابو حيان ونقل ابو
عمرو والكساى وابو جعفر صحة الادغام صار لى وصار لك
عن العرب ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ووجه الجعبرى
ادغام الرا فى اللام لتقارب مخرجيهما على راى سيبويه وتشاركهما
على راى الفرا وتجانسهما فى الجهر والانفتاح والاستفال والله
على كل شى قدير فيقدر على جزايكم ومحاسبتكم وقوله
تعالى امن اى صدق الرسول اى محمد صلى الله عليه وسلم
بما انزل اليه من ربه اى من القران فيه شهادة وتنصيص
من الله تعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم فى
امره غير شاك فيه وقوله تعالى والمومنون عطف على الرسول
كل من الرسول والمومنين واختلف فى تنوين كل فقيل
تنوين عوض من المضاف اليه وقيل تنوين التمكين قال الشيخ
خالد الوقاد وهو الاصح امن بالله وملايكته وقرا وكتبه
حمزة والكساى بكسر الكاف وفتح التا والف بعدها على
التوحيد على ان المراد به الجنس والباقون بضم الكاف
والتا على الجمع ورسله يقولون لا نفرق بين احد اى جمع
من رسله فنومن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود
والنصارى فاحد اسم لمن يصلح ان يخاطب يستوى فيه
الواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمونث فحيث اضيف

بين

بين اليه او اعيد ضمير رجع اليه او نحو ذلك فالمراد به جمع
من الجنس الذى يدل الكلام عليه ويجوز ان يقدر العود
مفردا باعتبار كل وانما احتيج الى التقدير لاجل قوله تعالى لا
نفرق ولو قال تعالى لا نفرق لم يحتج الى ذلك وقالوا سمعنا
اى ما امرنا به سماع قبول واطعنا امرك نسالك غفرانك
ربنا واليك المصير اى الرجوع بعد الموت وهو اقرار منهم
بالبعث روى ان ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال
لما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما فى السموات
وما فى الارض وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله الاية قال فاشتد على اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم برکوا على
الركب وقالوا اى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة
والصيام والجهاد والصدقة وقد انزل عليك هذه الاية ولا
نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان
تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل
قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما
قراها القوم وذلت السنتهم انزل الله تعالى اثرها من
الرسول الاية فلما فعلوا ذلك نسخها الله بقوله تعالى
لا يكلف الله نفسا الا وسعها اى ما تتسعه قدرتها وان
شق فضلا ورحمة لها ما كسبت من الخير اى ثوابه وعليها
ما اكتسبت من الشر اى وزره فلا يتمتع بطاعتها غيرها

ولا يواخذ احد بذنب احد ولا بما لا يكسبه مما وسوست
به نفسه كما يفيده تقدير الخبر وهو لها وعليها من الخير
وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يجاوز عن امتي ما وسوست
به انفسها ما لم تتكلم او تعمل به فان قيل لم رخص الخير بالكسب
والشر بالاكتساب اجيب بان في الاكتساب انما لا الى
اى اضطرابا في العمل ومبالغة واجتهادا فلها كان الشر
مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت اشد
جدا في تحصيله واعمل فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم
تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال
قولوا ربنا لا تؤاخذنا اى لا تعاقبنا ان نسينا او
اخطانا اى ادى بنا الى النسيان او الخطاء من تفريط وقلة
مبالات لان المواخذة انما هي بالمقدور والبيان والخطا
ليسا بمقدورين ويجوز ان يراد نفس النسيان والخطا اى
لا تواخذنا بهما كما اخذت به من قبلنا قال الكلبي كانه بقي
اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطاوا عجلت لهم
العقوبة فحرم عليهم شيء من مطعم او مشرب على حسب ذلك
الذنب فامر الله المومنين ان يسالوه ترك مواخذتهم
بذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي
الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فان قيل النسيان والخطا
متجاوز عنهما فما معنى الدعا بترك المواخذة اجيب بان المراد

يذكرها

بذكرهما ما هما سببان عنه من التفريط والافعال الاقرى
الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر
على فعل النسيان وانما يوسوس فكونه وسوسة سببا
للتفريط الذى منه النسيان ويجوز ان يدعو الانسان
بما علم انه حاصل له قبل الدعا من فضل الله لاستدامته
وذكره بلفظ الدعا على معنى التحدث بنعمة الله تعالى واما
بنعمة ربك فحدث ربنا ولا تحمل علينا اصرا اى تكلفنا امرا
يثقل علينا حمله كما حملته على الذين من قبلنا اى بنى اسرايل
من قتل النفس فى التوبة واخراج ربع المال فى الزكاة وقطع
موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك قال الكشاف
قال البيضاوى وخمسين من صلاة فى اليوم والليلة وشبهها
غيره الى اليهود ولا تنافى بينهما اذ المراد من بنى اسرايل اظهر
اليهود منهم فلا يرد هذا على ما قيل ان بنى اسرايل لم يفرض
عليهم خمسون صلاة بل وكذا خمس صلوات مع ان من حفظ
حجة على من لم يحفظ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اى
قوة من البلا والعقوبة وعن التكاليف بما لا يطاق التى لا
تفى به الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا
يطاق والا لما سيل التخلص عنه والشديد ها هنا لتعدية
الفعل اى مفعول ثان لاكلفنا بالمد واعف عنا اى امح ذنوبنا
واغفر لنا اى استر علينا فانا لا نسال العفو بطاعتك ولا
نتوك معصيتك الا برحمتك انت مولانا اى سيدنا ومتولى

امورنا فانصرنا على القوم الكافرين باقامة الحجة والغلبة
في قتالهم فان من حق المولى ان ينصر موالیه على الاعدا
والمراد بالكافرين عامة الكفر روى سعيد بن جبير عن
ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال الله تعالى قد
غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال لا
اخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احمل عليكم ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به قال لا احملكم واعف عنا الخ قال قد عفوت
عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين
وكان معاذ اذا ختم السورة يعني البقرة قال امين وروى
مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات
قيل له عقب كل كلمة قد فعلت وعن عبد الله انه قال لما
اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي الى سدرة المنتهى
وهي في السما السادسة اليها ينتهي ما يعرج من الارض
فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض
منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب
قال واعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات
الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك
بالله شيا من امته المقحمات وروى عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال انزل الله اياتين اولهما من الرسول من كنوز الجنة
كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من
قرأهما بعد العشا الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل والكتابة

باليد

بالبد تمثيل وتصوير لاتيانهما وتقديرهما بالفي سنة تقريب
احدهما لان مثل هذا يقال لطول الزمان لا للتحديد وروى
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اعطيت خواتم سورة البقرة
من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وروى عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال من قرأ الايتين من اخر سورة البقرة
في ليلة كفتاه عن قيام الليل او من كل ما يسوءه وهذا رد
قول من استنكر ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال
السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلاة والسلام
السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها
فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة
قيل وما البطلة قال السحرة اي انهم مع حذقهم لا يوفقون
لتعلمها او التامل في معانيها او العمل بما فيها وسموا البطلة
لانهم لهم في الباطل او لبطالتهم عن امر الدين والفسطاط
الخيمة او المدينة الجامعة سميت السورة لاشتمالها
على معظم اصول الدين وفروعه والارشاد الى كثير من
مصالح العباد ونظام المعاش ونجاة المعاد وعن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه انه رمى الجمرة ثم قال من ها هنا والذي
لا اله الا هو رمى الذي انزلت عليه انه رمى الجمرة وكافرق
بين هذا وبين قولك سورة الرخوف والممتحنة والمجادلة
وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى كتب
كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام فانزل

منه ايتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن فى دار ثلاث
ليال فلا يقربها الشيطان

سورة آل عمران مدنية

باتفاق وآياتها مائتان وخمسما يتو عشرون حرفا

بسم الله الذى مهما اراده كان الرحمن الرحمن سبقت
رحمته غضبه الى الجود فشملت كل موجود بالكرم والجود
الرحيم لمن توكل عليه بالعطف اليه وقوله تعالى
الم تقدم الكلام عليه فى اول سورة البقرة الله لا اله الا
هو لم يقطع احد من القرا السبعة هذه الهمزة التى فى الله
فى الوصل وانما فتح الميم لالتقا الساكنين بها هو مذهب
سيبويه وجمهور النحاة فان قيل اصل التقا الساكنين الكسر
فلم عدل عنه اجيب بانهم لو كسروا لكان ذلك مفضيا الى
ترقيق لام الجلالة والمقصود تفخيمها للتعظيم فاوثر الفتح
لذلك كما حركوها فى نحو من الله وايضا فقيل الميم يا وهى اخت
الكسرة وقيل هذه الياء كسرة قلو كسرنا الميم الاخيرة لالتقا
الساكنين لتوالى ثلاث متجانسات فحركوها بالفتح واما
سقوط الهمزة فواضح وسقوطها لالتقا الساكنين وقيل
ان هذه الفتحة ليست لالتقا الساكنين بل هى حركة نقلت
اى نقلت حركة الهمزة التى قبل لام التعريف على الميم الساكنة
نحو قد افلح فى قراءة ورش وهذا مذهب الفرا وجرى عليه

الزمخشري واطال الكلام فيه ورده ابو حيان بما يطول ذكره
وقوله تعالى الله مبتدا وما بعده خبره وقوله تعالى الحي
القيوم نعت له والحي هو الفعال الدراك والقيوم هو
القايم بذاته والقايم بتدبير خلقه روى انه صلى الله
عليه وسلم قال ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة
الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو
الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم ونقل
البيهقي عن ائمة العلما ان الاسم الاعظم هو الله قال الكلبي
والربيع بن انس وغيرهما نزلت هذه الاية في وفد نصارى
نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفي الاربعة
عشر ثلاثة تئول اليهم امورهم العاقب امير القوم
وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه واسمه
عبد المسيح والسيد رحلهم واسمه الايهم وابو حارثة بن
علقمة حبرهم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات والحرث بن كعب يقول
ما رايا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا
للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعوهم
يصلوا الى المشرق فكلم السيد والعاقب فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما
يمنعكما عن الاسلام دعاكما لله ولدا وعبادتكما للصليب

والهكما الخنزير قالوا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه
وخاصموه جميعا فى عيسى فقال لهم النبى صلى الله عليه
وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولدا الا وهو يشبه اباه
قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه
ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيا قالوا
لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض
ولا فى السما قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علمه
الله قالوا الا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف يشا
وربنا لا ياكل ولا يشرب قالوا بلى قال الستم تعلمون ان
عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة
ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب
ويحدث قالوا بلى قال وكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا
فانزل الله تعالى صدر سورة ال عمران الى بضع وثمانين اية
منها نزل عليك يا محمد الكتاب اى القران ملتبسا
بالحق اى بالصدق فى اخباره او بالحجج الحقة انه عند
الله وهو فى موضع الحال مصدقا لما بين يديه اى قبله
من الكتب فان قيل كيف سمى ما مضى بانه بين يديه اجيب
بان تلك الاخبار لغاية ظهورها وكونها موجودة سماها
بهذا الاسم وانزل التوراة جملة على موسى والانجيل
جملة على عيسى من قبل تنزيل القران واختلف الناس فى
هذين اللفظين هل يدخلهما الاشتقاق والتصريف او لا

يدخلانهما

يدخلانهما لكونهما اعجميين فلا يناسب لكونهما مشتقين
ورجح هذا الزمخشري وقال قالوا ان هذين اللفظين اسمان
عبرانيان لهذين الكتابين الشريفين وقوله تعالى
هدى حال بمعنى هادين من الضلالة ولم يثنه لانه
مصدر للناس على العموم ان قلنا متعبدون بشرع
من قبلنا وهو راي والا فالمراد بالناس قومهما وانما عبر
في التوراة والانجيل بانزل وفي القران بنزل المقتضي للتكرير
لانهما انزلا دفعة واحدة بخلافه وقيل القران انزل من
اللوح المحفوظ الى سما الدنيا منجما في ثلاث وعشرين سنة
فحيث عبر فيه بانزل اريد الاول او بنزل اريد الثاني
فان قيل يرد الاول بقوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب
وبقوله تعالى والذين يومنون بما انزل اليك وبقوله
تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وبقوله تعالى
وبالحق انزلناه ويرد الثاني بقوله تعالى وقال الذين كفروا
لولا نزل عليه القران جملة اجيب بان التنزيل بذلك جرى
على الغالب وانزل الفرقان اي الكتب الفارقة بين الحق
والباطل وذكره بعد الكتب الثلاثة ليعم ما عداها فكانه
قال وانزل ساير ما يفرق به بين الحق والباطل ولم يجمع
لانه مصدر بمعنى الفرق والفرقان والكفران وقيل القران
وكرر ذكره لما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من
حيث انه بشارة لهما في كونه وحيا منزلا وتميزا بانه معجز

يفرق به بين الحق والمبطل وقيل اراد الكتاب الرابع وهو
الزبور كما قال تعالى واتينا داود زبورا قال الزمخشري
وهو ظاهر ولما قرر سبحانه جميع ما يتقرر بمعرفة الاله اتبع
ذلك بالوعيد زجرا للمعرضين عن هذه الدلايل الباهرة
فقال ان الذين كفروا بايات الله من القران وغيره لهم
عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز اي غالب على
امره فلا يمنعه شي من انجاز وعده ووعيده ذو انتقام
ممن عصاه والنقمة عقوبة المجرم اي يعاقبه عقوبة شديدة
لا يقدر على مثلها احد ان الله لا يخفى عليه شي كاين في
الارض ولا في السما لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزي فان
قيل لم خصهما بالذكر مع انه عالم بجميع الاشيا اجيب بانه
تعالى انما خصهما لان البصر لا يتجاوزهما فان قيل لم قدم
الارض على السما اجيب بانها انما قدمت رقيا من الادنى الى
الاعلى وهذه الاية كالدليل على كونه حيا وقوله تعالى هو
الذي يصوركم في الارحام كيف يشا اي من ذكورة وانوثة
وبياض وسواد وحسن وقبح وتمام ونقص وغير ذلك كالدليل
على القيومية والاستدلال على انه تعالى عالم باتفاق فعله
في خلق الجنين وتصويره وفي هذا رد على وفد نجران من
النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله واستدلوا على ذلك
بامور منها العلم فانه كان يخبر عن الغيوب ويقول لهذا انك
اكلت في دارك كذا ويقول لذلك انك صنعت في دارك كذا ومنها

القدرة

القدرة وهو ان عيسى كان يحيي ويبرئ الاكمه والابرص
ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون
طيرا كانه تعالى يقول كيف يكون ولد الله وقد صور
في الرحم والمصور لا يكون اب للمصورة ثم انه تعالى لما اجاب
عن شبهتهم اعاد كلمة التوحيد زجرا للنصارى عن
قولهم التثليث فقال لا اله الا هو العزيز في ملكه وفيه اشارة
الى كمال القدرة فقدرته تعالى اكمل من قدرة عيسى على الاماتة
والاحياء الحكيم في صنعه وفيه اشارة الى كمال العلم فعلمه
اكمل من علم عيسى بعض الصور لا يدل على كونه العالم على
ان الله اكرمه بذلك اظهارا لمعجزته وعجزه عن الاحياء
في بعض الصور يوجب قطعا عدم الالهية لان الاله هو الذي
يكون قادرا على كل الممكنات عالما بجميع الجزئيات والكليات
قال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن
امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون
مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك او قال يبعث
الله اليه الملك باربع كلمات فيكتب رزقه وعمله واجله
وشقي او سعيد قال وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى لا
يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما
يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل

اهل الجنة فيدخلها وروى انه صلى الله عليه وسلم قال يدخل
الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم اربعين او خمسة
واربعين ليلة فيقول يارب اشقي ام سعيد فيكتبان فيقول
يارب ذكرا او انثى فيكتبان عمله ورزقه واجله ثم يطوى
الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص **هو الذي انزل عليك** يا
محمد **الكتاب** اى القران **منه ايات محكمات** احكمت عبارتها
بان حفظت عن الاحتمال والاشتباه فهي واضحات الدلالة
هن ام الكتاب اى اصله المعتمد عليه في الاحكام ويحمل
المتشابهات عليها وترد اليها ولم يقل امهات الكتاب لان
بالايات كلها في تكاملها واجتماعها كالاية الواحدة وكلام
الله واحد وقيل كل اية منهن ام الكتاب كما قال تعالى وجعلنا
ابن مريم وامه اية اى كل واحدة منهما اية وقوله تعالى
واخر نعت لمحذوف تقديره وايات اخر **متشابهات**
اى محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهره
الا بالفحص والنظر فان قيل لم جعل بعضه متشابها وهلا
كان كله محكما اجيب بان في المتشابه من الابتلاء حكمة
عظيمة وهي التمييز بين الثابت على الحق والمزلزل فيه
وليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا
في تدبيرها وتحصيل العلوم المتوقفة عليها استنباط
المراد بها فينالوا بها بالتعاب الفراغ في استخراج معانيها
والتوفيق بينها وبين المحكمات الدرجات العلى عند الله

فان

فان قيل الفرق هنا بين المحكم والمتشابه وقد جعل كل القرآن
محكما في موضع اخر فقال الر كتاب احكمت وجعله كله
متشابها في موضع اخر فقال الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها اجيب بانه حيث جعل الكل متشابها فمعناه ان
اياته يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ
وتنبيه اخر جمع اخر وانما ينصرف لانه وصف معدول
عن الاخر بالتاء ففيه الوصف والعدل وهما علتان يمنعان
الصرف فاما الذين في قلوبهم زيغ اى ميل عن الحق كالمبتدعة
فيتبعون ما تشابه منه اى فيتعلقون بظاهرها او
بتاويل باطل ابتغاء الفتنة اى طلب ان يفتنوا دينهم
بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء
تاويله اى وطلب ان يولوه على ما يشتهونه وما يعلم
تاويله اى الذى يجب ان يحمل الا الله والراسخون في العلم
اى الذين تبواء تمكنوا فيه وسيل مالك بن انس عن الراسخين
في العلم قال العالم العامل بما علم المتبع وقال غيره هو من
وجد في علمه اربعة اشياء التقوى بينه وبين الله والتواضع
بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة
فقال قوم الواو في قوله والراسخون واو العطف اى تاويل
المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهو مع علمهم
يقولون امنا به وهو قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله
يقولون حالا معناه والراسخون في العلم قائلين امنا به

وذهب الاكثرون الى ان الواو في قوله والراسخون واو الاستئناف
وتم الكلام عند قوله وما يعلم تاويله الا الله وهو قول ابي بن
كعب وعايشة وغيرهما وقالوا الا يعلم تاويل المتشابه الا
الله ويجوز ان يكون للقرآن تاويل استاثر الله بعلمه لم يطلع
عليه احد من خلقه كما استاثر بعلم الساعة ووقت طلوع
الشمس من مغربها وخروج الدجال وعدد الزبانية ونزول
عيسى عليه الصلاة والسلام ونحوها والخلق متعبدون
في المتشابه بالايمان به وفي المحكم بالايمان به والعمل وقال عمر
بن عبد العزيز في هذه الاية انتهى علم الراسخون في العلم
تاويل القرآن الآن قالوا امنا به قال في الكشاف والاول
هو الاوجه انتهى ووجه شيخنا القاضي زكريا بقوله لان
المتشابه على الثاني يصير الخطاب به كالخطاب بالمهملات
انتهى ومع هذا فالوجه هو الثاني لانه اشبه بظاهر الاية
ويدل له وجوه احدها انه ذم طالب المتشابه بقوله تعالى
فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية وثانيها انه مدح الراسخين
في العلم بانهم يقولون امنا وقال في اول البقرة فاما الذين
امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فجعل الراسخون اولئك
عالمين بتاويل المتشابه على التفصيل المذكور لهم من
الايمان به مدح لان كل من عرف شيا على سبيل التفصيل
فلا بد ان يومن به وثالثها لو كان قوله والراسخون موقوفا
لصار قوله يقولون امنا به ابتداء وهو بعيد عن الفصاحة

وكان

وكان الاولى ان يقال وهم يقولون او قال ويقولون فان قيل
فى تصحيحه وجهان الاول ان يقولوا خبر مبتدا والتقدير
هم العالمون بالتاويل يقولون امنا الثانى ان يكون يقولون
حالا من الراسخين اجيب بان الاول مدفوع بان تفسير
كلام الله تعالى بما لا يحتاج معه الى اضمار اولى والثانى ان
صاحب الحال هو الذى تقدم ذكره وهم الراسخون فوجب
ان يكون قوله امنا به حالا من الراسخين لا من الله وذلك
تزل للظاهر ورابعها قوله تعالى كل اى من المحكم والمتشابه من
عند ربنا معناه انهم امنوا به وبما عرفوا تفصيله وبما لم
يعرفوا تفصيله ولو كانوا عالمين بالتفصيل فى الكل لما ليق
لهذا الكلام فائدة وخامسها نقل عن ابن عباس انه قال
تفسير القران على اربعة اوجه تفسير لا يسع احدا جهله
وتفسير تعرفه العرب بلسانها وتفسير تعرفه العلما
وتفسير لا يعرفه الا الله تعالى وسئل مالك بن انس عن قوله
تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معلوم والكيفية
مجهولة والايمان به واجب والسوال عنه بدعة فان قيل
ما الفايدة فى لفظ عند ولو قال هو من ربنا حصل المقصود
اجيب بان الايمان بالمتشابه يحتاج فيه الى مزيد التاكيد
فان قيل لم حذف المضاف اليه من كل اجيب بان دلالته على
المضاف اليه قوية فالامن من اللبس بعد اللفظ حاصل وما
يذكر بادغام التاء الاصل فى الذال اى ليتيقظ بما فى القران

الا اولوا الالباب اى اصحاب العقول تنبيه وجه اتصال
هذه الاية واولها هو الذى انزل عليك الكتاب بما قبلها
واولها هو الذى يصوركم فى الارحام انه لما بين انه قيوم وهو
القيام بمصالح الخلق والمصالح قسمان جسمانى وروحانى
فالجسمانى اشرفها تعديل البنية على احسن شكل وهو المراد
بقوله تعالى هو الذى يصوركم فى الارحام واما الروحانى
فاشرفها العلم وهو المراد بقوله هو الذى انزل عليك الكتاب
واما احكى سبحانه وتعالى عن الراسخين فى العلم انهم يقولون
امنا به حكى انهم يقولون ربنا لا تزغ اى لا تمل قلوبنا من
طريق الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه بعد
اذ هديتنا وفقتنا له دينك والايمان بالمحكم والمتشابه قال
عليه الصلاة والسلام قلب ابن ادم بين اصبعين من
اصابع الرحمن ان شاء اقامه اى القلب على الحق وان شاء
ازاغه رواه الشيخان وغيرهما وقيل لا تبتلينا ببلاء تتزغ
فيه قلوبنا وعلى هذا الزمخشرى ووجه بان ما ذكر كناية او
مجاز اذ لا يجوز من الله الازاغة يسيل نفيها وهذا بنا على
مذهبه من الاعتزال واما مذهب اهل السنة فالزيغ
والهداية خلق الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وعن
ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
القلب كريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا وبطنا

لنا اى اعطنا من لدنك اى من عندك رحمة اى توفيقا
وتثبيتا للذى نحن عليه من الايمان والهدى او مغفرة
للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان
الهدى والضلال من الله تعالى وانه متفضل بما ينعم على عباده
لا يجب عليه شئ ما ربنا انك جامع الناس اى تجمعهم ليوم
اى فى يوم لا ريب اى لا شك فيه اى فى وقوعه وما فيه من
الحشر والجزاء وهو يوم القيامة فتجازيهم باعمالهم كما وعدت
وقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد اى موعوده بالبعث
يحتمل ان يكون من كلام الله تعالى وان يكون من كلام الراسخين
فيكون فيه التفات من الخطاب وكانهم لما طلبوا من ربهم
الصون عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة قالوا ليس
الغرض من هذا السؤال التعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية
وانما الغرض الاعظم منه ما يتعلق بالاخرة فانا نعلم انك
جامع الدنيا للجزاء فى يوم القيامة ووعدك حق فمن زاغ قلبه
بقى هناك فى العذاب ابد الاباد ومن وفقته وهديته ورحمته
بقى هناك فى السعادة والكرامة ابد الاباد تنبيه احتج
الوعيدية بهذه الاية على القطع بوقوع وعيد الفساق قالوا
لان الوعيد داخل تحت لفظ الوعد لقوله تعالى قد وجدنا ما
وعدنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا والوعد والميعاد واحد
وقد اورد فى هذه الاية انه لا يخلف الميعاد واجيب بانا لا نسلم
ان القول بالقطع بوقوع وعيد الفساق مطلقا بل بذلك

مشروط بعدم العفو كما هو مشروط بعدم التوبة بالاتفاق
كما انكم اثبتم ذلك الشرط بدليل منفصل سلمنا انه توعدهم
ولكن لا نسلم ان الوعيد داخل تحت لفظ الوعد ويكون قوله
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا لقوله تعالى فبشرهم بعذاب
اليم وكقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم فيكون من
باب التهكم وذكر الواحدي في البسيط انه يجوز ان يحمل هذا
على سعاد الاولياء ودن وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم
عند العرب لانهم يمدحون عدلك كما قال القايل
اذا وعد السراء انجز وعده وان وعد الضراء فالعفو مانعه
وقال الاخر
واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي
وما حكى الله سبحانه وتعالى دعا المومنين وتضرعهم حكى
كيفية حال الكافرين وشدة عقابهم بقوله تعالى ان الذين
كفروا وهو عام في الكفر وقيل المراد به وفد نجران او اليهود
او شركوا العرب لن تغني اي لن تنفع ولن ترفع عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيا اي من عذابه ويقال من
رحمته او من طاعته على معنى البدلية قاله البيضاوي اي
على من للبدل ومعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من
طاعته شيا اي بدل رحمته وطاعته قال ابو حيان واثبات
البدلية جمهور النحاة اباه واولئك اصحاب النار اي حطبها
وفي ذلك كمال العذاب لان كماله ان يزود عند ما يستنفع به

ثم يجتمع عليه الاسباب المولمة فالاول هو المراد بقوله تعالى
لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم فان المرء عند الشدة يفزع
الى المال والولد لانهما اقرب الامور التى يفزع اليها فى دفع
النوائب فبين تعالى ان صفة ذلك الامر مخالفة صفة
الدنيا واذا تعذر عليه الانتفاع بالمال والولد وهما اقرب
الطرق فما عداه بالتعذر اولى وتنكيره يوم لاينفع مال
ولا بنون الامن اتى الله بقلب سليم واما الثانى من اسباب
كمال العذاب وهو اجتماع الاسباب المولمة فهو المراد بقوله
تعالى فاولئك هم وقود النار وهذا هو النهاية فى العذاب فانه
لاعذاب اعظم من ان تشتعل النار فيهم كما قال تعالى فى الحطب
اليابس وقوله تعالى كدأب آل فرعون اما استيناف
مرفوع المحل خبر لمبتدا مضمر وتقديره دابهم فى ذلك كدأب
آل فرعون واما متصل بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن
عن اولئك او توقد النار بهم كما توقد النار بآل فرعون وقوله
تعالى والذين من قبلهم عطف على آل فرعون فيكون فى محل
جر وقيل استيناف فيكون فى محل رفع على الابتداء والخبر
وقوله تعالى كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم وعلى الاول
تكون هذه الجملة مفسرة لما قبلها وقوله تعالى والله شديد
العقاب فيه تهويل للمواخذة وزيادة تخويف للكفرة
ولما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر ورجع
الى المدينة جمع اليهود فى سوق قينقاع وقال يا معشر

اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر
واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل
تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت
قوما اغمارا اي جهالا لاجمع غمر لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم
فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فنزل
قل يا محمد للذين كفروا ستغلبون في الدنيا بالقتل والاسر
وضرب الجزية وقد وقع ذلك بقتل قريظة واجلاء بني
النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وتحشرون
في الاخرة الى جهنم وبئس المصير اي الفراش والمخصوص
بالذم محذوف اي بئس المهاد جهنم وفي هذه الآية اخبار
عن امر يحصل في المستقبل وقد وقع خبره على موافقته فكان
هذا اخبارا بالغيب فكان معجزة ولهذا لما نزلت هذه الآية
قال لهم صلى الله عليه وسلم ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم
وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على الغيبة والباقون بالتاء
على الخطاب فان قيل اي فرق بين القراءتين من جهة المعنى
اجيب بان معنى التاء الامر بان يخبرهم بما يجري عليهم
من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بما سيغلبون
ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل
على اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره
به من وعيد بلفظه ومعنى القراءة كانه قال او اليهم هذا
القول الذي هو لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم اية

اى

اى عبرة ودلالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون فانه
قيل لم لم يقل قد كانت لان الاية مؤنثة اجيب بانه انما ذكر
الفعل للفصل بينه وبين الاسم المؤنث بالكم فان الفصل
مسوغ لتذكير مع المؤنث الحقيقى كقوله
ان امرء غره منكن واحدة بعدى وبعدك فى الدنيا المغرور
وقال الفراء كل جامن هذا النحو فهذا وجهه والخطاب لمشركى
قريش وقيل لليهود وقيل للمؤمنين فى فئتين اى فرقتين
التقتا يوم بدر فئة مؤمنة تقاتل فى سبيل الله اى طاعة
وهم النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله تعالى عنهم
وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من
المهاجرين وماية وستة وثلاثون رجلا من الانصار
وصاحب راية المهاجرين على بن ابى طالب رضى الله تعالى
عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون
بعيرا وفرسان فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمرثد بن
ابى مرثد واكثر همهم رجالة وكان معهم من السلاح ستة
ادرع وثمانية بسيوف وفئة اخرى كافرة تقاتل فى سبيل
الشيطان وهم مشركو مكة وقوله تعالى يرونهم مثليهم
قراءة نافع بالتاء على الخطاب اى ترى المؤمنون المشركون
مثلى المؤمنين وكانوا ثلثمائة امثالهم ليثبتوا لهم ويوقنوا
بالنصر الذى وعدهم به فى قوله ان تكن منكم مائة صابرة تغلبوا
مائتين وما كانوا ان يقاوم الواحد العشرة فى قوله تعالى ان يكن

منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والباقون بالياء على
الغيبة اى يرى المشركون المومنين مثلى عدد المشركين وكانوا
تسعمائة وخمسين او مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة
وثلاثة عشر فان قيل هذا مناقض لقوله تعالى فى سورة الانفال
ويقللكم فى اعينهم اجيب بانه قللهم اولا حتى اجترؤا
عليهم فلما لاقوهم كثروا امدادا من الله تعالى للمومنين فى
اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالين مختلفين
رأى اى فى راى العين اى روية ظاهرة مكشوفة لا لبس
فيها معاينة كساير المعاينات وقد نصرهم الله تعالى مع قلتهم
والله يؤيد اى يقوى بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل
بدر بتكثيرهم فى عين العدو ان فى ذلك المذكور لعبرة اى
عظة لاولى الابصار اى لذوى البصاير افلا تعتبرون
بذلك فتومنون زين للناس حب الشهوات اى ما
تشتهيه النفس وتدعو اليه والمزين هو الله تعالى
للابتلاء كقوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع الانسانى او لانه
يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه
يرتضيه الله وقيل الشيطان هو المزين وذهب اليه
المعتزلة واستدلوا بقوله الحسن الشيطان والله
زينها لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها وانما سميت
شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا فى محبتها حتى احبوا

شهواتها

شهواتها كقوله تعالى احببت حب الخير والشهوة مستزلة
عند الحكماء مذمومة من أنبها شاهد على نفسه بالبهيمية
ثم بين ذلك بقوله تعالى من النساء انما بدأ بهن لانهن
حبائل الشيطان والبنين والقناطير جمع قنطار وهو
المال الكثير قيل ملئ مسك ثور اى ملئ جلده وعن سعيد
ابن جبير رضى الله تعالى عنه القنطار مائتا الف دينار
وقال ابن عباس والضحاك الف ومائتا المقنطرة اى المجتمعة
وقال السدى المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم
ودنانير وقال الفراء المضعفة فالقناطير مائتا الف والمقنطرة
تسعة من الذهب والفضة قيل سمى الذهب ذهبا لانه
يذهب ولا يبقى والفضة فضة لانها تنفض ولا تتفق
والخيل المسومة اى الحسان وقال سعيد بن جبير هى
الراعية يقال سام الخيل وسومها والخيل جمع لا واحد له من
لفظه واحدها فرس كالقوم والنساء والانعام جمع النعم
وهى الابل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه والحرث
اى الزرع ذلك اى ما ذكر من النساء وما بعده متاع الحياة
الدنيا اى يتمتع به فيها ثم يفنى والله عنده حسن
المآب اى المرجع وهو الجنة فينبغى الرغبة فيما عند من
الذات الحقيقية الابدية دون غيره من الشهوات الفانية
فان قيل المآب تستعمل الجنة وهى فى غاية الحسن
والنار وهى خالية عن الحسن كما قال تعالى ان جهنم كانت

قصة

مرصاد الطاغين ما اجيب بان المقصود بالذات هو
الجنة واما النار فمقصودة بالعرض والمقصود بالاية الترهيب
في الدنيا والترغيب في الاخرة قل يا محمد لقومك او نبئكم اخبركم
بخير من ذلكم اى المذكور من الشهوات وهذا استفهام
تقرير تنبيه هنا همزتان مختلفتان من كلمة الاولى
مفتوحة والثانية مضمومة قرا قالون بتخفيف الاولى
وتسهيل الثانية وادخل بينهما الفا ورش يسهل الثانية
من غير ادخال الف وينقل حركة الهمزة الاولى الى اللام من
قل فتضم اللام مفتوحة والثانية مضمومة وابن كثير
كورش الا انه لا ينقل الحركة الا في لفظ القرآن وقرأ وابو
عمرو يسهل الثانية ويدخل بينها الفا كقالون وله وجه
اخر وهو عدم ادخال الف بينهما والباقون بتحقيقهما
وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها اى مقدرين الخلود فيها اذا دخلوها
كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما
تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل عالم من صفته
كيت وكيت ويجوز ان تتعلق اللام بخير ويرتفع جنات
على هو جنات وازواج مطهرة من الحيض وغيره مما
يستقذر من النساء وقوله تعالى ورضوان من الله قراه
شعبة بضم الراء والباقون بكسرها وهما لغتان الكسر لغة
الحجاز والضم لغة تميم وقيل بالكسر اسم وبالضم مصدر

وعن

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا
اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك
فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى يا رب وقد
اعطيتنا مالم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم
افضل من ذلك فيقولون يا رب واي شئ افضل من ذلك
يقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا تنبيه
قد نبه سبحانه وتعالى في هذه الاية على نعمة فادناها متاع
الحياة واعلاها رضوان الله لقوله تعالى ورضوان من الله
اكبر واوسطها الجنة ونعيمها والله بصير اي عالم بالعباد
اي باعمالهم فيجازي كلا منهم بعمله او باحوال الذين اتقوا
فلذلك اعدلهم جنات وقوله تعالى الذين نعت للذين
اتقوا او للعباد او بدل من الذين قبله يقولون يا ربنا
انا امنا اي صدقنا فاغفر لنا ذنوبنا اي استرها
عليها وتجاوز عنا وقنا عذاب النار تنبيه في ترتيب
سؤال المغفرة وما عطف عليها وسيلة على مجرد الايمان
دليل على ان مجرد الايمان كاف في استحقاق المغفرة او به
الاستعداد لاسبابها واسباب ما عطف عليها وقوله
تعالى الصابرين اي على الطاعة وعن المعصية وعلى
البأساء والضراء نعت والصادقين اي في ايمانهم واقوالهم
قال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم

والسنتهم قصد قولهم السر والعلانية والقانتين اى المطيعين
لله والمنفقين اى المتصدقين والمستغفرين بالاسحار اى
اواخر الليل كانوا يقولوا اللهم اغفر لنا خصت بالذكر لانها
وقت الغفلة ولذة النوم وفى هذا كما قاله ابيضاوى حصر
لمقامات السالك على احسن الترتيب اى الذكرى فان معاملته
مع الله اما قول واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو
منعها من الرذايل وحبسها على الفضايل والصبر شملهما
واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو
القنوت الذى هو ملازمة الطاعة واما باطل وهو الانفاق
فى سبيل الخير واما الطلب بالاستغفار لان المغفرة اعظم
المطالب بل الجامع لها انتهى وتوسيط الواو بين الصابرين
وما بعده للدلالة على استقلال كل واحدة منها كما لم فيها
اقرب من الدعائى غيرها الى الاجابة لان العبادة حينئذ
اشق والنفس اصفى والعقل اجمع لمعانى الالفاظ الآتى
ينطق بها لاسيما المتهجد قيل انهم كانوا يصلون فى اول
الليل الى السحر ثم يستغفرون ويدعون وعن الحسن
كانوا يصلون فى اول الليل حتى اذا كان السحر جثوا فى
الدعاء والاستغفار فذانهارهم وهذا ليلهم وعن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ينزل الله الى سماء الدنيا اى امره كل ليلة حين يبقى ثلث
الليل فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذى يدعونى ٥

فاستجيب له من ذا الذي يسألني فاعطه ومن ذا الذي
يستغفرني فاغفر له وحكي عن الحسن ان لقمان قال
لابنه لا تكن اعجز من هذا الديك يصوت في الاسحار وانت
نايم على فراشك وعن زيد بن اسلم انه قال هم الذين
يصلون الصبح في جماعة وعبر بالسحر لقربه من الصبح
شهد الله اي بين خلقه بالدلايل وانزل الايات انه
لا اله اي لمعبود بحق في الوجود الا هو قال الطبري قدم
حبران من احبار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فلما
ابصر المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة
بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في اخر
الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد
قال نعم قالا له وانت احمد قال انا محمد واحمد قالا فانا نسالك
عن شيء فان اخبرتنا به امنا بك وصدقناك فقال سلا
قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل
الله هذه الاية فاسلم الرجلان وقال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما خلق الله الارواح قبل الاجساد بالفي سنة
وخلق الله الارزاق قبل الارواح بالفي سنة فشهد
لنفسه بنفسه قبل ان يخلق الخلق حين كان ولم يكن
سماء ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال شهد الله انه لا اله الا هو
وشهدت له الملايكة اي اقروا بذلك وشهد بذلك
اولوا العلم اي بالايمان والاحتجاج بذلك عليه فان قيل ما

المراد باولى العلم الذى عظمهم الله هذا التعظيم حيث جمعهم
معه وسمع الملايكة فى الشهادة على وحدانيته وعدله
اجيب بان المراد بهم الذين يثبتون وحدانيته وعدله
بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وخص علما العدل
والتوحيد من الانبيا والمرسلين وفيه دليل على فضل علم
اصول الدين وشرف اهله وقوله تعالى قائما اى بتدبير
مصنوعاته حال من الله وانما جاز اقراره تعالى بالعدم
اللبس وان اختلف فى مجئ زيد وعمرو راكبا منعه
الزمخشرى وتبعه البيضاوى وجوزه ابو حيان وقال
يحمل على الاقرب كما فى الوصف فى نحو جانى زيد وعمرو الطويل
او حال من هو والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد بالقسط
اى بالعدل وقوله تعالى لا اله الا هو كرر للتاكيد ومزيد
الاعتنا بمعرفة ادلة التوحيد والحكم بعد اقامة الحجة
وينبنى عليه قوله تعالى العزيز اى فى ملكه الحكيم اى
فى صنعه فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لان القدرة
تلايم الوحدانية والحكمة تلايم القيام بالقسط فاتى بهما
لتقرير الامرين على ترتيب ذكرهما ورفعهما على البدل من
الضمير الاول او الثانى او على المدح المحذوف وعن ابى غالب
القطان قال اتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الخمس
وكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان اخذ الى
البصرة قمت من الليل يتهجد فمر بهذه الاية اشهد الله

الى آخرها

الى آخرها ثم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله بها
واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة
ان الدين عند الله الاسلام فالهمه ان قلت لقد سمع فيها
فصليت معه وودعته ثم قلت اني سمعتك تردد ها فما
بلغك قال والله لاحدثنك بها الى سنة فكنت على بابه
ذلك اليوم واتت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد
قد مضت السنة فقال حدثني ابو وايل عن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة
فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى
بالعهد ادخلوا عبدي الجنة روى هذا الحديث الطبراني
والبيهقي لكن بسند ضعيف وقوله تعالى ان الدين المرضي
عند الله هو الاسلام جملة مستانفة مؤكدة له
للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو
الشرع المبعوث به الرسل كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام
دينا وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه وهو في الاخرة من الخاسرين وقرا الكسائي بفتح همزة
ان قيل على انه بدل من انه لا بدل الاشتمال وضعفه ابو حيان
قال فيه فصل بين البدل والمبدل منه باجنبي قال
والصواب انه معمول للحكم باسقاط الجار اي الحكيم بان
الدين والباقون بكسرها على الاستيناف وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى وقيل من ارباب

الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال
قوم انه مخصوص بالعرب وتفاه اخرون مطلقا او في
التوحيد فقالت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم
اميون ونحن اهل كتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بان التوحيد
انه الحق الذي لا محيد عنه بغيا اي ما كان ذلك الاختلاف
وتظاهر هو الا بمذهب الاحسد ابينهم وطلبا للرياسة
وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما
جاءهم العلم ببيان بعثته في كتبهم حيث آمن به بعض وكفر
به بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم
من امن بموسى ومنهم من امن بعيسى ولم يؤمن ببقية
الانبياء وقوله تعالى ومن يكفر بايات الله فان الله سريع
الحساب اي المجازاة له وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك
اي جادلوك الذين كفروا يا محمد في الدين فقل لهم اسلمت
وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل
فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه معه يعني ان ديني
دين التوحيد وهو الدين القيم الذي ثبت عندكم صحته
كما ثبت عندي وما جيت بشيء مبتدع حتى تجادلوني فيه
وخص الوجه بالذكر لشرفه فهو تعبير عن جملة الشخص
باشرف اجزائه الظاهرة وقوله تعالى ومن اتبعني عطف
على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز كما قال في

الكشاف ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه نظرا
الى ان المشاركة بين المتعاطفين فى مطلق الاسلام اى
الانقياد لا فيه بقيد وجهه حتى يمتنع ذلك لاختلاف
وجهيهما وقل للذين اوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى
والاميين اى الذين لا كتاب لهم وهم مشركو العرب
ءاسلمتم اسلمت انا فقد اتاكم من البينات ما يوجب
الاسلام يقتضى حصوله لا محالة امر انتم بعد على الكفر
وهذا كالتوكيد لمن لخصت له المسئلة ولم تبق من طرق
البيان والكشف طريقا الا سلكته هل فهمتها وفى هذا
الاستفهام اقتصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف
لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانا للحق
وكذلك فى هل فهمتها توبيخ بالبلادة وقيل المراد بالاستفهام
هنا الامر اى اسلموا كما قال تعالى فهل انتم منتهون اى انتهوا
فان اسلموا فقد اهتدوا اى نفعوا انفسهم حيث خرجوا
من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور فقد روى انه
صلى الله عليه وسلم هذه الاية فقال اهل الكتاب اسلمنا
فقال لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله
فقالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد
الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا فقال
عز وجل وان تولوا اى عن الاسلام لم يضروك فانما
عليك البلاغ فانك رسول الله منه ما عليك الا ان تبلغ

الرسالة وتنبه على طريق الهدى وقد بلغت وليس
اليك الهداية والله بصير بالعباد اى عالم بمن يؤمن
وبمن لا يؤمن فيجازى كلا منهم بعمله وهذا قبل الامر
بالقتال ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط
اى بالعدل من الناس وهم اليهود قتلوا ثلثمائة نبى
وقتلوا اتباعهم ومن فى عصره صلى الله عليه وسلم رضوا
به وقصدوا قتل النبى والمؤمنين فكف الله عصمهم
وعن عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اى الناس
اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او اى قتل
رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر وروى انهم قتلوا ثلثة
واربعين نبيا فى ساعة واحدة وسبعون من عبادهم فقتلوهم
من يومهم وخبران فبشرهم اى اعلمهم بعذاب اليم
اى مولم وذكر البشارة تهكم بهم فان قيل لم دخل الفاء فى
خبر ان مع انه لا يقال ان زيدا فقائم اجيب بان الموصول
متضمن معنى الشرط فكانه قيل الذين يكفرون فبشرهم
بمعنى من يكفر فبشرهم اولئك الذين حبطت اعمالهم
اى ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم فى الدنيا والاخرة
فلا يعتد بها لعدم شرطها وما لهم من ناصرين اى مانعين
عنهم العذاب الم تر اى تنظر الى الذين اوتوا نصيبا
اى حظا من الكتاب اى التوراة او جنس الكتب السماوية

ومن للتبعيض او البيان قال البيضاوى وتنكير النصيب
يحتمل التعظيم والتحقير انتهى اما التعظيم فظاهر وهو
ما اقتصر عليه الزمخشرى واما التحقير ففيه نظر اذ
النصيب المراد به الكتاب او بعضه لا حقارة فيه وقد
يقال ان تحقيره بالنسبة اليهم حيث لم يعملوا به يدعون
الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعى هو محمد صلى الله عليه
وسلم وكتاب الله القرآن او التوراة واختلفوا فى سبب نزول
هذه الاية روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس
قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس
اى موضع صاحب دراسة كتبهم على جماعة من اليهود
فدعاهم الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث
ابن زيد على اى دين انت قال دين ابراهيم فقالا له ان
ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهلموا الى التوراة هى بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله
عز وجل هذه الاية وروى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس
ان رجلا وامراة من اهل خيبر زنيا وكان فى كتابهم الرجم
فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الى النبى صلى
الله عليه وسلم ورجوا ان يكون عنده رخصة فحكم عليهما
بالرجم فقال له النعمان بن اوفى وعدى بن عمرو جرت علينا
يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينى وبينكم التوراة قالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم

بالتوراة قالوا رجل يقال له عبد الله بن صوريا فارسلوا
اليه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من التوراة
فيها الرجم مكتوب فقال له اقرا فلما اتى على اية الرجم وضع
كفه عليها وقرا ما بعدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام فرفع
كفه عنها ثم قرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما
البينة رجما وان كانت حبلى تربص حتى تضع ما في بطنها
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب
اليهود وانصرفوا فنزلت هذه الاية ثم يتولى فريق منهم
واتى بثم لاستبعاد توليهم مع علمهم بان الرجوع الى
كتاب الله تعالى واجب لا للتراخي في الزمان اذ لا تراخي
فيه وقوله تعالى وهم معرضون اي عن قبول حكمه جملة
حالية من فريق وانما ساغ لتخصيصه بالصفة ذلك
اشارة الى ما ذكر من التولي والاعراض بانهم قالوا اي
بسبب قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات اي قالوا
ذلك بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد
المايل والطمع الفارغ عن حصول المطموع فيه وهو
الخروج من النار بعد ايام قليلة وهي اربعون يوما مدة
عبادة ابايهم العجل ثم تزول عنهم وغرهم في دينهم والغرور
هو الاطماع فيما لا يحصل منه شيء ما كانوا يفترون اي من

ان النار لن تمسهم الا اياما قلايلا او ان اباهم الانبياء
يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب ان لا يعذب اولاده
الا نخلة القسم تنبيه في دينهم متعلق بغرهم ولا يصلح
تعلقه بيفترون خلافا للسيوطي لان ما قبل الموصول
لا يتعلق بما بعده فكيف حالهم او فكيف صنعهم اذا
جمعناهم ليوم اي في يوم لا ريب اي لا شك فيه وهو يوم
القيامة وفي ذلك استعظام لما يحيق بهم في الاخرة روي
ان اول راية اي علم ترفع يوم القيامة من رايات الكفار
راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على روس الاشهاد ثم
يومر بهم الى النار ووفيت كل نفس من اهل الكتاب وغيرهم
جزا ما كسبت اي عملت من خير او شر وفي ذلك دليل على
ان العبادة لا تحبط وان المومن لا يخلد في النار وان دخلها
لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها
فاذا هي بعد الخلاص اذ دخلها وهم لا يظلمون اي بنقص
حسنة او زيادة سيئة تنبيه ذكر ضمير وهم لا يظلمون
وجمعه باعتبار معنى كل نفس لانه في معنى كل الناس لكل
نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان ولما فتح النبي صلى الله
عليه وسلم امته ووعد امته ملك فارس والروم قال
المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك
فارس والروم فانزل الله سبحانه وتعالى قل اللهم اي يا الله
والميم عوض عن يا النداء ولذلك لا يجتمعان والتعويض من

خصا بهى هذا الاسم كما اختص بدخولها عليه مع لام
التعريف وقطع همزته وكما اختص به دخول يا القسم عليه
وان قولهم رب الكعبة فنادر مالك الملك اى مالك العباد
وما ملكوا قال الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة انا الله
مالك الملك ومالك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم
بيدى وان العباد اطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان
عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب
الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وهذا معنى قوله
صلى الله عليه وسلم كما تكونوا يولى عليكم تؤتى اى تعطى
الملك من الدنيا من تشاء من خلقك وتنزع الملك من
تشاء منهم وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم
الى قوم وقال الطيبى توتى الملك لمحمد واصحابه وتنزعه
من ابى جهل وصناديد قريش وقيل توتيه لادم وذريته
وتنزعه من ابليس وجنوده وتعز من تشاء من خلقك
وقيل محمد واصحابه حتى دخلوا مكة فى عشرة الاف ظاهرين
عليها وتذل من تشاء منهم وقيل ابو جهل واصحابه حزت
رؤسهم والقوا فى القليب وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل
من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالقناعة وتذل
من تشاء بتركه بيدك اى قدرتك الخير اى والشر
واقتصر على الاول لمراعاة الادب فى الخطاب او اكتفى بذكر
احد المتقابلين كما فى قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد

اولان

اولان الكلام وقع فيه اذ روى البيهقي وغيره انه صلى
الله عليه وسلم لما خط الخندق وقطع لكل عدة اربعين
ذراعا وآخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل
فيه المعاول فجاءوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدع عنها
وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها اى المدينة فكانه بها
مصباح حاجا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون معه
وقال اضاءت لي قصور منها الحيرة كانها نياب الكلاب اى
في بياضها وصفرتها وانضمام بعضها الى بعض واللابتان
حرتان يكتنفانها والحرة كل ارض ذات حجارة سوداء كانها
محترقة من الحر ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور
الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور
صنعاء اخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها اى الارض
التي اضاءت فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم
ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب اى المدينة
قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق
من الفرق اى الخوف فنزلت ونبه على ان التدبير بيده بقوله
الك على كل شئ قدير والتدبير ثم عقب ذلك ببيان قدرته
على تعاقب الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله فقال
تولج اى تدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمسة
عشر ساعة والليل تسع ساعات وتولج اى تدخل النهار

في الليل حتى يكون الليل خمسة عشر ساعة والنهار تسع
ساعات فيزيد كل منهما بما نقص من الاخر وتخرج الحي من الميت
كالانسان من النطفة والطائر من البيضة وتخرج الميت
من الحي كالنطفة من الانسان والبيضة من الطائر وقال
الحسن وعطا يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن
فالمؤمن حي القلب والكافر ميت القلب وقال الله تعالى اومن
كان ميتا فاحييناه وقال الزجاج يخرج النبات الغض
الطري من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات
الحي النامي وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وشعبة الميت
الميت بسكون الياء والباقون بكسر الياء مشددة وترزق
من تشاء بغير حساب اي رزقا واسعا عن علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد
الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك
الملك الى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله
عز وجل حجاب تقدس يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك
قال الله عز وجل بي حلفت لاقرانك احد دبر كل صلاة
الا جعلت الجنة مثواه على ما كان فيه ولاسكنته حظيرة
قدس وانظرت اليه بعيني المكنونة كل يوم سبعين مرة
ولاقضين له كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته
من كل عدو وحاسد ونصرته منه لا يتخذ المؤمنون الكافرين

اولیا

اولياء والوهم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نزلت فى
المنافقين عبد الله بن ابى واصحابه كانوا يتولون اليهود
والمشركين ويباطنونهم بالاخبار يرجون ان يكون لهم الظفر
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية
وفيها المؤمنين ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة
قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التى يتصادق بها
ويتعاشر وقوله تعالى من دون اى غير المؤمنين اشارة
الى انهم الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة
الكفرة والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم واصل من
اصول الايمان ومن يفعل ذلك اى يوال الكفرة فليس من الله
اى من ولاية الله فى شئ يصح ان يسمى ولاية شرعية قال
ولاية المتعادين لاجتماعهما بينهما من التضاد كما قال القائل
فليس اخى من ودنى راى عينه ولكن اخى من ودنى فى الغائب
تود عدوى ثم تزعم انتى صديقك ليس النوك عنك بعازب
بعين مهملة وراء اى بناءب والنوك بضم النون الحمق
والجنون ثم استثنى فقال الا ان تتقوا منهم تقاة اى الا
ان تخافوا منهم مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب
كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام كن وسطا فى معاشرتهم
ومخالفتهم وامش جانبا امن موافقتهم فيما يامرون
وينهون وهذا قبل عزة الاسلام واجرى فى بلد ليس فيها
قوى كما قال معاذ بن جبل ومجاهد كانت التقية فى بدء الاسلام

قبل استحكام الدين وقوة المسلمين واما اليوم فقد اعز الله
الاسلام فليس ينبغي لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم
ويحذركم الله اي يخوفكم نفسه اي يغضب عليكم ان واليتموهم
والى الله المصير اي المرجع فيجازيكم فلا تتعرضوا للسخط
بمخالفة احكامه وموالاة اعدايه وهو تهديد عظيم مشعر
بتناهي النهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذور
منه عقاب يصدر منه فلا يبالي عنده بما يحذر من الكفرة
قل لهم يا محمد ان تخفوا ما في صدوركم اي قلوبكم من موالاة
الكفار او غيرها مما لا يرضى الله او تبدوه اي تظهروه يعلمه
الله ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به وقال الخليل ان
تسروا ما في قلوبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من
التكذيب او تظهروه بحربه وقتاله يعلمه الله هو الذي
ويعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه منه شيء
قط فان يخفى عليه سركم وعلانيتكم والله على كل شيء قدير
فهو قادر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه وهذا بيان
لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه لان نفسه متصفة
بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات
باسرها فلا تقصوه اذ ما من سفسبة الا وهو مطلع عليها
لا محالة قادر على العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه
اراد الاطلاع على احواله بان يوكل من يتجسس عن مواطن
امور لاخذ حذره منه كل الحذر فما بال من علم ان العالم

الذى يعلم السر واخفى مهيمن وهو امن اللهم انا نعوذ بك من
اغترارنا بسترك ونسالك اليقظة من سنة الغفلة يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نصب يوم بمضمر
نحو اذكر وقوله تعالى وما عملت اى عملته من سوء مبتدا خبره
تود لو ان بينها اى النفس وبينه اى السوء امدا بعيدا
اى غاية فى نهاية البعد فلا يصل اليها وكرر سبحانه وتعالى
ويحذركم الله نفسه قال البيضاوى للتاكيد والتذكير وقال
التفتازانى الاحسن ما قيل ان ذكره اولا للمنع من موالات
الكافرين وثانيا للحث على عمل الخير والمنع من عمل الشر
وقوله تعالى والله روف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم
وحذرهم رافة بهم ومراعاة لصلاحهم وعن الحسن من
رافته بهم ان حذرهم نفسه وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة
روف بقصر الهمزة والباقون بالمد وورش على اصله فى
المد والتوسط والقصر ونزل فى اليهود والنصارى
حيث قالوا نحن ابنا الله واحباوه قل لهم يا محمد ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقال الضحاك عن ابن
عباس وقف النبى صلى الله عليه وسلم على قريش وهم
فى المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيضا
وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم
ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل فقال له قريش انا نعبدها
حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى قل

لهم يا محمد ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام لتقربكم
اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجة عليكم
اى اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فحب المؤمن لربه
اتباعهم امره وايثار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله
للمؤمنين ثناؤه عليهم وتوابه لهم ومغفرته عنهم فذكر قوله
تعالى ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور لمن اتبعني ما سلف
من ذنبه قبل ذلك رحيم به وعن الحسن رحمه الله قوم على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد
ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف
سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رايت من
يذكر محبة الله ويصفق بيده مع ذكرها ويطرب وينعر
ويصفق فلا تشكن انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة
الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا انه تصور
في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشوقة فسماها الله
بجهله وذعارته ثم صفق وطرب ونعر وصفق على تصوره
وربما رايت المتن قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمق
العامة حوالية قد ملأوا ازارهم بالدموع لما رقهم من حاله
ولما نزلت هذه الاية قال عبد الله بن ابي لاصحابه ان محمدا
يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احب النصارى
عيسى فنزل قوله تعالى قل لهم اطيعوا الله والرسول فيما يامركم
به من التوحيد فان تولوا اى اعرضوا عن الطاعة فان

الله

الله لا يحب الكافرين اى لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم وانما اتى
بالظاهر ولم يقل ولا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان
المتولى كفر وانه من هذه الحيثية ينفى محبة الله وان محبته
مخصوصة بالمومنين ولما اوجب سبحانه وتعالى طاعة الرسل
وبين انها الحالية لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم
تحريضا على الطاعة بقوله تعالى ان الله اصطفى اى اختار
ادم ونوحا وآل ابراهيم وهم اسماعيل واسحاق واولادهما
الرسل وقد دخل فى ال ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وال عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر على العلمين
بالرسايل والخصايص الروحانية والجسمانية وكذلك قووا
على ما لم يقو عليه غيرهم وبهذه الاية استدل بعض الرسل
على الملايكة وقيل ال عمران عيسى وامه مريم بنت عمران
ابن ماثان قوله وكان بين العمرانين الخ فى تفسير البيضاوى
وكان بين العمرانين الف وثمانية سنة انتهى تامل وكان
بين العمرانين الف وثمانية سنة وقيل ال ابراهيم وال
عمران انفسهما وقوله تعالى ذرية بدل من ال ابراهيم
وال عمران بعضها من ولد بعض منهم وقيل بعضها من
بعض فى الدين والذرية تقع على الواحد والجمع والذكر
والانثى والله سميع لاقوال الناس عليم باحوالهم
فيصطفى من كان مستقيم القول والحال واذكر اذ قالت
امراة عمران وهى حنة فاقوذا امر من عمر وعمران هو عمران

ابن ماثان وليس هو عمران ابو موسى وهارون فان كان بين
العمرانين الف وثمنمائة سنة كما مر وكان بنو ماثان روس
بني اسرايل واحبارهم وملوكهم فايسدة وسمت امراة
بالتا المجرورة ووقف ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالهاء
والباقون بالتاء ووقف الكسائي بالفتح والامالة واذا وقف
حمزة سهل الهمزة وروي عن حنة كانت عاقرا تجول اذ بينما هي
في ظل شجرة اذ رات طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته
فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت فلما احست
بالحمل قالت يا رب اني نذرت اي اجعل لك ما في بطني محررا
اي عتيقا خالصا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس
وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فقال لها زوجها
ويحك ما صنعت ارايت ان كان ما في بطنك انثى لا تصلح
لذلك فوقعا جميعا في الهم من ذلك وهلك عمران وحنة حامل
بمريم فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع لقولي
العليم بنيتي فلما وضعتها اي ولدتها جارية واضمير
لما في بطنها وانما ذكر على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في
علم الله او على تاويل النفس والنسمة ولما لم يكن محررا الا
الغلمان وكانت ترجو ان يكون غلاما وانما نذرت تحريرا
قالت معتذرة يا رب اني وضعتها انثى فان قيل كيف جاز
انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولها وضعت

الانثى انثى اجيب بان الاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث
الحال لان الحال وصاحبها بالذات واحد واما على تاويل
النفس او النسمة فهو ظاهر كانها قالت انى وضعت النفس
او النسمة انثى والله اعلم اى عالم بما وضعت قرا ابن عامر
وشعبة بسكون العين وضم التا فيكون كلامها قالته
تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه
الانثى خير من الذكر وقرا الباقون بفتح العين وسكون التا
فيكون من كلام الله تعالى تعظيما للموضوع وتجهيلا لها
بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشان الذى
وضعت وما عطف به من عظايم الامور وان يجعله وولده
اية للعالمين وهى جاهلة بذلك لا تعلم منه شيا فلذلك
تحسرت وقرا ابو عمرو والله اعلم بسكون الميم واخفايها عند
الباء بخلاف عنه والباقون بالاظهار وقوله تعالى وليس
الذكر كالانثى بيان لما فى قوله والله اعلم بما وضعت من
التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذى
طلبت كالانثى التى وهبت لها واللام فيهما للعهد اما فى
لام الانثى ففى قولها انى وضعتها انثى واما فى لام الذكر
ففى قولها محررا ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر
والانثى سيان فيما ندرت لما ترى الانثى من الحيض
والنفاس فتكون اللام للجنس وقوله تعالى وانى سميتها
مريم عطف على انى وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان

كقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما ذكرت ذلك لان بها
تقربا اليه وطلبا لان يصلحها ويعصمها حتى يكون فعلها
مطابقا لاسمها فان من مرقى لغتهم معنى العابدة تنبيه
في قوله تعالى حكاية سميتها مريم وجعلت اسم المولود
مريم وان اعيذها اي اجيرها بك اي بحفظك وذريتها
اي اولادها من الشيطان الرجيم اي المطرود روى
الشيخان ما من مولود الا مسه الشيطان حين يولد
فيستهل صارخا الا مريم وابنها ولا يبعد كما قاله الطيبي
اختصاص عيسى وامه بهذه الفضيلة دون الانبياء لجواز
ان يمكن الله الشيطان من مسهم مع عصمتهم من الاغواء
ولا يمتنع كما قاله التفتازاني ان مس الشيطان المولود
حين يولد بحيث يصرخ كما نرى ونسمع وليست تلك
المسة للاغواء البتة فهو انه لا تنصرف في حق المولود حيث
يولد وحينئذ فقوله البيضاوي معناه ان الشيطان يطمع
في اغواء كل مولود اي لا يسلم منه اخراج الحديث عن ظاهره
وتبع فيه الزمخشري وهو ما سلكه المعتزلة حيث انكروا
هذا الحديث وقد حوا في صحته لان الشيطان انما يدعو
الى الشر من له تمييز وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بني ادم يطعن
الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم
ذهب يطعن فطعن في الحجاب فتقبلها ربها اي قبل مريم

من امها رضى بها فى النذر ومكان الذكر يقبل حسن وهو
اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر ولم يقبل قبلها انثى
وانبتها نباتا حسنا اى انشاها خلقا حسنا فكانت
تنبت فى اليوم كما ينبت المولود فى العام وكفلها زكريا قرا
عاصم وحمزة والكسائى بتشديد الفاء وقصر وزكريا غير
عاصم فى رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا
مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها فلا بد من تقدير
مضاف فى الاية وهو مصالح لان كفالة البدن لا معنى لها وقرا
الباقون بتخفيف الفاء ومد وزكريا مرفوعا على الفاعلية روى
ان حنة لما ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد
الاقصى ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم اى الاعظم او فى الصلاة
فقال زكريا انا احق بها لان خالتها عندى فقالت الاحبار
لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التى
ولدتها لكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه وهو
وكانوا تسعة وعشرين رجلا فانطلقوا الى نهر الاردن فالقوا
اقلامهم على ان من ثبت قلمه فى الماء وصعده فهو اولى بها
فثبت قلم زكريا فاخذها وضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا
شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها غرفة فى المسجد وجعل
بابها فى وسطه لا يرقى اليه الا بالسلم ولا يصعد اليها غيره
وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الشتا

فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتا كما قال تعالى كلما دخل
عليها زكريا المحراب اى الغرفة او المحراب اشرف المجالس
ومقدمها ولذلك هو من المسجد ويقال ايضا للمسجد
محراب قال المبرد لا يكون المحراب الا ان يرتقى اليه بدرج وجد
عندها رزقا قال الربيع بن انس كان زكريا اذا خرج
يغلق عليها اربعة ابواب فاذا دخل عليها عرفتها وجد عندها
فاكهة الصيف فى الشتا وفاكهة الشتا فى الصيف فاذا وجد
عندها ذلك قال يا مريم انى لك هذا اى من اين لك هذا
الرزق الاتى فى غير اوانه والابواب مغلقة عليك قالت وهى
صغيرة هو من عند الله يأتينى به من الجنة قيل تكلمت فى
المهد وهى صغيرة كما تكلم ابنها عيسى وهو صغير فى المهد
ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة وفى
هذا دليل واى دليل على كرامة الاولياء وليس ذلك معجزة
لزكريا كما زعمه جماعة لان ذلك مما وقع به اشتباه الامر
عليه حتى قال لها انى لك هذا ولو كان معجزة له لادعاها
وقطع بها لان الذى شاهد ذلك ويدل عليها غير ذلك قصة
اصحاب الكهف ولبثهم فى الكهف ثلثمائة عددا بلا طعام ولا
شراب وقصة اصف من اتيانه بعرش بلقيس قبل
ارتداد الطرف ورؤية عمر رضى الله تعالى عنه وهو على المنبر
جيشه بنهاوند حين قال يا سارية الجبل الجبل وسماع
سارية ذلك وكان بينهما مسافة شهر وشرب خالد رضى

الله

الله عنه السم من غير ان يضره وبالجملة فكرامات الاوليا
حق ثابت بالكتاب والسنة وليس بعجيب انكارها من اهل
البدع والاهوا اذا لم يشاهدوا ذلك من انفسهم ولم يسمعوا
به من روسايهم الذين يزعمون انهم على شي فوقعوا في اوليا
الله تعالى لاصحاب الكرامات يمزقونهم ويسمونهم بالجهلة
المتصوفة ولم يعرفوا ان مبنى هذا الامر على صفا العقيدة
ونقا السريرة واقتفا الطريقة واصطفا الحقيقة وانما
العجب من بعض فقها السنة حيث قال فيما روى عن ابراهيم
بن ادهم انهم روه بالبصرة يوم التروية وفي ذلك بمكة ان
من اعتقد ذلك يكفر والانصاف ما ذكره الامام النسفي حين
سيل عن ما يحكى ان الكعبة كانت تزور بعض الاوليا هل يجوز
القول به فقال بعض القادة على سبيل الكرامة لاهل الولاية
جايز عند اهل السنة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله تعالى عنها
رغيفين وبضعة لحم في طبق مغطى اثرته به فرجع بذلك
اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو
خبزا ولحما فبهتت وعلمت ان ذلك من عند الله ان الله
يرزق من يشا بغير حساب فقال لها عليه الصلاة والسلام
الحمد لله الذي جعلك سيدة نسا بني اسرايل ثم جمع صلى
الله عليه وسلم عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته
فاكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على

جيرانها فهذه كرامة لفاطمة رضي الله تعالى عنها وفي هذه
الرواية دليل على ان قوله تعالى ان الله يرزق من يشا
بغير حساب اي رزقا واسعا بلا تبعة من كلام مريم رضي
الله تعالى عنها ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى ولما راى
زكريا كرامة مريم ومنزلتها قال ان الله قدر على ان ياتي
مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب قادر على ان يصلح
زوجتي ويهب لي ولدا من غير حينه على الكبر فطمع في الولد
وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد شاخ
وايس من الولد قال الله عز وجل هنالك دعا زكريا ربه
اي في ذلك المكان او الوقت قال الزمخشري فقد يستعار
هنا وثم وحيث للزمان اي لمشابهة الزمان للمكان في الظرفية
فاستعير له فدخل زكريا المحراب وناجى ربه في جوف الليل
قال يا رب هب لي اي اعطني من لدنك من عندك
ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر اي ولدا مباركا
تقيا صالحا رضيا والذرية يكون واحدا وجمعا ذكرا وانثى وهو
هنا واحد بدليل قوله فهب لي من لدنك وليا يرثني وانما
قال طيبة لتانيث لفظ الذرية انك سميع اي مجيب
الدعا لمن دعاك فلا تردني خايبا فنادته الملايكة
اي جنسهم كقولهم فلان يركب الخيل فان المنادي كان جبريل
وحده وقرا حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير
والباقون بالتا وهو قايم يصلي في المحراب اي المسجد وذلك

ان

ان زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح باب
الذبح فلا يدخلون حتى يوذن لهم في الدخول فبينما هو قايم
يصلي في المحراب والناس ينتظرون ان يوذن لهم في الدخول
فاذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه
وهو جبريل وقرا ان الله يبشرك بيحيى ابن عامر وحمزة
بكسر الهمزة على ارادة القول وان النداء نوع من القول والبا
بالفتح على بان وقرا حمزة والكسائي بفتح اليا من يبشرك
وسكون البا الموحدة وضم الشين مخففة والباقون بضم
اليا وفتح البا الموحدة وكسر الشين المشددة واختلفوا
في انه لم سمي يحيى قال ابن عباس لان الله احيى به عقر
امه وقال قتادة لان الله احيى قلبه بالايمان وقيل لان
الله احياه بالطاعة حتى انه لم يهم بمعصية وهو اسم
اعجمي منع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وقيل
عربي ومنع صرفه للتعريف ووزن الفعل كيعمر وجمعه
يحيون كموسون وعيسون مصدقا بكلمة كاينة من الله
اي بعيسى انه روح الله وسمي كلمة لانه خلق بكلمة كن
وقيل لان الله اخبر الانبيا بكلامه في كتابه انه يخلق
نبيا بلا اب فسماه بكلمة لحصوله بذلك الوعد وكان
يحيى اول من امن بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من
عيسى بستة اشهر ثم قتل يحيى قبل ان يرفع عيسى
عليهما الصلاة والسلام وقول البيضاوي وكان يحيى

قون

وعيسى ابنا خالة من الاب فيه تجوز اذ يحيى بن خالة ام
عيسى لا ابن خالته وعيسى بن بنت خالة يحيى لا ابن
خالته وسيدا اى يسود قومه فيصير متبوعا وقال
الضحاك السيد الحسن الخلق وقال سعيد بن جبير السيد
الذى يطيع ربه وقال سعيد بن المسيب السيد الفقيه
العالم وحصورا اى مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات
والملاهى روى انه مر وهو طفل بصبيان قد دعوه للعب فقال
ما للعب خلقت وقال سعيد بن المسيب الحصور هو العنين
الذى لا مال له فكون الحصور بمعنى المحصور كانه ممنوع من
النساء وقيل كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك
اغض لبصره وقيل هو الممتنع من الوحى مع القدرة عليه
واختار قوم هذا القول لوجهين احدهما ان السلام خرج
مخرج الثناء وهذا اقرب الى استحقاق الثناء الثانى انه ابعد
من الحاق الآفة بالانبياء ونبيا ناشيا من الصالحين لانه
كان من اصلاب الانبياء وكان من جملة الصالحين فمن
هذا للتبعيض كقوله تعالى وانه فى الاخرة لمن الصالحين قال
رب انى اى كيف يكون لى غلام اى ابن وقد بلغنى الكبر
اى ادركنى كبر السن وائرنى وكان عمره مائة وعشرين سنة
وقيل تسع وتسعين سنة وامرأتى عاقر اى لا تلد من العقر
وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد وكانت بنت ثمان
وتسعين سنة فان قيل كيف قال زكريا بعد ما وعده الله

تعالى انى يكون لى غلام اكان شابا فى وعداسه وفى قدرته
اجيب بانه قال ذلك استعلاما مع حيث العادة كما قالت
مريم او استعظاما وتعجبا او استفهما عن كيفية حدوثه
اى اتجعلنى وامراتى شابين اقترفنا ولدا على الكبر منا
او قترفنى امراة اخرى وقيل ان زكريا لما سمع نداء الملائكة
جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذى سمعت ليس
هو من الله انما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحاه
اليك كما يوحى اليك فى سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة
قال الامر كذلك اى من خلق غلام منكما الله يفعل
ما يشاء لا يعجزه عن شئ ولاظهار هذه القدرة العظيمة انبه
الله السوال ليجاب به ولما شافت نفسه الى سرعة المبشر
به قال رب اجعل لى اية اى علامة اعرف بها حمل امراتى
لاستلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال اية لك عليك ان
لا تكلم الناس تمتنع من كلامهم ثلاثة ايام اى بلياليهن
كما فى مريم ثلاث ليال الا رمزا اى اشارة بيد اورأس او غيرهما
منقطع وقيل المتصل والمراد بالكلام حينئذ ما دل على ما فى
الضمير وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه
عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم
بذكر الله ولذا قال واذكر ربك كثيرا وسبح اى صل بالعشى
وهو من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار اى وهو
من طلوع الفجر الى وقت الضحى فانه قيل لم حبس لسانه

عن كلام الناس اجيب انما فعل به ذلك لتخلص لهذه المكرمة
لذكر الله تعالى لا يشغل لسانه بغيره توقرا منه على قضاء حق
تلك النعمة الجسيمة كانه لما طلب الآية من اجل الشكر عجل له
اينك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب
واوقعه ما كان مشتقا من السوء ومنتزعا منه وقال
قتادة امسك لسانه عن الكلام عقوبة له سؤاله الآية
بعد مشافهته الملائكة اياه فلم يقدر على الكلام ثلاثة
ايام واذكر اذ قالت الملائكة اى جبريل قال لها
شفاها يا مريم ان الله اصطفاك اى اختارك بان تقبلك
من امك ولم يقبل قبلك انثى وفرغك للعبادة واغناك به
برزق الجنة عن الكسب وتكليمه لها شفاها كرامة لها وقيل
كان معجزة لزكريا وقيل كان لها هما اى تاسيسا لنبوة
عيسى عليه الصلاة والسلام بطريق الخوارق قبل
البعثة كاظلال الغمام لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل البعثة
بطريق الشام وانما حمل على هذا التاويل لانها ليست
بنبية على الاصح بل حكى البيضاوى الاجماع على انه تعالى
لم يستنبئ امراة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا
لكن نوزع فى دعوى الاجماع لان الخلاف ثابت فى نبوة مريم
اذ القول بنبوتها مشهور وطهرك اى من مسيس الرجال
ومما يستقذر من النساء واصطفاك ثانيا على نساء العلمين
بهذا بتلك وارسال الملائكة اليك وتخصيصك بالكرامات

السنية

البشرية كالولد من غير اب ولم يكن لاحد من النساء
فائدة افضل نساء العالمين من مريم كما في الاية او قيل
بشبوتها ثم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خديجة
امها ثم عايشة ثم اسية امراة فرعون فخاتة قيل روى
الطبراني خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة
بنت خويلد ثم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اسية امراة فرعون اجيب بان خديجة انما فضلت
فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة يا مريم
اقنتي لربك اي اطيعه واسجدي واركعي مع الراكعين
اي وصلي مع المصليين في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة
المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم
فان قيل لم قدم السجود على الركوع اجيب باحتمال انه كان
كذلك في تلك الشريعة وقيل بل كان السجود قبل الركوع في
الشرايع كلها او للتنبيه على ان الواو لا تقتضي الترتيب
ذلك اي ما قصصناه عليك يا محمد من حديث زكريا وزكي
ومريم وعيسى من انباء الغيب نوحيه اليك اي من الغيوب
التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اي عند هم اذ
يلقون اقلامهم في الماء اي سهامهم التي طرحوها فيها
وعليها علامة على القرعة وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون
بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها ليعلموا ايهم يكفل
مريم اي يحضنها ويربيها اي متعلق بمحذوف تقديره علم

من التقدير وما كنت لديهم اذ يختصمون في كفالتها فتعرف
ذلك فتخبر به وانما عرفته من جهة الوحي فان قيل لم نفيت
المشابهة وانتفاؤها معلوم من غير شبهة وترك استماع
الابنا من حفاظها وهو موهوم اجيب بانه كان معلوما
عندهم علما تهيئا انه ليس من اهل السماع والقراة وكانوا
منكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراة ومثل ذلك
قوله تعالى وما كنت بجانب الطور الغربي وما كنت بجانب
الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم واذكر اذ قالت
الملائكة اي جبريل يا مريم ان الله يبشرك بكلمة اي
بابن اسمه المسيح عيسى بن مريم وانما خاطبها بنسبته
اليها تنبيها على انها تلده بلا اب وعادة الابنا نسبتهم الى
ابايهم لا الى امهاتهم ونسبته اليها فضلت واصطفيت
على نسا العالمين فان قيل هذه ثلاثة اشيا الاسم منها
عيسى واما المسيح والابن فلقب فصفة اجيب بان
الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن من سواه مجموع
هذه الثلاثة والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق
والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله
وجعلني مباركا اينما كنت واشتقاقه من المسح لانه مسح
بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في
موضع او لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن او
لان جبريل مسحه بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه

سبيل

سبيل او لانه كان مسيح القدم لا خمصا له وقال ابن عباس
سمي مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برئ وسمي الدجال
مسيحا لانه كان ممسوح احدى العينين وعيسى معرب
ايشوع وهو بالشين المعجمة السيد قاله البيضاوي
وسيدا اشتقاقه من العيس وهو بياض يعلوه حمرة
تكلف خبره لاطايل تحته وقوله تعالى وجيها اى ذا جاه
حال مقدرة من كلمة وهو وان كانت نكرة لكنها موصوفة
فان قيل لم ذكر ضمير الكلمة اجيب بان المسمى بها مذكر في
الدنيا بالنبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة بالشفاعة
والدرجات العلى ومن المقربين عند الله لعلو درجته في
الجنة ورفعه الى السماء وصحبته الى الملائكة ويكلم الناس
في المهد اى صغيرا قبل اوان الكلام كما ذكر في سورة مريم
قال ابن عبد الله اتاني الكتاب الاية وحكي عن مجاهد
قال قالت مريم كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثني وحدثته
فاذا اشغلني عنه انسان سمع في بطني وانا اسبح والمهد
ما يهدء للصبي من مضجعه وقوله تعالى وكهلا عطف
على في المهد اى ويكلم الناس في هاتين الحالتين من كلام الانبياء
من غير تفاوت بين حال الطفولية وحال الكهولة التي
يستحكم فيها العقل ويستتب فيها الانبياء وقد رفع بعد الكهولة
وقيل انه رفع شابا وعلى هذا المراد كهلا بعد نزوله وذكر
تعالى احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن

الالوهية فان قيل فما فائدة البشارة بكلامه كهلا والناس
في ذلك سواء اجيب بانه بشرها بانه يبقى الى ان يتكهل
وبعد ما التفاوت بين الحالين كما مر وقوله تعالى ومن
الصالحين اى من عباد الله الصالحين حال من كلمة او من
ضميرها الذى في يكلم فان قيل لم ختم الصفات المذكورة بقوله
ومن الصالحين بعد الوجاهة في الدنيا فسرت بالنبوة
وكذا ان النبوة ارفع من منصب الصلاح بل كل واحد
من الصفات المذكورة اشرف من كونه صالحا اجيب بانه
لا يكون كذلك الا ويكون في جميع الافعال والتروك مواظبا
على المنهج الاصلح وذلك يتناول جميع المقامات في الدين
والدنيا في افعال القلوب وفي افعال الجوارح ولهذا قال
نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام بعد النبوة
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين فلما عد بصفاته
عليه الصلاة والسلام اراد فيها بهذا الوصف على ارفع
الدرجات قالت رب اى ياسيدى تقوله الله عز وجل
وقيل تقوله لجبريل قاله النقاش وقاله الزمخشري ومن
بدع التفاسير قولهما رب انه لجبريل بمعنى ياسيدى
انى اى كيف يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر اى ولم
يصبني رجل بتزوج ولا غيره قالت ذلك تعجبا اذ لم تكن
جرت العادة بان يولد مولود بلا اب او استبعادا ان
يكون بتزوج او بغيره قال الامر كذلك من خلق ولد

منك بلا اب الله يخلق ما يشا القايل جبريل او الله
وجبريل حكى لها لقوله تعالى اذا قضى امرا اى اراد كون شى
فانما يقول له كن وقرا فيكون ابن عامر بفتح النون
والباقون بضمها اى فهو يكون لانه كما يقدر ان يخلق الاشيا
مدرجا باسباب ومراد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك
فنفخ جبريل فى جنب درعها فحملت وكان من امرها ما
ذكر فى سورة مريم وسياتى ان شا الله تعالى الكلام عليه
هناك وقوله تعالى ونعلمه الكتاب اى الكتابة والحكمة
اى العلم المقرب الى العمل والتوراة والانجيل كلام مستانف
ذكر تطييبا لقلبها او ازاحة لما همها من خوف اللوم حين
علمت انها تلد من غير زوج وقيل المراد بالكتاب جنس
الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرا نافع وعاصم
باليا والباقون بالنون وتجعله رسولا الى بنى اسرايل
اما فى الصبى او بعد البلوغ فايدة كان اول انبيا بنى
اسرايل يوسف واخرهم عيسى عليه الصلاة والسلام
ولما بعث اليهم قال انى رسول الله اليكم انى اى بانى قد
جيتكم باية اى علامة من ربكم تصدق قولى وانما قال
باية وقد اتى بايات لان الكل دل على شى واحد وهو صدقه
فى الرسالة ولما قال ذلك ذلك لبنى اسرايل قال وما هى
قال هى انى قرا نافع وحده بكسر الهمزة على الاستيناف
وفتح اليا من انى نافع وابو عمرو وسكنها الباقون اخلق

اى اصور كائنا من الطين كهيئة الطير اى مثل صورته فيصير طيرا
كسائر الطيور حيا طيارا والكاف اسم مفعول وقرا ورش بالمد
على البدل من هيئة والتوسط كما تقدم فى يتلى فانفخ فيه الضمير
للكاف اى فى ذلك المماثل اى فى فيه فيكون طيرا باذن الله اى
بارادته فيه بذلك على انه احياه من الله لا منه وقرا نافع بالف
بعد الطاء بعدها همزة مكسورة ورقق ورش اللام على اصله
والباقون بيا ساكنة بعد الطاء من غير الف قراءة الجمع نظرا الى
انه خلق طيرا كثيرا وقراءة المفرد نظرا الى انه نوع واحد من
الطير لانه لم يخلق غير الخفاش وانما خص الخفاش لانه اكمل
الطير خلقا لان له اسنانا وللانثى ثدى وتحيض قال
وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب
عن اعينهم سقط ميتا البين فعل الخلق من فعل الله
وليعلم ان الكمال لله عز وجل وابرئ اى اشفى الاكمه وهو
الذى ولد اعمى او ممسوح العينين قال الزمخشرى ويقال
لم يكن فى هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى
صاحب التفسير ولعل هذا على التفسير الثانى والابرص
وهو الذى به برص وهو بياض شديد يبقع الجلد ويذهب
دمويته وانما خص هذين المرضين بالذكر لانهما اعيا الاطباء
وكان الغالب فى زمن عيسى الطب فاراهم المعجزة من
جنس ذلك قال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى فى
اليوم الواحد خمسون الفا من اطاق منهم ان يبلغه اتاه

ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعا وحده
على شرط الايمان وانما قال ثانيا واحيي الموتى باذن الله
وكرر باذن دفعا لتوهم الالوهية فان الاحيا ليس من جنس
الافعال البشرية قال ابن عباس قد احيا عيسى اربعة
انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح
فاما عازر فكان صديقا له فارسلت اخته الى عيسى ان
اخاك عازرا يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة ايام
فاتاهو واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال
لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره فدعا
الله فقام وخرج من قبره وبقي وولد له واما ابن العجوز
فمر به ميتا على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره
ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على
عنقه ورجع الى اهله فبقي وولد له واما ابنة العاشر فكان
رجلا ياخذ العشور ماتت له بنت بالامس فدعا الله
تعالى فاحياها فبقيت وولد لها واما سام بن نوح فان
عيسى جا الى قبره ودعا فخرج من قبره وقد شاب نصف
راسه خوفا من قيام الساعة وما كانوا يشيبون في ذلك
الزمان فقال قد قامت القيامة فقال لا ولكن قد دعوت الله
فاحياك ثم قال مت قال بشرط ان يعيذني الله من سكرات
الموت فدعا الله تعالى ففعل به وانبئكم اي اخبركم بما تاكلون
بما لم اعاينه وما تدخرون اي تخبون في بيوتكم حتى تاكلوه

وكان يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما اكل اليوم وبما ادخره
للعشاء وقال السدى كان عيسى في الكتاب يخبر الغلمان
بما تصنع اباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا
وكذا ورفعوا لك كذا وكذا فينطلق الصبي الى اهله ويبكي
عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من اخبرك بهذا
فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لهم لا تلعبوا
من هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا
ليس هاهنا قال فما هذا البيت قالوا خنازير قال عيسى
كذلك يكونوا ففتحوا عنهم فاذا هم خنازير فنشأ ذلك في
بني اسرائيل فتهتهت بنو اسرائيل فلما خافت عليه امه حملته
على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما هذا
في المائدة وكانت خوانا ينزل عليهم اينما كانوا كالمن والسلوى
وامروا ان لا يخونوا ولا يخبوا الغد فخانوا وخبأوا فجعل عيسى
يخبرهم بما اكلوا من المائدة وادخروا منه فمسخهم الله
خنازير ان في ذلك لاية الذي ذكرت لكم ان كنتم مؤمنين
اي مصدقين للحق غير معاندين وقوله تعالى ومصدقا
منصوب بامضار فعل يدل عليه قد جيتكم اي وجيتكم
مصدقا لما بين يدي اي قبلي من التوراة ولاحل لكم
بعض الذي حرم عليكم فيها في شريعة موسى عليه الصلاة
والسلام فاحل لهم اكل الشحوم والثروب وهو شحم رقيق
يغشى الكرش والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت

وقيل

وقيل احل الجميع فيه في بمعنى كل لقول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها
يعني بالنفوس هنا فقيل كيف يكون مصدقا للتوراة
والاحلال يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى
اجيب بان ذلك لا يخل بكون مصدقا للتوراة كما لا يعود
بنسخ القرآن بعضه ببعض عليه يتناقض ويتكاذب
فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الزمان وانما كرر
وجيتكم بآية من ربكم للتاكيد وليبنى عليه فاتقوا الله
اي في مخالفة امره اي جيتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم
من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالمخبيات وغير
من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد وغير ذلك فهي في
الحقيقة ايات وانما وحدها لانها كلها جنس واحد في الدلالة
على رسالته واطيعون فيما ادعوكم اليه من توحيد الله
وطاعته ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال
ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا العقد
لم يختلفوا فيه فاعبدوه اي لازموا طاعته التي هي
الاتيان بالاوامر والانتهاء عن النواهي هذا الذي ادعوكم
اليه صراط اي طريق مستقيم اي هو المشهور له
بالاستقامة روى الامام احمد وغيره ان رجلا قال يا
رسول الله مرني بامر في الاسلام لا اسئل عنه احدا بعدك قال
قل امنت بالله ثم استقم وما قال لهم ذلك كذبوه ولم

يومنوا به كما قال تعالى فلما احس عيسى اى علم منهم الكفر علما
لاشبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس قال من انصاري قرا
نافع بفتح الياء والباقون بالسكون اى اعوان وقوله الى الله
متعلق بمحذوف حالا من الياء اى من انصاري اى ذاهبا
الى الله ملتجأ اليه لانصر دينه وقيل الى ههنا بمعنى مع
او في او اللام قال الحواريون نحن انصار الله اى اعوان
دينه واختلفوا في الحواريين فقال السدي لما بعث الله
تعالى عيسى الى بني اسرائيل كذبوه واخرجوه فخرج هو وامه
يسيحان في الارض فنزلا في قرية على رجل فاضافهما
واحسن اليهما وكان لتلك المدينة جبار متعبد فجاء ذلك الرجل
مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها
مريم ما شان زوجك اراه كيبا قالت لا تسلني قالت
اخبريني لعل الله يفرج كربته قالت ان لنا ملكا يجعل
على كل رجل منا يوما ان يطعمه وجنوده ويسقيهم خمرا
فاذا لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا
سعة قالت فقولي له لا يهتم فاني امر ابني فيدعو له فيكفيني
ذلك فقالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى قولي له اذا
اقترب ذلك فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل
ذلك فدعا الله عيسى فتحولت تلك القدور لحما ومرقا وما
الخوابي خمرا لم ير الناس قط مثله فلما جاء الملك اكل فلما
شرب الخمر قال من اين هذا الخمر قالت من ارض كذا قال فاني

خير من تلك الارض وليست مثل هذه قال فهي من ارض
اخرى فلما خلط على الملك اشتد عليه قال فانا اخبرك عندي
غلام لا يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه وانه دعا الله فجعل
الماخمر وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه فمات قبل ذلك
بايام وكان احب الخلق اليه فقال ان رجلا دعا الله فجعل
الماخمر ايجابه الى حتى يحيى ابني قد غا عيسى اليه
فكلمه في ذلك فقال عيسى لا افعل فانه ان عاش وقع شر
قال الملك لا عليك قال عيسى ان احييته تتركني انا وامي
نذهب حيث شئنا قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما
راه اهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا الهنا
هذا حتى انا دنا موته يريد ان يستخلف علينا ابنه فيالها
كما الهنا ابوه فاقتتلوا وذهب عيسى ثم بالحواريين وهم
يصطادون السمك فقال ما تصنعون قالوا نصطاد
السمك قالوا ومن انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله
فقالوا امنا اى صدقنا بالله واشهد يا عيسى بانا
مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل
لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت من الانجيل واتبعنا
الرسول عيسى فاكتبنا مع الشاهدين لك بالوحدانية
او مع النبيين الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى
الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس وقال الحسن كانوا
قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اى يبيضونها

وعلى الاول سموا حواريين لبياض ثيابهم وقال عطى سلمت
مريم عيسى الى اعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الحواريين
وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم
منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال يا
عيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وانا خارج في سفر
لا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد
علمت على كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به
فيجب ان تكون فارغا منها عند قدومي وخرج فطبخ عيسى
حيا على لون واحد وادخله جميع الثياب وقال كوني
باذن الله على ما اريد منك فقدم الحواري والثياب كلها
في الجب فقال ما فعلت قال فرغت منها قال اين هي قال في
الجب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت تلك الثياب فقال
قم فانظر فاخرج عيسى ثوبا اصفر وثوبا اخضر وثوبا
احمر الى ان اخرجها على الالوان التي ارادها فجعل الحواري
يتعجب ويعلم ان ذلك من الله فقال للناس تعالوا فانظروا
فامن هو واصحابه فهم الحواريون وقال الكلبي وعكرمة
الحواريون الاصفيا وهم كانوا اصفيا عيسى اول من امن
به وكانوا اثني عشر من الحور وهو البياض الخالص وحوار
الرجل صفوته وخالصته وقيل للحضريات الحواريات
لخلوص الوانهن ونظافتهن قال القايل
فقل للحواريات يبكين عبرة ولا يبكيا الا الكلاب النوابحا

ومكروا

ومكروا اى كفار بنى اسرائيل الذى احس عيسى منهم الكفر
به وذلك ان عيسى عليه الصلاة والسلام بعد اخراج
قومه اياه وامه عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم
بالدعوة فهموا بقتله وتواطيوا على الفتك به ووكلوا
من يقتله بحيلة وهى بالكسر ان يخدع غيره فيذهب
به الى موضع فاذا صار اليه قتله فذلك مكرهم اذ المكر
من المخلوق الخبث والخديعة والحيلة واما من الخالق وهو
قوله تعالى ومكر الله اى بهم والله خير الماكرين اى
اعلمهم به فقال الزجاج مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزا باسم
الابتدا لانه فى مقابلته كقوله تعالى الله يستهزئ منهم وهو
خادعهم ومكر الله تعالى بهم فى هذه الاية بان القى شبهة
على صاحبهم الذى اراد قتل عيسى حتى قتل روى ان عيسى
استقبل رهطا من اليهود فلما راوه قالوا قد جا الساحر بن
الساحر والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع ذلك
دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير فلما راى ذلك يهودا
راس اليهود وامير هم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت
كلمة اليهود على قتل عيسى وساروا اليه ليقتلوه فبعث
الله اليه جبريل فادخله فى خوخة فى سقفها كوة فرفعه
الله الى السما من تلك الكوة فامر يهود راس اليهود رجلا
من اصحابه ان يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل لم ير عيسى
فابطا عليهم فظنوا انه يقاتله فيها فالقى الله عليه شبه

عيسى فلما خرج قطنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه فلما
صلب جاءت امر عيسى وامراة كان عيسى دعا لها فابرأها
الله من الجنون يبكيان عند المصلوب فجاءها فقال لهما
على ما تبكيان اما الله رفعني ولم يصبني الا خير وان
هذا شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله لعيسى اهبط
الي من يومك فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن حزنها ثم
لتجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله عز
وجل فاهبطه الله اليهما فاشتمل حين اهبط نور
فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة ثم رفعه الله
اليه وتلك الليلة هي التي تدخن فيه النصارى فلما
اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله
عيسى عليه الصلاة والسلام الهم وروى ان الله تعالى
ارسل اليه سحابة فرفعته فتعلقت به امه وبكت فقال
لها ان القيامة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس
وله ثلاث وثلاثون سنة وقالت اهل التواريخ حملت
مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته لضحى خمس
وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل فاوحى
الله اليه على راس ثلاثين سنة ورفعه اليه من بيت
المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاثة وثلاثين
سنة وكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت امه بعد رفعه
ستة سنين وقوله تعالى اذ قال الله ظرف لخير الماكرين

او لمكر

او لمكر الله او لمضمر مثل ما ذكر يا عيسى اني متوفيك اي
مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار
وموخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا
بايديهم او قابضك من الارض من توفيت مالي اي قبضته
او متوفيك نايما كما قال تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل
اي ينبوكم اذ روي انه رفع نايما كما قال تعالى او ممسك
عن الشهوات العايقة عن العروج الى عالم الملكوت ه
ورافعك الي اي محل كرامتي ومقر ملايكتي روي ان الله
رفعه وكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم
والمشرب وطار مع الملايكة فهو معهم حول العرش وكان انسيا
ملكيا سماويا ارضيا وقال محمد بن اسحاق النصارى ه
يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه
ورفعه وقال الضحاك ان في الاية تقديما وتاخيرا معناه
اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا اي مخرجك
من بينهم ومنجيك منهم ومتوفيك بعد انزالك من السما
روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم
ابن مريم حكما يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع
الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وروي حديث انه
ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال
والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وفي حديث مسلم

انه يمكث بعد نزوله سبع سنين وفي حديث عند ابي داود والطيالسي
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون فيحمل على ان
مجموع بعثه في الارض قبل الرفع وبعده اربعون وقيل
للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى في القران قال
نعم قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا وهو لم يتكهل
في الدنيا وانما معناه كهلا بعد نزوله من السما انتهى
وهذا انما يأتي على القول بانه رفع شابا واما على القول بانه
رفع بعد ثلاثة وثلاثين فلا دليل فيه اذ الكهولة من
الثلاثين الى الاربعين **وجاعل الذين اتبعوك** اي صدقوا
بنبوتك من النصارى ومن المسلمين لانه متبعوه في
اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع **فوق الذين كفروا**
بك من اليهود والنصارى اي يقلبونهم بالحجة والسيف
الى يوم القيامة وقيل المراد بالذين اتبعوه النصارى
وبالذين كفروا اليهود اذ لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم
يتفق لهم ملك ودولة وملك النصارى قايم الى قريب
من قيام الساعة وعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعا
والمحبة لا اتباع الدين **ثم الي مرجعكم** المضمر لعيسى
ومن امن معه ومن كذبه وغلب المخاطب على الغايبين
فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين ثم يبين
الحكم بقوله **فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في**
الدنيا والاخرة بالقتل والسبي والجزية والذلة **واعذبهم**

الاخرة بالنار فان قيل الحكم مرتب على الرجوع الى الله وذلك
في القيامة فكيف يصح في تبيينه العذاب في الدنيا اجيب
بان المقصود التابيد من غير نظر الى الدنيا والآخرة في
قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض وما لهم من
ناصرين اى مانعين منه واما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم اى اجور اعمالهم وقرا حفص بالياء والباقون
بالنون والله لا يحب الظالمين اى لا يرحم الكافرين ولا
يثني عليهم بالجميل وقوله تعالى ذلك اشارة الى ما سبق
من خبر عيسى ومن عمران وامرات عمران وهو مبتدا خبره نتلوه
اى نقصه عليك يا محمد وقوله تعالى من الايات خبر
بعد خبر او خبر مبتدا محذوف او حال من الهاء والذكر الحكيم
اى القرآن وصف بصفة من هو سببه او كانه ينطق بالحكمة
لكثرة حكمه وقيل هو اللوح المحفوظ وهو معلق بالعرش
من درة بيضاء ولما قال وفد نجران للرسول صلى الله
عليه وسلم ما لكم تشتمون صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول
انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى
العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا قط من غير
اب فنزل ان مثل عيسى اى شانه وحالته الغريبة عند
الله كمثل ادم اى كشانه في خلقه من غير اب وقوله
تعالى خلقه اى ادم من تراب جملة مفسرة لحاله شبه
عيسى بادم اى خلق ادم من تراب ولم يكن له اب وكان

فكذلك حال عيسى فان قيل كيف شبه به وقد وجد هو
من غير اب وادم بغير اب وام اجيب بانه مثليه في احد
الطرفين ولا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من
تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه
شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة
وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب
واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب
بالاغرب ليكون اقطع للخصم واجسم لمادة شبهته
اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلما
انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا
اب له قال فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي
الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة انفس
وحزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص
قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما
ومعنى خلق ادم من تراب اي صور جسده من تراب ثم قال
له كن اي نشاه بشرا بان نفخ فيه الروح كقوله تعالى
ثم انشاناه خلقا اخر وقوله تعالى فيكون حكاية حال
ماضية اي فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير اب فكان
ويجوز ان تكون ثم لتراخي الخبر لا لتراخي المخبر عنه وقوله
تعالى الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي امر عيسى وقوله
تعالى فلا تكن من الممترين اي الشاكين خطابا للنبي

صلى

صلى الله عليه وسلم ان يكون مقترنا بمن حاجك اى جادلك
من النصارى فيه اى عيسى من بعد ما جاءك من العلم
اى من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله
فقل لهم تعالوا اى هلموا بالراء والعزم ندع جزم
بجواب الامر وعلامة جزمه سقوط الواو ابناءنا وابناءكم
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا
ومنكم بنفسه واعزة اهله وانما قدمه على النفس لان
الرجل يخاطر بنفسه لهم ويجاب دونهم فنجتمعهم ثم
نبتهل اى نتضرع فى الدعاء ونبالغ فيه فنجعل لعنة
الله على الكاذبين بان نقول اللهم العن فى امر عيسى
فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على وفد نجران
ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فى امرنا
ثم نأتيك غدا فخلا بعضهم ببعض وقال للعاقب وكان
ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم
يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم
بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش
كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لنهلكن فان ابيتم
الا الاقامة على دينكم وعلى ما انتم عليه من القول فى
صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى

خلفه وعلى خلقها وهو صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا انا
دعوت فامنوا فقال اسقف نجران وهو اسم سرياني
لرئيس النصارى وعالمهم وهو يعرا لعاقب يا معشر
النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبل
من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه
الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم راينا
على ان نباهلك وان نتركك على دينك ونثبت على ديننا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة
فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا فقال
اني انابذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك
على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي
اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب تؤديها
للمسلمين وعارية ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين
بعيرا وثلاثين من كل صنف من اصناف السلاح يغزو
بها والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها فصالحهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي
بيده ان العذاب تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا
قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولا
استاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر
ولاحال الحول على النصارى حتى هلكوا كلهم وعن عايشة
رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

خرج

خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله
ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفي ذلك دليل
على نبوته صلى الله عليه وسلم وعلى فضل اهل الكساء
رضي الله تعالى عنهم وعن بقية الصحابة اجمعين
فائدة رسمت التاء هنا بالتاء المجرورة ووقف ابن
كثير وابو عمرو والكسائي عليها بالهاء والباقون بالتاء ان
هذا اي الذي قص عليك من نبا عيسى لهو القصص
اي الخبر الحق الذي لا شك فيه وقرأ قالون وابو عمرو
والكسائي بسكون الهاء من لهو والباقون بالرفع حيث جاء وهو اما
فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره
والجملة خبر ان فان قيل لم جاز دخول اللام على الفصل اولى
لانه اقرب الى المبتدأ واصلها ان تدخل على المبتدأ وما من
اله الا الله بانما صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق
تاكيد للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز
في ملكه الحكيم في صنعه فلا احد يساويه في القدرة
التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا
اي اعرضوا عن الايمان فان الله عليم بالمفسدين
فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر ليدل على
ان التولي عن الحق وكل اعراض عن التوحيد افساد للدين
والاعتقاد المودي الى فساد النفس بل والى فساد

العالم ولما قدم وفد نجران المدينة والتقوا مع اليهود
واختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى
انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت
اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه واولى الناس به فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برئ من ابراهيم
ودينه بل كان ابراهيم حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا
دينه الاسلام فقالت اليهود ما تريد يا محمد الا ان
تتخذ ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى
يا محمد ما تريد الا ان تقول فيك ما قالت اليهود في عزير
نزل قل يا اهل الكتاب وهو يعم اهل الكتابين وهم
اليهود والنصارى تعالوا الى كلمة العدل تستوي بها فصلة
لها شرح كلمة ومنها سميت القصيدة كلمة وقوله تعالى
سواء مصدر بمعنى مستو امرها الاختلاف فيها الرسل
والكتب بيننا وبينكم فهو نعت للكلمة لان المصادر لا تثنى
ولا تجمع ولا تؤنث فاذا فتحت السين مددت واذا كسرت
او ضممت قصرت كقوله تعالى مكانا سوى ثم فسر الكلمة
بقوله ان لا نعبد الا الله اى نوحده بالعبادة ونخلصه
فيها ولا نشرك به شيئا اى ولا نجعل غيره شريكا له في
استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله اى ولا نقول عزير
ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا

من التحريم والتحليل لانهم بشر مثلنا وفى الترمذى لما
نزل قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس
كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قالوا نعم
قال فتلك عبادتهم اى اعتقادكم بقولهم فان تولوا اى اعرضوا
عن التوحيد فقولوا انتم لهم اشهدوا بانا مسلمون
اى موحدون دونكم فقد لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان لا
تعترفوا بذلك كما يقوله الغالب للمغلوب فى حد او وضع
او نحو ذلك اعترف بانى الغالب وسلم لى الغلبة قاله
البيضاوى وفى تنبيه انظر ما اعلى الله فى هذه القصة
من المبالغة والارشاد وحسن التدرج فى الحجاج بين اولا
احوال عيسى وما تقاربه عليه من الاطوار المنافية
للالوهية ثم ذكر ما يخل اعتقادهم ويزيح اى يزيل شبهتهم
فلما راى اعنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من
الاعجاز فلما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد
اليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم
الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب
ثم لما لم يجد اى ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر
لا تغنى عنهم اعرض وقال اشهدوا بانا مسلمون
يا اهل الكتاب وقد مر انه يعم اهل الكتابين اليهود
والنصارى ثم تحاجون اى تخاصمون فى ابراهيم بزعمكم

انه على دينكم وما انزلت التوراة على موسى والانجيل على
عيسى الا من بعده اى بزمن طويل اذ كان بين ابراهيم
وموسى الف سنة وبين موسى وعيسى الفا سنة وبعد
نزول التوراة حدثت اليهودية وبعد نزول الانجيل حدثت
النصرانية افلا تعقلون بطلان قولكم حتى لا تجادلوا
مثل هذا الجدال ها انتم يا هؤلاء ها للتنبيه وانتم
مبتدا خبره حاججتم انجادلتم فيما لكم به علم من
شان ابراهيم وليس له ذكر في كتابكم والله يعلم ما
حاججتم فيه وانتم لا تعلمون اى جاهلون به ثم قال
تعالى تبرئة لابراهيم ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا اى مائلا عن الاديان كلها الى الدين
القويم مسلما اى موحدا منقادا لله وليس المراد انه كان
على دين الاسلام والا لاشترك الالزام لانهم يقولون الاسلام
حدث بنزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وكان
ابراهيم قبله بمدة طويلة فكيف يكون على ملة الاسلام
الحادثة بنزول القرآن فعلم ان المراد بكونه ابراهيم مسلما
انه كان على ملة التوحيد لا على هذه الملة وما كان من
المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود والنصارى
لاشراكهم عزيرا والمسيح ان اولى الناس اى احقهم
بابراهيم من امته الذين اتبعوه من امته وهذا
النبي والذين امنوا والله ولى المؤمنين اى ناصرهم وحافظهم

ولما

ولما دعى اليهود معاذا وحذيفة وعمارا الى دينهم نزل ودت
اى تمنت طايفة من اهل الكتاب لن يضلونكم عن دينكم
ويردونكم الى الكفر وما يضلون الا انفسهم اى امثالهم او
ان اثم اضلالهم عليهم والمومنون لا يطيعونهم فيه
وما يشعرون بذلك يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات
الله بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون انها ايات الله عز
وجل او بالقران العزيز وانتم تشهدون نعته فى الكتابين
او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق اى القران المشتمل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وانتم تعلمون انه حق وقالت طايفة من اهل الكتاب
اى اليهود وقالوا لجماعة منهم امنوا بالذى انزل على الذين
امنوا اى القران اى اظهروا الايمان به وجه النهار اى
اوله وانما سمى اوله وجها لانه احسنه ولانه اول ما يرى
بعد الليل واكفروا به اخره لعلهم اى المومنين يرجعون
عن دينهم اذا رؤكم رجعتم واختلف فى هذه الطايفة فقال
الحسن هى اثنا عشر من يهود خيبر وقرى عرينة تواطوا
وقال بعضهم لبعض ادخلوا فى دين محمد اول النهار وقولوا
انا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علمانا فوجدنا محمدا ليس بذلك
فظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه فى دينهم
واتهموه وقالوا انهم اهل كتاب وهم اعلم به منا فيرجعون

عن دينهم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي وهو كعب بن
الاشرف ومالك بن الصيف قالا لأصحابها لما تحولت القبلة
وشق ذلك على اليهود امنوا بالذي انزل على الذين
امن الكعبة وصلوا عليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا
الى قبلتكم اخر النهار وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هؤلا
اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا ولا تؤمنوا الا
لمن تبع اى وافق دينكم اى ولا تقروا عن تصديق قلب
الا لاهل دينكم ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الامر
كان على دينكم فان رجوعهم اولى واظهر فاطلع الله سبحانه
وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم بتنبيه قال
البغوى اللام فى لمن صلة اى لا تصدقوا الا من تبع
دينكم اليهودية كقوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم
اى ردفكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله الذى هو
الاسلام وما عداه ضلال وقوله تعالى ان يؤتى بمعنى
الهمزة اى ايؤتى احد مثل ما اوتيتم يا امة محمد او يحاجوكم
اى الا ان يحاجوكم اليهود بالباطل فيقولون نحن افضل
منكم وقوله تعالى عند ربكم اى عند فضل ربكم يكم ذلك وهذا
معنى قول سعيد بن جبير والكلبي ومقاتل والحسن وهو
حسن وقال الفراء ويجوز ان يكون بمعنى حتى كما يقال اتعلق
به او يعطيكم اى حتى يعطيكم حتكم ويكون معنى الاية
ما اعطى احد مثل ما اعطيتم يا امة محمد من الدين والحجة

حتى

حتى يحاجوكم عند ربكم اى يوم القيامة وقال مجاهد قوله
قل ان الهدى هدى الله كلام معترض بين كلامين وما
بعده متصل بالكلام الاول اخبارا عن قول اليهود بعضهم
لبعض اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والايات من
المن والسلوى وفلق البحر وغيرها من الكرامات ولا تؤمنوا
ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم وقرا ابن كثير
وحده بهمزة واحدة وقال الزمخشري ويجوز ان يكون هدى
الله بدلا من الهدى ويجوز ان يؤتى احد خبرا على معنى قل
ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى
يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحجتهم وقد حضر اجتماعكم
قال ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله
ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى
الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قال تعالى
قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده والله
واسع اى كثير الفضل عليم بمن هو اهله يختص
برحمته اى نبوته من يشاء والله ذو الفضل العظيم قتى
ذلك ردا وابطالا لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل
الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده
اليك كعبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا
ومايتى اوقية من الذهب فاداه اليه ومنهم من ان تامنه

بدينار لا يؤده اليك كفحاص بن عازورا استودعه رجل اخر
من قريش دينارا فجحده الا ما دمت عليه قائما اى الا
ان اودعته واسترجعته منه وانت قايم على راسه لم تفارقه
رده اليك وان تفارقته واخرته انكرك ولم يرده وقيل
المامون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخا
في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم وقرا حمزة وابو عمرو
وشعبة يؤده ولا يؤده اليك باسكان الها فهو وصل بنية
الوقف فهو سكون وقف بالنية لا بالفعل وقالون باختلاس
حركة الها وحفص والكساى بالحركة الكاملة والالف في
قنطار ودينار بالامالة لابي عمرو والدورى عن الكساى
وورش بين بين والباقون بالفتح ذلك اى ترك الادا المدلول
عليه بقوله تعالى لا يؤده بانهم قالوا اى بسبب قولهم
ليس علينا في الاميين اى العرب سبيل اى اثم
لاستحلالهم ظلم من خالفهم ونسبوا ذلك الى الله تعالى
قالوا لن يجعل الله لهم في التوراة حرمة فكذبهم الله عز وجل
بقوله عز من قايل ويقولون على الله الكذب في نسبة ذلك
اليه وهم يعلمون انهم كذبوا وقال الحسن وابن جريج
ومقاتل بايع اليهود رجلا من المسلمين في الجاهلية فلما
اسلموا تقاضوهم بقية اموالهم فقالوا ليس لكم علينا
حق ولا عندنا قضا لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد
بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فاكذبهم

الله

الله تعالى في ذلك روى الطبراني وغيره انه صلى الله
عليه وسلم قال عند نزول هذه الاية كذا اعد الله ما من
شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي اي منسوخ بتركك
الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر اي والدون من
الامانة لان المراد بالامانة الرضى بالذمة وقوله تعالى
بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم في الاميين سبيل
ثم ابتدأ فقال من اوفى بعهده اي ولكن من اوفى بعهد الله
الذي عهد اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقرآن واداء الامانة واتقى الله بترك المعاصي وفعل
الطاعات فان الله يحب المتقين فيه وضع الظاهر
موضع المضمر اي يحبهم بمعنى يثيبهم فان قيل فاين
الضمير الراجع من الجزاء الى من اجيب بان عموم المتقين
قام مقام رجوع الضمير ونزل في احبار من اليهود حرفوا
التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانة
وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة ان الذين يشترون اي
يستبدلون بعهد الله اليهم في الايمان للنبي والوفاء بادا
الامانة وايمانهم اي واحلافهم به تعالى كاذبا من قولهم
والله لتومنن ولتنصرنه ثمنا قليلا من الدنيا اولئك
لا خلاق اي لا نصيب لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله
اي بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسالونهم يوم
القيامة ولا ينظر اليهم اي ولا يرحمهم يوم القيامة ولا

يزكيهم اى ولا يثنى عليهم بالجميل ولا يطهرهم من الذنوب
ولهم عذاب اليم اى مولم وقيل نزلت فى رجل اقام سلعة
فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل
نزلت فى جماعة من اليهود جاؤا الى كعب بن الاشرف فى
سنة اصابتهم متاربت فقال لهم اتعلمون ان هذا الرجل
رسول الله قالوا نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم
فحركم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله اشتبه علينا فرودا
حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا
اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذى نعت لنا
ففرح وما رهم وعن الاشعث بن قيس نزلت فى كان
بينى وبين رجل خصومة فى بير او ارض فاختصمنا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه
قلت اذا يحلف ولا يبالى فقال من حلف على يمين يه
يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان
فانزل الله تصديق ذلك هذه الاية وعن ابى ذر رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا
يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم
عذاب اليم قال فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث مرات فقال ابو ذر خابوا وخسروا من هم يا رسول
الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب
وفى رواية المسبل ازاره وعن ابى هريرة عن النبى صلى

الله

الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم
القيامة ولهم عذاب اليم رجل حلف على يمين على مال
مسلم فاقتطعه ورجل حلف على يمين بعد صلاة العصر
انه اعطى بسلعته اكثر مما اعطى وهو كاذب ورجل منع
فضل فان الله تعالى يقول اليوم امنعك فضلي كما منعت
فضل ما تعمل يدك وان منهم اى اهل الكتاب لفريقا
اى طائفة ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي
ابن اخطب يلوون السنتهم بالكتاب اى يقلبونها
بقراءته عن المنزل الى ما حرفوه من نعت النبي صلى الله
عليه وسلم واية الرجم وغير ذلك يقال لوى لسانه عن كذا
اى غيره لتحسبوه اى المحرف المدلول عليه بقوله تعالى
يلوون من الكتاب الذي انزل الله وما هو من الكتاب قرا
ابن عامر وعاصم بفتح السين والباقون بكسرها وقوله
تعالى ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وزيادة تشنيع لهم وبيان
لانهم يزعمون ذلك تصنعا لا تعريضا اى ليس هو منزلا
من عنده فان قيل نفي الله تعالى كون المحرف من عنده
وهو فعل العبد فلا يكون فعل العبد مخلوقا لله تعالى
والالما صح نفيه عنه تعالى اجيب بان المنفي هو الانزال
كما تقرر لا كون التحريف غير مخلوق لله تعالى بكسب العبد
وقوله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد

ايضا وتسجيل عليهم بالكذب والتعمد فيه واختلف فى سبب
نزول قوله تعالى ما كان اى ما ينبغى لبشر ان يؤتيه
الله الكتاب والحكم اى الفهم للشريعة والنبوة اى المنزلة
الرفيعة بالانبا ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون
الله فقال مقاتل والضحاك نزلت فى نصارى نجران كانوا
يقولون ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال تعالى ما
كان لبشر اى عيسى ان يؤتيه الله الكتاب اى الانجيل
وقال ابن عباس وعطا ما كان لبشر اى محمد ان يؤتيه الله
الكتاب اى القران وذلك ان ابا رافع القرظى من اليهود
والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان
نامر بعبادة غير الله ما بذلك بعثنى الله ولا بذلك امرنى
فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم
بعضنا على بعض فلا نسجد لك قال ما ينبغى ان يسجد لاحد
من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله فى البشر
جميع بنى ادم الواحد له من لفظه كالقوم ويوضع موضع
الجمع والواحد ربانى يقول كونوا ربانيين اى علما عاملين
منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون تفخيما كما يقال لعلامة
لحيانى وهو الشديد المتمسك بدين الله تعالى وطاعته
وقيل الربانى هو الذى يربى الناس بصغار العلم قبل
كباره وقيل الربانيون فوق الاحبار والاحبار العلماء والربانيون

الذين جمعوا مع العلم البصارة لسياسة الناس وعن الحسن
ربانيين علماء فقهاء وحكي عن علي رضي الله تعالى عنه
انه قال هو الذي يزكي عمله بعلمه قال محمد بن الحنفية
يوم مات ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اليوم مات
ربانى هذه الامة بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
اى بسبب كونكم تعلمون الكتاب وبسبب كونكم دارسين
له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد
والعمل فيكفي بذلك دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه
وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان
مثله كمثل من غرس شجرة حسنا تونقه بمنظرها ولا
تنفعه بثمرها ويجوز ان يكون معناه تدرسونه على الناس
كقوله تعالى لتقرأه على الناس وقوله اى من من علم ودرس
العلم ولم يعمل وليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين
ربه تعالى منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين
بطاعته وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح التاء وكون
العين وفتح اللام مخففة والباقون بضم التاء وفتح
العين وكسر اللام مشددة ولا يامركم قرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة بنصب الراء عطفا على يقول اى البشر
والباقون برفع الراء على انه استيناف اى الله ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا كما اتخذت الصابئة الملائكة
واليهود عزيرا والنصارى عيسى وقوله تعالى ايامركم

بالكفر انكار الضمير فيه للبشر اوله على الوجهين السابقين
وقوله تعالى بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب
للمسلمين وهم المستاذنون على ان يسجدوا له واذكر اذ
اى حين اخذ الله ميثاق النبيين اى عهدهم لما اتيتكم
من كتاب وحكمة قرا حمزة والكسائى بكسر اللام من لما
فتكون متعلقة باخذ والباقون بالفتح على الابتداء وتوكيد
معنى القسم الذى فى اخذ الميثاق وما موصولة على الوجهين
اى للذى اتيتكموه لتومنن به وقرا نافع اتيناكم بالنون
مفتوحة بعد الياء بعدها الف والباقون بتاء مضمومة
ثم جاءكم تقدم ان حمزة وابن ذكوان يميلان الالف
محضة والباقون بالفتح رسول مصدق لما معكم من
الكتاب والحكمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله
تعالى لتومنن به ولتنصرنه جواب القسم اى اذ اكتموه
وامهر تبع لهم فى ذلك وقيل المراد اولاد النبيين على حذف
المضاف وهم بنو اسرائيل اوسماهم نبيين تهكما لانهم
كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب
والنبيون كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة منا قال
الله تعالى لهم اقررتم بذلك قرا قالون وابو عمرو بتسهيل
الهمزة الثانية والف بينها وبين الهمزة الاولى وابن
كثير كذلك الا انه لا يدخل بينهما والوجهان احدهما
كابن كثير والثانى انه يبدل الثانية حرف مد وهشام

في الهمزة التحقيق والتسهيل مع دخول الف بينهما
والباقون بتحقيق الهمزتين من غير دخول الف بينهما
واخذتم اي قبلتم تقدم ان ابن كثير وحفص يظهران
الذال المعجمة عند التا من اخذتم والباقون بالادغام على
ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه مما يوصر اي
يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به قالوا اقررنا
قال فاشهدوا على انفسكم واتباعكم بذلك وانا معكم
من الشاهدين عليكم وعليهم وهو توكيد وتحذير
عظيم من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة
بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى اي
اعرض بعد ذلك اي الميثاق والتوكيد بالاقرار
والشهادة فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من
الكفرة روي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى
به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من
دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ دينك
فنزل افغير دين الله يبغون وهذه الجملة معطوفة
على الجملة المتقدمة وهي فاولئك هم الفاسقون والهمزة
متوسطة بينهما للانكار ويجوز ان يعطف على محذوف
تقديره ايتولون دين الله يبغون وقدم المفعول الذي

هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار
الذى معنى الهمزة متوجه الى المعبود الباطل وقرا ابو عمرو
وحفص بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب على
تقدير وقل لهم ولله سبحانه وتعالى اسلم اى خضع
وانقاد من فى السموات والارض طوعا اى بالنظر فى
الادلة واتباع الحجة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف
ومعاينة ما يلجى الى الاسلام كشق الجبل على بنى اسرايل
وادراك الغرق فرعون وقومه والاشراف على الموت
بقوله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وقال
الحسن اسلم اهل السموات طوعا واهل الارض بعضهم
طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبى وقيل
هذا يوم الميثاق حيث قال الست بربكم قالوا بلى فقال
بعضهم طوعا وبعضهم كرها قال قتادة المسلم اسلم طوعا
فنفعه والكافر كرها فى وقت الياس فلم ينفعه قال
تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بلسنا وانتصب طوعا
وكرها على الحال بمعنى طايعين ومكرهين واليه ترجعون
قرا حفص بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب قولوا
لهم يا محمد امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم
واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط اى اولاده
وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق
بين احد منهم بالتصديق والتكذيب امر رسوله صلى

الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن من تبعه بالايمان
فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في امنا وعلينا لان القرآن
كما هو منزل عليه منزل على متابعيه بتوسط تبليغه
اليهم او بان يتكلم عن نفسه بالجمع على طريقة الملوك
اجلالا لانه قال قبل لم عدى انزل في هذه الاية بعلى وفيما
تقدم من مثلها في سورة البقرة بالى اجيب بان الوحي ينزل
من فوق وينتهي الى الرسل فعدى تارة بالى لانتهى الى
الرسل وتارة بعلى لانه من فوق وما قيل من انما خص
ما هنا بعلى وما هناك بالى لان ما هنا خطاب للنبي
وكان واصلا اليه من الملا بلا واسطة بشرية فناسب
الاتيان بعلى وما هناك خطاب للامة وقد وصل اليهم
بواسطة النبي الذي هو من البشر فناسب الاتيان
بالى المختصة بالاتصال قال الزمخشري وفيه تعسف الا
ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى
قوله تعالى امنوا بالذي انزل على الذين امنوا فان قيل
لم قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل اجيب
بانه انما قدم لان المنزل عليه هو المعرف للمنزل على
سائر الرسل ولانه افضل الكتب المنزلة ونحن له مسلمون
اي موحدون مخلصون له في العبادة لا نجعل له شريكا
فيها ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار وهم اثنا عشر رجلا
ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة

مكة كفارا منهم الحارث بن سويد الانصاري ومن يبتغ غير
الاسلام دينا اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله فهو
مشتمل على الايمان بهذا التقدير وايضا دينا تمييز مبين
للاسلام والدين يشتمل على التصديق والاعمال الصالحة
فالاسلام كذلك لان المبين لا يخالف المبين وعلى هذا
حمل الاسلام على الدين في قوله تعالى ان الدين عند الله
الاسلام والدين هو الوضع الهي السابق لكل خير فلن
يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين لمصيره الى النار
المؤبدة عليه وقوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا
بعد ايمانهم لفظة استفهام ومعناه جحد اى لا يهديهم
الله لما علم من تصميمهم على كفرهم بانهم كفروا بعد ايمانهم
وبعدما شهدوا ان الرسول حق وقد جاءهم البينات
اى الحجج الظاهرة على قول النبي صلى الله عليه وسلم والله لا
يهدي القوم الظالمين اى الكافرين اولئك جزاؤهم ان
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين والمراد
بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر يلعن منكر
الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بينه تنبيه
دلت هذه الاية بمنطوقها على جواز لعن القوم المذكورين
وبمفهومها على نفي لعن غيرهم من الكفار الذين لم يكفروا
بعد ايمانهم قال البيضاوي ولعل الفرق انهم اى هؤ
لا مطبوعون على الهدى مايسون عن الرحمة بخلاف

غيرهم

غيرهم انه لا يلعن الكافر الاصلي المعاند حيا ولا ميتا
ما لم يعلم موته على الكفر وكالاصلي المرتد واما لعن الكافر
على العموم فيجوز خالدين فيها اي اللعنة او النار
او العقوبة المدلول باللعنة عليها لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون اي يمهلون الا الذين تابوا من بعد
ذلك واصلحوا اعمالهم اي تصديقا لتوبتهم فان الله غفور
لهم يقبل توبتهم رحيم بهم يتفضل عليهم وذلك ان الحارث
ابن سويد لما ارتد ولحق بالكفار ندم فارسل اليه
اخوه الجلاس بالاية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم توبته ونزل في اليهود ان الذين
كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة
ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل
كفروا بمحمد ما استوابه قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا
بالاصرار والعناد والطعن والصد عن الايمان وتنفي
المستاق لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون اي
الثابتون على الضلال فان قيل قد وعد الله تعالى
قبوله توبة من تاب فما معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم
اجيب بان محل القبول اذا كان قبل الغرغرة وهو لا
توبتهم كانت بعدها او انهم لم يتوبوا اصلا فكني عن
عدم توبتهم بعدم قبولها او ان توبتهم لا تكون الا نفاقا
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم

ملى اى مقدارما يملاها من الارض شرقها الى غربها ذهبا
تغليظا فى شانهم وابراز حالهم فى صورة حال الايسين من
الرحمة فان قيل لم قال فى الاية الاولى لن تقبل بغير فاء وفى
هذه بفاء قوله فلن يقبل بالفاء انما دخلت فى خبر ان لشبه
الذى بالشرط وايذانا بتسبب امتناع الفدية على الموت
على الكفر بخلافه فى الاية الاولى لا دليل فيه على السبب
كما تقول الذى جاءنى له درهم لم يجعل المجئ سببا لاستحقاق
الدرهم بخلاف قولك فله درهم ونصب درهم على التمييز
كقولهم عشرون درهما وقوله تعالى ولو افتدى به محمول
على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو
افتدى به ملى الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره
فلن يقبل من احدهم ملى الارض ذهبا لو تقرب به فى
الدنيا ولو افتدى من العذاب فى الاخرة ويجوز ان يراد
ولو افتدى بمثله لقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض
جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا فى اقوالهم كقوله
ضربته ضرب زيد وابو يوسف ابو حنيفة فرب مثله
اولئك لهم عذاب اليم اى مولم وما لهم من ناصرين اى
مانعين عنهم العذاب ومن مزيدة للاستغراق روى
انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله
لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك ما فى الارض
من شى اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول اردت منك

اهوت من ذكر وانت في صلب ادم ان لا تشرك بي شيا
فابيت الا ان تشرك بي لن تنالوا البر اي لن تبلغوا
حقيقة البر الذي هو كمال الخير ولن تنالوا بر الله تعالى
الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون
من اموالكم او ما يعمها وغيرها كبذل الجاه في معاونة الناس
والبدن في طاعة الله تعالى والنفس في سبيله وقلده
الحسن ان تكونوا ابرارا روى انه صلى الله عليه وسلم قال
عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر
يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق
حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب
يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل
يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وكان
السلف رحمهم الله اذا احبوا شيا جعلوه لله روى لما
نزلت هذه الاية جا ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب
اموالي الي بيرحا وهو بفتح الباء الموحدة وكسرها وبفتح
الراء وضمها مع المد والقصر ضيعة بالمدينة وكانت مستقبلة
المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها
ويشرب من ماء فيها طيب فضعها يا رسول الله حيث اراك
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذاك
مال رابح او مال رابح واني اراك ان تجعلها في الاقربين
فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وقوله

صلى الله عليه وسلم بخ بخ كلمة تقال عند المدح والرضى بالشئ
وتكرر للمبالغة وهي مبنية على السكون فان وصلت كسرت
وتونت وربما شددت وقوله رابح او رابح يقال لضيعة
الانسان مال رابح اى يروح نفعه اليه ورابح بالباء الموحدة
اى ذو ربح كقولك لابن وتامر اى ذو لبن وذو تمر وجاء
ابن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد بن
حارثة فكان زيد اوجد في نفسه وقال انما اردت ان
اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان
الله قد قبلها منك وكتب عمر رضى الله تعالى عنه الى ابى
موسى الاشعرى ان يبتاع له جارية من سبى جلولا
يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان
الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
فاعتقها وقال لو انى لا اعود فى شئ جعلته لله لتركتها
وما تنفقوا من شئ اى من اى شئ تجبونه او غيره
ومن بيانية لما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه ولما
قالت اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تزعم
انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا يأكل لحوم الابل
والبانها وانت تأكلها فلست انت على ملته فقال
النبى صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلا لابراهيم فقالوا
كل ما نحرمه اليوم كان حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى

البينا نزل كل الطعام اى المطعومات او كل انواع
الطعام كان حلا اى حلالا اكله لبنى اسرايل والحل
مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمونث والمفرد
والجمع قال تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الا ما حرم
اسرايل وهو يعقوب صلى الله عليه وسلم على نفسه من
قبل ان تنزل التوراة اى ليس الامر على ما قالوا من حرمة
لحوم الابل والبانها على ابراهيم بل كان الكل حلا له ولبنى
اسرايل وانما حرمها اسرايل على نفسه قبل نزول التوراة
فليس فى التوراة حرمتها واختلف فى الطعام الذى حرمه
اسرايل على نفسه وفى سببه فقال معاذ والكلبى كان
ذلك الطعام لحمان الابل والبانها وسبب ذلك انه مرض
مرضا شديدا وطال سقمه وكان ذلك احب اليه فحرمه
وقال ابن عباس والضحاك هى العروق وسبب ذلك انه
اشتكى عرق النسا وهو بفتح النون والقصر عرق يخرج
من الورك فيتبطن الفخذ وكان اصل وجعه انه كان
نذر ان وهبه الله اثنى عشر ولدا واتى بيت المقدس صحيحا
انه يذبح احدهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال يا يعقوب
انك رجل قوى فهل فى الصراع فعالجه فلم يصرع
واحد منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق
النسا ثم قال اما انى لو شئت ان اصرعك لفعلت ولكن
غمزتك هذه الغمزة لانك كنت نذرت ان اتيت بيت

المقدس صحيحا ذبحت ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من
ذلك مخرجا فكان لا ينام بالليل من الوجع فحلف يعقوب لئن
عافاه الله تعالى ان لا ياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق
فحرمه على نفسه وكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق
يخرجونها من اللحم قال ابن عباس ولما اصاب يعقوب
عرق النسا وصف له الاطبا ان يجتنب لحمان الابل فحرمها
يعقوب على نفسه ثم اختلفوا في حال هذا الطعام
المحرم على بني اسرايل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم
الله عليهم في التوراة ما كانوا يحرمونه قبل نزولها وقال
الضحاك لم يكن شي من ذلك حراما عليهم وانما حرموا على
انفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله عز وجل
واكذبهم الله تعالى فقال قل اي لهم يا محمد فاتوا بالتوراة
فاتلوها ليتبين صدق قولكم ان كنتم صادقين فيه
فبهتوا ولم ياتوا بها وفي اخباره صلى الله عليه وسلم عما
في التوراة دليل على نبوته قال تعالى فمن افترى اي ابتدع
على الله الكذب من بعد ذلك اي ظهور الحجة بان التحريم
انما كان من جهة يعقوب لا على عهد ابراهيم فاولئك
هم الظالمون اي المتجاوزون الحق الى الباطل وقوله
تعالى قل اي لهم صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت
ان الله صادق في هذا الجميع ما اخبر به وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابراهيم اي ملة الاسلام التي انا عليها

حتى

حتى تتخلصوا من اليهودية التى ورطتكم فى فساد
دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله
لتسوية اعمالكم وارائكم بتحريم الطيبات التى احلها
الله تعالى التى هى فى الاصل ملة ابراهيم لابراهيم ومن
تبعه حنفا اى مائلا عن كل دين الى الاسلام وقوله
تعالى وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباع ابراهيم
واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى الدين والتجنب
عن الافراط وهو تحريف التوراة وعن التفريط وهو ترك
العمل وفيه اشارة الى ان تعريض بشرك اليهود ولما قالت
اليهود للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من الكعبة
واقدم وهو مهاجر الانبياء وقال المسلمون بل الكعبة افضل
نزل ان اول بيت وضع للناس اى جعله الله متعبدا لهم
وهو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات
والارض خلقه الله تعالى قبل الارض بالفى عام وكان زبدة
بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض تحته بناه الملائكة
قبل خلق ادم ووضع بعده الاقصى وبينهما اربعون سنة
كما فى حديث الصحيحين ولما اهبط ادم قالت له الملائكة
طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفى عام وقيل اول
من بناه ادم فانطمس فى الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل
كان فى موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح بضاد معجمة
وحاء مهملة سمى بذلك لانه ضرح من الارض اى بعد ويطوف

به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في
الطوفان الى السما الرابعة يطوف ملائكة السموات قال
البيضاوي وهذا القول لا يلايم ظاهر الاية وقيل اول من بناه
ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش
الذي اي للبيت الذي ببكة لغة في مكة سميت بذلك
لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها فلم يرمها جبار بسوء
الا وقصمه الله وسميت مكة بالميم لقلة مائها من قول
العرب بك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا امتص كل ما
فيه من اللبن وتدعى ام رحم لان الرحمة تنزل بها وقوله
تعالى مباركا حال من الذي اي ذا بركة لانه كثير الخير والنفع
ما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف عنده او طاف حوله من
الثواب وتكفير الذنوب وهدى للعالمين لانه قبلتهم
ومتعبدهم لان فيه ايات عجيبة كما قال تعالى فيه ايات
بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدد الاعصار
فلا تعلوا فوقه وان ضواري السباع تخالط الطيور في
الحرم ولا يتعرض لها واذا قصدت الجارحة صيدا فدخلت
الحرم كفت عنه وانه بلد صار اليه الانبيا والمرسلون
والاوليا والابرار وان الصلاة فيه تضاعف بماية الف
وان كل جبار قصده بسوء قهره الله تعالى كاصحاب الفيل
وجملة فيه ايات بينات مفسرة للهدى او حال كمباركا
وهدى وقوله تعالى مقام ابراهيم مبتدا حذف خبره

اي منها

اى منها مقام ابراهيم او خبر مبتدا محذوف اى احدها
او بدل من ايات بدل بعض من كل وهو الحجر الذى كان قام
عليه ابراهيم وكان اثر قدميه فيه فاندرس من كثر المسح
بالايدى ولعل الذى اندرس بعضه فانى رايت اثر القدمين
فيه وفى هذا دلالة على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه
الصلاة والسلام لان اثر القدم فى الصخرة الصماء وغوصه
فيها الى الكعبين والانة بعض الصخرة دون بعض وابقاه
دون ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام وحفظه مع
كثرة اعدايه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف
سنين معجزة عظيمة واختلف فى سبب هذا الاثر على قولين
احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف عن رفع
الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وهذا هو المشهور
والقول الثانى انه لما جاز ايرا من الشام الى مكة فقالت
له امراة اسماعيل انزل حتى تغسل راسك فلم ينزل فجاته
بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه
حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى
غسلت الشق الاخر فبقى اثر قدميه عليه قال البيضاوى
وقيل عطف بيان ورد هذا القول بان ايات نكرة ومقام
ابراهيم معرفة ولا يجوز الا تخالف فى البيان باجماع البصريين
والكوفيين وقوله تعالى ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية
او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه فى معنى

امن من دخله اى ومنها امن من دخله وذلك بدعوة ابراهيم
عليه الصلاة والسلام رب اجعل هذا البلد امنا وفى الاقتصار
على ذكرهاتين الايتين وطى ذكر غيرهما دلالة على كثرة
الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن
من دخله وكثير سواهما ونحوه فى طى الذكر قوله جرير
كانت حنيفة آثلا قتلتهم من العبيد وثلثا من موالها
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم النساء
والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة الامن من العذاب
يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام من مات فى احد
الحرمين بعث يوم القيامة امنا رواه ابو داود والدارقطنى
وغيرهما وروى انه صلى الله عليه وسلم قال الحجون والبقيع
يوخذ باطرافهما ويلقيان فى الجنة والحجون مقبرة مكة والبقيع
مقبرة المدينة وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى من لزمه
القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض لهما الا انه لا يؤوى
ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج فيقتل
وكان عمر بن الخطاب يقول ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما
مسسته حتى يخرج منه وعند الشافعى رحمه الله تعالى
لا يلجا الى الملتجا بل يقتل للامر فى خبر الشيخين بقتل ابن
خطل وقد كان ارتد وتعلق باستار الكعبة واما قوله
ومن دخله كان امنا وخبر من دخل المسجد فهو امن
فمعناه جمعا بين الادلة ان من دخله بغير استحقاق قتل

واما

واما اذا ارتكب الجريمة فيستوفى منه بالاتفاق ولله على
الناس حج البيت اى قصده للزيارة على وجه مخصوص
وهو احد اركان الاسلام قال صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام
على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان وقرا حفص
وحمزة والكسائى بكسر الحاء هنا لغة نجد وقرا الباقون بالفتح
وهى اهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان ومعناه طاعة وقوله
تعالى من استطاع اليه اى الحج والبيت سبيلا اى طريقا
بدل من الناس مخصص له وفسر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره ومن
كفر اى بما فرضه الله من الحج او كفر بالله فان الله غنى
عن العالمين اى الانس والجن والملائكة وعن عبادتهم
وقيل وضع كفر موضع لم يحج تاكيد الوجوبه وتشديدا على
تاركه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة
تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا
رواه الترمذى وضعفه فحمل من التغليظ من ترك الصلاة
متعمدا فقد كفر تنبيه فى هذه الاية انواع من التاكيد
والتشديد على طلب الحج منها قوله تعالى ولله على الناس
حج البيت اى انه حق واجب لله فى رقاب الناس لا ينفكون
عن اداءه والخروج عن عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم
انه ابدل منه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من

التوكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان
الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في
صورتين مختلفتين ومنها ذكر الاستغنا وذكر مما يدل على
المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين ولم يقل
عنه وفيه من الدلالة على الاستغنا عنه برهان لانه اذا
استغنى عن العالمين تناوله الاستغنا لا محالة ولانه
يدل على الاستثنا الكامل فكان ادل على عظيم السخط الذي
وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود
فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله
تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج
فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفر به خمس
ملل وهم المشركون واليهود والنصارى والصابيون والمجوس
قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعنه
صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت
مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا
قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا
البيت قبل ان تنبت البادية شجرة لا تاكل منها دابة
تقعقعت اماتت قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات
الله الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه
من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب

دليل

دليل على ان كفرهم قبيح وان زعموا انهم مومنون بالتوراة
والآخبار فهم كاذبون بها والله شهيد اى والحال ان الله
شهيد على ما تعملون فيجازيكم عليه قل يا اهل الكتاب لم
تصدون اى تصرفون عن سبيل الله اى دينه الحق
الماموربسلوكه وهو الاسلام من امن بتكذيبكم النبى صلى
الله عليه وسلم وكتم نعته وكانوا يفتنون المومنين ويخالفون
بصدهم عن دين الله ويبغونها من اراد الدخول فيه جهدهم
وقيل انت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم فى
الجاهلية من العداوات والحروبات ليعودوا لمثلها وانما كرر
الخطاب والاستفهام مبالغة فى التوبيخ وفى العذر واشعال
بان كل واحد من الامرين مستقبح فى نفسه مستقل باستجلاب
العذاب وقوله تعالى تبغونها اى السبيل عوجا حال من
الواو اى باغين طالبين لها عوجا اى ميلا عن القصد
والاستقامة بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فى دين
الاسلام عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما فاشدة قال ابو عبيد الله
العوج بالكسر فى الدين والقول والعمل وبالفتح فى الجدار
وكل شخص قائم وانتم شهداء اى عالمون بان الدين المرضى
عند الله هو دين الاسلام كما فى كتابكم وما الله بغافل عما تعملون من
الكفر والتكذيب وانما يوخر لوقتكم فيجازيكم فاقيل لم
ختمت الاية الاولى بقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون

وهذه الاية بقوله وما الله بغافل عما تعملون اجيب
بانه لما كان التكرير في الاية الاولى كفرهم يجهرون به ختمها
بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الاية
صدهم المومنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون
فيه قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون ولما مر شاس
ابن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على
المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس
والخزرج في مسجد لهم متحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا
واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية في العداوة وقال
ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود
ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وهو موضع بالمدينة
وينشد بعضهم ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت
فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع
القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح
السلاح فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم
فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال ابدعوى الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع
به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة
من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا
وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم سامعين مطيعين نزل يا ايها الذين امنوا

ان

ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب اى شاص واصحابه
يردوكم بعد ايمانكم كافرين قال جابر ما رايت يوما قط اقبح
اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم ثم قال الله تعالى على وجه
التعجب والتوبيخ وكيف تكفرون اى ولم تكفرون وانتم
تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله محمد صلى الله عليه
وسلم والمعنى من اين يتطرق لكم الكفر والحال ان ايات الله وهى
القران المعجز تتلى على لسان النبى صلى الله عليه وسلم غضة
طرية وبين اظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهتكم ومن يعتصم بالله اى
ومن يتمسك بدينه او يلتجى اليه فى مجامع اموره فقد
هدى اى فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جيت
فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو مخبر عنه به
حاصلا ومعنى فى قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع
للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده الى صراط
اى طريق مستقيم اى واضح يايها الذين امنوا اتقوا
الله حق تقاته اى واجب تقواه وما يخف منها وهو
القيام بالواجب واجتناب المحارم وقال ابن مسعود بان
يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروى
مرفوعا ولما نزلت هذه الاية قال الصحابة رضى الله تعالى
عنهم يا رسول الله من يقوى على هذا فنسخ بقوله فاتقوا
الله ما استطعتم وقال مقاتل ليس فى ال عمران منسوخ

الا هذا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى موحدون والمعنى
ولا تكونن على حالة سوى الاسلام اذا ادرككم الموت فان
النهى عن المقيد بحد او غيره قد يتوجه بالذات الى القيد
تارة وال المقيد اخرى والى المجموع دونهما وهو هنا الى المقيد
كما تقول لمن تستعين به على لقاء الله ولا تاتينى الا وانت
على حصان بكر فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن
خلاف الحال الذى شرطتى وقت الاتيان فالنهى هنا متوجه
الى القيد وحده وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله حق تقاته الاية فلو ان قطرة من الزقوم على الارض
لامرت على الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامهم وليس
لهم طعام غيره واعتصموا بحبل الله اى بدينه وهو دين
الاسلام استعار له الحبل من حيث ان التمسك بالحبل سببا
للسلامة من الردى او بكتابه وهو القران لقوله صلى
الله عليه وسلم القران حبل الله المتين لا تنقضى عجايبه
ولا تخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد
ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم وقوله تعالى جميعا
حال مجتمعين عليه ولا تفرقوا اى ولا تتفرقوا بعد الاسلام
بوقوع الاختلاف بينكم كما هل الكتاب او كما كنتم متفرقين
فى الجاهلية متدابرين يعادى بعضكم بعضا ويجاربه
واذكروا نعمت الله اى انعامه عليكم التى من جملتها

الهداية والتوفيق للاسلام والهدى الى التالف اذ كنتم اعدا
في الجاهلية بينكم الضغن والعدوان والحروب المتواصلة
فالف بين قلوبكم بالاسلام وقذف فيها المحبة فاصبحتم
بنعمته اخوانا متراحمين متناصحين تجتمعون على امر
واحد وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا
اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة بسبب قتيله
وتطاولت الحروب والعداوة بينهم مائة وعشرين سنة الى ان
اطفأ الله الاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه
وسلم وكنتم على شفا اى طرف حفرة من النار اى حفرها
ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا ان تموتوا كفارا فانقذكم
منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا والله
لتانيث ما اضيف اليه كقوله الشاعر
كما اشرقت صدر القناة من الدم
كذلك اى مثل ذلك
البيان من البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون
ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة اى طائفة يدعون
الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فمن
للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض
الكفاية لانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلى
كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما
نهى عن معروف وامر بمنكر وقد يغلظ في موضع اللين
ويلين في موضع الغلظة وعلى هذا فالمخاطب به الكل على

الامر ويسقط بفعل البعض الحرج عن الباقين وهكذا
كلما هو فرض كفاية فان تركوه اصلا اثموا جميعا وقيل من
زايدة وقيل للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى
كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف واولئك
اى الداعون الامرون الناهون هم المفلحون اى الفائزون
بكمال الفلاح روى الامام احمد وغيره انه صلى الله عليه
وسلم سئل وهو على المنبر من خير الناس قال امرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وروى انه
صلى الله عليه وسلم قال من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو
خليفة الله فى ارضه وخليفة رسوله وخليفة
كتابه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من راى منكم منكرا
فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه وذلك اضعف الايمان وروى انه صلى الله عليه
وسلم قال والذى نفسى بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر اويوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده
ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وروى ان ابا بكر الصديق رضى
الله تعالى عنه انه قال ايها الناس انكم تقرءون هذه الاية
يايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم
الله بعذاب من عنده وروى انه صلى الله عليه وسلم قال

مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا
سفينة وصار بعضهم في اسفلها وصار بعضهم في اعلاها
فكان الذي في اسفلها يمر بالماء على الذي من اعلاها فتاذوا
به فاخذ فاسا فجعل ينقر اسفل السفينة فاتوه فقال ما لك
قال تاذيتم بي ولا بد لي من الماء فان اخذوا على يديه انجوه
وانجوا انفسهم وان تركوه اهلكوه واهلكوا انفسهم وعن
حذيفة ياتي على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب
اليهم من مومن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن
سفيان الثوري اذا كان الرجل يحبا في جيرانه محمودا عند
اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمامور به
ان كان واجبا فواجب والا فلا ان جميع المنكر تركه واجب
لاقتضائه بالنهي والاظهر ان العاصي يجب عليه ان ينهى
غيره تكميلا لتوبته يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك
احدهما وجوب الاخر انما يجب الامر والنهي على المكلف اذا
لم يخش ضررا يجب انه يدفع بالاخف فالاخف كدفع الصائل
قال وقيل الدعاء للخير عام في التكاليف من الافعال والتروك
فهو شامل للامر بالمعروف والنهي عن المنكر فائدة
ذكر ذلك اجيب بانه من عطف الخاص على العام ايذانا
بفضله لقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى ولا تكونوا كالذين تفرقوا في دينهم واختلفوا
فيه وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات

اى الايات والحجج الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة
الحق وقيل هم مبتدعة هذه الامة وهم المشبهة والجبرية
والحشوية واشباههم وقوله تعالى واولئك لهم عذاب عظيم
وعيد للذين تفرقوا وتهديد للمشبهة بهم يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه هو يوم القيامة ونصب يوم
بالظرف وهو لهم لما فيه من معنى الفعل او باضمار اذكروا
والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل
نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت
صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه
ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه
واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة
من كل جانب نعوذ بالله وسعة رحمته من ظلمات الباطل
واهله فاما الذين اسودت وجوههم فهم الكافرون فيلقون
فى النار ويقال لهم توبيخا اكفرتم بعد ايمانكم واختلفوا
فى كيف كفروا بعد ايمانهم فقال ابى بن كعب اراد به الايمان
بعد الميثاق وعلى هذا هم جميع الكفرة وقال الحسن هم
المنافقون تكلموا بالايمان بالسنتهم وانكروا بقلوبهم وعن
عكرمة انهم اهل الكتابين امنوا بانبيائهم وبمحمد صلى
الله عليه وسلم قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به وقال
قتادة اهل البدع وقال ابو امامة هم الخوارج و[illegible] راهم
على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هولا

شر

شر قتلى تحت اديم السما وخير قتلى تحت اديم الارض
الذين قتلهم هولا فقال له ابو عالية انت تقول برايك ام
شي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة قال
فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام
فكفروا بعد ثم قرا هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك
منهم كثير فاعاذك الله منهم وقوله تعالى فذوقوا العذاب
امر اهانة بما كنتم تكفرون اى بسبب كفرهم او جزا
كفرهم فالبا متعلقة فذوقوا على الاول او بمحذوف على الثاني
واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله اى جنته
عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المومن وان استغرق بجهده
في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله فان
قيل كان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم اجيب بان القصد
ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المومن وثوابهم
فان قيل ما فايدة قوله تعالى هم فيها خالدون بعد قوله
ففي رحمة الله اجيب بان فايدته انه اخرج مخرج
الاستيناف والتاكيد كان قيل كيف يكون فيها فقال هم
فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك اى هذه
الايات الواردة في الوعد والوعيد ايات الله نتلوها
عليك يا محمد بالحق اى ملتبسة بالحق والعدل من جزا
المحسن والمسي وما الله يريد ظلما للعالمين اى يستحيل
الظلم منه لانه لا يجب عليه شي بل هو المالك على الاطلاق

كما قال تعالى وله ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا
والى الله ترجع اى تصاير الامور فيجازى كلا منهما وعد له واوعد
كنتم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم في علم الله تعالى خير
امة اخرجت اى ظهرت للناس وقيل كنتم في الامم قبلكم
مذكورين بانكم خير امة موصوفون به روى انه صلى الله
عليه وسلم قال الا ان هذه الامة توفى سبعين امة هم اخرها
واكرمها على الله تعالى وروى انه صلى الله عليه وسلم قال
مثل امتى مثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره وروى
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم
حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتى وروى
انه صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف
ثمانون من هذه الامة وقوله تعالى تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر استيناف يبين به كونهم خير امة
كما تقول زيد كرم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم
او خبر ثان لكنتم وقوله تعالى وتؤمنون بالله يتضمن
الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان من امن ببعض ما يجب
الايمان بمن رسول او كتاب او حساب او عقاب او ثواب او
غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله فان قيل
لم اخر تؤمنون بالله وحقه ان يقدم اجيب بانه انما اخر
لان قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه تنبيه

استدل

استدل بهذه الآية على انه اجماع هذه الامة حجة لانها تقتضي
كونهم امرين بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما
للاستغراق فلو اجمعوا على باطل لكانوا تركوا شيئا معروفا في نفس
الامر معروف وكان امرهم على خلاف ذلك ولو امن اهل الكتاب
بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم لكان الايمان خيرا لهم مما
هم عليه لانهم انما اثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة
واستتباع العوام منهم لهم ينصرون كعبد الدين سلام
واصحابه واكثرهم الفاسقون اى المتمردون في الكفر لن يضروكم
اى اليهود يا معشر المسلمين شيئا الا اذى اى ضررا
يسيرا كالسب وطعن في الدين وتهديد ونحو ذلك وان
يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر
ثم لا ينصرون عليكم بل لكم النصر عليهم وفي هذا تثبيت
لمن اسلم منهم لانهم كانوا يوالونهم بانهم كانوا لا يحدثون
انفسهم ان يجاوزوا الاذى اى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة
عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل
فان قيل هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون اجيب
بانه عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل
ثم اخبركم انهم لا ينصرون والفرق بين رفعه وجزمه
في هذا المعنى انه لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم
كتولية الادبار وحيث رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا
كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها او ابشركم

ما بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا
يتهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر كما اخبر عن حال
بني قريظة والنضير وبعد خيبر فان قيل ما معنى التراخي
في ثم اجيب بان معناه التراخي في الرتبة لان الاخبار
بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتولية تهم الادبار
ضربت عليهم الذلة اي هدر النفس والمال والاهل
وذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا اي حيث
ما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام في سائر احوالهم الا اي
في حال اعتصامهم بحبل من الله اي بذمة الله او كتابه
وحبل من الناس اي بذمة المسلمين او بدين الاسلام
واتباع سبيل المومنين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة
وهو التجاوء الى الذمة لما قبلوه من الجزية او بدين الاسلام
وباءوا اي رجعوا بغضب من الله اي مستوجبين له
وضربت عليهم المسكنة كما ضرب البيت على اهله فهم
ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها لكثرة الفقر
والمسكنة وفسر اكثر المفسرون المسكنة بالجزية وهم
اليهود عليهم لعنة الله وغضبه قال البيضاوي وهم اليهود
في غالب الامر فقراء مساكين انتهى ذلك اي الكفر والقتل
وضرب الذل والمسكنة والبوء بالغضب كائن بانهم اي
بسبب انهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء
بغير حق اي الكفر والقتل بما حصرا وكانوا يعتدون

اى كائنين بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار
على الصغائر ينتهى الى الكبائر والاصرار على الكبائر ينتهى
الى الكفر والعياذ بالله تعالى ليسوا اى اهل الكتاب سواء
اى مستوين وقوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة اى
مستقيمة ثابتة على الحق استئناف لبيان نفى الاستواء
وهم الذين اسلموا كعبد الله بن سلام قالت احبار اليهود
ما امن بمحمد الا اشرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين ابائهم
فانزل الله تعالى يتلون ايات الله اى يقرؤن كتابه
انا الليل اى فى ساعاته وقوله تعالى وهم يسجدون حال
اى يصلون لان التلاوة لا تكون الا فى السجود واختلفوا
فى معناها فقال بعضهم هى قيام الليل وقال ابن مسعود
هى صلاة العتمة لان اهل الكتاب لا يصلونها المراد
انه عليه الصلاة والسلام اخرها ثم خرج الى المسجد فاذا
الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه اى الشان ليس
من امر الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم رواه
الامام احمد والنسائى وغيرهما وقوله غيركم بالنصب خبر
ليس من اهل الاديان حال من احد قاله التفتازانى ثم وصف
الله تعالى تلك الامة القائمة بصفات اخر فقال يؤمنون
بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويسارعون فى الخيرات واولئك اى الموصوفون بما ذكر
من الصالحين اى ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا

رضاه وثناه اى والامة الاخرى غير قائمة بل منحرفون عن الحق
غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون فى صفاته
واصفون اليوم الاخر بخلاف صفته متباطيون عن الخيرات
فترك هذا اكتفاء بذكر احد الفريقين وما تفعلوا من خير
فلن تكفروه اى تقدموا ثوابه بل تجازون عليه وقرا حفص
وحمزة والكسائى بالياء فيهما اى الامة القائمة وقوله تعالى والله
عليم بالمتقين بشارة لهم واشعارا بان التقوى مبدا
الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان
الذين كفروا لن تغنى اى تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله اى من عذابه شيئا وخص الاموال والاولاد بالذكر لان
الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة
بالاولاد واولئك اصحاب النار اى ملازموها هم فيها
خالدون مثل اى صفة ما ينفقون اى الكفار فى هذه
الحياة الدنيا اى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم ونحوها كمثل
ريح فيها صر قال اكثر المفسرين فيها برد شديد وحكى
عن ابن عباس انها السموم الحارة التى تقتل وقيل فيها
صر اى صوت اصابت حرث اى زرع قوم ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصى فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك
عن سخط اشد وابلغ فى المعنى مثل اهلاك ما ينفقون
كمثل اهلاك ريح الزرع فلم ينتفعوا به فكذلك نفقة هولاء
ذاهبة لا ينتفعون بها وما ظلمهم الله بضياع نفقاتهم

ولكن

ولكن انفسهم يظلمون بالكفر الموجب لضياعها ويجوز ان
يكون الضمير لاصحاب الشمال الذين ظلموا انفسهم بارتكاب
ما استحقوا به العقوبة يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة
اى اصفياء تطلعونهم على اسراركم مشتقة من بطانة
الثوب كما تشبهوا بالشعار قال عليه الصلاة والسلام
الانصار شعار والناس دثار رواه الشيخان والشعار ما يلى
الجسد والدثار فوقه وقوله تعالى من دونكم اى من دون
المسلمين متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف صفة بطانة اى
كائنة من دونكم اى غيركم من الكفار والمنافقين لا يألونكم
خبالا اى لا يقصرون لكم فى الفساد والالو التقصير
واصله ان يعدى بالحرف وعدى الى مفعولين كقوله الالوك
نصحا على تضمن معنى المنع او النقص اى لا منعنكم نصحا
ولا انقصكم وذوا اى تمنوا ما عنتم اى عنتكم وهو
شدة الضرر وما مصدرية قد بدت البغضاء اى ظهرت
من افواههم اى فى كلامهم بالوقيعة فيهم واطلاع المشركين
على اسراركم لايمانكم بكون انفسهم لقرط بعضهم وقال قتادة
قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع
بعضهم بعضا على ذلك وما تخفى صدورهم من العداوة
والغيظ اكبر اى اعظم مما بدا لان بداه ليس عن روية
واختبار قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص
فى الدين وموالات المومنين ومعادات الكافرين ان كنتم

تعقلون ما بين لكم فلا توالوهم فان قيل كيف موقع هذه
الجمل وهي لا يألونكم وودوا ما عنتم وقد بدت البغضا وقد
بينا لكم الايات اجيب بانها مستانفات على وجه التعليل
بمعنى ان كل علة للنهي عن اتخاذهم بطانة ها انتم اولاء ها
تنبيه وانتم كناية للمخاطبين واولا اسم للمشار اليهم وهم
المومنون وقوله تعالى تحبونهم اي هولا اليهود اي نهيتكم
عن مواطنتهم للاسباب التي بينكم من القرابة والرضاع
والمصاهرة ولا يحبونكم لمخالفتهم لكم في الدين بيان لخطابهم
في موالاتهم حيث يبدون محبتهم لاهل البغضا وتومنون
بالكتاب كله اي بالكتب كلها وهم لا يومنون بكتابكم وفي
هذا توبيخ شديد للمومنين بانهم في باطلهم اصلب منكم
في حقكم ونحو هذا قوله تعالى فانهم يالمون كما تالمون وترجون
من الله ما لا يرجون واذا لقوكم قالوا امنا اي نفاقا وتغريرا
واذا خلوا اي خلا بعضهم ببعض عضوا عليكم الانامل
من الغيظ اي اطراف الاصابع لشدة الغيظ والغضب
بعض الانامل مجازا وان لم يكن ثم عض فيوصف المغتاظ
والنادم بعض الانامل والبيان والابهام قال الحارث بن ظلم
المري فاقتلوا اقواما ليئاما اذلة يعضون من غيظ روس
الاباهم قل موتوا بغيظكم اي ابقوا الى الممات بغيظكم فلن
تروا ما يسركم وقوله تعالى ان الله عليم بذات الصدور
اي بما في القلوب ومنه ما يضمره هولا يحتمل ان يكون من المقول

اي

اى وقيل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من غض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تفجعوا من اطلاعى اياكم على اسرارهم فانى عليم بالاخفاء من ضمائر غيرى ان تمسسكم اى تصبكم ايها المؤمنون حسنة اى نعمة كنصر وغنيمة وخصب فى معاشكم وتتابع الناس فى دينكم تسؤهم اى تحزنهم وان تصبكم سيئة اى اساءة كهزيمة وجدب واختلاف يكون بينكم يفرحوا بها وجملة الشرط متصلة بالشرط قبلها وما بينهما اعتراض والمعنى انهم متناهون فى عداوتكم فلم تتوالوهم فاجتنبوهم فان قيل كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة اجيب بان المس مستعار بمعنى الاصابة فكان المعنى واحد الا ترى الى قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وان تصبروا وتتقوا الله على اذاهم فى موالاتهم وغيرها لا يضركم كيدهم شيا بفضل الله وحفظه الموعود الصابرين والمتقين وهذا تعليم من الله تعالى وارشاد الى ان يستعان الى كيد العدو بالتصبر والتقوى وقد قال الحكما اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازداد فضلا فى نفسك وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بكسر الضاد وكون الراء من ضارة يضره والباقون بضم الضاد وضم الراء مشددة للاتباع لضمة سد وهى ضمة للاتباع كما يجوز فتحه للخفة وكسر لاجل تحريك الساكن ان الله بما تعملون محيط اى

عالم فيجازيكم به واذكر يا محمد اذ غدوت من اهلك اى من حجرة
عائشة رضى الله تعالى عنها تبوء اى تنزل المؤمنين
مقاعد اى مراكز تقعدون فيها للقتال والله سميع
لاقوالكم عليم باحوالكم روى ان المشركين نزلوا باحد
يوم الاربعاء فاستقر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه ودعا عبد الله بن سلول ولم يدعه قط قبلها
فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله
اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو
قط الا اصاب منا ولا دخل علينا الا اصبنا منه فكيف
وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس اى بكسر الباء
وهو مكان لا ماء فيه ولا طعام وان دخلوها قاتلوهم الرجال
فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم
وان رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا الراى وقال بعض اصحابه اخرج بنا الى هؤلاء
الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وضعفنا وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انى قد رايت فى منامى بقرا ينحرون
فاولتها خيرا ورايت فى ذباب سيفى ثلما فاولته هزيمة
ورايت كانى ادخل يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة
فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين
ممن فاتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرجنا
الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته اى درعه

فلما

فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا فشير
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه وقالوا اصنع
يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته
فيضعها فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح
بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة
ثلاثة من الهجرة ونزل في عدوة الوادي اي بالعين المهملة
وهي جانبه وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوا صفوفهم
واجلس جيشا من الرماة وامر عليهم عبد الله بن جبير
بسفح الجبل وقال انضحوا علينا بالنبل لا ياتونا من ورائنا
ولا تبرحوا غلبنا او نصرنا اذ بدل من اذ قوله هم طائفتان
منكم بنوا سلمة من الخزرج وبنوا حارثة من الاوس وهما
جناحا العسكر ان تفشلا اي تجبنا عن القتال وترجعا
روي انه صلى الله عليه وسلم خرج في زهاء الف رجل
ووعدهم النصر ان صبروا وكان المشركون ثلاثة الاف
فلما بلغوا عند جبل احد بالمدينة انعزل ابن ابي المنافق
في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا ولاولادنا فتبعهم عمرو
ابن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم
فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الجبان باتباعه فثبتهم
الله ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري
والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس
عند الشدة من بعد الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات

والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال لعمر وبن الاطنابة
اقول لها اذا خشنات وجانبت فكانك تجرت او تستريحي
والله وليهما اى ناصرهما فانهما فشلان وعلى الله فليتوكل
المومنون اى ليثقوا به دون غيره فينصرهم كما نصرهم
ببدر ونزل لما هزموا من احد تذكيرا لهم بنعمة الله ولقد
نصركم الله ببدر وهو ما بين مكة والمدينة كان لرجل
يسمى بدرا فسمي به وقوله تعالى وانتم اذلة اى بقلة العدد
والسلاح والمال حال من الضمير فى فيل قال تعالى وانتم اذلة
وقد قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين
اجيب بانه معنى العلة وضعف الحال وقلة السلاح والمال
كما مر فان نقيض ذلك العز وهو القوة والغلبة روى ان المسلمين
كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ولم يكن فيهم الا فرس
واحد والكثير هم كانوا رجالة وربما كان الجمع منهم يركبون جملا
واحدا والكفار كانوا قريبين من الالف مقاتل ومعهم مائة
فرس مع الاسلحة الكثيرة والعدة الكاملة فاتقوا الله
فى الثبات وعدم المخالفة لعلكم تشكرون اى بتقواكم
نعمه التى انعم بها عليكم وقوله تعالى اذ تقول للمومنين اى
توعدهم تعليما لطرق النصر لكم وقوله تعالى الن يكفيكم ان
يمدكم اى بمددكم وكم بلائة الاف من الملئكة منزلين
انكار ان لا يكفيكم ذلك وانما جى بلن اشعارا بانهم كالايسين
من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم وقرا ابن

عامر بفتح النون وتشديد الزاء والباقون بسكون النون
وتخفيف الزاء وقوله تعالى بلى ايجاب لما بعد لن اى بلى
يكفيكم فان قيل قد قال تعالى في سورة الانفال اني ممدكم بالف
من الملائكة مردفين فكيف قال ها هنا ثلاثة الاف اجيب
بانه مدهم اولا بالف ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة بما
قال تعالى ان تصبروا اى على لقاء العدو وتتقوا الله
في المخالفة ويأتوكم اى المشركون من فورهم اى من قتالهم
هذا والفور العجلة والسرعة ومنه فارت القدر اشتد غليانها
وسارع ما فيها الى الخروج يمددكم ربكم بخمسة الاف من
الملائكة مسومين اى معلمين وقد صبروا واتقوا فجاز
الله وعدهم بان قاتل معهم الملائكة على خيل بلق عمائمهم
صفر او بيض ارسلوها بين اكتافهم وعن عروة بن الزبير
كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك
وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب
واجنابها وعن مجاهد محذورة اذناب خيلهم قال اكثر
المفسرين ان الملائكة لم تقاتل في غير يوم بدر روي انه
صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد
تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم وقرا
ابن كثير وابو عمرو وعاصم بكسر الواو والباقون بفتحها وما
جعله الله اى الامداد الا بشرى اى بشارة لكم اى بالنصر
ولتطمئن اى ولتسكن قلوبكم به فلا تجزعوا من كثرة

عدوكم وقلة عددكم ولكان السكينة لبني اسرائيل بشارة
بالنصر وطمأنينة لقلوبكم **وما النصر الا من عند الله** لا
من العدة والعدد وهو تنبيه على انه حاجة في نصرهم الامداد
الملائكة وانما امرهم ووعدهم بشارة لهم وربطا على قلوبهم
من حيث ان نظر العامة الى الاسباب **العزيز الحكيم**
الذي لا يغالب الذي ينصر ويخذل من يشاء بوسط وبغير
وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة وقوله تعالى **ليقطع**
متعلق بنصركم اي ليهلك **طرفا** اي طائفة **من الذين**
كفروا بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين
واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم **او يكبتهم** اي
يذلهم بالهزيمة والكبت شدة غيظ او وهن يقطع في القلب
فينقلبوا اي فيرجعوا **خائبين** اي لم ينالوا ما راموه واو
للتنويع لا للتردد ونزل لما كسرت رباعيته صلى الله
عليه وسلم وشج وجهه باحد وقال كيف يفلح قوم شجوا
رأس نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم **ليس لك من**
الامر شيء اي بل الامر كله لله فاصبر انما انت عبد مبعوث
لانذارهم ومجاهدتهم وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد اللهم
العن الحارث بن هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت
هذه الاية وقال قوم نزلت في اهل بئر معونة في صفر سنة اربع
من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد لما قتل القراء

والعلم

والعلم امير هم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فدعا عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد شديدا وقنت شهرا
في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبايل باللعن
والسبي وقوله تعالى او يتوب عليهم او يعذبهم عطف
على قوله او يكبتهم وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى
ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يتوب عليهم ان اسلموا
او يعذبهم ان اصروا فانهم ظالمون بالكفر وقيل اذا يتوب
عليهم بمعنى ان يتوب عليهم ولله ما في السموات وما في الارض
ملكا وخلقا فله الامر كله والمقصود من هذا تاكيد ما ذكره
اولا من قوله ليس لك من الامر شيء والمعنى انما يكون ذلك
لمن له الملك كله وليس هو لاحد الا الله فان قيل ظاهر ما
ذكر يدل على ان ذلك ورد للمنع من امر كان صلى الله عليه
وسلم يريد ان يفعله وذكر الفعل كان بامر الله تعالى فكيف
يمنعه منه وان كان بغير امره فكيف يصح مع قوله تعالى
وما ينطق عن الهوى اجيب بان ذلك كان من ترك باب
الافضل والاولى فان جرم ارشده الله تعالى الى اختيار
الاولى نظيره قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك
الا بالله وكانه تعالى قال اولا ان كان لا بد ان تعاقب ذلك
الظالم فاكتف بالمثل ثم قال ثانيا وان تركته كان ذلك
ثم امره امرا جازما بتركه فقال اصبر وما صبرك الا بالله

يغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه ولما كان
له فعل ذلك لا ان جانب المغفرة والرحمة غالب لا على سبيل
الوجوب بل على سبيل التفضل والاحسان قال والله غفور
لاوليائه رحيم بعباده فلا تبادر بالدعاء عليهم ولما شرح
سبحانه وتعالى عظيم نعمه على المؤمنين فيما يتعلق بارشادهم
الى الاصلح فيما امر الدين والجهاد اتبع ذلك ما يدخل في الامر
والنهي والترغيب والتحذير فقال يا ايها الذين امنوا لا
تاكلوا الربا اضعافا وهو جمع ضعف ولما كان جمع قلة
والمقصود الكثرة اتبعه بما يدل على ذلك وهو الوصف
بقوله مضاعفة بان تزيد في المال عند حلول الاجل
وتاخذ والطيب والتخصيص حسب الواقع اذ كان الرجل
منهم يزيد الى اجل ثم يزيد في الدين زيادة اخرى حتى
يستغرق بالشيء اليسير مال المديون والا فالربا حرام
بلا مضاعفة بل هو من الكبائر مطلقا وقرا ابن كثير وابن
عامر بتشديد العين ولا الف قبلها والباقون بتخفيف
العين والف قبلها واتقوا الله بترك ما نهيتم عنه
لكي تفلحون اي تفوزون ثم خوفهم فقال واتقوا النار
التي اعدت للكافرين بالتحذير عن متابعتهم وتعاطي
افعالهم كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هذه اخوف اية
في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار العدة ان لم يتقوا
في اجتناب محارمه وفي الاية تنبيه على ان النار بالذات

للكفار

للكفار وبالعرض للعصاة **واطيعوا الله والرسول لعلكم**
ترحمون لما ذكر الوعيد اتبعه بالوعد ترهيبا عن المخالفة
وترغيبا في الطاعة على عبادته تعالى المستمرة في القرآن
قال محمد بن اسحاق بن يسار هذه الآية معاتبة للذين
عصوا رسول الله صلى عليه وسلم حين امرهم يوم احد
ولعل وعسى هنا مثال ذكر دليل على عزة التواصل الى ما
جعل خيرا لهما ومن تامل هذه الآيات وامثالها لم يجد
نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله **وسارعوا** الى
بادروا واقتدوا **الى مغفرة من ربكم** اى الى ما تستحق به
المغفرة كالاسلام والتوبة واداء الفرائض واجتناب الكبائر
الاولى والعمرة والاعمال الصالحات وكرائم الاخلاق وابى عامر
بغير واو وقبل السين والباقون بعد وقبلها **والى جنة**
عرضها السموات والارض اى عرضها كعرضها كقوله تعالى
عرضها كعرض السماء والارض وانما جمعت السماوات
الارض لانها انواع جميل بعضى فضة وبعضى غير ذلك والارض
نوع واحد وذكر العرض للمبالغة في وصف الجنة بالسعة
لان العرض دون الطول كما دل عليه قوله تعالى بطائنها من
استبرق على ان الظهارة اعظم وقول هذه صفة عرضها
فكيف طولها قال الزهري انما وصف عرضها فاما طولها
فلا يعلمه الا الله تعالى وهذه على سبيل التمثيل لانها
كالسموات والارض لا غير لمعناه كعرض السموات

السبع والارضين السبع عند ظنكم لقوله تعالى خالدين فيها
ما دامت السموات والارض اى عند ظنكم والا فهما زائلتان
وعن ابن عباس الجنة كسبع سموات وسبع ارضين ولو
وصل بعضها ببعض وعنه ايضا ان لكل واحد من المطيعين
جنة بهذه السعة وروى ان ناسا من اليهود سالوا عمر
ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه اذا كانت الجنة عرضها ذلك
فاين تكون النار فقال لهم ارايتم اذا جاء الليل فاين يكون
النار واذا كان النهار فاين يكون الليل فقالوا انه لمثلها
فى التوراة ومعناه حيث شاء الله وسيل انس بن مالك عن
الجنة افى السماء ام فى الارض فقال واى ارض وسماء تسع الجنة
قيل فاين هى قال فوق السموات واين جهنم تحت الارضين
السبع فان قيل قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون واراد
بالذى وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة فى السماء فكيف يكون عرضها
ما ذكرا جيب بان باب الجنة فى السماء عرضها كما اخبر تعالى
اعدت بصيغة للمتقين الله بعمل الطاعة وترك المعصية
وفى ذكره دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وقيل انها والنار
تخلقان بعد قيام الساعة ثم وصف الله تعالى المتقين به
بصفات فقال الذين ينفقون فى طاعة الله فى السراء
والضراء اى فى العسر واليسر والاحوال كلها لان الانسان
لا يخلو عن مسرة او مضرة اى لا يخلو عن حال ما باتفاق
ما قدروا عليه من قليل او كثير كما يحكى عن بعض السلف

الله

انه يعلم تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله تعالى
عنها انها تصدقت بحبة عنب فاول ما ذكر من اوصافهم
الموجبة للجنة ذكروا السخاوة وقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال السخي قريب من الله قريب
من الجنة قريب من الناس بعيد عن النار والبخيل بعيد
من الله قريب من النار ولجاهل سخي احب الى الله من
العابد البخيل والكاظمين الغيظ اي الماسكين عليه
الكافين عن امضائه مع القدرة روي انه صلى الله عليه
وسلم قال من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملا الله قلبه
نورا وايمانا وروي ليس الشديد بالصرعة لكنه الذي يملك
نفسه عند الغضب والعافين عن الناس اي التاركين
عقوبة من استحقوا مواخذته روي انه صلى الله عليه
وسلم قال ينادي منادي يوم القيامة اين الذين كانت
اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن عتبة انه رواه
للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال ان في امتي قليلا الا من عصم الله وقد كانوا
في الامم التي مضت وهذا الاستثناء يحتمل ان يكون منقطعا
وهو ظاهر وان يكون متصلا لما في القلة من معنى العدم
كانه قيل انهم لا في امتي لا يوجدون الا من عصم فانهم يوجدون
في امتي وقوله تعالى والله يحب المحسنين - يجوز ان يكون
اللام فيه للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء

وقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة اى ذنبا قبيحا كالزنا
او ظلموا انفسهم اى بما دون الزنا كالقبلة وقيل الفاحشة
ما تتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله اى
ذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم
بالندم والتوبة عطف على المتقين او على الذين ينفقون
واختلف فى سبب نزول هذه الاية فقال عطا نزلت فى ابى
سعيد التمار اتته امراة حسنا تبتاع منه تمرا فقال لها
ان هذا التمر ليس بجيد وفى البيت اجود منه فذهب بها الى
بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت لها اتق الله فتركها
وندم على ذلك ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك
له فنزلت هذه الاية وقال مقاتل والكلبى اخا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين رجلين احدهما من الانصار والاخر
من ثقيف فخرج الثقفى غزاة واستخلف الانصارى
على اهله فاشترى لهم لحما ذات يوم فلما اراد المراة
ان تاخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف
ووضع التراب على راسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفى
لم يستقبله الانصارى فسال امراته عن حاله فقالت
لا ادرى الا انه فى الاخوان مثلهم وصفت له الحال والانصارى
تائبا مستغفرا فطلب الثقفى حتى وجده فاتى به ابا بكر
رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا وقال الانصارى هلكت
وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله يغار

للغافرين ما لا يغفر للمقربين ثم اتيا عمر فقال عمر مثل ذلك ثم اتيا
النبي صلى الله عليه وسلم فقال مثل مقالتهما فنزلت هذه
الاية وقوله تعالى ومن اى لا احد يغفر الذنوب الا الله
استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوف من والمراد به
وصفه سبحانه وتعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث
على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا
اى ولم يقيموا على قبح فعلهم بل اقلعوا عنه روى عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم
سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع
الاصرار وقوله تعالى وهم يعلمون حال من يصروا اى ولم
يصروا على فعلهم عالمين بقبحه وقوله تعالى اولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار حال
مقدرة اى مقدرين الخلود فيها اذا دخلوها تنبيه
لا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزائهم ان لا
يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزا
لهم ان لا يدخلوها غيرهم قال الزمخشري في الكشاف
وفي هذه الايات بينات قاطع على ان الذين امنوا على
تلك صفات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة
للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في
ذلك فقد ابر عقله وعانده وبه جار على طريق الاعتزال
ان مرتكب الكبيرة اذا مات مصرا لا يدخل الجنة ونحوه

بالله من ذلك بل كل من مات على الاسلام يدخل الجنة وهو
تحت المشيئة ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه وقوله تعالى
خالدين فيها ونعم اجر العاملين المخصوص فيه بالمدح
محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك اى المغفرة والجنات
روى انه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد مومن اذنب
ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ثم يستغفر الله
الا غفر الله له وروى اى عبد اذنب ذنبا فقال يا رب اذنبت
ذنبا فاغفر لى قال ربه علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب
ويأخذ به قد غفرت لعبدى فليعمل ما شاء اى وسيستغفره
فاغفر له وروى انه تبارك وتعالى قال يا ابن ادم انك ما دعوتنى
ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك يا ابن ادم انك تلقانى
بقراب الارض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة بعد ان لا تشرك
بى شيا قال ثابت البنانى بلغنى ان ابليس بكى حين نزلت
هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة الاخرها وروى ان
الله تعالى اوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ما اقل
حيا من ان يطمع فى جنتى بغير عمل كيف اجود بجنتى على
من بخل بطاعتى وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا
عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع
من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع مقت وجهالة
وعن الحسن يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط
بعفوى وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها باعمالكم

وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد
ترجو النجاة ولا تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس
ونزل في احد قد خلت اي مضت من قبلكم سنن جمع سنة
وهي الطريقة التي يكون عليها الانسان ملازما لها ومنه
سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام اي قد مضت من
قبلكم طريق في الكفار باهلاكهم ثم اخذهم فسيروا ايها
المؤمنون في الارض فانظروا كيف كان عاقبة اي اخر امر
المكذبين الرسل من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فانا
امهلناهم لوقتهم هذا بيان للناس عامة وهدى من الضلالة
وموعظة للمتقين خاصة ولا تهنوا ان تضعفوا عن
قتال الكفار لما نالكم من القتل والجرح يوم احد ولا تحزنوا
على ما اصابكم وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة
منهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وقتل من
الانصار سبعون رجلا وانتم الاعلون اي رجاءكم انكم اعلا
شانا منهم فانكم على الحق وقتلاكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم
على الباطل وقتلاهم للشيطان وقتلاهم في النار ولانكم
اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او هي بشارة
لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وانا جندنا
لهم الغالبون وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي
بمعنى لا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب
قوة القلب والثقة بالله وقلة المبالات باعدائه او متعلق

بالاعلون اى ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله وبشركم به
من الغلبة ان يمسسكم اى جهد من جرح ونحوه يوم
احد فقد مس القوم اى الكفار قرح مثله يوم بدر ثم
انهم ضعفوا ولم يحسوا فانتم الاعلون اولى ان لا تضعفوا
فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلام المسلمين كان
يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة
والكسائى بضم القاف قرح فى الموضعين والباقون بالفتح
وهما لغتان بمعنى وقال الفراء القرح بالفتح الجرح وبالضم المكان
وتلك الايام تلك مبتدا والايام صفته وقوله تعالى نداولها
خبره ويصح ان تلك الايام مبتدا وخبر كما تقول هى الايام
تبلى كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة اى
نصرفها بين الناس قال البغوى يوما علينا ويوما لنا قال
فى الكشاف فى قوله وهو من امثال الكتاب يوما علينا ويوما
لنا ويوما نساء ويوما نسر تقديره يوما يكون الامر علينا
اى بالاضرار ويوما لنا اى بالنفع فيكون يوما ظرفا صالحا
لقوله ويوما نساء ويوما نسر قاله الشيخ سعد الدين اى
للمسلمين على المشركين وهو يوم بدر حتى قتلوا منهم
سبعين واسروا سبعين اولى تارة للكافرين على المسلمين
وهو يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا
وسبعين روى انه صلى الله عليه وسلم جعل عبد الله بن

جبير

جبير على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا فقال ان
رايتمونا هزمنا القوم واوطانا هم فلا تبرحوا حتى ارسل
اليكم فهزموهم قال فاقبلت النساء يشتددن قد
بدت خلاخلهن وثيابهن رافعات ثيابهن فقال لاصحابه
عبد الله بن جبير الغنيمة فما تنتظرون فقال عبد الله
اين جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا والله لنا تين الناس فلنصيبن من الغنيمة
فلما اتوهم وصرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك
يدعوهم الرسول في اخرهم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه
وسلم الا اثنى عشر رجلا فاصابوا منها سبعين وكان
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اصابوا من المشركين
يوم بدر اربعين ومائة وسبعين اسيرا وسبعين قتيلا
فقال ابو سفيان افي القوم محمد ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه
وهو يقول ما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت
والله يا عدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك
ما يسرك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون
في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني قال النبي صلى الله
عليه وسلم الا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا
الله اعلى واجل قال ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم الا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال
قولوا الله مولى لنا ولا مولى لكم وفي حديث ابن عباس قال

ابو سفيان يوم بدر وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر
رضي الله تعالى عنه لا بواقتلانا في الجنة وقتلاكم في النار وانما
كانت الدولة يومئذ احد للكفار على المسلمين بمخالفتهم امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم الله الذين امنوا اى
اخلصوا ايمانهم من غيرهم فان قيل ظاهر هذه الاية ان
الله تعالى انما فعل تلك المداولة ليكتب هذا العلم وذلك
في حقه تعالى محال ونظير هذا الاشكال قوله تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الذين جاهدوا منكم وقوله تعالى
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين وقوله لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا
وقوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم وقوله الاية
لنعلم من يتبع الرسول وقوله لنبلوكم ايكم احسن
عملا فظاهر هذه الايات تدل على انه تعالى انما صار عالما بكون
هذه الاشياء عند حدوثها واجاب المتكلمون عنه بان
الدلايل العقلية دلت على انه تعالى يعلم الحوادث قبل
وقوعها فثبت ان التغير في العلم محال الا ان اطلاق العلم
على العموم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم
فلان والمراد معلومه وهذه قدرة فلان والمراد مقدوره
فكل اية شعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم واذا
عرف هذا فهذه الاية محتملة لوجوه احدها ليظهر
المخلص من المنافق والمومن من الكافر وثانيها ليعلم اولياء

الله

الله واضاف لنفسه تفخيما وثالثها ليحكم بالامتياز فاوقع
العلم مكان الحكم بالامتياز لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم
ورابعها ليعلم ذلك واقعا كما كان يعلم انه سيقع لان المجازاة
على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد ويتخذ منكم شهدا
اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم المستشهدون
يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم
القيامة بما وجد منهم من الثبات والصبر على الشدايد
كما قال تعالى لتكونوا شهدا على الناس وقوله تعالى والله
لا يحب الظالمين قال ابن عباس اي المشركين كقوله تعالى
ان الشرك لظلم عظيم وهو اعتراض بين بعض التعاليل
وبعض فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة
وانما يظفرهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمومنين وليمحص
الله الذين امنوا اي يطهرهم من الذنوب بما اصابهم ويمحق
اي يهلك الكافرين ان كانت الدولة على فللتمييز والاستثنا
والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين
فلمحقهم وهو اثارهم ام منقطعة مقدرة ببل ومعنى الهمزة
فيها الانكار الى بل حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين في الشدايد وقدموا
معنى يعلم تنبيه قال البيضاوي والفرق بين لما يعلم
ولم ان في لما توقع الفعل فيما يستقبل لكن قال ابو حيان
لا اعلم احدا من النحويين ذكره بل ذكروا انك اذا قلت لما يخرج

زيد دل ذلك على انتفاء الخروج فيما مضى متصلا نفيه الى
وقت الاخبار واما انها تدل على توقعه في المستقبل فلا
انتهى لكن قال الفراء للتعريض الوجود بخلاف لم ولقد
كنتم تمنون فيه حذف احدى التاءين في الاصل اى تتمنون
الموت اى الحرب بغلبتها اسباب الموت والموت بالشهادة والخطاب
للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم مشهدا ينالون به ما نالوا من شهد بدرا
من الكرامة فالجوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه اى
تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رايتموه اى الحرب او الموت
حتى قتل دونكم من قتل من اخوانكم وانتم تنظرون اى بصرا
تتاملون الحال كيف هي فلما انهزمتم وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل فيخلوا كما خلوا بالموت او القتل
ومحمد هو المستغرق لجميع المحامد لان الحمد لا يستوجبه
الا الكامل والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه الا المستولي على
الامور الكمال واكرم الله تعالى نبيه وصفيه صلى الله عليه
وسلم باسمين مشتقين من اسمه جل وعلا محمد واحمد وفيه
يقول حسان بن ثابت

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وقوله تعالى افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار
لارتدادهم وانقلابهم عن الدين لخلوه صلى الله عليه وسلم
بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا

به فان قيل قوله تعالى افان مات او قتل شك وهو على انه
محال اجيب بان المراد انه سواء وقع هذا او ذاك فلا تاثير
له فى ضعف الدين ووجود الارتداد قال ابن عباس واصحاب
المغازى لما راى خالد بن الوليد الرماة يوم احد اشتغلوا
بالغنيمة وراى ظهورهم خالية صاح فى خيله من المشركين
ثم حمل على اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من خلفهم فهزموهم
وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمية رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحجر فكسر انفه وشجه فى وجهه فانفلت منه
وتفرق عنه اصحابه ونهض صلى الله عليه وسلم الى صخرة
ليعلوها وقد كان ظاهر بين درعين فلم يستطع فجلس
تحته طلحة فنهض حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بجد عن الاذان والانوف حتى اتخذت هند
من ذلك قلايد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة
فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها واقبل عبد الله
بن قمية يريد قتل النبى صلى الله عليه وسلم فذب مصعب
بن عمير وهو صاحب راية النبى صلى الله عليه وسلم عنه
فقتله ابن قمية وهو يرى انه قتل النبى صلى الله عليه وسلم
فرجع وقال انى قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا قد
قتل فقيل ان ذلك الصارخ كان ابليس فانه كفا الناس
وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عباد
الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه

المشركين ورمى سعد بن ابى وقاص حتى اندقت سيبة قوسه
وتسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارمى فداك ابى
وامى وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ
قوسين او ثلثا فكان الرجل يمر معه بجعبته من النبل
فيقول انثرها لابى طلحة وكان اذا رمى يشرف النبى صلى الله
عليه وسلم فينظر الى موضع نبله واصيب يد طلحة بن عبد
الله فيبست وفى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيبت
عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكفه فكانت احسن
ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بكفه
فعادت احسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم ادركه ابى بن خلف الجمحى وهو يقول لا نجوت فقال القوم
يا رسول الله الا نعطف عليه رسنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابى جعل ذلك يلقى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول عندى فرس بمكة اعلفها كل
يوم فرق ذرة اقتلك عليها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الحارث بن الصمت ثم استقبله فطعنه فى عنقه وخدشه
خدشة خدها عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور
وهو يقول قتلنى محمد واحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك

باس قال بلى لو كانت هذه الطعنة برئية وضربة قتلتهم
اليس انى اقتلك فلو نزق على بعد ذلك المقالة لقتلنى فلم
يلبث الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف قال ابن
عباس لما شدد غضب الله على من رمى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال وفشى فى الناس ان محمدا قد قتل قال بعض المسلمين
لبيت رسولا الى عبد الله بن ابى فياخذ لنا امانا من ابى
سفيان وبعض الصحابة جلسوا والقوا بايديهم وقال
ناس من اهل النفاق ان كان محمد قد قتل فان رب محمد
باق وما تصنعون فى الحياة بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما
يقول هؤلاء يعنى المسلمين وابوا اليد مما جاء به هؤلاء يعنى
المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول
من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وقال
عرفت عينيه تحت المغفر يزهران فناديت باعلى صوتى
يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاشار الا اسكت فانحازت اليه طائفة من اصحابه فلما اتاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفرار قالوا يا نبى الله
فدتناك بابائنا وامهاتنا انا اتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت
قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله تعالى هذه الاية فكان قتيل

انه تعالى بين فى ايات كثيرة انه عليه الصلاة والسلام لا يقتل
قال انك ميت وانهم ميتون فقال والله يعصمك من الناس
وقال ليظهره على الدين كله واذا علمنا انه لا يقتل فلم قتل او قتل
اجيب بان هذا ورد على سبيل الالزام فان موسى عليه
الصلاة والسلام مرمات ولم ترجع امته عن دينه والنصارى
زعموا ان عيسى عليه الصلاة والسلام قتل ولم يرجعوا عن
دينه فكذا هاهنا ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيئا بارتداده وانما يضر نفسه وسيجزى الله الشاكرين
على نعمة الاسلام بالثبات عليه كما شرط لهم وما
كان لنفس ان تموت الا باذن الله اى بقضائه ومشيئته
او باذنه لملك الموت فى قبض روحه وقوله تعالى كتابا مصدر
اى كتب الله ذلك موجلا اى موقتا لا يتقدم ولا يتاخر فلما انهزم
والهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحياة ونزل فى الذين
تركوا المركز يوم احد طلبا للغنيمة ومن يرد اى بعمله
ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء ما قدرناه له كما قال تعالى
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وفى
الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا ومن
يرد اى بعمله ثواب الاخرة نؤته منها ما شئنا من ثوابها
وسنجزى الشاكرين اى الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم
شىء عن الجهاد روى انه صلى الله عليه وسلم ما قال من كانت
نيته طلب الاخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله

واتته

واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله
الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولم ياته منها الا
ما كتب له وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امرء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته
الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة
يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقوله تعالى وكاين اصله
اي دخلت الكاف عليها فصارت مركبة من كاف التشبيه
ومن اي وجدت فيها بعد التركيب معنى التكثير المفهوم
من الخبر بموضعها في التركيب واقام التكثير كذا في قولهم
عندي كذا كذا درهما واصله كاف التشبيه الذي هو اسم
اشارة فلما ركبا حدث فيهما معنى التكثير فلم الخبرية وكاين
وكذا كلها بمعنى واحد والنون تنوين في المعنى اثبتت في الخط
على غير قياس قال النحويون لم يقع للتنوين صورة في الخط
الا في هذا الحرف خاصة وقرا ابن كثير بالف بعد الكاف بعدها
همزة مكسورة والباقون بهمزة بعد الكاف بعدها همزة
مفتوحة بعدها ياء مشددة ووقف ابو عمرو على الياء والباقون
على النون وسهل همزتها المدنية وحققها الباقون وقوله تعالى
من نبي تمييز لكاين لانها مثل كم الخبرية وقوله تعالى قتل
قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو بضم القاف وكسر التاء ولا الف
بينهن القاف والتاء والف بين القاف واللتاء وقوله تعالى
معه خبر مبتدا وهو ربيون وهم جمع ربي وهو العالم

المتقي منسوب الى الرب وانما كسرت راوه تغييرا في النسب
وقيل لا تغيير فيه وهو منسوب الى الربة وهي الجماعة
وقوله تعالى كثير صفة لربيون وان كان بلفظ الافراد
لان معناه جمع فما وهنوا اى جبنوا لما اصابهم في سبيل الله
من الجراح وقتل انبيائهم واصحابهم وما ضعفوا عن الجهاد
وما استكانوا اى خضعوا العدو وهم كما فعلتم حين قتل
قتل نبيكم والله يحب الصابرين على الشدايد فيثيبهم
ويعظم اجرهم وما كان قولهم عند قتل نبيهم مع ثباتهم
وصبرهم وكونهم ربانيين الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا
واسرافنا اى تجاوزنا الحد وقولهم في امرنا بان ما اصابهم
من سوء فعلهم وهضما لانفسهم وثبت اقدامنا اى
بالقوة على الجهاد وانصرنا على القوم الكافرين اى فعلا قلتم
وفعلتم مثل ذلك باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاثابهم
الله ثواب الدنيا وحسن النصر والغنيمة والمرو وحسن
الذكر وحسن ثواب الاخرة اى بالجنة والنعيم المقيم
وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله ولانه المعتد به
عند الله والله يحب المحسنين اى فيكثر لهم الثواب يا ايها
الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا اى اليهود والمنافقين
فيما يامرونكم به وقال على بعض المنافقين في قولهم للمومنين
عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم ولو كان
محمد نبيا ما قتل يردوكم على اعقابكم اى الكفر فتنقلبوا

خاسرين

خاسرين الدنيا والاخرة اما خسرانه الدنيا فلان اشق
الاشياء على العقلاء في الدنيا الانقياد الى العدو واظهار الحاجة
اليه واما خسرانه الاخرة فالحرمان عن الثواب المؤبد
والوقوع في العقاب المخلد بل الله مولاكم اي ناصركم وحافظكم
على دينكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية
غيره ونصرته سنلقي اي سنقذف في قلوب الذين كفروا
الرعب اي الخوف وذلك ان الكفار لما هزموا المسلمين في احد
اوقع الله الرعب في قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير
سبب حتى روي ان ابا سفيان صعد الجبل ونادى يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة
والسلام ان شاء الله وقيل انهم لما ذهبوا متوجهين الى
مكة فلما كانوا في بعض الطريق ندموا وقالوا ما صنعنا شيئا
قتلنا اكثرهم ولم نبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا حتى
نستأصلهم بالكلية فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب
في قلوبهم وقرا ابن عامر والكسائي بضم العين والباقون
بالسكون بما اشركوا اي بسبب اشراكهم بالله ما لم
ينزل به سلطانا اي حجة على عبادته وهو الاصنام وهذا
كقوله ليس بها صنب يعني اي فليس بها صنب قل يعني
فكذلك هو لا ليس لهم حجة اصلا واصل السلطنة القوة
ومنه السليط لقوة اشتعاله وماواهم النار وبئس مثوى
اي ماوى الظالمين اي الكافرين هي ولقد صدقكم الله

وعده قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه الى المدينة من احد وقد اصابهم
ما اصابهم قالوا نا من اين اصابنا هذا وقد
وعدنا الله النصر فانزل الله هذه الاية لان النصر كان
للمسلمين في الابتداء كما قال تعالى اذ تحسونهم اى تقتلونهم
من حسه اذا ابطل حسه وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان
وعاصم باظهار ذال اذ عند التاء والباقون بالادغام باذنه
اى بارادته حتى اذا فشلتم اى جبنتم عن القتال وتنازعتم
اى اختلفتم في الامر اى امر النبي صلى الله عليه وسلم بالمقام
في شعب الجبل للرمي حتى انهزم المشركون فقال بعضكم
فذهب فقد نصر اصحابنا وقال اخرون لنخالفن امر النبي
فانثبتوا مكانكم فثبت عبد الله بن جبير امر الرماة في نفر
دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله وعصيتم
اى امر النبي صلى الله عليه وسلم وتركتم المركز لطلب الغنيمة
من بعد ما اراكم الله ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام
العدو وجواب ان محذوف دل عليه ما قبله اى شقيكم نصركم
ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احد خلف ظهره
واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان
يثبتوا مكانهم ولا يبرحوا سواء كانت الدولة للمسلمين او
عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم

والباقون

والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمين
على اثارهم ثم اشتغل بعضهم بالغنيمة كما قال تعالى منكم
من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم
من يريد الاخرة وهم الثابتون مع عبد الله بن جبير حتى
قتلوا فان قيل فاذا كان البعض هو المخالف فكيف جا العتاب
عاصا بقوله وعصيتم اجيب بان اللفظ وان كان عاما
فقد جا المخصص بعده وهو قوله منكم وقوله تعالى ثم صرفكم
اى ردكم بالهزيمة عنهم اى الكفار عطف على ما قبله والجملتا
من قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة
اعتراض بين المتعاطفين وقيل عطف على جواب اذ المقدر
ليبتليكم اى ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره ولقد عفا
عنكم ما ارتكبتموه من مخالفة امر النبى صلى الله عليه وسلم
وميلكم الى الغنيمة تفضلا منه تعالى فان قيل ان ظاهر الاية
يدل على ان الذنب من الصغاير لصحة العفو عنه من غير
توبة لقيام الدليل على ان اصحاب الكباير اذا لم يتوبوا
لم يكونوا من اهل العفو والمغفرة اجيب بان هذا الذنب
لا شك انه كبيرة لانهم خالفوا صريح نص الرسول صلى الله
عليه وسلم وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام المسلمين
فلا بد من اضمار توبتهم والله اى التفضل المنعم ذو فضل
على المومنين اى يتفضل عليهم بالعفو وفى الاحوال كلها
سوا كانت الدولة لهم او عليهم اذ الابتلا رحمة وقوله

اذ العامل فيها مضمر اى اذكر اذ تصعدون اى تبعدون في
الارض هاربين ولا تلوون اى تعرجون على احد اى لا
يقف احد على احد ولا ينتظره والرسول يدعوكم اى يقول
الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة
في اخراكم من ورائكم فاثابكم اى جازاكم غما بالهزيمة
بغم اى بسبب غمكم الرسول بالمخالفة وقيل الباء بمعنى على اى
مضاعفا على غم فوت الغنيمة والقوم كانت هناك كثيرة احد
غمهم بما فاتهم من العدو في الانفس والاموال وثانيها غمهم بما
وقع منهم بالمصيبة وخوف عقابها وثالثها غمهم بما وصل
الى الرسول صلى الله عليه وسلم ورابعها غمهم بسبب التوبة
التي صارت واجبة عليهم لانهم اذا تابوا عن تلك المعصية
لم تتم توبتهم الا بترك الهزيمة والعود الى المحاربة بعد انهزامهم
وذلك من اشق الاشياء على الانسان بعد انهزامه يضعف
قلبه ويحزن فاذا امر بالعاودة فان قدم خاف القتل وان
لم يقدم خاف عقاب الاخرة وخامسها غمهم حين سمعوا ان
محمدا قد قتل وسادسها غمهم حين اشرف خالد بن الوليد
عليهم بخيل المشركين وسابعها غمهم حين اشرف عليهم
ابو سفيان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق
يوميذ يدعو الناس حتى انتهى الى صاحب الصخرة فلما راى
وضع رجل سهما في قوسه واراد ان يرميه فقال انا رسول
الله ففرحوا حين وجدوه وفرح رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم حين راى من يمتنع به فاقبلوا على المشركين يذكرون
الفتح وما فاتهم منه ويذكرون اصحابهم الذين قتلوا
فاقبل ابو سفيان واصحابه حتى وقفوا بباب الشعب
فلما نظر المسلمون اليهم همهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم
فيقتلونهم فانساهم هذا ما نالهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس لهم ان يعلمونا اللهم ان نقتل هذه العصابة
لا تعبد في الارض ثم بدت اصحابه فرموهم بالحجارة حتى انزلوهم
واذا عرفت ذلك فلا يضر اختلاف المفسرين فان بعضهم
فسر هذين الغمين بغمين من هذه وبعضهم بخلافه وقال
القفال وعندي ان الله تعالى ما اراد بقوله غما بغم اثنين
وانما اراد مواصلة الغموم وحلولها اي ان الله عاقبكم بغموم
كثيرة مثل قتل اخوانكم واقاربكم ونزول المشركين من
فوق الجبل عليكم بحيث لم تامنوا ان يهلك اكثركم فكانه
تعالى قال اثابكم هذه الغموم المعاقبة ليصير ذلك زجرا
لكم عن الاقدام عن المعصية والاشتغال بما يخالف
امر الله تعالى والغم التغطية ومنه غم الهلال اذا لم ير
وقوله تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم اي من الغنيمة متعلق
بعفا او باثابكم فلا زايدة ولا ما اصابكم من القتل والهزيمة
والله خبير بما تعملون اي عالم باعمالكم وبما قصدتم بها
ثم انزل عليكم يا معشر المسلمين من بعد الغم امنة اي امنا
والامن والامنة بمعنى واحد وقيل الامن يكون مع زوال

سبب الخوف والامنة مع بقا سبب الخوف وكان سبب الخوف
هاهنا قايما وقوله تعالى نعاسا يدل على امنة وامنة
مفعول او نعاسا هو المفعول وامنة حال منه مقدرة
يغشى طايفة منكم وهم المومنون وقرا حمزة والكسائي
بالتا على التانيث ردا الى الامنة والباقون باليا على التذكير
ردا الى النعاس وطايفة وهم المنافقون قد اهمتهم انفسهم
اى حملتهم على الهزيمة فلا رغبة لهم الا انجا بها دون النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه فلم يناموا فات الذين كانوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فريقان احدهما الجازمون
بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهولا كانوا قاطعين بان الله
ينصر هذا الدين وان هذه الوقعة لا تودى الى الاستيصال
فلا جرم كانوا امنين وبلغ ذلك الامن الى حين غشيهم النعاس
فان النوم لا يجى مع الخوف قال ابو طلحة غشينا النعاس ونحن
في مصافنا يوم احد فكان السيف يسقط من احدنا فياخذه
وقال ثابت عن انس عن ابي طلحة قال رفعت راسي يوم
احد فجعلت ما ارى احدا من القوم الا وهو يميل تحت
حجفته من النعاس قال الزبير كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين اشتد الخوف فارسل الله علينا النوم والله
اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه
الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا هاهنا
والفريق الثاني هم المنافقون كانوا شاكين في نبوته صلى

الله

الله عليه وسلم وما حضروا الا لطلب الغنيمة فهولا اشتد
جزعهم وعظم خوفهم قال ابن مسعود النعاس في القتال
امنة والنعاس في الصلاة من الشيطان وذلك لانه في
القتال لا يكون الا من الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا
ولا يكون في الصلاة الا من غاية البعد عن الله فان قيل
ما فايدة هذا النعاس اجيب بان له فوايد الاولى ان السهو
يوجب الضعف والكلال والنوم يفيد عود القوة والنشا ط
والثانية ان الكفار لما اشتغلوا بقتل المسلمين القى الله تعالى
النوم على الباقين ليلا يشاهدوا قتل غيرهم فيشتد
خوفهم والثالثة ان الاعدا كانوا في غاية الحرص على قتلهم
فبقاوهم في القوم مع السلامة في تلك المعركة من ادل الدلايل
على ان الله تعالى يحفظهم ويعصمهم وذلك مما يزيل الخوف
من قلوبهم ويورث الامن تنبيه قوله تعالى وطايفة
مبتدا والخبر قد اهمتهم انفسهم فان قيل كيف جاز
الابتدا بالنكرة اجيب بانه جاز لاحد امرين اما للاعتماد
على واو الحال وقد عده بعضهم مسوغا وان كان لم
يذكروه وانشد

سرينا ونجم قد اضا فمديدا ۞ محياك اخفا ضوءه كل شارق

واما الموضع موضع تفضيل فان المعنى يغشى طايفة
وطايفة لم يغشاهم فهو كقوله

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له ۞ بشق وشق عندنا ليجول

وقوله تعالى يظنون بالله غير الحق اى لا ينصر الله محمدا
صفة اخرى لطائفة وهو غير الحق نصب على المصدر اى
يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق ان يظن به ظن
اى كظن اهل الجاهلية حيث اعتقدوا ان النبى صلى الله عليه
وسلم قتل اولا ينصر وقوله تعالى يقولون اى لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بدل من يظنون هل لنا اى ما لنا
لفظة استفهام ومعناه نجد من الامر اى النصر الذى
وعدناه من شئ اى شئ ومن صلة زيدت للتاكيد وهو
اما ابتدا خبره لنا واما فاعل للنا لاعتماده على الاستفهام
ومن الامر حال من المبتدا او الفاعل وهو شئ لكونه مرفوعا
حقيقة لا مجرورا وقيل ان عبد الله بن ابى لما شاوره
النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الواقعة اشار اليه ما ان
لا يخرج من المدينة ثم ان بعض الصحابة الحوا على النبى
صلى الله عليه وسلم فى ان يخرج اليهم فغضب ابن ابى مرة بكر
فقال عصانى واطاع الولدان ثم لما كثر القتل فى بنى الخزرج
ورجع ابن ابى قيل له قتل بنو الخزرج فقال هل لنا من الامر
من شئ يعنى ان محمدا لم يقبل قولى حين امرته بان لا
يخرج من المدينة والمعنى هل لنا امر يطاع فهو استفهام
على سبيل الانكار قل لهم يا محمد ان الامر كله اى الغلبة
الحقيقة لله وكل ما يجب فان حزب الله هم المفلحون او
القضاء ما يشاء ويحكم ما يريد وقرا ابو عمرو بعد اللام بعد

الكاف

الكاف على انه مبتدا والخبر لله والباقون بالنصب على انه
توكيد تنبيه هذه الاية تدل على ان جميع المحدثات
خلق الله تعالى بقضايه وقدره بان المنافقين قالوا لو
ان محمدا قبل منا رايا ونصحا لما وقع في هذه المحنة فاجابهم
الله تعالى بان الامر كله لله وهذا انما ينتظم اذا كانت افعال
العباد بقضايه وقدره اذ لو كانت خارجة عن مشيئته لم
يكن هذا الجواب رافعا لشبهة المنافقين وقوله تعالى
يخفون في انفسهم ما لا يبدون اى يظهرون لك حال من
ضمير يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذى
الحال اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون
النصر مبطنين الانكار والتكذيب وقوله تعالى يقولون
بيان لما قبله لو كان لنا من الامر شيء اى كما وعد محمد وزعم
ان الامر كله لله ولاوليايه او لو كان الاختيار الينا لم نخرج
كما كان راى ابن ابى وغيره ما قتلنا ها هنا اى لما غلبنا
ولا قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لهم لو كنتم في بيوتكم
وفيكم من كتب الله عليه القتل لبرز اى خرج الذين
كتب اى قضى عليهم القتل منكم الى مضاجعهم اى مصارعهم
فقتلوا ولم ينجيهم قعودهم لان قضاه تعالى كاين لا محالة
فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضايه لا معقب لحكمه
وقرا ابو عمرو وحفص وورش بضم البا في بيوتكم والباقون
بالكسر وقوله تعالى وليبتلي اى وليختبر الله ما في

صدوركم اى قلوبكم من الاخلاص والنفاق علة لفعل محذوف
تقديره فرض الله عليكم القتال ولم ينصركم يوم احد ليبتلى
وقيل معطوف على علة محذوفة تقديره ليقضى الله امر اكان ما
وليبتلى وقوله تعالى وليمحص ما فى قلوبكم فيه وجهان احدهما
ان هذه الواقعة تخرج ما فى قلوبكم من الوساوس والشبهات
وتظهرها والثانى انها تصير كفارة لذنوبكم فيمحصكم من
تبعات المعاصى والسيات فان قيل قد سبق ذكر الابتلاء
فى قوله تعالى ثم صرفكم عنهم ليبتليكم فلم اعاده اجيب بانه
اعيد اما لطول الكلام بينهما واما لان الابتلاء الاول هزيمة
المومنين والابتلاء الثانى سائر الاحوال والله عليم بذات
الصدور اى ما فى القلوب قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد
وتنبيه على انه نهى عن الابتلاء وانما يبتلى ليظهر للناس
حال المومنين من المنافقين ان الذين تولوا منكم عن القتال
يوم التقى الجمعان اى جمع المسلمين وجمع الكافرين يوم
احد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبى صلى الله
عليه وسلم الا احد عشر رجلا ستة من المهاجرين ابو
بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص
انما استزلهم الشيطان اى طلب منهم الزلل بوسوسته
ببعض ما كسبوا من الذنوب بترك المركز والحرص على
الغنيمة ومخالفة النبى صلى الله عليه فاطاعوه فضعفت
التاييد وقوة القلب حتى نزلوا ولقد عفا الله عنهم

لتوبتهم

لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور الذنوب حليم لايعاجل
بعقوبته المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لاتكونوا
كالذين كفروا اى المنافقين وهم ابن ابى واصحابه وقالوا
لاخوانهم اى فى شانهم ومعنى اخوانهم اتفاقهم فى النفاق
والكفر وقيل فى النسب اذا ضربوا فى الارض اى سافروا فيها
لتجارة وغيرها فماتوا او كانوا غزا اى غزاة جمع غاز فقتلوا
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اى لاتقولوا كقولهم ليجعل
الله ذلك القول فى عاقبة امرهم حسرة فى قلوبهم اى
لانهم اذا قالوا تلك الشبهة على المومنين لم يلتفتوا اليهم
فيضيع سعيهم ويبطل كيدهم فتحصل الحسرة فى قلوبهم
وقيل ان اجتهادهم فى تكثير الشبهات والقاء الضلالات يعمى
قلوبهم فيتمادون عن ذلك فى الحسرة والخيبة وضيق الصدر
وهو المراد بقوله تعالى ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا فان قيل كيف قيل اذا ضربوا مع ما قالوا اجيب
بان ذكر حال حكاية الحال الماضية قال التفتازانى معناه
انك تقدر نفسك كانها موجودة فى ذلك الزمان الماضى او
تقدر ذلك الزمان كانه موجود الان وهذا كقولك قالوا
ذلك حين يضربون والمعنى حين ضربوا الا انك جئت بلفظ
المضارع استحضارا للصورة ضربهم فى الارض وقوله تعالى
والله يحيى ويميت رد لقولهم اى هو المؤثر فى الحياة
والممات لا الاقامة فالسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر

والفائز ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير
قرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على الغيبة ردا على الذين
كفروا والباقون بتا الخطاب ردا على قوله ولا تكونوا وهو
خطاب للمومنين وفيه تهديد لهم على ان يماثلوهم ولئن
قتلتم اللام هي الموطية للقسم محذوف وفي سبيل الله اى
الجهاد او متم ان اتاكم الموت في سبيل الله وجواب القسم
قوله تعالى لمغفرة كائنة من الله وحذف جواب الشرط
لسد جواب القسم مسده لكونه دالا عليه ورحمة اى من
الله بحذف صفتها لدلالة الاولى عليها ولا بد من حذف
اخر صحيح للمعنى تقديره لمغفرة من الله لكم ورحمة منه
لكم فان قيل المغفرة هي الرحمة فلم كررها وذكرها اجيب بانه
انما ذكرها اينانا بان ادنى خير واقل شيء خير من الدنيا وما
فيها وهو المراد بقوله خير مما يجمعون من الدنيا فقيل وسلم
لان المغفرة مترتبة على الرحمة فيرحم ثم يغفر فان قيل كيف
تكون المغفرة موصوفة بانها خير مما يجمعون ولا خير فيما
يجمعون اجيب بان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من
الحلال الذي يعد خيرا واتى هذا ورد على حسب قولهم
ومعتقدهم ان تلك الاموال خيرات فقيل المغفرة خير من
هذه الاشياء التي يظنونها خيرات ولئن متم او قتلتم
على وجه اتفق هلا كلم لا الى الله لا غيره تحشرون
في الاخرة فيجازيكم وقرا نافع وحمزة متم بكسر الميم والباقون

بالضم وقرا حفص يحشرون بيا الغيبة والباقون بتا الخطاب
ورسمت لا الى الله بالف بعد اللام فان قيل هلا ذكرت مواضع
تقدم الموت على القتل في الاول والاخير وقدم القتل على الموت
في المتوسط فما الحكمة في ذلك اجيب بان الاول لمناسبة
ما قبله من قوله اذا ضربتم في الارض او كانوا غزا فرجع الموت
لمن ضرب في الارض والقتل لمن غزا واما الثاني فلانه تحريض
على الجهاد فقدم الاهم الاشرف واما الاخير فلان الموت اغلب
فبما رحمة اى فبرحمة من الله لنت لهم ما مزيدة
للتاكيد والجار والمجرور متعلق بلنت دلالة على ان لينه صلى
الله عليه وسلم ما كان الا برحمة من الله ومعنى الرحمة
توفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت
فظا اى سيئ الخلق غليظ القلب جافيا لانفضوا اى
تفرقوا من حولك اى عندك وذلك لان المقصود من بعثة
ان يبلغ الرسول تكاليف الله تعالى الى الخلق وذلك لا يتم
الا بميل قلوبهم اليه وسكون نفوسهم لديه وهذا المقصود
لا يتم الا اذا كان رحيما بهم كريما يتجاوز عن ذنوبهم ويعفو
عن سيئاتهم ويخصهم بالبر والشفقة فلهذه الاسباب
وجب ان يكون الرسول مبرا عن سوء الخلق وغلظ القلب
ويكون كثير الميل الى اعانة الضعفا كثير القيام باعانة الفقرا
وحمل العقلا هذه الاية على واقعة احد قال فبما رحمة من الله
لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا

غليظ القلب فنفاهم بالملامة على ذلك الانهزام لانفضوا
من حولك هيبة منك وحياء سبب ما كان منهم من الانهزام
فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم واعف اى تجاوز عنهم
اى ما اتوه واستغفر لذنبهم حتى اشفعك فيهم فاغفر لهم
واختلفوا فى معنى قوله تعالى وشاورهم فى الامر على وجوه
احدها ان ذلك يقتضى شدة محبته لهم فلو لم يفعل ذلك
لكان ذلك اهانة لهم فيحصل سوء الخلق والفظاظة وثانيها
انه عليه الصلاة والسلام وان كان اكمل الناس عقلا الا
ان عقول الخلق غير متناهية فقد يخطر ببال الانسان
من وجوه المصالح ما لا يخطر ببال اخر لا سيما فيما يتعلق
بامور الدنيا قال عليه الصلاة والسلام انتم اعرف بامور
دنياكم وانا اعرف بامور دينكم ولهذا السبب قال صلى الله
عليه وسلم ما شاور قوم قط الا هدوا الى ارشد امورهم
وثالثها قال الحسن وسفيان بن عيينة انما امر بذلك ليقتدى
به غيره فى المشاورة وتصير سنة ورابعها انه عليه الصلاة
والسلام مشاورهم فى وقعة احد فاشاروا عليه بالخروج
وكان ميله ان لا يخرج فلما خرج ووقع ما وقع فلو ترك
مشاورتهم فامر الله تعالى بمشاورتهم بعد تلك الواقعة
ليدل على انه لم يبق فى قلبه اثر من تلك الواقعة وخامسها
امره بالمشاورة لا يستفيد منهم رايا ولكن ليعلم مقادير
عقولهم ومحبتهم له وذكروا ايضا وجوها اخر فى هذا القدر

كفاية واتفقوا على ان كل ما نزل فيه وحي من عند الله لم يكن
للرسول ان يشاور الامة فيه لان النص اذا جاء بطل الراى
فاذا عزمت اى قطعت الامر على امضاء ما تريد بعد المشاورة
فتوكل على الله اى ثق به لا بالمشاورة فليس التوكل
اهمال التدبير بالكلية بل بمراعات الاسباب مع تفويض
الامر الى الله تعالى ان الله يحب المتوكلين عليه فينصرهم
ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله اى يعينكم على عدوكم
كيوم بدر فلا غالب لكم اى فلا احد يغلبكم وان يخذلكم بترك
نصركم يوم احد فمن ذا الذى ينصركم من بعده اى بعد خذلانه
اياه لا احد ينصركم وهذا تنبيه على المعتقض بالتوكل وتحريض
على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب
خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون اى فليخصه بالتوكل عليه
لما علموا ان لا ناصر سواه لان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه
وما كان لنبى ان يغل اى وما صح لنبى ان يخون فى الغنائم
فان النبوة تنافى الخيانة واختلفوا فى سبب نزول هذه
الاية فقال ابن عباس نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم
بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذها وقال مقاتل نزلت فى غنائم احد حين ترك الرماة
المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما
لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم الم اعهد

ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امرى فقالوا تركنا بقية اخواننا
وقوفا فقال لهم صلى الله عليه وسلم بل ظننتم ان نغلكم ولا نقسم
لكم وقال محمد بن اسحاق بن بشار هذا في الوحي يترك ما كان
للنبي ان يكتم شيأ من الوحي رغبة او رهبة كان صلى الله عليه
وسلم يقرأ القرآن وفيه سب دينهم وسب الهتهم فسألوا
ان يترك ذكر فنزلت وروى انه صلى الله عليه وسلم غنم في بعض
الغزوات وهي الغنايم فاخرت القسمة لبعض الموانع فيها
قوم وقالوا لا نقسم غنايمنا فقال عليه الصلاة والسلام
لو كان لكم مثل احد ذهبا ما حسبت عليكم منه درهما اتحسبون
اني اغلكم مغنمكم فنزلت وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم بفتح
الياء وضم الغين على البنا للفاعل والباقون بضم الياء
وفتح الغين على البنا للمفعول والمعنى هذا وما صح لنبي
ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل
يوم القيامة قال اكثر المفسرين ان هذه الاية على ظاهرها
قالوا وهو نظير قوله تعالى في مانع الزكاة يوم يحمى عليها
في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ويدل
له قوله صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم يجي على رقبته يوم
القيامة ببعير له رغا او بقرة لها خوار او شاة لها ثغاء
فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيأ قد
بلغتك قال المحققون وفايدته اذا جاء يوم القيامة وعلى
رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته وعن ابن عباس

انه قال يمثل له ذلك الشي في قعر جهنم ثم يقال له انزل اليه فخذ
فينزل اليه فاذا انتهى يحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع
في النهار ثم يكلف ان ينزل اليه ليخرجه ففعل ذلك به وعن ابي
هريرة قتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عبد فقال الناس
هنيا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ان الشملة التي اخذها يوم خيبر من المغانم
لم يصبها القاسم تشتعل عليه نارا فلما سمع ذلك الناس جا رجل
بشراك او شراكين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار او شراكان من نار
وقال ابو مسلم ليس المقصود من الاية ظاهرها بل المقصود
تشديد الوعيد على سبيل التمثيل كقوله تعالى انها ان تك مثقال
حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات
بها الله فانه ليس المقصود مثل هذا الظاهر بل المقصود
اثبات ان الله تعالى لا يعزب عن علمه وعن حفظه مثل ذرة
في الارض ولا في السما فكذا ها هنا المقصود تشديد الوعيد
والمعنى ان الله تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويقرره عليه
يوم القيامة ويجازيه لانه تعالى لا يخفى عليه خافية وعن
ابي حميد الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجل من اسد على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا
هدى الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال
ما بال العامل نبعثه على نقص اعمالنا فيقول هذا لكم وهذه

اهدى الى فهل جلس فى بيت امه او بيت ابيه فينظر ايهدى
اليه ام لا فوالذى نفسى بيده لا ياخذ منها احد شيأ الا جاء
يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بعيرا له رغاء او بقرة
لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رئى عفرتا ابطيه ثم قال
اللهم هل بلغت هل بلغت ثم توفى كل نفس اى تعطى جزاء
ما كسبت اى عملت وافيا القال وغيره فان قيل هلا قيل
ثم توفى اى القال ما كسب اجيب بانه عمم الحكم ليكون
كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب
مجزيا بعمله فالقال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا
يظلمون شيأ فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد عقاب
عاصيهم وقوله تعالى افمن اتبع رضوان الله الهمزة
فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف والتقدير افمن
اتقى فاتبع رضوان الله كمن باء اى رجع بسخط من الله بسبب
المعاصى ومأواه جهنم وبئس المصير اى المرجع هى اى ليس
مثله واختلف فى المراد من هذه الاية فقال الكلبى والضحاك
افمن اتبع رضوان الله فى ترك الغلول كمن باء بسخط من الله فى
فعل الغلول وقال الزجاج لما حمل المشركون على المسلمين
دعا النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه الى ان يحملوا على
المشركين ففعلوا بعضهم وتركه اخرون فقوله افمن اتبع
رضوان الله وهم الذين امتثلوا امره كمن باء بسخط من
الله وهم الذين لم يقبلوا قوله وقيل افمن اتبع رضوان الله

وهم المهاجرون كمن با بسخط من الله وهم المنافقون وقيل
افمن اتبع رضوان الله بالايمان به والعمل بطاعته كمن با
بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته قال القاضي
وكل واحد من هذه الوجوه صحيح ولكن لا يجوز قصر اللفظ
عليه لان اللفظ عام فيجب ان يتناول الكل وان كانت الاية
نزلت في واقعة معينة لكن عموم اللفظ لا يبطل بخصوص
السبب تنبيه الفرق بين المصير والمرجع ان المصير
يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع فانه قد
يوافق المبدا وقرا شعبة رضوان بضم الرا والباقون بالكسر
وقوله تعالى هم درجات مبتدا وخبر اي الفريقان
درجات ولا بد من تاويل في الاخبار بالدرجات عن هم لانها
ليست اياهم فيجوز ان يكون على حذف مضاف اي ذوا
درجات اي اصحاب منازل ورتب في الثواب والعقاب عند
الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب ولمن با سخط العقاب
والله بصير بما يعملون اي عالم باعمالهم فيجازيهم على حسبها
لقد من الله على المومنين اي انعم على من امن مع النبي صلى
الله عليه وسلم ووجه هذه المنة ان الرسول صلى الله عليه
وسلم يدعوهم الى ما يخلصهم من عقاب الله تعالى ويوصلهم
الى ثوابه لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فان
قيل لم خصهم بالنعمة مع ان البعثة عامة اجيب بانهم
هم المنتفعون بها وقوله تعالى هدى للمتقين اذ بعث فيهم

رسولا من انفسهم اى من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه
بسهولة ويكونوا واقفين على احواله فى الصدق والامانة فكان
ذلك اقرب اليهم الى تصديقه والوثوق به ويشرفوا
لا ملكا ولا عجميا وقرئ شاذا من انفسهم بفتح الفاء اى من
اشرافهم لانه صلى الله عليه وسلم كان من اشرف قبائل العرب
وبطونهم وقد خطب ابو طالب لما تزوج صلى الله
عليه وسلم خديجة رضى الله تعالى عنها وقد حضر معه
من بنى هاشم ورؤسا مضر الحمد لله الذى جعلنا من ذرية
ابراهيم وزرع اسماعيل وضيئى معد وعنصر مضر
وجعلنا حضنة بيته وسوا حرمه وجعل لنا بيتا
محجوبا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابنى
هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح
والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر جليل ولما ذكر فى
التفسير قراءة شاذة الآحده لكونها فى شرف الرسول صلى
الله عليه وسلم وقراءة السيدة فاطمة رضى الله تعالى عنها
يتلوا عليهم اياته اى القران بعد ما كانوا جاهلا لا
يسمعون الوحى ويراكيهم يطهرهم من دنس الطبايع ورذائل
العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب اى القران والحكمة اى
السنة بعد ما كانوا من اجهل الناس وابعدهم من دراسة
العلوم كما قال تعالى وان كانوا من قبل اى قبل بعثته
صلى الله عليه وسلم لفى ضلل مبين اى بين ظاهر اولما

اى حين اصابتكم مصيبة باحد بقتل سبعين
منكم قد اصبتم مثليها ببدر بقتل سبعين واسر
سبعين قلتم متعجبين انى اى من اين لنا
هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى
الله عليه وسلم فينا والجملة الاخيرة محل الاستفهام الانكارى
قل لهم هو من عند انفسكم اى بما اقترفته انفسكم
من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد بان مكروطا مة
بالثبات فى المركز والمطاوعة فى الامر وعن على رضى
الله تعالى عنه قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه
وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك من اخذهم
الفدا من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم ان يقتلوا او يقدموا
الاسارى فتضرب اعناقهم وبين ان ياخذوا الفدا
على ان يقتل منهم عددهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا فاخذ
منهم فداهم لنتقوى به على قتال اعدائنا ويستشهد منا
عددهم فقتل منهم يوم احد سبعون عددا اسارى بدر
وهذا معنى قوله هل هو من عند انفسكم اى باخذكم الفدا
واختياركم له ان الله على كل شئ قدير فيقدر على
النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب
منكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان
اى جمع المسلمين وجمع المشركين يوم احد من

القتل والجرح والهزيمة **فباذن الله** اى فهو كائن بقضائه
وارادته ودخلت الفاء فى الخبر لشبهه المبتدا بالشرط نحو الذى
ياتينى فله درهم **وليعلم المؤمنين** وقد تقدم ان معنى وليعلم
الله كذا اى تمييزا ويظهر للناس ما كان فى علمه **وليعلم الذين**
نافقوا قال الواحدى يقال نافق الرجل فهو منافق اذا
اظهر كلمة الايمان واضمر خلافها قال ابو عبيد مشتق
من نافقاء اليربوع لان جحر اليربوع لها بابان فاذا طلب من
احدهما خرج من الاخر فقيل للمنافق انه منافق وهو اسم اسلامى لانه صنع لنفسه
طريقين اظهار الاسلام واضمار الكفر فمن اى بابا اتاه يخرج من
الاخر فقيل للمنافق انه منافق طلب خوج من اخر وقوله
تعالى **وقيل لهم** عطف على نافقوا اى وليعلم الذين قيل
لهم لما انصرفوا عن القتال وقالوا لو نعلم انفسنا فى القتل
فرجعوا وهم عبد الله بن ابى واصحابه وكانوا ثلثمائة من
الالف الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **قاتلوا**
فى سبيل الله الكفار **او ادفعوا** عنا ان كان فى
قلبكم حب الايمان فقاتلوا للدين ولم تكونوا كذلك فقاتلوا
دفاعا عن انفسكم واهليكم واموالكم وقال السدى وابن جريج
او ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا لان
الكثرة احد اسباب الهيبة وروى عن سهل بن سعد
الساعدى وقد كف بصره لو امكنى لبعت دارى ولحقت

بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل
وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله تعالى او ادفعوا اراد
اكثروا سوادكم واختلفوا في القايل فقال الاصم ان الرسول
صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى القتال وقيل ابو جابر
الانصاري قال لهم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم
عند حضور العدو قالوا لو نعلم اي نحسن قتالا لاتبعناكم
فيه قال تعالى تكذيبا لهم هم للكفر يومئذ اي يوم اذ
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اقرب منهم للايمان اي لانقطاعهم
وارتدادهم وكلامهم فان ذلك اول امارات ظهرت منهم
مؤذية بكفرهم وقيل المعنى على حذف مضاف اي هم لاهل
الكفر اقرب منهم لاهل الايمان بما اظهروا من خذلانهم
للمومنين وكانوا قبل اقرب الى الايمان من حيث الظاهر تنبيه
فضلوا هنا على انفسهم باعتبار حالين ووقتين ولولا
ذلك لم يجز فقول زيد قاعدا افضل منه قايما او زيد قاعدا
اليوم افضل منه قاعدا غدا ولو قلت زيدا اليوم قاعدا افضل
منه اليوم قاعدا لم يجز يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
اي يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطي قلوبهم السنتهم
بالايمان فهم وان كانوا يظهرون الايمان باللسان لكنهم
يضمرون في قلوبهم الكفر تنبيه اضافة القول الى
افواههم تصوير لنفاقهم فان ايمانهم موجود في افواههم
فقط وهذا النفي كونه للتاكيد كما قيل به لتحصيل هذه

المائدة وقال ابن عادل والظاهر ان القول يطلق على اللساني
وعلى النفساني فتقييده بافواههم تقييد لاحد مجملين اللهم
الا ان يقال اطلاقه على النفساني مجاز والله عليم بما يكتمون
اي عالم بما في ضمايرهم وبما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلم
ذلك منفصلا بعلم واحد وانتم تعلمونه مجملا بامارات وجوزا
في موضع الذين قالوا التابع الاعراب الثلاثة الرفع
والنصب والجر فالرفع من ثلاثة اوجه احدها ان يكون
مرفوعا على خبر مبتدا محذوف تقديره هم الذين الثاني انه
بدل من واو يكتمون الثالث انه مبتدا والخبر قوله قل
فادرأوا ولا بد من حذف عايد تقديره قل لهم فادرأوا
والنصب من ثلاثة اوجه ايضا احدها النصب على الذم اي
اذم الذين قالوا الثاني انه بدل من الذين نافقوا الثالث انه
صفة لهم والجر من وجهين احدهما انه بدل من الضمير في
بافواههم الثاني بدل من الضمير في قلوبهم لقوله الفرزدق
على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم
حاتم على انه بدل من الهاء في جوده وضمن مبني للمفعول
وهو بالماء اي ولو ان حاتما مستقر في القوم كائنا على جوده
وهم بتلك الحالة لبخل بالماء لاخوانهم اي لاجل اخوانهم من
جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم في
النسب او في سكنى الدار او في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى وقعدوا حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين

عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم تقتلوا واختلف
في القائل بذلك فقال اكثر المفسرين هو ابن ابي واصحابه وقيل
الامر هذا لا يجوز لان ابن ابي خرج مع النبي صلى الله عليه
وسلم في الجهاد يوم احد وهذا القول واقوى من تخلف فيه نظر
لاحتمال ان المراد بالقعود القعود عن القتال لا عن الخروج
الى القتال قل لهم فادرؤا اي ادفعوا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين في ان القعود ينجي منه لانكم ان دفعتم
القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع
سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم ان يتخلف بكم بعضها
وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا
فان قيل ما وجه هذا الاستدلال فان التحرز عن القتل ممكن
واما التحرز عن الموت فغير ممكن اجيب بان الكل بقضاء
الله وقدره فلا فرق بين الموت والقتل وفي قوله تعالى
فادرؤا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالين
فادفعوا عن الاسباب الموت فادرؤا جميع اسبابه حتى لا تموتوا
ونزل في شهداء احد كما رواه الحاكم وكانوا سبعين رجلا اربعة
من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير
وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وسائرهم من
الانصار ولا تحسبن ان ولا تظنن الذين قتلوا في
سبيل الله اي لاجل دينه والخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم ولكل احد امواتا بل احياء عند ربهم اي ذوو زلفى منه

فليس المراد القرب المكانى لاستحالته ولا بمعنى فى علمه
وحكمه لعدم مناسبة المقام له بل بمعنى القرب تشرفا
ورتبة قال البيضاوى وقيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا
اربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين
قال شيخنا القاضى زكريا وهو غلط انما نزل فيهم اية البقرة
يرزقون من ثمار الجنة وروى ابن عباس انه عليه الصلاة
والسلام قال ارواح الشهداء فى اجواف طير خضر ترد
انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل معلقة
فى ظل العرش وروى ان الله تعالى يطلع عليهم ويقول له
سلونى ما شئتم فيقولون يا رب كيف نسالك ونحن
نسرح فى الجنة فى اى شىء من ان لا تسالونى شيا
قالوا نسالك ان ترد ارواحنا الى اجسادنا فى الدنيا
فنقتل فى سبيلك لما راوا من النعيم كما قال تعالى فرحين
بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز
بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة
ويستبشرون اى ويفرحون بالذين لم يلحقوا بهم من
اخوانهم الذين تركوهم احياء فى الدنيا على مناهج الايمان
والجهاد لعلمهم انهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من
الكرامة ما نالوا فلذلك يستبشرون من خلفهم اى
الذين من خلفهم زمانا او رتبة وابدل من الذين ان اى
بان لا خوف عليهم اى الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم

ولا هم يحزنون في الاخرة والمعنى انهم يستبشرون بما تبين
لهم من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من المومنين وهو
انهم يبعثون امنين يوم القيامة لا يكدرون بخوف وقوع
محذور ولا بحزن فوات محبوب وفي ذكر حال الشهداء استبشارهم
بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على الزيادة في الطاعة
والجهد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم
واجتهاد لكل من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه لان
الله تعالى مدحهم على ذلك يستبشرون بنعمة من الله
وفضل لما بين تعالى انهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
بين هنا انهم يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم
ولذلك اعاد لفظ الاستبشار فان قيل اليس انه ذكر فرحهم
باحوال انفسهم والفرح عين الاستبشار فلزم التكرار
اجيب بان الاستبشار هو الفرح التام فلا يلزم التكرار
او بان المراد حصول الفرح بما حصل في الحال وحصول
الاستبشار بما عرفوا ان النعمة العظيمة تحصل لهم في الاخرة
والفرق بين النعمة والفضل ان النعمة هي الثواب والفضل
هو التفضل الزايد فان قيل لم قال تستبشرون من غير
عطف اجيب بانه تاكيد للاول لانه قصد بالنعمة
والفضل بيان متعلق الاستبشار الاول ان الله لا
يضيع اجر المحسنين لما ذكر ايهام ان الثواب العظيم
الى الشهداء بين ان ذلك مخصوص بهم بل كل مومن يستحق

شيأ من الاجر والثواب فان الله تعالى يوصل ثوابه اليه
ولا يضيعه وقوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول الآية
دعاه مبتدأ من بعد ما اصابهم القرح باحد وخبر المبتدأ
للذين احسنوا منهم بطاعته واتقوا مخالفته اجر عظيم
هو الجنة روى ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من
احد فبلغوا الروحاء ندموا وعزموا بالرجوع فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويرهبهم من
نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب
ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا
بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء
الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه
القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر روى انه
كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة غير ان المحمول يحمل
الحامل ساعة اخرى وذلك لكثرة الجراحات فيهم وكان فيهم
من يتوكأ على صاحبه ساعة ويتوكأ عليه صاحبه ساعة
فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء
الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله
لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله
قد اعافاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء وقد اجمعوا

الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى ابو
سفيان معبدا قال ما وراك يا معبد قال محمد قد خرج
في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط قال يا ويلك ما تقول
قال والله ما اراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل والقى الله
الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت تنبيه من في
الذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد
الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين
استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا الا بعضهم
وقوله تعالى الذين بدل من الذين قبله او نعت قال لهم
الناس ان الناس قد جمعوا لكم اي الجموع ليستاصلوكم
فاخشوهم روي ان ابا سفيان عند انصرافه من احد
قال يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله
عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان
في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه
فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم
معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر
وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر
ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليه واكره ان يخرج
محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراة ولان يكون الخلف من
قبلهم احب الي من ان يكون من قبل فالحق بالمدينة فثبطهم
واعلمهم اني في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة

من الابل اضعها في يد سهيل بن عمرو ويضمنها فقال له
نعيم يا ابا يزيد اتضمن لي ذلك وانطلق الى محمد واثبطه
قال نعم فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون
لميعاد ابي سفيان فقال اين تريدون فقالوا واعدنا ابو
سفيان بموسم بدر الصغرى ان يقتل بها فقال الراي
رايتم اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريد
افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا
يفلت منكم احد فكره بعض اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي ولو لم
يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا
الله ونعم الوكيل ولم يلتفتوا الى ذلك القول كما قال تعالى
فزادهم ذلك القول ايمانا اي تصديقا بالله ويقينا
وقالوا حسبنا الله اي كافينا امرهم ونعم الوكيل اي
المفوض اليه هو حتى وافوا بدرا الصغرى فجعلوا يلقون
المشركين ويسيلونهم عن قريش فيقولون جمعوا لكم
يريدون ان يرهبوا المسلمين فيقول المسلمين حسبنا
الله ونعم الوكيل وهذه هي الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات
الله وسلامه عليه حين القي في النار حتى بلغوا بدرا وكانت
موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام
ثمانية ايام فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر
ينتظر ابا سفيان ثمان ليال ولم يلق رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم واصحابه احدا من المشركين ووافوا السوق وكان
معهم تجارات فباعوها واشتروا ادما وزبيبا واصابوا
الدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين
كما قال تعالى فانقلبوا اى انصرفوا بنعمة من الله اى
بعافية ثم يلقوا عدوا وفضل اى تجارة وربح وهو ما اصابوا
في السوق لم يمسسهم سوء اى لم يصبهم اذى ولا مكروه
ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق
قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فبيد الناس الاول
المثبطون والاخرون ابو سفيان واصحابه فان قيل من
المثبط هو ابو نعيم فكيف قيل الناس اجيب بانه من
جنس الناس كما قيل فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما
له الا فرس واحد وبرد واحد ولانه حين قال ذلك لم يخل
من ناس من اهل المدينة يثبطون مثل تثبيطه بل قيل
انهم كانوا جماعة قدموا بانى سفيان ركب من عند القيس
يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان
ثبطوهم فان قيل كيف زادهم ايمانا اجيب بانهم سمعوا ذلك
واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية
الاسلام وكان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد
الايمان الايقان بتناصر الحجج ولما خروجهم على اثر التثبيط
الى وجه العدو وطاعة عظيمة والطاعات تزيد الايمان
فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قلنا يا رسول الله ان

الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة
وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضي الله تعالى عنه
انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزداد ايمانا وعنه
رضي الله تعالى عنه لو وزن ايمان ابي بكر رضي الله تعالى
عنه بايمان هذه الامة لرجح به **واتبعوا رضوان الله**
الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراتهم وخروجهم
والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة
الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين
واظهار الحماة على العدو بالحفظ من كل من يسوءهم واصابة
النفع من ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه
تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا
به **انما ذلكم** اي المثبط وابو سفيان **الشيطان يخوف**
اولياءه اي القاعدين عن الخروج مع النبي صلى الله عليه
وسلم او يخوفكم اولياءه وهم ابو سفيان واصحابه ويدل على ذلك
قوله تعالى **فلا تخافوهم وخافون** في مخالفة امري
فجاهدوا مع رسولي **ان كنتم مومنين** حقا فان الايمان
يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس وقرا ابو عمرو
باثبات الياء وصلا ووقفا والباقون بالحذف وقفا
ووصلا **ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** اي يقعون
فيه وقوعا سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين
او قوم ارتدوا عن الاسلام اي لا تهتم لكفرهم **انهم لن يضروا**

الله شيأ بفعلهم وانما يضرون به انفسهم وقرأ نافع يحزنك
بضم الياء وكسر الزاى حيث وقع ما خلا قوله تعالى فى الانبيا
لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه على فتح الياء وضم الزاى فيه
والباقون كذلك فى الكل من حزنه لغة فى احزنه يريد الله
ان لا يجعل لهم حظا اى نصيبا فى الاخرة اى الجنة فلذلك
خذلهم وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر ولهم
مع حرمان الثواب عذاب عظيم فى النار ان الذين اشتروا
الكفر بالايمان اى اخذوه بدله لن يضروا الله بكفرهم
شيأ ولهم عذاب اليم اعاد ولهم وكرر ذلك للتاكيد او هو
تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المخلفين او من
ارتد من الاعراب ونزل فى مشركى مكة كما قال تعالى او فى
قريظة او النضير كما قاله عطا ولا تحسبن الذين كفروا
انما نملى اى نمهل لهم بتطويل الاعمار خير لانفسهم انما
نملى لهم ليزدادوا اثما بكثرة المعاصى ولهم عذاب مهين
اى ذو اهانة روى انه صلى الله عليه وسلم سيل اى الناس
خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاى الناس شر
قال من طال عمره وساء عمله وقراة حمزة ولا تحسبن الذين
كفروا ولا تحسبن الذين يبخلون بالتاء فيهما على الخطاب
والباقون بالياء على الغيبة وفتح السين ابن عامر وعاصم
وحمزة ما كان الله ليذر اى ليترك المومنين على ما انتم
عليه ايها الناس من اختلاط المسلم بغيره حتى يميز

اى يفصل الخبيث اى المنافق من الطيب واختلف في
سبب نزول هذه الاية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد
تزعم ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان
من اتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فاخبرنا
بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن فنزلت وقال السدي قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عرضت على امتي في صورتها في
الطين كما عرضت على ادم واعلمت من يؤمن ومن يكفر
فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من
يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما
يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على
المنبر وحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا
في علمي لاتسالوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة الا نبأتكم
به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي يا رسول
الله قال حذافة فقام عمر رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله
رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبك نبيا
فاعف عنا عفا الله تعالى عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
فهل انتم منتهون ثم نزل عن المنبر فنزلت قاله قيل المراد بالمطاب
في انتم اجيب بانه للمصدقين جميعا من اهل النفاق
والاخلاص كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال
التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف
مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى

بميز عمر

يميزهم منكم بالوحى الى نبيه واخباره باحوالكم او بالتكاليف
الشاقة التى لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون
منكم كبذل الاموال والانفس فى سبيل الله فيختبر بها
بواطنكم ويستدل بها على عقايدكم فعمل ذلك يوم احد
حيث اظهروا النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقرا حمزة والكسائى يميز بضم الياء وفتح الميم وتشديد
الياء بعد الميم مع كسرها والباقون بفتح الياء وسكون الياء
بعد الميم وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله
يجتبى من رسله من يشاء فيوحيه اليه فتخبره ببعض
المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله
اى بصفة الاخلاص او بان تعلموا ان الله وحده مطلع على
الغيب ويعلموهم عباد اجتباهم لا يعلمون الا ما علمهم الله
تعالى ولا يقولون الا ما يوحى اليهم روى ان الكفرة قالوا ان
كان محمد صادقا فليخبرنا بمن يؤمن ومن يكفر فنزلت الاية
وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم
اى لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله
من فضله هو اى بخلهم خيرا لهم بل هو اى بخلهم شر
لهم لاستجلابه العقاب عليهم واختلفوا فى المراد بهذا
البخل فقال اكثر العلما المراد به منع الواجب واستدلوا
بوجوه احدها ان الاية دالة على الوعيد الشديد وذلك لا
يليق الا بالواجب وثانيها ان الله تعالى ذم البخل والتطوع

لا يذم على تركه وتاليها قال عليه الصلاة والسلام رواه
داود من البخل وتارك التطوع لا يليق به هذا الوصف
وانفاق الواجب على اقسام انفاقه على نفسه وعلى قاربه
الذين تلزمه مؤنتهم ومنها الزكوات ومنها اذا احتاج
المسلمون الى دفع عدو يقصدون انفسهم واموالهم فيجب
عليهم انفاق الاموال على من يدفعهم عنهم ومنها دفع ما
يسد رمق المضطر **سيطوقون** اى سوف يطوقون
ما بخلوا به يوم القيامة اختلف فى هذا الوعيد فقال ابن
عباس وابن مسعود يجعل ما يمنعه من الزكاة حية يطوقها
فى عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه وتنقر
راسه تقول انا مالك وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه مالا فلم يؤد
زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا اقرع له
زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمتيه يعنى
شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا تحسبن
الذين يبخلون الاية وعن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذى نفسى بيده او والذى لا اله غيره او بحلف
ما من رجل تكون له ابل او بقر او غنم لا يؤدى حقها
الا اتى بها يوم القيامة اعظم ما تكون واسمنه تطاوه
باخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت عليه اخراها ردت
عليه اولاها حتى يقضى بين الناس وقال مجاهد معنى

سيطوقون سيكلفون ان يأتوا بما بخلوا به يوم القيامة
اى يومرون بادائها منعوا قلا يمكنهم الاتيان به فيكون
ذكر توبيخا وقيل ان هذه الاية نزلت فى احبار اليهود
الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته واراد
بالبخل الكتمان العلم كما فى سورة النساء الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله ومعنى قوله
على هذا سيطوقون اى يحملون وزره واثمه كقوله تعالى
يحملون اوزارهم على ظهورهم وقوله تعالى ولله ميراث
السموات والارض فى معناه وجهان احدهما ان له ما فيهما
مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فهو الباقى الدايم بعد
فناء خلقه وزوال املاكهم فما لهم يبخلون عليه بملكه وهم
ينفقونه فى سبيله ونحوه قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه والثانى وبه قال الاكثرون معناه انه
يفنى اهل السموات والارض ويفنى الاملاك وما ملكوا لها
الا الله فجرى هذا مجرى الوراثة قال ابن الانبارى يقال
ورث فلان علم فلان اذا انفرد به بعد ان كان مشاركا
فيه وقال تعالى وورث سليمان داود لانه انفرد بذلك
بعد ان كان داود مشاركا له فيه والله بما تعملون من
المنع والاعطاء خبير فيجازيكم به وقرا ابن كثير وابو عمرو
بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال الحسن وجاهد

لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قالت
اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء وذكر الحسن
ان قائل هذه المقالة حيى بن اخطب وقال عكرمة والسدى
ومقاتل ومحمد بن اسحاق كتب النبى صلى الله عليه وسلم مع
ابى بكر الصديق الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام
والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا
فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا
من اليهود قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص بن
عازورا وكان من علمائهم وسعه حبرا خر يقال له اشيع
فقال ابو بكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان
محمدا رسول الله قد جاكم بالحق من عند الله تجدونه
مكتوبا عندكم فى التوراة فامن وصدق واقرض الله قرضا
حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص
يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض من اموالنا وما يستقرض
الا الفقير من الغنى فان كان ما تقول حقا فان الله اذا
لفقير ونحن اغنياء وانه ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو
كان غنيا ما اعطانا الربا يعنى فى قوله فيضاعفه له اضعافا
كثيرة فغضب ابو بكر رضى الله تعالى عنه وضرب وجه
فنحاص ضربة شديدة وقال والذى نفسى بيده لولا
العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله
فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد

انظر

انظر ما صنع وصاحبك فقال رجل الله صلى الله عليه وسلم
لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو
الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وهم اغنياء فغضبت لله
فضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله عز وجل ردا
على فنحاص وتصديقا لابي بكر رضي الله تعالى عنه لقد سمع
الله الاية وهذا الايدل على ان غيره لم يقل فكذلك ان الاية دالة
على ان القايل جماعة لقوله تعالى الذين قالوا سنكتب اى
نامر بكتب ما قالوا من الافك والفرية في صحايف اعمالهم
ليجازوا عليه ونحوه وانا له لكاتبون او سنحفظه في علمنا
لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالله
والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبيا كما قال تعالى وقتلهم
انا وسنكتب قتلهم الانبيا بغير حق وفي نظمه به تنبيه
على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وانهم من اجترا على قتل
الانبيا لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول اى الله
لهم في الاخرة على لسان الملايكة ذوقوا عذاب الحريق اى النار
وهي بمعنى المحرق كما يقال عذاب اليم مولم وقرا حمزة سنكتب
بالياء المثناة تحت بعد السين مضمومة وفتح التا بعد الكاف
وضم اللام من قتلهم وبالياء في ونقول والباقون بالنون
بعد السين مفتوحة وضم التا بعد الكاف ونصب اللام
من قتلهم وبالنون في ونقول ويقال لهم اذا العقا في النار
ذلك اى العذاب بما قدمت ايديكم من الافكار وقتل

الانبيا وغير ذلك من المعاصي [illegible] الا [illegible] الا [illegible]
اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام اى بذى ظلم للعبيد
فيعذبهم بغير ذنب فان قيل ظلام للمبالغة المقتضية
فهو اخص من ظالم ولا يلزم من نفى الاخص نفى الاعم اجيب
بانه لما قوبل بالعبيد وهم كثيرون ناسب ان يقابل الكثير
بالكثير وبانه اذا نفى الظلم الكثير بنفى القليل لان الذى يظلم
انما يظلم لانتفاعه بالظلم فاذا ترك كثيره مع زيادة نفعه
فى من يجوز عليه النفع والضر كان لقليله مع قلة نفعه
اترك وبان ظلام للنسب كما قدرته فى الاية الكريمة كما فى بزار
وعطار اى لا ينسب اليه ظلم البتة وقوله تعالى الذين
نعت للذين قبله قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم تزعم
ان الله بعثك بالحق رسولا وانزل عليك كتابا وان نؤمن
بك اى وقالوا ان الله قد عهد الينا اى امرنا واوصانا
فى كتبه ان لا نؤمن لرسول اى لا نصدق رسولا بانه جاء من
عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار اى حتى ياتينا
بهذه المعجزة الخاصة التى كانت الانبيا بنى اسرايل فيكون
دليلا على صدقه والقربان كلما يتقرب به العبد الى الله من
نسكه وعمل صالح وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة
جات نار بيضا من السما لا دخان لها ولها دوى وهفيف
فتاكل ذلك القربان وتاكل الغنيمة ومعنى اكلها ان تحيل
ذلك الى طبعها بالاحراق فيكون ذلك علامة القبول واذا

لم يتقبل

لم يستقبل بقي على حاله وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل
النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير
المعجزات في ذلك سوا وقال السدي هذا الشرط جا في التوراة
ولكنه مع شرط وهو ان الله تعالى امر بني اسرايل من حاكم
يزعم انه رسول الله فلا تصدقوا حتى ياتيكم بقربان تاكله
النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما
ياتيان بغير قربان قال الله تعالى اقامة للحجة عليهم قل لهم
يا محمد قد جاكم رسل من قبلي بالبينات اي بالمعجزات وبالذي
قلتم من القربان كزكريا ويحيى فقتلتموهم فلم قتلتموهم
والخطاب لمن في زمن نبينا وان كان الفعل لاجدادهم لرضاهم
به ان كنتم صادقين في انكم تومنون بالرسل عند الاتيان
بذلك ثم قال الله تعالى تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم
من تكذيب قومه واليهود فان كذبوك فقد كذب رسل من
قبلك جاوا بالبينات اي المعجزات والزبر اي الصحف كصحف
ابراهيم والكتاب اي التوراة والانجيل المنير الواضح فاصبر كما
صبروا وقرا نافع وابن ذكوان وعاصم باظهار دال قد عند الجيم
والباقون بالادغام وقرا ابن عامر وبالزبر بالبا الموحدة
والباقون بغير با بعد الواو وقرا هشام وبالكتاب بالبا
الموحدة بعد الواو والباقون بغير با وقوله تعالى كل نفس
ذايقة الموت زيادة تاكيد في تسليته صلى الله عليه وسلم
ومبالغة في ازالة الحزن عن قلبه فان من علم ان عاقبته الى

الموت زالت عن قلبه الغموم والاحزان روى ان الله تعالى لما
خلق ادم امتلئت الارض الى السماء فلما اخذ منها فوعدها ان يرد
فيها ما اخذ منها فما من احد الا يدفن في التربة التي اخذ منها
وان بعد هذه الدار دارا يميز فيها المحسن من المسيء والمحق
من المبطل ويجازى كل بما يستحقه كما قال وانما توفون اجوركم
اى جزاء اعمالكم يوم القيامة ان خيرا فخير وان شرا فشر
فمن زحزح اى بعد عن النار وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة
ونيل المراد والفوز بالظفر بالغيبة بالنظر الى وجه الله
تعالى الكريم وما الحياة الدنيا اى العيش فيها الا متاع
الغرور اى الباطل يتمتع به قليلا ثم يفنى روى ان الله تعالى
يقول اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس
ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وان في الجنة
شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان
شئتم وظل ممدود ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما
فيها اقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار الآية وروى من
احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه ضيقة
وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الناس ما يحب ان
يؤتى اليه اى يعمل بهم ما يجب ان يعمل به وقوله تعالى
لتبلون جواب قسم محذوف تقديره والله لتبلون وحذف
منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع وحذفت

واو الرفع لالتقاء الساكنين اي ليختبرون في اموالكم بالفرايض
فيها والمواريث وفي انفسكم والعبادات والجلا والاسر والجراح
وغير ذلك ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اي اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا اي مشركي العرب
اذا كثيرا وذلك انهم كانوا يقولون عزير ابن الله وثالث
ثلاثة وكانوا يطعنون في النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما
يقدرون عليه وهجاه كعب بن الاشرف وكانوا يحرضون
الناس على مخالفته صلى الله عليه وسلم ويجمعون العساكر
لمحاربته ويثبطون المسلمين عن نصرته وان تصبروا
على ذلك وتتقوا الله فان ذلك من عزم الامور اي من
صواب التدبير والرشد الذي ينبغي لكل عاقل ان يقدم عليه
واختلف في سبب نزول هذه الاية فقال ابن جريج والكلبي
ومقاتل نزلت في ابي بكر وفنحاص وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث ابا بكر الى فنحاص اليهودي يستمده وكتب
اليه كتابا لا تفتاتن علي بشي حتى ترجع الي فجا ابا بكر
رضي الله تعالى وهو متوشح بالسيف فاعطاه الكتاب
فلما قراه قال احتاج ربك الى ان نمده فهم ابو بكر ان يضربه
بالسيف فاعطاه الكتاب فتذكر ابو بكر قول النبي صلى الله
عليه وسلم وكف عنه فنزلت وقال الزهري نزلت في كعب بن
الاشرف فانه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شعره ويسب المسلمين ويحرض المشركين على النبي

صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه في شطره ويسب نساء المسلمين
تنبيه في الاية تاويلان احدهما المراد بالمصابرة امر الرسول
صلى الله عليه وسلم بالصبر على الابتلاء في النفس والمال وتحمل
الاذى وترك المعارضة والمقاتلة وذلك انه اقرب الى دخول
المخالف في الدين كقوله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين
لا يرجون ايام الله وقال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما
وقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم وقال تعالى ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
قال الواحدي هذا قبل نزول اية السيف وقال القفال والذي
عندي ان هذا ليس بمنسوخ والظاهر انها نزلت عقب
قصة احد والمعنى انهم امروا بالصبر على ما يوذون به
الرسول عليه الصلاة والسلام من طريق الاقوال الجارية
فيما بينهم واستعمال مداراتهم في كثير من الاحوال والامر
بالقتال لا ينافي الامر بالمصابرة التاويل الثاني ان المراد
الصبر على مجاهدة الكفار ومنابذتهم والانكار عليهم
فالصبر عبارة عن احتمال المكروه والتقوى عبارة عن
الاحتراز عما لا ينبغي واذكر اذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب اي العهد عليهم في التوراة على علمائهم ليبيننه اي
الكفار للناس ولا يكتمونه قرا ابن كثير وابو عمرو وشعبة
بالياء في الفعلين على الغيبة لان اهل الكتاب المخاطبين
بذلك غيب والباقون بالتاء على الخطاب حكاية لمخاطبتهم

فنبذوه

فنبذوه اى طرحوا الميثاق وراء ظهورهم اى لم يعملوا به
ولم يلتفتوا اليه ونقيض هذا جعله نصب عينيه واشتروا
به اى اخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا وانما ذمهم
من سفلتهم فى العلم فكتموه خوف فوتها عليهم وقوله تعالى
فبئس ما يشترون العايد محذوف فى تقديره يشترونه
قال قتادة رضى الله تعالى عنه هذا ميثاق اخذه الله على
اهل العلم فمن علم شيا فليعلمه وايا كم وكتمان العلم فانه مهلكة
وقال ابو هريرة رضى الله تعالى عنه لولا ما اخذ الله على اهل
الكتاب ما حدثتكم بشى ثم تلا هذه الاية وقال صلى الله عليه
وسلم من سيل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار
وقال ابو الحسن بن عمارة رضى الله تعالى عنه اتيت الزهرى
بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت ان رايت ان
تحدثنى فقال اما علمت انى تركت الحديث فقلت اما ان تحدثنى
واما ان احدثك فقال حدثنى فقلت حدثنى الحكم بن عيينة
عن يحيى بن الجزار قال سمعت عليا بن ابى طالب رضى الله
تعالى عنه يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى
اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال حدثنا ولم يعين حديثا لا
تحسبن الذين يفرحون بما اتوا اى فعلوا من اضلال
الناس ويحبون ان يحمدوا بما اتوا من علم التوراة او بما
لم يفعلوا من التمسك بالحق وهو على ضلال وهذا ايضا من
جملة اذاهم لانهم يفرحون بما اتوا من انواع الخبث والتلبس

على ضعفة المسلمين ويحبون ان يحمدوا بانهم اهل البر
والصدق والتقوى وقد اشتد ان الانسان يتأذى بمشاهدة
مثل هذه الاحوال فامر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر عليها
وروى انه صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في
التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوا
وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله ورسوله على ذلك وسلاه بما انزل
من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا
من تدليسهم عليك ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اخبارك
بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم
قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المسلمين في التخلف
واستحمدوا به وقيل هم المنافقون لانهم يفرحون بمنافقتهم
ويستحمدون الى الاسلام بالايمان الذين لم يفعلوه على
الحقيقة ويجوز ان يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة
فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه
بالديانة والزهد بما ليس فيه وقوله تعالى فلا تحسبنهم
تأكيد بمفازة اي مكان ينجون فيه من العذاب في الاخرة
بل في مكان يعذبون فيه وهو جهنم ولهم عذاب اليم اي مؤلم
فيهما وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب والباقون
بالياء على الغيبة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحمزة
والباقون بضمها بالكسر ومفعولا تحسبن الاولى دل عليهما مفعولا
الثانية على قراءة التحتانية وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط

وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تحسبنهم بالياء على الغيبة وضم الباء
الموحدة والباقون بالتاء على الخطاب وفتح الباء الموحدة وفتح
السين ابن عامر وعاصم وحمزة كما تقدم ولله ملك السموات
والارض فهو يملك امرهما وما فيهما من خزائن المطر والرزق
والنبات وغير ذلك والله على كل شيء قدير ومنه
تعذيب الكافرين وانجاء المؤمنين ان في خلق السموات والارض
وما فيهما من العجايب واختلاف الليل والنهار بالمجيء
والذهاب والزيادة والنقصان لايات اي دلالات واضحة
على قدرته تعالى وباهر حكمته لاولي الالباب لذوي العقول
الذين يفتحون بصايرهم للنظر والاستدلال والاعتبار
ولا ينظرون اليها نظر البهايم غافلين عما فيها من عجايب
القطر في النصايح الصغار املا عينيك من زينة هذه
الكواكب واجلها في جملة هذه العجايب متفكرا في قدرة مقدرها
متدبرا حكمة مدبرها فيبعد ان يسافر بك القدر ويحال بينك
وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال ان عايشة
رضي الله تعالى عنها اخبرني بالعجب ما رايت من امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب
اتاني في ليلة فدخل في لحافي حتى التصق جلده بجلدي ثم
قال يا عايشة هل لكان تاذني الليلة في عبادة ربي فقلت
قلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك فقد اذنت
لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب

الطائر قام يصلي فقرا من القران وجعل يبكي حتى بلغ الدموع
حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع
يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه
بلال يوذنه بصلاة الغداة فراه يبكي فقال يا رسول الله
اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال
يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد
انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم
قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين
فكيه ولم يتاملها وعن علي رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يشوك ثم ينظر الى السما
ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بني
اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها
فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت امه لعل فرطت فرطة منك
في ذمتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرة مرة الى السما ولم تعتبر
قال لعل قالت فما اوتيت الا من ذاك وقوله تعالى الذين نعت
لما قبله او بدل يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
اي مضطجعين اي يذكرون دايما على الحالات كلها قايمين
وقاعدين ومضطجعين لان الانسان قل ان يخلوا من
احدى هذه الحالات الثلاث وروى الطبراني وغيره انه
صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر
ذكر الله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذا في الصلاة

يصلي

يصلي قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب
وعن عمران بن حصين قال سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن صلاة المريض فقال يصلي قائما فان لم يستطع
فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب تنبيه قياما وقعودا
حالان من فاعل يذكرون وعلى جنوبهم حال ايضا فيتعلق
بمحذوف والمعنى يذكرونه قياما وقعودا ومضطجعين
فعطف الحال الموولة على الصريحة عكس الاية الاخرى
وهي قوله دعانا لجنبه او قاعدا او قائما حيث عطف الصريحة
على الموولة ويتفكرون في خلق السموات والارض وما
ابدع فيهما ليدلهم ذلك على قدرة الله تعالى ويعرفون ان
لها مدبرا حكيما قال بعض العلماء التفكرة تذهب الغفلة
وتحدث في القلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما
جليت القلوب بمثل الاحزان والاستبصارات بمثل الفكرة وروي
عنه صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى اي
تفضيل يودي الى تنقيصه والا فهو صلى الله عليه وسلم
سيد ولد ادم فانه كان يرفع كل يوم مثل عمل اهل الارض
قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب
لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل
الارض وقال صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر لانه
المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق الحديث كذا الحديث
رواه البيهقي وغيره وضعفوه وقال صلى الله عليه وسلم

بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السما
والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله
اليه فغفر له رواه الثعلبي بسند فيه من لا يعرف قال البيضاوي
وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول الدين وفضل اهله
وقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول
اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى الخلق بمعنى المخلوق
من السموات والارض لانها في معنى المخلوق والمعنى ما
خلقته عبثا وضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة
من جملتها ان يكون مبدا الوجود الانسان وسببا لمعاشه
ودليلا يدله على معرفة ربه ليتاهل الحياة
الابدية والسعادة السرمدية في جواره تنبيه نصب
باطلا على الحال من هذا وهو حال لا يستغنى عنها لانها لما
حذفت لاختل الكلام وهو كقوله تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين وقيل على اسقاط حرف الخافض
وهو الباء والمعنى ما خلقتها بباطل بل بحق وفيه سبحانك
اي تنزيها لك عن العبث وهو معترض بين قوله ربنا
وبين قوله فقنا عذاب النار اي للاخلال بالنظر في
العبث وهو معترض بين قوله ربنا في خلق السموات
والارض والقيام بما يقتضيه قال ابو البقاء ودخلت الفا
بمعنى الجزا والتقدير اذا نزهناك اوحدناك فقنا قال ابن
عادل ولا حاجة اليه بل التسبب فيها ظاهر وتسبب عن

قولهم

قولهم ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب
النار ربنا انك من تدخل النار اى الخلود فيها فقد اخزيته
اى اهنته وما للظالمين اى للكافرين فيه وضع الظاهر
موضع المضمر اشعارا بتخصيص الخزى بهم من انصار اى
انصار من زائدة زيدت لتاكيد النفى ربنا انا سمعنا
منادیا ینادی اى يدعو الناس للايمان اى اليه وهو
محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن العظيم ان اى بان امنوا
بربكم فامنا فان قيل اى فائدة فى الجمع بين منادیه وينادی
اجيب بانه ذكر المبدا مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما
لشان المنادى لانه لا منادى اعظم من منادى ينادی
للايمان ونحوه قولك مررت برجل وبهدى للاسلام وذلك ان
المنادى اذا اطلق ذهب الوهم الى منادى للحرب او لاعانة المكروب
او نحو ذلك وكذا الهادى قد يطلق الى من يهدى للطريق
ويهدى لسد الرأس وغير ذلك فاذا قلت ينادى للايمان
ويهدى للاسلام فقد رفعت من شان المنادى والهادى
وفخمته ويتمالد عاء لكذا والى هذا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
اى الكبائر منها وكفر عنا سيئاتنا اى الصغائر منها او
يكون ذلك من باب التعميم والاستيعاب كقوله الرحمن
الرحيم ولان الالحاح والمبالغة فى الدعاء امر مطلوب وتوفنا
مع الابرار اى مخصوصين بصحبتهم معدودين فى جملتهم
وهم الانبياء والصالحون وفيه تنبيه على انهم يجبون لقا

اللهم من احب لقاءك احببت لقاءه رواه الشيخان ربنا
وآتنا اى اعطنا ما وعدتنا على السنة رسلك من
الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك وان كان وعده تعالى لا
يخلف سؤال ان يحملهم من يستحقه لانهم لم يتيقنوا
استحقاقهم لتلك الكرامة فسألوه ان يحملهم مستحقين
لها وتكرير ربنا مبالغة فى التضرع وفى الاثار من حزبه
اى اصابه امر فقال خمس مرات ربنا نجاه الله مما يخاف
واعطاه ما اراد ولا تخزنا اى ولا تفضحنا ولا
تهنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد اى الموعد باثابة
واجابة الداعى وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد
الموت فاستجاب لهم ربهم دعاهم وهو احق من اجاب
لانه يفيد حصوله جميع المطلوب لكثرة مبانيه لان
كثرة المبانى تدل على كثرة المعانى وتعدى بنفسه
وباللام انى اى بانى لا اضيع عمل عامل منكم وقوله
تعالى من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض اى
بجمع ذكركم وانثاكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر
اى الذكور من الاناث والاناث من الذكور وقيل المراد وصلة
الاسلام وهذا الجملة وهى بعضكم من بعض معترضة بين عمل
عامل منكم من ذكر او انثى وما فصل به عمل عامل من قوله
والذين هاجروا الى ببيت بها شركة النساء الرجال فيما
وعد الله عباده العاملين روى ان ام سلمة رضى الله

تعالى عنها قالت يا رسول الله اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة
ولا يذكر النسا فنزلت وقوله تعالى فالذين هاجروا
اي من مكة الى المدينة واخرجوا من ديارهم لتفصيل العمل
العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال
فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفايقة وهي المهاجرة
عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا
الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا واوذوا في سبيلي
اديني وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة والكسائي
بتقديم قتلوا او تاخير قاتلوا وشدد ابن كثير وابن عامر القا
من قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سياتهم اي استرها
بالمغفرة ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا
اي اثيبهم بذلك اية من عند الله اي تفضلا منه فهو
مصدر موكد لما قبله لان قوله تعالى لاكفرن عنهم ولادخلنهم
في معنى لاثيبنهم والله عنده حسن الثواب اي الجزاء لما
كان المشركون في رخا ولين من العيش يتجرون ويتنعمون
قال بعض المومنين ان اعدا الله فيما نرى من الخير ونحن في
الجهد نزل لا يغرنك تقلب اي تصرف الذين كفروا في
البلاد للتجارات وانواع المكاسب والخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم والمراد منه غيره وقوله تعالى متاع قليل
خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل يتمتعون
به في الدنيا يسيرا ويفنى فهو قليل في جنب ما فاتهم من نعيم

الاخرة او فى جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب قال صلى
الله عليه وسلم ما الدنيا فى الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه
فى اليم فلينظر بم يرجع رواه مسلم وعن عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شئ
وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف فرايت اثر
الحصير فى جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول
الله ان كسرى وقيصر فيما هما وانت رسول الله فقال اما
ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة ثم ما واهم اى مستقرهم
جهنم وبئس المهاد اى الفراش هى لكن الذين اتقوا
ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين اى مقدرين
الخلود فيها نزلا من عند الله وهو ما يعد للضيف
ونصبه على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل
فيها معنى الظرف وما اى والذى عند الله من الثواب
لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الكفار
من متاع الدنيا لقلته وسرعة زواله واختلف فى سبب
نزول قوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله
فقال جابر وابن عباس وانس نزلت فى النجاشى ملك الحبشة
واسمه اصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات
نعاه جبريل صلى الله عليه وسلم للنبى صلى الله عليه وسلم
فى اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لاصحابه

لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم
فقالوا ومن هو قال النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له
الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر
اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى
هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه
فانزل الله هذه الاية وقال عطاء نزلت في اربعين رجلا
من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من
الروم وكانوا على دين عيسى فامنوا بالنبي صلى الله عليه
وسلم وقال ابن جريج نزلت في عبد الله ابن سلام واصحابه
وقال مجاهد نزلت في مؤمني اهل الكتاب **وما انزل اليكم**
اي القرآن **وما انزل اليهم** اي التوراة والانجيل وقوله تعالى
خاشعين حال من ضمير يؤمن من مراعاة فيه معنى من لانها
الجمع اي متواضعين **لله لا يشترون بآيات الله** التي
عندهم في التوراة والانجيل من نعت النبي صلى الله عليه
وسلم **ثمنا قليلا** من الدنيا بان يكتموها خوفا على
الرياسة كما فعل غيرهم من اليهود **اولئك لهم اجرهم**
اي ثواب اعمالهم **عند ربهم** وهو ما يختص بهم من الاجر
وهو ما وعدوه وقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم
مرتين وفي قوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته **ان الله**
سريع الحساب لتقرره علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه
كل عامل من الاجر بحساب الخلق في قدر نصف نهار من

ايام الدنيا يا ايها الذين امنوا اصبروا على مشاق
الطاعات وما يصيبكم من الشدائد الحرب فلا يكونوا
اشد صبرا منكم ورابطوا اى اقيموا فى الثغور رابطين
خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو وقال الله
تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من رابط يوما وليلة
فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا
ينفتل عن صلاته الا لحاجة وروى انه صلى الله عليه
وسلم قال من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة واتقوا
الله فى جميع احوالكم لعلكم تفلحون اى تفوزون بالجنة
وتنجون من النار قال بعض العلما اصبروا على الباسا
والضرا ورابطوا فى دار الاعدا واتقوا اله الارض والسما
لعلكم تفلحون فى دار البقا روى الطبرى لكن بسند ضعيف
من قرا السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى
الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس اى تغيب وما
رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى وتبعهما ابن عادل
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة آل عمران اعطى
بكل اية منها امانا على جسر جهنم فهو من الاحاديث
الموضوعة عن ابى بن كعب فى فضايل السور فليتنبه
لذلك ويحذر منه وقد نبه ايمة الحديث قديما وحديثا
على ذلك وعابوا على من اورده من المفسرين فى تفاسيرهم

وصابروا اى وغالبوا اعدا الله فى الصبر على الشدايد صح

سورة

سورة النساء مدنية مائة وخمس او ست
او سبع وسبعون اية وثلثة الاف وخمس
واربعون كلمة وستة عشر الف حرفا وثلثة حرفا
بسم الله الظاهر الملك العلام الرحمن الذى عم
عباده بالانعام الرحيم الذى خص اهل ولايته بدار
السلام وقوله تعالى يا ايها الناس خطاب يعم المكلفين
من اولاد ادم من الذكور والاناث الموجودين منهم فى زمن
نبينا صلى الله عليه وسلم من العرب وغيرهم وقيل يختص
بالعرب منهم لقوله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به
والارحام اذ المناشدة بالله وبالرحم عادة مختصة بهم
ويتولون انشدك بالله وبالرحم اجيب بان خصوص
هذه الاية لا يمنع عموم اولها اتقوا ربكم اى عذابه بان
تطيعوه الذى خلقكم من نفس واحدة اى قدر عكم من اصل
واحد وهو نفس ادم ابيكم وقوله تعالى وخلق منها
زوجها معطوف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد
هو ادم وخلق منها امكم حوا بالمد من ضلع من اضلاعه
اليسرى او معطوف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة
انشاها وابتدأها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة
المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه
صفتها وهى انه انشاها من تراب وخلق منها زوجها
حوا وهو تفسير لخلقكم من نفس واحدة وقوله تعالى وبث

منهما اى من ادم وحوا رجالا كثيرا ونسا اى كثيرا بيان لكيفية
تولدهم منها والمعنى وبث اى نشر من تلك النفس والزوج
المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة
عن وصف النسا بها اذ الحكمة تقتضى ان يكن اكثر اذ للرجل
ان يزيد فى عصمته على واحدة بخلاف المراة وذكر كثيرا حملا على
الجمع ولا تكرار فى الاية لان خلقكم من نفس واحدة مغاير لخلق
حوا منها لانها خلقت من ضلعه وهم من مايهما ولبث الرجال
والنسا لانه بين به ان خلقهم من نفس معناه من نفس ادم
وحوا مع زيادة التصريح بالرجال والنسا واتقوا الله الذى
تسالون فيه ادغام التا فى الاصل فى السين اى تتسالون
به فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض اسالك بالله وانشدك
بالله فان قيل الذى يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته
ان يجا عقب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث
عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل
الذى ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها اجيب بان ذلك
مما يدل على القدرة العظيمة ومن يقدر على ذلك كان قادرا
على كل شى ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه
يودى الى ان يبقى القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل
على النعمة السابقة عليهم فحقهم ان يتقوه فى كفرانها والتفريط
فيما يلزمهم من القيام بشكرها وقرا عاصم وحمزة والكسائى
بتخفيف السين والباقون بتشديدها واتقوا الارحام

بان

بان تصلوها ولا تقطعوها وكانوا يتناشدون بالرحم
وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها
بمكان منه وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال الرحم
معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن
قطعني قطعه الله وقرا غير حمزة بالنصب عطفا على
الله فالعامل فيه اتقوا كما قدرته او معطوف على محل
الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا واما حمزة
فقراءه بالجر عطفا على الضمير المجرور وقول البيضاوي
وهو ضعيف اي كما هو مذهب البصريين ممنوع
والحق انه ليس بضعيف فقد جوزه الكوفيون وكيف
يكون ضعيفا والقراءة به متواترة فيجب ان يضعف
كلام رب العالمين وتعليلهم عدم الجواز بكونه كبعض
كلمة لا يقتضي الحاقه به في عدم جواز العطف اذ
حذف الشيء مع القرينة وهنه ورسم دار وقعت في طلله
اي ورسم دار وقوله الشاعر اذهب فما بك والايام من عجب
ان الله كان عليكم رقيبا اي حافظا لاعمالكم فيجازيكم
بها اي لم يزل متصفا بذلك وآتوا اليتامى اي بعد البلوغ
والرشد اموالهم وسموا يتامى بعد البلوغ مع ان اليتيم
في عرف الشرع صغير لا اب له على معنى انهم كانوا يتامى
وان كان اليتم في اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل
اليتم في الناس من قبل الاباء وفي البهائم من قبل الامهات

وفي الطير من قبلهما والخطاب للاولياء والاوصياء روي ان رجلا
كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب
المال من عمه فمنعه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الاية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا
الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه ويطع
ربه هكذا فانه يحل داره اي جنته وسياتي تفسير الحوب
الكبير فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله عليه وسلم
ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه
ثبت الاجر فكيف وينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر
للغلام وبقي الوزر على والده اي لعله كان لا يخرج زكاته
ولا تبدلوا الخبيث اي الحرام بالطيب اي الحلال اي اتاخذونه
بدله كما تفعلوا في اخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الردي
من مالكم مكانه قال الزمخشري وهذا ليس بتبدل وانما هو
تبديل قال التفتازاني لان معنى تبدل تبدل هذا بذاك
انك اخذت هذا وتركت ذاك وكذا استبدلت لان معنى
بدلت هذا بذاك اخذت ذاك واعطيت هذا قال تعالى
ومن يتبدل الكفر بالايمان فاذا اعطى الردي واخذ الجيد
هذا اعطا الخبيث واعطا الطيب كما لو اخذ الخبيث وترك
الطيب ليكون تبدل الخبيث بالطيب فالحاصل ان في
التبدل ما دخلته البا متروك وما تعدى اليه الفعل

بنفسه

بنفسه ما خود وفى التبديل بالعكس انتهى وقد اوضحت
ذلك فى شرح المنهاج ولا تأكلوا اموالهم الى اى مع اموالكم
كقوله تعالى من انصارى الى الله اى مع الله اى لا تضموها
معا ولا تسرفوا بينهما واكلكم حلال لكم واكلكم اموالهم حرام
عليكم فلا يحل من اموالهم ما زاد على قدر الاقل من اجرتكم
ونفقتكم فان قيل قد حرم الله عليكم اكل مال اليتيم وحده
ومع اموالكم فلم ورد النهى عن اكله معها اجيب بانهم كانوا
يفعلون كذلك فانكر عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون
ازجر لهم ولانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى
بما رزقهم الله من مال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال
وهم مع ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق انه
اى اكلها كان حوبا اى ذنبا كبيرا اى عظيما لما نزلت
الاية فى اليتيم وما كان من اكل اموالهم الحوب الكبير خاف
الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك العدل فى حقوق اليتامى
واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته
العشر من الازواج والثمان والست ولا يقوم بحقوقهن
ولا يعدل بينهن نزل وان خفتم اى خشيتم ان لا تقسطوا
اى تعدلوا فى اليتامى فتحرجتم من امرهم فخافوا ايضا
ترك العدل بين النساء وقللوا عدد المنكوحات فانكحوا
ما طاب اى حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كالام
فى اية التحريم مثنى وثلث ورباع اى تزوجوا اثنين او

ثلاثا او اربعا الا من تخرج من ذنب او تاب وهو مرتكب
مثله فهو غير متخرج ولا تائب لانه انما وجب ان يتخرج
من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قايم في كل ذنب وانما
عبر عنهن بما ومن يعقل انما يعبر عنه بمن ذاهبا الى الصفة
لانه انما يفرق بين من وما في الذوات لا في الصفات او
اجراهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن وقيل كانوا
يخرجون من الزنا وهم يخرجون من ولاية اليتامى فقيل
ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل
لكم من النساء ولا تحولوا حول المحرمات وقيل كان الرجل
يجد اليتيمة لها مال وجمال فيتزوجها ضنا على مالها
فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقهن
فان قيل الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث
او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع حتى ان بعض
الرافضة قال للشخص ان يتزوج بثمانية عشر اجيب بان
الخطاب للجمع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع
ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا
هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة
واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى فان قيل لم جا
العطف بالواو دون او حتى قال بعض الرافضة ان
له ان يتزوج بتسعة اجيب بانه لو عطف بالواو لذهب
معنى تجويز انواع الجمع بين انواع القسمة التي دلت عليه

الواحد

الواو فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا بالقسم
والنفقة فواحدة اى فانكحوا واحدة وذروا الجميع او ما ملكت
ايمانكم اى اقتصروا على ذلك سوا بين الواحدة من الازواج
والعدد من السرارى لخفة مونتهن وعدم وجوب القسم
بينهن تنبيه هذا فى حق الحر اما من فيه رق فلا يتزوج
اكثر من ثنتين باجماع الصحابة وقد يعرض للحر عوارض لا
يزاد فيها على واحدة لجنون او سفه ذلك اى نكاح فقط
او الواحدة او التسرى ادنى اى اقرب الى ان لا تعولوا اى لا
تجوروا يقال عال الحاكم فى حكمه اذا جار وروى ان اعرابيا
حكم عليه حاكم فقال له اتعول على وقد ورد ان اعرابيا حكم
عليه حاكم عايشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا ان لا تجوروا وحكى عن
الشافعى رضى الله تعالى عنه انه فسر ان لا تعولوا ان لا
تكثروا عيالكم قال البغوى وما قاله احد انهما يقال من كثرة
العيال اعال يعيل اعالة اذا كثرت عياله وقال الزمخشرى
ووجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك
مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان
يعولهم ثم قال وكلام مثله من اعلام العلم وايمة الشرع
ورؤس المجتهدين حقيق على الحمل على الصحة والسداد
وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روى عن
عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا تظنن بكلمة خرجت

من في اخيك سوا وانت تجد لها في الخير محملا وكان الشافعي
رحمه الله اعلى كعبا واطول باعا في علم كلام العرب من ان يخفى
عليه مثل هذا انتهى **وآتوا** ايها اعطوا **النساء صدقاتهن**
جمع صدقة اى مهورهن **نحلة** اى عطية يقال نحله كذا
نحلة اى اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ونصبها
على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل
واخلوا النساء صدقاتهن نحلة قال الكلبي وجماعة والخطاب
للاولياء وذلك ان ولي المراة كان اذا زوجها فان كان معهم
في العشيرة فلم يعطها من مهرها شيئا وان زوجها غيرهم
حلوها اليه حتى تفتدي منه او يعطوها من مهرها فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله **فان**
طبن لكم عن شيء منه اى الصداق وقوله تعالى **نفسا**
محول عن الفاعل اى ان طابت نفسها لكم عن شيء من
الصداق فوهبته لكم **فكلوه** اى فخذوه وانفقوه **هنيا**
اى طيبا **مريئا** اى محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الاخرة
روى ان اناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق
الى امراته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من
غير اكراه ولا خديعة وكلوه هنيا مريئا قال الزمخشري
وفي الاية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط
حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم
يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو مجانبة

نفسها عن الموهوب طيبة وعن الشعبي ان رجلا اتى
مع امراته شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان
ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس الله قد قال
فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه
وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امراته الف دينار
صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته
الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها
نفسها فقال عبد الملك فاين الاية التي بعدها ولا تاخذ لي
منه شيا اردد عليها وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كتب
الى قضاته ان النسا يعطين رغبة ورهبة فايما امراة
اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها ولا تؤتوا ايها الاوليا
السفها اي المبذرين من الرجال والنسا اموالكم اي
اموالهم وانما ضاف الاموال الى الاوليا في تصرفهم وتحت
ولايتهم وقيل نهي الى كل احد ان يعد الى ما حوله من المال
فيعطيه امراته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم
سفها استخفافا بعقلهم واستجهانا لجهلهم قواما وهذا
اوفق لقوله تعالى التي جعل الله لكم قياما اي يقوم بمصا
ومصالح اولادكم فيضعوها في غير وجهها وعلى القول الاول
يؤول بان اموال السفها التي من جنس ما جعل الله لكم
قياما وسمى الله ما به القيام قياما للمبالغة وقرا نافع وابن
عامر قيما بغير الف بعد اليا والقيم جمع قيمة ما يقوم به

الامتعة والباقوت بالالف مصدر قام وارزقوهم اى اطعموهم
فيها واكسوهم فيها وانما قال تعالى فيها لجعله الاموال ظروفا
للرزق فيكون الانفاق من الربح لا من الاموال التى هى الظروف
بان يتجروا فيها ويحصلوا من ربحها ما يحتاجون اليه ولو
قيل منها لانفاق من نفس الاموال وقولوا لهم قولا معروفا
اى عدوهم عدة جميلة باعطائهم اموالهم اذا رشدوا وكلما
سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قولهم
اى عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو
منكر وعن عطا اذا زحت اعطيتك وان غنمت فى غزاتى
جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن منك وجبت عليك نفقته
فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل لا يختص ذلك
بالاولياء بل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء
قريب او اجنبى رجل او امراة يعلم انه يضيعه فيما لا ينبغى
ويفسده وابتلوا اى اختبروا اليتامى فى دينهم وتصرفهم
بان تختبروه التاجر بالبيع والشراء والمماكسة وولد
الزراع بالزراعة والنفقة على القيام بها والمراة فيما يتعلق
بالغزل والقطن وصون الاطعمة عن الهرة ونحوها وحفظ
متاع البيت وولد الامير وغيره بالانفاق فى خبز وما ولحم
ونحوها كل ذلك على العادة فى مثله ويشترط تكرار الاختبار
مرتين او اكثر حيث يفيد غلبة الظن برشده ووقت
الاختبار قبل البلوغ ولا يصح عقد بل يمتحن فى المماكسة

فاذا اراد العقد عقد الولي حتى اذا بلغوا النكاح اي صاروا
اهلا له اما بالسن وهو استكمال خمسة عشر سنة تحديد
به لخبر ابن عمر رضي الله عنه عرضت على النبي صلى الله عليه
وسلم يوم واحد ابن اربع عشر سنة فلم يجزني ولم يرني بلغت
وعرضت عليه يوم الخندق وانا ابن خمس عشر سنة فاجازني
ورآني بلغت رواه ابن حبان واصله في الصحيحين
وابتداؤها من انفصال جميع الولد قيل عرض عليه سبعة
عشر من الصحابة وهم ابناء اربعة عشر فلم يجزهم وعرضوا
عليه وهم ابناء خمسة عشر فاجازهم واما بخروج المني
في وقت امكانه واقله تسع سنين قربة تحديد به سواء
اخرج في قوم او يقظة بجماع او غيره وتزيد المرأة على
هذين الامرين بالحيض لوقت امكانه واقله تسع سنين قربة
تقريبية فيعتقد فيها زمن لا يسع حيضا وطهرا والولادة
لانها يسبقها الانزال ويحكم بالبلوغ قبلها بستة اشهر
وسن وانبات شعر العانة ٢ دليل البلوغ في حق
الكفار كما في حق المسلمين ولا عبرة بانبات شعر الاطراف للحية
كان استغنى اي ابصر تم منهم رشدا وهو صلاح الدين
والمال اما صلاح الدين فلا يرتكب محرما يسقط العدالة
من كبيرة او اصرار على صغيرة ويعتبر في رشد الكافر
دينه واما صلاح المال فلا يضيعه في الغالب في محرا ويعرفه
في محرم او باحتمال الغبن الفاحش في المعاملة ونحوها

وليس صرفه في الخير بتبذير ولا صرفه في الثياب والاطعمة
النفيسة وشراء الجواري والاستمتاع بهن لان المال يتخذ
ليستنفع به ثم ان صرفه بطريق الاقتراض له حرم عليه
فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير ولا تاكلوها ايها
الاولياء وقوله تعالى اسرافا بغير حق وبدارا حالا اى مسرفين
ومبادرين الى انفاقها مخافة ان يكبروا رشد فيلزمكم
تسليمها اليهم ومن كان من الاولياء غنيا فليستعفف
اى يعف عن مال اليتيم ويمتنع من اكله ومن كان
فقيرا فليا كل منه بالمعروف اى بقدر الاقل من حاجته
واجرة سعيه كما مر ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف
مشعر بان الولى له حق في مال الصبى وروى النساى
وغيره ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم لى حجر
يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف تنبيه ايراد هذا
التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهى للاغنيا
منهم ان ياخذوا لانفسهم من اموال اليتامى شيا وللفقرا
منهم ان ياخذوا منها شيا بغير المعروف كما ان قوله ولا
تاكلوها اسرافا ومبادرة لكبره فاذا دفعتم اليهم اموالهم
اى اليتامى فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها
فان الاشهاد انفا للتهمة وابعد من الخصومة فتحتاج
الى التبينة وهذا يدل على ان القيم لا يصدق فى دعواه
الرفع ولو با لا ببينة وهو مذهب الشافعى ومالك

خلقه قال ابن حنيفة وكفى بالله حسيبا اى حافظا لاعمال
خلقه ومحاسبهم للرجال اى الذكور نصيب اى حظ
مما ترك الوالدان والاقربون اى الموتون وللنساء
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه اى
المال او كثر حمله الله نصيبا مفروضا اى مقطوعا
بتسليمه اليهم روى انه اوس بن ثابت الانصارى رضى
الله تعالى عنه توفى وترك امراته ام كحة بضم الكاف والحا
المشددة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا
عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم
يعطيا امراته ولا ابنائه شيأ وكان اهل الجاهلية لا يورثون
النساء ولا الصغار وان كان الصغير ذكرا انما كانوا يورثون
الرجال ويقولون لا يعطى الا من قاتل وحاز الغنيمة فجاءت
ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفضيخ
وهو بالضاد والخا المعجمتين موضع بالمدينة قيل لعله
المسجد الذى كان يسكنه اصحاب الصفة لانهم كانوا
يرضخون فيه النوى فشكت اليه فقالت يا رسول
الله ان اوس بن ثابت مات وترك علىّ ثلاث بنات وانا
امراته وليس عندى ما انفق عليهم وقد ترك ابو هن
ما لا حسنا وهو عند سويد وعرفجة لم يعطيانى ولا
بناته شيأ وهن فى حجرى لا يطعمن ولا يسقين فدعاهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها

لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكا عدوا فنزلت هذه الاية
فاثبتت لهن الميراث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقربوا من مال اوس شيا فان الله جعل لبناته نصيبا مما
ترك ولم يبين كم هو فنظر بما ينزل فيهن فانزل الله تعالى
يوصيكم الله في اولادكم فاعطى صلى الله عليه وسلم ام كحة
الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهذا دليل على
جواز تاخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة للميراث
اولوا القربى اي ذوو القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين
فارزقوهم اي اعطوهم منه اي المقسوم شيا قبل
القسمة تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب
للبالغ من الورثة وقيل امر وجوب واختلف العلماء في حكم
هذه الاية فقال قوم هي منسوخة باية المواريث كالوصية
وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما
نسخت ولكنها مما تهاون به الناس وقولوا لهم قولا معروفا
وهو ان يدعو الهم ويستقلوا على ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم
وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على
القرابات والمساكين واليتامي من العين يعني الذهب
والورق فاذا قسم الذهب والورق وصارت القسمة الى
الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا
كانه يعتذر يورك فيكم وليخش اي وليخف على اليتامى
الذين لو تركوا اي قاربوا ان يتركوا من خلفهم اي

بعد موتهم ذرية ضعافا اى اولادا صغارا خافوا عليهم
اى الضياع فليتقوا الله فى امر اليتامى وغيرهم وليأتوا
اليهم ما يحبون ان يفعل بذريتهم من بعدهم وليقولوا
اى للمريض قولا سديدا اى عدلا وصوابا بان يأمروه ان
يتصدق بدون ثلثه ويترك الباقى لورثته ولا يتركهم عالة
وذلك انه كان اذا حضر احدهم الموت يقول له من يحضره
انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يغنون عنك شيأ
قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلانا كذا وفلانا كذا
حتى يأتى على عامة ماله فنهاهم الله عز وجل وامرهم ان
يأمروه ان ينظر لولده ولا يزيد فى وصيته على الثلث
ولا يجحف بورثته ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما
اى بغير حق انما يأكلون فى بطونهم نارا اى مل بطونهم
يقال اكل فلان فى بطنه وفى بعض بطنه قال الشاعر
كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ومعنى يأكلون نارا يأكلون
ما يجر الى النار فكأنه نار فى الحقيقة روى انه يبعث اكل
مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن
فيه وانفه واذنه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل
مال اليتيم فى الدنيا وروى انه صلى الله عليه وسلم قال رأيت
ليلة اسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل واحدهم
قائما على منخريه والآخر على بطنه وخزنة النار
يلقمونه جمر جهنم وصخرها فقلت يا جبريل من هؤلاء

قال الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما وسيصلون سعيرا
اى نارا شديدة يحترقون فيها وقرا ابن عامر وشعبة
بضم الياء والباقون بالفتح يوصيكم الله اى يأمركم في
اولادكم اى فى شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا
اجمال تفصيله للذكر منهم مثل حظ اى نصيب
الانثيين اذا اجتمعا معه فله نصف المال ولها
النصف فان كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان
وانما فضل الذكر على الانثى لاختصاصه بلزوم ما لا يلزم
الانثى من الجهاد وتحمل الدية وغيرهما وله حاجتان حاجة
لنفسه وحاجة لزوجته والانثى حاجة واحدة لنفسها
بل هى غالبا مستغنية بالتزويج عن الانفاق من مالها
ولكن لما علم الله تعالى احتياجها الى النفقة وان الرغبة تقل
فيها اذا لم يكن لها مال جعل لها حظا من الارث وابطل ما كان
الجاهلية فان قيل هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او
للانثى نصف حظ الذكر اجيب بانه انما ابدا ببيان حظ
الذكر لفضله كما شرع فى حظه لذلك ولان قوله للذكر
مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وفى قوله
نقص الانثى وما كان قصد الى بيان فضله كان ادل
على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم
كانوا يورثون الرجال دون النساء والصبيان وكان فى
ابتداء الاسلام بالمخالفة قال تعالى والذين عاقدت ايمانكم

فاتوهم

فاتوهم نصيبهم ثم صارت الورثة بالهجرة قال تعالى والذين
امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء ثم نسخ ذلك
كله بالاية الكريمة واختلف في سبب نزولها فعن جابر
انه قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وانا مريض
لا اعقل فتوضا وصب علي من وضوئه فعقلت فقلت
يا رسول الله لمن الميراث انما يرثني كلالة فنزلت وقال
مقاتل والكلبي نزلت في ام كحة امراة اوس بن ثابت
وبناته وقال عطا استشهد سعد بن الربيع النقيب
يوم احد وترك امراة وابنتين واخا فاخذ الاخ المال
فاتت امراة سعد الى النبي صلى الله عليه وسلم بابنتي
سعد فقالت يا رسول الله ان هاتين ابنتا سعد وان
سعدا قتل يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما ولا
ينكحان الا ولهما مال فقال صلى الله عليه وسلم ارجعي فلعل
الله سيقضي في ذلك فنزلت فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمهما وقال اعط ابنتي سعد الثلثين وامهما
الثمن وما بقي فهو لك فهذا اول ميراث قسم في الاسلام
وكانه قيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث
ولا يضادي في حظهن حتى يحرمن مع اولايهن مع القرابة
مثل ما يدلون به فان قيل حظ الانثيين الثلثان فكان
قيل للذكر الثلثان اجيب بان المراد حالة الاجتماع كما مر
اما حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان ياخذان

الثلثين والد ليل على ان الفرض حكم الاجتماع تبعه حكم
الانفراد بقوله فان كن اى كان الاولاد نسا خلصا
ليس معهن ذكر وانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل
المولودات وقوله تعالى فوق اثنتين خبر كان او صفة نسا
اى نسا زايدات على اثنتين فان قيل قوله تعالى للذكر مثل
حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد
لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يرد قوله فان كن
نسا وهو لبيان حظ الاناث اجيب بانه وان كان مسوقا
لبيان حظ الذكر الا انه لما علم منه حظ الانثيين مع اخيهما
كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان
كن نسا فلهن ثلثا ما ترك اى المتوفى ويدل عليه
المعنى وان كانت اى المولودة واحدة فلها النصف وقرا
نافع واحدة بالرفع على كان التامة والباقون بالنصب على
كان الناقصة واختلف في ميراث الانثيين فقال ابن عباس
حكمها حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال
الباقون حكمها حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ
الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انث وهو الثلثان
اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد
النصيب بزيادة العدد ذلك بقوله فان كن نسا
فوق اثنتين وهو يفيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت
الثلث مع اخيها فبالاولى والاحرى ان يستحقه مع اخت

مثلها

مثلها ويؤيد ايضا ان البنتين امس رحما من الاختين وقد
فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك وقيل فوقه
صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد ولما
فهم استحقاق الثنتين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر
ولابويه اى الميت وقوله تعالى لكل واحد منهما السدس
مما ترك بدل بعض من كل فالسدس مبتدا ولابويه خبره
وفايدة البدل دفع توهم ان يكون للاب ضعف ما للام
اخذا من قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين وبهذا اندفع
كما قال التفتازانى ان البدل ينبغى ان يكون بحيث لو اسقط
استقام الكلام معنى وهذا لو قيل لابويه السدس لم يستقم
هذا ان كان له اى الميت ولد ذكرا وغيره والحق بالولد الابن
وبالاب الجد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه اى فقط بقرينة
المقام فلامه الثلث مما ترك وان لم يذكر حصة الاب لانه
لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقى
للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا ولو كان معهما احد الزوجين
كان لهما ثلث ما بقى بعد فرضه كما قال الجمهور لا ثلث المال كما
قاله ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر
المساوى لها فى الجهة والقرب وهو كما قال البيضاوى خلاف
وضع الشرع فان كان له اخوة اى اثنان فصاعدا ذكورا او
اناثا كما عليه الجمهور فلامه السدس والباقى للاب ولا
شى للاخوة وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث الى

السدس الا ثلاثة اخوة ذكور اخذا بظاهر اللفظ واطلاق
اللفظ يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس
وان كانوا لا يرثون مع الاب شيا وعن ابن عباس انهم ياخذون
السدس الذي حجبوا عنه الام وقرا حمزة والكسائي في الوصل
فلامه بكسر الهمزة فرارا من ضمة الى كسرة لثقله في الموضعين
والباقون بضمها وقوله تعالى من بعد وصية يوصي بها
او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه
الانصبا للورثة من بعد وصية او وفا دين وانما عبر باو
دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب مقدمان
على القسمة مجموعين ومفردين فان قيل لم قدمت الوصية
في الذكر على الدين مع انها متاخرة في حكم الشرع عنه اجيب
بانها لما كانت شاقة على الورثة لكونها ماخوذة بلا عوض
وهي مستحبة لكل مكلف فقدمت لذلك وقرا ابن كثير وابن
عامر وشعبة يوصي بفتح الصاد ووافقهم حفص على فتح
الصاد في الحرف الثاني والباقون بكسر الصاد فيهما وقوله
تعالى اباؤكم وابناؤكم مبتدا خبره لا تدرون ايهم
اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم
وفروعكم في عاجلكم واجلكم فمنكم من يظن ان الاب انفع له
فيكون الابن انفع له ومنكم من يظن ان الابن انفع له فيكون
الاب انفع له وانما العالم بذلك هو الله تعالى وقد دبر
امركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه وقال ابن عباس اطوعكم

لله

لله من الاب والابناء ارفعكم درجة يوم القيامة والله
يشفع المومنين بعضهم فى بعض فان كان الوالد ارفع
درجة فى الجنة رفع اليه ولده وان كان الولد ارفع درجة
من الاخر فى الجنة سال الله ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته
فريضة اى ما قدر من المواريث فرض فريضة من الله
ان الله كان عليما بامور عباده حكيما فيما قضى وقدر
اى لم يزل متصفا بذلك ولكم نصف ما ترك ازواجكم
ان لم يكن لهن ولد ذكرا وغيره منكم او من غيركم فان كان
لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها
او دين وولد الابن فى ذلك كالولد اجماعا ولهن اى الزوجات
تعددن اولا الربع مما تركتم من بعد وصية توصون بها
او دين وولد الابن كالولد فى ذلك اجماعا فقد فرض للرجل
نحق العقد الصحيح نصف ما للمراة كما فى النسب وهكذا
قياس كل رجل وامراة وارثين اشتركا فى الجهة والقرب
من الميت ولا يستثنى من ذلك الا اولاد الام والمعتق والمعتقة
وان كان رجل اى الميت يورث اى منه من ورث صفة
رجل وخبر كان كلالة او يورث خبر كان وكلالة من الضمير
فى يورث واختلفوا فى الكلالة فذهب اكثر الصحابة الى
انها من لا ولد له ولا والد قال الشعبى سيل ابو بكر رضى الله
تعالى عنه عن الكلالة فقال انى سا قول فيها برايى فان
كان صوابا فمن الله وان كان خطاء فمنى ومن الشيطان

ارثه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه قال اني لا استحي من الله ان ارد شيا
قاله ابو بكر وذهب طاوس ان الكلالة من لا ولد له وهي
احدى الروايتين عن ابن عباس واحد القولين عن عبد
الله بن عمر وسال رجل عقبة عن الكلالة فقال اتجيبون
من هذا سالني وما اعضل باصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم شي ما اعضلت بهم الكلالة وقال عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه ثلاث لان يكون النبي بينهن لنا احب
الينا من الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة وابواب الربا
وقال معدي ابي طلحة خطب عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه فقال اني لا ادع بعدي شيا اهم عندي من
الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شي
ما راجعته في الكلالة وما اغلظ لي فيه حتى طعن باصبعه
في صدري وقال يا عمر الا يكفيك اية الصيف التي في اخر سورة
النساء اني ان اعش اقض فيها بقضية يقضي بها من يقرا
القرآن ومن لا يقرا القرآن وقوله الا يكفيك اية الصيف اراد
ان الله تعالى انزل في الكلالة اينتين احديهما في الشتاء وهي
التي في اول سورة النساء والاخرى في الصيف وهي التي
في اخرها وفيهما من البيان ما ليس في اية الشتاء فلذلك
احاله عليها وقوله تعالى او امراة عطف على رجل اي او
امراة تورث كلالة ولعاه الرجل اخ او اخت واكتفى بحكم

الرجل

الرجل عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه ويصح
ان يعود الضمير على الموروث الكلالة فيشمل الرجل والمراة
فلكل واحد منهما السدس وقد اجمعوا على ان المراد به
الاخ والاخت من الام فان كانوا اى الاخت والاخوات من
الام اكثر من ذلك اى من واحد فهم شركاء في الثلث اى
يستوى فيه ذكورهم واناثهم لان الادلاء بمحض الامومة من
بعد وصية يوصى بها او دين وقوله تعالى غير مضار
حال من ضمير يوصى اى غير مدخل الضرر على الورثة
بان يوصى باكثر من الثلث وعن قتادة كره الله الضرار
في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في
الدين ان يوصى بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وقوله
تعالى وصية من الله مصدر مؤكد ليوصيكم اى يوصيكم
بذلك وصية كقوله فريضة من الله والله عليم بما دبر
خلقه من الفرايض حليم بتاخير العقوبة عمن خالفه
تنبيه خصت السنة توريث من ذكر ممن ليس فيه
مانع من قتل او اختلاف دين اورق تلك اى الاحكام
المذكورة في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله اى
شرايعه التي حدها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها ومن
يطع الله ورسوله فيما حكما فيه يدخله جنات تجرى من
تحتها الانهار وقوله تعالى خالدين فيها حال مقدرة
كقولك مررت برجل معه صقر صايدا به غدا او ذكر النور

العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده اى طريقته
يدخله نارا وقوله تعالى خالدا فيها حال كما مر ولا
يجوز ان يكون خالدين وخالدا صفتين لجنات ونار
لانها جرت على غير من هى له فلا بد من الضمير وهو قولك
خالدين فيها وخالدا هو فيها هذا على مذهب البصريين
اما على مذهب الكوفيين فهو جائز عندهم عندا من اللبس كما
هنا وهو الراجح كما جرى عليه ابن مالك وغيره وله عذاب
مهين اى ذو اهانة وروعى فى الضمائر فى الآيتين لفظ من
وفى خالدين معناها وقرأ نافع وابن عامر يدخله جنات
ويدخله نارا بالنون فيهما على الالتفات والباقون بالياء
واللاتى يأتين الفاحشة اى الزنا من نسائكم فاستشهدوا
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اى من رجال المسلمين
وهذا خطاب للحكام اى فاطلبوا عليهن اربعة من الشهود
وفيه بيان اى الزنا لا يثبت الا باربعة من الشهود فان
شهدوا عليهن بها فامسكوهن اى احبسوهن فى البيوت
واجعلوها سجنا لهن وامنعوهن من مخالطة الناس وقرأ
ورش وابو عمرو وحفص بضم الباء والباقون بكسرها حتى
يتوفاهن الموت اى ملائكته او الله ان يجعل الله لهن
سبيلا اى طريقا الى الخروج منها امروا بذلك اول الاسلام
ثم جعل لهن سبيلا بجلد البكر مائة وتغريبها عاما ورجم
المحصنة وفى الحديث لما بين الحد قال خذوا عنى قد جعل

الله لهن سبيلا رواه مسلم واللذان اى الزانى والزانية
وقرا ابن كثير بتشديد النون والباقون بالتخفيف يأتيانها
اى فاحشة الزنا منكم اى الرجال فآذوهما بالسب والضرب
بالنعال فان تابا اى منهما واصلحا اى العمل فاعرضوا عنهما
ولا ترذوهما ان الله كان توابا على من تاب رحيما به وهو
علة الامر بالاعراض وترك المذمة وهذا منسوخ بالحد
روى ابن مسعود عن ابى هريرة وزيد بن خالد الجهنى
انهما اخبراه ان رجلين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال احدهما يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله
واذن لى ان اتكلم فقال ان ابنى كان عسيفا على هذا فزنا
بامراته فاخبروني ان على ابنى فافتديت منه بمائة شاة
وبجارية ثم انى سألت اهل العلم فاخبروني انما على ابنى
جلد مائة وتغريب سنة وانما الرجم على امراته فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاقضين
بينكما بكتاب الله اما غنمك وجاريتك فرد عليك وجلد
ابنه مائة وغربه عاما اما لانه كان غير محصن وامر
انيسا الاسلمى ان ياتى امراة الاخر فان اعترفت رجمها
فاعترفت فرجمها وروى ابن عباس عن عمر رضى الله تعالى
عنهما انه قال ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب
فكان مما انزل الله اية الرجم قرانا وعقلناها ووعيناها
رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى

ان طال بالناس زمان ان يقول قايل والله ما نجد اية الرجم
في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله والرجم
في كتاب الله حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنسا
اذا قامت البينة او الاعتراف وحملة حد الزنا ان الزاني
اذا كان محصنا وهو الذي اجتمع فيه اربعة اوصاف العقل
والبلوغ والحرية والاصابة بالنكاح الصحيح فحده الرجم
مسلما كان او ذميا وعند ابي حنيفة الاسلام من شرايط
الاحصان فلا يرجم عنده الذمي ويرده ما صح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه رجم يهوديين زنيا وكانا قد احصنا
وان كان الزاني غير محصن بان يجتمع فيه هذه الاوصاف
نظر ان كان غير بالغ او مجنونا فلا حد عليه وان كان حرا عاقلا
غير انه لم يصب بنكاح صحيح فعليه جلد ماية وتغريب عام
وان كان رقيقا فعليه جلد خمسين وتغريب نصف عام
ومثل الزنا اللواط عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لكن
المعمول به لا رجم عليه وان كان محصنا بل يجلد ويغرب وقيل
نزلت اية واللاتي يأتين الفاحشة في الساحقات واية
واللذان يأتيانها منكم في اللواطين انما التوبة على الله اي ان
قبول التوبة كالمحتوم على الله تفضلا منه بمقتضى وعده
لانه تعالى وعد بقبول التوبة فاذا وعد شيا لابد ان ينجز
وعده لان الخلف في وعده سبحانه وتعالى محال للذين يعملون
السوء اي المعصية وقوله تعالى بجهالة في موضع الحال

اي

اى يعملون السوء جاهلين اى سفها فان ارتكب الذنب مما
يدعو اليه السفه والشهوة لا ما تدعو اليه الحكمة والعقل
وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع اى يخرج
من جهالته وقال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على كل من عصى به الله فهو جهالة عمدا كان او لم
يكن وكل من عصى الله فهو جاهل ثم يتوبون من زمن قريب
اى قبل ان يغرغروا لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت
وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
رواه الترمذى وحسنه وعن عطاء لو قبل موته بفواق
ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض
وعزتك لا فارق ابن ادم ما دام روحه فى جسده فقال
وعزتى وجلالى لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر والغرغرة
تردد الروح فى الحلق تمثيلا معنى من فى قوله من قريب
للتبعيض اى يتوبون بعض زمان قريب كما ندم ما بين
وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا لان
امد الحياة قريب لقوله تعالى متاع قليل فكل اى جزء تاب
من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من
بعيد فاولئك يتوب الله عليهم اى يقبل توبتهم فان
قيل ما فائدة ذلك بعد قوله تعالى انما التوبة على الله اجيب
بان ذلك وعد بالوفاء بما وعد به وكتبه على نفسه كما يعد
العبد الوفاء بما عليه وكان الله عليما بخلقه حكيما فى

صنعه بهم **وليست التوبة للذين يعملون السيات** اى
الذنوب **حتى اذا حضر احدهم الموت** اى اخذ فى النزع قال
عند مشاهدة ما هو فيه **انى تبت الان** حين لا يقبل من
كافر ايمان ولا من عاص توبة قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا ولذلك لم ينفع ايمان فرعون حين ادركه الغرق
ولا الذين يموتون وهم كفار اى اذا تابوا فى الاخرة عند
معاينة العذاب لا ينفعهم ذلك ولا تقبل توبتهم فسوى
سبحانه وتعالى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضور الموت
لمجاوزة كل منهما اوان التكليف والاختيار وقوله تعالى **اولئك**
اعتدنا لهم عذابا اليما اى مولما تاكيد لعدم قبول
توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى
شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله
اعدونا ابدلت الدال الاولى تاء **يا ايها الذين امنوا لا يحل**
لكم ان ترثوا النسا اى ذاتهن **كرها** نزلت فى اهل المدينة كانوا
فى الجاهلية وفى اول الاسلام اذا مات الرجل وله امراة والرجل
عصبة والقى ثوبه على امراة الميت او على خبائها صار احق بها
من نفسها ومن غيرها ثم ان شا تزوجها بصداقها الاول
وان شا زوجها غيره واخذ صداقها وان شا عضلها ومنعها
من الازواج يضارها لتفتدى نفسها منه فاتت النبى
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفى
وورث نكاحى ابنه فلا ينفق علىّ ولا يدخل ولا يخلى سبيلى

فقال

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعدي في بيتك حتى
يأتي امر الله فانزل الله تعالى هذه الاية وقرا حمزة والكسائي
بضم الكاف والباقون بفتحها قال الكسائي وهما لغتان وقال الفرا
الكره بالفتح ما اكره عليه وبالضم المشقة وقوله تعالى ولا
تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن عطف على ان
ترثوا اي لا تمتعوا ازواجكم عن نكاح غيركم بامساكهن ولا
رغبة لكم فيهن ضرار لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن من المهر
وقيل هذا خطاب لاولياء الميت والصحيح كما قال البغوي انه
خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل يكون له المراة
وهو كاره صحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي وترد
اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك قال الزمخشري
والعضل الحبس والضيق ومنه عضلت المراة بولدها
اذا اشتد رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان ياتين
بفاحشة مبينة كالزنا والنشوز وسوء العشرة فحينئذ
يحل لكم اضرارهن ليفتدين منكم قاله عطا كان الرجل اذا
اصابت امراته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها
فنسخ ذلك بالحدود وقرا ابن كثير وشبة بفتح الياء
المشددة تحت والباقون بالكسر وقوله تعالى وعاشروهن
بالمعروف قال الحسن رجع الى اول الكلام وهي قوله
النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف وهو
النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول وقيل هو

ان يتصنع لها بما تتصنع له فان كرهتموهن فاصبروا ولا
تفارقوهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا اى فربما كره النفس ما هو اصلح فى الدين واحمد
وادنى الى الخير فلعل الله ان يرزقكم الله منهن ولدا صالحا
او يعطفكم الله عليهن وقد بينت الاية على امساك المراة
مع الكراهة لها ونبهت على معنيين احدهما ان الانسان
لا يعلم وجوه الصلاح والثانى ان الانسان لا يكاد يجد
محبوبا ليس فيه ما يكره فليصبر على ما يكره لما يحب
وانشدوا فى هذا المعنى

ومن لم يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة ... يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

ولما كان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امراة بهت
بالتى تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما
اعطاها ليصرفه الى زوج غيرها نزل وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج اى اخذ هابدلها بان طلقتموها وقد
اتيتم احداهن اى الزوجات قنطارا اى مالا كثيرا
صداقا فلا تاخذوا منه اى القنطار شيئا وهو قوله
تعالى اتاخذونه بهتانا اى ظلما واثما مبينا اى بينا
حاله اى اتاخذونه بالهتين والاثم وعن عمر رضى الله تعالى
عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا صداق
النساء فلو كان مكرمة او تقوى عند الله لكان اولاكم بها

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق امراة من نسائه
اكثر من اثنتى عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت له
يا امير المومنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول
واتيتم احداهن قنطارا فقال عمر رضى الله عنه كل احد اعلم
من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا القول ولا
تنكرونه على حتى ترد على امراة ليست من اعلم النسا
وقوله تعالى وكيف تاخذونه استفهام توبيخ وانكار اى
تاخذونه باى وجه وقد افضى ايه وصل بعضكم الى بعض
بالجماع المقرر للمهر وكنى الله تعالى عن الجماع بالافضاء وهو
الوصول الى الشى من غير واسطة تعليما لعباده لانه مما
يستحيى منه واخذن منكم ميثاقا اى عهدا غليظا
اى شديدا وهو ما اخذه الله للنسا على الرجال من امساك
بمعروف او تسريح باحسان وعن النبى صلى الله عليه
وسلم اتقوا الله فى النسا فانكم اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقد قيل صحبة عشرين
يوما قرابة فكيف بما جرى بين الزوجين من الاتحاد
والامتزاج ولما تزوج ابو قيس وكان من صالحى الانصار
فخطب ابنه قيس امراة ابيه وكان اهل الجاهلية ينكحون
ازواج ابائهم فقالت انى اعدك ولدا وانت من صالحى
قومك ولكنى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم استامره
فاتته واخبرته بذلك فنزل ولا تنكحوا ما نكح ابائكم من

انه وانما عبر بما دون من لانه اريد به صفة ذات معينة
وهي كونهن منكوحات الاباء وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول
من المصدر وقوله تعالى الا ما قد سلف استثناء من المعنى
اللازم فكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم
الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والمعنى لا تنكحوا
حلائل اباءكم الا ما قد سلف اي امكنكم ان تنكحوهن ولا تمنعوا من
ذلك والفرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته
كما تعلق بالمحال في التابيد في نحو قوله تعالى حتى يلج الجمل في
سم الخياط او منقطع اي لكن ما قد سلف من فعلكم ذلك
فانه معفو عنه وقوله تعالى انه اي نكاحهن كان فاحشة
ومقتا علة للنهي اي انه فاحشة فكان مزيدة اي قبيحا
عند الله مما خص فيه لامة من الامم مقوتا عند ذوي
المروات من الجاهلية وغيرهم وكانت العرب تقول لولد
الرجل من امراة ابيه المقتي ويسمى به الرجل المذكور ايضا
قال في القاموس من نكاح المقت ان يتزوج امراة ابيه بعده
فالمقتي ذلك المتزوج او ولده اي ومن ثم قيل ومقتا كانه
قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح ممقوت في المروة
ولا مزيد على ما يجمع القبيحين وسا اي بئس سبيلا
اي طريقا ذلك روى عن البراء بن عازب انه قال مر بي خالي
ومعه لواء فقلت اين تذهب فقال بعثني رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه ائتيه برأسه

واعلم

واعلم ان اسباب التحريم المؤبد ثلاثة قرابة ورضاع ومصاهرة
وضابط المحرمات بالنسب والرضاع ان يقال تحرم نساء
القرابة الا من دخلت تحت ولد العمومة او ولد الخؤلة وقد
بدا الله بالسبب الاول وهو القرابة فقال حرمت عليكم
امهاتكم اى العقد عليهن وكذلك يقدر في الباقي لان تحريم
نكاحهن هو الذي يفهم تحريمهن كما انهم من تحريم الخمر تحريم
شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله والامهات جمع
ام واصلها امهة قاله الجوهري وضابط الام هو لامن
ولدتك امك حقيقة او ولدت من ولدك ذكرا كان او انثى
كام الاب وان علت وام الام كذلك فهي امك مجازا وان شئت
قلت كل انثى ينتهي اليها نسبك وبناتكم جمع بنت وضابطها
كل من ولدتها فهي بنتك حقيقة او ولدت من ولدها ذكرا
كان او انثى كبنت ابن وان نزل وبنت بنت وان نزلت فبنتك
مجازا وان شئت قلت كل انثى ينتهي اليها نسبها وخرج
بالبنت المخلوقة من زنا الرجل فانها تحل له لانها اجنبية
عنه بدليل منع الارث بالاجماع فلا تبعض الاحكام وتحرم
على المرأة ولدها من زنا بالاجماع كما اجمعوا على انه يرثها
والفرق ان الابن كالعضو منها وانفصل منها انسانا ولا
كذلك النطفة التي خلقت منها البنت بالنسبة للاب
واخواتكم جمع اخت وضابطها هو كل من ولدها ابواك
او احدهما فهي اختك وعماتكم جمع عمة وضابطها هو كل من

هي اخت ذكر والدك بلا واسطة فعمتك حقيقة او بواسطة
كعمة ابيك فعمتك مجازا وقد تكون العمة من جهة الام كما
كاخت ام الام **وخالاتكم** جمع خالة وضابطها هو كل من
هي اخت انثى والدتك بلا واسطة فخالتك حقيقة او بواسطة
كخالة امك فخالتك مجازا وقد تكون الخالة من جهة الاب
كاخت ام الاب **وبنات الاخ وبنات الاخت** هن من جميع الجهات
وبنات اولادهم وان سفلن ثم ثنى بالسبب الثاني وهو
الرضاع فقال **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم** وضابط امك من
الرضاع هو كل من ارضعتك او ارضعت من ارضعتك
او صاحب اللبن او ارضعت من ولد بواسطة او غيرها
او ولدت من رضعتك بواسطة او غيرها صاحب لبنها
وهو المحلب بواسطة او غيرها فام رضاع **واخواتكم من**
الرضاعة وضابط اخت الرضاع كل من ارضعتها امك
او ارتضعت بلبن ابيك او ولدتها مرضعتك او ولدها
المحلب ويلحق بذلك الستة باقي السبع لخبر الصحيحين
يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة وفي رواية حرموا من
الرضاعة ما يحرم من النسب وضابط بنت الرضاع كل
انثى ارتضعت لبنك او لبن من ولدته بواسطة او
غيرها او ارضعتها امراة ولدتها بواسطة او غيرها وكذا
بناتها من نسب او رضاع وان سفلن وضابط عمة الرضاع
هو كل اخت للمرضعة او اخت انثى ولدت المرضعة بواسطة

او غيرها

او غيرها من نسب او رضاع وضابط بنات الاخوة وبنات
الاخوات من الرضاع كل انثى من بنات اولاد المرضعة والفحل
من الرضاع والنسب وكذلك كل انثى ارضعتها اختك او
ارتضعت بلبن اخيك وبناتها وبنات اولادها من نسب او
رضاع وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين احدهما ان
يكون قبل استكمال المولود حولين لقوله تعالى والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين ولقوله صلى الله عليه
وسلم لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعا وعن ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا رضاع الا ما نشر العظم
وانبت اللحم وانما يكون هذا في حال الصغر وعند ابي حنيفة
مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله
ثلاثون شهرا وهي عند الاكثرين لاقل مدة الحمل واكثر
مدة الرضاع واقل مدة الحمل ستة اشهر وابتدا الحولين من
تمام انفصاله والشرط الثاني ان يوجد خمس رضعات
متفرقات لما روي عن عايشة رضي الله تعالى عنها انها
قالت فيما انزل الله في القران عشر رضعات معلومات يحرمن
ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهي فيما يقرا من القران اي يقراهن من لم يبلغه
نسخهن فقد نسخت تلاوتهن وبقي حكمهن وهذا ما ذهب
اليه الشافعي وذهب اكثر اهل العلم الى ان قليل الرضاع وكثيره
محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب

واليه ذهب سفيان الثوري ومالك والاوزاعي وعبد الله بن
المبارك وابو حنيفة ويقوى الاول قوله صلى الله عليه وسلم
لا تحرم المصة من الرضاع والمصتان ثم ثلث بالسبب الثالث
وهو النكاح فقال تعالى وامهات نسائكم اى بواسطة
او بغيرها من نسب او رضاع سواء دخل بزوجته امر لا
لاطلاق الاية وربائبكم جمع ربيبة وهى بنت الزوجة من
غيره وسميت ربيبة لانه يربيها كما يربى ولده فى غالب
الامر ثم اتسع فيه وسميت بذلك وان لم يربها وقوله تعالى
اللاتى فى حجوركم اى تربونها صفة موافقة للغالب فلا
مفهوم لها من نسائكم اللاتى دخلتم بهن اى جامعتموهن سواء
كان ذلك بعقد صحيح امر فاسد لاطلاق الاية فان لم تكونوا
دخلتم بهن فلا جناح عليكم اى فى نكاح بناتهن اذا فارقتموهن فان قيل لم اعيد الوصف الى الجملة الثانية ولم
يعد الى الجملة الاولى وهى وامهات نسائكم مع ان الصفات
عقب الجمل تعود الى الجميع اجيب بان نسائكم الثانى مجرور
بحرف الجر ونسائكم الاول مجرور بالاضافة واذا اختلف العامل
لم يجز الاتباع وتعين القطع واعترض بان المعمول الجر وهو
واحد تنبيه قضية كلام الشيخ ابى حامد وغيره انه
يعتبر فى الدخول ان يقع فى حياة الام فلو ماتت قبل الدخول
ووطيها بعد موت الام لم تحرم بنتها لان ذلك لا يسمى دخولا لكن
تردد فيه الرويانى فان قيل لم اعتبر الدخول فى تحريم

اصول البنت واعتبر فى تحريمها الدخول اجيب بان الرجل
يبتلى عادة بكالمة امها عقب العقد لترتيب امورها
مت بالعقد ليسهل ذلك عليه بخلاف بنتها واستدخال
المحرم يثبت المصاهرة كالوطى وتحرم البنت المنفية
باللعان وان لم يدخل بامها لاطلاق عنه قطعا وحلائل اى
ازواج ابنائكم واحدتها حليلة والذكر حليل سميا بذلك
لان كل واحد منهما حلال لصاحبه وقيل سميا بذلك لان كل
واحد يحل ازار صاحبه من الحل وهو عند العقد وقوله تعالى
الذين من اصلابكم احتراز عن حليلة المتبنى فانها لا تحرم
على الرجل الذى تبناه فان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج
امراة زيد بن حارثة وكان تبناه صلى الله عليه وسلم لا عن
حليلة ولده من الرضاع فانها تحرم عليه ولا عن حلائل ابنا
الولد وان سفلوا تنبيه كل امراة تحرم عليك بعقد
النكاح تحرم بالوطى فى ملك اليمين والوطى بشبهة النكاح
فاذا وطى امراة بشبهة او جارية بملك اليمين حرم على الواطى
امها وبنتها وتحرم الموطوءة على ابى الواطى وابنه ولو زنى بامراة
لم تحرم امها ولا بنتها على الزانى ولا تحرم الزانية على ابى الزانى
وابنه كما قاله ابن عباس واليه ذهب مالك والشافعى وذهب
قوم الى التحريم يروى ذلك عن عمران بن حصين وابى هريرة
وهو قول اصحاب الراى وهل المباشرة بشهوة كلمس وقبلة
كالوطى فى تحريم الربيبة فيه قولان احدهما وهو الاصح من

مذهب الشافعي لان ذلك لا يوجب العدة فكذا لا يوجب الحرمة
والثاني نعم لان ذلك كالوطئ بجامع التلذذ بالمراة ولانه
استمتاع يوجب الفدية على المحرم فكان كالوطئ وبهذا قال
جمهور العلماء ثم ذكر سبحانه وتعالى تحريم الجمع بقوله تعالى
وان تجمعوا بين الاختين اى ولا يجوز للرجل ان يجمع بين
اختين في نكاح سواء كانت من نسب ام رضاع سواء انكحهما معا
ام مرتبا فاذا نكح امراة ثم طلقها بائنا جاز له نكاح اختها وخرج
بالجمع في النكاح الجمع بملك اليمين فانه جائز لكن لا يجوز ان يجمع
بينهما في الوطئ فاذا وطئ احديهما حرم على الرجل له وطئ الاخرى حتى
يحرم الاولى على نفسه ويلحق بالاختين بالسنة الجمع بين
المراة وعمتها او خالتها من نسب او رضاع ولو بواسطة
قال صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا العمة على بنت
اخيها ولا المراة على خالتها ولا الخالة على بنت اختها لا تنكح
الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى رواه الترمذي
وغيره وصححه ولما فيه من قطيعة الرحم وان رضيت
بذلك فان الطبع يتغير واليه اشار صلى الله عليه وسلم في
خبر النهي عن ذلك بقوله انكم اذا فعلتم ذلك قطعتم
ارحامكم كما رواه ابن حبان وغيره وضابط تحريم الجمع ابتداء
ودواما وهو كل امراتين بينهما قرابة او رضاع لو فرضت
احداهما ذكرا حرمتا عليها حرم الجمع بينهما بنكاح او وطئ بملك
اليمين وقوله تعالى الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى

وهو المؤاخذة فقد قال تعالى تؤاخذون بذلك الا ما قد سلف
قبل النهى فلا تؤاخذون به او منقطع اى لكن ما سلف
من نكاح بعض ما ذكر فانه مغفور لكم ويؤيد هذا قوله تعالى
ان الله كان غفورا لما سلف منكم قبل النهى رحيما بكم
فى ذلك وقرا نافع وابن كثير وابن عامر من رواية ابن ذكوان
وعاصم باظهار دال قد عند السين والباقون بالادغام
وحرمت المحصنات اى ذوات الازواج من النساء ان
تنكحوهن قبل مفارقة ازواجهن سواء كن حرائر او اماء مسلمات
ام لا قال ابو سعيد الخدرى نزلت فى نساء كن هاجرن الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوج بعض المسلمين
ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن
ثم استثنى فقال الا ما ملكت ايمانكم اى من الاماء بالسبى فلكم
وطيهن وان كان لهن ازواج فى دار الحرب بعد الاستبراء لان
السبى يوضع النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدرى
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين جيشا الى
اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا
غشيانهن وتحرجوا فانزل الله هذه الاية فاستحلوا فقرا
الكسائى جميع ما فى القرآن من لفظ المحصنات ومحصنات
بكسر الصاد الا هذا الحرف فانه فتح الصاد موافقة للجميع
ووجه تسميتهن بذلك لانهن احصن فروجهن بالتزويج
فهن محصنات ومحصنات فى غير هذه الاية وقوله تعالى كتاب

الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله وهي حرمت عليكم
الخ اي كتب الله عليكم تحريم هولا كتابا وقوله تعالى احل لكم
عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اذا قرئ بالبنا
للفاعل كما قراه غير حفص وحمزة والكسائي واما هم فقراوه
بالبنا للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم اي سوى ما حرم
عليكم من النسا وقوله تعالى ان تبتغوا باموالكم محصنين
غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم
ارادة ان تبتغوا اي تطلبوا النسا باموالكم التي جعل الله لكم
قياما في حال كونكم محصنين اي متزوجين غير مسافحين
اي زانيين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل
لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين
الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع
في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان
الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وما دنيني من المذي والاموال
والمهور وما يخرج في المناكح تنبيه يجوز ان يكون مفعول
تبتغوا مقدرا وهو النسا كما قدرته لك قال الزمخشري والاجود
ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان
تبتغوا بدلا مما وراء ذلكم بدل اشتمال لان المبدل منه ذات
والمبدل معنى والذات مشتملة عليه فما اي فمن استمتعتم
اي تمتعتم به منهن اي ممن تزوجتم بالوحي فاتوهن اجورهن
اي مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع وقوله تعالى فريضة

حال

حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف
اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم**
انتم وهن **به من بعد الفريضة** فيما يزاد على المسمى او
يحط عنه بالتراضى فيما تراضيا به من نفقة او مقام او
فراق وقيل نزلت فى المتعة التى كانت ثلاثة ايام حين فتح
الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت كان
الرجل يعلق المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بقدر
او غير ذلك ويقضى منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاع
بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن النبى صلى الله عليه وسلم
انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت اذنت لكم بالاستمتاع
من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وعن عمر رضى
الله تعالى عنه انه قال لا اوتى برجل تزوج بامراة الى اجل الا
رجمتها بالحجارة وعن ابن عباس انه قال هى محكمة اى لم تنسخ
وكان يقول فى استمتعتم به الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن
ذلك عند موته وقال اللهم انى توبتى اليك من قولى بالمتعة وقيل
انها ابيحت مرتين وحرمت مرتين **ان الله كان عليما** بخلقه
حكيما فيما دبره لهم **ومن لم يستطع منكم طولا** اى غنى
واصل الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اى زيادة
فضل وقد طاله طولا فهو طايل قال القايل
لقد زادنى حبا لنفسى انها ... بغيض الى كل امرء غير طايل
ومنه قولهم هذا امر ما تحته طايل اى شى يعتد به مما له

فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر
قصور فيه ونقصان في المعنى ومن لم يستطع زيادة في المال
وسعة ان ينكح المحصنات اى الحرائر وقوله تعالى المومنات
جرى على الغالب فلا مفهوم له فان الحرائر الكتابيات كذلك
من ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات اى ايمانكم
المومنات اى ومن لم يقدر على مهر الحرة المومنة اى والكتابية
كما مر فليتزوج الامة المومنة وظاهر الاية حجة للشافعي
رضي الله تعالى عنه في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يحمله
صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو
حنيفة رضي الله تعالى عنه طول المحصنات بان يملك
فراشهن على ان النكاح هو الوطي وحمل قوله من فتياتكم
المومنات على الافضل لحمل حمل عليه قوله المحصنات المومنات
ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة
لمن قدر على الحرة والكتابية دون المومنة حذرا من مخالطة
الكفار ومواليهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد ولانها
ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان
راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المومنين واما
وطيها بملك اليمين فجايز باتفاق فايدة قوله تعالى فمن ما
ملكت من مقطوعة فمن ما والله اعلم بايمانكم بتفاضل
ما بينكم وبين ارقايكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم
وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمراة

افضل

افضل فى الايمان من الرجل وحق المومنين ان لا يفتخروا
الافضل الايمان لافضل الاحساب والانساب وهذا تانيس
بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه فانه العالم بالسرائر بعضكم
من بعض اى انتم واماءكم سواء فى النسب والدين فنسبكم من
ادم ودينكم الاسلام فلا تستنكفوا من نكاحهن فانكحوهن
باذن اهلهن اى موالیهن واتوهن اجورهن اى ادوا
اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف باذن لتقدم ذكره او
ادوا الى موالیهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه
عوض حقه فيجب ان يودى اليه وقال مالك المهر للامة
ذاهبا الى ظاهر الاية بالمعروف اى من غير مطل ولا ضرار
وقوله تعالى محصنات اى عفيفات حال من ضمير فانكحوهن
وهو محمول على الندب بناء على المشهور من جواز نكاح الزواني
غير مسافحات اى زانيات جهرا ولا متخذات اخدان اى
اخلاء يزنون بهن سرا جمع خدن وهو الصديق فى السر وقيل
المسافحات اللاتى يزنين مع اى رجل وذوات الاخدان اللاتى
يزنين مع معين وذلك بحسب ما كان فى الجاهلية فاذا احصن
قرا شعبة وحمزة والكسائى احصن بفتح الهمزة والصاد بالبنا
للفاعل اى تزوجن والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد على
البنا للمفعول اى زوجن فان اتين بفاحشة اى زنا
فعليهن نصف ما على المحصنات اى الحرائر الابكار اذا زنين
من الجلد اى الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة

ويقاس عليهن العبد فان قيل ما فايدة وجوب تنصيف
الحد عليهن بتقييده بتزوجهن اذ تنصيف العذاب لازم
للامة الزانية تزوجت ام لا اجيب بان فايدة ذلك بيان
انه لا رجم عليهن اصلا وبانه انما ذكر لبيان جواز سوال اذ
الصحابة رضي الله تعالى عنهم عرفوا مقدار حد الامة قبل
التزوج دون مقداره بعده فسالوا عنه النبي صلى الله عليه
وسلم فنزلت الاية وذهب بعضهم الى انه لا حد على من لم يتزوج
من المماليك اذا زنى اخذا بظاهر الاية وروى انه صلى الله
عليه وسلم قال اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها ولا
يثربن عليها ثم ان عادت فليحد عليها الحد ولا يثرب عليها
فان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر
ذلك اي نكاح الاما عند عدم الطول لمن خشي اي خاف العنت
اي الزنا واصله المشقة سمي به الزنا لانه سببها بالحد في
الدنيا او العقوبة في الاخرى منكم ايها الاحرار بخلاف من لم
يحقه اما العبيد فيجوز لهم نكاح الاما مطلقا لكن ان كان
العبد مسلما فلا بد ان تكون الامة مسلمة وان تصبروا عن
نكاح الاما متعففين خير لكم لئلا يصير الولد رقيقا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحراير صلاح البيت
والاما هلاك البيت والله غفور لمن يصبر رحيم بان
وسع له في ذلك يريد الله ليبين لكم شرايع دينكم ومصالح
اموركم ويهديكم اي يرشدكم سنن اي شرايع الذين

من

من قبلكم من الانبياء في التحريم والتحليل فتتبعوهم ويتوب عليكم
اي يتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان تبين لكم والله عليم بكم
حكيم فيما دبره لكم والله يريد ان يتوب عليكم ان وقع
منكم تقصير في دينه ويريد الذين يتبعون الشهوات قال
السدي هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المجوس لانهم
كانوا يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت فلما حرمن
الله قالوا فانكم تحلون بنات الخالة والعمة والخالة والعمة
عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت وقال مجاهد
هم الزناة ان تميلوا اي تعدلوا عن الحق ميلا عظيما بارتكاب
ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم
اي يسهل عليكم احكام الشرع وقد سهل ثم قال تعالى ويضع
عنهم اصرهم وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة
السهلة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات
وعلى مشاق الشهوات وعن سعيد بن المسيب ما ايس
الشيطان من احد قط الا اتاه من قبل النساء قد اتى على
ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشى بالاخرى
وان اخوف ما اخاف على فتنة النساء وعن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما ثماني ايات في سورة النساء خير لهذه الامة
مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم
والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ان الله لا يغفر

ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوا او يظلم
نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل اى بما لم يتجه الشريعة من السرقة
والخيانة والغصب والقمار والربا وقوله تعالى الا ان تكون
تجارة استثنا منقطع اى لكن ان يقع تجارة على قراة الرفع
وهو قراة غير عاصم وحمزة والكسائى واما هولا فقروا
بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اى الا ان الاموال
تجارة عن تراض منكم اى فلكم ان كلوها ولا تقتلوا
انفسكم اى بارتكاب ما يودى الى هلاكها فى الدنيا والاخرة
وقال الحسن يعنى اخوانكم اى لا يقتل بعضكم بعضا ولا
يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة روى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل نفسه بشى فى
الدنيا عذب به يوم القيامة وروى ان الله تعالى يقول
بادرنى عبدى بنفسه فحرمت عليه الجنة وعن عمرو بن
العاص انه تاوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه صلى
الله عليه وسلم ان الله كان بكم يا امة محمد رحيما حيث
امر بنى اسرايل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك
اى ما نهى عنه من قتل النفس وغيره من المحرمات وقوله
تعالى عدوانا حال اى متجاوزا للحلال وقوله تعالى
وظلما تاكيد وقيل اراد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم
ظلم الشخص نفسه بتعريضها للعقاب فسوف نصليه

اى

اى ندخله نارا يحترق فيها وكان ذلك على الله يسيرا اى
هينا لا عسر عليه فيه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه اى ملاحظتها وفسر جماعة الكبيرة بانها ما الحق صاحبها
وعيد شديد بنص كتاب او سنة وقال جماعة هى الجملة
الموجبة للحد والاول اولى لانهم عدوا الربا واكل مال اليتيم
وشهادة الزور ونحوها من الكبائر ولا حد فيها وقال الامام
هى كل جريمة تؤذن اى تعلم بقلة اكتراث مرتكبها بالدين
وقال سفيان الثورى الكبائر ما كان بينك وبين العباد
والصغائر ما كان بينك وبين الله واحتج بقوله صلى الله
عليه وسلم ينادى منادى بطنان العرش يوم القيامة
يا امة محمد ان الله قد عفى عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات
تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتى وهى اشياء كثيرة
وقال ابن عباس هى الى السبعين اقرب وقال سعيد بن
جبير هى الى السبعمائة اقرب اى باعتبار اصناف انواعها
نكفر عنكم سيئاتكم اى الصغائر وهى ما عدا الكبائر اى
نكفر بفعل الطاعات كالصلاة فى الصوم عن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى
رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنب الكبائر وليس
بذكر شئ من النوعين فى الاول تقديم الصلاة او تاخيرها
عن وقتها بلا عذر ومنع الزكاة وترك الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر مع القدرة ونسيان القرآن واليأس من
رحمة الله وامن مكره تعالى والقتل عمدا او شبه عمد والكفر
والفرار من الزحف واكل الربا واكل مال اليتيم والافطار في
رمضان من غير عذر وعقوق الوالدين والزنا واللواط وشهادة
الزور وشرب الخمر واذ قال والسرقة والغصب وقيده
جماعة مما يبلغ ربع مثقال مما يقع به في السرقة وكتمان
الشهادة بلا عذر وضرب المسلم بغير حق وقطع الرحم
والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسب الصحابة واخذ
الرشوة والنميمة واما الغيبة فان كانت في اهل العلم وحملة
القرآن فهي من الكبائر والا فهي صغيرة ومن الصغائر النظر
المحرم والكذب لاحد فيه ولا ضرر ولا اشراف على بيوت الناس
وهجر المسلم فوق ثلاثة ايام والكثرة المحققات الا ان راعى
حق الشرع فيها والضحك في الصلاة والنياحة وشق الجيب
في المصيبة والتبختر في المشي والجلوس بين الفساق
ايناسا لهم وادخال مجانين وصبيان ونجاسة يغلب
بتنجيسهم المسجد واستعمال نجاسة في بدن او ثوب لغير
حاجة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الصغيرة
مع الاصرار والكبيرة مع الاستغفار وقيل الكبائر الشرك
وما عداه من الصغائر قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقد علم مما
قررنا فيه بفتح الميم اي موضعا كريما اي حسنا وهو الجنة

وقرأ

وقرأ الباقون بضمها على المصدر بمعنى الادخال مع الكرامة
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من جهة
الدنيا والدين ليلا يؤدى الى التحاسد والتباغض لان ذلك
التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم
باحوال العباد وبما يصلح للمقسوم له من بسط فى الرزق
وقبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض فعلى
كل احد ان يرضى بما قسم له هو مصلحة ولو كان خلافه لكان
مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه قال مجاهد قالت
ام سلمة يا رسول الله ان الرجال يغزون ولا نغزو ولهم ضعف
ما لنا من الميراث فلو كنا رجالا غزونا واخذنا من الميراث
مثل ما اخذوا فنزلت هذه الاية وقيل لما جعل الله تعالى
للذكر مثل حظ الانثيين فى الميراث قالت النساء نحن احوج
الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر فى طلب
المعائش منا فنزلت وقال قتادة والسدى لما انزل الله تعالى
للذكر مثل حظ الانثيين انا لنرجو ان نفضل على النساء فى
الاخرة فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء كما فضلنا
عليهن فى الميراث فانزل الله تعالى للرجال نصيب اى ثواب
مما اكتسبوا اى بسبب ما عملوا من الجهاد وللنساء نصيب
مما اكتسبن لهن من حفظ فروجهن وطاعة ازواجهن فالرجال
والنساء فى الاجر فى الاخرة سواء وذلك ان الحسنة تكون بعشر
امثالها يستوى فى ذلك الرجال والنساء وفضل الرجال على

النسا انما هو في الدنيا واسيلوا الله من فضله اي لا تتمنوا
ما للناس واسيلوا الله ما احتجتم اليه يعطكم من خزاينه
التي لا تنفد فنهى الله عن التمني لما فيه من دواعي الحسد
والحسد ان يتمنى الشخص زوال النعمة عن صاحبها سوا
تمناها لنفسه ام لا والغبطة ان يتمنى لنفسه مثل ما
لصاحبه وهو جايز قال صلى الله عليه وسلم لا حسد اي لا
غبطة الا في اثنتين الحديث ان الله كان بكل شي عليما
فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيضل عن علم او تبيان
ولكل من الرجال والنسا جعلنا موالي اي عصبة
يعطون مما ترك الوالدان والاقربون لهم من المال فالوالدان
والاقربون هم الموروثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالي
اي ورثة مما ترك اي من الذين تركهم فتكون ما بمعنى من ثم فسر
الموالي فقال الوالدان والاقربون اي هما الوالدان والاقربون
فعلى هذا القول الوالدان هم الوارثون والذين عاقدت ايمانكم
والمعاقدة المعاهدة والمعاهدة والايمان جمع يمين بمعنى
القسم او اليد وذلك انهم كانوا عند المحالفة ياخذ بعضهم
بيد بعض على الوفا والتمسك بالعهد ومحالفتهم ان الرجل
كان في الجاهلية يعاقد الرجل يقول دمي ودمك وثاري
وثارك وحربي وحربك وسلمي وسلمك وترثني وارثك
وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون
للحليف السدس من مال الحليف وكان ذلك ثابتا في ابتدا

الاسلام

الاسلام فذلك قوله تعالى فآتوهم نصيبهم اى اعطوهم حظهم
من الميراث ثم نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض فى كتاب الله وقال مجاهد اراد فآتوهم نصيبهم من
النصر والوفد ولا ميراث وعلى هذا الآية غير منسوخة لقوله
تعالى اوفوا بالعقود وقوله صلى الله عليه وسلم فى خطبة يوم
فتح مكة لا تحدثوا حلفا فى الاسلام وما كان من حليف فى
الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة قال
الزمخشرى وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى لو اسلم رجل
على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده
ويرث بحق الموالاة خلافا للشافعى رحمه الله تعالى انتهى
وقرأ عليهم عاصم وحمزة والكسائى عاقدت بالف بعد العين
والقاف واما هو لاء الثلاثة فقرأوا عقدت بغير الف بمعنى عقدت
عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه
مقامه ثم حذف كما حذف فى القراءة الاولى ان الله كان على كل شئ
شهيدا اى مطلقا فخافوه الرجال قوامون على النساء تقومون
عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين احدهما
وهبى والاخر كسبى وقد ذكر الاول بقوله تعالى بما فضل
الله بعضهم على بعض اى بسبب تفضيله الرجال على النسا
بكمال العقل وحسن التدبير وبزيد القوة فى الاعمال والطاعات
ولذلك خصوا بالنبوة والامانة والولاية واقامة الشعائر
والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة والتشريق

وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالعتاق والرجعة وعدد
الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحا والعمايم ثم ذكر
الثاني بقوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر
والنفقة روي انه صلى الله عليه وسلم قال لو امرت احدا ان يسجد
لاحد لامرت الزوجة ان تسجد لزوجها وروي ان سعيد
ابن الربيع احد نقبا الانصار تشزرت عليه زوجته حبيبة
بنت ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال
ليقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي
اراد خير ورفع القصاص فالصالحات منهن قانتات
اي مطيعات لازواجهن حافظات للغيب اي لما يجب عليهن
حفظه في حال غيبة ازواجهن من الفروج والبيوت والاموال
وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خير النساء امراة اذا نظرت اليها سرتك
وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها
بما حفظ الله اي بما حفظهن الله حيث اوصى بهن الازواج
في كتابه وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استوصوا
بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ
الغيب ايما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على
حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة
واللاتي تخافون اي تعلمون نشوزهن كما في قوله تعالى

فمن

شن خاف من موص جنفا او اثما فعظهن اى خوفهن كما
يقوله لزوجته اتق الله فى الحق الواجب لى عليك واحذرى
العقوبة وبين لها بالنشوز يسقط النفقة والتقسيم
واهجروهن فى المضاجع اى اعتزلوهن فى الفراش واضربوهن
وان لم يتكرر النشوز ان افاد الضرب والا يضرب كما لا يضرب
ضربا مبرحا ولا وجها ولا مهالكا ومع ذلك فالاولى له العفو
وخرج بالعلم بالنشوز ما اذا ظهرت امارته فقط اما يقول
كان صارت بحيث يكلم خشن بعد ان كان بليين واما بفعل
كان يجد منها اعراضا وعبوسا بعد تلطف وطلاقة وجه
فانه يعظها بلا هجر وبلا ضرب لعلها تبدى عذرا او تتوب
عما وقع منها بغير عذر وخرج بالمضجع الهجر بالكلام فلا يجوز
الهجر فوق ثلثة ايام ويجوز فيها للخبر الصحيح لا يحل لمسلم
ان يهجر اخاه فوق ثلث هذا ان قصد بهجرها ردها
لحظ نفسه فان قصد به ردها عن المعصية واصلاحها
فلا تخرج اذ النشوز حينئذ عذر شرعى والهجر له فى الكلام
جايز مطلقا وسنه لهجر صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك
وصاحبيه ونهيه الصحابة عن كلام مهر فان اطعنكم اى فيما
يراد منهن فلا تبغوا اى تطلبوا عليهن سبيلا اى
طريقا الى ضربهن ظلما واحملوا ما كان منهن كان لم يكن فان
التايب من الذنب كمن لا ذنب له رواه الطبرانى وابن ماجه
وغيرهما ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه ان يعاقبكم

من

ان ظلمتموهن فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم وان
خفتم اى علمتم شقاق اى خلاف بينهما اى بين
المرء وزوجه وذكرهما بضميرهما وان لم يجر ذكرهما لجرى ما
يدل عليهما وهو الرجال والنسا واضافة الشقاق الى
الظرف اما لاجرايه مجرى المفعول به كقوله يا سارق
الليلة اهل الدار والفاعل كقولهم نهارك صايم فابعثوا
اى ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لكن برضاهما حكما
من اهله اى اقاربه وحكما آخر من اهلها اى اقاربها
لينظر فى امرهما بعد اختلا حكمه به وحكمها بها ومعرفة ما
عندهما فى ذلك ويصلحا بينهما او يفرقا ان عسر الاصلاح
على ما ياتى فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب
للصلاح تنبيه بعث الحكمين على سبيل الوجوب وكونهما
من الاقارب على سبيل الندب وهما وكيلا لهما فاشترط
رضاهما لا حكمان من جهة الحاكم لان الحال يودى الى الفراق
والبضع حق الزوج والمال حق الزوجة وهما رشيدان فلا
يولى عليهما فى حقهما فيوكل هو حكمه بطلاق او خلع وتوكل
هى حكمها ببذل عوض وقبول طلاق ويشترط فيهما اسلام
وحرية وعدالة واهتدا الى المقصود من بعثهما له وانما
اشترط فيهما ذلك مع انهما وكيلان لتعلق وكالتهما بنظر
الحاكم كما فى امينه ويسن كونهما ذكرين ولا يكفى حكم واحد ان
يريدا اى الحكمان اصلاحا يوفق الله بينهما اى الزوجين

احدا

اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة
وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى يوفق فى وساطتهما واوقع
الله بطيب انفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق
والالفة والفى فى نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضمير الاول
للزوجين والثانى للحكمين اى ان يرد الزوجان اصلاحا
يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل
للزوجين اى ان اراد الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله
بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته
فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه فان لم يرض ببعثهما ولم يثق
على شئ اذب الحاكم الظالم واستوفى للمظلوم حقه **ان الله**
كان عليما بكل شئ **خبيرا** بالبواطن كالظواهر فيعلم
كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق قال تعالى لو انفقت ما
فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم
واعبدوا الله اى وحدوه واطيعوه **ولا تشركوا به شيأ**
اى شيأ من الاشراك جليا كان او خفيا وعن معاذ بن جبل
رضى الله تعالى عنه انه قال كنت رديف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هل تدرى يا معاذ ما حق الله على الناس
قال قلت الله ورسوله اعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيأ تدرى يا معاذ ما حق الناس على الله اذا
فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الناس على
الله ان لا يعذبهم قال قلت يا رسول الله الا ابشر الناس قال

دعهم يعملون واحسنوا بالوالدين احسانا اى براولين جانب
وبذى القربى اى صاحب القرابة واليتامى والمساكين
ويدخل فى المساكين الفقرا روى انه صلى الله عليه وسلم
انا وكافل اليتيم فى الجنة وفى رواية من مسح راس يتيم ولم
يمسحه الا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يداه حسنات
ومن احسن الى يتيمة او يتيم عنده كنت انا وهو فى الجنة
كهاتين وفرق بين اصبعيه والجار ذى القربى اى
القريب منك فى النسب او الجوار والجار الجنب اى البعيد
عنك فى النسب او الجوار روى عن عايشة رضى الله تعالى
عنها انها قالت يا رسول الله ان لى جارين فالى ايهما اهدى قال
الى اقربهما منك بابا وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ما
زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه يورثه والصاحب
بالجنب اى الرفيق فى السفر كما قاله ابن عباس ومجاهد
والمراة تكون معه الى جنبه كما قاله على والنخعى والذى
يصحبك وجا نفعك فى تعلم علم او حرفة او نحو ذلك كما قاله
جريج وابن زيد وابن السبيل اى المسافر لانه يلازم
السبيل او الضيف كما عليه الاكثر روى انه صلى الله عليه
وسلم قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليحسن الى جاره
ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن
كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت ومن
كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جايزته يوم

وليلة

وليلة والضيافة ثلاثة ايام فما بعد ذلك فهو صدقة ولا
يحل له ان يثوى عنده حتى يحرجه وما ملكت ايمانكم اى
من الارقاء من عبيد واما ما روى انه صلى الله عليه وسلم
قال هم اخوانكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن جعل الله اخاه
فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل
ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليعنه عليه وفى رواية انه
صلى الله عليه وسلم كان يقول الصلاة وما ملكت ايمانكم فجعل
يتكلم وما يفيض بها لسانه ان الله لا يحب من كان مختالا
اى متكبرا على الناس من اقاربه واصحابه وجيرانه وغيرهم
ولا يلتفت اليهم فخورا اى يتفاخر عليهم بما اتاه الله وروى
انه صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يتبختر فى بردين وقد
اعجبته نفسه خسف به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم
القيامة وفى رواية لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه
خيلاء وقوله تعالى الذين مبتدا يبخلون اى بما يجب
عليهم ويامرون الناس بالبخل بذلك ويكتمون ما
اتاهم الله من فضله من العلم والمال وهم اليهود بخلوا
ببيان صفته صلى الله عليه وسلم وكتموها وكانوا يأتون
رجالا من الانصار ويخالطونهم فيقولون لا تنفقوا اموالكم
فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وخبر المبتدا محذوف
تقديره لهم وعيد شديد ويصح ان يكون الذين بدلا من
قوله من كان او منصوبا على الذم او مرفوعا على انه اى هم الذين

وقرا حمزة والكسائي بالبخل بفتح البا والخا والباقون بضم البا
وسكون الخا واعتدنا للكافرين بذلك وغيره عذابا
مهينا اي ذا اهانة وضع الظاهر فيه موضع المضمر اظهارا
بان من هذا شانه فهو كافر بالله لكتمانه صفة النبي صلى
الله عليه وسلم وكافر بنعمة الله عليه وروي عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته
على عبده وبنى عامل للرشيد قصر احد اقصره فنم به عنده
فقال الرجل يا امير المومنين ان الكريم يسره ان ترى اثر
نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه
وقوله تعالى والذين عطف على الذين قبله ينفقون اموالهم
رياء الناس اي مرائين لهم ولا يومنون بالله ولا باليوم
الاخر كالمنافقين ومشركي مكة اموالهم في عداوة النبي صلى
الله عليه وسلم ومن يكن الشيطان له قرينا اي صاحبا
يعمل بامره كهولا فسا اي فبيس قريبا اي حيث حملهم على
البخل والريا وكل شر وزينة لهم كقوله تعالى ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه المداخلة
في باطن الانسان والخارجة عنه ويجوز ان يكون وعيدا لهم
بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله
واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي اي ضرر عليهم في
ذلك والاستفهام للانكار ولو مصدرية اي لا ضرر فيه وانما
الضرر فيما هم عليه وقوله تعالى وكان الله بهم عليما وعيد لهم

فيجازيهم

فيجازيهم بما عملوا **ان الله لا يظلم** احدا **مثقال** اى وزن
ذرة وهى اصغر نملة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء فى الكوة
اى لا ينقص قدر ذكر من حسناته ولا يزيده فى سيئاته كما
قال تعالى انه الله لا يظلم الناس شيأ وفى ذكر المثقال ايما الى
انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وعن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما انه ادخل يده فى التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال
كل واحدة من هؤلاء ذرة **وان تك حسنة** اى وان يكن المثقال
حسنة **يضاعفها** اى يؤتها من عنده الى اكثر من سبعمائة
وعن ابى عثمان الهندى انه قال لابى هريرة بلغنى عنك انك
تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعطى
عبده المؤمن بالحسنة الواحدة الف الف حسنة قال ابو
هريرة لا بل سمعته يقول ان الله يعطيه الفى الف حسنة
ثم تلا هذه الاية وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله
لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزيه
بها فى الاخرة قال واما الكافر فيطعم بحسناته فى الدنيا
حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا
وفى رواية اذا اخلص المؤمنون من النار وامنوا فما مجادلة
احدكم لصاحبه فى الحق يكون له فى الدنيا باشد مجادلة
من المؤمنين لربهم فى اخوانهم الذين ادخلوا النار قال يقولون
ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون
معنا فادخلتهم النار قال فيقول اذهبوا فاخرجوا من عرفتم

منهم فيأتون فيعرفونهم بصور هم لا تأكل النار صورهم فمنهم
من اخذته النار الى انصاف ساقيه ومنهم من اخذته الى
كعبيه فيخرجونهم فيقولون ربنا قد اخرجتنا من امرتنا ثم
يقول اخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة قال ابو سعيد
فمن لم يصدق فليقرأ هذه الاية ان الله الخ قال فيقولون
ربنا قد اخرجنا من امرتنا فلم يبق احد في النار فيه خير
ثم يقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفعت الانبيا
وشفع المؤمنون وبقي ارحم الراحمين قال فيقبض قبضة
من النار او قال قبضتين ناسا لم يعملوا خيرا حتى احترقوا
حتى صاروا حمما فيؤتى بهم الى ماء يقال له ماء الحياة فيصب
عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل وهي بكسر
الحا المهملة وتجمع على حبب قال فتخرج اجسادهم مثل
اللؤلؤ في اعناقهم الخواتم عتقاء الله فيقال لهم ادخلوا الجنة
فما تمنيتم او رأيتم من شيء فهو لكم قال فيقولون ربنا اعطيتنا
ما لم تعط احدا من العالمين قال فيقول الله تعالى افان لكم
عندي افضل من هذا فيقولون ربنا وما افضل من ذلك فيقول
رضاي عنكم فلا اسخط عليكم ابدا فان قيل لم انث الضمير
مع انه راجع للمثقال وهو مذكر اجيب بانه انثه لتانيث
الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وقيل ان الضمير راجع الى
ذرة وهي مؤنثة لا الى مثقال وحذفت النون تشبيها بحروف
العلة وقرأ نافع وابن كثير حسنة برفع التا على كان التامة

والباقون

والباقون بنصبها على كان الناقصة وقرا ابن كثير وابن عامر
يضاعفها بتشديد العين ولا الف قبلها والباقون بتخفيف
العين والف قبلها ويؤت اى يعط صاحب الحسنة من
لدنه اى من عند الله على سبيل التفضل زايدا على ما وعد
فى مقابلة العمل اجرا عظيما اى عطا جزيلا وانما سماه
اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه لا يثبت الا بثباته فكيف
حال الكفار اذا جينا من كل امة بشهيد يشهد عليها
بعملها وهو نبيها لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
وجينا بك يا محمد على هؤلا شهيدا اى شاهدا
تشهد على صدقهم لعلمك ببقايد عمهم واستجماع شرعك
على مجامع قواعدهم وقيل هؤلا اشارة الى المومنين لقوله
تعالى لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
وقيل الى الكافرين المستفهم عن حالهم وعن ابن مسعود
انه قرا سورة النسا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى بلغ قوله وجينا بك على هؤلا شهيدا فبكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا يومييذ اى الجمع وقيل
يوم القيامة يود اى يتمنى الذين كفروا وعصوا الرسول
لو اى ان تسوى بهم الارض كالموتى اولم يبعثوا اولم يخلقوا
وكانوا هم والارض سوا وقال الطبرى يقول الله عز وجل للبهايم
والوحوش والطيور والسباع كنتم ترابا فسويت بهم الارض
فعند ذلك يتمنى الكافر ان لو كان ترابا كما قال تعالى ويقول

الكافر يا ليتني كنت ترابا وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم
تسوى بضم التا بالبنا للمفعول والباقون بالفتح بالبنا
للفاعل مع حذف احدى التاين في الاصل وشدد السين نافع
وابن عامر وخففها الباقون ولا يكتمون الله حديثا اى
عما عملوه لان جوارحهم تشهد عليهم وقال الحسن انها
مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن
يتكلمون ويكذبون ويقولون ما كنا مشركين وما كنا نعمل
من سوء وفي موطن يسألون الرجعة واخر تلك المواطن
يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم وهو قوله تعالى ولا
يكتمون الله حديثا وقال سعيد بن جبير قال رجل لابن
عباس اني اجد في القرآن شيا يختلف علي فقال هات ما
اختلف عليك قال قال الله تعالى فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون وقال واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
وقال تعالى ولا يكتمون الله حديثا وقال والله ربنا ما كنا
مشركين فقد كتموا وقال تعالى ءأنتم اشد خلقا ام السما بناها الى قوله
والارض بعد ذلك دحاها فذلك خلق السما قبل خلق الارض
ثم قال ءاينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى
طايعين فذكر في هذه الاية خلق الارض قبل خلق السما
وقال تعالى وكان الله غفورا رحيما وقال وكان الله عزيزا
حكيما فكانه كان ثم مضى فقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في النفخة

الاولى قالوا ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في
الارض فلا انساب عند ذلك ولا يتساءلون في النفخة الاخيرة
ثم اقبل بعضهم على بعض يتساءلون واما قوله والله ربنا
ما كنا مشركين ولا يكتمون الله حديثا فان الله يغفر لاهل
الاخلاص ذنوبهم فقال المشركون تعالوا نقل لم كنا مشركين
فيختم على افواههم فتنطق ايديهم وارجلهم فعند ذلك عرفوا
ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا لو تسوى
بهم الارض وخلق الارض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى
الى السماء فسواهن في يومين اخرين ثم دحى الارض في
يومين ودحيها ان اخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال
والاكام وما بينهما في يومين اخرين فذلك قوله خلق الارض في
يومين فخلقت الارض وما فيها من شيء في اربعة ايام
وخلقت السموات في يومين وكان الله غفورا اي لم يزل
كذلك ولا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله **يا ايها
الذين امنوا لا تقربوا الصلاة** اي لا تقربوها ولا تقربوا
اليها واجتنبوها **وانتم سكارى** من الشراب **حتى تعلموا
ما تقولون** بان تصحوا منه كقوله تعالى **ولا تقربوا الزنا**
ولا تقربوا الفواحش روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع
طعاما وشرابا ودعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين كان الخمر مباحا فاكلوا وشربوا فلما
سكروا واجا وقت صلاة المغرب فقدموا احدهم يصلي بهم

فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف لا هكذا
الى اخر السورة فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلاة
فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم
السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها وقيل اراد بالصلاة
مواضعها وهي المساجد وقيل اراد بالسكر سكر النوم نهى
عن الصلاة عند غلبة النوم قال صلى الله عليه وسلم اذا
نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم
فان احدكم اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب يستغفر
فيسب نفسه وقوله تعالى **ولا جنبا** منصوب على الحال اى
ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب يقال رجل
جنب وامرأة جنب ورجال ونساء جنب لانه يجري مجرى
المصدر لانه مصدر بل هو اسم مصدر لانه لم يستوف حروف
الفعل لان فعله اجنب فمصدره اجنابا لا جنبا واصل
الجنابة البعد وسمي جنبا لانه يجتنب موضع الصلاة او
لجانبته الناس وبعده منهم حتى تغتسلوا **الا عابري** اى
مجتازي **سبيل** اى طريق او مسافرين **حتى تغتسلوا**
اى فلكم ان تصلوا واستثنا المسافر له حكم اخر سياتي وفي
هذا دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث لانه علياه بقوله
حتى تغتسلوا ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر
عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد
وبه قال الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال ابو حنيفة لا يجوز

له المرور الا اذا كان فيه الماء والطريق الماء **وان كنتم**
مرضى اى مرضا يخاف معه من استعمال الماء لفقد الواجد
كالفاقد **او على سفر** اى مسافرين **وانتم جنب** او محدثون
او جاء احد منكم من الغائط اى احدث بخروج الخارج من
احد السبيلين والغائط المكان المطمئن من الارض تقضى
فيه الحاجة سمى باسمه الخارج للمجاورة **او لامستم النساء**
قراءة والكسائى بغير الف بين اللام والميم والباقون
بالف واختلف فى معنى اللمس والملامسة فقال قوم هما
التقاء البشرتين سواء كان بجماع او بغيره وهو قول ابن مسعود
وابن عمر والشعبى والنخعى وبه استدل الشافعى رضى
الله تعالى عنه على ان اللمس ينقض الوضوء وقال قوم هما
المجامعة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة
كنى باللمس عن الجماع لان باللمس يوصل الى الجماع **فلم تجدوا**
ماء تطهرون به للصلاة بعد الطلب لانه لا يسمى عادم
واجد الا بعد طلبه وهو راجع الى ما عدا المرض **فتيمموا** بعد
دخول الوقت **صعيدا طيبا** اى ترابا طاهرا اى طهورا
اما المرض فيتيممون مع حضور الماء لان وجوده بالنسبة
اليهم كالعدم **فامسحوا بوجوهكم وايديكم** من المرفقين
سنة بضربتين كما ثبت فى الحديث وقال الزجاج الصعيد
وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه
لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهورا والى هذا

ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى واجاب عن قوله تعالى
في اية المايدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى بعضه
وهو لا يتاتى في الصخرة الذى لا تراب عليه بان من لابتدا
الغاية قال الزمخشري قولهم انها لابتدا الغاية فيه تعسف
ولا يفهم احد من العرب من قول القايل مسحت براسي من
الدهن ومن الماء من التراب الا معنى التبعيض قال
والاذعان للحق احق من المراء والتيمم من خصايص هذه
الامة روى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت
صفوفنا كصفوف الملايكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا
وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء وكان بدا التيمم ما اخبرت
عايشة رضى الله تعالى عنها انها قالت خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او
بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء
وليس معهم ماء فاتى الناس ابا بكر فقالوا الا ترى ما صنعت
عايشة اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس
وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجا ابو بكر ورسول الله صلى
الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست
رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس
معهم ماء فعاتبني ابا بكر وقال ما شا الله ان يقول وجعل

يطعن

يطعن بيده في خاصرتي ولا يمنعني من التحرك الا مكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين اصبح على غير ما فانزل الله اية التيمم فقال
سعيد بن حضير وهو احد النقبا ما هي باول بركتكم بال
ابي بكر فقالت عايشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه
فوجدنا العقد تحته وفي رواية انها استعارت من اسما
قلادة فهلكت فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا
من اصحابه في طلبها فادركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء
فلما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك اليه فنزلت
فقال اسيد بن حضير جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك
امر قط الا جعل الله لك منه مخرجا وجعل للمسلمين فيه بركة
وقوله تعالى ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص
والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطايين ويغفر
لهم اكثر ما كان ميسورا غير معسر الم تر اي تنظر الى
الذين اوتوا نصيبا اي خطا يسيرا من الكتاب اي من علم
التوراة وهم احبار اليهود يشترون اي يختارون الضلالة
على الهدى ويريدون ان تضلوا ايها المومنون السبيل اي
تخطون طريق الحق لتكونوا مثلهم والله اعلم منكم
باعدايكم فيخبركم بهم لتجتنبوهم ولا تستصحبوهم فانهم
اعداوكم وكفى بالله وليا اي حافظا وكفى بالله نصيرا
اي مانعا لكم من كيدهم وقوله تعالى من الذين هادوا بيان

الذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله تعالى
والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا جمل توسطت
بين البيان والمبين عملى سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم وما
بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اى ينصرهم من الذين
هادوا وقوله تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا
او خبر مبتدا محذوف وفى صفته يحرفون الكلم عن مواضعه
اى ومن الذين هادوا قوم يحرفون او من يغيرون الكلم الذى
انزل فى التوراة من بعث محمد صلى الله عليه وسلم عن مواضعه
التى وضع عليها بازالته عنها واثبات غيره فيها وفى المائدة
من بعد مواضعه والمعنيان متقاربان قال ابن عباس كانت
اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسيلونه عن الامر
فيخبرهم ويرى انهم ياخذون بقوله فاذا انصرفوا من عنده حرفوا
كلامه ويقولون النبى صلى الله عليه وسلم اذا امرهم سمعنا
قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع بمعنى الدعاء اى لا
سمعت بصم او بموت او بمعنى اسمع منا لا اسمع منك
او بمعنى اسمع غير مسمع كلاما ترضاه ويقولون له راعنا
يريدون به النسبة الى الرعونة وقد نهى عن خطابه صلى
الله عليه وسلم بها وهى كلمة سب بلغتهم ليا اى تحريفا
بالسنتهم اى يحرفون ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما
يضمرونه من السب والتحقير لغاقا وطعنا اى قدحا فى
الدين اى الاسلام ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا بدل

وعصينا واسمع اى فقط وانظرنا اى انظر الينا بدل راعنا
لكان خيرا لهم مما قالوه واقوم اى اعدل واصوب ولكن لعنهم
الله اى ابعدهم عن رحمته بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا اى
ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الايات والرسل
ويجوز ان يراد بالقلة العدم او الا نفر قليل منهم كعبد الله
ابن سلام واصحابه يا ايها الذين اوتوا الكتاب يخاطب اليهود
امنوا بما نزلنا اى القرآن مصدقا لما معكم اى
التوراة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما اجلى اليهود
عبد الله بن صوريا وكعب بن اسد وقال يا معشر اليهود
اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذى جيتكم به
لحق قالوا ما نعرف ذلك وانصرفوا فنزلت من قبل ان نطمس
وجوها اى نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف
فنردها على ادبارهم اى فنجعلها كالاقفا معلومة
مثلها او نمسخها الى ورايها فى الدنيا او فى الاخرة روى ان عبد
الله بن سلام لما سمع هذه الاية جا الى النبى صلى الله عليه
وسلم قبل ان يأتى اهله ويدل على وجهه واسلم وقال يا
رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهى فى
قفاى وكذلك كعب الاحبار لما سمع هذه الاية اسلم فى زمن
عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا رب امنت يا رب اسلمت
مخافة ان يصيبه وعيد هذه الاية فان قيل قد اوعدهم الله
بالطمس ان لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك اجيب

بان هذا الوعيد باق ويكون طمس ومسخ في اليهود قبل قيام
الساعة وانه هذا كان وعيدا بشرط فلما اسلم عبد الله بن
سلام واصحابه رفع ذلك عن الباقون وقيل اراد به في القيمة
وقال مجاهد اراد بقوله نطمس وجوها اي نتركهم في الضلالة
فيكون المراد طمس وجه القلب والردة عن بصائر الهدى على
ادبارهم في الكفر والضلالة اي نمسخهم قردة وخنازير
اي مسخنا منهم قردة وخنازير
اي قضاوه اي نافذا وكائنا فيقع
لامحالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا
اي لا يغفر الاشراك به قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لما نزل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا قالوا يا رسول الله والشرك
فنزلت ولما اخبر بعدله اخبر تعالى بفضله فقال
الامر الكبير العظيم من كل معصية سواء كانت
صغيرة ام كبيرة سواء تاب فاعلها ام لا ورهب بقوله اعلاه ما
بانه فختار لا يجب عليه شيء وقال الكلبي نزلت هذه
الاية في وحشي بن حرب واصحابه وذلك انه لما قتل حمزة
وذهب الى مكة ندم هو واصحابه وكتبوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ضيعنا وانه ليس يمنعنا
عن الاسلام الا انا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا
يدعون مع الله الها اخر الايات وقد دعونا مع الله الها

اخر

اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فما ولا الاثام يلقى
فنزل الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الايتين فبعث بهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤا كتبوا اليه ان
هذا شرط شديد ان لا نقدر على عمل صالحا فنزل ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم
فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيته فنزل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية فبعث بها اليهم
فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله وسلم فقبل منهم
ثم قال الوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك
غيب وجهك عني فلحق وحشي بالشام فكان بها الى ان مات
ومن يشرك بالله فقد افترى اي ارتكب اثما عظيما
اي كبيرا فان الافتراء مما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذا
الاختلاق في روي ان رجلا قال يا رسول الله ما الموجبات قال
من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة ومن مات يشرك
بالله شيا دخل النار وروى ابو ذر انه صلى الله عليه وسلم
قال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل
الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق
على رغم انف ابي ذر وكان ابو ذر اذا حدث بهذا قال وان
رغم انف ابي ذر الم تر الى الذين يزكون انفسهم قال
الحسن وقتادة نزلت في اليهود والنصارى فانا نحن ابنا
الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى

وقال الحلبي نزلت في رجال من اليهود وجاؤا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا
والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفرعنا بالليل وما
عمل بالليل كفرعنا بالنهار فيدخل في الاية كل من زكى نفسه ومن
يزكا العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله الا اذا كان
الغرض صحيح ومطابق الواقع لقول سيدنا يوسف صلى الله
عليه وسلم اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقوله
صلى الله عليه وسلم اني امين في السما امين في الارض حين
قال له المنافقون اعدل في القسمة اذا يا لهم اذ وصفوه
بجهل في ما وصفه به ربه ولكن شتان بين من شهد الله له
بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله
الذي له صفات الكمال يزكي من يشا اي بما له من العلم
التام والقدرة الشاملة والحكمة البالغة واصل التزكية
نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون اي ينقصون من
اعمالهم فتيلا اي قدر ما يكون في شق النواة والفتيل اسم
للقشرة التي على النواة قال عكرمة عن ابن عباس فهو اسم
لما في شق النواة والفتير اسم للقشرة التي على النواة
والنقير اسم للنقطة التي تكون على ظهر النواة وقيل
الفتيل من الفتل وهو ما يحصل بين الاصبعين من الوسخ
عند الفتل ولما اخبر سبحانه وتعالى ان التزكية انما هي اليه
قال لنبيه صلى الله عليه وسلم انظر متعجبا كيف يفترون

اى يتعدون على الله الذى لا يخفى عليه شئ ولا يعجزه شئ
الكذب من غير خوف يستمر لذلك عاقبة وكفى به اى بهذا
الكذب اثما مبينا اى بينا واضحا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت وهما صنمان بمكة
لقريش وذلك ان كعب بن الاشرف خرج فى سبعين راكبا
من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالف قريشا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى كان بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على ابى سفيان
فاحسن مثواه ونزلت اليهود فى دور قريش فقال اهل مكة
انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا
مكرا منكم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا
ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا
ابليس فيما فعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ
تقرا الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا
نحن ام محمد قال كعب اعرضوا على دينكم فقال ابو سفيان
نحن ولاة البيت نسقى الحجاج وننحر الضيف ونفك العانى
ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد
فارق دين ابايه وقطع الرحم وفارق الحرم ودينا الغدير
ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما
عليه محمد فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا اى
حظا من الكتاب وهو كعب بن الاشرف واصحابه يؤمنون

بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا وهم ابو سفيان
واصحابه هؤلاء اى انتم اهدى من الذين امنوا وهم
محمد واصحابه سبيلا اى اقوم دينا وارشد قوله اولئك
الذين لعنهم الله اى طردهم وابعدهم من رحمته ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيرا اى مانعا يمنع العذاب عنه
بشفاعة او غيرها تنبيه فى هؤلاء اهدى هم ثلاث من
كلمتين الاولى مكسورة والثانية مفتوحة قرأ نافع وابن كثير
وابو عمرو بابدال الثانية يآء خالصة والباقون بالتحقيق
ام منقطعة بمعنى بل لهم نصيب اى حظ من الملك ومعنى
الهمزة انكار ان يكون لهم شئ من الملك وجه لما زعمت اليهود
من ان الملك سيصير لهم ولو كان لهم نصيب منه فاذن
اى فيلزم عن ذلك انهم لا يؤتون الناس اى واحدا منهم
نقيرا ومرانه النقرة فى ظهر النواة وهو مثل فى القلة
كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك الدنيا واما ملك
الله كقوله تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا
لامسكتم خشية الانفاق وفى هذا مبالغة فى شحهم فانهم
بخلوا بالتقدير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متقادين
ويصح ان يكون معنى الهمزة فى ام الانكار انهم قد اوتوا نصيبا
من الملك وكانوا اصحاب اموال ويسارتين وقصور مشيدة
كما تكون لحوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيأ
ام بل يحسدون الناس اى محمدا صلى الله عليه وسلم

الذى جمع فضايل الناس الاولين والاخرين على ما اتاهم الله
من فضله من النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وكثرة
النساء اى يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبيا لاشتغل
عن النساء فقد اتينا آل ابراهيم وهو النبى صلى الله عليه
وسلم ومن آله ابراهيم موسى وداود وسليمان الكتاب اى
ما انزل اليهم والحكمة اى النبوة واتيناهم ملكا عظيما
فلا يبعد ان يوتيه الله مثل ما اتاهم فكان لداود تسع
وتسعون امراة وكان لسليمان الف وثلثمايه حرة وسبعمايه
سرية وقيل المراد بالناس الناس جميعا وقيل العرب وحسدوهم
لان النبى الموعود منهم وقيل النبى واصحابه لان من حسد
على النبوة فكانما حسد الناس كلهم على كمالهم ورشدهم
فمنهم اى اليهود من امن به اى بمحمد صلى الله عليه وسلم
كعبد الله بن سلام واصحابه ومنهم من صد اى اعرض
عنه فلم يومن به وكفى بجهنم سعيرا اى عذابا لمن يومن
وقوله تعالى ان الذين كفروا بايتنا سوف نصليهم اى
ندخلهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت اى احترقت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه
على صورة اخرى روى ان هذه الاية قريت عند عمر رضى الله
تعالى عنه فقال عمر للقارى اعدها فاعادها وكان عنده
معاذ بن جبل فقال لمعاذ عندى تفسيرها يبد له الله فى
ساعة مايه مرة قال عمر هكذا سمعت من رسول الله صلى الله

عليه وسلم وقال الحسن تاكلهم النار كل يوم الف مرة كلما اكلتهم
قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا فان قيل كيف تعذب
جلود لم تكن في الدنيا ولم تعصه اجيب بان المعاد انما هو
الجلد الاول وانما قال جلودا غيرها لتبدل صفتها كما تقول
صفة خاتمي خاتما غيره فالخاتم الثاني هو الاول الا ان الصياغة
والصفة تبدلت روي ان ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة
ثلاثة ايام للراكب المسرع وروي ان ضرسه او نابه مثل احد
وغلظ جلده مسيرة ثلاث ليذوقوا العذاب اي ليقاسوا
شدته وقيل يخلق مكان ذلك الجلد جلدا اخر والمعذب في
الحقيقة هي كل حال هو النفس العاصية القائمة بالبدن لانها
المدركة دونه ان الله كان ولم يزل عزيزا اي لا يعجزه شيء
حكيما في خلقه على وفق حكمته والذين امنوا اي اقروا به
بالايمان وعملوا الصالحات سندخلهم اي بوعد لا خلف
فيه وربما افهم التنفيس لهم بالسين دون سوف كما في
الكافرين انهم اقصر الامرين مدة او انهم اقصروها اعمالا راحة
لهم من دار الكدر الى محل الصفا وانهم يدخلون الجنة قيل
جميع الفرق الناجية من اهل الموقف جنات اي بساتين
ووصفها بما يديم بهجتها ويعظم نضرتها وزهرتها فقال
تجري من تحتها الانهار اي ان ارضها في غاية الري كل موضع
صالح لان يجري منه نهر ولما ذكر قيامها وما به دوامها اتبعه
بما تهواه النفوس من استمرار الاقامة بها فقال خالدين ابدا

وانما قدم تعالى ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم
لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض ولما وصف تعالى
حسن الدار ذكر حسن الجار فقال تعالى لهم فيها ازواج
مطهرة اى من الحيض والنفاس وقيل المطهرة فى وصف جمع
القلة لمن يعقل ان يكون بالالف والتاء فيقال مطهرات اجيب
بانه عدل عن ذلك الى الوحدة لافهام انهن لشدة الموافقة
فى الطهر كذات واحدة وندخلهم اى فيها ظلا اى عظيما
واكده تعالى بقوله ظليلا اى متصلا لا فرج فيه منبسطا
لا ضيق معه دايما لا تصيبه الشمس يوما لا حر فيه ولا برد
بل هو فى غاية الاعتدال وهو ظل الجنة جعلنا الله تعالى
وممن يحبنا ويحبه من اهلها السابقين مع النبيين والصديقين
وقوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح فى عثمان
ابن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وصعد السطح
فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ليدخلها فابى
وقال لو علمت انه رسول لم امنعه المفتاح فلوى على رضى الله
تعالى عنه يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج
سأله العباس المفتاح ان يعطيه ويجمع له بين السقاية
والسدانة فانزل الله هذه الآية فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر ففعل ذلك وقال

هاك خالدة تالدة فعجب من ذلك وقال عثمان اكرهت وادبت
برفق فقال قد انزل الله فى شانك قرانا وقرا عليه فقال
عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط
جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة فى
اولاد عثمان ابدا فلما مات عثمان رفعه الى اخيه شيبة
فالمفتاح والسدانة فى ايديهم الى اليوم والى يوم القيامة
فالاية وان وردت فى سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع
واذا حكمتم بين الناس اى قضيتم بين من ينفذ عليه امركم
ويرضى بحكمكم ان تحكموا بالعدل اى بالسوية بان تامروا من
وجب عليه حق باداءه الى من هو له فان ذلك من اعظم
الصالحات الموجبة لحسن المثوبة فى الظل الظليل اخرج
الشيخان وغيرهما عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله فى ظله يوم
لا ظل الا ظله امام عادل الحديث وروى ان احب الناس الى
الله يوم القيامة واشدهم عذابا امام جاير ولما اخبر عما
يامر ارادهم رغبة بقوله ان الله نعما فيه ادغام ميم نعم
فى ما النكرة الموصوفة اى نعم شيا يعظكم به وهو تاديه
الامانة والحكم بالعدل وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح
النون وكسرها الباقون واختلس كسر العين قالون وابو عمرو
وشعبة ان الله كان اى ولم يزل ولا يزال سميعا لكل ما
يقال بصيرا لكل ما يفعل يا ايها الذين امنوا اى اقروا بالايمان

وبدا بما هو عمدة فى الحمل على ذلك فقال اطيعوا الله اى فيما امركم به
واطيعوا الرسول اى فيما بينه لكم واطيعوا اولى اى اصحاب
الامر اى الولاية منكم اى اذا امروكم باطاعة الله ورسوله
سواء كان ذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم امر
بعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية روى
انه صلى الله عليه وسلم قال السمع والطاعة على المرء فيما
احب وكره مالم يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وروى انه
صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع فقال اتقوا الله وصلوا
خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكاة اموالكم واطيعوا اذا
امركم تدخلوا جنة ربكم وقيل المراد باولى الامر ابى بكر وعمر
لقوله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر
وعمر وقال عطاء هم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان
بدليل قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان بدليل قوله تعالى والخما
الاولون من المهاجرين وروى انه صلى الله عليه وسلم قال
مثل اصحابى فى امتى كالملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح
قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح وقيل المراد علم
الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم اى
اختلفتم فى شئ فردوه الى الله اى كتابه والرسول اى مدة
حياته وبعد وفاته الى سنته اى اكشفوا عليه منها والرد

الى الكتاب والسنة واجب ان وجد فيهما فان لم يوجد فسبيله
الاجتهاد وقيل الرد الى الله والرسول ان يقول لما لا يعلم الله
ورسوله اعلم ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر اى
فان الايمان يوجب هذا ذلك اى الرد اليهما خير لكم من
التنازع والقول بالراى واحسن تاويلا من تاويلكم بلا
رد او عاقبة الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا اى اوجدوا
هذه الحقيقة واوقعوها فى انفسهم بما انزل اليك اى
القران وما انزل من قبلك اى التوراة والانجيل قال الاصبهانى
ولا يستعمل اى الزعم فى الاكثر الا فى القول الذى لا يتحقق
يقال زعم فلان اذا شك فيه فلا يعرف كذبه او صدقه
يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت اى الباطل المفرق فى
البطلان وقيل هو كعب ابن الاشرف روى عن ابن عباس
ان بشر المنافق خاصم يهوديا فقال اليهودى ننطلق
الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل الى كعب بن
الاشرف فابى اليهودى ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما
خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق الى عمر رضى
الله عنه فاتيا عمر فقال اليهودى اختصمت انا وهذا الى
محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضايه وزعم انه يخاصم
اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما عمر مكانكما حتى
اخرج اليكما فدخل واخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق

فلما راى المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صح

المنافق

المنافق وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله
فنزلت هذه الاية وقال جبريل عليه الصلاة والسلام ان
عمر فرق بين الحق والباطل فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم انت الفاروق والطاغوت على هذا هو كعب بن الاشرف
سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبيهه بالشيطان
اولان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل
عليه وقد ابى هو الحال انهم قد امروا
من له الامر في كل ما
انزل اليك من كتاب وما قبله ان يكفروا به اي بالشيطان
فتى تحاكموا اليه كانوا مؤمنين به كافرين بالله وهو
معنى قوله ويريد الشيطان ان يضلهم
اي المتحاكم اليه ضلالا بعيدا اي بحيث لا يمكنهم معه
الرجوع الى الهدى ولما ذكر ضلالهم بالارادة ورغبتهم في
التحاكم الى الطاغوت ذكر فعلهم فيه في نفرتهم عن التحاكم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واذا قيل لهم اي اي
قائل كان وقرا هشام والكسائي بضم القاف والباقون
بالكسر وتقدم ذكر الادغام لابي عمرو تعالوا اي اقبلوا
راغبين انفسكم من وهاد الجهل الى شرف العلم الى ما انزل الله
اي الذي عنده كل شيء والى الرسول اي الذي تجب طاعته
لاجل رسله مع انه اجل الرسل الذين هم اجل الخلق رسالة
رايت المنافقين يصدون اي يعرضون عنك اي غيرك
واكد ذلك بقوله صدودا اي هو اعلى طبقات الصدود

فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اى عقوبة كقتل عمر
رضى الله عنه المنافق بما قدمت ايديهم اى من التحاكم
الى غيرك وعدم الرضى بحكمك ومن الكفر بغير ذلك اى
ايقدرون على الاعراض والفرار منها لا وتم الكلام هاهنا
وقوله تعالى ثم جاءوك اى حين يصابون للاعتذار معطوف
على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله ان اى ما
اردنا اى بالمحاكمة الى غيرك الا احسانا اى صلحا وتوفيقا اى
تالفا بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب
القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان
يحسن الى ما جينا ويوفق بينه وبين خصمه بالتقريب
فى الحكم دون الحمل على مر الحق اولئك الذين يعلم الله ما فى
قلوبهم اى من النفاق والبغض للاسلام واهله وان
اجتهدوا فى اخفائه وكذبهم فى حلفهم وعذرهم فاعرض
عنهم اى عن عقابهم بالصفح لانهم اقل من ان يجب لهم
حساب ولكن عظهم اى خوفهم الله القادر على استيصالهم
وقل لهم فى انفسهم اى فى شانها او خاليا بهم فان النصح
فى السر انجع قولا بليغا اى مؤثرا فيهم اى ازجر هم ليرجعوا
عن كفرهم وقيل هذا منسوخ بآية القتال وبما امر الله
بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذم من حاكم الى غيره
وهدده وختم تهديده بامر النبى صلى الله عليه وسلم
بالاعراض عنه والوعظ له فكان التقدير فانا ارسلناك

وغيرك

وغيرك من الرسل الا للرفق بالامة والصفح عنهم والدعا
لهم على غاية الجهد والنصيحة عطف عليه قوله وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع اى فيما يامر به ويحكم لان منصبه
الشريف يقتضى ذلك باذن الله اى بارادته من انه
يطاع فلا يعصى ويخالف ولو انهم اذ اى حين ظلموا انفسهم
اى بالتحاكم الى الطاغوت او غيره جاوك اى تائبين
فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول
اى اعتذروا اليه حتى انتصب لهم شفيعا وانما عدل عن
الخطاب تفخيما لشانه لوجدوا الله توابا عليهم رحيما
بهم وقرا ابو عمرو وباد غام الراى اللام بخلاف عنه فلا وربك
اى فوربك وكامزيدة لتاكيد القسم لا يومنون اى يوجدون
هذا الوصف ويجدونه حتى يحكموك اى يجاوك حكما
فيما شجر اى اختلف واختلط بينهم من كلام بعضهم
لبعض للتنازع حتى كانوا كاغصان الشجر فى التداخل
والتضايق ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا اى نوعا من
الضيق مما قضيت به عليهم ويسلموا تسليما اى به
ويعتقدوا كل انقياد باطنوا هرهم وبواطنهم وفى
الصحيح ان الاية نزلت فى الزبير وخصم له من الانصار
قد شهد بدرا فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل
فقال النبى صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل
الى جارك فغضب الانصارى وقال يا رسول الله ان كان ابن

عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق
زبيرا ثم احبس حتى يبلغ الجدر ثم استوف حقك ثم ارسله
الى جارك وقيل نزلت في بشر المنافق واليهودي اللذين
اختصما الى عمر ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم كما امرنا
بني اسرائيل او تعرضوا للقتل بالجهاد وان مصدرية او مفسرة
لان كتبنا في معنى امرنا وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة بكسر
النون في الوصل والباقون بالضم واخرجوا من دياركم اى
التي هي لاشباحكم كاشباحكم لا واحكم توبة لربكم ما فعلوه
اى المكتوب عليهم اى انا ما كتبنا عليهم الا طاعة الله ورسوله
والرضى بحكمه ولو كتبنا عليهم القتل والخروج من الديار
ما كان يفعله الا قليل منهم قال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه
الاية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل والله
لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك فقال ان من امتي لرجالا الايمان اثبت في
قلوبهم من الجبال الرواسي وقرا ابن عامر قليلا بالنصب على
الاستثناء والباقون بالرفع على البدل ولو انهم اى هؤلاء المنافقين
فعلوا ما يوعظون به من طاعة الرسول صلى الله عليه
وسلم لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم مما اختاروه لانفسهم
واشد تثبيتا اى تحقيقا لايمانهم وادق اى لو ثبتوا
لاتيناهم من لدنا اى من عندنا اجرا عظيما وهو الجنة

ولهديناهم

ولهديناهم صراطا مستقيما يوصلون بسلوكه جنات
القدس وتفتح لهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل
بما علم ورثه علم ما لم يعلم رواه ابو نعيم في حليته روي ان
ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات
يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرفه الحزن في وجهه فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول
الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة
شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة واخاف ان لا اراك لانك
ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى
من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فانزل الله تعالى
ومن يطع الله في امتثال اوامره والوقوف عند زواجره
والرسول اي في كل ما اراده فان منصب الرسالة يقتضي
ذلك لا سيما من بلغ نهايتها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
اي معدود من حزبهم فهو بحيث اذا اراد زيارتهم او رويتهم
وصل اليها بسهولة وقوله تعالى من النبيين والصديقين
والشهدا والصالحين بيان للذين حال منه او من ضمير
قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث
كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبيا الفايزون
بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل
ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في

الحجج والايات والاخوة بمعارج التقشفة والرياضات الى اوج
العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليه
ثم الشهداء الذين ادابهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق
حتى بذلوا مهجتهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين
صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته **وحسن** اى
وما احسن **اولئك** اى المعالون الاخلاق السابقون **رفيقا**
من الرفق وهو لين الجانب ولطافة الفعل وهو ما يستوفى
واحده وجمعه اى رفيقا في الجنة بان يستمتع فيها بمرورتهم
ورويتهم والحضور معهم وان كان مقرهم في درجات عالية
بالنسبة الى غيرهم روى عن انس رضى الله تعالى عنه ان
رجلا قال يا رسول الله متى الساعة قال وما اعددت لها فلم
يذكر كثيرا الا انه يحب الله ورسوله قال فانت مع من احببت
وقوله تعالى **ذلك** اى كونهم مع من ذكر مبتدا خبره **الفضل**
من الله اى تفضل به عليهم لانهم نالوه بطاعتهم **وكفى بالله**
عليما اى بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله
روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قاربوا وسددوا واعلموا انه لا يدخل احد منكم
بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمة منه وفضل **يا ايها الذين امنوا** اى اقروا له
بالايمان **خذوا حذركم** من عدو كم اى احترزوا منه وتيقظوا
له والحذر الحذر كالاثر الاثر **فانفروا** اى اخرجوا الى قتاله

مسرعين ثبات اى جماعات متفرقين سرية فى اثر سرية
جمع ثبة وهى الجماعة من الرجال فوق العشرة او افرادا جميعا اى
مجتمعين كوكبة واحدة قال البيضاوى والاية وان نزلت فى
الجهاد لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات
كلها كيف ما امكن قبل الفوات وان منكم الخطاب لعسكر النبى
صلى الله عليه وسلم المومنين منهم والمنافقين لمن ليبطئن
اى ليتاخرن وليثاقلن عن القتال وهم المنافقون كعبد الله
ابن ابى المنافق واصحابه وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل
الايمان فى الجنسية والنسب واظهار الاسلام لا فى حقيقة
الايمان فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال هذا المتبطى
جهلا منه وغلظة قد انعم الله على اذ اى حين لم اكن معهم
شهيدا اى حاضرا فاصاب ولئن لام قسم اصابكم فضل اى
فتح وظفر وغنيمة من الله الذى كل شئ بيده ليقولن نادما
على ما فاته من الاغراض الدنيوية والده تنبيها على فرط تحسره
وقوله تعالى كان مخففة واسمها محذوف اى كانه لم يكن
بينكم وبينه مودة اى معرفة ومصاقة يرجع الى قوله قد
انعم الله على اعتراض بين القول ومقوله وهو يا للتنبيه
ليتنى كنت معهم فافوز اى بمساركتهم فى ذلك فوزا عظيما
اى اخذ حظا وافرا من الغنيمة وقرا ابن كثير وحفص بالتا
فى تكن على التانيث والباقون بالياء على التذكير ولما بين ان
بعض حال القاعد من الجهاد الدنيا علم ان قصد المجاهد

الاخرة قال تعالى فليقاتل في سبيل الله لاعلاء كلمة دينه
الذين يشرون اى يبيعون رغبة لحياة الدنيا بالاخرة وهم
المؤمنون والمعنى ان يثبطا هولاء القتال فليقاتل
المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او يشترون
اى يأخذون وهم المبتلون فيختارونها على الاخرة والمعنى حثهم
على ترك ما حملى عنهم وفى هذا استعمال للمشترك فى مدلوليه
ومن يقاتل في سبيل الله لاعلاء دينه فيقتل اى يستشهد
او يغلب اى يظفر بعدوه فسوف نؤتيه اجرا عظيما اى
ثوابا جزيلا وانما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا
فى القتال وتكذيبا لقول المثبطين قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد
ينبغى له ان يثبت فى المعركة حتى يعد نفسه بالشهادة
او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل
بل الى اعلاء الحق واظهار الدين روى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته
الا الجهاد فى سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او
يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة
وروى انه صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد فى سبيل
الله كمثل القائم الصائم الذى لا يفتر عن صلاة ولا صيام
حتى يرجعه الله الى اهله انما يرجعه من غنيمة واجر او
يتوفاه فيدخله الجنة وقوله تعالى وما لكم لا تقاتلون

استفهام

استفهام توبيخ اى لا مانع لكم من القتال **فى سبيل الله** لاعلاء
دينه وقوله تعالى **والمستضعفين** عطف على اسم الله اى وفى
سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسد وصونهم
من العدو وقوله تعالى **من الرجال والنساء والولدان** بيان
للمستضعفين وهم المسلمون الذين حبسهم الكفار عن
الهجرة واذوهم قال ابن عباس انا وامى منهم وانما ذكر الولدان
مبالغة فى الحث وتنبيها على تناهى المشركين بحيث بلغ اذاهم
الولدان وانما دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم فى الدعا
حتى يشاركوا فى استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل
المراد بهم العبيد والاماء وهو جمع وليد **الذين يقولون** اى
داعين يا **ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها**
اى بالكفر **واجعل لنا من لدنك** اى عندك **وليا** يتولى امرنا
واجعل لنا من لدنك نصيرا يمنعنا منهم وقد استجاب
الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج الى المدينة وبقى بعضهم
الى ان فتحت مكة فدخلها صلى الله عليه وسلم فقتلهم وقهرهم
ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين
فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وكان حينئذ ابن ثمانية
عشر سنة والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير
ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا اجرى على غير
من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه
الذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله اى فى طاعة الله **والذين**

كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اى في طاعة الشيطان
فقاتلوا ايها المومنون اولياء الشيطان اى حزبه وجنوده
وهم الكفار ان كيد الشيطان اى مكره بالمومنين كان ضعيفا
بالاضافة الى كيد الله تعالى بالكافرين لا يعتد به فلا تخافوا
اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه كما فعل الشيطان
يوم بدر لما راى الملائكة خاف ان تاخذه فهرب وخذلهم
الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اى عن قتال الكفار وهم
جماعة من الصحابة كانوا يكفون عن المشركين اذا كانوا
قبل ان يهاجروا ويقولون يا رسول الله ايذن لنا في قتالهم فانهم
قد اذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا
ايديكم فاني لم اومر بقتالهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما
هاجروا الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين شق على بعضهم
كما قال تعالى فلما كتب اى فرض عليهم القتال قرا ابو عمرو
بكسر الهاء والميم في الوصل وحمزة والكسائي بضم الهاء والميم
في الوصل واما الوقف فالجميع بسكون الميم وحمزة بضم
الميم على اصله وكسرها الباقون اذا فريق منهم يخشون
اى يخافون الناس كخشية الله اى كخشيتهم من الله
او اشد خشية من خشيتهم له تنبيه نصب اشد على
الحال وجواب لما محذوف عليه اذا وما بعدها اى فاجابهم الخشية
وقالوا جزعا من الموت ربنا لم كتبت علينا القتال لولا
اى هلا اخرتنا الى اجل قريب وهو الموت اى هلا تركتنا

حتى

حتى نموت باجالنا واختلفوا فى قول الذين قالوا ذلك فقيل
قاله قوم من المنافقين لان قوله لم كتبت علينا القتال
لا يليق بالمومنين وقيل قاله جماعة من المومنين لم يكونوا
راسخين فى العلم قالوه خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم نابعد
واهل الايمان يتفاضلون فيه وقيل هم قوم كانوا مومنين فلما
كتب عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد وقرا
البزى فى الوقف له بها بعد الميم بخلف عنه والباقون بالميم
بغير هاء والهاء ساقطة فى الوصل للجميع **قل** لهم يا محمد **متاع**
الدنيا اى ما يتمتع به فيها والاستمتاع بها **قليل** اى ايل
الى الزوال **والاخرة** اى ثوابها وهو الجنة والنظر الى الله تعالى
خير لمن اتقى عقاب الله بترك معاصيه روى انه صلى الله
عليه وسلم قال ما الدنيا فى الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه
فى اليم فلينظر بم يرجع **ولا تظلمون** اى تنقصون من اعمالكم
فتيلا اى قدر ما يكون فى شق النواة كما مر عن عكرمة وقرا ابن
كثير وحمزة والكسائى بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على
الخطاب ونزل فى المنافقين الذين قالوا فى قتلى احد لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا **اينما تكونوا** ايها الناس كلكم
مطيعكم وعاصيكم **يدرككم الموت** اى فانه طالب
لا يفوته هارب واختلف كتاب المصاحف فى رسم اينما
فمنهم من كتب ما منقطوعة من اين ومنهم من وصلها **ولو**
كنتم فى بروج اى حصون برج داخل برج او كل واحد منكم

داخل برج مشيدة اى مرتفعة كل واحد منها شاهق فى الهوا
نبيع فلا تخشوا القتال خوف الموت ونزل فى اليهود لما قالوا
حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ما زلنا نعرف النقص
فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه وان تصبهم
اى اليهود حسنة اى خصب ورخص فى السعر يقولون هذا
من عند الله لنا لا مدخل لك فيها وان تصبهم سيئة اى
جدب وغلا فى الاسعار يقولوا هذا من عندك اى من شوم
محمد واصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر
والسيئة القتل والهزيمة يوم احد يقولون هذه من عندك
اى انت الذى حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا يكون هذا قول
المنافقين قل لهم يا محمد كل اى الحسنة والسيئة من عند الله
ثم عيرهم بالجهل فقال فما لهولا القوم اى اليهود والمنافقين
لا يكادون يفقهون اى لا يقاربون ان يفهموا حديثا
يوعظون به وهو القران لانهم لو فهموه وتدبروا معانيه
لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما يلقى اليهم كبهايم لا افهام
لهم وما استفهام تعجب من فرط جهلهم ونفى مقاربة الفعل
اشد من نفيه ما اصابك اى الانسان من حسنة اى نعمة
دنيوية او اخروية فمن الله اتتك تفضلا منه والايمان
احسن الحسنات قال الامام انهم اتفقوا على ان قوله ومن
احسن قولا ممن دعى الى الله المراد به كلمة الشهادة وما
اصابك من سيئة اى بلية وامر تكرهه فمن نفسك

اتتك

انك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب فان قيل
كيف الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله
فمن نفسك اجيب بان قوله قل كل من عند الله اى الخصب
والنصر والمنزلة كلها من عند الله وقوله فمن نفسك اى
ما اصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك
كما قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقيل
ان هذه الاية متصلة بما قبلها والقول فيه مضمر تقديره
قال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من
عند الله وارسلناك يا محمد للناس اى كافة وقوله تعالى
رسولا حال قصد بها التاكيد وكفى بالله شهيدا على ارسالك
بنصب المعجزات ولما قال النبى صلى الله عليه وسلم من
اطاعنى فقد اطاع الله ومن احبنى فقد احب الله فقال
بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى ابن مريم نزل من يطع الرسول فقد اطاع الله
لانه فى الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى ومن تولى اى
اعرض عن طاعتك فلا يهمنك فما ارسلناك يا محمد عليهم
حفيظا اى حافظا لاعمالهم ومحاسبهم عليها انما عليك
البلاغ وعلينا الحساب فنجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال
ويقولون اى المنافقون اذا امرتهم بشئ من امرنا وهم
بحضرتك طاعة اى امرنا وشاننا طاعة اى ان نطيعك

فيما تأمرنا به فاذا برزوا اى خرجوا من عندك بيت طايفة
منهم اى اضمرت غير الذى تقوله لك فى حضورك من الطاعة
اى تضمنت وقرا ابو عمرو وحمزة بادغام التاء فى الطاء فلها عندهما
ساكنة اى التاء فاذا اسكنت التاء قبل الطاء جبا ادغامها
فيها والباقون بالاظهار فاذ التاء عندهم مفتوحة والله يكتب
اى يامر بكتب ما يبيتون اى ما يسرون من النفاق فى
صحايفهم ليجازوا عليه فاعرض عنهم اى قلل المبالات
بهم وتوكل على الله اى ثق به فانه كافيك مضرتهم وينتقم
لك منهم وكفى بالله وكيلا اى مفوضا اليه افلا يتدبرون اى
يتاملون القران وما فيه من المعانى البديعة ولو كان من
عند غير الله اى ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا اى تناقضا فى معانيه وتباينا فى نظمه
فكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تصلب
معارضته وبعضه تسهل ومخلفا عن الصدق فى الاخبار
عن الغيب بما كان وما يكون افلا يتفكرون فيه فيعرفون
عدم التناقض فيه وصدق ما يخبرهم به انه كلام الله وان
ما لا يكون من عند الله لا يخلو عن تناقض واختلاف والمراد
من التقييد بالكثير المبالغة فى اثبات الملازمة اى لو
كان من عند غير الله للزم ان يكون فيه اختلاف كثير فضلا
عن القليل لكنه من عند الله فليس فيه اختلاف لا كثير
ولا قليل واذا جاءهم اى المنافقين امر اى خبر عن سرايا

النبي صلى الله عليه وسلم من الامن اى الفتح والغنيمة او الخوف
اى القتل والهزيمة اذاعوا به اى افشوه وكانت اذاعتهم
مفسدة والبيان بضده او لتضمن الاذاعة معنى التحدث وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فاذا غلبوا
او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم فيفشونه
ويحدثون به قبل ان يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولو ردوه اى ذلك الخبر الى الرسول ان لم يحدثوا به حتى
يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى يحدث به والى اولى
الامر منهم اى ذوى الراى من الصحابة كابى بكر وعثمان
وعلى رضى الله تعالى عنهم لعلمه على اى وجه يذكره الذين
يستنبطونه منهم اى يستخرجونه تدابيره بتجاربهم
وانظارهم هل ينبغى ان يكتم او يفشى ولولا فضل الله عليكم
بالاسلام ورحمته لكم بارسال الرسل وانزال القران لاتبعتم
الشيطان فيما يامركم به من الكفر والمعاصى الا قليلا اى
منكم فانهم يتبعونه حفظا من الله بما وصمهم الله من صحيح
العقل والعصمة تقال فى حق غير الانبيا لانها المنع من المعصية
ولكن الشايع ان يقال فى حق النبى وفى حق غيره محفوظ فلا
فقاتل يا محمد فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك فلا تهتم
بتخلفهم عنك اى قاتل ولو وحدك فانك موعود بالنصر من
الله وليس النصر الا بيده وما كان الله ليامرك بشئ الا وانت
كفؤ له فانت كفء لمقاتلة الكفار وان كانوا اهل الارض كلهم

وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدا باسفيان بعد
حرب احد موسم بدر الصغرى فى ذى القعدة فلما بلغ الميعاد
ودعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية
تنبيه الغافى قوله تعالى فقاتل قال البغوى جواب عن قوله
تعالى ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه
اجرا عظيما فتامل انتهى وحرض المؤمنين ان حثهم على القتال
ورغبهم فيه اذ ما عليك فى شانهم الا التحريض عسى الله ان
يكف باس اى حرب الذين كفروا وعسى فى كلام الله وعد
واجب الوقوع بخلافها فى كلام المخلوق والله اشد باسا
اى صولة منهم واشد تنكيلا اى عقوبة منهم فقال صلى
الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو وحدى فخرج
بسبعين راكبا الى بدر الصغرى فكف الله باس الكفار
بالقاء الرعب فى قلوبهم ومنع ابى سفيان من الخروج كما تقدم
فى سورة ال عمران من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق
مسلم بان دفع عنه ضررا او جلب اليه نفعا ابتغاء وجه
الله ومنها الدعاء المسلم قال صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه
المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك
اى ودعا الملك لا يرد يكن له نصيب اى اجر منها اى بسببها
قال ابو موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالسا اذ جاءه رجل يسال او يطلب
حاجة اقبل علينا بوجهه فقال صلى اشفعوا فلتؤجروا

وليقض الله على لسان نبيه ما شاء ومن يشفع شفاعة سيئة
مخالفة للشرع يكن له كفل اى نصيب من الوزر منها
اى بسببها وكان الله على كل شئ مقيتا قال ابن عباس مقتدرا
يجازى قال الشاعر ودى ضعفى اى رد صاحب حقه كنت
الضعف عنه وكنت على اساءته اى مسائى لذى الضعف
مقيتا اى مقتدرا وقال مجاهد شاهدا وقال قتادة حفيظا
وقيل معناه على كل حيوان مقيتا اى يوصل القوت اليه وجا
فى الحديث كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت واذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها التحية هى الدعاء بالحياة ولكن جمهور المفسرين
على ان ذلك فى السلام اى اذا سلم عليكم مسلم فاجيبوه
باحسن مما سلم فاذا قال السلام عليكم فيزيد الراد ورحمة
الله فاذا قال ورحمة الله فيزيد الراد وبركاته اورد وها
اى بان ترد عليه بمثل ما سلم روى ان رجلا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك
السلام ورحمة الله وبركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة
الله وبركاته فقال وعليك اى السلام ورحمة الله وبركاته
فقال الرجل نقصتنى اى الفضل على سلامى فاين ما قال الله
اى من الفضل وذلك الاية فقال لم تترك لى فضلا فرددت عليك
مثله لان ذلك هو النهاية الاستيعاب اقسام المطالب وهى
السلامة من المضار وحصول المنافع وبانها وظاهر الاية

انه لو رد عليه باقل مما سلم عليه ان لا يكفي وظاهر كلام الفقها
انه يكفي وتحمل الاية على انه الاكمل وابتدا السلام على المسلم
سنة عين من المنفرد وكفاية من الجماعة ورده فرض عين
اذا كان المسلم عليه واحدا وكفاية من الجماعة ويشترط في
الرد الفور والوجوب مستفاد من الامر والفور من الفا واما
كونه كفاية فلخبر ابي داود يجزي عن الجماعة اتامروا ان
يسلم احدهم ويجزي عن الجلوس ان يرد احدهم والراد منهم
هو المختص بالثواب وسقط الحرج عن الباقين وان اجابوا
كلهم كانوا مودين للفرض سوا كانوا مجتمعين ام مترتبين
كصلاة الجنازة ولا يسقط الفرض برد الصبي المميز فان قيل
قد سقط به فرض الصلاة عن الجنازة اجيب بان المقصود
من الصلاة الدعا والصبي اقرب الى الاجابة والمقصود من
السلام الامان والصبي ليس من اهله ولا يسقط ايضا برد
من لم يسمع ولو سلم على امراة ان كان يباح له النظر اليها
كمحرمه وزوجته يسن له السلام عليها ووجب عليها الرد
والا كره ابتدا ورد وحرم عليها ابتدا ورد هذا اذا كانت مشتهاة
فان كانت عجوزا او جماعة نسوة لم يكره ويجب الرد لانتفا
خوف الفتنة ولا يسن ابتداوه على قاض حاجة ولا على اكل ولا
على من في حمام ولا على مصل ومؤذن وخطيب وملبي ومستغرق
القلب بالدعا ولا يجب الجواب عليهم ويحرم ابتداوه على الكافر
ويرد عليه اذا سلم بعليك فقط وهذا باب طويل بينته السنة

وقد

وقد اكثرت منه في شرح المنهاج ان الله كان اي ازلا وابدا على كل
شئ حسيبا محاسبا فيجازي عليه وقال مجاهد حفيظا
وقال ابو عبيدة كافيا يقال حسبي هذا اي كفاني وقوله تعالى
الله لا اله الا هو مبتدا وخبر وقوله تعالى ليجمعنكم اللام
لام القسم اي والله ليجمعنكم الله من قبوركم الى في يوم القيامة
وسميت بذلك لان الناس يقومون من قبورهم قال تعالى يوم
يخرجون من الاجداث وقيل لقيامهم الى الحساب قال تعالى يوم
يقوم الناس لرب العالمين لا ريب اي لا شك فيه اي في
ذلك اليوم او في الجمع ومن اصدق من الله حديثا اي قولا
فان الصدق لا يتفاوت كالعلم ولا يقال هذا الصدق اصدق
من هذا الصدق كما لا يقال هذا العلم اعلم من هذا العلم اجيب
بان الصدق صفة للقائل لا صفة للحديث اي لا احد غير الله
اصدق منه لان غيره يتطرق الى خبره الكذب وذلك مستحيل
في حقه تعالى والانبيا مخبرون عن الله تعالى وقرا حمزة
والكسائي باشمام الصاد اي بحرف متولد من بين الصاد
والزاي فما لكم اي فاشانكم صرتم في المنافقين اي في امرهم
فيتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم
استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو
واجتووا المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة
مرحلة حتى لحقوا المشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم
وقال المجاهدون قوم خرجوا الى المدينة واسلموا ثم ارتدوا

واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فيما توا ببضايع
يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة واختلف المسلمون فيهم فقايل
يقول هم منافقون وقايل يقول هم مسلمون وقال قوم الذين
تخلفوا يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض الصحابة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم فانهم منافقون وقال
بعضهم انف عنهم فانهم تكلموا بالاسلام **والله اركسهم** اى
نكسهم بان صيرهم الى النار اورد هم الى حكم الكفرة **بما كسبوا** من
الكفر والمعاصى **اتريدون ان تهدوا من اضل الله** اى اتعدوهم
من جملة المهتدين والاستفهام فى الموضعين للانكار **ومن**
يضلل الله اى ومن يضلله **فلن تجد له سبيلا** اى طريقا
الى الهدى **ودوا** اى تمنوا **لو تكفرون كما كفروا فتكونون** انتم
وهم **سواء** فى الكفر تحقيقا لقوله تعالى فتكونون لم يرد به
جواب التمنى لان جوابه بالفا منصوب وانما اراد النسق اى
ودوا لو تكفرون وودوا لو تكونون سواء مثل قوله ودوا لو
تدهن فيدهنون اى ودوا لو تدهن ودوا لو تدهنون **فلا**
تتخذوا منهم اولياء اى فلا تتولوهم واذ اظهروا الايمان
حتى يهاجروا فى سبيل الله معلم بهجرة صحيحة تحقق ايمانهم
قال تكرمة هى هجرة اخرى والهجرة على ثلاثة اوجه هجرة
للمومنين فى اول الاسلام وهى قوله تعالى للفقراء المهاجرين
وقوله ومن يخرج من بيته الى الله ورسوله ونحو هما من الايات
وهجرة المنافقين وهى خروج الشخص مع رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم صابرا محتسبا لاغراض الدنيا وهي المراد هنا
وهجرة عن جميع المعاصي قال صلى الله عليه وسلم المهاجر
من هجر ما نهى الله عنه **فان تولوا** اي اعرضوا عن التوحيد
والهجرة واقاموا على ما هم عليه **فخذوهم** اي بالاسر **واقتلوهم**
حيث وجدتموهم اي في حل او في حرم كسائر الكفرة **ولا تتخذوا**
منهم وليا تتوالونه **ولا نصيرا** تنصرونه به على عدوكم اي
من جانبوهم مجانبة كلية وقوله تعالى **الا الذين يصلون**
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يصلون
اي ينتهون **الى قوم بينكم وبينهم ميثاق** اي عهد بالامان
لهم ولمن وصل اليهم كما عاهد النبي صلى الله عليه وسلم وقت
خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين
عليه ومن لجا اليه فله من الجوار مثل ماله وقوله تعالى **او**
جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم وقوله تعالى **حصرت**
اي ضاقت حال بالضمائر قد اي وقد ضاقت **صدورهم ان يقاتلوكم**
عن قتالكم مع قومهم **او يقاتلوا قومهم** معكم اي ممسكين عن
قتالكم وقتالهم فلا تتعرضوا باخذ ولا قتل وهذا وما بعده
منسوخ باية القتال وقرا نافع وابن كثير وعاصم باظهار
التاء وتانيث حصرت عند الصاد وادغمها الباقون **ولو شاء الله**
تسليطهم عليكم لسلطهم عليكم بان يقوي قلوبهم
ويبسط صدورهم ويلقي الرعب **فلقاتلوكم** ولكنه لم يشأه
فالقى في قلوبهم الرعب **فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم** اي بان

يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اى الاستسلام والانقياد
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اى طريقا بالقتل والاخذ ستجدون
اى عن قريب يوجد لا شك فيه اخرين اى من المنافقين روى
عن ابن عباس انه قال هم اسد وغطفان كانوا حاضروا
المدينة تكلموا بالاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل
منهم يقول له قومه بماذا اسلمت ويقول امنت بهذا الترد
وبهذا العقوب وبالخنفساء اذا لقوا اصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم قالوا انا على دينكم يريدون بذلك الامن فى الفريقين
كما قال تعالى يريدون ان يامنوكم باظهار الايمان عندكم
ويامنوا قومهم باظهار الكفر اذا رجعوا اليهم كلما ردوا اى
دعوا الى الفتنة اى الكفر اركسوا اى انقلبوا منكوسين
فيها اى الفتنة اقبح قلب فان لم يعتزلوكم اى بشر قتالكم
ويلقوا اى ولم يلقوا اليكم السلم ويكفوا اى ولم يكفوا
ايديهم عن قتالكم فخذوهم اى بالاسر واقتلوهم حيث ثقفتموهم
اى وجدتموهم واولئكم اى اهل هذه الصفة جعلنا لكم
عليهم سلطانا مبينا اى حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل
والسبى لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وما كان لمؤمن
ان يقتل مؤمنا اى ما ينبغى ان يصدر منه قتله بغير حق
الا خطا اى لكن قد يقع خطيا فى قتله من غير قصد نزلت فى عياش بن
ربيعة وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل
الهجرة واسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى

المدينة

المدينة وتحصن في اطم من اطامها فجزعت امه لذلك جزعا
شديدا وقالت لابنيها الحارث وابي جهل ابني هشام وهما
اخوان لامه والله لا يظلني مستف ولا اذوق طعاما ولا شرابا
حتى تاتيا به فخرجا في طلبه وخرج معهما الحارث بن زيد حتى
اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم وقالوا له انزل فان امك
لم ياوها مستف بيت بعدك وقد حلفت ان لا تاكل طعاما
ولا تشرب شرابا حتى ترجع اليها وذلك والله علينا عهد
ان لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكروا
له جزع امه واوثقوا بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة
ثم اوثقوه وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا
به الى امه فلما اتاها قالت له والله لا احلك من وثاقك حتى
تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا مطروحا في الشمس
ما شاء الله فاعطاهم الذي اراد فاتاه الحارث بن زيد فقال
يا عياش اهذا الذي عليه فوالله لئن كان هدى لقد تركت
الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش
من مقالته وقال والله لا القاك خاليا ابدا الا قتلتك ثم
ان عياشا بعد ذلك اسلم وهاجر ثم اسلم الحارث بن زيد
بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش
حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينما عياش يظهر
قباء اذ لقي الحارث فقتله فقال الناس والله ما ندري على اي شيء صنعت
انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال له قد كان من امرى وامر الحارث ما قد علمت وانى لم اشعر
باسلامه حتى قتلته فنزلت الاية تنبيه قوله تعالى الا
خطأ اما منصوب على الحال اى ولكن من شان المؤمن ان يقتل
مؤمنا فى حالة من الاحوال الا حال الخطأ واما مفعول لاجله اى
لا يقتله لعلة الا للخطأ وقيل الاستثناء ولا اى وليس له قتله
فى حال من الاحوال ولا خطأ نظير قوله تعالى انى لا يخاف لدى
المرسلون الا من ظلم وقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله
حجة الا الذين ظلموا منهم ومن قتل مؤمنا خطأ كان قصد رمى
غيره كصيد او شجر فاصابه فتحرير رقبة اى فعليه اى
فواجبه تحرير رقبة كاملة الرق فلا يجزىء مكاتب كتابة صحيحة
ولا ام ولد والتحرير الاعتاق ويعبر عن التسمية بالرقبة كما
يعبر عنها بالراس مؤمنة اى محكوم باسلامها وان كانت
صغيرة ولو كان اسلامها بتبعية الدار او السابى سليمة عما يخل
بالعمل ودية مسلمة الى اهله او ورثته المقتول
يقسمونها كسائر الموارث الا ان يصدقوا اى يتصدقوا
بها عليه بان يعفوا عنها وسمى المعفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها
على فضله قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وبينت
السنة دية الخطأ مائة من الابل عشرون بنت مخاض وعشرون
بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة
وان عاقلة العاقل تحملها عنه وهم عصبة الا اصله وفروعه
موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغنى منهم نصف دينار

والمتوسط

والمتوسط ربع دينار فان لم يفوا فمن بيت المال فان تعذر
فعلى الجاني فان كان اي المقتول من قوم عدو لكم اي محاربين
وهو اي والحال انه مومن اي ولم يعلم القاتل ايمانه فتحرير
فالواجب على القاتل تحرير رقبة مومنة ولا دية تسلم الى اهله
اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون وان كان اي المقتول
من قوم اي كفرة ايضا عدو لكم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد
كاهل الذمة وهو كافر مثلهم فدية اي فالواجب فيه دية مسلمة
اي موداة الى اهله وهي ثلث دية المومن ان كان نصرانيا او
يهوديا تحل مناكحته وثلثا عشرها ان كان مجوسيا او كتابيا
لا تحل مناكحته وتحرير رقبة مومنة على قاتله فمن لم يجد
اي الرقبة بان فقدها وما يحصلها به فصيام اي فالواجب
عليه صيام شهرين متتابعين حتى لو افطر يوما لغير
حيض او نفاس وجب الاستيناف ولم يذكر تعالى الانتقال
الى الطعام كالظهار وبه قال الشافعي رضي الله تعالى عنه
في اصح قوليه وقوله تعالى توبة من الله نصب على المصدر
اي وتاب عليكم توبة اي وعلى المفعول له اي شرع لكم ذلك
توبة ماخوذة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وكان الله
اي ولم يزل عليما اي باحوالكم وبما يصلحكم في الدنيا والاخرة
حكيما فيما دبره لكم من نصب الزواجر بالكفارات وغيرها
فالزموا اوامره وباعدوا زواجره لتفوزوا بالعلم والحكمة
ومن يقتل مومنا متعمدا بان يقصد قتله بما يقتل غالبا

عالما بايمانه فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه
اى ابعده من رحمته واعد له عذابا عظيما فى النار وهذا محمول
بالمستحل له كما قال عكرمة وغيره ويؤيده ان الاية نزلت فى
مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار
ولم يظهر قاتله فامر هم رسول الله ان يدفعوا اليه دية فدفعوا
اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا والمراد من
الاية التغليظ كقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين على
تفسير من كفر بمن لم يحج وكقوله صلى الله عليه وسلم للمقداد
لا تقتله فان قتلته فانه بمنزلتك قبل ان تقتله وانك
بمنزلته قبل ان تقول الكلمة التى قال او انه هذا جزاؤه ان
جوزى ولا بدع فى خلف الوعيد لقوله تعالى ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء والمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل
متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم ولهذا لم
يذكر فى الاية ابدا وما روى عن ابن عباس انه قال لا تقبل
توبة قاتل المؤمن عمدا كما رواه الشيخان اراد به التشديد كما
قاله البيضاوى اذ روى عنه خلافه رواه البيهقى فى سننه
وبينت اية البقرة ان قاتل العمد يقتل به وان عليه الدية
ان عفى عنه وسبق قدرها وبينت السنة ان بين العمد
والخطا قتلا يسمى شبه العمد وهو ان يقتله بما لا يقتل
غالبا فلا قصاص فيه بل فيه دية كالعمد فى الصفة والخطا

فى التاجيل

في التاجيل والحمل وهو والعمد اولى بالكفارة من الخطا يايها الذين
امنوا اذا ضربتم اي سافرتم للجهاد في سبيل الله فتبينوا
روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك
فهربوا وبقي رجل يقال له مرداس لانه كان على دين المسلمين
فلما راى الخيل خاف ان يكونوا من غير اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فالجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الى الجبل
فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فلما سمع التكبير علم
انهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر ونزل وهو
يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه
اسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه فنزلت ثم رجعوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه فوجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقد كان سبقهم قبل ذلك
الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلتموه ارادة ما معه
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على اسامة
ابن زيد فقال يا رسول الله استغفر لي فقال وكيف بلا اله
الا الله اكن الا يومئذ ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
استغفر لي ثلاثة ايام مرات وقال اعتق رقبة وقال عكرمة
عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم قالوا
ما سلم عليكم الا ليعوذ منكم فقاموا فقتلوه واخذوا غنمه
واتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقرا حمزة والكسائي

بالتا المثلثة مكان الياء المثناة تحت وبالتا المثناة فوق مكان
النون فهو من التثبت والباقون من البيان ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلام استسلم حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر
وحمزة بغير الف بعد اللام من السلام اى الاستسلام به
والانقياد والباقون بالالف لست مومنا وانما فعلت ذلك
متعوذا تبتغون عرض الحياة الدنيا اى تطلبون ماله الذى
هو حطام سريع التفاذ فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم
عن قتل مثله لماله كذلك كنتم من قبل اى اول ما دخلتم
فى الاسلام تنوهتم بكلمة الشهادة فحصنتم بها اموالكم
ودماءكم من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم
اى بالاشهاد بالايمان والاستقامة فى الدين فتبينوا اى
وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى
قتلهم ظنا انهم دخلوا ابقاء وخوفا فان ابقاء الكافر هو من
عند الله من قتل امرء مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر
بالتبيين وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان ولم
يزل بما تعملون خبيرا اى عالما به وبالغرض منه فيجازيكم
به فلا تتسارعوا فى القتل واحتاطوا فيه لا يستوى
القاعدون اى عن الجهاد حال كونهم من المومنين روى ان زيد
ابن ثابت اخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم املى عليه
لا يستوى القاعدون من المومنين والمجاهدون فى سبيل
الله فجاءه ابن ام مكتوم وهو يملى عليها على فقال يا رسول الله

لو استطيع الجهاد جاهدت وكان رجلا اعمى فانزل الله تعالى
على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى فثقلت على حتى
خفت ان ترض فخذى ثم تكسر ثم سرى عنه اى ان بل وكشف
ما به من برحاء الوحى غير اولى الضرر اى من زمانة او اعمى ونحوه
فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المومنين غير اولى
الضرر وقرا نافع وابن عامر والكسائى بنصب الراء على الحال
من القاعدين او الاستثناء والباقون بالرفع صفة للقاعدين
لانه لم يقصد به قوم باعيانهم بل اريد به الجنس كما فى قوله
ولقد امر على اللئيم يسبنى فصح وقوع غير صفة للقاعدين
والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اى لا مساواة
بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة تخبيط فائدة
ذكر قوله تعالى لا يستوى القاعدون الى تذكير ما بينهما
من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته واتقاء
عن انحطاط منزلته وروى انه صلى الله عليه وسلم قال
لما رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة قالوا ان فى المدينة
لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم
فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم
العذر فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على
القاعدين لضرر درجة اى فضيلة لاستوائهما فى النية
وزيادة المجاهدة بالمباشرة وكلا من القاعدين لضرر
والمجاهدين وعد الله الحسنى اى الجنة لحسن عقيدتهم

وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضى لمزيد
الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين غير ضرر اجرا عظيما
وبدل منه درجات منه اى منازل بعضها فوق بعض مع
الكرامة وقوله تعالى ومغفرة ورحمة منصوبان بفعلهما المقدر
وكان الله اى ولم يزل غفورا لاوليائه رحيما باهل طاعته
وروى ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يا ابا سعيد من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا
وجبت له الجنة قال فعجب لها ابو سعيد فقال اعدها يا رسول
الله فقال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرى يرفع
الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين
السماء والارض فقال وما هى يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله
وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من امن بالله ورسوله واقام الصلاة وآتى الزكاة
وصام رمضان كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد فى
سبيل الله او جلس فى ارضه التى ولد فيها قالوا يا رسول
الله افلا نبشر الناس بذلك فقال ان فى الجنة مائة درجة
اعدها الله للمجاهدين فى سبيله ما بين كل درجتين كما
بين السماء والارض فاذا سألتموه فاسألوه الفردوس فانه
اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر
انهار الجنة وانما يجب الجهاد على كل مسلم مكلف حر ذكر مستطيع
له وهو فرض كفاية للاية المتقدمة اذا كان الكفار ببلاد غير

ويجب على الامام ان يغزوهم في كل عام مرة بنفسه او بنايبه
او يشحن الثغور بما يقاوم العدو واما اذا دخلوا بلادنا
والعياذ بالله تعالى تعين على اهل البلدة وعلى من دون
مسافة القصر حتى على فقير وولد وحرين ورقيق بلا اذن
ويجب على من هو في مسافة القصر بقدر الكفاية وان سروا
مسلما لزمنا النهوض لخلاصه ان رجي وان لم يدخلوا بلادنا
ونزل في جماعة اسلموا ولم يهاجروا فلما خرجوا الى بدر رجعوا
معهم فقتلوا مع الكفار ان الذين توفاهم الملايكة اي ملك الموت
واعوانه او ملك الموت وحده كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك
الموت الذي وكل بكم والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع
ظالمي انفسهم اي في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة
الكفرة بالمقام في دار الشرك فان الهجرة كانت واجبة قبل فتح مكة
ثم نسخ الوجوب بعد فتحها فقال صلى الله عليه وسلم لا هجرة
بعد الفتح وقرا البزي بتشديد التا المثناة فوق من توفتهم
في الوصل والباقون بالتخفيف وادغم ابو عمرو التا في الظا بخلاف
عنه والباقون بغير ادغام قالوا اي الملايكة لهم فيم كنتم اي
في اي شي كنتم من امر دينكم وقرا البزي فيمه بالها بعد الميم
بخلاف عنه قالوا معتذرين مما وبخوا به كنا مستضعفين
اي عاجزين عن اظهار الدين واعلا كلمته في الارض اي ارض
مكة قالوا اي الملايكة تكذيبا لهم وتوبيخا الم تكن ارض
الله واسعة فتهاجروا فيها من ارض الكفر الى بلد اخرى كما

قتل غير كثير من المهاجرين الى المدينة والحبشة قال قتادة فاولئك
ماواهم جهنم اى لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وبئس
مصيرا اى جهنم وفى الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع
لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى صلى الله عليه
وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان ذراعا من الارض
استوجبت اى وجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم
ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام ثم استثنى اهل العذر
منهم الا المستضعفين اى الذين وجد ضعفهم فى نفس الامر
وعدموا قوة وتقوى عليهم غيرهم من الرجال والنساء والولدان
ثم بين ضعفهم بقوله لا يستطيعون حيلة اى لا قوة لهم على
الهجرة ولا نفقة ولا يهتدون سبيلا اى طريقا الى ارض الهجرة
فاولئك عسى الله ان يعفو اى يتجاوز عنهم وعسى من الله
واجب للاطماع والله تعالى اذا طمع عبده بشئ اوصله اليه
ولكن فى ذكر العفو الاطماع والايذان بان امر الهجرة مضيق
لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه
ان يقول عسى الله ان يعفو عنى فكيف بغيره وكان الله عفوا
غفورا قال ابن عباس كنت انا وامى ممن عذر الله اى من
المستضعفين وكان صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء
المستضعفين فى كل صلاة قال ابو هريرة كان اذا قال سمع
الله لمن حمده فى الركعة الاخرة من صلاة العشاء قنت يقول
اللهم انج عياش بن ربيعة اللهم انج الوليد بن الوليد اللهم

انج

انج سلمة بن هشام اللهم انج المستضعفين من المسلمين
اللهم اشدد وطيتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسنين
يوسف ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
كثيرا اي متحولا يتحول اليه وقيل طريقا يراغم بسلوكه
قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم ماخوذ من الرغام والرغم
الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب
يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة
تلحقه بذلك ويجد سعة في الرزق كما قال صلى الله عليه وسلم
صوموا تصحوا وسافروا تغنموا اخرجه الطبراني عن ابي
هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظ واغزوا تغنموا
وهاجروا تفلحوا ولما سمع هذه الاية رجل من بني قيس يقال
له جندع بن ضمرة قال ما انا ممن استثنى الله عز وجل واني
لاجد حيلة ولي من المال ما يبلغني المدينة وابعد منها والله
لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير
حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله
ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما يبايعك
عليه رسولك فمات قال التفتازاني الظاهر ان هذه اشارة
الى اليمين وهذه الى الشمال لا قصد اسناد الجارحة الى الله
تعالى بل على سبيل التصوير وتمثيل مبايعة الله على الايمان
والطاعة بمبايعة رسول الله اياه وقيل اشارة الى البيعة
والصفقة والمعنى ان بيعته كبيعة رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لما كان اتم واوفى اجرا وضحك
المشركون وقالوا ما ادرك هذا ما طلب نزل ومن يخرج من بيته
مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اى فى الطريق قبل مقصده
فقد وقع اجره على الله اى ثبت اجره عند ثبوت الامر
الواجب تفضلا منه ورحمة وكان الله غفورا لتقصيره ان كان
رحيما يكرم بعد المغفرة بانواع الكرامات ولما اوجب السفر
للجهاد والهجرة وكان مطلق السفر مظنة المشقة فكيف
بسفرهما مع ما ينضم الى المشقة فيهما من خوف الاعدا ذكر
تخفيف الصلاة بالقصر بقوله تعالى واذا ضربتم اى
سافرتم فى الارض سفرا طويلا لغير معصية والطويل عند
الشافعى رحمه الله تعالى اربعة برد وهى مرحلتان كما ثبت
ذلك بالسنة وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى ثلاثة ايام
ولياليهن سير الابل ومشى الاقدام على القصد وقوله تعالى
فليس عليكم جناح اى اثم وميل فى ان تقصروا من الصلاة
اى من اربع الى ركعتين وذلك فى صلاة الظهر والعصر والعشا
يدل على جواز القصر دون وجوبه ويؤيده انه عليه الصلاة
والسلام اتم فى السفر كما رواه الشافعى وغيره عن عايشة
رضى الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله
بابى انت وامى قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت
يا عايشة ما غلب على رواه الدارقطنى وحسنه البيهقى

وصححه

وصححه وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر واوجب القصر
ابو حنيفة لقول عمر رضي الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان
تام غير قصر على لسان نبيكم رواه النسائي وابن ماجه
ولقول عائشة اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين
واقرت في السفر وزيدت في الحضر رواه الشيخان فان قيل
ظاهرها يخالف الآية اجيب بان الاولى سوقت بان القصر
كالتام في الصحة والاجزاء ومعنى الثانية لمن اراد الاقتصار عليها
جمعا بين الادلة وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
ان ينالوكم بمكروه بيان باعتبار الغالب في ذلك الوقت فلا
مفهوم له قال يعلى بن امية قلت لعمر انما قال الله تعالى
ان خفتم وقد امن الناس فقال عجبت منه فسالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
صدقته رواه مسلم ان الكافرين كانوا لكم عدوا اي جبلة وطبعا
لكم عدوا مبينا اي بين العداوة وقوله تعالى واذا
كنت اي يا محمد حاضرا فيهم اي وانتم تخافون العدو
فاقمت لهم الصلاة فتمسكت بمفهومه من خص صلاة الخوف
بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وعامة الفقها على انه تعالى
علم نبيه صلى الله عليه وسلم كيفيتها ليقتدي به الائمة بعده
فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره روي ان المشركين
لما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر
يصلون جميعا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض

دعوهم فلم يجدها صلاة هي احب اليهم من ابنائهم وابنائهم
وهي صلاة العصر فاذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم
فنزل جبريل فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله يقول
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة وهي انواع الاول
اذا كان العدو في جهة القبلة ولا ساتر والمسلمون كثير فيصلي
الامام بهم ثم يسجد بنصف اول ويحرس نصف ثان فاذا قاموا
سجد من حرس وحده وسجد معه بعد تقدمه وتاخر الاول
بلا كثرة افعال في الركعة الثانية ويحرس الاخرون فاذا جلس
للتشهد سجد الاخرون وتشهد وسلم بعسفان وهي قرية
على مرحلتين من مكة بقرب خليص سميت بذلك لعسف
السيول فيها وجاز عكس هذه الكيفية والنوع الثاني
اذا كان العدو في غير جهة القبلة او فيها وثم ساتر فيصلي الامام
بهم مرتين كل مرة بفرقة كما قال تعالى فلتقم طائفة منهم معك
اي وتتاخر طائفة وليأخذوا اي الطائفة التي قامت معك
اسلحتهم منهم فاذا سجدوا اي صلوا فليكونوا اي الطائفة
الاخرى من وركم يحرسون الى ان تقضوا الصلاة وتذهب
هذه الطائفة تحرس ولتات طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا
معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم منهم الى ان يقضوا
الصلاة وقد فعل صلى الله عليه وسلم كذلك بنخل رواه
الشيخان وهذه الصلاة وان جازت في غير الخوف سنت
فيه عند كثرة المسلمين وقلة عدوهم وخوف هجومهم عليهم

في

في الصلاة فان قيل اخذ الحذر وهو الخوف مع التحفظ مجاز
واخذ الاسلحة حقيقة فلم يجمع بينهما اجيب بان اخذ
الحذر حقيقة ايضا تنزيلا له منزلة الآلة على سبيل الاستعارة
بالكناية فالجمع انما هو بين حقيقتين على ان الجمع بين الحقيقة
والمجاز جائز كما اختاره الشافعي رضي الله تعالى عنه فان قيل
لم ذكر اخذ الحذر في الثانية دون الاولى اجيب بان الكفار
ينتبهون للثانية ما لا ينتبهون للاولى والنوع الثالث
صلاة ذات الرقاع رواه الشيخان ايضا وهي والعدو في غير جهة
القبلة او فيها وخيف ان يقف فرقة في وجه العدو وفي غير
جهة القبلة ويصلي الامام بفرقة ركعة ثم عند قيامه للثانية
تفارقه وتتم لنفسها صلاتها وتقف في وجه العدو وتجئ تلك
والامام ينتظرها فيصلي بها ثانية فاذا جلس للتشهد قامت
واتت بركعة وتلحقه وسلم بها ويصلي الثلاثية بفرقة ركعتين
وبالثانية ركعة وهو افضل من عكسه ويصلي الرباعية
بكل فرقة ركعتين وهي نوع رابع تقدم عند قوله تعالى فان
خفتم فرجالا او ركبانا ودا الذين كفروا لو تغفلون
اذا قمتم الى الصلاة عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم
ميلة واحدة بان يحملوا عليكم فيأخذوكم وهذه علة الامر باخذ
السلاح ولما كان الله تعالى قد تفضل على هذه الامة ورفع عنها
الحرج وكان المطر والمرض يشقان قال ولا جناح ان كان بكم
عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا

اسلحتكم لان حمل السلاح في المطر يكون سببا لبله وفي المرض
يزيد حملها المريض وهنا وهذا يفيد ايجاب حملها عند عدم
العذر وهو احد قولي الشافعي والثاني انه سنة ورجح بشرط
ان لا يؤذي ولا يحصل بترك حمله خطر ولا يمنع صحة الصلاة
فان اذى كرمح وسط الصف كره حمله بل ان غلب على ظنه
ذلك حرم وان حصل بتركه خطر وجب حمله ويمكن حمل الاية
على هذه الحالة وكحمله وضعه بين يديه ان سهل مد يده اليد
بل يتعين ان منع حمله الصحة من نجس وغيره وخذوا حذركم
من العدو اي احترزوا منه ما استطعتم كيلا يهجم عليكم فان
قيل كيف طابق الامر بالحذر قوله تعالى ان الله اعد للكافرين
عذابا اي قتلا واسرا ونهبا في الدنيا مهينا اي ذا اهانة اجيب
بان الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واغتراره فنفى
عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله تعالى يهين عدوهم
ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم ويعلموا ان الامر
بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله تعالى كما قال تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ولما علمهم بما يفعلون في الصلاة
حال الخوف اتبع ذلك ما يفعلون بعدها لئلا يظن انها تغني
عن مجرد الذكر فقال مشيرا الى تعقيبه فاذا قضيتم الصلاة
اي فرغتم من فعلها واديتموها على حالة الخوف او غيرها
فاذكروا الله اي بالتهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد
قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي مضطجعين اي اذكروه في كل حال

وعن

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه وقيل صلوا قياما فى
حال الصحة وقعودا فى حال المرض وعلى جنوبكم عند الجرح
والزمانة فاذا اطمانتم اى امنتم عما كنتم فيه من الخوف
فاقيموا الصلاة اى ادوها بحقوقها على الحالة التى كنتم تصلونها
قبل الخوف ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا اى مكتوبا
اى مفروضا موقوتا اى مقدارا وقتها لا تخرجوه ولا تقدموا عليه
قال صلى الله عليه وسلم امنى جبريل عند البيت مرتين فصلى
بى الظهر حين زالت الشمس والعصر حين كان ظله اى الشئ
مثله والمغرب حين افطر الصايم اى دخل وقت افطاره
والعشا حين غاب الشفق والفجر حين كان ظله مثله والعصر
حين كان ظله مثليه والمغرب حين افطر الصايم والعشا
الى ثلث الليل والفجر فاسفر وقال هذا وقت الانبيا من قبلك
رواه ابو داود وغيره وصححه الحاكم وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم
فصلى بى الظهر حين صار ظله مثله اى فرغ منها حينئذ كما
شرع فى العصر فى اليوم الاول حينئذ قاله الشافعى رضى الله
عنه نافيا به اشتراك الوقتين ويدل له خبر مسلم ووقت
الظهر اذا زالت الشمس ما لم يحضر العصر ونزل لما بعث صلى
الله عليه وسلم طايفة فى طلب ابى سفيان واصحابه لما رجعوا
من احد فشكوا الجراحات ولا تهنوا اى تضعفوا فى ابتغاء
القوم اى فى طلب ابى سفيان واصحابه ان تكونوا تالمون

اى تتوجعون من الم الجراح فانهم يالمون اى يتوجعون من
الجراح كما تالمون ولم تجبنوا عن قتالكم فلا تجبنوا عن قتالهم
وترجون انتم من الله من النصر والثواب على جهادكم ما لا
يرجون هم فانتم مزيدون عليهم بذلك فيجب ان يكونوا ارغب
منهم فى الحرب واصبر عليها وكان الله عليما بانعالكم وضمايركم
حكيما اى فيما يامركم وينهى انا انزلنا اليك الكتاب اى القرآن
وقوله تعالى بالحق متعلق بانزل لتحكم بين الناس بما اراك
اى عرفك الله واوحى به اليك وليس ارى من الرؤية بمعنى العلم
والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه لا
يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا
لنبيه ولكن ليجتهد رايه لان الرأى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وهو منا
الظن والتكليف وروى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس قال
نزلت هذه الآية فى رجل من الانصار يقال له طعمة بكسر العين
وفتحها والاول افصح ابن ابيرق من بنى ظفر بن الحارث سرق
درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع فى
جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه حتى انتهى
الى الدار ثم اخبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين
فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما
له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهودى
فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت

بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه
ان يجادل عن صاحبهم فقالوا ان لم تفعل افتضح صاحبنا
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل لانه يرى بحلفه
وان يعاقب اليهودي لثبوت المال عنده وقيل هم ان يقطع يده
فقال تعالى ولا تكن للخائنين كطعمة خصيما اى مخاصما
مدافعا عنهم واستغفر الله اى مما هممت به اى من الذب
عنه وهذا الاستغفار لا عن ذنب اذ هو منزه عن ذلك معصوم
ولكن عن مقام عال سامر للارتقاء الى اعلى منه وانما ان الله كان
غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
اى يخونونها بالمعاصي لان وبال خيانتهم عليهم فان قيل لم
قال للخائنين ويختانون انفسهم والخائن واحد فوط اجيب
بانه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته او ليتناوله وقومه
فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه
وقيل ان هذا خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به
غيره كقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك الاستفهام
فيه للانبياء بعد النبوة على احد وجوه ثلاثة اما الذنب فقد
على النبوة او لذنوب امته او لمباح جا الشرع بتحريمه فيتركه
بالاستغفار فالاستغفار يكون معناه السمع والطاعة لحكم
الشرع ان الله لا يحب اى يعاقب من كان خوانا اى كثير الخيانة
اثيما اى منهمكا فيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب
حائطا ليسرق متاع اهله فسقط الحائط عليه فقتله

فان قيل لم قيل خوانا اثيما على المبالغة اجيب بان الله تعالى كان عالما
من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المأثم ومن كانت تلك خاتمة
امره لم يشك في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم
ان لها اخوات وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه امر بقطع يد سارق
فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال
كذبت ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة يستخفون من الناس
ولا يستخفون اي ولا يستحيون ولا يخافون من الله وهو
احق ان يستحيى ويخاف منه وهو معهم بعلمه لا يخفى عليه
سرهم اذ يبيتون اي يدبرون ليلا على طريق الامعان في
الكفر والاتقان للراي ما لا يرضى من القول اي من رضى اليهودي
بالسرقة وشهادة الزور عليه والحلف الكاذب على نفيها فان
قيل لم سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس اجيب بانه
لما حدث بذلك نفسه سمي قولا مجازا قال في الكشاف ويجوز
ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بينه
وكان الله بما يعملون محيطا اي علما وقدرة فلا يفوت عنه
شيء وقوله تعالى ها انتم هؤلاء خطاب لقوم طعمة اي ها
هؤلاء جادلتم اي خاصمتم عنهم اي طعمة وذويه في الحياة
الدنيا اي بما جعل لكم من الاسباب فمن يجادل الله عنهم
يوم القيامة اذا عذبهم ام من يكون عليهم وكيلا يتولى
امرهم ويذب عنهم اي لا احد يفعل ذلك فائدة اتفق
كتاب المصاحف على قطع ام عن من ومن يعمل سوءا اي

ذنبا

ذنبا يستوجب به غيره كرمي طعمة اليهودي او يظلم نفسه اي
بعمل ذنبا يختص به لابتعداه وقيل المراد بالاول الصغيرة
والثاني الكبيرة ثم يستغفر الله اي يطلب من الله تعالى
غفرانه بالتوبة بشروطها يجد الله غفورا اي محا الزلات
رحيما اي مبالغا في اكرام من يقبل اليه كما في الحديث عن الله
من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا
تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة وعن ابي الدرداء
رضي الله تعالى عنه ان هذه الاية نسخت من يعمل سوءا يجز به ومن
يكسب اثما اي ذنبا فانما يكسبه على نفسه اي لان باله راجع اليه
اذ الله له بالمرصاد فهو مجازيه عليه فلا يتعداه وباله قال
تعالى وان اسأتم فلها وكان الله عليما بالغ العلم بدقيق ذلك
وجليله فلا يترك شيأ منه حكيما في صنعه فلا يجازيه الا
بمقدار ذنبه ومن يكسب خطيئة اي ذنبا صغيرا وما لا عمد فيه
او اثما اي كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا اي ينسبه
الى من لم يعمله كما فعل طعمة باليهودي فقد احتمل اي تحمل
بهتانا اي خطر كذب يبهت المرمي به واثما اي ذنبا اي
كبيرا مبينا اي بينا بكسبه بسبب رمي البريء ولولا فضل
الله عليك يا محمد ورحمته بالعصمة لهمت طائفة منهم
اي من قوم طعمة اي هموا موثرا عندك ان يضلوك عن القضاء
بالحق مع علمهم بالحال بتلبيسهم عليك فلا يأتي ذلك انهم قد
فعلوا بذلك لان الهم المؤثر لم يوجد وما يضلون الا انفسهم اذ

وبال ذلك عليهم **وما يضرونك من شئ** فان الله عصمك وما
خطر ببالك كان اعتماداً مستنداً على ظاهر الامر لا ميلاً الى الحكم
تنبيه من شئ في موضع نصب على المصدر اى شيئاً من الضر
فمن زائدة **وانزل الله عليك الكتاب** اى القرآن **والحكمة** اى
السنة فانها ليست قرآناً يتلى وفسرت ايضاً بانها علم الشرايع وكل
كلام وافق الحق **وعلمك ما لم تكن تعلم** اى من المشكلات
وغيرها غيباً وشهادة من احوال الدين والدنيا **وكان**
فضل الله عليك عظيماً اى بهذا وبغيره من امور لا تدخل
تحت الحصر وفي هذا دليل على ان العلم من اشرف الفضايل
لا خير في كثير من نجواهم اى الناس قوم طعمة فانهم
ناجوا النبي صلى الله عليه وسلم في الدفع منه وكذا غيرهم **الا**
نجوى من امر بصدقة واجبة او مندوبة **او معروف** اى عمل
بر وقيل المراد بالصدقة الواجبة وبالمعروف صدقة التطوع
او اصلاح بين الناس وهو اصلاح ذات البين وغيرهم قال
صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ما كان من
امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان
رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال المرتسمع الله يقول
لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول
والعصر اى الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وروي
انه صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بافضل من درجة الصيام
والصدقة والصلاة قلنا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات

البين

البين وافساد ذات البين هى الحالقة وروى انه صلى الله
عليه وسلم قال ليس بالكذاب من اصلح بين الناس فقال
خيرا او نمى خيرا ومن يفعل ذلكم اى هذا المذكور ابتغا اى
طلب مرضات الله اى لا غيره من امور الدنيا لان الاعمال
بالنيات فسوف نؤتيه اى الله فى الاخرة بوعد لا خلف فيه
اجرا عظيما هو الجنة والنظر الى وجهه الكريم وفى هذه
الاية دلالة على ان المطلوب من اعمال الظاهر رعاية احوال
الباطن فى اخلاص النية وتصفية القلب من الالتفات الى
غرض دنيوى وقرا ابو عمرو وحمزة يؤتيه بالياء والباقون
بالنون ومن يشاقق الرسول اى يخالفه بما جاء به ماخوذ من
الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الاخر من بعد
ما تبين له الهدى اى ظهر له الدليل الذى هو سبيله ويتبع
طريقا غير سبيل المؤمنين اى طريقتهم الذى هم عليه من
الدين بان يتبع غير دين الاسلام نوله ما تولى اى نجعله
واليا لما تولاه بان نخلى بينه وبينه فى الدنيا ونصله اى
ندخله فى الاخرة جهنم يحترق فيها وساءت مصيرا اى مرجعا
هى وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة نوله ونصله بسكون الهاء
واختلس كسرة الهاء قالون والهشام وجهان الاختلاس كقالون
واشباع الحركة كباقى القراء فان قيل ما الحكمة فى فك الادغام
فى قوله تعالى ومن يشاقق الرسول والادغام فى سورة الحشر
فى قوله تعالى ومن يشاق الله اجيب بان ال فى لفظ الجلالة

لانه بخلافه فى الرسول واللزوم يقتضى النقل فخفف بالادغام
فيما صحبته الجلالة بخلاف ما صحبه لفظ الرسول فان قيل
يرد هذا قوله تعالى فى سورة الانفال ومن يشاقق الله ورسوله
اجيب بانه لما انضم الرسول الى الله صار المعطوف والمعطوف
عليه كالشئ الواحد ان الله لا يغفر ان يشرك به اى وقوع
الشرك به من اى شخص كان وباى شئ كان ويغفر ما اى
كل شئ هو دون ذلك اى من سائر المعاصى لكن لمن يشاء لان
جميع الامور بمشيئته روى ان شخصا جاء الى النبى صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله انى شيخ منهمك فى الذنوب
الا انى لم اشرك بالله شيأ منذ عرفت وامنت به ولم اتخذ من
دونه وليا ولم اوقع المعاصى جراة وما توهمت طرفة عين انى
اعجز الله هربا وانى لنادم تائب مستغفر فما ترى حالى عند
الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن
الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب
والاستقامة وانما ذكر فى الاية الاولى فقد افترى لانها
متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشا شركهم نوع افتراء وهو
دعوى البنوة على الله ان اى ما يدعون اى يعبده
المشركون من دونه اى غير الله الا اناثا وهى اللات والعزى
ومنات وعن الحسن لم يكن حى من احياء العرب الا ولهم صنم
يعبدونه ويسمونه انثى بنى فلان وقيل كانوا يقولون
فى اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم

الملائكة

الملائكة بنات الله وان اى ما يدعون اى يعبدون بعبادتها
الا شيطانا مريدا اى خارجا عن الطاعة وهو ابليس لانه
الذى امرهم بعبادتها واغواهم عليها وكانت طاعته فى ذلك
عبادة له لعنه الله اى ابعده عن رحمته وقال الشيطان
المذكور لاتخذن من عبادك نصيبا اى حظا مفروضا اى
موظوعا اد عوهم فيه الى طاعتى قال الحسن من كل الف تسعمائة
وتسعة وتسعين الى ولاضلنهم اى عن طريق الهدى
بما سلطتنى عليه من الوسواس وتزيين الاباطيل
ولامنينهم اى بكل ما اقدر عليه من الباطل من عدم البعث
والحساب وكالجنة والنار وغيره ولقنهم فى قلوبهم طول الاعمار
وبلوغ الامال من الدنيا والاخرة بالرحمة والحنو والاحسان
ونحو ما هو سبب للتسويف بالتوبة ولامرنهم فليبتكن
اى يقطعن اذان الانعام كما كانت العرب تفعله بالبحائر
والسوائب التى حرموها على انفسهم كانوا يشقون اذان
الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا حرموا
على انفسهم الانتفاع بها ولامرنهم فليغيرن خلق الله اى
فطرة الله التى هى دين الاسلام بالكفر واحلال ما حرم الله وتحريم
ما احل الله ويدخل فى ذلك اللواط والسحر والوشم وهو ان
يغرز الجلد بابرة وتحشى بنحو نيلة والوشر وهو ان تحد المرأة
اسنانها وترققها ونحو ذلك والخصاء وهو حرام فى بنى ادم قال
الزمخشرى وعند ابى حنيفة يكره شراء الخصيان واستخدامهم

واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصيانهم واما في البهائم
فيجوز في المأكول الصغير ويحرم في غيره وقيل المحسن رحمه الله
تعالى ان عكرمة يقول المراد هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين
الله وعن ابن مسعود هو الوشم ومن يتخذ الشيطان وليا
اى يتولاه ويطيعه من دون الله اى غيره فقد خسر خسرانا
مبينا بينا لمصيره الى النار المؤبدة عليه يعدهم ما لا يجوز بان
يخيل اليهم بما يصل الى قلوبهم بالوسوسة في شيء من الاباطيل انه
قريب الحصول فيسعون في تحصيله فيضيع عليهم في الزمان
ويرتكبوا ما لا يحل من الاهوال والهوات ويمنيهم نيل الامال
في الدنيا ولا بعث ولا جزاء وما اى والحال انه ما يعدهم الشيطان
بذلك الا غرورا اى باطلا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا
الوعد اما بالخواطر او بلسان اوليائه اولئك اى الشيطان
واولياؤه ماواهم اى مقرهم جهنم يقترفون فيها ولا يجدون
عنها محيصا اى معدلا ومهربا ولما ذكر ما للكافرين ترهيبا
اتبعه ما لقابليهم ترغيبا فقال والذين امنوا اى اقروا بالايمان
وعملوا الصالحات اى الطاعات تصديقا لاقرارهم سندخلهم
بنون العظمة جنات وعدا لا خلف فيه جنات تجري من تحتها الانهار اى ارضها
فحيث ما اجرى منها نهر منها جرى خالدين فيها ولما كان
الخلود يطلق على المكث الطويل دفع ذلك بقوله تعالى ابدا اى
لا الى اخر وعد الله حقا اى وعدهم الله ذلك وهو قوله تعالى
سندخلهم وحقه حقا ومن اى لا احد اصدق من الله قيلا

اى قولا

اى قولا واكثر سبحانه وتعالى من التاكيد هنا لانه فى مقابلة
وعد الشيطان ووعد الشيطان موافق الهوى الذى طبعت عليه
النفوس فلا تنصرف عنه الا بعسر شديد ونزل لما افتخر
المسلمون واهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال
المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضى على الكتب وقد امنا
بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن اولى ليس اى الامر منوطا
بامانيكم ايها المسلمون ولا امانى اهل الكتاب بل بالايمان
والعمل الصالح من يعمل سوءا يجز به قال ابن عباس لما نزلت هذه
الاية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله اينا لم يعمل سوءا
فيجزى فكيف الجزاء قال منه ما يكون فى الدنيا بالبلاء والحزن كما
ورد فى الحديث ثم يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى
بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقى له تسع حسنات
فوبال المرء غلبت احاده اعشاره واما ما كان جزاء فى الاخرة
فيقابل بين حسناته وسيآته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر
فى الفضل فيعطى الجزاء فى الجنة فيوفى كل ذى فضل فضله وعن
ابى بكر رضى الله تعالى عنه قال كنت عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزلت عليه الاية من يعمل سوءا يجز به ولا يجد
له من دون الله اى غيره وليا اى يحفظه ولا نصيرا اى يمنعه
منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر الا اقرئك اية
نزلت قلت بلى يا رسول الله قال فاقرانيها قال ولا اعلم انى قد

وجدت انتفاضا ما في ظهري حتى تطيت لها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مالك يا ابا بكر فقلت يا رسول الله بابي انت
وامي وايننا لم يعمل سوءا وانا لمجزيون بكل سوء عملناه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا ابا بكر واصحابك
المومنون فتجزون بذلك في الدنيا اي بالبلاء والمحن كما مر حتى
تلقوا الله وليس لكم ذنوب واما الاخرون فيجمع ذلك لهم حتى
يجزوا يوم القيامة ومن يعمل شيا من الصالحات قال في كل
احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها وقوله تعالى من ذكر او انثى
في موضع الحال من المستكن في يعمل وهي للبيان او من الصالحات
اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وقوله تعالى وهو مومن
حال بشرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها
على انه لا اعتداد بالعمل الصالح دون اقتران بها فاولئك اي
العالو الرتبة يدخلون اي يدخلهم الجنة اي الموصوفة
ولا يظلمون نقيرا اي قدر نقرة النواة من ثواب اعمالهم وان
لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يراد عقاب العاصي لان
المجازي هو ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقب الثواب
وقرا ابن كثير وابو عمرو وشعبة بضم الياء وفتح الخاء الباقون
بفتح الياء وضم الخاء ومن اي لا احد احسن دينا ممن اسلم
وجهه اي انقاد واخلص عمله لله فلا حركة ولا سكنة الا
فيما يرضاه وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه
القوة البشرية وهو اي والحال انه محسن اي مومن مراقب

ان بالحسنات تارك للسيات لانه يعبد الله كانه يراه وقد
اشتملت هذه الكلمات العشر على الدين كله اصلا وفرعا مع
الترغيب بالمدح الكامل لمتبعه والافهام الذم الكامل لضده
واتبع ملة ابراهيم اى الموافقة لملة الاسلام وقوله
تعالى حنيفا حال اى مايلا عن الاديان كلها الى الدين القيم واتخذ
الله ابراهيم خليلا اى صفيا خالص المحبة له وانما اعاد
ذكره ولم يضمره تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة
من الخلال فانه ود يتخلل النفس وخالطها قال الزجاج الخليل
الذى ليس فى محبته خلل والخلة الصداقة فسمى خليلا لان
الله تعالى احبه واصطفاه روى ان ابراهيم عليه الصلاة
والسلام كان ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف
من مر به من الناس فاصاب الناس سنة فخشى ان الى باب
ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق
له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى الخليل الذى بمصر فقال
خليله لغلمانه لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن
يريده للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة
فرجع غلمانه فمروا ببطحاء اى بار من ذات حصا فقالوا لو
انا حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جينا بميرة فانا
نستحى ان نمر بهم وابلنا فارغة فملوا تلك الغرائر ثم اتوا ابراهيم
فلما اخبره بذلك وساره نائمة ساءه الخبر فغلبته عيناه فقام
واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ماجا

الغلمان قالوا بلى فقامت الى الغرائر فنفضتها فاذا هو اجود خوارى
اى وهو بضم الخا المهملة وتشديد الواو وفتح الرا الدقيق الذى
خلط مرة بعد اخرى فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس
فاستيقظ ابراهيم فوجد رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم
فقالت من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عز
وجل فسماه الله خليلا ولله ما فى السموات وما فى الارض
خلقا وملكا يتصرف فيهما ما يشاء وكان الله بكل شئ محيطا علما
وقدرة اى ولم يزل متصفا بذلك فيهما ازلا كان فى وعد ووعيد
للمطيع والعاصى لا يخفى عليه احد منهم ولا يعجزه شئ
ويستفتونك اى يطلبون منك الفتوى فى شان النساء اى
فى شان اليتامى قل الله يفتيكم اى يبين لكم حكمه
فيهن والافتا تبيين المبهم ويفتيكم ايضا ما يتلى عليكم
فى الكتاب اى القران من اية الميراث فى يتامى النساء اى فى شان
اليتامى اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن اى فرض لهن من الميراث
وترغبون ايها الاولياء اى فى ان او عن ان تنكحوهن جمالهن
او دمامتهن قالت عائشة رضى الله عنها هى اليتيمة تكون فى
حجر الرجل وهو وليها فيرغب فى نكاحها اذا كانت ذات جمال
ومال ياكل من ماله صداقها وان كانت مرغوبة عنها فى قلة
المال والجمال تركها وفى رواية هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل قد
شركته فى ماله فيرغب عنها ان يتزوجها لدمامتها ويكره ان
ان يزوجها غيره فيدخل عليه فى ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها

فنا هم

فنهاهم الله تعالى عن ذلك ويعنيكم في المستضعفين اى الصغار
من الولدان اى كان تعطوهم حقوقهم لان العرب كانوا لا يورثون
الصغار ولا يورثون النساء وقوله تعالى وان تقوموا في محل نصب باضمار
فعل اى ويامركم ان تقوموا لليتامى بالقسط اى العدل من
الميراث وغيره والخطاب للائمة في ان ينظروا لهم وليستوفوا
حقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير اى
في ذلك او غيره فان الله كان به عليما اى فيجازيكم عليه فانه
اكرم الاكرمين فطيبوا انفسا وقروا عينا قال سعيد بن جبير
كان رجل له امراة كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج
غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على ولدي واقسم لي من كل
شهرين اى شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح
ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
تعالى وان امراة مرفوع بفعل يفسره خافت اى توقعت من
بعلها اى زوجها نشوزا اى تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها
كراهة لها وسنا لحقوقها او اعراضا بان يقل محادثتها ومجالستها
فلا جناح عليهما اى الزوج والزوجة ان يصالحا بينهما
صلحا اى في القسم والنفقة وهو ان يقول الزوج لها انك قد
دخلت في السن واني اريد ان اتزوج امراة شابة جميلة او
اثرها عليك في القسم ليلا ونهارا فان رضيت بهذا فاقيمي وان
كرهت خليت سبيلك فان رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر
على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها

نهم

لستها

من القسم والنفقة او يسرحها باحسان وان امسكها وفاها
حقها مع كراهته فهو المحسن وقرا عاصم وحمزة والكسائي
بضم الياء وسكون الصاد والف من اصلح بين المتنازعين
والباقون بفتح الياء وفتح الصاد مع التشديد والف بعدها
وفتح اللام وفيه ادغام التاء في الاصل في الصاد وتمطور سر
اللام من يصالحا بخلاف عنه والصلح بان يترك كل منهما حقه
او بعض حقه خير من الفرقة والنشوز والاعراض كما روي
ان سودة كانت امرأة كبيرة اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان
يفارقها فقالت لا تطلقني وانما بي ان ابعث في نسائك وقد
جعلت نوبتي لعايشة فامسكها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان يقسم لعايشة يومها ويوم سودة ثم بين
سبحانه وتعالى ما جبل عليه الانسان بقوله واحضرت
الانفس الشح اي جبلت عليه فكانها حاضرة لا تغيب عنه
فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا
بنفسه بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي ان الزوج
يسمح كرهها وخصوصا اذا احب غيرها والشح اقبح البخل
وحقيقته الحرص على منع الخير وان تحسنوا اي في عشرة النسا
وان كنتم كارهين وتتقوا اي النشوز والاعراض وتقضي
الحق فان الله كان ازلا وابدا بما تعملون اي من الاحسان
والخصومة خبيرا اي عليما به والغرض منه فيجازيكم عليه
ولن تستطيعوا اي توجدوا من انفسكم طواعية بالغة دايمة

ان تعدلوا

ان تعدلوا اى تسووا بين النسا اى فى المحبة لان العدل
ان لا يقع ميل ۞ وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقسم بين نسايه فيعدل ويقول هذا قسمى
فيما املك فلا تواخذنى فيما تملك ولا املك رواه ابو داود وغيره
وصححه الحاكم ولو حرصتم على تحرى ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا
الى التى تحبونها كل الميل فى القسم والنفقة فان ما لا يدرك
كله لا يترك كله فتذروها اى فتتركوا المراة المال عنها
كالمعلقة اى التى لا هى ايم ولا ذات بعل وعن النبى صلى الله
عليه وسلم من كان له امراتان يميل الى احديهما جا يوم القيامة
واحد شقيه مايل رواه ابو داود وغيره وصححه الحاكم
وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه بعث الى ازواج النبى
صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عايشة بعث عمر بمثل
هذا قالوا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره
فقالت ارفع راسك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يعدل بيننا فى القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول
فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ رضى الله تعالى عنه ۞
امراتان فاذا كان عند احديهما لم يتوضا فى بيت الاخرى
فانتا فى الطاعون فدفنهما فى قبر واحد وان تصلحوا اى
ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل
فان الله كان غفورا اى لما فى قلوبكم من الميل رحيما بكم فى
ذلك وغيره فانه ارحم الراحمين وان يتفرقا اى يفترق كل

من الزوجين من صاحبه بالطلاق يغن الله كلا اى
منهما عن الاخر ببدل بان يرزقها زوجا ويرزقه غيرها او
سلوا من سعته اى من فضله وكرمه وكان الله واسعا
اى واسع الفضل والرحمة بخلقه حكيما اى فيما دبره لهم
وقوله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض اى ملكا
وعبيدا تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب اى جنس الكتب من قبلكم اى اليهود والنصارى
ومن قبلهم وقوله تعالى واياكم عطف على الذين وهو
خطاب لاهل القران ان اتقوا الله اى بان اتقوا الله اى
خافوا عقابه بان تطيعوه وقوله تعالى وان تكفروا اى
بما وصيتم به فان لله ما فى السموات وما فى الارض على
ارادة القول قالا التفتازانى لان الجملة الشرطية لا تصح
ان تقع بعد ان المصدرية فلا يصح عطفها على الواقع بعدها
اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا
يتضرر بكفركم ومعاصيكم بما لا ينتفع بشكركم وتقواكم
وانما يوصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله
غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا فى ذاته حمد او لم يحمد
ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا اى
شهيدا بان ما فيهما له فان قيل ما فائدة تكرير لله ما فى
السموات وما فى الارض اجيب بان لكل واحدة منهما وجها
اما الاول فمعناه لله ما فى السموات وما فى الارض وهو

يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته واما الثانى فمعناه
له ما فى السموات وما فى الارض وكان الله غنيا حميدا
اى هو الغنى المطلق فاطلبوا منه ما تطلبون فانه
لا ينفد ما عنده واما الثالث فمعناه له ما فى السموات
وما فى الارض وكفى بالله وكيلا ولا تتوكلوا على غيره
فذكرت كل مرة دليلا على شئ غير الذى قبله وكرر لان
الدليل الواحد اذا كان دالا على مدلولات كثيرة يحسن
ان يستدل به على كل واحد منها واعادته مع كل واحد
اولى من الاكتفاء بذكره مرة واحدة لانا عادته تحضر
فى الذهن ما يوجب العلم بالمدلول فيكون العلم الحاصل
بذكر المدلول اقوى واجل وفى ختم كل جملة بصفة من
الصفات الحسنى تنبيه الذهن بها الى ان هذا الدليل
على اسرار شريفة ومطالب جليلة لا تحصر فيجتهد
السامع فى التفكر لاظهار الاسرار والاستدلال على صفات
الكمال لان الغرض الكلى من هذا الكتاب صرف العقول
والافهام عن الاشتغال بغير الله الى الاستغراق فى
معرفته سبحانه وتعالى وهذا التكرير مما يفيد حصول
هذا المطلوب ويؤكده ان يشأ يذهبكم اى يفنيكم ايها
الناس كما اوجدكم ويأت بآخرين اى ويوجد قوما
اخرين سكانكم او خلقا اخرين مكان الانس وكان
الله على ذلك الاعدام والايجاد قديرا اى بليغ القدرة

لا يمتنع عليه شيء اراده وقيل هذا خطاب لمن كان يعاون
رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ان يشأ يمتكم
ويأت بناس اخرين يوالونه وروي انه لما نزل ان يشأ
يذهبكم الاية ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا اي سلمان وهم بنو فارس
من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة
لقصور نظره على الخسيس الحاضر مع خسته كالبهائم
فعند الله ثواب الدنيا الخسيسة الفانية والاخرة
النفيسة الباقية لا عند غيره فماله يطلب الخسيس
فليطلبهما منه كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان
من غلب همته فاقبل بقلبه اليه وقصر همه عليه
جمع له سبحانه بينهما كمن يجاهد لله خالصا يجمع له بين
الاخرة والمغنم وكان الله سميعا اي بالغ السمع لكل
قول وان خفي بصيرا اي بالغ البصر لكل ما ينقل وان
خفي يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين اي قايمين قياما
بليغا مواظبا عليه مجتهدا فيه بالقسط اي بالعدل
شهداء لله بالحق اي تقيمون شهادتكم لوجه الله
ولو كانت الشهادة على انفسكم فاشهدوا عليها بان تقروا
بالحق ولا تكتموه او الوالدين والاقربين اي ولو كانت
الشهادة على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود

عليه

عليه غنيا فلا تمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه
او فقيرا فلا تمنع ترحما عليه فالله اولى بهما اى الغنى
والفقير وبالنظر لهما فلم تترك الشهادة لهما او عليهما
صلاحا لما شرعها تنبيه الضمير فى بهما راجع الى ما
دل عليه المذكور وهو جنسا الغنى والفقير لا اليهما
والا لوحد الضمير لكون العطف بأو وكانه قال فالله
اولى بجنسى الغنى والفقير اى بالاغنياء والفقراء فلا
تتبعوا الهوى اى فى شهادتكم بان تحابوا الغنى لرضاه او
الفقير رحمة له ان تعدلوا اى ارادة ان تعدلوا فقد بان
لكم ان لا عدل فى ذلك اولا تعدلوا او تميلوا عن الحق
وان تلووا اى السنتكم لتحرفوا الشهادة او تعرضوا
اى عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم
به وقرا ابن عامر وحمزة بضم اللام وحذف الواو الاولى
والباقون بسكون اللام وواو بن الاولى مضمومة يا ايها
الذين امنوا امنوا اى داوموا على الايمان بالله ورسوله
والكتاب الذى نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن والكتاب الذى انزل من قبل على الرسل يعنى
الكتب اى امنوا بجميع كتب الله المنزلة وقيل ان الخطاب
فى ذلك لاهل الكتاب روى ان ابن سلام واصحابه قالوا
يا رسول الله انا مؤمن بكتابك وبموسى والتوراة وعزير
ونكفر بما سواه فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم بل امنوا

بالله ورسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فانزل
الله هذه الآية وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم
النون من نزل وضم الهمزة من انزل وكسر الزاي فيهما
والباقون بفتح النون والهمزة وفتح الزاي فيهما ومن يكفر
بالله وملائكته وكتبه التي انزلها الله على انبيائه ورسله
اي من الملائكة والبشر واليوم الآخر اي الذي اخبرت
به رسله وهو يوم القيامة اي ومن يكفر بشيء من ذلك
فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق بحيث لا يكاد يعود اليه
وقرأ قالون وابن كثير وعاصم باظهار قد عند الضاد والباقون
بالادغام ان الذين امنوا اي بموسى وهم اليهود ثم
كفروا حين عبدوا العجل ثم امنوا بعد عود موسى
اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله
عليه وسلم لم يكن الله ليغفر لهم اي ما داموا على هذه الحالة
لانه لا يغفر ان يشرك به ولا ليهديهم سبيلا اي طريقا
الى الحق بشر المنافقين يا محمد بان لهم عذابا اليما اي مؤلما
هو النار تهكم وضع بشر مكان انذر تهكما بهم وقوله
تعالى الذين بدل او نعت للمنافقين يتخذون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين لما يتوهمون فيهم من النفع
وقوله تعالى ايبتغون اي يطلبون عندهم العزة
استفهام انكاري لا يجدونها عندهم فان العزة لله جميعا
في الدنيا والآخرة ولا ينالها الا الاولياء قال الله تعالى ولله

العزة

العزة ولرسوله وللمومنين وقد اى تتخذونهم والحال انه
قد نزل عليكم اى اياتها الامة الصادقين منكم والمنافقين
في الكتاب اى القران في سورة الانعام النازلة بمكة بد
المشرفة النهي عن مجالستهم فضلا عن ولايتهم ان اى
انه فهي مخففة واسمها محذوف اذا سمعتم ايات الله
اى القران يكفر بها ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم اى
الكافرين والمستهزئين حتى يخوضوا في حديث غيره
امحتى ياخذوا في حديث غير ذلك قال الضحاك عن ابن
عباس دخل في هذه الاية كل محدث في الدين وكل مبتدع ص
الى يوم القيامة وقرأ عاصم نزل بفتح النون والزاى
والباقون بضم النون وكسر الزاى انكم اذا اى ان قعدتم
معهم مثلهم اى في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم
والانكار عليهم او الكفران رضيتم به وقيل كان الذين لم
يقاعدون الخائضين في القران من الاحبار هم المنافقون فقيل
لهم انكم اذا مثل الاحبار في الكفر ويدل عليه قوله تعالى ان
الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا اى
القاعدون والمقعود معهم كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر
والاستهزاء وقوله تعالى الذين امابدل من الذين قبله
واما صفة للمنافقين واما نصب على الذم منهم يتربصون
اى ينتظرون وقوع امر بكم فان كان لكم فتح من الله اى
ظفر وغنيمة قالوا لكم الم نكن معكم في الدين والجهاد فاجعلوا

لنا نصيبا من الغنيمة وان كان للكافرين نصيب اى من
الظفر فان الحرب سجال وعبر بنصيب تحقيرا لظفرهم بالنسبة
لما حصل للمسلمين من الفتح قالوا الم نستحوذ اى نستول
عليكم ونقدر على اخذكم وقتلكم فابقينا عليكم ونمنعكم من
المومنين اى من تسلطهم عليكم بما كنا نخادعهم به ونشيع
فيهم من الارجافات والامور المرعبات العارفة لهم عن كثير
من المقاصد لتصدهم انا لاظهارنا الايمان ومرادنا المنافقين
بذلك اظهار المنة على الكافرين فالله يحكم بينكم وبينهم
يوم القيامة بان يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ولن يجعل
الله للكافرين على المومنين سبيلا اى طريقا بالاستيصال
واحتج اصحابنا بهذه الاية على فساد شرا الكافر العبد المسلم
ان المنافقين يخادعون الله اى باظهارهم خلاف ما يبطنونه
من الكفر ليدفعوا عنهم احكامهم الدنيوية وهو خادعهم اى
مجازيهم على خداعهم فيفضحهم في الدنيا باطلاع نبيه على
ما ابطنوه ويعاقبهم في الاخرة واذا قاموا الى الصلاة قاموا
مع المومنين قاموا كسالى اى متثاقلين كالمكرهين على
الفعل يراءون الناس بصلاتهم ليظنوهم مومنين ولا
يذكرون الله اى ولا يصلون الا قليلا اى حين يتاتى ذلك
طريقا لخداعهم ولا يصلون ذلك غالبا بان قطع عن عيون
الناس وما يحاضرون به ايضا قليل لانهم ما وجدوا ممدوحة
من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه ويجوز ان يراد بالقلة

العدم

العدم فان قيل ما معنى المراآة وهى مفاعلة من الرؤية
اجيب بان المرائيين يريهم عمله وهم يرونه استحسانه وقوله
تعالى مذبذبين حال من واو يراؤن اى متردين بين
ذلك اى الكفر والايمان لا منسوبين الى هؤلاء اى الكفار
ولا الى هؤلاء اى المؤمنين ومن يضلل الله اى بفعله
فلن تجد له سبيلا اى طريقا الى الهدى ونظيره قوله
تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا الكافرين اى المجاهرين بالكفر اولياء من
دون المؤمنين فانه صنيع المؤمنين وهديتهم فلا
تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم بموالاتهم
سلطانا اى دليلا على كفركم باتباعهم غير سبيل المؤمنين
مبينا اى واضحا على نفاقكم ان المنافقين فى الدرك اى
البطن الاسفل من النار اى لان ذلك اخفى ما فى النار واستر
واخبثه كما ان كفرهم اخفى الكفر واستره واخبثه وسميت
طبقات النار ادراكا لانها متداركة متتابعة الى اسفل كما ان
الدرج مترقية الى فوق فان قيل لم كان المنافق اشد عذابا
من الكافر اجيب بانه مثله فى الكفر وضم الى كفره
الاستهزاء بالاسلام واهله وقرأ عاصم وحمزة والكسائى هم
بسكون الراء والباقون بفتحها ولن تجد له نصيرا اى مانعا
يمنعهم من عذاب الله تعالى فيخرجهم الا الذين تابوا اى
رجعوا عما كانوا عليه من النفاق واصلحوا اى اعمالهم واعتصموا

اى وثقوا بالله واخلصوا دينهم لله من الرياء فلا يريدون
بطاعة الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فى الجنة وسوف يؤت
الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم وسيماهم فان
قيل من المنافق اجيب بانه فى الشريعة من اظهر الايمان
وابطن الكفر واما تسميته من ارتكب ما يفسق به منافقا
فللتغليظ كقوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا
فهو كافر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو
منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقيل لحذيفة رضى الله
تعالى عنه من المنافق قال الذى يصف الاسلام ولا يعمل
به وقيل لابن عمر رضى الله تعالى عنهما ندخل على السلطان
ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من
النفاق فائدة اتفق كتاب المصاحف على حذف الياء من
يؤت الله ولا سبب لحذفها ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
نعماه وامنتم به اى يثنى به غيظا ويدفع خسرا او
يستجلب به نفعا وهو الغنى المطلق المتعالى عن النفع
والضر والاستفهام بمعنى النفى اى لا يعذبكم فان قيل لم قدم
الشكر على الايمان مع انه لا ينفع مع عدم الايمان اجيب بان
الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى
الى معرفة المنعم امن بعمم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر
متقدما على الايمان وكذا اصل التكليف ومداره فيؤمن به

والشكر

والشكر ضد الكفر فالكفر ستر النعمة والشكر اظهارها
وكان الله شاكرا لاعمال المومنين بالاثابة يقبل اليسير
ويعطي الجزيل عليما بخلقه لا يحب الله الجهر بالسوء اى القبيح
من القول من احد اى يعاقب عليه الا من اى جهر من ظلم
وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما هو فيه من السوء فلا
يواخذه به قال الله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك
ما عليهم من سبيل قال الحسن البصري دعاؤه عليه ان
يقول اللهم اعني عليه اللهم استخرج حقي منه وقيل ان شتم
جاز له ان يشتم بمثله لا يزيد عليه وقال مجاهد عذا في
الضيف اذا نزل بقوم فلم يبروه ولم يحسنوا ضيافته فله
ان يشكو ويذكر ما صنع به روى ان رجلا اضاف قوما اى
نزل بهم ضيفا فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية
فنزلت وعن عقبة بن عامر قال قلنا يا رسول الله انك تبعثنا
فنزل بقوم فلا يقروننا فما ترى فقال لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا نزلتم بقوم فامروا لكم بما ينبغي للضيف
فاقبلوا واذا لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي
لهم وكان الله سميعا لكل ما يقال ومنه دعاء المظلوم عليما
بكل ما يفعل وعنه فعل الظالم ان تبدوا اى تظهروا خيرا من
اعمال البر او تخفوه اى تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء اى عن
مظلمة فان الله كان اى ولم يزل عفوا قديرا اى يقدر
العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى

بذلك وهو حث المظلوم على تمهيد العفو وبدء بما رخص له
في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق وقوله تعالى ان الذين
يكفرون بالله ورسله نزل في اليهود وذلك انهم امنوا بموسى
والتوراة وعزير وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد صلى الله
عليه وسلم والقران ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
بان يومنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نومن ببعض
ونكفر ببعض اى نومن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اى طريقا وسطا بين
اليهودية والاسلام وكما واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان
بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا
واجمالا والكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال قال تعالى
فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون اى الكاملون
في الكفر وقوله تعالى حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا اى ذا اهانة وهو عذاب
النار ولما بين سبحانه وتعالى ما اعده للكافرين بين ما اعده
للمومنين بقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله كلهم
ولم يفرقوا بين احد منهم بان كفروا ببعض وامنوا ببعض
كما فعل الاشقياء وانما ادخل بين على احد وهو يقتضي متعددا
لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك اى
العالو الرتبة في رتب السعادة سوف نؤتيهم بوعد لا خلف
فيه وان تاخر اجورهم الموعودة لهم بايمانهم بالله وكتبه

ورسله

ورسله وقرا حفص بالياء على الغيبة والباقون بالنون وكان
الله غفورا لما يريد من الزلات رحيما اى لمن يريد له
اسعاده بالجنات ونزل لما قال احبار اليهود للنبى صلى
الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب جملة من السما
كما اتى به موسى يسئلك يا محمد اهل الكتاب اى احبارها
اليهود ان تنزل عليهم كتابا من السما جملة كما انزل على
موسى وقيل كتابا بالحرز اى مجلدا مصونا بخط سماوى على
الواح كما كانت التوراة وقيل كتابا نقاءنه حين ينزل او
كتابا الينا باعيانا بانك رسول الله قالوا ذلك تعنتا قال
الحسن لو سالوا الى يبين الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية
وقوله تعالى فقد سالوا اى اباؤهم موسى جواب شرط مقدر
معناه انكر ان استكثرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى
اكبر اى اعظم من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اى عيانا وانما
اسند السوال اليهم واذ وجد من ابايهم فى ايام موسى عليه
الصلاة والسلام وهم النقبا السبعون لانهم كانوا على مذهبهم
وراضين بسوالهم ومتاهبين لهم فى التعنت فاخذتهم
الصاعقة اى عقب هذا السوال وهى نار جات من السما
فاهلكتهم بظلمهم اى بسببه وهو تعنتهم وسوالهم لما
يستحيل فى تلك الحالة التى كانوا عليها وذلك لما يقتضى امتناع
الرويه مطلقا ثم بعد العفو عنهم واحيايهم من اماتة هذه
الصاعقة اتخذوا العجل اى تكلفوا اخذه وجعلوه الها

من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات على وحدانية الله تعالى
وليس المراد التوراة لانها لم تاتهم فيما مضى بل اتتهم بعد فعفونا
عن ذلك اى الذنب العظيم بتوبتنا عليهم من غير
استيصال لهم واتينا موسى سلطانا تسليطا واستيلاء
مبينا اى ظاهرا فانه امرهم بقتل انفسهم توبة من عبادة
العجل فبادروا الى الامتثال ورفعنا فوقهم الطور اى الجبل
العظيم بميثاقهم اى بسبب اخذ الميثاق عليهم ليخافوا
فيقبلوه وقلنا لهم على لسان موسى صلى الله عليه وسلم
والطور مظل عليهم ادخلوا الباب اى الذى لبيت
المقدس سجدا اى سجود انحناء وقلنا لهم ايضا على لسان
داود لا تعدوا اى لا تجاوزوا ما حددناه لكم في السبت اى
لا تعملوا فيه عملا من الاعمال تسمية للشئ باسم سببه سمى
عدوا لان العامل للشئ يكون لشدة اقباله عليه كانه يعدو
ويحتمل ان يكون ذلك على لسان موسى حين ظلل عليهم الجبل
فانه شرع السبت اى ترك العمل فيه ولكن كان الاعتداء في
السبت والمسخ به في زمن داود وقرا ورش بفتح العين
مع تشديد الدال وقرا قالون باختلاس العين مع تشديد
الدال والباقون بسكون العين وتخفيف الدال واخذنا
منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا
ومعاهدتهم على ان يقيموا عليه ثم نقضوه بعد ما قال تعالى
فبما نقضهم اى فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء

للسببية

للسببية متعلقة بمحذوف اى لعناهم بسبب نقضهم
ميثاقهم وكفرهم بايات الله اى القران او بما فى كتابهم وقتلهم
الانبيا بغير حق فانهم معصومون من كل نقيصة ومبرون
من كل ريبة لا يتوجه عليهم حق وقولهم قلوبنا غلف اى
اوعية للعلوم او فى اكنة مما تدعونا اليه فلا تعى كلامك بل
طبع الله اى ختم عليها بكفرهم فلا تعى وعظا فلا يومنون
الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه او ايمانا
قليلا لا عبرة به بان يومنوا وقتا يسيرا كوجه النهار
ويكفروا فى غيره ويومنوا ببعض ويكفروا ببعض وقوله
تعالى وبكفرهم معطوف على فبما نقضهم ويجوز عطفه على
بكفرهم وقد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى
ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فعطف بعض كفرهم على بعض
وكرر البا للفصل بينه وبين ما عطف عليه وقولهم على
مريم اى بعد ما ظهر على يديها من الكرامات الدالة على براتها
وانها ملازمة للعبادة بانواع الطاعات بهتانا عظيما وهو
نسبتها الى الزنا فان قيل كان مقتضى الظاهر ان يقول فى مريم
اجيب بانه ضمن القول معنى الافترا وهو يتعدى بعلى
وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله اى بمجموع
ذلك عذبناهم فان قيل كيف كانوا كافرين بعيسى اعداله
عامدين لقتله يسمونه الساحر بن الساحرة الفاعل بن
الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله

اجيب بانهم قالوه بزعم عيسى عندهم او انهم قالوه على وجه
الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون
قال الزمخشرى ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان
ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه الصلاة
والسلام كما كانوا يذكرونه به انتهى قال الله تعالى تكذيبا لهم
فى قتله **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** اى المقتول
والمصلوب روى النسائى عن ابن عباس ان رهطا من
اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود بقتله فاخبره الله انه يرفعه الله الى
السماء ويظهره فى صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان
يلقى الله عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال
رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان
رجلا ينافق عيسى اى يظهر له الاسلام ويخفى الكفر فلما
اراد قتله قال انا ادلكم عليه فدخل فى بيت عيسى ورفع
عيسى عليه الصلاة والسلام فالقى الله شبهه على المنافق
فدخلوا عليه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقيل
انهم حبسوا عيسى عليه الصلاة والسلام فى بيت وجعلوا
عليه رقيبا فالقى الله شبه عيسى على الرقيب فقتلوه **وان**
الذين اختلفوا فيه اى فى بيان عيسى فانه لما وقعت تلك
الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا له
فقتلناه حقا وتردد اخرون وقال بعضهم انه كان هذا عيسى

فاين

فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن
بدن صاحبنا وكان الله القى شبه وجه عيسى عليه ولم
يلق على جسده وقال من سمع من عيسى ان الله يرفعني الى
السما انه رفع الى السما وقال قوم ملب الناسوت اى الانسا
ومعدا للاهوت اى الالوهية لفى شك منه اى من قتله
ما لهم به اى بقتله من علم وقوله تعالى الا اتباع الظن
استثنا منقطع اى لكن يتبعون فيه الظن الذى يخيلوه
فان قيل قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجايزين
ثم وصفوا بالظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين
ظانين اجيب بان الشك كما لا يطلق على ما لا يترجح احد
طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم فيشمل
الاعتقاد وما قتلوه اى انتفى قتلهم له انتفا يقينا اى انتفاؤه
على سبيل القطع ويجوز ان يكون حالا من واو قتلوه اى ما فعلوا
القتل متيقنين انه عيسى عليه الصلاة والسلام بل فعلوه
شاكين فيه والحق انهم لم يقتلوا الا الرجل الذى القى عليه شبهه
قال البقاعى والوجه الاول اولى لقوله تعالى بل رفعه الله
اليه اى الى مكان لا يصل اليه حكم ادمى وعن وهب انه اوحى
اليه ابن ثلاثين ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين فكانت
رسالته ثلاث سنين وكان الله عزيزا فى ملكه لا يغلب
عما يريد حكيما فى صنعه لا يطمع احد فى نقض شى منه وان
من اهل الكتاب اى وما من اهل الكتاب احد الا

نية

ليؤمنن به اى عيسى عليه الصلاة والسلام هذا قول
اكثر المفسرين واهل العلم قبل موته اختلف فى عود هذا
الضمير فقال عكرمة ومجاهد والضحاك يعود للكتابى اى ان
الكتابى يؤمن بعيسى حين يعاين ملايكة الموت فلا
ينفعه ايمانه سمع احترق او غرق او تردى او سقط عليه
جدار واكله سبع ومات فجاة قيل لابن عباس ارايت ان
ضرب عنق احدهم قال يتلجلج بها لسانه وذهب قوم الى
عود الضمير الى عيسى اى وان من اهل الكتاب الا ليومنن
بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء فى
اخر الزمان فلا يبقى احد الا امن به حتى تكون الملة واحدة
على الاسلام روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان ينزل فيكم عيسى
ابن مريم حكما عدلا فيقتل الدجال ويقتل الخنزير ويكسر
الصليب ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد
ويهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل الدجال فيمكث
فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون
قال ابو هريرة اقرؤا ان شيتم وان من اهل الكتاب الا ليومنن
به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا
ثم يعيدها ابو هريرة ثلاث مرات ولا يعارض هذا ما فى
مسلم فى قصة الدجال ان الله يبعث عيسى بن مريم
فيطلبه فيهلكه ثم يلبث الناس بعده سبع سنين
ليس بين اثنين عداوة لان قوله ثم يلبث الناس بعده

اى بعد

اى بعد موته فلا معارضة اولان السبع محمول على مدة
اقامته بعد نزوله ويكون ذلك مضافا الى مكثه فيه قبل
رفعه الى السماء وكان عمره اذ ذاك ثلاثا وثلاثين سنة
على المشهور وروى عكرمة ان الهاء فى قوله تعالى ليؤمنن
به كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت كتابى
حين يؤمن بمحمد وقيل الهاء راجعة الى الله عز وجل يقول
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بالله عز وجل قبل موته
عند المعاينة حين لا ينفعه ايمانه ويوم القيامة يكون
اى عيسى على القول الاول عليهم شهيدا انه قد بلغهم رسالة
ربه واقر بالعبودية على نفسه كما قال تعالى مخبرا عنه وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم وكل نبى شاهد على امته قال
تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا فبظلم من الذين هادوا وهو ما تقدم ذكره
من نقضهم الميثاق وكفرهم بايات الله وبهتانهم على مريم
وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم اى كان وقع احلالها فى التوراة ثم حرمت عليهم
وهى التى فى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذى ظفر الاية وبصدهم اى الناس عن سبيل الله اى
دينه وقوله تعالى كثيرا صفة مصدر محذوف اى صدا
كثيرا بالاضلال عن الطريق فمنعوا مستلذات تلك المآكل
بما منعوا انفسهم وغيرهم من لذات الايمان واخذهم الربا

وقد اى والحال انهم قد نهوا عنه فى التوراة فكان محرما عليهم
كما هو محرم علينا لانه قبيح فى نفسه مزر بصاحبه وفى الاية
دليل على ان النهى للتحريم واكلهم اموال الناس بالباطل اى من
الرشا فى الحكم والمحل الى التى يصيبونها من عوامهم عاقبناهم
بان حرصنا عليهم طيبات فكانوا كلما ارتكبوا كبيرة حرم عليهم
شيا من الطيبات التى كانت حلالا لهم قال تعالى ذلك جزيناهم
ببغيهم وانا لصادقون واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما
اى مولما دون من تاب وامن ولما بين سبحانه تعالى ما
للمطبوع على قلوبهم الغريقين فى الكفر من العقاب بين
ما للبررة البصائر بالرسوخ فى العلم والايمان من الثواب
فقال لكن الراسخون اى الثابتون المتمكنون فى العلم
منهم اى من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه
والمومنون اى المهاجرون والانصار يومنون بما انزل
اليك اى القران وما انزل من قبلك اى من سايل الكتب
المنزلة وقوله تعالى والمقيمين الصلاة نصب على المدح
لان الصلاة لما كانت اعظم دعايم الدين وكذلك كانت ناهية
عن الفحشاء والمنكر نصبت على المدح من بين هذه
المرفوعات اظهارا لفضلها وحكى عن عايشة رضى الله
تعالى عنها وابان ابن عثمان ان ذلك غلط من الكاتب ينبغى
ان يكتب والمقيمون الصلاة وكذلك قوله فى سورة المايدة
ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصارى

وقوله

وقوله تعالى ان هذان لساحران قالا ذلك من خطا من
الكاتب وقال عثمان ان في المصحف لحنا وستقيمه العرب
بالسنتها فقيل له الا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما
ولا يحرم حلالا وعامة الصحابة واهل العلم على انه صحيح
كما قدمناه وقيل نصب بامضار فعل تقديره اعني المقيمين
الصلاة وقوله تعالى والموتون الزكاة والمؤمنون
بالله واليوم الآخر رجوع الى النسق الاول اولئك سنؤتيهم
بوعد لا خلف فيه على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل
الصالح اجرا عظيما وهو الجنة والنظر الى وجهه الكريم
وقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج
عليهم بان شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء
الذين سلفوا وبدا بذكر نوح عليه الصلاة والسلام
لانه كان ابا البشر مثل ادم عليه الصلاة والسلام قال
الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين ولانه اول نبي
من انبياء الشريعة واول نذير على الشرك واول من عذبت
امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعائه وكان
اطول الانبياء عمرا وجعلت معجزته في نفسه لانه عمر
الف سنة فلم ينقص له سن ولم يشب له شعر ولم
تنقص له قوة ولم يصبر احد على اذى قومه ما صبر هو

على طول عمره وكما اوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق
ابني ابراهيم ويعقوب بن اسحاق والاسباط
اولاد يعقوب سوطاهر هذا انهم كلهم انبيا وهو احد
قولين والقول الاخر ان يوسف هو النبي فقط وعلى هذا
فالمراد المجموع وعيسى وايوب ويونس وهارون
وسليمان واتينا اباه داود زبورا قرا حمزة بضم الزاي
مصدر بمعنى مزبورا اى مكتوبا والباقون بالنصب
على انه اسم للكتاب المؤتى وكان فيه التحميد والتمجيد
والثنا على الله عز وجل كان داود يبرز الى البرية فيقوم
ويقرا الزبور ويقوم معه علما بني اسرايل فيقومون
خلفه ويقوم الناس خلف العلما ويقوم الجن خلف
الناس الاعظم فالاعظم والشياطين خلف الجن وتجي
الدواب التي في الجبال فيقعن بين يديه تعجبا مما يسمعن
منه والطير ترفرف على رؤسهم فلما قارف الذنب
لم يرد ذلك فقيل له ذلك انس الطاعة وهذا وحشة المعصية
قال الاسيوطي في شرح التنبيه ان الزبور مائة وخمسون
سورة ما بين قصار وطوال والطويلة منها قدر
ربع حزب والقصيرة قدر سورة النصر انتهى وعن ابي
موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رايتني
البارحة وانا اسمع لقراتك لقد اعطيت مزمارا من
مزامير داود وكان عمر اذا راه قال ذكرنا يا ابا موسى

فيقرا

فيقرأ عنده وانما خص هؤلاء بالذكر مع اشتمال النبيين
عليهم تعظيما لهم وقوله تعالى ورسلا اى غير هؤلاء انتصب
بمضمر دل عليه اوحينا اليك مثل ارسلنا قد
قصصناهم اى تلوناهم ذكرهم عليك من قبل اى
قبل انزال هذه السورة او هذه الآية ورسلا لم نقصصهم
عليك اى الى الان روى انه سبحانه وتعالى بعث ثمانية
الاف نبى اربعة الاف من بنى اسرائيل واربعة الاف
من سائر الناس قاله الجلال المحلى فى سورة غافر
وقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما هو منتهى مراتب
الوحى اى كلمه على التدريج شيأ فشيأ بحسب المصالح
من غير واسطة ملك فلا فرق فى الوحى بين ما كان
بواسطة وبين ما كان بلا واسطة وخص به موسى
من بين سائر الانبياء غير نبينا واما نبينا صلى الله
عليه وسلم فقد فضله الله بان اعطاه مثل ما اعطى كل
واحد منهم وقوله تعالى رسلا بدل من رسل قبله
مبشرين اى بالثواب من امن ومنذرين اى
مخوفين بالعذاب من كفر وقوله تعالى لئلا يكون للناس
على الله حجة متعلق بارسلنا او مبشرين ومنذرين
اى حجة تقال بعد ارسال الرسل فيقولوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين
فنبعثناهم لقطع عذرهم فان قيل كيف يكون للناس

على الله حجة قبل الرسل وهم مجمعون بما نصبه الله
تعالى من الادلة التي النظر فيها يوصل الى المعرفة اجيب
بان الرسل ينبهون عن الغفلة ويبعثون على النظر في
الادلة فهو بسالهم ضروري وكان الله عزيزا في ملكه لا
يغلب فيما يريده حكيما في صنعه روي ان سعد بن عباده
قال لو رايت رجلا مع امراتي لضربته بالسيف غير
مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله
اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر
منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل
ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه
المدحة من الله ومن اجل ذلك وعد الله الجنة قال ابن
عباس ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد انا سالنا عنك اليهود وعن صفتك في
كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك ودخل عليهم جماعة من
اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم والله انكم
لتعلمون اني رسول الله فقالوا والله ما نعلم ذلك فانزل
الله عز وجل كفى بالله شهيدا اي يبين نبوتك بما انزل
اليك اي من القران المعجز الدال على نبوتك ان جحدوك
وكذبوك انزله متلبسا بعلمه الخاص به وهو العلم
بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ وروي انه لما نزل

انا اوحينا

انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والملائكة
يشهدون لك ايضا وكفى بالله شهيدا على ذلك بما قام
من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان
الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله اى دين
الاسلام بكتمهم دين محمد صلى الله عليه وسلم وهم
اليهود قد ضلوا ضلالا بعيدا عن الحق لانهم جمعوا بين
الضلالة والاضلال وكان المضل بكونه غرق فى الضلال
وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا بالله وظلموا
نبيه بكتمان نعته لم يكن الله ليغفر لهم كفرهم وظلمهم
ولا ليهديهم طريقا من الطرق الا طريق جهنم اى
الطريق المودى اليها خالدين اى مقدرين الخلود فيها
اذا دخلوها واكد ذلك بقوله ابدا لان الله لا يغفر ان
يشرك به وكان ذلك على الله يسيرا اى هينا لا يصعب
عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول محمد
صلى الله عليه وسلم بالحق من ربكم لما قدم من النبوة
وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها
خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد
بالاجابة والوعيد على الرد فامنوا بالله وقوله تعالى
خيرا لكم وكذلك قوله تعالى فى ايات انتهوا خيرا لكم
منصوب بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء
عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اى

اقصدوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو
الايمان والتوحيد وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم
قال البيضاوي ومنعه البصريون لانه كان لا يحذف
مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يودي الى حذف الشرط
وجوابه انتهى وان تكفروا بالله فان لله ما في السموات
والارض ملكا وخلقا فانه غني عنكم فلا يضره كفركم كما
ينفعه ايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات
والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه
وكان الله عليما باحوالكم حكيما اي فيما دبر لهم يا
اهل الكتاب لا تغلوا اي تجاوزوا الحد في دينكم الخطاب
للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بالزنا
والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى
خاصة والمراد بالكتاب الانجيل فانه اوفق لقوله ولا
تقولوا على الله الا القول الحق اي من تنزيهه عن
الشريك والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله
وكلمته القاها اي اوصلها الى مريم وجعلها فيه وروح
اي ذو روح منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل
والمادة له وسمي عيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد
بكلمة وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل
له روح الله وروح منه لانه ذو روح وجسد من غير
جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي

وانما

وانما اختراعا من عند الله وقدرته بان امر
جبريل فنفخ في جيب درعها فحملت به فاضيف اليه تعالى
تشريفا له وليس كما زعم انه ابن الله او الها معه او
ثالث ثلاثة لان الروح مركب والاله منزه عن التركيب
وعن نسبة المركب اليه روى انه صلى الله عليه وسلم
قال من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته
القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله
الله الجنة على ما كان من العمل فامنوا بالله ورسله كما
قالت اى عيسى وغيره ولا تقولوا بعضى وتكفروا
ببعض ولا تقولوا كما قالت النصارى الالهة ثلاثة الله
وعيسى وامه قال تعالى انتهوا عن ذلك وائتوا خيرا لكم
من ذلكم وهو التوحيد انما الله اله واحد اى لا تعدد
فيه بوجه ما سبحانه تنزيها له ان اى عن ان
يكون له ولد اى كما قلتم ايها النصارى فان ذلك يقتضى
الحاجة ويقتضى التركيب والمجانسة ثم علل ذلك
بقوله له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
فلا يتصور ان يحتاج الى شئ منهما ولا الى شئ متميز فيهما
ولا يصح بوجه ان يكون بعضها يملكه المالك جزءا منه
وولدا له لان الملكية تنافي البنوة وعيسى وامه كل منهما
محتاج الى ما في الوجود وكفى بالله وكيلا اى يحتاج اليه

كل شئ ولا يحتاج هو الى شئ فهو غنى عن الولد فان الحاجة
اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه وتعالى قائم بحفظ
الاشياء كلها فى ذلك مستغن عن خلقه او يعينه
روى ان وفد نجران قالوا يا رسول الله لم تعيب صاحبنا
قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شئ اقول قالوا
تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله
قالوا بلى فنزلت قوله تعالى لن يستنكف اى يتكبر
ويأنف المسيح اى الذى زعمتم انه اله ان اى عن ان
يكون عبدا لله فان عبوديته شرف يتباهى بها وانما
المذلة والاستنكاف فى عبوديته غيره وقوله تعالى ولا
الملائكة المقربون اى عند الله عطف على المسيح اى
ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيد الله
وهذا من حسن الاستطراد وذكر للرد على من زعم انها
الهة او بنات الله كما رد بما قبله على النصارى ان ادعى
ذلك المقصود خطابهم فلا حجة فيه على ان الملائكة افضل
من الانبياء كما زعمه بعض المعتزلة قائلا بان المعطوف
اعلى درجة من المعطوف عليه قال الطيبى وانما
تنهض الحجة على النصارى اذا سلموا ان الملائكة افضل
من عيسى ودونه خرط القتاد فكيف والنصارى
رفعوا درجة عيسى الى الالهية فظهر ان ذكر الملائكة
للاستطراد كما رد على النصارى وانه من باب التتميم

لامن باب

لا من باب الترقي انتهى او من باب الترقي في الخلق لا في
المخلوق كما قاله البقاعي قال لان الملايكة اعجب خلقا
من عيسى في كونهم ليسوا من ذكر ولا انثى ولا ما يجانس
عضو البشر فكانوا لذلك اعجب خلقا من ادم عليه
الصلاة والسلام ايضا او في القوة لانهم اقوى من
عيسى لانهم يقتلعون الجبال ويأتون بالمياه العظيمة
والعبادات الدايمة المستمرة ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر اى يطلب الكبر عن ذلك قال الراغب الاستنكا ف
يكبر في تركه انفة والاستكبار بخلافه فسيحشرهم
اى المستكبرين وغيرهم اليه جميعا في الاخرة بوعد
لا يخلف فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
تصديقا لاقرارهم بالايمان فيوفيهم اجورهم اى ثواب
اعمالهم ويزيدهم من فضله اى ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا
واستكبروا عن عبادته فيعذبهم عذابا اليما اى
مولما هو عذاب النار بما وجدوا من لذاذة الترفع والتكبر
ولا يجدون لهم اى حالا ولا مالا من دون الله اى
غيره وليا يدفعه عنهم ولا نصيرا يمنعهم منه يايها
الناس اى كافة اهل الكتاب وغيرهم قد جاكم برهان
من ربكم اى حجة نيرة واضحة مفيدة لليقين التام
وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالادلة القاطعة

من المعجزات وغيرها وانزلنا اليكم نورا مبينا اى واضحا
فى نفسه موضحا لغيره وهو القرآن الجامع باعجازه وحسن
بيانه فلم يبق لكم عذر ولا علة وقيل المراد بالبرهان المعجزات
وبالنور القرآن فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به
فسيدخلهم اى بوعد لا خلف فيه فى رحمة منه اى
ثواب عظيم هو رحمة لهم لا بشئ استوجبوه وفضل
اى احسان زايد عليه ويهديهم اى فى الدنيا والاخرة
اليه صراطا اى طريقا مستقيما وهو الاسلام والطاعة
فى الدنيا والجنة فى الاخرة يستفتونك اى فى الكلالة
حذف لدلالة الجواب عليه روى ان جابر بن عبد الله
قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل
فتوضا وصب على من وضوئه فعقلت وقلت يا رسول
الله لمن الميراث وانما يرثنى كلالة فنزل يستفتونك
قل الله يفتيكم فى الكلالة وقد تقدم معنى الكلالة
وحكم الاية فى اول السورة وفى هذه الاية بيان حكم
ميراث الاخوة للاب والام او للاب وقوله تعالى ان
امرؤ هو مرفوع بفعل يفسره هلك اى مات ليس
له ولد اى ولا والد وهو الكلالة قال الاصبهانى اختلف
ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فى الكلالة فقال ابو
بكر هو ما عدا الوالد وقال عمر ما عدا الوالد والولد ثم قال
عمر انى لاستحى من الله ان اخالف ابا بكر وقوله تعالى

وله اخت يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت
من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة والذى
للام لا يكون عصبة والولد يشمل الذكر والانثى فان
الاخت وان ورثت مع البنت قد لا ترث النصف وذلك
عند تعدد البنت فلها نصف ما ترك وهو اى هذا
الاخ للميت يرثها اى ان ماتت هى وبقى هو جميع مالها
ان لم يكن لها ولد فان كان لها ولد ذكر فلا شئ له او
انثى فله ما فضل عن نصيبها ولو كانت الاخت او
الاخ من الام ففرضه السدس كما مر اول السورة فان
كانتا اى الاختان اثنتين اى فصاعدا لانها نزلت
فى جابر وقد مات عن اخوات فلهما الثلثان مما ترك اى
الاخوان كانوا اى الورثة اخوة رجالا ونساء فللذكر
منهم مثل حظ الانثيين يبين الله لكم اى لم يكلكم
فى بيانه الى بيان غيره من عباده ان اى كراهة ان
تضلوا وقيل ليلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين
وقيل يبين لكم ضلالكم اى الذى من شأنكم اى اذا علمتم
وطبائعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه والله بكل
شئ عليم فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات ومنه
الميراث روى عن البراء رضى الله تعالى عنه انه قال اخر
سورة نزلت كاملة براءة واخر اية نزلت قال السيوطى
اى من الفرائض خاتمة سورة النساء يستفتونك

الاية وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان اخر
اية نزلت اية الربا واخر سورة نزلت اذا جا نصر الله
وروى عنه ان اخر اية نزلت قوله تعالى واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله وروى بعد ما نزلت سورة النصر
عاش النبى صلى الله عليه وسلم عاما فنزلت بعدها
سورة براة وهى اخر سورة نزلت كاملة فعاش النبى صلى
الله عليه وسلم بعدها ستة اشهر ثم نزل فى طريق حجة
الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فسميت
اية الصيف ثم نزل وهو واقف بعرفة اليوم اكملت
لكم دينكم فعاش النبى صلى الله عليه وسلم بعدها احدا
وثمانين يوما ثم نزلت اية الربا ثم نزلت واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله فعاش النبى صلى الله عليه وسلم احد
وعشرين يوما وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن
النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النسا فكانما تصدق
على كل مومن ومومنة ورث ميراثا واعطى من الاجر كمن
اشترى محررا اى رقيقا وحرره وبرى وبرى من الشرك
وكان فى مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم حديث
موضوع

سورة المايدة مدنية

ماية وعشرون اية وثنتان او ثلاث بسم الله
الذى له الامر كله فلا يسيل عما يفعل الرحمن الذى عم

بنعمة

بنعمة ايجاده وبيانه فنعمته اتم نعمة واشمل الرحيم
الذى خص خلص عباده بتوفيقه فاتم نعمته عليهم
واكمل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود اى التى عقدها
الله تعالى على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف
وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات
ونحوها مما يجب الوفا به او يحسن ان حملنا الامر على
المشترك بين الوجوب والندب والعقد العهد شبه
بعقد الحبل ونحو قول الخطيئة قوم اذا عقدوا عقدا
لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا والعناج
حبل يشد فى اسفل الدلو ثم يشد العراقى ليكون عونا
له والكرب الحبل الذى يشد فى وسط العراقى والعرقوتان
الخشبتان المعترضتان على الدلو كالصليب وقوله
تعالى احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود مجملة
فهو شامل لجميع العقود لان ذلك امهات التكاليف وجميع
ما فى هذه السورة من الاحكام تفصيل لذلك فايدة
روى عن ابن مسعود قال انزل الله تعالى فى هذه السورة
ثمانية عشر حكما لم ينزلها فى غيرها قوله تعالى والمنخنقة
والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع وما
ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من
الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وتمام العهد

فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا
تقتلوا الصيد وانتم حرم الاية وما جعل الله من بحيرة
ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام وقال تعالى شهادة بينكم
اذا حضر احدكم الموت وزيد عليه تاسعة عشر وهو
قوله تعالى واذا نوديتم الى الصلاة ليس الاذان ذكر فى
القران الا فى هذه السورة واما ما فى سورة الجمعة فهو مخصوص
بالجمعة وهو فى هذه السورة عام فى جميع الصلوات
والبهيمة كل حى لا يميز اى من شانه انه لا يميز فلا يدخل فى
ذلك المجنون ونحوه والانعام الابل والبقر والغنم وهى
الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش تنبيه
اضافة البهيمة الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه
البهيمة من الانعام فان قيل لم افرد البهيمة وجمع الانعام
اجيب بارادة الجنس وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم
اى تحريمه فى قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الاية استثنا
منقطع ويجوز ان يكون متصلا والتحريم عرض من الموت
ونحوه وقوله تعالى غير محلى الصيد حال من ضمير لكم
وقوله تعالى وانتم حرم مبتدا وخبره فى محل نصب
على الحال من المضمر فى محلى جمع حرام وهو المحرم ان الله
يحكم ما يريد من تحليل وتحريم وغيرهما على سبيل
الاطلاق لا يجب عليه مراعاة مصلحة ولا حكمة خلافا
لقوله المعتزلة فلا يسئل عن تخصيص ولا تفصيل

فافهم

فافهم حكمته فذاك وما لا فكلوه اليه وارغبوا ان
يلهمكم حكمته **يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله**
جمع شعيرة وهو اسم ما اشعر اى جعل شعارا وعلما
للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى
والافعال التى هى علامات الحاج يعرف بها من الاحرام
والطواف والسعى والحلق والنحر وقيل معالم دينه وقيل
فرائضه التى حدها لعباده **ولا** تحلوا **الشهر الحرام** اى
بالقتال فيه قال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنى
عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها
اربعة حرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب فيجوز
ان يكون ذلك اشارة الى جميع هذه الاشهر كما يطلق اسم
الواحد على الجنس لان الاشهر كلها فى الحرمة سواء
ولكن قال الزمخشرى والشهر الحرام شهر الحج **ولا** تحلوا **الهدى**
اى بالتعرض له وهو ما اهدى الى الحرم من النعم **ولا** تحلوا
القلائد اى صاحب القلائد من الهدى وعبر بها بناء
فى تحريمها او القلائد انفسها عن احلالها مبالغة فى
النهى عن التعرض للهدى والقلائد جمع قلادة وهى ما
قلد به الهدى من نعل او غيره ليعلم به انه هدى فلا يتعرض
له **ولا** تحلوا **امين** اى قاصدين **البيت الحرام** لزيارته اى
بان تقاتلوهم **يبتغون** بحجهم **فضلا من ربهم** وهو الثواب
ورضوانا اى وان يرضى عنهم والجملة فى موضع الحال من

المستكن في امين اى لا تعرضوا لهم بهذه صفتهم تعظيما
لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم وقيل معناه يبتغون من
الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم لانهم كانوا يظنون
ذلك فوصفوا به بناء على ظنهم وان الكافر لا نصيب له في
الرضوان كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان المسلمون والمشركون
يحجون جميعا فنهى الله تعالى المسلمين ان يمنعوا احدا من
حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا شعائر الله تعالى الاول الاية
محكمة قال الحسن ليس في المائدة منسوخ وعلى الثاني
قال البيضاوي فالاية منسوخة اى لما فيها من حرمة القتال
في الشهر الحرام ومن حرمة منع المشركين عن المسجد الحرام
والاول منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
والثاني بقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا فقوله منسوخ منزل على هذا لكن اذا قلنا بشمول
آمين للمسلمين والمشركين انما يكون النسخ في حق
المشركين خاصة وهو في الحقيقة تخصيص لا نسخ ففي تسميته
نسخ مسامحة وقرأ شعبة بضم الراء والباقون بالكسر فاذا
حللتم اى من الاحرام وقوله تعالى فاصطادوا اباح
لهم الاصطياد بعد خطره عليهم كانه قيل واذا حللتم
فلا جناح عليكم ان تصطادوا انما في قوله تعالى فاذا قضيت
الصلاة فانتشروا في الارض ولا يجرمنكم اى يحملنكم

او يكسبنكم شنآن قوم اى شدة بغضهم وقرا ابن
عمرو وشعبة بسكون النون بعد الشين والباقون
بنصبها وقوله تعالى ان صدوكم قرا ابن كثير وابو عمرو
بكسر الهمزة على ان الشرطية والباقون بفتحها اى لاجل
ان صدوكم فى عام الحديبية او غيره عن المسجد الحرام
وقوله تعالى ان تعتدوا اى يشتد عدوكم عليهم بان
تشتموا منهم بالقتل وغيره ثانى مفعولى يجرمنكم فانه
يتعدى الى واحد والى اثنين كنسى وتعاونوا على البر
والتقوى اى بفعل ما امر تم به ولا تعاونوا فيه حذف
احدى التاءين فى الاصل على الاثم اى المعاصى للتشفى
والعدوان اى التعدى فى حدود الله للانتقام واتقوا
الله اى خافوا عقابه بان تطيعوه ان الله شديد العقاب
لمن خالفه فانتقامه اشد وقوله تعالى حرمت عليكم
الميتة اى اكلها بيان ما تتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح
من غير ذكاة شرعية والدم اى المسفوح قال تعالى
او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه الى الامعاء
ويشوونها ولحم الخنزير قال العلماء انما يصير جزأ
من جوهر المتغذى ولا بد ان يحصل للمتغذى اخلاق
وصفات من جنس ما كان حاصلا فى الغذاء والخنزير
مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة فى المنهيات
فحرم الله على الانسان ليلا يتكيف بتلك الكيفية

وذلك ان العرب لما واظبوا على اكل لحم الخنزير اورثهم
الحرص العظيم والرغبة الشديدة في المشتهيات واورثهم
عدم الغيرة فان الخنزير يرى الذكر من الخنازير يزني
على الاناث التي له ولا يتعرض لعدم الغيرة **وما اهل**
لغير الله به اى رفع الصوت به لغير الله بان ذبح على اسم
غيره والاهلال رفع الصوت ومنه يقال فلان اهل
بالحج اذا لبى وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى
قال ابن عادل وقدم هنا لفظ الجلالة في قوله لغير الله
به واخرت في البقرة لانها هناك فاصلة او تشبه الفاصلة
بخلافها هنا فان بعدها معطوفات **والمنخنقة** وهي التي
ماتت بالخنق سواء فعل بها ذلك ادمى ام اتفق لها ذلك
والموقوذة وهي التي وقذت اى ضربت حتى ماتت
ويدخل في الموقوذة مارمى بالبندق فمات **والمتردية** اى
الساقطة من علو بان سقطت من جبل او مشرف او في
بئر فماتت ولو رمى صيدا في الهوى بسهم فاصابه فسقط
على الارض ومات حل لان الوقوع على الارض من ضرورته وان
سقط على جبل او شجر ثم تردى منه فمات لم يحل لانه
من المتردية الا ان يكون السهم ذبحه في الهوى فيحل
كيفما وقع لان الذبح قد حصل قبل التردية بتنبيه دخلت
الهاء في هذه الكلمات لان المنخنقة هي الشاة المنخنقة كانه
قيل حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية

وخصت

وخصت النساء لانها من اعم ما يأكل الناس والكلام
يخرج على الاعم وكون المراد الاكل واما المعانى قوله تعالى
والنطيحة وهى التى تنطحها اخرى فتموت فللنقل
من الوصفية الى الاسمية والافكان من حقها ان تدخلها
تا التانيث كقتيل وجريح ومافى قوله تعالى وما اكل السبع
بمعنى الذى وعائده محذوف اى وما اكله السبع ولا بد
من حذف ولهذا قال الزمخشرى وما اكل بعضه السبع وهذا
يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت ما اصطادته لم يحل
اكله وقوله تعالى الا ما ذكيتم استثناء متصل اى الا
ما ادركتم ذكاته وصار فيه حياة مستقرة من ذلك فهو
حلال وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع وقيل
الاستثناء منقطع اى ولكن ما ذكيتم من غيرها فحلال
او فكلوه وكان هذا القايل راى انها وصلت بهذه الاسباب
الى الموت او الى حالة قريب منه فلم تغد تذكيتها عندئذ
شيأ وقيل الاستثناء من التحريم لا من المحرمات اى حرم
عليكم ما مضى الا ما ذكيتم فانه لكم حلال فيكون الاستثناء
منقطعا ايضا واقل الذكاة فى الحيوان المقدور عليه قطع
الحلقوم والمرى وكماله اى قطع الودجين معهما وهما
عرقان فى صفحتى العنق ويجوز بكل محدود يجرح من
حديد او قصب او زجاج او غيره الا السن والظفر لقوله
صلى الله عليه وسلم ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه

وكلوه لعيب السن والظفر وقوله تعالى وما ذبح على
النصب في محل رفع عطفا على الميتة اى وحرم عليكم
ذلك والنصب واحد الانصاب وهي حجارة كانت
حول الكعبة فيذبح عليها تقربا اليها وتعظيما لها
وقيل هي الاصنام لانها تنصب لتعبد وعلى بمعنى اللام
او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل
هو جمع والواحد نصاب ويدل للاول قول الاعشى
وذا النصب المنصوب لا تعبدنه ولا تعبد الشيطان ه
٣ فاعبدا وقوله تعالى وان تستقسموا بالازلام
في محل رفع ايضا عطفا على الميتة اى وحرم عليكم ذلك
والازلام جمع زلم بفتح الزاى وضمها مع فتح اللام فدح بكسر
الفاء صغير وهو سهم لا ريش له ولا نصل وذلك انهم
كانوا اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب
على احدها امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي والثالث
غفل اى لا سمة عليه فان خرج الامر مضوا على ذلك
وان خرج الثاني تجنبوا عنه وان خرج الغفل اداروها
ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم
دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو قسمة الجزور بالاقداح
على الانصباء المعلومة وقوله تعالى ذلكم فسق اشارة
الى ما ذكر تحريمه اى خروج عن الطاعة وقيل اشارة
الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب

الذى

الذى استأثر به علام الغيوب وقد قال تعالى قل لا يعلم
من فى السموات والارض الغيب الا الله وضلال باعتقاد
ان ذلك طريق اليه وقوله امرنى ربى ونهانى ربى
افترا على الله عز وجل ان كان اراد بزنى الله وما يدريه
ان الله امره او نهاه فالكهنة والمنجمون بهذه المثابة
وجهالة وشرك ان اراد به الصنم وقوله تعالى اليوم
لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به
وما ابينه من الازمنة الماضية والاتية وقيل الالف
واللام للعهد قيل اراد يوم نزولها وقيل نزلت يوم
الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع وقيل
هو يوم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة سنة تسع
وقيل ثمان وقوله تعالى يئس الذين كفروا من دينكم
فيه قولان احدهما ييسوا من ان يحلوا هذه الخبايثة
بعد ان جعلها الله تعالى محرمة والثانى ييسوا من
ان يغلبوكم على دينكم فترتدوا عنه فقد ظهر فى ذلك
لما راوا من قوته لانه تعالى كان وعد باعلاء هذا الدين
على كل الاديان بقوله تعالى ليظهره على الدين كله
فحقق ذلك النصر وازال الخوف فلا تخشوهم ان يظهروا
عليكم واخشون اجمع القراء السبعة على حذف الياء
بعد النون لحذفها فى الرسم واخلصوا الخشية لى
وحدى فان دينكم قد اكتمل بدره وجل عن انحاق محله

وقدم ورضى به الامر ومكنه على رغم انوف الاعدا
وهو قادر وذلك قوله تعالى مسوقا مساق التعليل
اليوم اكملت لكم دينكم اى الذى ارسلت به اكمل
خاتمى صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية يوم الجمعة
يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع والنبى صلى الله
عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته القصباء فكادت
عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت وعن عمر رضى
الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المومنين
اية فى كتابكم تقرونها لو علينا معاشر اليهود نزلت
لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اى اية قال اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام
دينا قال عمر قد عرفنا ذلك والمكان الذى انزلت فيه
على النبى صلى الله عليه وسلم وهو قايم بعرفة يوم الجمعة
اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا قال ابن عباس كان
ذلك اليوم خمسة اعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود
وعيد النصارى والمجوس ولم يجتمع اعياد اهل الملل
فى يوم قبله ولا بعده وروى لما نزلت هذه الاية بكا
عمر رضى الله عنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
ما يبكيك يا عمر قال ابكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاذا
كمل لم يكمل شى الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية
نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين

يوما

يوما ومات يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين
خلتا من شهر ربيع الاول سنة احد وعشرين من الهجرة
وقيل توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول وكانت
هجرته في الثاني عشر منه فقوله تعالى اليوم اكملت
لكم دينكم اي الفرايض والسنن والحدود والجهاد
والحلال والحرام ما لم ينزل بعد هذه الاية حلال ولا حرام
ولا شيء من الفرايض وهذا معنى قول ابن عباس وقال
سعيد بن جبير وقتادة اليوم اكملت لكم دينكم فلم يحج
معكم مشرك وقيل اظهرت دينكم وامنتكم من العدو
فان قيل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يقتضي ان
الدين كان ناقصا قبل ذلك وذلك يوجب ان الدين الذي
كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم اكثر عمره كان ناقصا
وانما وجد الدين الكامل في اخر عمره مدة قليلة اجيب
بان الدين لم يكن ناقصا بل كان ابدا كاملا وكانت الشرايع
النازلة من عند الله في كل وقت كافية في ذلك الوقت
الا انه تعالى كان عالما في اول وقت المبعث بان ما هو
كامل في ذلك اليوم ليس بكامل في الغد ولا مصلحة فيه
فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان ينزل بعد العدم
واما في اخر زمان المبعث فانزل شريعة كاملة وحكم
ببقايها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان
الاول كمال الى زمان مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة

فلهذا قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
بما كمله وقيل بدخوله مكة آمنين ورضيت اى اخترت
لكم الاسلام دينا من بين الاديان وهو الذى عند الله
لا غير قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه وقوله تعالى فمن اضطر متصل بذكر المحرمات
وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان
تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة
التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى
تناول شئ من هذه المحرمات فى مخمصة اى مجاعة
غير متجانف اى مائل لاثم اى معصية بان يتناول
ما كل ذلك تلذذا ومجاوزا حد الرخصة كقوله تعالى
غير باغ ولا عاد فان الله غفور له ما اكل رحيم به
فى اباحته فلا يواخذه ومن المائل الى الاثم قاطع الطريق
ونحوه فلا يحل له الا كل مما ذكر قرا ابو عمرو وعاصم
وحمزة بكسر نون فمن اضطر فى الوصل والباقون
بالضم يسيلونك يا محمد ماذا احل لهم من الطعام
وانما اتى بقوله لهم بلفظ الغيبة لتقديم ضمير الغيبة
فى قوله تعالى يسيلونك ولو قيل فى الكلام ماذا احل
لنا لكان جايزا على حكاية الجملة كقولك اقسم زيد
ليضربن ولاضربن بلفظ الغيبة والتكلم الا ان ضمير
التكلم يقتضى حكاية ما قالوا كان لاضربن يقتضى

حكاية

حكاية الجملة المقسم عليها وماذا مبتدا واحل لهم خبره
كانه قيل اى شى احل لهم منها فقال تعالى قل لهم احل لكم
الطيبات اى ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات
تحريمه فى كتاب او سنة او قياس مجتهد ولا مستقذر
من ذوى الطباع السليمة وهذا يشمل كل ما ذكى وهو
ماذون فى ذبحه مما كانوا يحرمونه على انفسهم من
السايبة وما معها وكل ما اذن فيه من غير ذكاة كحيوان
البحر وما اذن فيه من غير المطاعم وقوله تعالى وما
علمتم من الجوارح معطوف على الطيبات اى احل لكم
الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف للعلم به
والجوارح جمع جارحة من سباع البهايم والطير كالكلب
والفهد والنمر والعقاب والصقر والباز والشاهين
والها للمبالغة سميت بذلك لان الجرح الكسب لانها
تكسب الصيد ومنه قوله تعالى ويعلم ما جرحتم
بالنهار اى كسبتم اولانها تجرح الصيد غالبا وقوله
تعالى مكلبين حال من ضمير علمتم اى حال كونكم معلمين
هذه الكواسب الصيد والكلب المؤدب للجوارح
ومعربها ماخوذ من الكلب بسكون اللام وهو الحيوان
النابح لان التاديب اكثر ما يكون فى الكلاب فاخذ من
لفظه لكثرته فى جنسه اولان السبع يسمى كلبا ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم فى عتبة بن ابى لهب حين اراد

سفر الشام فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقوله
تعالى تعلمونهن حال ثانية من ضمير علمتم او ه
استيناف فان قيل ما فايدة هذه الحال وقد استغنى
عنها بعلمتم اجيب بان فايدتها ان تكون من تعلم
الجوارح فقيها عالما بالشرايط المعتبرة في الشرع لحل
الصيد وفي هذا فايدة جليلة وهي ان على كل طالب التقى
ان لا ياخذه الا من اجل العلما به واشدهم دراية له و
واغوصهم على لطايفه وحقايقه وان احتاج الى ان
يضرب اليه اكباد الابل فكم من اخذ من غير متقن قد
ضيع ايامه وعض عند لقا العلما بنان ملله مما علمكم
الله اى من علم التكليب لانه الهام من الله تعالى او
مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه او مما علمكم ان
تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره
بزجره وانصرافه بدعايه وامساك الصيد عليه
وان لا ياكل منه وكلوا مما امسكن اى الجوارح مستترا
امساكها عليكم اى على تعليمكم وان قتلته بان لم تاكل
منه بخلاف غير المعلمة فانه يحل صيدها والتعلم فيها
ثلاثة اشيا اذا انشلت انشلت واذا زجرت انزجرت
واذا اخذت الصيد امسكت ولم تاكل منه واقل ما
يوقف به ذلك ثلاث مرات فان اكلت منه فليس مما

امسكن

امسكن علي وما حبها فلا تاكل اكله كما في حديث الصحيحين
وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه وعن علي
رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تاكل وان هذا ذهب
اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع
الطير لان تعود الى هذا الحد متعذر وقال اخرون
لا يشترط مطلقا وفي هذا الحديث ان صيد السهم اذا
ارسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح
واذكروا اسم الله عليه في هذه الكناية ثلاثة اوجه
احدها انها تعود الى المصدر المفهوم من الفعل وهو
الاكل كانه قيل واذكروا اسم الله على الاكل ويؤيده قوله
صلى الله عليه وسلم سم الله وكل مما يليك الثاني انها
تعود على ما علمتم اي اذكروا اسم الله على الجوارح عند
ارسالها على الصيد ويؤيده قوله صلى الله عليه
وسلم اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه الثالث
انها تعود على ما امسكن اي اذكروا اسم الله على ما
ادركتم ذكاته مما امسكن عليكم الجوارح واتقوا الله
اي في محرماته ان الله سريع الحساب فيواخذكم بما جل
ودق وقوله تعالى اليوم الكلام فيه كالكلام فيما قبله
احل لكم الطيبات اي المستلذات وطعام الذين
اوتوا الكتاب اي ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل
في دينهم قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم حل اي

اى حلال لكم فاما من دخل فى دينهم بعد المبعث فلا
تحل ذبيحتهم ولو ذبح يهودى او نصرانى على اسم غير
الله كالنصرانى يذبح على اسم المسيح لم تحل ذبيحته واما
المجوسى فقد سن بهم سن اهل الكتاب فى تقريرهم بالجزية
دون اكل ذبايحهم ونكاح نسايهم قال صلى الله عليه وسلم
سنوا بهم سنة اهل غير نا كى نسايهم ولا اكلى ذبايحهم
رواه الامام مالك وطعامكم اياهم حل لهم فلا عليكم
ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك
والمحصنات من المومنات اى الحرايرو المحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ويعم اليهود
والنصارى اى حل لكم ان تنكحوهن وان كن حربيات
وقال ابن عباس لا تحل الحربيات واما الاماء المسلمات
فيحل نكاحهن فى الجملة بخلاف الاماء الكتابيات فلا يحل
نكاحهن عندنا ويحل عند ابى حنيفة رحمه الله اذا
اتيتموهن اجورهن اى مهورهن وتقييد الحل باتيانها
لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وان من تزوج امراة
وعزم ان لا يعطى صداقها كان فى صورة الزانى وورد
فيه حديث وتسميته بالاجر يدل على انه لا حد لاقله
كما ان اقل الاجر فى الاجارة لا يتقدر محصنين اى
قاصدين الاعفاف والعفاف وقيل متزوجين غير
مسافحين اى معلنين بالزنا بهن ولا متخذى اخدان

اى مسرين

اى مسمرين بالزنا منهن والخدن الصديق يقع على
الذكر والانثى قال الشعبى الزنا ضربان السفاح وهو
الزنا على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن وهو الزنا والله
تعالى حرمهما فى هذه الاية واباح التمتع بالمراة على جهة
الاحصان وهذه الاية مخصصة لقوله تعالى ولا تنكحوا
المشركات حتى يومن فبقى على التحريم ما تضمنته تلك ما
عدا الكتابيات من الوثنيات وغيرهن من جميع المشركات
حتى المنتقلة من الكتابيات من دينها الى غير دين الاسلام
وقرا الكسائى بكسر صاد المحصنات والباقون بنصبها
وقوله تعالى ومن يكفر بالايمان اختلف المفسرون
فى معناه فقال ابن عباس ومجاهد ومن يكفر بالايمان
اى بالله الذى يجب الايمان به وانما حسن هذا المجاز
لانه يقال رب الايمان ورب الشئ على سبيل المجاز وقال
الكلبى ومن يكفر بالايمان اى بكلمة التوحيد وهى
شهادة ان لا اله الا الله لان الايمان من لوازمها
واطلاق الشئ على لازمه مجاز مشهور وقال قتادة
ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم مع
كونهم من غير ديننا فانزل الله هذه الاية ومن يكفر
بما انزل فى القران فهو كذا وكذا فسمى القران ايمانا لانه
مشتمل على بيان كل ما لا بد منه فى الايمان والمراد من
ذلك ان ياتى بشئ يصير به مرتدا فقد حبط اى فسد

عمله الصالح قبل ذلك اذا اتصل ذلك بالموت بدليل
قوله تعالى وهو في الاخرة من الخاسرين وقوله تعالى
في اية اخرى فيمت وهو كافر اما من اسلم قبل الموت
فان ثوابه يفسد دون عمله فلا يجب عليه اعادة
حج قد فعله ولا صلاة قد صلاها قبل الردة يا ايها الذين
امنوا اذا قمتم الى الصلاة اى اردتم القيام اليها كقوله
تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة
الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من
اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل
عن الارادة وظاهر الاية الكريمة يوجب الوضوء على كل
قايم الى الصلاة وان لم يكن محدثا لكن صدعه الاجماع
لما روى انه صلى الله عليه وسلم صلى الخمس بوضوء واحد
يوم الفتح فقال له عمر صنعت شيا لم تكن تصنعه فقال
عمدا فعلته فقيل هو مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا
قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل
كان ذلك اول الامر ثم انسخ قال البيضاوي وهو ضعيف
لقوله صلى الله عليه وسلم المايدة من اخر القران
نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم
اى امروا الما عليها ولا يجب ذلك خلافا لمالك رحمه الله تعالى
واغسلوا ايديكم الى المرافق اى معها ان وجدت
وقدرها ان فقدت لما روى مسلم عن ابي هريرة رضي

انظر ما فايدة العمل من غير ثواب
والجواب والله اعلم ان الصلاة

الله

الله عنه في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه توضأ فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل
يده اليمنى حتى اشرع في العضد الى والى للاجماع او ان
الى في الآية بمعنى مع كما في قوله تعالى من انصاري الى
الله ويزدكم قوة الى قوتكم او تجعل اليد التي هي حقيقة
الى المنكب مجازا الى المرفق مع جعل الى غاية للغسل
الداخلة هنا في المغيا بقرينتي الاجماع والاحتياط
للعبادة والمعنى اغسلوا ايديكم من رؤس اصابعها
الى المرافق وتجعل باقية على حقيقتها الى المنكب مع
جعل الى غاية للترك المقدر فتخرج الغاية والمعنى اغسلوا
ايديكم واتركوا منها الى المرافق والمرافق جمع مرفق بفتح
الميم وكسر الفاء على الفصيح من اللغة وهو مفصل ما
بين العضد والمعصم ولو قطع بعض ما يجب غسله
وجب غسل الباقي لانه الميسور لا يسقط بالمعسور
وان قطع من المرفق فان سل عظم الذراع وبقي عظمان
المسميان براس العضد وجب غسل راس عظم
العضد لانه من المرفق وهو مجموع العظمين والجلدة
الداخلة بينهما وان قطع من فوق المرفق ندب غسل
باقي عضده وامسحوا برؤسكم اي ببعضها لما روي انه
صلى الله عليه وسلم مسح بناصيته وعلى عمامته واكتفى
بمسح البعض لانه المفهوم من المسح عند اطلاقه

ولم يقل احد بوجوب خصوص الناصية وهي الشعر الذي
بين الترعتين والاكتفاء بها يمنع وجوب الاستيعاب
ويمنع وجوب التقدير بالربع او الاكثر لانها دونه والباء
اذا دخلت على متعد كما في الآية تكون للتبعيض او
على غلطه كما في قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق
تكون للالصاق فان قيل صيغة الامر تمسح الراس
والوجه في التيمم واحدة فهلا اوجبتم التعميم اجيب
بان المسح ثم بدل للضرورة فاعتبر مستند
له ومسح الراس اصل فاعتبر لفظه فان قيل المسح
على الخف بدل فهلا وجب تعميمه كمبدله اجيب
بقيام الاجماع على عدم وجوبه ولا فرق بين ان يمسح
على بشرة الراس او شعورها ولو شعرة واحدة في حد
الراس بان ذلك يصدق عليه مسما الراس عرفا اذ الراس
اسم لما راس وعلى وقوله تعالى وارجلكم قراءة نافع
وابن عامر وحفص والكسائي بنصب اللام عطفا على
وجوهكم وقيل على ايديكم والباقون بالكسر عطفا
على الجوار ومنهم من عطف على المجرور على قراءة الجره
والممسوح ليفيد مسح الخف وعطف على المنصوب
على قراءة النصب على المغسول ليفيد غسل الرجل
المجردة منه فيفيد كل من القراءتين غير ما افادته
الاخرى وقوله تعالى الى الكعبين وهما العظمان

الناتيان

الثانيتان في كل رجل مرة جانبين عند مفصل الساق
والقدم دل على دخولهما في الغسل ما دل على دخول
المرفقين فيه وقد مر تنبيه الغسل بين الايدي
والارجل المغسولة بالراس الممسوح فيه دليل على
وجوب الترتيب في طهارة هذه الاعضاء وعليه الشافعي
رضي الله عنه ولو قطع بعض القدم وجب غسل الباقي
وان قطع فوق الكعب فلا فرض عليه وندب غسل الباقي
كما مر في اليدين ويوخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره
من العبادات وان كنتم جنبا من جماع وغيره
فاطهروا اي بالغسل لجميع البدن لانه اطلق وفي
يخص الاعضاء كما في الوضوء وان كنتم مرضى اي مرضا
يضر الماء او على سفر اي مسافرين سفرا مباحا
طويلا او قصيرا او جاء احد منكم من الغائط اي
الموضع المطمئن من الارض الذي تقضى فيه حاجة
الانسان التي لابد منها سمي باسمه الخارج للمجاورة
قيل وفي ذلك حكمة وهي شديدة عجز الانسان لئلا
عن اعجابه وكبره وترفعه وفخره كما حكي ان بعض ملوك
الامم التي بعض البلاد فلم يفسح له فغضب وقال اما
ما تعرفني فقال بلى والله لاعرفك اولك نطفة مذرة
واخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة
وقرا قالون والبزي وابو عمرو باسكان الميم الاولى

مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الهمزة الثانية
وحقق الباقون الهمزتين معا او لامستم النسا بالذكر
او غيره امنيتم امرا او قراحمة والكسائي بغير الف
بين اللام والميم والباقون بالالف فلم تجدوا ماء بعد
طلبه لفقده حسا او معنى بالعجز عن استعماله
للمرض بجرح او غيره فتيمموا اى اقصدوا صعيدا
اى ترابا طيبا اى طهورا خالصا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم مع المرفقين منه بضربتين والها للالصاق
وبينت السنة ان المراد استيعاب العضوين بالمسح
وتقدم مثل هذه الاية فى النسا قال البيضاوى ولعل
تكريرها ليتصل الكلام فى بيان اتمام الطهارة ما يريد
الله ليجعل عليكم من حرج اى ضيق بما فرض عليكم
من الوضوء والغسل والتيمم ولكن يريد ليطهركم
من الاحداث والدنس فان الوضوء تكفير للذنوب
وليتم نعمته عليكم ببيان شرايع الدين لعلكم
تشكرون نعمه فيثيبكم قال البيضاوى والاية مشتملة
على سبعة امور كلها مبنى طهارة بان اصل وبدل
والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير
المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار
المحل محدود وغير محدود وراء التيمم مايع وجامد
وموجبها حدث اصغر واكبر وان المسح الى البدل

مرض

مرض او سفر وان الموعود عليه تطهير الذنوب
واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم اى فى هدايته
كم الى الاسلام بعد ان كنتم على شفا حفرة من النار
فانقذكم منها وفى غير ذلك من جميع النعم لعله ذكر المنعم
ويرغبكم فى شكره لان لكثرة النعم توجب على المنعم
عليها الاشتغال بخدمة المنعم والانقياد لاوامره
ونواهيه قال تعالى نعمة الله ولم يقل نعم الله لان
هذا الجنس لا يقدر عليه الا الله لان نعمة الحياة
والصحة والعقل والهداية والصون من الافات
وايصال الخيرات فى الدنيا والاخرة لا يعلمه الا الله تعالى
فانه المراد التامل فى هذا النوع من حيث انه ممتاز
عن نعمة غيره فان قيل قوله تعالى واذكروا نعمة الله
يشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانها
مع انها متواترة متوالية علينا فى جميع الساعات
والاوقات اجيب بانها لكثرتها وتعاقبها صارت كالامر
المعتاد فصار غاية ظهورها وكثرتها سببا لوقوعها
فى محل النسيان واذكروا ميثاقه اى عقده الوثيق
الذى واثقكم به اى بواسطة رسوله صلى الله
عليه وسلم حين بايعكم ليلة العقبة على السمع والطاعة
فى العسر واليسر والمنشط والمكره والمنشط مفعل
من النشاط وهو الامر الذى ينشط له والمكره

مفعل من الكره وهو الامر الذى تكرهه النفس واضاف
الميثاق العباد من رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى نفسه كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله والكد ذلك بانكم التزمتموه اذا اى حين قلتم
سمعنا واطعنا وفى ذلك تذكير بما اوجب الله له
صلى الله عليه وسلم عليكم من الشكر بهدايته لكم
الى الاسلام ثم حذركم عن نقض تلك العهود بقوله
واتقوا الله اى فى ميثاقه اى تنقضوه ان الله
الذى له صفات الكمال عليم اى بالغ العلم بذات
الصدور اى بما فى القلوب فبغيره اولى فيجازيكم عليها
فضلا عن جليات اعمالكم وقيل المراد بالميثاق هنا
الذى اخذه الله منهم حين اخرجهم من ظهور ادم
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى قاله
مجاهد وقيل المراد به الدلائل العقلية والشرعية التى
نصبها الله على التوحيد والشرايع على السدى
وادغم ابو عمرو القاف فى واثقكم فى الكاف بخلاف عنه
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله كونوا قوامين
اى مجتهدين فى القيام لله تعالى بحقوقه شهدا
اى متيقظين محضرين انها مكم غاية الاحضار بحيث
لا يشذ عنها بشى مما تريدون الشهادة به بالقسط
اى العدل ولا يجرمنكم اى ولا يحملنكم شنان اى

شدة بغض قوم اى الكفار على ان لا تعدلوا فتعتدوا
عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نسائهم
وصبيانهم ونقض عهدهم تشفيا مما فى قلوبكم اعدلوا اى
تحروا العدل سواء قصدوه فى كل شئ هو اى العدل
اقرب من تركه للتقوى لكونه لطفا فيها وفيه
تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم
اعداء الله اذا كان بهذه الصفة فالظن بوجوبه
مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه تنبيه
يؤخذ من هذا ان التكاليف مع كثرتها محصورة فى
نوعين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله
فقوله تعالى كونوا قوامين لله اشارة الى التعظيم
لامر الله ومعنى القيام هو ان تقوم لله بالحق فى كل
ما يلزمكم وقوله تعالى شهداء بالقسط اشارة الى
الشفقة على خلق الله وفيه تنبيهان الاول قال عطا
لا تخاف فى شهادتك احدا ولا تكتم شهادتك ولا تمنع
شهادتك اعداءك واصدقاءك الثانى امرهم بالصدق
فى افعالهم واقوالهم وقدم نظير هذه الاية فى النساء
الا ان هناك قدم لفظة القسط وهنا آخر قال
ابن عادل فكان الغرض فى ذلك والله اعلم ان اية النساء
جرى بما فى معرض الاقرار على نفسه ووالديه واقاربه
فبدا فيها بالقسط الذى هو العدل من غير محاباة

نفس ولا والد ولا قرابة والتي هنا جي بها في معرض ترك
العداوة فبدا فيها بالامر بالقيام به لانه اردع للمومنين
ثم يثني بالشهادة بالعدل فجي في كل معرض بما يناسبه
وقال البيضاوي وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب
كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود
ولمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثايرة
الغيظ واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم
به وعد الله الذين امنوا اي اقروا بالايمان بالسنتهم
وعملوا تصديقا لهذا الاقرار الصالحات وحذف ثاني
مفعولي وعد استغنا بقوله لهم مغفرة واجر عظيم
فانه استيناف يبينه وقيل الجملة في موضع المفعول
فان الوعد ضرب من القول لانه لا ينعقد الا به فكانه
قال وعدهم هذا القول والاجر العظيم هو الجنة والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم اي النار
الذي اشتد توقدها فاشتد احمرارها فلا يراها
احد الا احجم عنها فيلقون فيها ثم يلازمونها فلا ينفكون
عنها كما هو شان الصاحب وهذا من عادة الله
سبحانه وتعالى انه يتبع حال احد الفريقين حال
الفريق الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد
للمومنين وتطييب لقلوبهم يايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم رسمت هنا نعمت بالتا

فوق

فرق فوقف عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالها
والباقون بالتا وفي الوصل الجميع بالتا روي ان المشركين
راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى
صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان وهو
واد بينه وبين مكة مرحلتين في غزوة ذي المنار
فلما صلوا ندموا ان لا كانوا كبوا عليهم فقالوا ان لهم
بعدها صلاة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم يعنون
صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها
فنزل جبريل عليه السلام بصلاة الخوف رواه مسلم
وغيره والاية اشارة الى ذلك وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الخلفا الاربعة
يستقرضهم اي يطلب مالا قرضا لدية مسلمين
قتلهما عمرو ابن امية الضمري خطا يحسبهما مشركين
لكن في رواية البيهقي ان المقتولين كانا معاهدين
لا مسلمين وان الخروج كان لبني النضير لا الى قريظة
فقالوا نعم يا ابا القاسم وكانوا قد عاهدوا النبي صلى
الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى ان يعينوه في
الديات فقالوا قد ان لك ان تاتينا وتسالنا حاجة
اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسالنا فجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وخلا
بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه

الان فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا
منه فقال عمرو بن جحاش انا فجا الى رحا عظيمة ليطرحها
عليه فامسك الله تعالى يده فنزل جبريل عليه السلام
فاخبره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا
الى المدينة ثم دعا عليا وقال لا تبرح مقامك فمن خرج
عليك من اصحابي فسال عني فقل توجه الى المدينة
ففعل ذلك حتى تناهوا اليه ثم تبعوه وقيل نزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم منزلا وتفرق الناس في
العضاة يستظلون فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلاحه بشجرة فجا اعرابي فسل سيف رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال
الله فاسقطه جبريل من يده فاخذه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا احد
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم ليفتكوا بكم
يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه
يده اذا بطش به قال تعالى ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش
به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع
بمعنى فكف ايديهم عنكم ان منعها ان تمد اليكم
ورد مضرتها عنكم واتقوا الله في جميع اموركم وعلى

الله

الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع
الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل اى العهد الموثق
بما اخذ عليكم من السمع والطاعة وبعثنا منهم اثنى
عشر نقيبا اى شاهدا على كل سبط نقيب يكفلهم
بالوفا بما عليهم الوفا به كما بعثنا منكم ليلة العقبة اثنى
عشر نقيبا واخذنا منكم الميثاق على ما احاله الاسلام
والنقيب الذى ينقب عن احوال القوم كما قيل له عريف
لانه يتعرفها ومن ذلك المناقب وهى الفضايل لانها
لاتظهر الا بالتنقيب عنها روى ان بنى اسرايل لما
استقروا بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله تعالى
بالمسير الى ارض الشام وكان يسكنها الكنعا
نيون
الجبابرة وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا
اليها وجاهدوا فيها وانى ناصركم وامر موسى صلوات
الله وسلامه عليه ان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون
كفيلا على قومه بالوفا بما امروا به يوثقه عليهم
واختار النقبا وسارهم فلما دنا من ارض كنعان بعث
النقبا يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة
وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم
موسى ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا
من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرايم
ابن يوسف وكانا من النقبا وقال لهم الله انى معكم

بالعون والنصرة لان لام قسم اقمتم الصلاة التي
هي وصلة العبد والخالق بجميع شروطها واركانها
واتيتم الزكاة التي تقرب العبد الى الله عز وجل
وامنتم برسلي اي بجميع الرسل وعزرتموهم
اي نصرتموهم وقيل التوقير التعظيم وقيل هو
الثناء بخير قاله يونس وهو قريب من الثاني فان
قيل لم اخر الايمان بالرسل عن اقام الصلاة واتيا
الزكاة الا انهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل مع انه مقدم
عليهما اجيب بان اليهود كانوا مقرين بانه لابد في
حصول النجاة من اقام الصلاة واتيا الزكاة الا انهم كانوا
مصرين على تكذيب بعض الرسل فذكر انه بعد اقام
الصلاة واتيا الزكاة لابد من الايمان بجميع الرسل حتى
يحصل المقصود والا لم يكن لاقام الصلاة واتيا الزكاة
تاثير في حصول النجاة بدون الايمان بجميع الرسل فان
قيل قوله تعالى واقرضتم الله قرضا حسنا داخل
تحت اتيا الزكاة فما فايدة اعادته اجيب بان المراد
بالزكاة الواجبة وبالقرض الصدقة المندوبة وخصها
تنبيها على شرفها وقرضا يحتمل المصدر والمفعول به
ولما كان الانسان محل النقصان فهو لا ينفك عن زلل
او تقصير وان اجتهد في صلاح العمل قال سد الجواب
القسم المدلول عليه باللام في لئن مسد جواب الشرط

لاكفرن

لاكفرن اى لاسترن عنكم سيئاتكم اى فعلكم الذى
من شانه ان يسوء ولادخلنكم اى تفضلا ورحمة
منى جنات تجرى من تحتها الانهار اى من شدة
الرى فمن كفر بعد ذلك الميثاق منكم فقد ضل
اى ترك وضيع سواء السبيل اى اخطا طريق الحق
والسوا فى الاصل الوسط فان قيل من كفر قبل ذلك
ايضا فقد ضل سواء السبيل اجيب بان الضلال بعده
اظهر واعظم لانه الكفر بعد البيان العظيم فهو اعظم
من غيره لانه قد يكون له قبل ذلك شبهة يتوهم له معذرة
وقرا قالون وابن كثير وعاصم باظهار دال قد عند الضاد
والباقون بالادغام وقد تقدم ولما نقضوا الميثاق مرة
بعد مرة بتكذيب وقتل الانبيا وكتمهم صفة النبى صلى الله
عليه وسلم كما تقدم فى سورة البقرة قال تعالى فبما مازيدة
للتاكيد نقضهم ميثاقهم لعناهم قال عطا ابعدناهم
من رحمتنا وقال الحسن ومقاتل مسخناهم قردة وخنازير
وقال ابن عباس ضربنا الجزية عليهم وجعلنا قلوبهم
قاسية اى لا تلين لقبول الايمان وقرا حمزة والكسائى
بغير الف بعد القاف وتشديد الياء بمعنى رديئة من
قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة
فان المغشوش فيه يبس وصلابة والباقون بالف
بعد القاف وتخفيف الياء وقوله تعالى يحرفون الكلم

عن مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا
قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ونسوا
حظا اى نصيبا نافعا مما ذكروا به اى من التوراة على
انبيائهم عيسى ومن قبله عليهم الصلاة والسلام
تركوه ترك الناسى للشئ لقلة مبالاتهم به بحيث
لم يكن لهم رجوع اليه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت
لشومهم اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود
رضى الله عنه انه قال ينسى المرء بعض العلم بالمعصية
وتلا هذه الاية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا
به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته
ولا تزال اى بما تعلمك عليه يا اكرم الخلق فهو خطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم تطلع اى تظهر على خائنة اى
خيانة منهم بنقض العهد وغيره لان ذلك من عاداتهم
وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم
لم يخانوا وهم الذين اسلموا منهم فاعف عنهم اى امح
ذنبهم ذلك واصفح اى واعرض عن ذلك اصلا وراسا
ان تابوا وامنوا وعاهدوا والتزموا الجزية وقيل منسوخ
بآية السيف وقوله تعالى ان الله يحب المحسنين
تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو
عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره
روى الشيخان وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها ان

البنى

النبي صلى الله عليه وسلم سحره رجل من اليهود يقال
له لبيد بن الاعصم وفي رواية للبخاري انه رجل من بني
زريق حليف ليهود وكان منافقا حتى كان يخيل اليه
انه يأتي النساء ولا يأتيهن وذلك اشد السحر ثم ان
الله تعالى شفاه واعلمه ان السحر في بير ذروان فقالت
له عايشة رضي الله عنها افلا اخرجته فقال لا
اما انا فقد عافاني الله وكرهت ان اثير على الناس شرا
فامرت بها فدفنت وهو في معجم الطبراني الكبير وهذا
لفظه وعن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال كان رجل
يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فعقد له عقدا فجعله
في بير رجل من الانصار فاتاه ملكان يعودانه فقعد احدهما
اتدري ما وجعه قال فلان الذي يدخل عليه عقد له عقدا
فالقاه في بير فلان الانصاري فلو ارسل رجلا لوجدا الماء اصفر
فبعث رجلا فاخذ العقد فحلها فبرا فكان الرجل بعد ذلك
يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر له شيا منه
ولم يعاتبه وعن انس رضي الله عنه ان امراة يهودية
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك
فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على
ذلك او قال علي قالوا افلا نقتلها قال لا قال انس فما زلت
اعرفها في لهوات النبي صلى الله عليه وسلم فانظر الى
عفو صلى الله عليه وسلم واقتد به وفي ذلك غاية العفو

والاحسان امتثالا لامر ربه تعالى وقيل فاعف عن
مومنهم ولا تواخذهم بما سلف منهم ومن الذين قالوا
انا نصارى اخذنا ميثاقهم اى واخذنا من النصارى
ميثاقهم كما اخذنا من قبلهم فان قيل هلا قال ومن النصارى
اجيب بانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة
الله تعالى لقولهم لعيسى نحن انصار الله وليسوا
موصوفين به قال الحسن فيه دليل على انهم نصارى
بتسميتهم لا بتسمية الله فنسوا اى تركوا ترك الناسى
حظا اى نصيبا عظيما يتنافس فى مثله مما ذكروا به
اى فى الانجيل من الايمان ومن اوصاف محمد صلى الله عليه
وسلم وغير ذلك ونقضوا الميثاق فاغرينا اى اوقعنا
بينهم اى النصارى بعد ان جعلناهم فرقا متباينين
وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية وكذا بينهم
وبين اليهود العداوة والبغضاء الى يوم القيامة
اى بتفرقهم واختلاف اهوائهم فكل فرقة تكفر الاخرى
وقرا نافع وابو عمرو وابن كثير بتحقيق الهمزة الاولى
وتسهيل الثانية والباقون بتخفيفهما وسوف ينبئهم
الله اى يجزيهم فى الاخرة بما كانوا يصنعون اى فيجازيهم
عليه وقوله تعالى يا اهل الكتاب خطاب لليهود
والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا
وهو افضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم اى

يوضح

يوضح ايضا حائما فيا كثيرا مما كنتم تخفون اى تكتمون
من الكتاب اى التوراة والانجيل كنعت محمد صلى الله
عليه وسلم واية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى باحمد
فى الانجيل ويعفوا عن كثير اى مما يخفونه فلا يبينه اذا
لم يكن فيه مصلحة فى امر دينى او عن كثير منكم فلا يواخذه
بجرمه قد جاءكم من الله نور هو محمد صلى الله عليه وسلم
الذى جلا ظلمات الشك والشرك وكتاب هو القران
العظيم مبين اى بين فى نفسه مبين لما كان خافيا على
الناس من الحق يهدى به الله اى بالكتاب وقيل بهما
ووحد الضمير لان المراد بهما واحد لانهما كواحد فى الحكم
من اتبع رضوانه اى رضاه بان امن سبل اى طريق
السلام اى السلامة من العذاب او لانه باتباع
شرايع دينه ويخرجهم من الظلمات اى انواع الكفر
والوساوس الشيطانية الى النور اى الاسلام باذنه
اى بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم اى
طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى وموداه لا محالة
وهو الدين الحق لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح حيث جعلوه الها وهم اليعقوبية فرقة من
النصارى وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يودى اليه
حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيى ويميت ويدبر امر العالم
قل فمن يملك اى يدفع من عذاب الله شيا

اى من الاشياء التى يتوهم انها قد تمنعه مما يريد فاراد
ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا
اى لا احد يملك ذلك ولو كان المسيح الها لقدر عليه
فدل ذلك على انه بمعزل من الالوهية وانه مقدور
مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات واراد بعطف من فى
الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت
بينهم وبينهما فى البشرية ولله ملك السموات والارض
وما بينهما اى بين النوعين وبين افرادهما ما به تمام
امرهما يخلق ما يشاء اى على اى كيف اراد والله على كل
شئ قدير اى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كخلق
السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما وينشئ
من اصل ليس من جنسه كادم وكثير من الحيوانات ومن
انثى وحدها كعيسى من مريم او منهما كسائر الناس
وقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى اى كل طائفة
قالت على حدتها نحن ابنا الله واحباؤه اختلف
المفسرون فى معنى ذلك على اربعة اوجه احدها ان هذا
من باب حذف المضاف اى نحن ابناء رسل الله كقولهم ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله الثانى ان لفظ
الابن كما يطلق على ابن الصلب قد يطلق ايضا على من
اتخذ ابنا بمعنى يخصه بمزيد الشفقة والرحمة
فالقوم لما ادعوا عناية الله بهم ادعوا انهم ابناء الله

الثالث ان اليهود زعموا ان العزير ابن الله والنصارى
زعموا ان المسيح ابن الله ثم زعموا ان العزير والمسيح
كانا منهم فصار كانهم قالوا نحن ابناء الله الاترى ان اقارب
الملك اذا فاخروا احدا يقولون نحن ملوك الدنيا
والمراد كونهم مختصين بالشخص الذى هو الملك فكذلك
هنا الرابع قال ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى
صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين
الاسلام وخوفهم من عقاب الله فقالوا كيف تخوفنا
بعذاب الله ونحن ابناء الله واحباؤه فهذه الرواية
انما وقعت عن تلك الطايفة واما النصارى فانهم يتلون
فى الانجيل ان المسيح قال لهم انى ذاهب الى ابى وابيكم قيل
اراد وان الله كالاب لنا فى الحنو والعطف ونحن كالابناء
له فى القرب والمنزلة وقال ابراهيم النخعى ان اليهود
وجدوا فى التوراة يا ابناء احبار فبدلوا يا ابناء ابكار
فمن ذلك قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وجملة الكلام ان
اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على سائر
الخلق بسبب اسلافهم من الانبياء فلما ادعوا ذلك قال
لهم يا محمد فلم يعذبكم بذنوبكم اى فان صح ما زعمتم فلم
يعذبكم بذنوبكم ولا يعذب الاب ولده والحبيب حبيبه
وقد عذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم
انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة وقرا البزى فى الوقف

فلمه بخلاف عنه بل انتم بشر من جملة ممن خلقه
الله تعالى من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم يغفر
لمن يشا اى من خلقه منكم ومن غيركم تفضلا منه
تعالى ويعذب من يشا كذلك كما تشاهدونه يكرم
ناسا منكم فى هذه الدار ويهين اخرين لا اعتراض عليه
وقرا ابو عمر بادغام الرا فى اللام من يغفر والبا فى الميم
من يعذب بخلاف عنه ورقق ورش الرا على اصله ولله
ملك السموات والارض وما بينهما اى وانتم مما بينهما
فمن كان هكذا وقدرته هكذا كيف يستحق عليه البشر
الضعيف حقا واجبا وكيف يملك عليه الجاهل
بعبادته الناقصة دينا لازما كبرت كلمة تخرج من
افواههم ان يقولون الا كذبا ثم قال واليه المصير اى
المرجع فيجزى المحسن باحسانه والمسى باساءته
يا اهل الكتاب اى من الفريقين قد جاكم رسولنا محمد
صلى الله عليه وسلم يبين لكم اى ما كتمتم وحذف
لتقدم ذكره والدين وحذف لظهوره ويجوز ان لا
يقدر مفعول على معنى ويبذل لكم البيان وجملة
يبين لكم فى موضع الحال اى جاكم رسولنا مبينا لكم
وقوله تعالى على فترة من الرسل متعلق بجاكم اى
جاكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من
الوحى قال ابن عباس يريد على انقطاع من الانبيا

فشبه

فشبه فقدهم وبعد العهد بهم ونسيان اخبارهم وبلا
رسومهم واثارهم وانطماس معالمهم وانوارهم بشي
كان يغلي ففتر ولم يبق من وصفه المقصود منه الا
اثر خاف ورسم دارس يقال فتر الشي يفتر فتورا
اذا سكنت حركته وصار اقل مما كان عليه وسميت
المدة بين الانبيا فترة لفتور الدواعي في العمل بترك
الشرايع واختلفوا في مدة الفترة بين عيسى ومحمد
صلى الله عليهما وسلم فقال ابو عثمان ستماية سنة
وقال قتادة خمسماية سنة وستون سنة وقال
معمر والكلبي خمسماية وستة واربعون سنة وعن
الكلبي بين موسى وعيسى الف وسبع ماية سنة
والف نبي وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
عليهما اربعة من الانبيا ثلاثة من بني اسرايل وواحد
من العرب وهو خالد بن سنان العبسي وفي الاية
امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي
وكانوا احوج ما يكون اليه قال البقاعي ولعله عبر
بالمضارع في يبين اشارة الى ان دينه وشانه لا ينقطع
اصلا بحفظ كتابه فكلما درست سنة مسح الله تعالى
بعالم يرد الناس اليها بالكتاب المعجز القايم ابدا فكذلك
لا يحتاج الامر الى نبي مجدد عند الفتنة التي لا يطيقها
العلما وهي فتنة الدجال وياجوج وماجوج ثم علل

ذلك بقوله تعالى ان اكرهته ان تقولوا الخ اى اذا
حشمتم وسلمتم عنا عما لكم ما جانا من بشير اى
بشير فمن زائدة لتاكيد النفى يبشرنا لنرغب فنعمل
بما يسعدنا فنفوز ولا نذير اى يحذرنا لنرهب فنترك
ما يشقينا فنسلم وقوله تعالى فقد جاكم بشير ونذير
متعلق بمحذوف اى لا تعتذروا بما جانا من بشير ونذير
فقد جاكم بشير ونذير والله على كل شى قدير اى فيقدر
على الارسال تترا واحدا بعد واحد على التعاقب كما فعل
بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وعلى
الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة
والسلام واذ قال موسى لقومه اى من اليهود يا قوم
اذكروا نعمة الله عليكم اى انعامه فذكرهم بثلاثة
امور اولها قوله تعالى اذ اى حين جعل فيكم اى منكم
انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث فى امة ما
بعث فى بنى اسرايل من الانبيا وقرا نافع وابن كثير وابن
ذكوان وعاصم وحمزة والكسائى باظهار ذال عند الجيم
وادغمها ابو عمرو وهشام وتابعهما قوله تعالى وجعلكم
ملوكا اى وجعل منكم اوفيكم وقد تكاثر فيهم الملوك
تكاثر الانبيا بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل
عيسى وقال ابن عباس اصحاب خدم وحشم قال قتادة
كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن قبلهم خدم وعن ابى

سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنو
اسرايل اذا كان لاحدهم خادم وامراة ودابة كتب ملكا
وقال ابو عبد الرحمن الحبلي سمعت عبد الله بن عمرو
ابن العاص وساله رجل فقال السنا من فقراء المسلمين
المهاجرين فقال عبد الله الك امراة تاوي اليها قال نعم
قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال فانت غني من الاغنيا
قال الخادم قال انت من الملوك وقال السدي في جعلكم
احرارا تملكون امر انفسكم بعد ما كنتم في ايدي القبط
يستعبد ونكم وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه
جارية فمن كان مسكنه واسعا وفيه نهر جار فهو ملك
وثالثها قوله تعالى وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين
وذلك لانه تعالى خصهم بانواع عظيمة من الاكرام
كفلق البحر لهم واهلك عدوهم واورثهم اموالهم وانزل
عليهم المن والسلوى واخرج لهم المياه الغزيرة من
الحجر واظلهم بالغمام ولم يجمع الملك والنبوة لقوم
كما اجتمعا لهم وكانوا في تلك الايام هم العلماء بالله تعالى وهم
احباب الله وانصار دينه وقيل المراد بالعالمين عالمو
زمانهم وقال الكلبي ان جعلت العالمين عاما وجب تخصيصها
لئلا يلزم انهم اوتوا ما لم يؤت هذه الامة من الكرامة
والفضل وغير ذلك وان خصصه بعالمي زمانهم فباقية
على عمومها اذ لا محذور ولما ذكرهم هذه النعم وشرحها لهم

امرهم بعد ذلك بجهاد العدو فقال **يا قوم ادخلوا الارض**
المقدسة اى المطهرة وهى ارض بيت المقدس سميت
بذلك لانها كانت مسكن الانبياء والمومنين وقال
مجاهد هى الطور وما حوله وقال الكلبى هو دمشق
وفلسطين وبعض الاردن وهو بضم الدال وتشديد
النون اسم نهر وكورة بالشام قال الجوهرى وقال
قتادة هى الشام كلها **التى كتب الله لكم** اى فى اللوح
المحفوظ انها لكم مساكن وقال السدى امركم بدخولها
فان قيل على الاول كيف كتبها لهم بعد قوله تعالى بعد
فانها محرمة عليهم اجيب باجوبة اولها قال ابن عباس
انها كانت هبة ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم
ثانيها اللفظ وان كان عاما لكن المراد به الخصوص فكانها
كتبت لبعضهم وحرمت على بعضهم ثالثها ان الوعد
بقوله تعالى كتب الله لكم مشروط بقيد الطاعة فلما لم
يوجد الشرط لم يوجد المشروط رابعها انها محرمة
عليهم اربعين سنة فلما مضى الاربعون حصل ما كتب
ولا ترتدوا على ادباركم اى ولا ترجعوا مدبرين خوفا
من العدو **فتنقلبوا خاسرين** اى فى سعيكم وذلك
ان قوم موسى لما خرجوا من مصر وعدهم الله تعالى
اسكان ارض الشام قال الكلبى صعد ابراهيم عليه
السلام جبل لبنان فقيل له انظر ما ادرك بصرك فانه

مقدس وهو ميراث لذريتك وكان بنو اسرايل
يسمعون ارض الشام ارض المواعد ثم بعث موسى
عليه السلام اثنى عشر نقيبا من الانبيا ليتجسسوا
لهم عن احوال تلك الاراضى فلما دخلوا تلك الاماكن
راوا اجساما عظيمة قال ابن عادل قال المفسرون فاخذهم
احد اولئك الجبارين وجعلهم فى كمه مع فاكهة قد
حملها من بساتينه واتى بهم الملك ونثرهم بين يديه
وقال تعجبا للملك هولا يريدون قتالنا فقال الملك
ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه بما شاهدتم ثم انصرف
هولا النقبا الى موسى عليه السلام فاخبروه بالواقعة
فامرهم ان يكتموا ما شاهدوا فلم يقبلوا قوله الا رجلان
منهم وهما يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف
فتى موسى وكالب بن يوفنا فتى موسى وكان من سبط
يهودا فانها سهلا الامر وقالا هى بلاد طيبة عشبة
كثيرة النعم والاقوام وان كانت اجسامهم عظيمة الا ان
قلوبهم ضعيفة واما العشرة الباقية من النقبا
فانهم اوقعوا الجبن فى قلوب الناس حين اظهروا
الامتناع ورفعوا اصواتهم بالبكا وقالوا يا ليتنا متنا
فى ارض مصر او ليتنا نموت فى هذه البرية ولا يدخلنا
الله ارضهم فتكون نساونا واولادنا وانقالنا غنيمة
لهم ويقولون لاصحابهم تعالوا نجعل علينا رؤسا

وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى قالوا يا موسى انا فيها
قوما جبارين اى عتاة قاهرين لغيرهم مكرهين
لغيرهم على ما يريدون وانا لن ندخلها حتى
يخرجوا منها اى باى وجه كان فان يخرجوا منها
فانا داخلون لها واصل الجبار المتعظم الممتنع عن القهر
يقال نخلة جبارة اذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول
الايدى اليها وسمى بذلك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم
وقوة اجسادهم وكانوا من البقية الباقية من قوم
عاد فلما قال بنو اسرائيل ما قالوا وهما بالانصراف
الى مصر خر موسى وهارون عليهما السلام ساجدين
وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله
تعالى عنهما فى قوله قال رجلان من الذين يخافون
اى يخالفة امر الله تعالى انعم الله عليهما اى بالتوفيق
والعصمة ادخلوا عليهم الباب اى باب قرية الجبارين
ولا تخشوهم فانا رأينا هم واجسادهم عظيمة بلا قلوب
فاذا دخلتموه فانكم غالبون اى لان الله تعالى منجز
وعده وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين به ومصدقين
بوعده فاراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوهما
ثم قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا فنفوا دخولهم على
التاكيد والتابيد وقوله تعالى ما داموا فيها بدل من
ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا

هاهنا

هاهنا قاعدون عن القتال لا التعود الذى هو ضد
القيام قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة
بهم وقيل وربك هارون لانه كان اكبر منه وقيل
تقديره اذهب انت وربك يعينك فلما سمع من
قومه ذلك قال رب انى لا املك الا نفسى واخى اى
لا املك النفر ولا ينفذ امرى الا فى نفسى واخى لان
الانسان لا يملك نفسه فى الحقيقة انما المراد به التصرف
وانى افعل ما امرتنى به واخى كذلك قاله شكوى بثه
وحزنه الى الله عز وجل لما خالفه قومه وايس منهم ولم
يبق معه موافق يثق به غير هارون عليه السلام
والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانهما لم يثق به
مما كابد من تكون قومه او ان المراد باخى من يواخينى
فى الدين فيدخلان فيه واظهر وجوه الاعراب فى اخى
انه منصوب عطفا على نفسى والمعنى ولا املك الا اخى
مع ملكى نفسى دون غيرنا فافرق اى فافصل بيننا
وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم
عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا وبينهم قال
تعالى فانها اى الارض المقدسة محرمة عليهم اى
ان يدخلوها وقوله تعالى اربعين سنة يتيهون
اى يتحيرون فى الارض اختلف العامل فى اربعين
فقيل محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف

ظاهر قوله تعالى التى كتب الله لكم وقيل هو يتيهون اى
يسيرون فيها متحيرين قال الزجاج والاول خطا لانه
جاء فى التفسير انها محرمة عليهم ابدا فنصبها يتيهون
اى فيكون التحريم مطلقا قال الفوى لم يرد به تحريم
تعبد وانما اراد تحريم منع واوحى الله تعالى الى موسى
عليه السلام انى حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض
المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولاتيهنهم فى
هذه البرية اربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى
تجسسوا فيها سنة ولاقين جيفهم فى هذه القفار
واما بنيهم الذين لم يعلموا الشر فيدخلونها فلبثوا اربعين
سنة فى ستة فراسخ وقيل تسعة فراسخ قال ابن عباس
وهم ستمائة الف مقاتل وكانوا يسيرون كل يوم
جادين فاذا امسوا كانوا فى الموضع الذى ارتحلوا عنه
وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود نور يطلع بالليل
فيضئ لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماء عمر من
الحجر الذى يحملون فاذا ولد لاحدهم مولود كان عليه ثوب
مثل الظفر فى اى السن يطول بطوله ويتسع بقدره
الله والله اعلم بما يجرى من ذلك فان قيل كيف ينزل
المن والسلوى فى حال العقوبة اجيب بانه سبب
البقاء وهو باق للعقوبة وهو كاقامة الحدود مع بقاء
الخطاب واختلفوا هل كان موسى وهارون عليهما

السلام

السلام فيهم اولا قال البغوى الاصح انهما كانا فيهم
الا انه كان ذلك راحة لهما وزيادة فى درجتهما وعقوبة
لهم وهو ابلغ فى الاجابة ان يشاهدوا عمرنى حال العقوبة
فلا تصيبهما ما اصابهم ولم يدخل الارض المقدسة
احد ممن قال لن ندخلها بل هلكوا فى التيه وانما قاتل
الجبابرة اولاد عمر واختلفوا هل مات موسى وهارون
فى التيه امر لا قال البيضاوى الاكثرون انهما كانا
معهم فى التيه وانهما ماتا فيه مات هارون قبل موسى
وموسى بعده بسنة قال عمرو بن ميمون مات هارون
قبل موسى وكانا خرجا الى بعض الكهوف فمات هارون فدفنه
موسى وانصرف الى بنى اسرايل فقالوا قتله لحبنا
اياه وكان محببا فى بنى اسرايل فتضرع موسى الى ربه
فاوحى الله تعالى اليه ان انطلق بهم الى هارون فانى باعثه
فانطلق بهم الى قبره فناداه يا هارون فخرج من قبره
ينفض راسه قال انا قتلتك قال لا ولكن مت قال فعد
الى مضجعك وانصرفوا وعاش موسى صلى الله عليه وسلم
بعده سنة روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ملك الموت الى موسى
فقال له اجب امر ربك فلطم موسى عين ملك الموت
ففقاها فقال ملك الموت يا رب انك ارسلتنى الى عبد
لا يريد الموت وقد فقا عينى قال فرد الله تعالى عينه وقال

ارجع الى عبدى فقل الحياة تريد فان كنت تريد الحياة
فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة
فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال الان
من قريب قال رب ادننى من الارض المقدسة رمية
حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انى عنده
لارايتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر
قال وهب خرج موسى ليقضى حاجة فمر برهط
من الملايكة يحفرون قبرا لم ير شيا احسن منه
ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال
لهم يا ملايكة الله لمن تحفرون هذا القبر قالوا لعبد
كريم على ربه فقال ان هذا العبد لمن الله بمنزلة ما رايت
كاليوم احسن منه مضجعا فقالت الملايكة يا صفى
الله تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل فيه
فاضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه
الى ربه ثم تنفس اسهل نفس فقبض الله تعالى روحه
ثم سوت عليه الملايكة وقيل ان ملك الموت اتاه
بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه وكان عمر
موسى ماية وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام
وانقضت الاربعون سنة بعث الله تعالى يوشع
عليه السلام نبيا فاخبرهم ان الله تعالى قد امرهم
بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه فتوجه بنى اسرايل

الى اريحا

الى ان نكا ومعه تابوت الميثاق واحاط بمدينة اريحا
ستة اشهر وفتحوها فى الشهر السابع ودخلوها فقاتلوا
الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت
العصابة من بنى اسرايل يجتمعون على عنق الرجل
يضربونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية
وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال
اللهم اردد الشمس على وقال للشمس انك فى
طاعة الله وانا فى طاعة الله فسال الشمس ان تقف
والقمر ان يقوم حتى ينتقم من اعدا الله قبل دخول
السبت فردت عليه الشمس وزيد فى النهار ساعة
حتى قتلهم اجمعين وروى احمد فى مسنده حديثا
ان الشمس لم تحبس على بشر الا يوشع ليالى سار
الى بيت المقدس ثم تتبع ملوك الشام فاستباح منهم
احدوثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام
وصارت الشام كلها لبنى اسرايل وفرق عماله فى نواحيها
وجمع الغنايم فلم تنزل النار فاوحى الله تعالى الى يوشع
ان فيها غلولا من قومك فليبايعوك فبايعوه فالتصقت
يد رجل منهم بيده فقال هلم ما عندك فاتاه برأس ثور
من ذهب مكلل باليواقيت والجواهر وكان قد غله
فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت
الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن فى جبل ابراهيم

وكان عمره مائة وستة وعشرين سنة وتدبير امر بني
اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة فسبحان
الباقي بعد فناء خلقه ولما ندم موسى عليه السلام
على الدعاء عليهم قال تعالى فلا تاس على القوم الفاسقين
فبين تعالى انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبا
ابني ادم وهما هابيل وقابيل وقوله تعالى بالحق صفة
مصدر محذوف اى تلاوة متلبسة بالحق ونفصتهما
ان الله تعالى اوحى الى ادم ان يزوج كل واحد توءم الاخر
وكانت حواء تلد لادم كل بطن غلاما وجارية وظاهر
كلام المورخين ان ادم لا يحل له ان يتزوج بواحدة من
بناته ولا من بنات اولاده ولهذا الغز بعضهم بقوله
ما انت زوجة رجل حرم عليه نساء الدنيا وكان جميع
ما ولدته اربعين ولدا في عشر بطنا اولهم قابيل
وتوءمته اقليما وكان هابيل وتوءمته يلودا واخرهم
عبد المغيث وتوءمته ام المغيث ثم بارك الله تعالى في
نسل ادم عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما
لم يمت ادم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا
فاراد ادم ان ينكح قابيل يلودا اخت هابيل وينكح
هابيل اقليما وكانت اخت قابيل احسن من اخت
هابيل فذكر ذلك لولده فرضي هابيل وسخط قابيل
وقال هي اختي وانا احق بها فقال له ابوه انها لا تحل لك

فابه

فابى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يامرنى بهذا وانما هو
من رايك فقال لهما ادم قربا قربانا فايكما تقبل قربانه
فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت
من السماء نار بيضاء فاكلها واذا لم تكن مقبولة لم
تنزل النار واكله الطير والسباع فخرجا يقربا وكان
قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام من اردى
زرعه واضمر فى نفسه ما ابالى تقبل منى ام لا لا
يتزوج اختى ابدا وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى
احسن كبش فى غنمه فقربه واضمر فى نفسه رضا
الله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل ثم دعا ادم
فنزلت نار من السماء فاكلت قربان هابيل ولم تاكل قربان
قابيل كما قال تعالى **اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما**
وهو هابيل **ولم يتقبل من الاخر** وهو قابيل لانه
سخط حكم الله ولم يخلص النية فى قربانه وقصد
الى اخس ما عنده فغضب قابيل لرد قربانه واضمر الحسد
فى نفسه الى ان اتى الى ادم مكة لزيارة البيت الحرام
فلما غاب ادم اتى قابيل لهابيل وهو فى غنمه **قال**
لاقتلنك قال ولم قال لان الله تعالى قبل قربانك
ورد قربانى وتنكح اختى الحسناء وانكح اختك الدميمة
فيتحدث الناس انك خير منى ويفتخرون بذلك على ولدى
قال هابيل وما ذنبى **انما يتقبل الله من المتقين**

فان قيل كيف كان قولها هابيل انما يتقبل الله من المتقين
جوابا لقوله لاقتلنك اجيب بانه لما كان الحسد
لاخيه على تقبل قربانه هو الذى حمله على توعده بالقتل
قال له انما اوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من
لباس التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وما لك لا تعاقب
نفسك ولا تحملها على تقوى الله التى هى السبب فى
القبول فاجابه بكلام رحيم مخلص جامع لمعان وفيه
اشارة الى ان الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه من تقصيره
ويجتهد فى تحصيل ما صار به المحسود محظوظا لا فى
ازالة حظ المحسود فان ذلك مما يضره ولا ينفعه
وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متقى وعن عامر
ابن عبد الله انه بكى حتى حضرته الوفاة فقيل له
ما يبكيك وقد كنت وكنت فقال انى اسمع الله
يقول انما يتقبل الله من المتقين لبن لام قسم
بسطت اى مددت الى يدك لتقتلنى ما انا
بباسط يدى اليك لاقتلك ان اخاف الله رب العالمين
قال عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما والله ان
كان المقتول لاشد الرجلين ولكن منعه التحرج
ان يبسط الى اخيه يده خوفا من الله عز وجل لان
الدفع لم يبح بعدا وتحريما الا هو الافضل قال عليه
الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد

الله

الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن
بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا
والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد
النفي بالبا وقرا نافع وابو عمرو وحفص بفتح اليا من
يدي والباقون بالسكون واتفق القرا السبعة على
بقا صفة الطا في بسطت وادغام الطا في التا لان
مخرج الطا والتا واحد ولكن الصفة مختلفة فالطا
منطبقة والتا منفتحة والطا مستعلية والتا
مستفلة والطا مجهورة والتا مهموسة ويقال في
ذلك ادغام الحرف وابقا الصفة اني اريد ان تبوء
اي ترجع باثمي اي اثم قتلي واثمك الذي ارتكبته
من قبل فتكون من اصحاب النار ولا اريد ان ابوء
باثمك اذا قتلتك فاكون منهم فان قيل كيف قال اريد
ان تبوء باثمي واثمك وارادة القتل والمعصية لا يجوز
اجيب بان ذلك ليس بحقيقة ارادة لكنه لما علم
انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام طلبا
للثواب فكان صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا
حقيقة وذلك جزا الظالمين اي الراسخين في
وصف الظلم واكون انا من اصحاب الجنة جزا لي باحساني
في ايثاري حياتك على حياتي وذلك جزا المحسنين فطوعت
قال قتادة فزينت له نفسه قتل اخيه فقتله قال ابن

جرح تمثل له ابليس واخذ له طايرا ووضع راسه على
حجر وشدخ راسه بحجر اخر وقابيل ينظر اليه فعلمه
القتل فرضخ قابيل راس هابيل بين حجرين وقتله
وهو مستسلم وقيل اخاله في الوم وهو نايم فشدخ
راسه فقتله فاصبح اى فصار من الخاسرين بقتله
ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت على وجه الارض من
بني ادم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة فحمله
بعد قتله في جراب اربعين يوما وقال ابن عباس حمله
اربعين يوما حتى اروح وعكف عليه الطير والسباع
تنظر متى يرمى فتاكله فبعث الله غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجله حتى
مكنه ثم القاه في الحفرة ووراه وقابيل ينظر اليه فذلك
قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه
اى الله او ليريه الغراب اى ليعلمه لانه لما كان سبب
تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز كيف يوارى
اى يستر سوءة اى جيفة اخيه وقيل عورته لانه
كان سلب ثيابه فلما راى قابيل ذلك قال يا ويلتا كلمة
جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى
يا ويلتا احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة
اعجزت اى مع ما جعل الله لي من القوة الناطقة ان
اى عن ان اكون مع مالي من الجوارح الصالحة لاعظم

من ذلك

من ذلك مثل هذا الغراب فاوارى سوءة اخى اى
لاهتدى الى ما اهتدى اليه وقوله فاوارى عطف على
اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت
لواريت فاصبح اى بسبب قتله من النادمين اى
على ما فعل لانه فقد اخاه وانصب ربه واباه وما انتفع
بقتله شيا قال المطلب بن عبد الله بن حنطب
لما قتل ابن ادم اخاه رجت الارض مما فيها سبعة
ايام وعن ابن عباس لما قتله وكان ادم عليه السلام
بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت وامر
الماء واغبرت الارض فقال ادم عليه السلام قد حدث
في الارض حدث وورد انه لما قتله اسود جسده
وكان ابيض وشربت الارض الدم فساله ادم عليه السلام
بعد مجيئه من مكة عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا
فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك قال فاين دمه
ان كنت قتلته محرم الله عز وجل على الارض يومين ان
تشرب دما بعده اندرج الواقدي ان السودان كلهم
من ولده وعن محمد بن اسحاق كان نوح نايما فراه ابنه
حام عريانا فلم يستره فاسود في الوقت فالسودان
من ولده وراه ابنه سام فستره وروى ان ادم صلوات
الله وسلامه عليه مكث بعد قتله مائة سنة لا
يضحك وانه لما اتى من مكة الى الهند رثاه بشعر وهو

تغيرت البلاد ومن عليها ، فوجه الارض مغبر قبيح ،
تغير كل ذى طعم ولون ، وقل بشاشة الوجه المليح ،
وعن ابن عباس انه قال من قال ان ادم قال شعرا فقد
كذب اى بعد الانبيا كلهم عليهم الصلاة والسلام فى
النهى عن الشعر سوا ورد انه اتاه فلم يزل يتقل
حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يقول الشعر فنظر
الى المرثية فاذا هى سجع فقال اى هذا يقوم منه شعر
فرد المقدم الى الموخر والموخر الى المقدم فوزنه شعرا
وزيد فيه ابيات منها

ومالى لا اجود بسكب دمع ، وهابيل تضمنه الضريح ،
ارى طول الحياة على غما ، فهل انا من حياتى مستريح ،

فلما مضى من عمر ادم مايه وثلاثون سنة وذلك بعد قتل
هابيل بخمس بن سنة ولدت له حوا شيثا وتفسيره
هبة الله اى انه خلف الله من هابيل علمه الله تعالى
ساعات الليل والنهار واعلمه عبادة الخلق فى كل ساعة
منها وانزل الله عليه خمسين صحيفة وصار وصى
ادم واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا
مرعوبا لا يامن من يراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب
الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس لعنه الله تعالى
وقال له انما اكلت النار قربان اخيك لانه كان يعبد
النار فاعبد انت ايضا نارا تكون لك ولعقبك فبنا بيت

النار

النار فهو اول من عبد النار قال مجاهد واتخذ اولاد
قابيل الآلات اللهو من المزاهر والطبول والمزامير
والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر
وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله تعالى
بالطوفان ايام نوح عليه السلام ولم يبق نسل شيث
عليه السلام قال البقاعي في تفسيره والله اعلم مما
يروى من ذلك ولا يعتمد على مثل هذه الاحاديث وقد
احسن الطبري بقوله اخبر الله تعالى بقتله ولا خبر
يقطع العذر بصفة قتله على ما ذكرنا منه في مثله ولا
فايدة في طلب الصحيح منه في الدين وروى انه صلى
الله عليه وسلم قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن
ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل من اجل
ذلك اي الذي فعله قابيل كتبنا اي قضينا على بني
اسرايل في التوراة لانهم كانوا اشد الناس حراة على
القتل وكانوا يقتلون الانبيا انه اي الشان من قتل نفسا
اي من بني اسرايل بغير نفس اي بغير قتل نفس
يوجب الاقتصاص او قتلها بغير فساد اتاه في الارض
كالشرك والزنا بعد الاحصان وقطع الطريق ونحوها
يبيح اراقة الدم فكانما قتل الناس جميعا اي من حيث
يعتقد حرمة الدما وسن القتل وجر الناس عليه
او من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سوا في استحلال

غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها اى بسبب من
الاسباب كانقاذ من هلكة او غرق او دفع من يريد
ان يقتلها ظلما فكانما احيا الناس جميعا قال ابن عباس
من حيث انه حرمتها وصورها قال سليمان بن علي قلت
للحسن يا ابا سعيد ادهى لنا اى هذه الاية كما كانت لبني
اسرايل قال اى والذى لا اله غيره ما كانت دماء بني اسرايل
اكرم عند الله من دمائنا انتهى ومما يحسن ايراده
هنا ما ينسب لامير المومنين علي بن ابي طالب رضى
تعالى عنه وقيل انه للشافعي رحمه الله
الناس من جهة التمثيل اكفاء ابوهم ادم والام حواء
نفس كنفس وارواح مشاكلة وانظر خلقت فيهم واعضا
فان يكن لهم في اصلهم حسب يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرء ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء
ففز بعلم تعش حيا به ابدا فالناس موتى واهل العلم احيا
ولقد جاءتهم اى بني اسرايل رسلنا بالبينات اى
المعجزات وقرا ابو عمرو بسكون السين والباقون بضمها
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اى بعد ما كتبنا عليهم هذا
التشديد العظيم وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة
تاكيد للامر وتجديد للعهد في الارض لمسرفون اى

مجاوزون

مجاوزوا الحد بالكفر والقتل وغير ذلك ولا يبالون به
وبهذا اتصلت القصة بما قبلها ونزل في العرنيين
لما قدموا المدينة وهم مرضى اتوا النبي صلى الله عليه
وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فبعثهم النبي
صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة ليشربوا من
البانها وابوالها فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا
الابل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون
اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما
ويسعون في الارض فسادا اي بقطع الطريق ان
يقتلوا اي ان قتلوا او يصلبوا اي مع ذلك ان قتلوا
واخذوا المال اي والصلب ثلاثا بعد القتل او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف اي ايديهم اليمنى وارجلهم
اليسرى اي ان اقتصروا على اخذ المال او ينفوا من
الارض ان ان اخافوا ولم يأخذوا شيئا اي ينفوا من بلد
الى بلد ان رأى الامام ذلك وان رأى حبسهم فله ذلك
ولو في بلدهم هذا تفسير الآية ابن عباس رضي الله
عنهما فحمل كلمة او على التنويع لا التخيير كما في قوله
تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى اي قالت اليهود
كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى اذ المراد تخيير
احد منهم بين اليهودية والنصرانية ذلك اي الجزاء
العظيم لهم خزي اي ذل واهانة في الدنيا ولهم

فى الاخرة عذاب عظيم هو عذاب النار واحتج اكثر اهل
العلم على ان هذه الاية نزلت فى قطاع الطريق بقوله تعالى
الا الذين تابوا اى رجعوا عما كانوا عليه من المحاربة
خوفا من الله تعالى من قبل ان تقدروا عليهم اى
فان حقوقه تعالى تسقط عنهم كالقطع والصلب والخلاف
القتل ويبقى القصاص والمال لانه حق ادمى لا يسقط
بالتوبة واعلموا ان الله غفور لهم ما اتوه رحيم ٧٠ بهم
ولو كانت نزلت فى الكفار لكانت توبتهم بالاسلام وهو
رافع العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله اى خافوا عقابه بان تطيعوه وابتغوا اى اطلبوا
اليه الوسيلة اى ما تتوسلوا به الى ثوابه والزلفى
منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا
تقرب اليه قال لبيد شعر
ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم الا كل ذى لب الى الله واصل
وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة وجاهدوا فى
سبيله بمحاربة اعدائه لتكون كلمة الله هى العليا
لعلكم تفلحون بالوصول الى الله عز وجل والفوز
بكرامته ان الذين كفروا لو ثبت ان لهم ما فى الارض
من صنوف الاموال واكده بقوله جميعا ومثله معه
ليفتدوا به اى ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب
يوم القيامة ما تقبل منهم اى لان المدفوع اليه لذلك

تمام

تام القدرة وله الغنا المطلق ولهم بعد ذلك عذاب اليم
اى مولم يريدون ان يخرجوا اى ان يكون لهم الخروج
فى وقت ما اذ ارنهم اللهب الى ان يكاد ان يلقيهم خارجا
من النار ثم نفى خروجهم على وجه التاكيد فقال وما
هم بخارجين منها اى ما يثبت لهم خروج اصلا ولهم
خاصة دون المومنين عذاب مقيم اى دايم تارة
بالبرد وتارة بالحر وتارة بغيرهما فان قيل قال تعالا لا يذوقون
فيها بردا فهو منافى ما ذكرا جيب بان المراد بالبرد فى
الاية النوم فلا منافاة وال فى قوله تعالى والسارق
والسارقة موصولة مبتدا اى والذى سرق والذى
سرقت ولشبهه بالشرط دخلت الفا فى خبره وهو
فاقطعوا ايديهما اى يمين كل منهما من الكوع كما بينه
السنة كما بينت انه لابد ان يكون المسروق ربع دينار
فصاعدا من حرز مثله من غير شبهة له فيه وانه اذا
عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد
اليسرى ثم الرجل اليمنى ثم بعد ذلك يعذر ثم علل تعالى ذلك
جزاء بما كسبا اى فعلا من ذلك ثم علل تعالى هذا الجزا
بقوله نكالا اى عقوبة لهما من الله واعاد الاسم الاعظم
تعظيما للامر فقال والله عزيز اى غالب على امره حكيم
اى بالغ الحكم والحكمة فى خلقه فمن تاب اى من السرق
من بعد ظلمه اى سرقته واصلح امره بالتخلص من التبعات

والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه اى يقبل
توبته تفضلا منه تعالى ان الله غفور رحيم فلا يعذبه
فى الاخرة واما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عندنا كالدين
واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند
اكثر اهل العلم وقال سفيان الثورى واصحاب الراى لا
غرم عليه وبالاتفاق ان كان المسروق قائما عنده يسترد
وتقطع يده لان القطع حق الله تعالى والغرم حق
العبد ولا يمنع احدهما الاخر وقوله تعالى الم تعلم الاستفهام
للتقرير والخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم وقيل
معناه الم تعلم يا ايها الانسان فيكون خطابا لكل احد
من الناس ان الله له ملك السموات والارض اى ان
الملك خالص له عن جميع الشوايب يعذب من يشا فعذبه
ويغفر لمن يشا المغفرة له والله على كل شى قدير
اى ومنه التعذيب والمغفرة فليس هو كغيره من
الملوك الذين قد يعجز احدهم عن تعذيب ابنه وحبيبه
اعدا عدوه يا ايها الرسول اى المبلغ لما ارسل به
وقوله تعالى لا يحزنك قرا نافع بضم الياء وكسر الزاى
والباقون بفتح الياء وضم الزاى الذين يسارعون فى الكفر
اى يقعون فيه بسرعة بان يظهروه اذا وجدوا منه
فرصة وقوله تعالى من الذين قالوا امنا للبيان وقوله
تعالى بافواههم اى بالسنتهم متعلق بقالوا ولم تؤمن

قلوبهم

قلوبهم وهم المنافقون وقوله تعالى ومن الذين هادوا
عطف على من الذين قالوا وقوله تعالى سماعون للكذب
خبر لمبتدا محذوف اى هم سماعون والضمير فى سماعون
للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدا
ومن الذين خبره اى ومن اليهود قوم سماعون للكذب
الذى افترته احبارهم سماع قبول سماعون منك
لقوم اى لاجل قوم اخرين من اليهود لم ياتوك
اى لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى
البغضاء يحرفون الكلم اى الذى فى التوراة كاية الرجم
من بعد مواضعه اى التى وضعه الله عليها اى
يبدلونه يقولون اى الذين يحرفون لمن يرسلونهم
للنبى صلى الله عليه وسلم ان اوتيتم هذا اى المحرف
اى افتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم فخذوه اى
فاقبلوه منه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه
اى بان افتاكم بخلافه فاحذروا ان تقبلوا منه فانه
الباطل والضلال روى ان شريفا زنى بخيبرزنا بشريفة
وكانا محصنين وحدهما الرجم فى التوراة فكرهوا رجمهما
لشرفهما وقالوا ان هذا الرجل الذى بيثرب ليس فى
كتابه الرجم وكان الضرب فارسلوهما مع رهط منهم الى
بنى قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم اى تسويد الوجه

من الحمة بالضم والتشديد وهي السواد فاقبلوا وان امرهم
بالرجم فلا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا ما حدهما
في كتابك فقال هل ترضون بقضاي فقالوا نعم فنزل
جبريل عليه السلام بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا
ان ياخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك
وبينهم ابن صوريا ووصفه فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن
فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم فقال هواى رجل فيكم
فقالوا هو اعلم يهودي بقي على وجه الارض بما انزل الله
على موسى بن عمران في التوراة قال فارسلوا اليه
فعملوا فاتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت
ابن صوريا قال نعم قال اعلم اليهود قال كذلك يزعمون
قال تجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي
فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق ال
فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه
هل تجد ونعته الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه
سفلت اليهود فقال خفت ان كذبت ان ينزل علينا
العذاب ثم سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشيا
كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله

وانك رسول الله النبى الامى العربى الذى بشر به المرسلون
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين فرجما
عند باب مسجده وقال اللهم انى اول من احيى امرك
اذ اماتوه فانزل الله عز وجل يا ايها الرسول الاية وترك
ان اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكروا له ان رجلا منهم وامراة زنيا فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شان
الرجم قالوا نفضحهم ونجلدون قال عبد الله بن سلام
كذبتم ان فيها اية الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها
فوضع احدهم يده على اية الرجم وما بعدها فقال له عبد
الله ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم قالوا صدق
يا محمد فيها اية الرجم فامر بهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرجما قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فرايت
الرجل يقى بيده عن المراة الحجارة فايده كانت اية
الرجم فى القران فنسخ تلاوتها وبقى حكمها رواه البيهقى
عن ابن عباس عن عمر رضى الله عنهم انه قال فى
خطبته ان الله بعث محمدا وانزل عليه كتابا وكان فيما
انزل عليه اية الرجم فقرانها ووعيناها الشيخ
والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله
عزيز حكيم وسياتى الكلام فى سورة الاحزاب ان هذه
الاية كانت فيها ومن يرد الله فتنته اى اضلاله او فضيحته

فلن تملك اى لن تستطيع له من الله شيا فى دفعها
واذا لم تملك انت وانت اقرب الخلق الى الله تعالى فمن ملك
اولئك اى البعداء من الهدى الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم اى من الكفر ولو اراده لكان وهذا كما ترى نص على
فساد قول المعتزلة بانه اراد ذلك لهم فى الدنيا خزى اى
ذل بالفضيحة والجزية والخوف من المومنين ولهم فى
الاخرة عذاب عظيم وهو الخلود فى النار والظرف للذين
هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللذين يعلق
وقوله تعالى سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون
للسحت وهو كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا ه
استاصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله
الربا والرباب منه وكانوا ياخذون الرشا على الاحكام
وتحليل الحرام وعن الحسن رحمه الله تعالى كان الحاكم فى
بنى اسرايل اذا اتاه احدهم برشوة دحلها فى كمه فاراها
اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه
فياكل الرشوة ويسمع الكذب وعنه صلى الله عليه وسلم
كل لحم انبته السحت فالنار اولى به وقرا ابن كثير وابو
عمرو والكساى بضم الحاء والباقون بالسكون فان جاوك
اى لتحكم بينهم فاحكم بينهم او اعرض عنهم هذا تخيير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا هل نسخ
هذا التخيير ام لا فقال اكثر اهل العلم هو محكم ثابت وليس

فى سورة

في سورة المائدة منسوخ وحكام المسلمين بالخيار في الحكم
بين اهل الكتاب ان شاؤا احكموا وان شاؤا لم يحكموا الحكم
الاسلام وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة وقال
قوم يجب على حكام المسلمين ان يحكموا بينهم والاية
منسوخة نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل
الله وهو قول مجاهد وعكرمة ومروي ذلك ايضا عن
ابن عباس وقال لم ينسخ من المائدة الا اية قوله
تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا
المشركين وقوله تعالى وان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض
عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله
ومذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه ان الذميين
وان اختلفت ملتهما كيهودي ونصراني يجب الحكم بينهما
عند التراضي وكذا الذمي مع المعاهد بخلاف المعاهدين
فان الحكم لا يجب بينهما لانهم لم يلتزموا حكمنا ولا التزمنا
دفع بعضهم عن بعض فيحمل التخيير على هذا والاية
الاخرى على اهل الذمة ويعلم من ذلك ان الحكم بين الحربيين
لا يجب بطريق الاولى ولو ترافع الينا ذميان في شرب خمر
لم نحدهما وان رضيا بحكمنا لانهما لا يعتقدان تحريمه ولو
ترافع الينا مسلم وذمي وجب الحكم بينهما اجماعا وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا بان يعاودوك لاعراضك عنهم
فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم

بالقسط اى بالعدل الذى امر الله به انّ الله يحب
اى يثيب المقسطين اى العادلين فى الحكم وقوله
تعالى وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله
استفهام تعجب من تحكيمهم من لا يؤمنون به وحال ان
الحكم منصوص عليه فى كتابهم الذى هو عندهم وتنبيه على
انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما
طلبوا امنه ليكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله
تعالى فى زعمهم ثم يتولون اى يعرضون عن حكمك
الموافق لكتابهم من بعد ذلك التحكيم وهذا داخل فى
حكم التعجب فانه معطوف على يحكمونك وما اولئك اى
البعداء من الله بالمؤمنين اى بكتابهم لاعراضهم عنه
اولا اولئك وبه انا انزلنا التوراة فيها هدى يهدى من
الضلالة الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام
يحكم بها النبيون اى من بنى اسرايل وقوله تعالى
الذين اسلموا ذكر على وجه الصفة للانبيا للتنويه بشان
الصفة دون التخصيص والتمييز لانهم كلهم بهذه
الصفة متفاوتون لله تعالى وللتنبيه على عظم قدرها
حيث وصف بها عظيما كما وصف الانبيا بالصلاح والملا
بالايمان فان اوصاف الاشراف اشرف الاوصاف وقوله
تعالى للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اى يحكمون
بها فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم وقوله

تعالى

تعالى والربانيون اى الزهاد الذين انسلخوا من الدنيا
وبالغوا فيما يوجب النسبة الى الرب والاحبار اى العلما
السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما
اى بسبب الذى استحفظوا اى استودعوه من
كتاب الله اى استحفظهم الله تعالى اياه بان يحفظوه
من التضييع والتحريف او بان يحفظ فلا ينسى وقد
اخذ الله على العلما حفظ كتاب الله من هذين الوجهين
معا احدهما ان يحفظ فى صدورهم ويدرسونه بالسنتهم
والثانى ان لا تضيعوا احكامه ولا يهملوا شرايعه والراجع
الى ما محذوف ومن للتبيين والضمير فى استحفظوا
للانبيا والربانيين والاحبار جميعا وكذلك الضمير فى
قوله تعالى وكانوا عليه شهدا اى رقبا حافظين لا
يغيبون عنه ولا يتركون مراعاته اصلا وقوله تعالى
فلا تخشوا الناس واخشون نهى للحكام ان يخشوا
غير الله تعالى فى حكوماتهم خوفا من سلطان ظالم او
خيفة اذية احد من القربا والاصدقا وقرا ابو عمرو باثبات
الياى فى الوصل دون الوقف والباقون بحذفها وصلا
ووقفا ولا تشتروا اى تستبدلوا بايات اى باحكامى
التى انزلتها ثمنا قليلا اى من الرشا وغيرها لتكتموا
او تبدلوها كما فعل اهل الكتاب وقوله تعالى ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قال عكرمة معناه

ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا له فقد كفر ومن اقر
به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق فحمل الايات على هذا
وهو ظاهر وقال الضحاك وقتادة نزلت هذه الايات
الثلاث في اليهود دون من اسلم من هذه الامة وقيل
اولئك هم الكافرون في المسلمين لانتحالها خطاياهم
والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا
اى فرضنا عليهم اى اليهود فيها اى التوراة ان النفس
تقتل بالنفس اذا قتلها والعين تفقأ بالعين اى يعان
من فقأها والانف يجدع بالانف اى يبان من جدعه
والاذن تقطع بالاذن اى يبان من قطعها والسن
تقلع بالسن اى يسن من قلعها والجروح قصاص اى
يقتص فيها اذا امكن كاليد والرجل والذكر ونحو ذلك
وما لا يمكن فيه القصاص ففيه الحكومة وهذا الحكم وان
كتب عليهم فهو مفروض في شرعنا وقرا الكسائي هذه
الالفاظ الخمسة وهي العين بالعين الى آخرها بالرفع على
انها جمل معطوفة على ان وما في خبرها باعتبار المعنى
وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين
فان الكتبة والقراءة يقعان على الجمل كالقول او مستانفة
ووافق الكسائي ابن كثير وابو عمرو وابن عامر في الجروح
فقط والباقون بالنصب في الجميع وسكن نافع الذال
من الاذن وقرا الباقون برفعها فمن تصدق به اى القصاص

بان

بما مكن من نفسه فهو اى التصدق بالقصاص كفارة
له اى لما اتاه فلا يعاقب ثانيا فى الاخرة وقيل فمن تصدق
به من اصحاب الحق فالتصدق به كفارة للمتصدق
يكفر الله تعالى من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر
طاعاته وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما تهدم
عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجانى
اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه ومن
لم يحكم بما انزل الله اى فى القصاص وغيره فاولئك
هم الظالمون اى الذين تركوا العدل فضلوا فصاروا احمق
يمشى فى الظلام فان كان تديينا بالترك كان نهاية الظلم
وهو الكفر والا كان عصيانا لان الله احق ان يخشى
ويرجى وقفينا اى اتبعنا على اثارهم اى النبيين الذى
يحكمون بالتوراة بعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم
ونسبه تعالى الى امه اشارة الى انه لا والد له تكذيبا لليهود
والى انه عبد صرف تكذيبا للنصارى مصدقا لما بين
يديه اى قبله مما اتى به به موسى عليه السلام من
التوراة واشار تعالى بقوله واتيناه الانجيل اى انزلناه
عليه كما انزلنا التوراة على موسى عليهما الصلاة والسلام
الى آخره ناسخ لكثير من احكامها فيه هدى من الضلالة
ونور اى بيان للاحكام وقوله تعالى ومصدقا اى
الانجيل حال لما بين يديه اى قبله ولما كان الذى نزل

قبله كثير بين المراد بقوله من التوراة اى لما فيها من الاحكام
فالاول صفة لعيسى عليه الصلاة والسلام والثانى صفة
لكتابه اى فهو والتوراة والانجيل يتصادقون فكل من
الكتابين يصدق الاخر وهو يصدقهما لم يتخالفوا فى
شى بل هو متخلق بجميع ما اتى به وهدى وموعظة
للمتقين اى كل ما فيه يهتدون به ويتعظون فترق
قلوبهم ويعتبرون به وليحكم اهل الانجيل وهم اتباع عيسى
عليه الصلاة والسلام بما انزل الله فيه اى من
الاحكام وقرا حمزة بكسر اللام ونصب الميم عطفا على
معمول اتيناه والباقون بكسر اللام وسكون الميم على
الامر اى فلينته اهل التوراة عما نسخ منها وليحكم اهل
الانجيل الخ ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الفاسقون اى المختصون بكمال الفسق وان كان تدينا
كان كفرا وان كان لاتباع الشهوات كان مجرد معصية لان
الحظوظ والشهوات تحمل على الخروج من دايرة الشرع
مرة بعد اخرى وانزلنا اليك يا محمد خاصة الكتاب
اى الكامل فى جمعه لكل ما يطلب منه وهو القران
وقوله تعالى بالحق متعلق بانزلنا مصدقا لما بين يديه
اى قبله ولما كانت الكتب السماوية من شدة تصادقها
كالشى الواحد عبر تعالى بالمفرد فقال من الكتاب اى الكتب
المنزلة التى جا بها الانبيا من قبل فاللام الاولى فى الكتاب

للعهد

للعهد لانه عنى به القرآن والثانية للجنس لانه عنى
جنس الكتب المنزلة ومهيمنا عليه اى رقيبا على سائر
الكتب اى يحفظها عن التغيير ويشهد لها بالصحة
والثبات فاحكم بينهم اى بين جميع اهل الكتب اذا
ترافعوا اليك بما انزل الله اليك فى هذا الكتاب
الناسخ لكتبهم المهيمن عليها فى اثبات ما اسقطوه
منها من امرهم باتباعك ونحو ذلك من اوصافك ولا
تتبع اهواءهم فيما خالفه حائدا لا عما جاءك من الحق
بالانحراف عنه الى ما يشتهونه لكل جعلنا منكم ايها
الامم شرعة اى دينا موصلا الى الحياة الابدية والشرعة
هى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانها موصلة الى
الماء الذى به الحياة الدنيوية ومنهاجا اى طريقا واضحا
فى الدين ناسخا لما قبله وقد جعلنا شرعتك ناسخة
لجميع الشرائع وامثاله مما يدل على انا لسنا متعبدين
بالشرائع المتقدمة وان كل رسول غير متعبد بشرع
من قبله وهو محمول على الفروع ومما دل على الاجتماع
كاية شرع لكم من الدين محمول على الاصول ولو شاء
الله لجعلكم امة اى جماعة واحدة اى متفقة على دين
واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ولكن لم يشأ
ذلك بل شاء ان تكونوا على شرائع مختلفة ليبلوكم اى
ليختبركم فيما اتاكم من الشرائع المختلفة ليبرز الى

الوجود المطيع منكم والعاصي فاستبقوا الخيرات اى
ابتدروها انتهازا للفرصة بغاية الجهد فان من سابق
شخصا يخشى العار بسبقه وقوله تعالى الى الله
مرجعكم جميعا اى بالبعث استيناف فيه تعليل
للامر بالاستباق ووعد للمبادرين ووعيد للمقصرين
فينبئكم اى يخبركم بما كنتم فيه تختلفون اى
من امر الدين ويجزى كلا منكم بعمله وقوله تعالى
وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب الذى
انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اى انزلناه بالحق
وبان احكم وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة بكسر نون وان
احكم والباقون بضمها ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان
اى ليلا يفتنوك اى يضلوك ويصرفوك عن بعض
ما انزل الله اليك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا
بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد
عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا
اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم
فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك وبصدقك فابى
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا
اى عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله
ان يصيبهم اى بالعقوبة فى الدنيا ببعض ذنوبهم
اى التى تولوها ومنها التولى وتجازيهم على جميعها

الاخرة

الاخرة وان كثيرا من الناس اى هم وغيرهم لفاسقون
اى خارجون عن دائرة الطاعات ومعادن السعادات
افحكم الجاهلية اى خاصة مع ان احكامها لا يرضى
بها عاقل لكونها لم يدع اليها كتاب بل هى مجرد اهوائهم
اهل الكتاب يبغون اى يريدون باعراضهم عن
حكمك مع ما دعا اليه كتابهم من اتباعك وشهد
كتابك المعجز عن معارضته من وجوب رسالتك الى
جميع الخلائق وهذا استفهام انكارى وقرا ابن عامر
بالتاء على الالتفات الى الخطاب وهو دال على الغضب
والباقون بالياء على الغيبة وقيل نزلت فى بنى قريظة
والنضير طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يحكم بما كان حكم به الجاهلية من التفاضل بين القتلى
اى بين دياتهم بعضهم على بعض ومن اى لا احد احسن
من الله حكما لقوم اى عند قوم يوقنون به
خصوا بالذكر لانهم الذين يتدبرون الامور ويتخلقون
الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله
الله جل وعلا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء اى تتولونهم وتوادونهم وتعاشرونهم
معاشرة الاحباب وقوله تعالى بعضهم اولياء بعض
فيه ايما الى علة النهى اى فانهم متفقون على خلاف كفر
يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجماعهم على

مضار تكم ومن يتولهم منكم اى ومن والاهم منكم
فانه منهم اى من جملتهم وهذا التشديد فى وجوب
مجانبتهم اولان الموالى كانوا منافقين ان الله لا
يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم
بموالاة الكفار ومن لم يرد الله هدايته لم يقدر احد
ان يهديه تنبيه اختلف فى سبب نزوله هذه
الاية فقال قوم نزلت فى عبادة بن الصامت وعبد
الله بن ابى بن سلول المنافق وذلك انهما اختصما
فقال عبادة انى اوالى اولياء من اليهود كثير عددهم شديد
شوكتهم واتى ابرا الى الله والى رسوله من موالاتهم وقال
مولاى الله ورسوله فقال عبد الله لكنى لا ابرا من
ولاية اليهود لانى اخاف الدوائر ولا بد لى منهم فانزل
الله تعالى هذه الاية وقال السدى لما كانت وقعة
احد اشتدت على طائفة من الناس وتخوفوا ان تدال
عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان
اليهودى فاخذ منه امانا انى اخاف ان تدال علينا اليهود
وقال الاخر اما انا فالحق بفلان النصرانى من اهل الشام
واخذ منه امانا فانزل الله تعالى هذه الاية وقال عكرمة
نزلت فى ابى لبابة بن المنذر بعثه النبى صلى الله عليه
وسلم الى بنى قريظة حين حاصرهم فاستشاروه فى
النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه

على حلقه

على حلقه يعني انه الذبح اى يقتلكم فنزلت فترى
الذين فى قلوبهم مرض اى ضعف اعتقاد كعبد الله
ابن ابى يسارعون فيهم اى فى موالاتهم يقولون
معتذرين عنها نخشى اى نخاف خوفا بالغا ان تصيبنا
دايرة اى مصيبة تحيط بنا ويدور بها الدهر علينا
من جدب او غلبة ولا يتم امر محمد فلا يميرونا فعسى الله
ان ياتى بالفتح اى باظهار الدين على الاعدا او امر من
عنده اى يهتك ستر المنافقين وافتضاحهم فيصبحوا
اى هؤلاء المنافقين على ما اسروا فى انفسهم اى على ما
استبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول فضلا
عما اظهروه مما اشعر به نفاقهم نادمين اى ثابت لهم
غاية الندم فى الصباح وغيره وقوله تعالى ويقول
الذين امنوا قراه عاصم وحمزة والكسائى بالرفع على
انه كلام مستانف ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر
مرفوعا بغير واو على انه جواب كامل يقول فماذا يقول
المؤمنون حينئذ وقرا بالنصب ابو عمرو عطفا على
ما ياتى باعتبار المعنى وكانه قيل عسى ان ياتى الله بالفتح
ويقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد
ايمانهم اى غاية اجتهادهم فيها انهم لمعكم فى الدين اى
يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين
وتعجبا بما من الله تعالى عليهم من الاخلاص اذ يقولون

لليهود وان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى
عنهم بقوله وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اى بطلت
اعمالهم اى الصالحة فاصبحوا اى فصاروا خاسرين
الدنيا بالفضيحة والاخرة بالعقاب يايها الذين امنوا
اى اقروا بالايمان من يرتد اى يرجع منكم عن دينه
الى الكفر وهذا من الكاينات التى اخبر الله تعالى عنها
فى القران قبل وقوعها وكان اهل الردة احدى عشرة فرقة
ثلاث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاولى بنوا
مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار بالحا المهملة قال التفتازانى
كان يقول حمار يقول له قف فيقف وسير فيسير فكانت
النسا اى نسا اصحابه يتعطرون بروث حماره وقيل
يعقدن روثه بخمرهن فسمى ذو الخمار بالخا المعجمة وذو
هنا وفيما قبله بالواو على الحكاية والعنسى بفتح العين
وسكون النون منسوب الى عنس وهو يزيد بن مذحج
ابن ادد بن كعب العنسى ويلقب الاسود كان كاهنا
تنبا باليمن واستولى على بلادها واخرج عمال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى معاذ بن جبل رضى الله عنه والى سادات
اليمن وامرهم ان يحثوا الناس على التمسك بدينهم
والنهوض الى حرب الاسود فقتله فيروز الديلمى على
فراشه قال ابن عمر رضى الله عنهما واتى الخبر رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم من السما الليلة التى قتل فيها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل الاسود البارحة
قتله رجل مبارك قيل ومن هو قال فيروز فسر المسلمون
ببشرى النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه بهلاك الاسود
وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى
خبر مقتل العنسى المدينة فى آخر شهر ربيع الاول وكان
ذلك اول فتح جا الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه وارضاه
والفرقة الثانية بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة
الكذاب وكان تنبأ فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى آخر سنة عشر وزعم انه اشترك مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى النبوة وكتب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول
الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك وبعث
اليه مع رجلين من اصحابه فقال لهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما
ثم اجابه من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما
بعد فان الارض لله يورثها من يشا من عباده والعاقبة
للمتقين ومرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى
فبعث ابو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد فى جيش
كبير حتى اهلكه الله تعالى على يد وحشى غلام مطعم
ابن عدى الذى قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعد حرب شديد وكان وحشي يقول
قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام
اراد جاهليتي واسلامي الفرقة الثالثة بنو اسد
ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة احد من ارتد
وادعى النبوة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
واول من قاتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
من اهل الردة فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد
ابن الوليد رضي الله عنه اليهم فهزمهم خالد بن
الوليد رضي الله عنه بعد قتال شديد واقلت طليحة
فمر على وجهه هاربا نحو الشام ثم انه اسلم بعد ذلك
وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله
تعالى عنه الاولى قرارة قوم عيينة بن حصن والثانية
غطفان قوم قرة ابن سلمة والثالثة بنو سليم قوم
الفجاة ابن عبد ياليل والرابعة بنو يربوع قوم
مالك بن نويرة والخامسة بعض تميم قوم سجاح
بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة
الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المصري
انت سجاح وابوك الهنا مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكنا
والسادسة كندة قوم الاشعث بن قيس والسابعة
بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم ابن زيد وكفى
الله تعالى امرهم على يد ابي بكر رضي الله عنه وفرقة

واحدة

واحدة في عهد عمر رضي الله عنه وهي غسان قوم
جبلة بن الايهم تنصروا وسار الى الشام والجمهور
انه مات على ردته وذكرت طائفة انه عاد الى الاسلام
وقرأ نافع وابن عامر يرتدد بدالين الاولى مكسورة
مخففة والثانية ساكنة والباقون بدال مفتوحة
واخرى مشددة واختلف في القوم في قوله تعالى
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال قتادة بن
عمر الازدي لما نزلت الاية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قوم هذا واشار الى ابي موسى الاشعري
رضي الله عنه وكانوا من اليمن وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الايمان يمان والحكمة يمانية وقال الطبري هم احياء من
اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة
وثلاثة الاف من افناء اي لم يعلم ممن هو قاله الحوفي
فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية وقتل هم
الانصار وقد سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنهم فضرب على عاتق سلمان رضي الله عنه
فقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا
بالثريا لنالته رجال من ابناء فارس والراجع الى من
محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم
او يقوم بغيرهم وما اشبه ذلك ومحبة الله تعالى

لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم
ويثني عليهم ويرضى عنهم ومحبة العبد لربه طاعته
وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه
اذلة على المومنين اى عاطفين عليهم متذللين لهم
جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل
الذى هو نقيض الصعوبة فقد نبى عنه ان ذلولا لا
يجمع على اذلة فان قيل هلا قال اذلة للمومنين اجيب
بانه تضمن معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين
عليهم على وجه التذلل والتواضع وانهم مع شرفهم
وعلو طبقتهم وفضلهم على المومنين خافضون لهم
اجنحتهم او للمقابلة فى قوله تعالى اعزة على الكافرين
اى شداد مستغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقوله
تعالى يجاهدون فى سبيل الله حال من الضمير فى اعزة
او صفة اخرى لقوم وقوله تعالى ولا يخافون لومة لائم
يحتمل ان يكون الواو للحال على انهم يجاهدون فى
حالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم
كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا فى جيش المومنين
خافوا اوليائهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه
يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المومنون فكانوا
يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم فقد
وان يكون للعطف على يجاهدون بمعنى انهم

الجامعون

الجامعون بين الجهاد في سبيل الله والتصلب في
دينه واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم
مبالغتان ذلك اشارة الى الاوصاف المذكورة
وقوله تعالى فضل الله يؤتيه من يشاء اى يمنحه ويوفق
له فيبذل الانسان جهده في طاعته لينظر اليه
هذا النظر برحمته والله واسع اى كثير الفضل عليم
اى بمن هو اهله ونزل لما قال ابن سلام رضى الله
عنه يا رسول الله ان قومنا هجرونا انما وليكم الله
ورسوله والذين امنوا وانما قال وليكم ولم يقل
اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة
ولرسوله وللمومنين على التبع اذ التقدير انما وليكم
الله وكذا رسوله والمومنون ويوقيل انما اولياكم
الله ورسوله والذين امنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع
ثم وصف المومنين بقوله تعالى الذين يقيمون
الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون اى متخشعون
في صلاتهم وزكاتهم وقيل يصلون صلاة التطوع ومن
يتول الله ورسوله والذين امنوا اى ومن يتخذهم
اولياء وقيل من يعينهم وينصرهم فان حزب الله هم
الغالبون اى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر
موضع المضمر اظهارا لمكانهم فهو به تشريفا لهم في ولايته
وتشريفا لهم بهذا الاسم فكانه قيل ومن يتولهم فانهم

فانهم حزب وحزب الله هم الغالبون وتعريضا بمن يوالى
هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون
لامر حزبهم ونزل فى رفاعة بن زيد وسويد بن حارث
الذين اظهروا الاسلام ثم نافقوا وكان رجال من المسلمين
يوادونهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا
دينكم اى الذى شرفكم الله به هزوا اى مهزوا به
ولعبا ثم بين النهى عن موالاتهم بقوله تعالى من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم اى اليهود ولما خصص عمم بقوله
والكفار اى من عبدة الاوثان وغيرهم اولياء اى فان
الفريقين اجتمعوا على حسدكم وازدرائكم فلا تقعوا لكم
موالاتهم وقرا ابو عمرو والكسائى بخفض الراء والباقون
بالنصب عطفا على الذين اتخذوا على ان النهى عن
موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين
يتبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب
ومن لا دين له كالمشركين واتقوا الله اى بترك المناهى
ان كنتم مؤمنين اى صادقين فى ايمانكم فان الايمان
حقا يقتضى ذلك وقوله تعالى واذا ناديتم معطوف
على الذين قبله اى ولا تتخذوا الذين اذا ناديتم اى
دعوتم الى الصلاة بالاذان اتخذوها اى الصلاة
هزوا ولعبا بان يستهزوا بها ويتضاحكوا ويقولوا
صاموا لصياح العير شئ هذا دليل على ان الاذان مشروع

للصلوات

للصلوات المكتوبات روى الطبراني ان نصرانيا بالمدينة
كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار
واهله نيام فتطايرت شرره في البيت فاحرقه واهله
ذلك اي الاتخاذ بانهم اي بسبب انهم قوم لا يعقلون
اي فان السفه يودي الى الجهل بالحق والهزابة والعقل
يمنع منه ونزل لما سالت نفر من اليهود النبي صلى الله
عليه وسلم عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن
بالله وما انزل الينا الاية فقالوا احين سمعوا ذكر عيسى
ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا
دينا شرا منكم من دينكم قل يا اهل الكتاب هل تنقمون
اي تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا انكره
وانتقم اذا كافاه الا ان امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل من قبل اي الى الانبياء وقوله تعالى وان اكثركم
فاسقون عطف على ان امنا والمعنى ما تنكرون منا
الا ايماننا وفعالنا لتمكنكم في عدم قبول الايمان المعبر عن
عدم القبول بالفسق اللازم عن عدم القبول وليس
هذا مما ينكر قل لهم يا محمد هل انبئكم اي اخبركم
بشر من ذلك اي الذي تنقمونه مثوبة عند الله
نصب مثوبة على التمييز اي ثوابا بمعنى جزاء فان قيل
المثوبة مختصة بالاحسان كما ان العقوبة مختصة

بالشر اجيب بان ذلك على سبيل التهكم كما في قوله تعالى
فبشره بعذاب اليم وقوله تعالى من لعنه الله وغضب
عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على
حذف مضاف قبل لفظ ذلك او قبل لفظ من لعنه الله
وتقدير بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من
ذلك دين من لعنه الله لان الدين المشار اليه غير مطابق
لقوله من لعنه الله في معنى يشترك فيه لفظ شر
فيقدر اهل قبل ذلك او دين قبل من ليطابق فان قيل
هذا يقتضي كون الموصوف بذلك الدين محكوما
عليهم بالشر ومعلوم انه ليس كذلك اجيب بانما
خرج الكلام على حسب قولهم واعتقادهم فانهم حكموا
بان اعتقاد ذلك الدين شر فقيل لهم هب ان الامر كذلك
لكن لعنة الله وغضبه ومسخ الصور شر من ذلك
والذين لعنهم الله هذه الاية هم اليهود ابعدهم الله من
رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد
وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت
وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل
كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة
ومشايخهم خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون
يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير
فينكسون رؤسهم وقوله تعالى وعبد الطاغوت عطف

على

على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وقرا حمزة
بضم باء عبد وكسر تاء الطاغوت على انه اسم جمع لعبد
عطف على من والباقون بنصب الباء من عبد والتاء من
الطاغوت والطاغوت الشيطان او العجل لانه معبود
من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان
فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الطاغوت الكهنة
وكل من اطاعوه في معصية الله تعالى تنبيه روعي
في منهم معنى من وفيما قبلها لفظها وهم اليهود اولئك
الملعونون الممسوخون شر مكانا لان ماواهم النار
وجعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة
ليست في قولك اولئك شر مكانا تمييز واضل عن سواء
السبيل اي طريق الحق واصل السواء الوسط فان قيل
ذكر شر واضل يقتضي مشاركة المومنين والكفار
في الشر والضلال وان الكفار اشر واضل مع ان المومنين
لم يشاركوا الكفار في شي من ذلك اجيب بان مكان
هولاء في الاخرة شر واضل من مكان المومنين في الدنيا
لما يلحقهم فيها من الشر والضلال الحاصل لهم بالهموم
الدنيوية كسماع الاذى وغيره او ان ذلك على سبيل
التنزل والتسليم للخصم على زعمه الزاما له بالحجة
وهذا اولى ونزل في يهود نافقوا النبي صلى الله عليه وسلم

واذا جاوكم قالوا امنا وقد اى قالوا ذلك والحال انهم قد
دخلوا اليكم متلبسين بالكفر وهم قد خرجوا من
عندكم متلبسين به اى بالكفر كما دخلوا متعلق بهم شى
مما سمعوا به من تذكيرك بايات الله ومواعظك والله
اعلم بما كانوا يكتمون من الكفر وغيره فى جميع احوالهم
من اقوالهم وافعالهم وفى هذا وعيد لهم وترى كثيرا منهم
اى اليهود او المنافقين يسارعون اى يقعون
سريعا فى الاثم اى الكذب بدليل قوله تعالى عن قولهم
الاثم والعدوان اى الظلم وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان
والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اى الحرام
كالرشا لبئس ما كانوا يعملون عملهم هذا لولا
ينهاهم اى يجدد لهم النهى الربانيون اى الدعوة التحلى
من الدنيا الى سبيل الرب والاحبار اى العلماء عن قولهم
الاثم اى الكذب واكلهم السحت اى الحرام هذا تخصيص
لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضى
افاد التوبيخ واذا دخل على المضارع المستقبل افاد
التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ترك نهيهم فان
قيل لم عبر فى الاول بيعلمون وفى الثانى بيصنعون
اجيب بان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة
حتى يتمكن فيه ويتدرب وبذلك فمرتبة اخوانهم ولان
ترك الانكار على المعصية اقبح من مواقعة المعصية

لان

لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار
عليها فكان جديرا بان يبلغ الذم فيدخل في الذم كل من
كان قادرا على النهي عن المنكر من العلماء وغيرهم وتركه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي اشد اية في القرآن
وعن الضحاك ما في القرآن اية اخوف عندي منها
وقالت اليهود ما ضيق علينا بتكذيبهم النبي
صلى الله عليه وسلم وكانوا اكثر الناس مالا واخصبهم
ناحية يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق
وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله
تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد وغل ولا
بسط ولو اعطي الاقطع الى المنكب عطاء جزيلا لقالوا
ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان
وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث
لا تقع اليد كقولهم بسط الياس كفيه في صدري فجعلت
للياس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كما ترى فان
قيل قد تقدم ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل
فما تقول في قوله تعالى غلت ايديهم ومن حقه ان لا
يطابق ما تقدمه اجيب بانه يجوز ان يكون معناه
الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا البخل خلق
الله تعالى وانكده والمطابقة على هذا ظاهرة ويجوز

ان يكون دعاء عليهم بغل الايدى حقيقة مغلولون فى الدنيا
اسارى يجوسون فى الاخرة معذبين بالاغلال جهنم كما قال تعالى
اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل وعلى هذا تكون
المطابقة حاصلة من حيث لفظ مغلولة وعلت من حيث
ملاحظة ان الاصل فى القول الشنيع ان يقابل بالدعاء على
قايله ولعنوا اى ابعدوا وطردوا عن الجناب الكريم
بما قالوا فمن لعنهم انهم مسخت قردة وخنازير ثم رد
الله تعالى عليهم بقوله بل يداه مبسوطتان مشيرا
بالتثنية الى غاية الجود وان غاية ما يبذله السخى
من ماله ان يعطى بيديه جميعا ينفق كيف يشاء اى
هو مختار فى انفاقه يضيق تارة ويوسع اخرى على
حسب مشيته ومقتضى حكمته لا اعتراض عليه وقيل
لما نزل هذه المقالة فنحاص بن عازوراء كما لم ينههم
الاخرون ورضوا بقوله اشركهم الله تعالى فيها وليزيدن
كثيرا منهم اى من اراد الله فتنته ثم ذكر فاعل الزيادة
فقال ما انزل اليك من ربك من القرآن طغيانا اى
تماديا فى الجحود وكفرا بايات الله فيزدادون على
كفرهم وطغيانهم طغيانا وكفرا مما يسمعونه من القرآن
كما يزداد المرضى مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحا
والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة
فكل فرقة منهم تخالف الاخرى فلا تتوافق قلوبهم

ولا

ولا تنطابق اقوالهم كلما اوقدوا نار للحرب اطفاها الله
اى كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يتم لهم نصر
من الله على احد وقد اتاهم الاسلام وهم فى ملك المجوس
وقيل خالفوا احكام التوراة فبعث الله عليهم بخت نصر
ثم افسدوا فسلط الله عليهم قطرس بالفا الرومى
ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا
فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم وعن قتادة لا
تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس
ويسعون فى الارض فسادا اى ويجتهدون فى اكليد
للاسلام ولحوذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كتبهم واثارة الحرب والفتن وهتك المحارم والله لا
يحب المفسدين اى فلا يجازيهم الا شر ولو ان
اهل الكتاب امنوا اى بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبما جاء به واتقوا اى الكفر لكفرنا عنهم سياتهم اى
التى فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات
النعيم مع المسلمين وفى هذا اعلام بعظم معاصى
اليهود والنصارى وكثرة سياتهم ودلالة على سعة
رحمة الله تعالى وذكر باب التوبة على كل عاص وان
عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيات اليهود والنصارى
وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابى لا

يدخل الجنة مالم يسلم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل
اى اقاموا احكامها وحدودها وما فيهما من نعت محمد
صلى الله عليه وسلم وما انزل اليهم اى من الكتب
المنزلة من ربهم لانهم مكلفون بالايمان بجميعها
فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن وقوله تعالى
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة عن التوسعة
اى لتوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم من بركات
السماء والارض او ان تكثر الاشجار المثمرة والزروع
المغلة او ان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها
من رؤس الشجر وليتقطفون ما تساقط على الارض
من تحت ارجلهم بين سبحانه وتعالى بذلك ان ما كلف
عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا بقصور الفيض ولو
انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم
خير الدارين منهم امة اى جماعة مقتصدة اى
عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم عبد الله بن سلام
واصحابه وثمانية وابن يعوف من النصارى امنوا
بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل متوسطة فى عداوته
وكثير منهم سا اى بئس ما اى شيا يعملون فيه
معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوء عملهم وقيل
هو كعب ابن الاشرف واصحابه والروم روى مسروق
عن عايشة رضى الله عنها انها قالت من حدثك ان

محمدا

محمد اكتم شيأ مما انزل الله فقد كذب وهو يقول يا ايها
الرسول بلغ جميع ما انزل اليك من ربك اى لانكم
منه شيأ خوفا ان تنال بمكروه وان لم تفعل اى وان
لم تبلغ جميع ما انزل اليك فما بلغت رسالته اى لان
كتمان بعضها كلها ان كلها اى ولان بعضها ليس بالاولى
بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها
جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها
وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان كتمت اية لم تبلغ
رسالتى واختلف فى سبب نزول هذه الاية فقيل نزلت
فى عتب اليهود وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم
دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن
به ويقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى
عيسى حنانا فلما راى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك
نزلت هذه الاية وقيل نزلت فى الجهاد وذلك ان المنافقين
كانوا يكرهونه وكان يمسك احيانا عن حثهم على الجهاد
وقيل لما نزلت اية التخيير وهى قوله تعالى يا ايها النبى
قل لازواجك فلم يعرضها عليهن خوفا من اختيارهن
الدنيا فنزلت وقيل غير ذلك وقرا نافع وابن عامر وشعبة
بالفعجمع الله مرو كسر التاء والباقون بغير الف ونصب التا
والله يعصمك من الناس اى يحفظك ويمنعك
منهم فان قيل اليس قد شج وجهه وكسرت رباعيته

صلى الله عليه وسلم واوذى بضروب من الاذى اجيب
بان معناه يعصمك من القتل فلا يصلون الى قتلك
وفي هذا تنبيه على انه يجب عليه ان يحتمل كل اذى دون
النفس من انواع البلايا فما اشد تكليف الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وقيل نزلت هذه الاية بعد
ما شج راسه لان سورة المايدة من اخر ما نزل من
القران وروى اسحاق بن راهويه في مسنده عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثني الله
برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ
رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن
انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم
فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس
قال البيضاوي وظاهر الاية يوجب تبليغ كلما انزل
ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد
بانزاله اطلاعهم عليه فلا من الاسرار الالهية ما يحرم
افشاوه انتهى قال بعض العارفين ولهذا قال تعالى بلغ
ما انزل اليك ولم يقل ما تعرفنا به اليك واعلم ان المراد
من الناس ههنا الكفار بدليل قوله تعالى ان الله لا
يهدي القوم الكافرين اي لا يمكنهم مما يريدون وروي
انه عليه الصلاة والسلام نزل تحت شجرة في بعض

اسفار

استقاء هو علق سيفه عليها فاتاه اعرابي وهو نائم
واخذ سيفه واخترطها وقال من يمنعك مني يا محمد
قال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط من يده وضرب
براسه الشجرة حتى انتثر دماغه قل يا اهل الكتاب
لستم على شئ اى دين يعتد به حتى يسمى شيا
لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشئ تريد تحقير
وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لاشئ حتى تقيموا
التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم اى بان
تعملوا بما فيها ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها
آمرة بالايمان بمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطا
عة
له والمراد اقامة اصولها وما ينسخ من فروعها
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك اى من القران
طغيانا وكفرا لكفرهم به فلا تاس اى تحزن على القوم
الكافرين ان لم يوصلوا اليك اى لا تهتم بمهلك ضرره
ذلك لاحق بهم لا بتخطاهم وفي المومنين متدوحة عنهم
لكن الذين امنوا والذين هادوا هم اليهود والصابئون
فرقة منهم والنصارى وقد مر تفسير هذا في سورة البقرة
فان قيل بم رفع الصابيون وكان حقه والصابيين
اجيب بانه رفع على الابتدا وخبره محذوف والنية به
التاخير عما في خبر ان مع اسمها وخبرها كانه قيل

ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا
والصابيون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له
والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق
والشاهد فى انتم فانه مبتدا حذف خبره والتقدير
والا فلانا بغاة وانتم كذلك فان قيل ما فايدة هذا التقدير
والتاخير اجيب بان الصابيين اشد الفرق المذكورين
فى هذه الاية ضلالا وما سموا صابيين الا لانهم
صبيوا عن الاديان كلها اى خرجوا فكانه قال هؤلا
الفرق الذين امنوا واتقوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم
حتى الصابيين فانهم ان امنوا كما نوا ايضا كذلك وقيل
منصوب بالفتحة فكما جوز بالفتحة مع الياء فى بنين
وسنين جوز مع الواو كما هنا وقوله تعالى من امن
بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فى محل رفع بالابتدا وخبره
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الاخرة والفا لتضمن
المبتدا معنى الشرط والجملة خبر ان فان قيل كيف
قيل كيف قيل الذين امنوا من امن اجيب بان المراد
المراد بالذين امنوا الذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون
او ان المراد بمن امن ثبت على الايمان واستقام ولم
تخالجه ريبة فيه لقد اخذ ميثاق بنى اسرايل
اى على الايمان بالله ورسوله وارسلنا اليهم رسلا
اى ولم نكلفهم بهذا العهد بل ارسلنا ليذكروهم ويبينوا

لهم

لهم امرد منهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم اى
بما يخالف هواهم من الشرايع ومشاق التكليف
فريقا اى من الرسل كذبوا اى كذبهم بنو اسرائيل
من غير قتل كعيسى وفريقا منهم يقتلون كزكريا
ويحيى وانما جئ بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال
الماضية استحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب
منها وتنبيها على ان ذلك ٣ ماضيا ومستقبلا
ومحافظة على رؤس الاى وحسبوا اى ظنوا بنو
اسرائيل ان لا تكون اى توجد فتنة اى لا يصيبهم بها
عذاب فى الدنيا ولا فى الاخرة بل استخفوا باثرها فلا تعجب
انت من جرايهم فى ادعايهم انهم ابنا الله واحباؤه
وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائى برفع النون تنزيلا للحسبان
منزلة العلم فتكون مخففة من الثقيلة واهله انه
لا تكون فتنة والباقون بالنصب على ان الحسبان على بابه
فعموا اى عن الحق فلم يبصروه وهذا العمى هو الذى
لا عمى فى الحقيقة سواه وهو انطماس البصاير فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وصموا
عنه فلم يسمعوه اى عموا وصموا بعد موسى وعيسى عليهما
عليهما السلام والصمم اضر من العمى فان الاعمى قد
يهتدى الى السبيل اصلا لانه لا يصور له بعين ولا قلب
ولا سمع ثم تاب الله عليهم بمبعث عيسى ابن مريم

فرفعوه الى الحق ثم عموا وصموا كرة اخرى بالكفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى كثير منهم بدل
من الضمير والله بصير بما يعملون اى واد ق فيجازيهم
به وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم وهم اليعقوبية منهم القائلون بالاتحاد وقال
المسيح يا بنى اسرايل اعبدوا الله ربى وربكم اى انى
عبد مربوب متكلم فاعبدوا خالقى وخالقكم انه من
يشرك بالله اى يشرك فى العبادة غيره فقد حرم
الله عليه الجنة اى منعه من دخولها منعا مستحكما
فانها دار الموحدين وماواه النار اى محل سكناه
فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اى
ومالهم احد ينصرهم من النار لا بغدا ولا بشفاعة ولا
بغيرهما فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم
ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان
يكون من كلام الله تعالى تنبيه على انهم عدلوا عن
سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام
فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده
وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من
مقداره وان يكون من كلام عيسى عليه السلام على
معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه
لاستحالته وبعده عن العقول اولا ينصركم ناصر فى

الاخرة

الاخرة من عذاب الله لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلاثة اى احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله
النسطورية والملكانية وفيه اضمار معناه ثالث
ثلاثة الالهة لانهم يقولون الالهية مشتركة بين
الله ومريم وعيسى وكل واحد من هولا اله فهم ثلاثة
الهة بين هذا قوله تعالى للمسيح اانت قلت للناس
اتخذونى وامى الهين من دون الله ومن قال ان
الله تعالى ثالث ثلاثة بالعلم ولم يرد به الالهة لم يكفر
فان الله يقول ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم
وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما ظنك
باثنين الله ثالثهما ثم قال الله تعالى ردا عليهم وما
من اله الا اله واحد اى وما فى الموجودات واجب
مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات
الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن الشركة
ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا اى الكفرة
بجميع اصنافهم عما يقولون اى من هاتين المقالتين
وما داناهما ليمسن اى مباشرة من غير حايل الذين
كفروا اى داوموا على الكفر منهم عذاب اليم اى مولم
لم ينقطع عنهم لعدم توبتهم ولذلك عقبه بقوله تعالى
افلا يتوبون اى يرجعون بعد هذا الكفر الذى لا
اوضح من بطلانه ولا ابين من فساده الى الله

ويستغفرونه اى يطلبون منه غفران ما قد موا عليه
من تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرونه بالتوحيد
والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التفريع
والتهديد والله غفور اى بالغ المغفرة يحق الذنوب
فلا يعاقب عليها ولا يعتب رحيم اى بالغ الاكرام
لمن اكرم عليه فيغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا
وفى هذا الاستفهام تعجيب من امرهم ما المسيح بن
مريم الا رسول قد خلت اى مضت من قبله الرسل
اى ليس هو بالاه كالرسل الذى مضوا لم يكونوا الهة
وما من خارقة لهذا الا وقد كان مثلها او اعجب منها لمن
كان قبله فان كان قد احيى الموتى على يديه فقد احيا
العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب
وان كان قد خلقه من غير اب فقد خلق ادم من غير
اب وام وهو اغرب وامه صديقة اى بليغة الصدق
فى نفسها كساير النسا اللاتى يلازمن الصدق او لم
يصدقن الانبيا كما قال تعالى فى وصفها وصدقت
بكلمات ربها وهذه الاية من ادلة من قال ان مريم
عليها السلام لم تكن نبية فانه تعالى ذكر اشرف صفاتها
فى معرض الرد على من قال بالهيتها اشارة الى ما هو الحق
فى اعتقاد ما لها من اعلا الصفات فان اعظم صفات
عيسى عليه السلام الرسالة واجل صفات امه

عليها

عليها السلام الصديقة فائدة مريم من ازواج
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة وما بين سبحانه
وتعالى اقصى ما لهما من الكمالات بين ان ذلك لا يوجب
لهما الالوهية بقوله كانا ياكلان الطعام لان من
احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما ينفعه من الهضم لم يكن
الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط
وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مولف مدبر كغيره
من الاجسام فكيف يكون الها وخص الاكل بالذكر لانه اصل
الحاجات والاله لا يكون محتاجا وقيل هذه كناية عن الحدث
لان من اكل وشرب لابد له من البول والغايط وما
كانت هذه صفته كيف يكون الها ثم لما اوضح الله
تعالى لهم الادلة في امرهما حتى ظهر كالشمس بعدها
عما ادعوا فيهما اتبعه التعجب بقوله انظر متعجبا
كيف نبين لهم الايات على وحدانيتنا ثم انظر
انى اى كيف يوفكون اى يصرفون عن الحق مع
قيام البرهان فان قيل ما معنى التراخي في قوله تعالى ثم
انظر اجيب بان معناه التفاوت بين العجبين اى ان
بياننا للايات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدو
من دون الله اى غيره ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا
اى لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضر الله تعالى به
من البلايا والمصايب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم

بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان والسعة
والخصب وكلما يستطيعه البشر من المضار والمنافع
فيما قدر الله تعالى وتمكينه وكانه لا يملك شيا وهذا دليل
قاطع على ان امر عيسى مناف للربوبية حيث جعله لا
يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب تعالى ان يكون
قادرا على كل شى لا يخرج مقدور عن قدرته فان قيل
اذا كان المراد السيد عيسى فلم عبر بما دون من مع
ان المراد من يعقل اجيب بانه اتى بما نظرا الى ما هو
عليه فى ذاته توطية لنفى القدرة عنه اساو تنبيها على انه
من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة
والمشاركة فمعتزل عن الالوهية او ان المراد كل ما عبد
من دون الله تعالى سواء كان من يعقل امرا وهو السميع
لاقوالكم العليم باحوالكم فيجازى عليها ان خيرا فخير
وان شرا فشر والاستفهام للانكار قل يا اهل الكتاب اى
عامة لا تغلوا اى تجاوزوا الحد فى دينكم وقوله تعالى
غير الحق صفة للمصدر اى لا تغلوا فى دينكم غلوا غير
الحق اى غلوا باطلا لان الغلو فى الدين غلوان حق
وهو ان يجتهد فى تحصيل حجج كما يفعل المتكلمون وغلو
باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن
الادلة فيرتمى عيسى عليه السلام الى ان يدعوا له
الالهة او يضموه ويرتابوا فيه وقيل الخطاب للنصارى

خاصة ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل في
غلوهم وهم اسلافهم الذين ضلوا قبل مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا اي من
الناس بتماديهم في الباطل من التثليث وغيره حتى ظن
حقا وضلوا اي بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن سوا السبيل اي طريق الحق وهو الاسلام
والسوا في الاصل الوسط والاهوا ها هنا المذاهب
التي تدعوا اليه الشهوة دون الحجة قال ابو عبيدة لم
يذكر الهوى الا في موضع الشر لا يقال فلان يهوى الخير
انما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سمي الهوى هوا لانه
يهوي بصاحبه الى النار وقال رجل لابن عباس الحمد لله
الذي جعل هواي على هواك فقال كل هوى ضلالة لعن
الذين كفروا من بني اسرايل على لسان داود اي لعنهم
الله في الزبور على لسان داود وان اهل ايلة لما اعتادوا
في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم
اية فمسخوا قردة وقوله تعالى وعيسى بن مريم عطف
على داود اي لعنهم الله في الانجيل على لسان عيسى وهم
اصحاب المايدة لما لم يومنوا قال عيسى عليه السلام
اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخوا خنازير وكانوا خمسة
الاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي قال بعض العلما
ان الشهود كانوا يفتخرون بانا من اولاد الانبيا

فذكر الله تعالى هذه الاية ليدل على انهم ملعونون على السنة
الانبياء ذلك اى اللعن المذكور بما اى بسبب ما
عصوا وكانوا يعتدون فسر المعصية والاعتداء بقوله
تعالى كانوا لا يتناهون اى لا ينهى بعضهم بعضا عن
منكر اى مفاده منكر فعلوه او عن مثل منكر او عن
منكر اراد وا فعله وتهيؤا له وانما قدرنا ذكر لان التناهى
عن منكر قد مضى محال لبئس ما كانوا يفعلون
اى يفعلونه والمخصوص بالذم محذوف اى فعلهم هذا
قال بعض المفسرين فيا حسرة على المسلمين بتة
اعراضهم عن باب التناهى عن المناكير وقلة عيبهم
به كانه ليس من ملة الاسلام فى شى مع ما يتلون من
كلام الله وما فيه من المبالغات فى هذا الباب ترى
كثيرا منهم اى اهل الكتاب يتولون الذين كفروا اى
يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وللمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم من
العمل لمعادهم ان سخط الله عليهم اى غضب الله
عليهم وفى العذاب هم خالدون اى دايما ولو كانوا
يؤمنون بالله والنبى والعهد الاخر والنبى محمد صلى الله
عليه وسلم وما انزل اليه من عند الله اى من القرآن
وغيره ايمانا خالصا من غير نفاق ما اتخذوهم اى
المشركين اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا

منهم فاسقون اى خارجون عن الايمان وقيل
معناه ولو كانوا يومنون بالله وموسى كما يدعون ما
اتخذوا المشركين اولياء ولو لم يومنوا لوجد المسلمون لتجدن
يا محمد اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود
والذين اشركوا من اهل مكة لتضاعف كفرهم وجهلهم
وانهماكهم فى اتباع الهوى وفى جعل اليهود قرنا المشركين
فى شدة العداوة وللمومنين دلالة على بسدة عداوتهم
لهم بل نبه على تقدم قدمهم فيها على الذين اشركوا وكذلك
فى قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن
الذين اشركوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما خلا يهودى
بمسلم الا هم بقتله ولتجدن اقربهم اى الناس مودة
للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى انما اسند تشميتهم
نصارى اليهم دون تسمية اليهود لانهم الذين سموا
انفسهم نصارى حين قال لهم عيسى عليه السلام
من انصارى الى الله الاية اولانهم كانوا مسكنوة قرية
يقال لها ناصرة وكلهم لم يكونوا ساكنين فيها وعلى هذا
التقديرين فتسميتهم نصارى ليست حقيقة بخلاف
تسمية اليهود يهودا فانها حقيقة سواء اريد بذلك
كونهم اولاد يهودا ابن يعقوب او كونهم تابوا عن عبادة
العجل بقولهم انا هدنا اليك او تحركهم فى قراءتهم
ثم علل سبحانه وتعالى سهولة ماخذ النصارى وقرب

مودتهم للمومنين بقوله تعالى ذلك بان منهم قسيسا
اى علما ورهبانا اى عبادا وانهم لا يستكبرون
عن اتباع الحق كما تستكبر اليهود والمشركون من اهل
مكة نزلت فى وفد النجاشى القادمين من الحبشة
لا فى كل النصارى لانهم فى عداوتهم للمسلمين كاليهود
فى قتلهم المسلمين واسرهم وتخريب ديارهم وهدم
مساجدهم وحرق مصاحفهم قال اهل التفسير لما يئست
قريش ان يفتنوا المومنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة
على من فيها من المسلمين يوذونهم ويعذبونهم واقتتن
من اقتتن وعصم الله تعالى منهم من يشاء ومنع الله
تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه ابى طالب فلما
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصحابه ولم
يقدر على منعهم ولم يومر بعد بجهاد امرهم بالخروج
الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم
عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين
فرجا وارادبه النجاشى واسمه صحمة وهو بالعربية
عطية وانما النجاشى اسم الملك كقولهم قيصر وكسرى
فخرج اليهم شرا احد عشر رجلا واربع نسوة من جملتهم
عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة الى ارض
الحبشة بنصف دينار وذلك فى شهر رجب فى السنة

الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه
الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن عبد المطلب وتتابع المسلمون
اليه حتى كان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين
وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش
بذلك ارسلوا الى النجاشي بالهدايا ليردهم اليهم فعصمهم
الله تعالى وانصرفوا خائبين واقام المسلمون هناك
بخير دار وخير جوار الى هاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلا دينه في سنة ست من الهجرة كتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن امية
الضمري ليزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت
قد هاجرت اليه مع زوجها فارسل النجاشي الى ام حبيبة
جارية تخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستبشرت بذلك واذنت لخالد بن سعيد ان يزوجها
وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي
فانفذ اليها اربعمائة دينار فالت ام حبيبة فخرجنا الى
المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فخرج من
خرج اليه واقمت بالمدينة حتى قدموا في جعفر ابن
ابي طالب واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون
من الحبشة وثمانية من اهل الشام فقرأ عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبكوا واسلموا وقالوا ما اشبه

هذا بما كان ينزل على عيسى قال تعالى واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول من القران ترى اعينهم تفيض من الدمع
اى جعلت اعينهم من فرط البكا كانها تفيض بانفسها
مما عرفوا من الحق من الاولى للابتدا والثانية لتبيين
ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض والمعنى انهم عرفوا
بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله وقال ابن عباس
يريد النجاشى واصحابه رضى الله تعالى عنهم بعث اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقراه عليهم ثم دعا
بجعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان
والقسيسين وامر جعفر ان يقرا عليهم القران فقرا
عليهم كهيعص فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر القراة
قالوا امنا كما قال تعالى يقولون ربنا امنا اى صدقنا
بنبيك وكتابك فاكتبنا مع الشاهدين اى امة محمد
صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون على الامم يوم
القيامة دليله قوله تعالى لتكونوا شهدا على الناس
واذا نظرت مكاتبات النبى صلى الله عليه وسلم ارددت
بصيرة فى صدق هذه الاية فانه ما كاتب نصرانيا الا امن
او كان لينا ولو لم يسلم ٢ قل والمقوقس وهوذة
ابن على وغيرهم وغايتهم انهم ضنوا بملكهم واما غير
النصارى فانهم كانوا على غاية من الفظاظة ككسرى فانه
مزق كتابه صلى الله عليه وسلم ولم يجز رسوله بشى قال

البقاعى

البقاعي السوفي في ذلك انه لما كان عيسى عليه الصلاة
والسلام اقرب اليه ولو كانوا كفرة اقرب الامم مودة
لانتمائه النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا في جواب من غيرهم
بالاسلام من اليهود وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا
من الحق وهو القرآن لا مانع لنا من الايمان مع وجود
مقتضيه وقوله تعالى ونطمع معطوف على نؤمن
ان يدخلنا مع القوم الصالحين اي المؤمنين الجنة
فاثابهم الله بما قالوا اي جعل ثوابهم على هذا القول المسند
الى خلوص النية الناشئ عن حسن الطوية جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الجزاء العظيم جزاء
المحسنين اي بالايمان والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب الجحيم اي الذين لا ينفكون عنها لاغيرهم
من عصاة المؤمنين وان كثرت كبائرهم وعطف التكذيب
بايات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان
حال المكذبين وذكرهم في معرض الصديقين جمعا بين
الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا اي لا تمنعوا
انفسكم بنذر او يمين او غير ذلك طيبات اي مستلذات
ما احل الله لكم لمنع التحريم اي لا تقولوا حرمناها على
انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا
ولا تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم ان الله لا
يحب المعتدين اي لا يفعل فعل المحب من الاكرام للمتقين

في الورع بحيث يحرموت ما احللت ولا للمفرطين فيه
الذين يحللون ما حرمت ان يفعلوا فعل المحرم من المنع
وفعل المحلل من التناول والاية ناهية عن تحريم ما احل
وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصف يوم القيامة لاصحابه فبالغ
واسهب في الكلام في الانذار فرق الناس وبكوا واجتمع عشرة
من الصحابة رضى الله عنهم في بيت عثمان بن مظعون
ابن مظعون وهم ابو بكر الصديق وعلى بن ابي طالب
وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابو ذر الغفاري
وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان
الفارسي ومعقل بن مقرن وعثمان بن مظعون رضى الله
تعالى عنهم وتشاوروا واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا
المسوح ويرفضوا الدنيا ويحبوا مذاكيرهم ويصوموا
الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفراش ولا ياكلوا
اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحون في
الارض فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اخبركم انكم اتفقتم
على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله ما اردنا الا الخير فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم اومر بذلكم
فان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم

واتى

واتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس
واخطبهم وقال ما بال اقوام يحرمون النساء والطعام
والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما انا لست امركم ان
تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك
اللحم ولا النساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتى
الصوم ورهبانيتهم الجهاد فيه والله ولا تشركوا به
شيأ وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكاة وصوموا
رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم
بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك
بقاياهم فى الديارات والصوامع فانزل الله تعالى هذه
الاية فقالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا التى
حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما عليه اتقوا فانزل
الله تعالى لا يواخذكم الله باللغو فى ايمانكم وروى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياكل الدجاج والقالوذ
وكان يعجبه الخل والعسل وقال المومن حلو يحب الحلاوة
وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان رجلا قال له انى
حرمت الفراش فتلا هذه الاية وقال ثم على فراشك
وكفر عن يمينك وعن الحسن انه دعى الى طعام ومعه
فرقد السنجى واصحابه فقعدوا على المايدة وعليها
الالوان من الدجاج والقالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد
ناحية فسال الحسن اهو صايم فقالوا لا ولكنه يكره هذه

الالوان فقال يا فرقد اترى لعاب النحل بلباب البر
بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان
لا ياكل الفالوذ يقول لا اودى شكره قال افيشرب الما
البارد قال نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الما
البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه ان الله
تعالى ادب ادب عباده فاحسن ادبهم قال تعالى
لينفق ذو سعة من سعته ما عاب قوما زواها عنهم
فعصوه وروى ان عثمان بن مظعون اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال اذن لي في الاختصاء فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس منا من خصا ولا من اختصا
ان خصا امتي الصيام فقال يا رسول الله اذن لي في
السياحة فقال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله
قال يا رسول الله اذن لي في الترهيب قال ان ترهيب امتي
الجلوس في المساجد لانتظار الصلاة وروى ان رجلا
قال يا رسول الله اني اصيب من اللحم فانتشرت
فاخذتني شهوة فحرمت اللحم فانزل الله تعالى الاية ولا
تعارض بين الخبرين لان الشي الواحد قد يكون
له اسباب جهة بعضها اقرب من بعض وروى انه
صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل نهيا شديدا وقال
تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم
القيامة وكلوا مما رزقكم الله ولما كان الرزق يقع

على الحرام

على الحرام قيده بعد القيد بالتبعيض بقوله حلالا
طيبا وهو مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت
عليه لانه نكرة وقوله تعالى واتقوا الله تاكيد
للتوصية بما امر الله وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم
به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في
الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه لا يؤاخذكم الله
باللغو الكائن في ايمانكم هو ما يبدو من المرء
بلا قصد كقول الانبيا لا والله وبلى والله واليه
ذهب الشافعي رحمه الله وقيل هو الحلف على ما يظن
انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله
تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
عليه بان حلفتم عن قصد روي ان الحسن سئل عن
لغو اليمين وكان عند الفرزدق فقال يا ابا سعيد دعني
اجيب عنك فقال ولست بماخوذ بلغو تقوله
اذا لم تعقد عاقدات العزائم والمعنى ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف العقد
باحد الامرين العلم به وقرا ورش يؤاخذكم بابدال
الهمزة واوا مفتوحة وقرا ابن ذكوان عاقدتم بالف بعد
العين وتخفيف القاف والباقون بغير الف مع تشديد
القاف فكفارته اي اليمين اذا حنثتم فيه التي تذهب
اثمه وتزيل اثره بحيث تصيرون كانكم ما حلفتم اطعام

عشرة مساكين اى كل مسكين مد عندنا ونصف
صاع عند ابى حنيفة من اوسط اى اعدل ما تطعمون
اهليكم من بر او غيره لا من اعلاه ولا من ادناه او كسوتهم
بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وازار وسراويل
ومقنعة من صوف وقطن وكتان وحرير ولو لرجل
وان لم يجز له لبسه لوقوع اسم الكسوة عليه رديا
كان او جديدا ويجزيه لبد او قرة اعتيد فى البلد لبسها
ولا يكفى دفع ما ذكر لمسكين واحد وعليه الشافعى
ولا يكفى المكعب والنعل والخف والقلنسوة والتبان
وهو سراويل قصير لا يبلغ الركبة ونحو ذلك مما لا يسمى
كسوة او تحرير رقبة اى مومنة لما فى كفارة القتل
والظهار حملا للمطلق على المقيد وجوز ابو حنيفة عتق
الكافرة فى كل كفارة الا القتل وخرج بالتخيير بين هذه
الثلاثة انه لا يجزى ان يطعم ويكسو خمسة لا كما يجزى
اعتاق نصف رقبة واطعام خمسة فمن لم يجد اى عجز
عن احد ما ذكر فصيام ثلاثة ايام اى فكفارته ثلاثة
ايام ولا يجب تتابعها فان قيل قرئ شاذا متتابعات
والقراءة الشاذة كخبر الواحد فى وجوب العمل بها اوجبنا
قطع يد السارق اليمنى بالقراءة الشاذة فى قوله تعالى
والسارق والسارقة فاقطعوا ايمانهما ولان من عادة
الشافعى رحمه الله تعالى حمل المطلق المقيد من جنسه

وهو

وهو الظهار والقتل اجيب بان اية اليمين
نسخت متتابعات تلاوة وحكما فلا يستدل بها
بخلاف اية السرقة فانها نسخت تلاوة لا حكما وبان
المطلق هاهنا متردد بين اصلين يجب التتابع في
احدهما وهو كفارة الظهار والقتل ولا يجب في الاخر وهو
قضاء رمضان فلم يكن احد الاصلين في التتابع باولى من
الاخر وبين تتابعها لخروجا من خلاف ابي حنيفة
فانه شرط تتابعها تنبيه المراد بالعجز ان لا يقدر على
المال الذي يصرفه في الكفارة كمن يجد كفايته وكفاية
من تلزمه مؤنته فقط ولا يجد ما يفضل عن ذلك
وضابط ذلك اي ما جاز له ان ياخذ سهم الفقراء
والمساكين من الزكاة والكفارات له ان يكفر بالصوم
لانه فقير في الاخذ فكذا في الاعطاء ذلك اي المذكور كفارة
ايمانكم اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم اي من
ان تتركوها ما لم تكن من فعل بر واصلاح بين الناس
كما في سورة البقرة كذلك اي مثل ما بين لكم ما ذكر يبين الله
لكم اياته اي احكام شريعته لعلكم تشكرون اي
بحصولها منكم شكرا بحفظ جميع الحدود الامرة والناهية
يا ايها الذين امنوا انما الخمر اي المسكر الذي خامر العقل
سواء قليله وكثيره والميسر اي القمار والانصاب اي
الاصنام والازلام اي قداح الاستقسام رجس اي

خبيث مستقذر وانما وجد الخبز للنص على الخمر والاكل
بان اخبار الثلاثة حذفت وقدرت انها اهل لان يقال
في كل واحد منها على حدتها كذلك ولا يكفي عنها بجواب واحد
على سبيل الجمع ثم زاد في التنفير تاكيد الرجسية بقوله
تعالى من عمل الشيطان الذي يزينه واجتنبوه اي
الرجس المعبر به عن هذه الاشياء ان تفعلوه لعلكم
تفلحون اي تظفرون بجميع مطالبكم واعلم انه سبحانه
وتعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بانه صدر
الجملة بانما وقرنها بالاصنام والازلام وسماها رجسا
وجعلها من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال
بهما شر خالص او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما
وجعل الاجتناب سببا يرجى منه الفلاح ثم فرر ذلك
بانه بين ما فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية
المقتضية للتحريم بقوله تعالى انما يريد الشيطان اي
بتزيينه الشرب والقمار لكم ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء
في الخمر والميسر اي اذا اتيتموهما لما يحصل فيهما من الشر
والفتن اما العداوة في الخمر فان الشارب اذا سكر عربد كما
فعل الانصاري الذي شج سعد بن ابي وقاص بلحي الجمل واما
العداوة في الميسر فقال قتادة كان الرجل يقامر على الاهل
والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الاهل والمال مغتاظا على
حرفايه ويصدكم بالاشتغال بهما عن ذكر الله وعن

الصلاة

الصلاة وذلك لان من اشتغل بشرب الخمر والقمار الهاه
ذلك عن ذكر الله وشوش عليه صلاته كما فعل باضياف
عبد الرحمن بن عوف تقدم رجل منهم يصلي بهم صلاة
المغرب بعد ما شربوا فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد
بحذف لا وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما
من الوبال تنبيها على انهما المقصودان بالبيان وذكر
الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة
لقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن رواه
البزار ورواه ابن حبان بلفظ مدمن الخمر كعابد الوثن قال
ويشبه ان يكون في من يستحلهما وهو كذلك وخص الصلاة
من الذكر للافراد بالتعظيم والاشعار بان الصاد عنها
كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه
وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتها بصيغة الاستفهام
مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف بقوله تعالى فهل
انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ
الغاية وان الاعذار قد انقطعت فلفظه استفهام
ومعناه امر كقوله تعالى فهل انتم شاكرون واطيعوا الله
واطيعوا الرسول فيما امركم به من اجتناب ذلك واحذروا
مخالفتهما فيما ينهاكم عنه فان توليتم اي عن الطاعة
فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فلا يضره
توليتكم فانما عليه الابلاغ البين وقد ادى وانما ضررتم

انفسكم ولما نزل تحريم الخمر قال الصحابة رضي الله عنهم يا
رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر
ويأكلون الميسر نزل **ليس على الذين امنوا وعملوا**
تصديقا لايمانهم **الصالحات جناح** اي حرج **فيما طعموا**
اي من مال الميسر وشربوا من الخمر قبل التحريم **اذا ما اتقوا**
اي المحرمات **وامنوا وعملوا الصالحات** اي ثبتوا على الايمان
والاعمال الصالحات **ثم اتقوا** ما حرم عليهم بعد الخمر **وامنوا**
بتحريمه **ثم اتقوا** اي استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي
واحسنوا اي وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها واوان
التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة الماضي والحال والاستقبال
التي تقع فيها الافعال المذكورة او باعتبار الحالات الثلاث
استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه
وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل والاجمل
استعمال الانسان التقوى بينه وبين الله بدا الايمان
بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قاله عليه
الصلاة والسلام في تفسير الاحسان من قوله الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك او باعتبار
المراتب الثلاثة المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما ينبغي
فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات
تحرزا للنفس عن الوقوع في الحرام وينبغي المباحات صونا
لها عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة **والله يحب**

المحسنين

كافرو معنى ما جعل الله اى ما شرع ذلك ولا امر به بتحريم
ولا تسييب ولا غير ذلك ولكن الذين كفروا يفترون
على الله الكذب فى قولهم الله امرنا بها واكثرهم لا يعقلون
ان ذلك افترآء لانهم قلدوا فيه اباهم كما قال تعالى
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا
حسبنا اى كافينا ما وجدنا عليه اباءنا اذ لا مستند
لهم سوى ذلك قال الله تعالى قل اولو كان اباؤهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون الى الحق والاستفهام للانكار
اى احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم ولو كانوا جهلة
ضالين وقرء هشام والكسائى قيل بضم القاف قبل
السين والباقون بالكسر يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
اى احفظوها والزموا اصلاحها لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم اى لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين
ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال
عليه الصلاة والسلام من راى منكرا واستطاع ان
يغيره بيده فليغير بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه وروى عن ابى بكر الصديق
انه قال يا ايها الناس انكم تقرءون هذه الاية يا ايها
الذين امنوا الاية واني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا المنكر فلم يغيروه
يوشك ان يعمهم الله بعذابه وفى رواية لتامرون

بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليبعثن الله عليكم
شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون الله
خياركم فلا يستجاب لهم قال ابو عبيد خاف الصديق
رضي الله عنه ان يتاول الناس غير متاولها فيذهبوا
الى ترك الامر بالمعروف فاعلمهم انها ليست كذلك قال
ابو ثعلبة الخشني سالت عن هذه الآية رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال بل ايتمروا بالمعروف وتناهوا
عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا
واعجاب كل ذي راي برايه ورايت الامر لا بد لك منه
فعليك نفسك ودع امر العامة وان وراءكم ايام
الصبر من صبر فيهن قبض على الجمر وان وراءكم
للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل
عمله قال ابن المبارك وزادني غيره قال يا رسول الله اجر
خمسين منهم قال اجر خمسين منكم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان هذه الآية قرئت عنده فقال
ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك
ان ياتي زمان تامرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم
انفسكم نهي على هذا تسلية لمن يامر وينهى فلا يقبل
منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تاويلها
قيل فمتى قال اذا حيل دونها السيف والسوط والحبس
وروى المومن القوي خير واحب الى الله من المومن

الآية

الضعيف

الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن
بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت
كان كذا وكذا فان لو تفتح عمل الشيطان ولكن قل
قدر الله وما شاء فعل وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا
له سفهت اباك وكلامه فنزلت عليكم انفسكم وعليكم
من اسما الفعل بمعنى الزموا انفسكم ولذلك نصب
انفسكم الى الله مرجعكم جميعا المقال والمهتدي
فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم به ففي ذلك وعد
ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يوخذ بذنب
غيره يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اي فيما امر تم
شهادة بينكم فشهادة مبتدا خبره محذوف قيل هذه
الاية وما بعدها من اشكل اي القران حكما واعرابا
وتفسيرا والمراد بالشهادة الاشهاد الوصية وقيل
المراد بها اليمين بمعنى يمين ما بينكم ان يحلف اثنان
قال القرطبي ورد لفظ الشهادة في القران على انواع
مختلفة بمعنى الحضور قال تعالى فمن شهد منكم الشهر
فليصمه وبمعنى قضى قال تعالى شهد الله انه لا اله
الا هو وبمعنى اقر قال تعالى والملايكة يشهدون
وبمعنى حكم قال تعالى وشهد شاهد من اهلها وبمعنى
حلف قال تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات وبمعنى
وصى قال تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا

حضر احدكم الموت اى اسبابه حين الوصية اثنان
ذوا عدل منكم وهذا خبر بمعنى الامر اى يشهد واقله
شهادة لبين على الاشاع وحين بدل من اذا او ظرف
لحضر واثنان فاعل شهادة او خبر مبتدا محذوف
اى الشاهد اثنان وقوله تعالى او اخران من غيركم عطف
على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا
قال شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا وقد اتفق
الاكثرون على انه لا نسخ فى سورة المايدة وعن مكحول
نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوى عدل منكم وانما
جازت فى اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم
فى حال السفر ان انتم ضربتم اى سافرتم فى الارض
فاصابتكم مصيبة الموت اى قاربتم الاجل وقوله تعالى
تحبسونهما اى توقفونهما وتصيرونهما صفة
لاخران من بعد الصلاة اى صلاة العصر لانه وقت
اجتماع الناس وتصادم ملايكة الليل وملايكة النهار
وقيل اى صلاة كانت فيقسمان اى يحلفان بالله وعن
ابن عباس رضى الله عنهما ان اليمين انما تكون اذا هما
كانا من غير اهل دينا فان كانا مسلمين فلا يمين وعن غيره ان
كان الشاهدان على حقيقتهما فقد نسخ تحليفهما
وان كان الوصيين فلم يشرط لهذا الحلف شرطا فقال
اعتراضا بين المقسم والمقسم عليه ان ارتبتم اى

شككتم

المحسنين اى يثيبهم ونزل عام الحديبية وكانوا محرمين
ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشى رحالهم
فهموا باخذها يايها الذين امنوا ليبلونكم الله اى
ليختبرنكم بشى برسله لكم من الصيد وانما بعض
لانه ابتلاهم بصيد البر خاصة وفايدة الابتلاء اظهار
المطيع من العاصى والا فلا حاجة له الى البلوى تناله
ايديكم اى ما لا يقدر ان يفر من الصيد لصغر او غيره
ورماحكم اى ما يقدر على الفرار لكبر او غيره ليعلم الله
اى علم ظهور فانه تعالى يعلم ما تخفى الصدور من يخافه
بالغيب اى ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غايب منتظر
فى الاخرة فيجتنب الصيد والمعنى انه سبحانه وتعالى يخرج
بالامتحان ما كان من افعال العباد فى عالم الغيب الى عالم
الشهادة فيصير تعلق العلم به تعلق شهوديا كما كان
تعلقا غيبيا ليقوم بذلك على الفاعل الحجة فى مجارى عاداتكم
فمن اعتدى فاصطاد بعد ذلك اى الابتلا بالصيد فله
عذاب اليم اى مولم وان من لا يملك نفسه فى مثل ذلك
ولا يراعى حكم الله فيه فكيف به فيما تكون فيه النفس اميل
اليه واحرص عليه يايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم اى محرمون بنسك او فى الحرم والنهى ما يوكل
لحمه لانه الغالب فيه عرفا واما غير الماكول فيحل قتله فانه
لا حظ للنفس فى قتله الا الاراحة من اذاه ويويده قوله

صلى الله عليه وسلم خمس يقتلهن في الحل والحرم الحداة
والغراب والعقرب والفارة والكلب وفي رواية اخرى
الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل
كل موذ وانما ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم فان
مذبوح المحرم ميتة ومن قتله منكم متعمدا اى قاصدا
للصيد ذكر للاحتراز ان كان محرما والحرم ان كان فيه
عالما بالتحريم وذكر العمد ليس لتقييد وجوب الجزا فان
اتلاف العامد والمخطى واحد في ايجاب الضمان بل لقوله
تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن
تعمد او روى انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه
ابو قتادة برمحه فقتله فنزلت وعن الزهري نزلت
الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا وعن سعيد بن جبير
لا ارى في الخطا شيا باشتراط العمد في الاية وعن الحسن
روايتان وقوله تعالى فجزا منون في قراة عاصم وحمزة
والكسائي وما بعده مرفوع اى فعليه جزا هو مثل
قتل من النعم اى شبهه في الخلقة لا التساوي في القيمة وقرا
الباقون بغير تنوين من في جزا وخفض لام مثل يحكم به اى
بالمثل رجلان ذوا عدل منكم اى لهما فطنة يميزان بها اشبه
الاشيا به فيحكمان به وقد ذهب الى ايجاب المثل جماعة
من الصحابة حكموا في بدان مختلفة بالمثل من النعم فحكم
ابن عباس وعمر وعلي وهي لا تساوي بدنة وعمر في الضبع

بكبش وهو لا يساويه كبشا وابن عباس وابو عبيدة
في بقر الوحش وحماره ببقرة وابن عمر وابن عوف في
الظبي بشاة وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام
لانه يشبهها في العب والحمام كلها عب وهدر من الطير
كالقواخت والورشان والدبسي قد ذكر على انهم يتطيرون
الى ما يقرب من الصيد شبهها من حيث الخلقة لا من حيث
القيمة وقوله تعالى هديا حال من جزاء وقوله تعالى بالغ
الكعبة اى يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على
مساكينه ولا يجوز ان يذبح حيث كان نعت لما قبله وان
اضيف لمعرفة لان اضافته لفظية لا تفيد تعريفا فان
لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه
قيمته او عليه كفارة طعام مساكين في الحرم من غالب
قوت البلد ما يبلغ به قيمة الجزاء لكل مسكين مد وقرا نافع
وابن عامر كفارة بغير تنوين وخفض ميم طعام والباقون
بالتنوين ورفع ميم طعام اى هي طعام او عليه عدل اى
مثل ذلك اى الطعام صياما يصومه في كل موضع
يتيسر له عن كل مد يوما فاو للتخيير لانه الاصل فيها قاله
البقاعي والتزامها انما للترتيب يحتاج الى دليل وقوله تعالى
ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اى فعليه الجزاء
او الطعام او الصوم ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة
الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة

من عمل سوء لتقلده عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا
وبيلا اى كثيرا والوبيل الذى يثقل على المعدة ولا
يستمرء عفى الله عما سلف اى من قتل الصيد قبل تحريمه
فلا يواخذ به ومن عاد الى تعمد شىء من ذلك بعد النهى
وقوله تعالى فينتقم الله منه خبر مبتدا محذوف تقديره
فهو ينتقم الله منه واذلك دخلت الفا وخوذلك قوله
تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف اى ينتقم الله تعالى
منه فى الاخرة واذا تكرر من المحرم قتل الصيد تعددت
عليه الكفارة عند عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح
لا كفارة عليه تعلقا بظاهر الاية فانه لم يذكر الكفارة
قلنا لان الانتقام من العايد يمنع وجوب الكفارة والله
الذى له صفات الكمال عزيز اى غالب على امره ذو انتقام
اى ممن اصر على عصيانه ولما حرم هذا عما فى كل صيد
بين تعالى انه خاص بصيد البر فقال احل لكم اى
الناس حلالا لكم او بحرمين صيد البحر اى ما صيد
منه وهو ما لا يعيش الا فى الماء لا لسمك بخلاف
ما يعيش فيه وفى البر عند الشافعى وذهب قوم
الى ان جميع ما فى البحر حلال وظاهر الاية حجة لهم
وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى لا يحل منه الا السمك
وقوله تعالى وطعامه عطف على صيد البحر اى
واحل لكم طعام البحر وهو ما يقذفه من السمك ميتا

قال

قال صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه
الحل ميتته رواه ابو داود والترمذي وغيرهما وصححه
وقال قتادة صيده طريه وطعامه ما لفظه وقيل الضمير
للصيد وطعامه اكله وعلى هذا فالصيد بمعنى الاصطياد
والمعنى احل لكم اصطياد الصيد واكل الصيد من
الانهار والبرك وغيرها جميع المياه كالبحر وقوله تعالى
متاعا مفعول اى احل لكم تمتيعا لكم تاكلونه
طريا وللسيارة اى المسافرين منكم يتزودونه
قديدا لما تزود موسى صلى الله عليه وسلم في مسيره
للخضر الحوت وحرم عليكم صيد البر اى اصطياده
واكل ما صيد منه لكم وهو ما لا يعيش الا فيه وما
يعيش فيه وفي البحر فان صيد للحلال حل للمحرم اكله
لقوله صلى الله عليه وسلم لحم الصيد حلال لكم ما لم
تصطادوا او يصيد لكم ما دمتم حرما اى بحرمين
وقد ذكر تعالى تحريم الصيد على المحرم في ثلاث مواضع
من هذه السورة قوله تعالى غير محلي الصيد وانتم
حرم الى قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا وقوله
تعالى ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقوله تعالى وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرما تشديدا على المحرم انه
يتعالى ذلك وكذلك بقوله تعالى واتقوا الله اى في
ذلك الاصطياد وغيره الذي اليه تحشرون فانه

بحجارتكم باعمالكم جعل الله الكعبة اى صيرها وسمى البيت
كعبة لتكعبه اى تربعه وقال مجاهد سميت كعبة
لترفعها والعرب تسمى كل بيت مرتفع كعبة وقال مقاتل
سميت كعبة لانفرادها من البنا وقوله تعالى البيت
الحرام اى المحترم عطف بيان على جهة المدح لا على
جهة التوضيح كما يجئ الصفة كذلك قياما للناس اى يقوم
به امر دينهم بالحج او العمرة اليه ودنياهم بامن داخله
وعدم التعرض له وجبي ثمرات كل شئ اليه قال الرازى
والمراد بعض الناس وهم العرب وانما حسن هذا المجاز لان
اهل كل بلد اذا قالوا للناس فعلوا كذا وصنعوا كذا فهم لا
يريدون الا اهل بلدتهم فلهذا السبب حسن طبق هذا الخطاب
على وفق عادتهم وقرا ابن عامر قيما بغير الف مصدر قام
غير معل والباقون بالالف والشهر الحرام اى الاشهر
الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب اى صير
الاشهر الحرم قياما للناس بما سنون فيها من القتال
والهدى اى الذى لم يقلد والقلائد اى الهدى يقلد
فيذبح ويتصدق على الفقراء ومر الكلام عليه فى اول السورة
ذلك اى الجعل المذكور وهو الاربعة الاشياء التى جعلها
قياما للناس لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى
الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب
المنافع المترتبة عليها دليل على علمه بما فى الوجود وما هو

كائن

حمين وقوله تعالى وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص
ومبالغة بعد اطلاق وقوله تعالى اعلموا ان الله شديد
العقاب فيه وعيد لاعدايه ممن انتهك محارمه وقوله
تعالى وان الله غفور فيه وعد لاوليايه ممن حافظ
عليها رحيم بهم وقوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ فيه
تشديد على ايجاب القيام بما امر به وان الرسول صلى
الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت
عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط والله
يعلم ما تبدون اي تظهرون من العمل وما تكتمون
اي تخفون منه فيجازيكم وقوله تعالى قل لا يستوي
الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى
بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها
رغب فيه في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة
الخبيث اذ لا عبرة بالقلة والكثرة بل بالجودة والرداة
فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل
معتبر ولذلك قال تعالى واتقوا الله اي في ترك الخبيث
والاكثر في الحس لنقصه في المعنى واثروا الطيب وان قل
في الحس لكثرته في المعنى يا اولي الالباب اي اصحاب
العقول السليمة لعلكم تفلحون اي لتكونوا على رجا من ان
تفوزوا بجميع المطالب ونزل لما اكثروا سواله صلى الله
عليه وسلم يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان

تبد ای تظهر لکم تسؤکم ای لما فیها من المشقة قیل
سبب نزولها ما فی الصحیحین عن انس رضی الله
عنه انهم لما سالوا النبی صلی الله علیه وسلم حتی احفوه
المسیلة ای بالغوا فی السوال فغضب فصعد المنبر
وقال لا تسیلونی الیوم عن شی الا بینته لکم وشرع
یکرر ذلک واذا رجل کان اذا لاحی الرجال یدعی لغیر ابیه
فقال یا رسول الله من ابی وقال حذافة فقال عمر رضی
الله عنه رضینا بالله ربا وبالاسلام دینا وبکم وصلی
الله علیه وسلم رسولا نعوذ بالله من الفتن فقال
رسول الله صلی الله علیه وسلم ما رایت فی الخیر والشر
کالیوم قط انه قد صورت لی الجنة والنار حتی رایتهما
دون الحایط فی اخره فنزلت هذه الایة وروی ان عمر رضی
الله عنه قال یا رسول الله انا حدیث عهد بجاهلیة اتی
فنا یعفو الله عنک فسکن غضبه وللبخاری فی التفسیر
عن انس ایضا قال خطب رسول الله صلی الله علیه وسلم
خطبة ما سمعت مثلها قط قال لو تعلمون ما اعلم
لضحکتم قلیلا ولبکیتم کثیرا فغطی اصحاب رسول الله
صلی الله علیه وسلم وجوههم لهم خنین فقال رجل من ابی
قال فلان فنزلت هذه الایة وللبخاری ایضا عن ابن
عباس رضی الله عنهما قال کان قوم یسالون رسول
الله صلی الله علیه وسلم استهزاء فیقول الرجل من ابی

ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم
هذه الاية وللبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب ذات يوم وهو
غضبان من كثرة ما يسالون عنه مما لا يعنيهم فقال
صلى الله عليه وسلم لا اسال عن شي الا واجيب فقال
رجل اين انا قال في النار وقال اخر من ابي فقال حذافة
وكان يدعى لغيره فنزلت هذه الاية وقيل غير ذلك
ولا تعارض بين هذه الاخبار ولو تعذر ردها الى شي
واحد لما مر عند قوله تعالى لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم من ان الامر الواحد قد تعدد اسبابه وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية مع تخفيف
الاولى والباقون بتخفيفها ولما كان ربما وقع في وهم
متعنت ان هذا الزجر انما هو لقصد راحة المسيول خوفا
من عواقبه قال تعالى وان تسالوا عنها اي تلك الاشيا
التي يتوقع مساتكم عند ابدايها حين ينزل القران
تبد لكم المعنى اذا سالتم عن اشيا في زمنه صلى الله عليه
وسلم ينزل القران بابدايها ومتى ابداها ساتكم فلا
تسالوا روي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى قد فرض فرايض فلا تضيعوها وحد حدود
الله فلا تعتدوها ثم عفى عن اشيا من غير نسيان فلا
تبحثوا عنها وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون النون

وتخفيف الراى والباقون بفتح الثاء وتخفيف الراى
وقوله تعالى عفى الله عنها استيناف اى عفى الله
عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مسالتها او
صفة اخرى اى عن اشياء عفى الله عنها ولا يكلف بها
روى انه لما نزل ولله على الناس حج البيت قال سراقة
ابن مالك الكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم
لوجبت ولما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فانما اهلك
من كان قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيائهم
فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم
عن شئ فاجتنبوه والله غفور يمحو الزلات عينا
واثرا ويعقبها بالاكرام حليم لا يعجل على العاصى
بالعقوبة وقوله تعالى قد سالها قوم الضمير فيه
للمسئلة التى دل عليها تسالوا ولذلك لم يعد بعن
او الاشياء بحذف الجار وقوله من قبلكم قال
البيضاوى متعلق بسالها وليس صفة لقوم فان
ظرف الزمان لا يكون صفة لجثة ولا حالا منها ولا
خبرا عنها انتهى قال ابو حيان هذا محله فى ظرف
الزمان المجرور من الوصف اما اذا لم يتجرد عنه فصح
ان يكون صفة للجثة او حالا منها او خبرا عنها وقبل
وبعد وصفات فى الاصل فاذا قلت جاءنى قبل عمرو

فالمعنى

فالمعنى جائى زمان قبل زمانكم بحينه اى تقوم عليه
وكذا صح وقوعه صلة للموصول ولو لم يلحظ فيه
الوصف وكان ظرف زمان مجرد لم يجز ان يقع صلة
قال تعالى والذين من قبلكم ولا يجوز والذى اليوم
ومن سالها قبلهم ثمود فعاكوا صالحا الناقة وسالوا
قوم عيسى المايدة ثم اصبحوا اى صاروا بها اى بسببها
كافرين حيث لم يأتموا بما سالوا بحدوا وقوله تعالى
ما جعل الله من بحيرة ولا سايبة ولا وصيلة ولا
حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية روى ان اهل
الجاهلية كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن اخرها
ذكر بحروا اذنها اى شقوها وتركوا الحمل عليها وتركوها
ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلا وقيل انهم
كانوا ينظرون الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه
فاكله الرجال والنساء وان كان انثى بحروا اذنها
اى شقوها وتركوها وحرم على النساء لبنها ومنافعها
وكانت منافعها خاصة للرجال واذا ماتت حلت
للرجال والنساء واما السايبة فكان الرجل منهم يقول
ان شفيت او رد غايبى فناقتى سايبة ثم يسيبها
فلا تحبس عن مرعى ولا ماء ولا تركب ويجعلها كالبحيرة
فى تحريم الانتفاع بها وقيل كانت الناقة اذا نابت
عشر سنة اناثا تسيبت فلم يركب ظهرها

ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فان نتجت
بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم يخلى سبيلها مع
امها في الابل فلم تركب ولم يجز وبرها ولم يشرب
لبنها الا ضيف كما فعل بامها وهي البحيرة بنت السايبة
واما الوصيلة من الغنم كانت اذا ولدت سبعة
ابطن نظر فان كان السابع ذكرا ذبح فاكل منه الرجال
والنساء وان كانت انثى تركت في الغنم وقيل اذا ولدت
الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم
وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا
الذكر لآلهتهم وكان لبن الانثى حراما على النساء فان
مات منها شيء اكله الرجال والنساء جميعا واما الحام
فهو الفحل اذا ركب ولد ولده ويقال اذا انتجت من صلب
الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل
عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى واذا مات اكله الرجال
والنساء وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لاكثم الخزاعي
يا اكثم رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فما رايت من
رجل اشبه برجل منك به ولا به منك وذلك انه اول
من غير دين اسماعيل ونصب الاوثان وبحر البحيرة
وسيب السايبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي فلقد
رايته في النار يوذي اهل النار بريح قصبه فقال اكثم
ايضرني شبهه يا رسول الله قال لا انك مومن وهو

كافر

شككتم فيما اخبرا به من الواقعة ثم ذكر المقسم عليه
بقوله لا نشتري به ثمنا اى بهذا الذى ذكرناه ثمنا
اى لم نذكره ليحصل لنا به عرض دنيوى وان كان فى نهاية
الجلالة وليس قصدنا به الا اقامة الحق ولو كان اى
المقسم له ذا قربى اى لنا ولا نكتم شهادة الله اى
التى امرنا باقامتها انا اذا اى اذا كتمناها من
الاثمين فان عثر اى اطلع بعد حلفهما على انهما
استحقا اثما اى فعل ما يوجبه من خيانة او كذب فى
الشهادة بان وجد عندهما مثل ما ادعيا انهما ابتاعاه من الميت او وصى لهما به فاخران اى
فشاهدان اخران يقومان مقامهما اى بتوجيه
اليمين عليهما من الذين استحق عليهم الوصية وهم
الورثة على قراءة غير حفص بضم التاء وكسر الحاء على البناء
للفاعل فهو الاولیان ويبدل من اخران الاولیان
بالميت اى الاقربان اليه وقرا حمزة وسعيد بتشديد
الواو وكسر اللام وسكون الياء وفتح النون على الجمع على
انه صفة للذين او بدل منه اى من الذين استحق
عليهم والباقون بسكون الواو وفتح اللام والياء والف
بعد الياء وكسر النون على التثنية على انه بدل من اخران
كما مر او خبر محذوف اى هما الاولیان فيقسمان اى هذان
الاخران بالله ويقولان لشهادتنا اى يميننا احق

اى اصدق من شهادتهما اى يمينهما وما اعتدينا اى
تجاوزنا الحق فى اليمين انا اذا اى اذا وقع منا الاعتداء من
الظالمين اى الواضعين الشئ فى غير موضعه ومعنى
الايتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغى ان يشهد
عدلين من ذوى نسبه او دينه على وصيته او يوصى
اليهما احتياطا فان لم يجد هما بان كان فى سفر فاخران
من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق
ما يقولان بالتغليظ فى الوقت فان اطلع على انهما كذبا
باماره او مظنة حلف اخران من اولياء الميت والحكم
منسوخ ان كانا الاثنان شاهدين فان الشاهد لا
يحلف ولا تعارض يمينه يمين الوارث وثبت انهما كانا
وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة
الوصيين فان تصدق الوصى باليمين لامانته او
لتغير الدعوى وتخصيص الحلف فى الايتين من اقرب
الورثة لخصوص الواقعة التى نزلت لها وهى ما روى
ان رجلا من بنى سهم خرج مع تميم الدارى وعدى بن بداء
الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما
بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا
الشام مرض بديل فدون ما معه فى صحيفة وطرحها
فى متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يرفعا متاعه
الى اهله ومات فتشاه واخذا منه اناء من فضة

فيه

فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب ثم قضيا حاجتهما
وانصرفا الى المدينة ودفعا المتاع الى اهل الميت ففتشوا
فاصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فجاءوا
تميما وعديا فقالوا هل باع صاحبنا شيئا قالا لا قالوا
اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق على نفسه
قالا لا قالوا فانا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما
معه وانا فقدنا منها اناء من فضة مموها بالذهب ثلثمائة
مثقال من فضة قالا ما ندري انما اوصى لنا بشيء وامرنا
ان ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاختصموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجترا على الانكار وحلفا
فانزل الله يا ايها الذين امنوا الآية فلما نزلت هذه الآية
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا
تميما وعديا فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله
الا هو انهما لم يخونا شيئا مما دفع اليهما فحلفا على ذلك وخلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم وجد الاناء في
ايديهما فبلغ ذلك بني سهم فاتوهما في ذلك فقالا انا كنا
قد اشتريناه منه فقالوا الم نزعم ان صاحبنا لم يبع شيئا
من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة وكرهنا ان نقر لكم
فكتمناك فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب ابن ابي
رفاعة السهميان وحلفا وتقدم ان تخصيص الحلف

في الآية بأن هن من اقرب الوسيلة لخصوص الواقعة التي
نزلت لها ذلك اي الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة
ادنى اي اقرب ان اي الى ان يأتوا اي الذين شهدوا
اولا بالشهادة اي الواقعة في نفس الامر على وجهها اي
الذي تحملوها عليه من غير تحريف وخيانة او اقرب
الى ان يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي على الورثة
المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون
ويغرمون فلا يكذبوا وانما جمع الضمير لان حكم بعضهم
الشهود كلهم واتقوا الله بترك الخيانة والكذب
واسمعوا ما تؤمرون به سماع قبول والله لا يهدي
القوم الفاسقين اي الخارجين عن طاعته لا يهديهم
الى حجة او الى طريق الجنة وقوله تعالى يوم يجمع الله
الرسل اي يوم القيامة منصوب باضمار اذكروا وقيل
بدل من مفعول واتقوا بدل اشتمال فيقول لهم توبيخا
لقومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ماذا اي
الذي اجبتم به حين دعوتم الى التوحيد قالوا لا علم لنا
اي لا علم لنا بما اتت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم
ما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم
وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي
عليك وعلى والدتك اي اشكرها منصوب باضمار اذكر
وقيل بدل من يوم يجمع وهو على طريقة وناديٰ اصحاب الجنة

والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يوعيد بسوء الرسل من
اجابتهم وتعديد ما اظهروا قبلهم من الايات فكذبتهم
صابئة وسموهم سحرة وهلا اخرون فاتخذوهم الهة وقوله
تعالى اذ ايدتك اى قويتك ظرف لنعمتى او حال منه
بروح القدس اى جبريل عليه السلام فكان له فى الصغر حظ
لم يكن لغيره وقوله تعالى تكلم الناس حال من الكاف فى
ايدتك فى المهد اى طفلا وكهلا اى تكلمهم فى الطفولية
والكهولية على السوا والمعنى الحاق حاله فى الطفولية بحال
الكهولة فى كمال العقل والتكلم به وبه استدل على انه ينزل
قبل الساعة لانه رفع قبل الكهولة كما سبق فى ال عمران
واذ علمتك الكتاب اى الخط الذى هو مبدا العلم به
والحكمة اى الفهم لحقايق الاشيا والعمل بما يدعوا اليه
العلم والتورية اى المنزل على موسى صلى الله عليه وسلم
والانجيل اى المنزل عليك واذ تخلق من الطين اى
هذا الجنس كهيئة اى كصورة الطير والكاف اسم
بمعنى مثل مفعول باذنى اى بامرى فتنفخ فيها
اى فى الصورة المهياة فتكون اى تلك الصورة التى
هيأتها طيرا باذنى اى بارادتى وقرا نافع بالمد بعد الطا
وبعد الالف همزة مكسورة وورش يرقق الرا على اصله
والباقون بيا ساكنة بعد الطا وتبرئ الاكمه والابرص
باذنى وسبق تفسيرهما فى سورة العمران واذ تخرج الموتى

اى من قبورهم احيا باذنى واذ كففت بنى اسرائيل اى
اليهود عنك اى حين هموا بقتلك وقوله تعالى اذ جئتهم
ظرف لكففت بالبينات اى المعجزات فقال الذين كفروا
منهم ان اى ما هذا الذى جئت به الا سحر مبين
اى بين ظاهر وقرا حمزة والكسائى بفتح السين والف
بعدها وكسر الحا اشارة الى عيسى عليه السلام والباقون
بكسر السين وسكون الحا والف بعدها اشارة الى ما
جاء به واذ اوحيت الى الحواريين اى الانصار اى بان
اسلموا بى وبرسولى عيسى صلى الله عليه وسلم قالوا امنا
بهما واشهد بانا مسلمون اى منقادون ثم انقياد
وقوله تعالى اذ قال الحواريون منصوب باذكر وقيل
ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع
قولهم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك قرا الكسائى
بالتا على الخطاب وادغام لام هل فيها على اصله وفتح
الباء الموحدة من ربك اى هل تستطيع ربك اى سوال
ربك والمعنى هل تسال ذلك من غير ممانع وقرا الباقون
بالياء على الغيبة ورفع الباء اى يجيبك ربك اذا سالته ان
ينزل علينا مائدة وهى الطعام ويقال ايضا للخوان
اذا كان عليه الطعام والخوان شئ يوضع عليه الطعام
لله كل هو فى العرف بمنزلة السفرة لما يوضع فيه طعام
المسافر بالخصوص وقال اهل الكوفة سميت مائدة لانها

تميد

تميد بالاكلين اى تميل وقال اهل البصرة فاعلة بمعنى
مفعوله اى تميد بالاكلين اليها كقولهم عيشة راضية
اى مرضية وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون النون
وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى
وقولهم من السما اى لا صنع للادميين فيها لتختص بها
عمن تقدمنا من الامم لم يكن بعد عن تحقق واستحكام
معرفة قال عيسى عليه الصلاة والسلام مجيبا لهم
اتقوا الله ان تسالوه شيا لم تساله الامم من قبلكم
ان كنتم مومنين بكمال قدرته تعالى وصحة نبوتى او
صدقتم فى ادعايكم الايمان فنهاهم عن اقتراح الايات
بعد الايمان قالوا نريد اى بسوالنا من اجل ان ناكل
منها تبركا لا اكل حاجة وقولهم وتطمين اى تسكن
قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال
بكمال قدرته بيان لما دعاهم الى السوال وتمهيد عذر
وقولهم ونعلم اى نزداد علما ان مخففة اى انك قد
صدقتنا فى ادعا النبوة وان الله يجيب دعوتنا وقيل ان
عيسى عليه السلام امرهم ان يصوموا ثلاثين يوما
فاذا افطروا لا يسالون الله شيا الا اعطاهم ففعلوا وسالوا
المايدة وقالوا ونعلم ان قد صدقتنا فى قولك انا اذا صمنا
ثلاثين يوما لا نسال الله شيا الا اعطانا ونكون عليها
من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين

للعين دون السامعين للخبر قال عيسى بن مريم لما
راى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك انهم لا يقلعون عنه فاراد
الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مايدة وحقق
موضع الانزال من السما تكون هى او يوم نزولها لنا
عيدا نعظمه ونشرفه وقال سفيان نصلى فيه وروى انها
نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ان عيسى
عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطاطا
راسه وغض بصره وبكا ثم قال اللهم ربنا الخ وقيل العيد
السرور العايد ولذلك يسمى يوم العيد عيدا بقوله
لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا
لاهل زماننا ولمن جا بعدنا وقال ابن عباس ياكل منها اخر
الناس كما اكل اولهم وقوله واية عطف على عيدا وقوله
منك صفة لها اى اية كاينة منك دالة على كمال قدرتك
وصحة نبوتى وارزقنا المايدة والشكر عليها وانت خير
الرازقين اى من يرزق لانه تعالى خالق الرزق ومعطيه
بلا غرض قال الله تبارك وتعالى مجيبا لعيسى عليه
السلام انى منزلها عليكم اى المايدة وقرا نافع وابن
عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاى والباقون
بسكون النون وتخفيف الزاى فمن يكفر بعد اى بعد
نزولها منكم فانى اعذبه عذابا اى تعذيبا او مفعولا
به على السعة والضمير فى لا اعذبه للمصدر ولو اريد

بالعذاب

بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من البا احدا من العالمين
اى عالمى زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة
وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم قال عبد الله بن عمر
ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن
كفر من اصحاب المايدة وقوم فرعون واختلف العلما
هل نزلت المايدة اولا فقال مجاهد والحسن لم تنزل
فان الله تعالى لما اوعدهم على كفرهم بعد نزول المايدة
خافوا ان يكفر بعضهم فاستغفروا وقالوا لا نريدها
فلم تنزل وقوله تعالى انى منزلها عليكم ان سالتم والصحيح
الذى دل عليه الاكثرون انها نزلت اى لقوله تعالى انى
منزلها عليكم ولتواتر الاخبار فى ذلك عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم واختلفوا فى صفتها فقال عطا بن ابى رباح
عن سلمان الفارسى لما سال الحواريون المايدة لبس
عيسى عليه السلام مسوحا وبكى وقال اللهم ربنا انزل
علينا مايدة الاية فنزلت سفرة حمرا بين غمامتين غمامة
من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهى
منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه
السلام قال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها
رحمة ولا تجعلها عقوبة فقام فتوضا وصلى وكشف المنديل
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس
اى بلا قشر كالفلوس ولا شوك تسيل دهنا وعند راسها

سلح وعند ذيلها خل وحولها من الوان البقول ما خلا
الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى
الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى
الخامس قديد فقال اشبعونا الصفاوراس الحواريون
يا روح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الاخرة
قال ليس شيا مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام
الاخرة ولكنه شي اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا
مما سالتم واشكروا يمد لكم ويزدكم من فضله فقال
يا روح الله لمن اول ما ياكل منها فقال معاذ انا اكل منها
ولكن ياكل منها من سالها فخافوا ان ياكلوا منها فدعا
اهل العاهة والمرض واهل البرص والجذام والمقعدين
وقال كلوا من رزق الله لكم الهنا ولغيركم البلا فاكلوا
وصدروا عنها وهم الف وثلثماية رجل وامراة من فقير
ومريض ومبتلى كلهم شبعان والسمكة كهيئتها
حين نزلت ثم طارت المايدة صعدا وهم ينظرون
اليها حتى توارت فلم ياكل منها مريض ولا
مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى وندم من لم ياكل
فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحا فاذا نزلت
اجتمعت الاغنيا والفقرا والصغار والكبار والرجال
والنسا ولا تزال منصوبة يوكل منها حتى اذا الغي
اى زالت الشمس طارت وهم ينظرون حتى توارت عنهم

وكانت

وكانت تنزل عليهم يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود
قال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا
كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال وهب بن منبه
انزل الله تعالى اقراها من شعير وحيثانا فكان قوم
يأكلون ثم يحرجون ويمسي اخرون فيأكلون حتى اكلوا
جميعهم وقال عطية العوفي نزلت من السما سمكة
فيها طعم كل شي وقال الكلبي كان عليها حبز ارز وبقل وقال
قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال سعيد بن جبير
عن ابن عباس انزل على المايدة كل شي الا الخبز واللحم
وقال كعب الاحبار نزلت منكسة تطير بها الملايكة
بين السما والارض عليها كل الطعام وجملة الجمع بين
هذه الروايات انها كانت تنزل تارة كذا وتارة كذا وقيل
لما نزلت قالوا يا رسول الله لو رايتنا من هذه الاية اية
اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت
ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المايدة ثم عصوا بعدها فمسخوا فمسخ منهم ثلثمايه
وثلاثون رجلا من ليلتهم على فرشهم مع نسايهم فاصبحوا
خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون
العذرة في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى
وبكوا فلما ابصرت الخنازير عيسى بكوا وجعلت تطوف
بعيسى وجعل عيسى يدعوهم باسمايهم فيشيرون

بروسهم ويبكون ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة
ايام ثم هلكوا وفي حديث انزلت لغد فخانوا وادخروا
لغد ورتعوا فمسخوا قردة وخنازير واذكر اذ قال الله
اي يقول لعيسى في القيامة توبيخا لقومه وانما عبر
بالماضي لتحقق وقوعه كقوله تعالى اتى امر الله يا
عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله اي غيره وقال السدي قال
الله هذا القول لعيسى حين رفعه الى السما لان حرف
اذ يكون للماضي وساير المفسرين على الاول وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو وورش وابن كثير لم يدخلا الفا
بينهما والباقون بتحقيق الهمزتين ولا الف بينهما وقرا
نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص امي بفتح اليا والباقون
بالسكون فان قيل ما وجه هذا السوال مع علم الله عز
وجل ان عيسى عليه السلام لم يقله اجيب بانه ذكر
لتوبيخ قومه كما مر ولتعظيم امر هذه المقالة كما
يقول القايل لاخر افعلت كذا وكذا فيما يعلم انه لم
يفعله اعلاما واستعظاما لاستخبارا واستفهاما
وايضا اراد الله عز وجل ان يقر عيسى على نفسه
بالعبودية فيسمع قومه ويظهر كذبهم عليه انه
امرهم بذلك قال ابو روق اذا سمع عيسى عليه السلام
هذا الخطاب ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل

كل

كل شعرة من جسده عين من دم ثم قال وهو يرعد
مجيبا لله سبحانك اى انزهك من ان يكون لك
شريك ما يكون اى ما ينبغى لى ان اقول ما ليس لى بحق
خبر ليس ولى للتبيين وقرا نافع وابن كثير وابو
عمرو لى الاولى بفتح اليا والباقون بالسكون ان كنت
قلته فقد علمته تعلم ما اخفيه فى نفسى ولا اعلم
ما فى نفسك اى ما اخفيته عنى من الاشيا وقوله
فى نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات وقوله
انك انت علام الغيوب تقرير لجملتى تعلم ما فى نفسى
ولا اعلم ما فى نفسك باعتبار منطوق انك انت علام
الغيوب ومفهومه لانه يدل بمنطوقه على انه تعالى
لا يعلم الغيب غيره فيكون تقريرا لقوله تعالى ولا اعلم
ما فى نفسك وقرا حمزة وشعبة بكسر الغين والباقون
بالضم ما قلت لهم الا ما امرتنى به وهو ان اعبدوا
الله ربى وربكم اى فانا واياهم فى العبودية سوا وكنت
عليهم شهيدا اى رقيبا امنعهم مما يقولون
ما دمت فيهم فلما توفيتنى بالرفع الى السما لقوله
تعالى انى متوفيك ورافعك الى والتوفى اخذ الشى
وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها والتى لم تمت فى منامها كنت انت الرقيب
اى الحفيظ عليهم اى لاعمالهم وانت على كل شى من

قولى وقولهم وغير ذلك شهيد اى مطلع عالم به ان
تعذبهم اى من اقام على الكفر منهم فانهم عبادك وانت
مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك وان
تغفر لهم اى لمن امن منهم فانك انت العزيز اى
الغالب على امرك الحكيم فى صنعه فان عذبت فعدل
وان غفرت ففضل قال الله تعالى هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم اى فى الدنيا كعيسى فان النافع
ما كان فى حال التكليف لا صدقهم فى الاخرة وقرا نافع بنصب
الميم على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف والمعنى هذا
الذى من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع
والباقون بالرفع على الخبر وقيل اراد بالصادقين
النبيين وقال الكلبى ينفع المومنين ايمانهم وقال
قتادة متكلمان بخطبان يوم القيامة عيسى عليه السلام
وهو ما قص الله تعالى وعدو الله ابليس وهو قوله
تعالى وقال الشيطان لما قضى الامر فصدوعدو الله
يومئذ وكاذبا فلم ينفعه صدقه قال ولما كان عيسى
صادقا فى الدنيا والاخرة نفعه صدقه ثم بين سبحانه
وتعالى ثوابهم فقال لهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها واكد معنى ذلك بقوله تعالى ابدا ولما كان
ذلك لا يتم الا برضى الله تعالى قال رضى الله عنهم بطاعته
ورضوا عنه بثوابه ذلك اى هذا الامر العلى لا غير

الفوز العظيم واما الكاذبون في الدنيا فلا ينفعهم
صدقهم في ذلك اليوم كالكفار لما يومنوا عند رؤية
العذاب لله ملك السموات والارض اى خزائن المطر
والنبات والرزق وغيرها وما فيهن من انس وجن
وملك وغيرهم ملكا وخلقا واتى بما دون من تغليبا
لغير العاقل وهو على كل شئ قدير ومنه اثابة الصا
دق وتعذيب الكاذب قال السيوطي وحتى العقل ذاته
فليس عليها بقادر وقول البيضاوي وعن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة المايدة اعطى من الاجر
عشر حسنات ومحي عنه عشر سيات ورفع له عشر
درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا
حديث موضوع سورة الانعام مكية
روي انها نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ونزل معها
سبعون الف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم
زجل بالتسبيح والتحميد والتمجيد فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا
والزجل بفتح الزاي والجيم القوة قال البغوي وروي
مرفوعا من قرا سورة الانعام يصلون عليه اولئك
السبعون الف ملك ليله ونهاره وقال الكلبي عن
ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت سورة
الانعام بمكة الا قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم

عليكم الى قوله تعالى لعلكم تتقون فهذه ست ايات
مدنيات ويروى انه صلى الله عليه وسلم دعا بالكتاب
فكتبوها من ليلتهم الا الست ايات قال بعض العلما
واختصت هذه السورة بنوعين من الفضيلة احدهما
انها نزلت دفعة واحدة والثانى انها شيعها سبعون
الفا من الملايكة والسبب فيها انها مشتملة على
دلايل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وابطال مذهب
المبطلين والملحدين وهى مايتان وخمسة وستون اية
وعدد كلماتها ثلاثة الاف واثنان وخمسون كلمة
وعدد حروفها اثنى عشر الفا واربعماية واثنان وعشرون
حرفا بسم الله الذى تعالت عظمته عن كل شايبة
نقص وكان له كل كمال الرحمن الذى عمت نعمته المحسن
والمسيئ فغمر الكل بالنوال الرحيم الذى خص اولياه
باتمام النعمة فهداهم بنعمة الايصال الحمد والوصف
بالجميل ثابت لله وهل المراد الاعلام بذلك للايمان
به او التشابه او هما احتمالات قال الجلال المحلى فى سورة
الكهف افيدها الثالث وتقدم الكلام على الحمد لغة
واصطلاحا فى اول الفاتحة وقال كعب الاحبار هذه
الاية اول اية فى التوراة واخر اية فى التوراة وقيل الحمد
لله الذى لم يتخذ ولدا الى اخر الاية وفى رواية ان اخر اية
فى التوراة اخر سورة هود وقال ابن عباس رضى الله

عنهما

عنهما افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله **الذي خلق السموات والارض** وختم بالحمد فقال تعالى وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال اهل المعاني لفظ الحمد لله خبر ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله ابلغ وانما خص السموات والارض بالذكر لانها اعظم المخلوقات فيما ترى العباد لان السما بغير ترونها فيها والمنافع والارض مسكن الخلايق وفيها ايضا العبر والمنافع وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طباقاتها مختلفة الذات متفاوتة الانارة والحركات بالكواكب سيرها وحركاتها في السرعة والبطو واستتار بعضها عند الخسوف وغير ذلك مما هو محدد عند اهله وقدمها لشرفها قدرا وعظما وان كانت الارض اشرف من حيث انها مسكن الانبيا **وجعل** اي خلق **الظلمات والنور** اي كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها اذ ما من جرم الا وله ظل وظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار وكاترد الاجرام النيرة كالكواكب لان مرجع كل نير الى النار على ما قيل ان الكواكب اجرام نورية نارية وان الشهب منفصلة عن نار

الكواكب فصح ان النور من جنس النار وان المراد بالظلمة
الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد
وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات وقوله تعالى ثم
الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله خلق
اى انه تعالى خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم الذين
كفروا يعدلون بربهم الاوثان اى يسوونها به في
العبادة وعلى هذا فيعدلون من العدل وهو التسوية والباء
متعلقة بيعدلون وعلى قوله لله الحمد على معنى ان الله
تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه ونعمه على العباد ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته وعلى هذا فيعدلون
من العدول والباء متعلقة بكفروا ومعنى ثم استبعاد
عدولهم بعد وضوح ايات قدرته هو الذى خلقكم
من طين اى ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى
وان ادم الذى هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم
فحذف المضاف قال السدى بعث الله تعالى جبريل عليه
السلام الى الارض ليأتيه بطائفة منها فقالت الارض
انى اعوذ بالله منك ان تنقص منى فرجع جبريل عليه
السلام ولم يأخذ قال يا رب عاذت بك فبعث ميكائيل
عليه السلام فعاذت بالله منه فقال انا اعوذ بالله ان
اخالف امره فاخذ من وجه الارض فخلط الحمراء والسوداء
والبيضاء لذلك اختلف الوان بنى ادم ثم عجنها بالماء

العذب

العذب والملح والمر فكذلك اختلفت اخلاقهم فقال
الله تعالى لملك الموت رحم جبريل وميكايل الارض ولم
ترحمها لاحرم اجعل ارواح من هذا الطين بيدك
وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه خلق الله تعالى
ادم عليه السلام من تراب وجعله طينا ثم تركه حتى
كان جمادا مسنونا ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان
صلصالا كالفخار ثم نفخ فيه روحه ثم قضى اجلا اى اجل لكم
تموتون عند انتهايه واجل مسمى اى مضروب عنده
اى وهو اجل القيامة وقال الحسن الاول بين وقت
الولادة الى وقت الموت والثاني من وقت الموت الى
البعث وان كان قاطعا للرحم ينقص من اجل العمر
ويزيد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر
ولا ينقص من عمره الا في كتاب وقيل الاول النوم والثاني
الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن ياتي
ثم انتم ايها الكفار تمترون اى تشكون في البعث بعد
علمكم انه ابتدا خلقكم ومن قدر على الابتدا فهو على الاعادة
اقدر ومعنى ثم استبعاد ايضا كما مر لان يمترى فيه بعد
ما ثبت انه محييهم وميتهم وباعثهم وهو الله الظاهر
لله والله خبره وقرا قالون وابو عمرو والكسائي بسكون
الهاء من وهو والباقون بالضم وقوله تعالى في السموات
وفي الارض متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل هو المستحق

العبادة فيهما ومنه قوله تعالى وهو الذى فى السما اله
وفى الارض اله اوهو المعروف بالالهية او المستوجد
بالالهية فيهما وقال الزجاج فيه تقديم وتاخير تقديره
وهو الله يعلم سركم اى ما تسرون وجهركم اى
ما تجهرون به يعلمكم فى السموات والارض وقيل معناه
وهو اله السموات والارض كقوله وهو الذى فى
السما اله وفى الارض اله ويعلم ما تكسبون اى ما
تعملون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب فان
قيل الافعال اما افعال القلوب وهى المسماة بالسر
واما افعال الجوارح وهى المسماة بالجهر والافعال لا
تخرج عن السر والجهر فقوله يعلم ما تكسبون تقتضى
عطف الشى على نفسه وهو غير جايز اجيب بان المراد
بالسر ما يخفى وبالجهر ما يظهر من احوال الانفس
وبالمكتسب اعمال الجوارح او ان المراد المكتسب فهو كما
يقال هذا المال كسب فلان اى مكتسبه فلا يحمل على
نفس الكسب والا لزم عطف الشى على نفسه وما
تاتيهم اى الكفار من اية من ايات ربهم من الاولى
مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى ما يظهر لكم
دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او اية من ايات
القران الا كانوا عنها معرضين اى تاركين لها وبها
مكذبين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم اى بالقران فسيحمد

صلى الله عليه وسلم وبما اتى به من المعجزات فسوف يأتيهم
انبا اى عواقب ما كانوا به يستهزؤن بنزول العذاب
بهم فى الدنيا والاخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع
امره الم يروا اى فى اسفارهم الى الشام وغيرها
كم خبرية بمعنى كثيرا اهلكنا من قبلهم من قرن اى
امة من الامم الماضية وعلى هذا القرن الجماعة من
الناس وجمعه قرون وقيل القرن مدة من الزمان
قيل انها عشرة اعوام وقيل عشرون وقيل ثلاثون
وقيل اربعون وقيل خمسون وقيل ستون وقيل سبعون
وقيل ثمانون وقيل تسعون وقيل مائة لما روى ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بشر المازنى يعيش
قرنا فعاش مائة سنة وقيل مائة وعشرون فيكون معناه
على هذه الاقاويل من اهل قرن مكناهم فى الارض اى
جعلنا لهم فيها مكانا بالقوة والسعة وقررناهم فيها مالم
نمكن لكم اى مالم نجعل لكم من السعة والقوة فيه التفات
عن الغيبة والمعنى لم نعط اهل مكة نحوما اعطينا عادا
وثمود وغيرهم من البسطة فى الاجسام والسعة فى
الاموال والاستظهار باسباب الدنيا وارسلنا السما
على المطر عليهم مدرارا اى متتابعا وجعلنا الانهار
تجرى من تحتهم اى تحت مساكنهم فاهلكناهم بذنوبهم
اى بسبب ذنوبهم بتكذيبهم الانبيا فلم يغن ذلك عنهم

شيا وانشانا اى احدثنا من بعدهم قرنا اخرين
بدلا منهم فان قيل ما فايدة ذكر انشانا قرنا اخرين
بعدهم اجيب بانه ذكر للدلالة على انه تعالى لا يتعاظمه
شئ ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر
على ان ينشا مكانهم اخرين يعمرهم بلاده فهو قادر على
ان يفعل ذلك بكم ونزل لما قال النضر بن الحارث وعبد
الله بن امية ونوفل بن خويلد يا محمد لن نؤمن بك
حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملايكة
يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله ولو
نزلنا عليك كتابا اى مكتوبا فى قرطاس اى رق كما
اقترحوه فلمسوه بايديهم ابلغ من معاينوه لانه
انفى للشك لقال الذين كفروا ان ما هذا الا سحر مبين
اى تخييلا وعنادا كما قالوا فى انشقاق القمر وقالوا لولا
اى هلا انزل عليه اى محمد صلى الله عليه وسلم ملك
يكلمنا انه نفى لقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون
معه نذيرا ولو انزلنا ملكا بحيث عاينوه كما اقترحوا
لقضى الامر اى لحق اهلاكهم فان سنة
الله تعالى جرت فيمن قبلهم انهم اذا جاءهم مقترحهم
فلم يؤمنوا انه يهلكهم ثم لا ينظرون اى لا يمهلون
لتوبة او معذرة ولو جعلناه اى المنزل اليهم ملكا
لجعلناه اى الملك رجلا اى على صورته ليتمكنوا من

رويته اذ لا قوة للبشر على رؤية الملك فى صورته وانما
راه كذلك الافراد من الانبيا لقوتهم القدسية وقوله
تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب محذوف
اى ولو انزلناه وجعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا
عليهم بجعلنا اياه رجلا ما يخلطون على انفسهم وعلى
غيرهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وانما كان تلبيسا
لانهم لبسوا على ضعفتهم فى امر النبى صلى الله عليه
وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم ولو راوا الملك رجلا للحقهم
من اللبس مثل ما لحق الضعفا بهم فيكون اللبس نقمة
من الله وعقوبة لهم على ما كان فى امنهم من التخليط
فى السوال واللبس على الضعفا وقوله تعالى ولقد استهزئ
برسل من قبلك فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم
على ما يرى من قومه فحاق قال الربيع بن انس فنزل
وقال عطا فحل وقال الضحاك فاحاط بالذين سخروا
منهم اى من اولئك الرسل ما كانوا به يستهزءون
وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزا بك قل لهم
سيروا فى الارض اى اوقعوا السير الاعتبار فيها ولا
تغتروا بامهالكم وتمكنكم ثم انظروا كيف كان عاقبة
اى اخر امر المكذبين الرسل من اهلاكهم بالعذاب
فانكم اذا شاهدتم تلك الاثار تحملكم الاعتبار بهم قل
لمن ما فى السموات والارض خلقا وملكا وهو سوال

تبكيت قل لله ان لم يقولوه لانه المتعين للجواب بالاتفاق
اذ لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب اى قضى على نفسه الرحمة
تفضلا منه واحسانا فالرحمة تعم الدارين ومن ذلك
الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة
وانزال الكتب والالهام الى الكفرة والعصاة والمذنبين
ولو شاء لسلط عليهم المضار وجعل عيشهم من غير اللذائذ
كالتراب وبعض الحيوانات التى تعيش فيها الحيوانات
روى انه صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب
كتابا عنده فوق عرشه ان رحمتى غلبت غضبى وفى
رواية سبقت غضبى وفى رواية ان لله مائة رحمة
واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها
يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على
اولادها واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده
يوم القيامة وروى انه صلى الله عليه وسلم قدم على سبى
فاذا امراة من السبى قد تحلب ثديها اذ وجدت صبيا
فى السبى اخذته والصقته ببطنها وارضعته فقال
النبى صلى الله عليه وسلم اترون هذه المراة طارحة
ولدها فى النار وهى تقدر على ان لا تطرحه فقلنا لا والله
يا رسول الله فقال الله ارحم بعباده من هذه بولدها
وقوله تعالى ليجمعنكم استيناف واللام لام القسم
اى والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اى فى يوم القيامة

والى

والى بمعنى فى او ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى يوم
القيامة فيجازيكم باعمالكم وقيل بدل من الرحمة بدل
البعض فان من رحمته بعثه اياكم واقامته عليكم لاريب
اى لاشك فيه اى اليوم او الجمع وقوله تعالى الذين
خسروا انفسهم فى موضع نصب على الذم او رفع
على الخبرية وانما الذين خسروا انفسهم بتضييع راس
مالهم وهو الفطرة الاصلية او مبتدا خبره فهم لا
يومنون فان قيل الفاء تدل على ان عدم ايمانهم مسبب
عن خسرانهم مع ان الامر على العكس اجيب بان ابطال
العقل باتباع الحواس والوهم والاهما كفى التقليد
واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع
عن الايمان وقوله تعالى وله ما سكن اى حل فى الليل
والنهار عطف على الله اى له كل شئ من حيوان وغيره
لانه خالقه ومالكه وقيل له ما سكن فيهما او تحرك
واكتفى باحد الضدين عن الاخر وهو السميع اى لكل
ما يقال العليم اى بكل ما يفعل فلا يخفى عليه شئ
سبحانه وتعالى ونزل لما دعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى دين ابايه قل اغير الله اتخذ وليا
ربا ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استفهام ومعناه
الانكار اى لا اتخذ غير الله وليا فاطر السموات والارض
اى خالقهما ابتداء من غير سبق وعن ابن عباس

رضي الله تعالى عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني
اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما اني فطرتها
اي ابتداتها وهو يطعم اي يرزق ولا يطعم اي ولا
يرزق وصف سبحانه وتعالى ذاته بالغنا عن الخلق
باحتياجهم اليه لان من كان من صفته ان يطعم الخلق
لاحتياجهم اي وهو لا يطعم لاستغنايه عنهم وجب ان
يتخذ ربا وناصرا ووليا قل اني امرت ان اكون اول
من اسلم لله من هذه الامة لان النبي صلى الله عليه
وسلم سابق امته في الدين والدين وضع الهي سابق
لذوي العقول بسبب اختيارهم المحمود الى ما هو خير
بالذات ولا تكونن من المشركين اي وقيل لي يا محمد لا تكونن
من المشركين اي في عدادهم باتباعهم في شي من اغراضهم
وهذا التاكيد لقطع اطماعهم عنه صلى الله عليه وسلم
في سوالهم ان يكون على دين ابايه وقوله تعالى قل
اني اخاف ان عصيت ربي بعبادة غيره عذاب يوم
عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم
بانهم عصاة مستوجبون للعذاب وقوله تعالى
من يصرف عنه يومئذ اي يوم القيامة قراه ابو
بكر وحمزة والكسائي بضم اليا وكسر الرا على البنا
للفاعل والضمير لله تعالى والمفعول محذوف وقراه
الباقون بضم اليا وفتح الرا على البنا للمفعول فالضمير

للعذاب

للعذاب فقد رحمه ربه تعالى اى اراد به الخير وذلك
اى الصرف او الرحمة الفوز المبين اى النجاة الظاهر
وان يمسسك الله بضر اى ببلاء كمرض وفقر والضر اسم
جامع لما ينال الانسان من المرء مكروه وغير ذلك مما
هو في معناه فلا كاشف اى لا رافع له الا هو لا غير
وان يمسسك بخير اى بصحة وغنى والخير اسم جامع
لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو
ذلك فهو على كل شيء قدير من الخير والضر وهذه
الاية وان كانت خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فهي
عامة لكل احد والمعنى وان يمسسك الله بضر اى
الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسسك
بخير اى الانسان فهو على كل شيء قدير من رفع الضر
وايصال الخير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
انه قال اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها
له كسرى فركبها جبار من شعر ثم اردفني خلفه فسار
بي مليا ثم التفت الي فقال لي يا غلام قلت لبيك
يا رسول الله قال اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك
احفظ الله تجده امامك اذا سالت فاسئل الله
واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو
اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء
قد كتبه الله لك وان اجتمعت على ان يضروك بشيء

لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام
وجفت الصحف وفى رواية واعلم ان النصر مع الصبر
والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب
عسر يسرين وفى رواية فقد مضى العلم بما هو كائن
فلو جهد الخلق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لكم يقدروا
عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك
ما قدروا عليه وهو القاهر اى القادر الذى لا يعجزه
شئ مستعليا فوق عباده فهم مقهورون تحت
قدرته وكل من قهر شيأ فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة
وهو الحكيم فى خلقه الخبير ببواطنهم كظواهرهم
ونزل لما قال قريش للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد
لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك
عندهم ذكر ولا صفة فأرنا ما يشهد لك قل يا محمد لهؤلاء
المشركين الذين يكذبونك ويجحدون نبوتك من
قومك اى شئ بيننا وبينكم اكبر شهادة تمييز محول
عن المبتدا قل الله اكبر شهادة ان لم تقولوه لاجوا
غيره ثم ابتدا شهيد بينى وبينكم اى هو شهيد
بينى وبينكم ويحتمل ان يكون الله شهيد هو الجواب
لانه تعالى اذا كان هو الشهيد كان اكبر شئ شهادة
واوحى الى هذا القران لانذركم يا اهل مكة به اى
القران واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة وقوله

تعالى

تعالى ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم
به يا اهل مكة ومن بلغه من الانس والجن الى يوم
القيامة وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين
وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يواخذ بها من لم يبلغه
قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما راى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال انس بن مالك لما نزلت
هذه الاية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى
وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله تعالى وروى انه
صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن
بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوا
مقعده من النار وفي رواية نضر الله عبدا سمع مقالتي
فحفظها ووعاها واداها فرب مبلغ اوعى من سامع
وفي رواية فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه
الى من هو افقه منه وقال مقاتل من بلغه القران من
الجن والانس فهو نذير له وقوله تعالى اينكم لتشهدون
ان مع الله الهة اخرى استفهام انكاري قل يا محمد
لهولا المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا الهة
غيري انكم ايها المشركون لتشهدون ان مع الله الهة اخرى
وهي الاصنام التي كانوا يعبدون قل لهم لا اشهد بما
يشهدون به ان مع الله الهة اخرى بل اجحد ذلك وانكره
قل انما هو اله واحد لا شريك له وبذلك اشهد

وانني بريء مما تشركون معه من الاصنام وفي الاية دليل
على اثبات التوحيد ونفي التشريك لان كلمة انما تفيد
الحصر فثبت بذلك ايجاب التوحيد والتبرء من كل معبود
سوى الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب اي التوراة
والانجيل وهم علماء اليهود والنصارى يعرفونه اي محمد
صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون ابناءهم من
بين الصبيان روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم
المدينة واسلم عبد الله بن سلام قال عمر رضي الله تعالى
عنه اي الله تعالى انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
بمكة هذه الاية فكيف هذا قال عبد الله بن سلام قد
عرفته حين رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد
صلى الله عليه وسلم من ابني فقال له عمر كيف ذلك فقال اشهد
انه رسول الله حقا ولا ادري ما صنع النساء الذين
خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون
به لما سبق لهم من القضاء بالشقاء ومن اي لا احد اظلم
ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله واتخذ
الله ولدا او كذب بآياته الاتية كالرسل والقرآن
وغيره من المعجزات انه اي الشان لا يفلح الظالمون اي
لا ينجي القائلون على الله الكذب والمفترون عليه الباطل
واذكر يوم نحشرهم جميعا اي اهل الكتاب والمشركين
وغيرهم ومعبوداتهم وهو يوم القيامة ثم نقول توبيخا

للذين

الذين اشركوا اى سموا شيأ من دوننا الها وعبدوه
من الاصنام او عزيرا والمسيح او الظلمة او النور او غير
ذلك اين شركاؤكم اى الهتكم التى جعلتموها شركاء الله
واضافها الى ضميرهم تسميتهم لها بذلك وقوله تعالى
الذين كنتم تزعمون معناه كنتم تزعمونهم شركاء
وانها تشفع لكم عند الله فحذف المفعولان ثم لم تكن
فتنتهم اى معذرتهم الا ان قالوا اى قولهم والله ربنا
ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد جوارحهم
عليهم بالشرك وقرا حمزة والكسائى يكن بالياء على
التذكير والباقون بالتاء على التانيث وقرا ابن كثير
وابن عامر وحفص فتنتهم بضم التاء والباقون بالنصب
وقرا حمزة والكسائى ربنا بنصب الباء على النداء او المدح
والباقون بالكسر قال الله تعالى انظر يا محمد كيف
كذبوا على انفسهم باعتذارهم الباطل وتبرءهم من
الاصنام والشرك الذى كانوا عليه واستمالهم الكذب
مثل ما كانوا عليه فى دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وضل
اى غاب عنهم ما كانوا يفترون اى يكذبون وهو قولهم
ان الاصنام تشفع وتنصرهم فبطل ذلك كله يوم
ذلك اليوم فان قيل كيف صح ان يكذبوا حين يطلعوا
على حقايق الامور وعلم ان التكذيب فى الجحود كما وجه
لمنفعته اجيب بان الممتحن يطلع بما ينفعه وبما لا ينفعه

من غير تمييز بينهما حيرة ودهشة الا ترا هم يقولون ربنا
اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا الخلود ولم
يشكوا فيه وقالوا ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا
يقضي عليهم ومنهم من يستمع اليك حين تتلوا القران
روى انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة
وابو جهل وافراهم يستمعون القران فقالوا للنضر
ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري
ما يقول الا انه يحرك لسانه فيقول اساطير الاولين مثل
ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير
الحديث عن القرون الماضية واخبارها فقال ابو سفيان
اني لارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا لا تقربشيء من
هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على
قلوبهم اكنة اي الغطية ان اي كراهة ان يفقهوه
اي يفهموا القران وجعلنا في اذانهم وقرا اي صمما فلا
يسمعونه سماع قبول ووجه اسناد الفعل الى ذاته
تعالى هو قوله تعالى وجعلنا للدلالة على امر ثابت فيهم
لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا
ينطقون به من قولهم وفي اذاننا وقر من بيننا وبينك
حجاب وان يروا كل اية اي معجزة من المعجزات الدالة
على صدقك لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام
التقليد فيهم حتى اذا جاوك يجادلونك اي بلغ تكذيبهم

الايات الى انهم جاوك يجادلونك وينازعونك وحتى هى
التى يقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو
يقولون الذين كفروا ان ما هذا الا اساطير اى اكاذيب
الاولين اى احاديثهم من الامم الماضية واخبارهم
واقاصيصهم وما سطروا بمعنى كتبوا والاساطير
جمع اسطورة بالضم قال البخارى عن ابن عباس وهى
الترهات وهم ينهون عنه الناس عنه اى اتباع النبى
صلى الله عليه وسلم والقرآن وينأون اى يتباعدون
عنه فلا يؤمنون به قال محمد بن الحنفية والسدى والضحاك
نزلت فى كفار مكة وقال ابن عباس ومقاتل فى ابى طالب
كان ينهى الناس عن اذى النبى صلى الله عليه وسلم
وينهاهم عن الايمان به اى يبعد حتى انه روى
انه اجتمع له رؤس المشركين وقالوا خذ شابا من
احسن اصحابنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ابو طالب
ما انصفتمونى ادفع اليكم ولدى لتقتلوه وازى ولدكم
وروى ان صلى الله عليه وسلم دعاه الى الايمان فقال لولا
ان تعيرنى قريش لاقررت بها عينيك ولكنى اذب عنك
ما حييت وروى انهم اجتمعوا الى ابى طالب واردوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال شعرا
والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيونا

ودعوتنى وزعمت انك ناصح ولقد صدقت ولنت مؤتمنا
وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتنى سمحا بذلك مبينا
وانى ما يهلكون بالنار عند الا انفسهم لان ضرر
عليهم وما يشعرون اى ان ضررهم لا يتعداهم الى غيرهم
وقوله تعالى ولو ترى يا محمد اذ وقفوا اى عرضوا على النار
جوابه محذوف اى لو ترا هم حين يقفون على النار فيعرفون
مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا فقالوا اى الكفار يا
للتنبيه ليتنا نرد اى الى الدنيا ولا نكذب بايات
ربنا ونكون من المؤمنين تمنوا ان يردوا الى الدنيا ولا
يكذبوا بايات ربهم وقرا حفص وحمزة بنصب الباء من
يكذب على جواب التمنى والباقون بالرفع على الاستيناف
وقرا ابن عامر وحفص وحمزة بفتح النون من نكون على جواب
التمنى والباقون بالضم على العطف وقوله تعالى بل بدا لهم
اى ظهر لهم ما كانوا يخفون من قبل اى من امر البعث عن ارادة
الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انهم ظهر لهم ما كانوا
يخفون من نفاقهم وقبايح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا
عزما على انهم لو ردوا لامنوا كما قال تعالى ولو ردوا
الى الدنيا اى لو قدر ذلك بعد الوقوف والظهور لعادوا
لما نهوا عنه من الكفر والمعاصى وانهم لكاذبون
فى قولهم ردنا الى الدنيا لم نكذب بايات ربنا وكنا من المؤمنين

وقالوا

وقالوا ان اى ما هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز ان يعطف
على قولهم وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون
فى كل شئ وعن الذين قالوا ان هى الا حياتنا وكفى بهذا دليلا
على كذبهم ولو ترى يا محمد اذ وقفوا اى عرضوا على ربهم
لرايت امرا عظيما قال لهم على لسان الملائكة توبيخا اليس
هذا البعث والحساب بالحق وقوله تعالى قالوا بلى
وربنا اقرار موكد باليمين لانجلا الامر غاية الانجلاء قال
فذوقوا العذاب اى الذى كنتم به توعدون بما كنتم
تكفرون اى بسبب كفركم وجحودكم البعث قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله اى بالبعث واستمر تكذيبهم حتى اذا
جاءتهم الساعة اى القيامة بغتة اى فجاة وسميت القيامة
ساعة لانها تجيء الناس بغتة فى ساعة لا يعلمها الا الله تبارك
وتعالى وقيل لسرعة الحساب فيها لان حساب الخلائق
يوم القيامة يكون فى ساعة واحدة واقل من ذلك قالوا
يا حسرتنا اى يا ندامتنا والحسرة بالتلهف على الشئ
الفايت وشدة التالم ونداؤها مجاز اى هذا اوانك فاحضرى
على ما فرطنا اى قصرنا فيها اى الحياة الدنيا يضمير
وان لم يجر له ذكر لكونها معلومة لانها موضع التفريط فى
الاعمال الصالحة ويجوز ان يكون للساعة على معنى قصرنا فى
شانها والايمان بها كما تقول فرطت فى فلان ومنه فرطت

في جنب الله وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم اي اثقالهم
واثامهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم اصار الاثام وقال
السدي وغيره ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن
شيء صورة واطيبه ريحا فيقول له هل تعرفني فيقول لا فيقول
انا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا فذلك
قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي ركبانا
واما الكافر فيستقبله اقبح شيء صورة وانتنه ريحا
فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طال
ما ركبتني في الدنيا واليوم اركبك فهو معنى قوله تعالى
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء اي بئس
ما يزرون اي ما يحملون حملهم ذلك وقوله تعالى وما يزرون
وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو جواب لقولهم ان هي الا
حياتنا الدنيا اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس
ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وقيل
معناه انما امر الدنيا والعمل فيها لعب ولهو فاما فعل الخير
والعمل الصالح فهو من فعل الاخرة ولدار الاخرة اي
الجنة واللام فيه لام القسم خير اي من الدنيا وافضل
لانا الدنيا سريعة الزوال والانقطاع للذين يتقون
اي الشرك وقيل اللهو واللعب افلا يعقلون اي ان
الاخرة خير من الدنيا فتعملون لها وقرا ابن عامر ولدار
بتخفيف الدال وجر التاء من الاخرة والباقون ولدار

بتشديد

بتشديد الدال ورفع التاء وقرأ نافع وابن عامر وحفص
تعقلون على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة قد
للتحقيق نعلم إنه اى الشأن ليحزنك الذى يقولون
من التكذيب وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاى والباقون
بفتح الياء وضم الزاى فانهم لا يكذبونك اى يقتلونهم
ولكن يجحدون بالسنتهم او انهم لا يكذبونك لانك عندهم
الصادق الموسوم بالصدق ولكن الظالمين بايات
الله يجحدون اى يكذبون وعن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الامين
فعرفوا انه لا يكذب فى شئ ولكنهم كانوا يجحدون قال
السدى التقى الاخنس بن شريف وابو جهل بن هشام
فقال الاخنس لابى جهل يا ابا الحكم اخبرنى عن محمد
اصادق هو ام كاذب فانه ليس ها هنا احد يسمع
كلامك غيرنا فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق
ما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية
والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش
فانزل الله تعالى هذه الآية وعن على بن ابى طالب رضى
الله تعالى عنه ان ابا جهل قال للنبى صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكنا نكذب الذى جئت به فانزلت
ووضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا
فى جحودهم وايا لتضمن الجحود معنى التكذيب وقدا

نافع والكسائي يكذبونك بسكون الكاف وتخفيف
الذال من اكذب اذا وجده كاذبا ونسبه للكذب ه
والباقون بفتح الكاف وتشديد الذال من التكذيب
وهو ان ينسبه الى الكذب وقوله تعالى ولقد كذبت رسل
من قبلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا دليل
على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه مطلقا
وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني
فصبروا على ما كذبوا اي على تكذيبهم لهم واوذوا اي
وصبروا على ايذائهم لهم حتى اتاهم نصرنا باهلاك من
كذبهم فتاس بهم واصبر حتى ياتيك النصر باهلاك
من كذبك وفي ذلك ايما بوعد النصر للصابرين ولا مبدل
لكلمات الله اي لمواعيده من قوله تعالى ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات ولقد جاءك من نبا
المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم
مما يسكن به قلبك قيل من مزيدة وقيل للتبعيض
ويدل له قوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم
من لم نقصص عليك وان كان كبر اي عظم وشق عليك
اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت
ان تبتغي اي تطلب بجهد وغاية طاقتك نفقا اي
منفذا في الارض تنفذ فيه الى ما عساك تقدر الى الانتها
اليه او سلما في السما اي جهة العلو ليرتقي فيه الى ما

تقدر

تقدر عليه فتاتيهم باية اى مما اقترحوه عليك فافعل
لتشاهد انهم لا يزدادون عند اتيانك بها الا اعراضا
كما اخبرناك لان الله تعالى شا ضلال بعضهم والمقصود
بهذا بيان شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم
وانه لو قدر ان يتكلف النزول الى تحت الارض او فوق
السما فياتيهم بما يومنون به لفعل ولو شا الله هدايتهم
لجمعهم على الهدى اى لوفقهم له ولكن لم يشا ذلك فلم
يومنوا والمعتزلة اولوا لو شا الله بانه لو شا لجمعهم
على الهدى بان ياتيهم باية ملجية ولكن لم يفعل لخروجه
عن الحكمة وجرى على هذا الزمخشرى فى كشافه والمعنى
ان اسناد مشية الجمع الى الله ظاهر فى انه هو المهدى
والمضل والمعتزلة لما قالوا انه بفعل العبد احتاجوا
الى التاويل فلا تكونن من الجاهلين اى لا يشتد تحسرك
على تكذيبهم ولا تجزع من اعراضهم عنك فتقارب حال
الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه
الحالة وغلظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة
انما يستجيب دعاك الى الايمان الذين يسمعون
سماع تفهم واعتبار كقوله تعالى او القى السمع وهو
شهيد وهم المومنون الذين فتح الله لهم قلوبهم فهم
يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه دون من ختم
الله على سمع قلبه وهو قوله والموتى اى الكفار

شبههم بهم فى عدم السماع يبعثهم الله فى الاخرة اليه
يرجعون اى يردون فيجازيهم باعمالهم وقالوا اى
رؤساء قريش لولا اى هلا نزل عليه اية مما اقترحوها
من ربه المجيء اليد كالناقة والعصى والمايدة او اية
تضطرهم الى الايمان كفلق الجبل او اية ان جحدوها
هلكوا قل لهم ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه
او اية تضطرهم الى الايمان او اية ان جحدوها هلكوا
لا يعلمون شيئا ولكن اكثرهم لا يعلمون اى ماذا عليهم
فى انزالها من العذاب اذ لم يوفوا بما وعدوا بها ولهم فيما انزل
مندوحة عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بسكون النون
وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى
والمعنى واحد وما من دابة فى الارض اى تدب على وجهها
ولا طائر يطير بجناحيه فى الهوى وهو بالمد ما بين
السماء والارض وهو المراد هنا واما بالقصر فهو النفس
وليس مرادا وانما قال بجناحيه مع ان الطيران لا يكون
الا بهما قطعا لمجاز السرعة ونحوها كما تقول كتبت
بيدى ونظرت بعينى الا امم امثالكم اى محفوظة
احوالها مقدرة ارزاقها واجالها قال العلماء جميع ما
خلق الله لا يخرج عن هاتين الحالتين حتى ما فى البحر
لا يصيرها فى الماء اما ان يكون دبيبا او طيرانا مجازا
وانما خص ما فى الارض بالذكر دون ما فى السماء وان كان

ما في السما مخلوق قاله لان الاحتجاج بالمشاهد اظهر
واولى مما لا يشاهد واختلف العلما في وجه هذه المما
ثلة
فقال مجاهد اصناف مصنفة تعرف باسمايها مثل
بني ادم يعرفون باسمايهم يريد ان كل جنس من الحيوان
امة فالطير امة والدواب امة والسباع امة وقال
ابن قتيبة امم امثالكم في الغذا وابتغا الرزق وتوقي
المهالك وقال ابن عطا امثالكم في التوحيد والمعرفة وقيل
غير ذلك والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته
وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه
قادر على ان ينزل اية ما فرطنا اي ما تركنا وما اغفلنا
في الكتاب اي اللوح المحفوظ من شي فلم نكتبه فانه
مشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق ولم
يهمل فيه امر حيوان وقيل المراد بالكتاب القران فانه
قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا
ومجملا ومن مزيدة وشي في موضع المصدر لا المفعول
به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الكتاب
ثم الى ربهم يحشرون قال ابن عباس والضحاك حشرها
موتها وقال ابو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة
الدواب والطير وكل شي فياخذ للجما من القرنا ثم
يقول كوني ترابا فحينيذ يتمنى الكافر ويقول يا ليتني
كنت ترابا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

لتودن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة
الجلحا من القرنا والذين كذبوا باياتنا اى القران صم
عن سماعها سماع قبول وبكم عن النطق بالحق في
الظلمات اى في ضلالات الكفر من يشا الله اضلاله
يضلله ومن يشا هدايته يجعله على صراط
مستقيم هو دين الاسلام وهذا دليل واضح لاهل
السنة على المعتزلة في قولهم انهما من العبد كما مر قل
يا محمد لاهل مكة وقوله تعالى ارايتكم استفهام
تعجب والكاف حرف خطاب اى اخبروني ان اتاكم عذاب
الله اى في الدنيا كما اتى من قبلكم من الغرق او الخسف
والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب او اتتكم
الساعة اى القيامة المشتملة على العذاب اغير الله
تدعون في كشف العذاب عنكم ان كنتم صادقين
ان الاصنام الهة وجواب الاستفهام محذوف اى
فادعوه وهو تبكيت لهم بل اياه تدعون اى تخصونه
بالدعا كما حكى الله ذلك عنهم كما في قوله تعالى واذا مس
الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قايما فلما كشفنا
عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه فيكشف ما
تدعون اليه اى ما تدعونه الى كشفه ان شا كشفه
في الدنيا تفضلا عليكم كما هو عادته معكم في وقت
شدايدكم ولكنه لا يشا كشفه في الاخرة لانه لا يبدل

القول

النزل لديه وان كان له ان يفعل ما يشاء وتتسعون اى
تتركون فى تلك الاوقات ما ايما ما تشركون معه من الاصنام
فلا تدعونها لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع ولقد ارسلنا رسلا
الى امم من قبلك اى قبلك ومن مزيده فكذبوهم فاخذناهم
بالبأساء اى شدة الفقر والضراء اى الامراض والاوجاع
وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اى
يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم فيؤمنون به فلولا اى
فهلا اذ جاءهم بأسنا اى عذابنا تضرعوا اى لم يتوبوا
ذلك مع قيام المقتضى له ولكن قست قلوبهم فلم تلن للايمان
وزين لهم الشيطان اى بما دخل عليهم من باب الشهوات
ما كانوا يعملون من المعاصى فاصروا عليها فلما نسوا
اى تركوا ما ذكروا اى وعظوا وخوفوا به وانما كان النسيان
بمعنى الترك لان التارك للشئ معرض عنه كانه قد صار
بمنزلة ما قد نسى فتحنا عليهم ابواب كل شئ اى من الخيرات
والارزاق والملاذ التى مغلقة عنهم فتعللناهم من الشدة الى
الرخاء المستدرجناهم وقرا ابن عامر بتشديد التاء والباقون
بالتخفيف حتى اذا فرحوا بما اوتوا اى فرح بطر اخذناهم
بالعذاب بغتة اى فجاة فاذا هم مبلسون اى متحسرون
ايسوت من كل خير فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى
آخرهم بانهم استوصلوا والحمد لله رب العالمين اى على
نصر الرسل واهلاك الكافرين والعصاة فان اهلاك شر

من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم
واعمالهم نقمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل اى لاهل مكة
ارايتم اى اخبروني ان اخذ الله سمعكم اى اصمكم وابصاركم
اى اعماكم وختم اى طبع على قلوبكم اى بان يخلق عليها ما
يزول به عقلكم وفهمكم فلا تعرفون شيا من اله غير الله
ياتيكم به اى بذلك او بما اخذ منكم وختم عليه لان الضمير
في به يعود على معنى الفعل او باحد هذه المذكورات ويجوز
ان يعود على السمع الذى ذكره اولا ويندرج غيره تحته
كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه قالها راجعة
الى الله تعالى ورضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يندرج في رضى الله تعالى انظر الخطاب للنبى صلى الله عليه
وسلم ويدخل فيه غيره اى انظر يا محمد كيف نصرف اى
نبين لهم الايات اى العلامات الدالة على التوحيد والنبوة
ونكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة
الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال
المتقدمين ثم هم يصدفون اى يعرضون عنها فلا
يومنون قل لهم ارايتكم اى اخبروني ان اتاكم عذاب
الله بغتة او جهرة اى معاينة تروونه عند
نزوله وقال ابن عباس والحسن ليلا ونهارا هل يهلك اى
ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون
اى المشركون لانهم ظلموا انفسهم بالشرك وما نرسل

المرسلين

المرسلين الا مبشرين من امن بالجنة ومنذرين
من كفر بالنار اى ليس فى ارسالهم ان ياتوا الناس بما
يقترحون عليهم من الايات انما ارسلوا بالبشارة والنذا
رة فمن امن واصلح فلا خوف عليهم اى من العذاب ولا هم
يحزنون فى الاخرة بفوات الثواب والذين كذبوا باياتنا
يمسهم العذاب اى يصيبهم بما كانوا يفسقون اى
بسبب خروجهم عن الطاعة قل لهم لا اقول لكم عندى
خزاين الله نزلت حين اقترحوا عليه الايات فامره
الله تعالى ان يقول لهم انما بعثت لهم بشيرا ونذيرا ولا
اقول لكم عندى خزاين الله جمع خزانة وهو اسم للمكان
الذى يخزن فيه الشى وخزن الشى احرازه بحيث لا تناله
الايدى خزاين رزقه او مقدوراته فاعطيكم منها ما
تريدون لانهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم
ان كنت رسولا من الله فاطلب منه ان يوسع علينا
ويغنى فقرنا فاخبرانه ذلك بيد الله لا بيدى ولا اقول
لكم انى اعلم الغيب اى فاخبركم بما مضى وهو ما
وذلك انهم قالوا له اخبرنا بمصالحنا ومضارنا فى المستقبل
حتى نستعد لتحصيل المصالح ورفع المضار فاجابهم
بقوله ولا اعلم الغيب فاخبركم بذلك ولا اقول لكم انى
ملك وذلك انهم قالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام
ويمشى فى الاسواق ويتزوج النساء فاجابهم بذلك

لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد
ما لا يشاهدون اى لا اقول لكم شيأ من ذلك فتنكرون
وتجحدون فان قيل قد يستدل بهذا على ان الملائكة افضل
من الانبيا لان معنى الكلام لا ادعى منزلة اقوى من منزلتى
ولولا ان الملائكة افضل لم يصح ذلك اجيب بانه صلى
الله عليه وسلم انما قال ذلك تواضعا لله تعالى واعترافا
بالعبودية حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد النصارى
فى المسيح وبان المراد بما قاله نفى قدرته ان افعال لا يقوى
عليها الا الملائكة وذلك لا يدل على انهم افضل من الملائكة
ان اتبع الا ما يوحى الى تبرا صلى الله عليه وسلم من دعوى
الالوهية والملائكة وادعا النبوة مع الرسالة التى هى
اعلا حالات البشر رد الاستبعادهم دعواه وجزمهم
على فساد مدعاه وظاهر هذه الاية تدل على انه صلى
الله عليه وسلم ما كان يجتهد فى شئ من الاحكام بل
جميع اوامر الله ونواهيه انما كان ينتيوحى ولكن المرجح
انه يجتهد قل لهم هل يستوى الاعمى والبصير ان
يكونوا سواء من غير مزية فان قالوا نعم كابروا الحس
وان قالوا لا قيل فمن تبع هذه الايات الجليات فهو البصير
ومن اعرض فهو الاعمى وقيل المراد بالاول الكافر وبالثانى
المؤمن وقيل الضال والمهتدى وقيل الجاهل والعالم
افلا تتفكرون فى انهما لا يستويان فتؤمنوا وانذر اى

خوف الانذار اعلام مع تخويف به اى القران وقوله تعالى
الذين يخافون اى يحشروا الى ربهم اما قوم داخلون فى
الاسلام ومقرون بالبعث لانهم مفرطون فى العمل واما
اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين
علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان
يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار
دون المتمردين منهم وقوله ليس لهم من دونه اى
غير الله ولى ينصرهم ولا شفيع اى يشفع لهم خال
من ضمير يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين
ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور
فان المخوف هو الحشر على هذه الحال فان قيل اذا قسما
ذكر بالمومنين كان مشكلا لانه قد ثبت بصحيح النقل
شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم للمذنبين من امته
وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمومنون بعضهم
لبعض اجيب بان الشفاعة لا تكون الا باذن الله
كما قال تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه واذا كانت
الشفاعة لا تكون الا باذن الله صح قوله ليس لهم
من دونه ولى ولا شفيع حتى يوذن لهم بالشفاعة
فاذا اذن فيها كان للمومنين ولى وشفيع لعلهم يتقون
الله باقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى بعد ما امر الله

تعالى نبيه بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين
وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روى ان روساهم
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو طردت هولا الاعبد يعنون
فقرا المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان
واضرابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك
وحادثناك فقال عليه الصلاة والسلام ما انا بطارد المومنين
فقالوا فاقمهم عنا اذا جينا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان
شيت قال نعم طمعا في ايمانهم وروى ان عمر رضي الله تعالى
عنه قال لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون قالوا
فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله
تعالى عنه فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر رضي الله
تعالى عنه عن مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنوا
منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام
فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك
القيام الى ان نقوم عنه وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني
حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم
المحيى ومعكم الممات وقال الكلبي قالوا له اجعل لنا
يوما ولهم يوما قال لا افعل قالوا فاجعل واحدا واقبل
علينا وولهم ظهرك فانزل الله تعالى هذه الاية وقال
مجاهد وقالت قريش لولا بلال وابن ام معبد لبايعنا

محمدا

محمدا فانزل الله تعالى هذه الاية ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشى يعنى صلاة الصبح وصلاة
العصر ويروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس
وذلك ان ناسا من الفقراء كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم
فقال ناس من الاشراف فاذا صلينا فاخرهوا فليصلوا
خلفنا فنزلت هذه الاية وقوله تعالى يريدون وجهه
حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد
الدعا بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ما عليك
من حسابهم من شى وما من حسابك عليهم من
شى اى ليس عليك حساب فى اعتذار مواطنهم و
اخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين واى كان لهم
باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم
فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك لا يتعداك
اليهم كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قيل
هلا اكتفى بقوله ما عليك من حسابهم من شى عن
وما من حسابك عليهم من شى اجيب بان الجملتين
جملتا بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مودا واحدا وهو
المعنى فى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يفيد هذا
المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم
بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى
لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك

ايمانهم بحيث تطرد المومنين طمعا فيه وقوله تعالى ه
فتطردهم اى فتبعدهم جواب النفى وقوله تعالى
فتكون من الظالمين جواب النهى وهو ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة واحتج الطاعنون فى عصمة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام بهذه الاية فقالوا ان النبى
صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقرا عن مجلسه لاجل
اشراف قريش عاتبه الله تعالى به على ذلك ونهاه
عن طردهم وذلك قدح فى العصمة وقوله تعالى ه
فتطردهم فتكون من الظالمين واجيب بانه صلى الله
عليه وسلم ما طردهم ولا هم به لاجل استخفاف بهم وانما
كان هذا الهم لمصلحة وهى التلطف بهولا الاشراف فى
ادخالهم فى الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب اولى وهو
اجتهاد منه صلى الله عليه وسلم فاعلمه الله تعالى ان
تقريب هولا الفقرا اولى من الهم بطردهم فقربهم منه
وادناهم والظلم فى اللغة وضع الشى فى غير موضعه
اى فلا تهم بطردهم عنك فتضع الشى فى غير محله
فهو من باب ترك الافضل والاولى من باب ترك الواجبات
وكذلك فتنا اى ابتلينا بعضهم ببعض اى ه
الشريف بالوضيع والغنى بالفقير بان قدمناه بالسبق
للايمان ليقولوا اى الشرفا والاغنيا اهولا الفقرا
من الله عليهم من بيننا بالهداية اى لو كان ما هم عليه

هذه ما سبقونا اليه ونحن الاكابر والروساء وهم
المساكين والضعفاء قال الله تعالى اليس الله باعلم
بالشاكرين اى بمن يقع منهم الايمان والشكر
فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين
يؤمنون بآياتنا وقوله تعالى فقل لهم سلام
عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله تعالى اليهم
واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم
وتطييبا لقلوبهم كتب اى قضى ربكم على نفسه الرحمة
روى انها نزلت فى الذين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن طردهم فوصفهم الله تعالى بالايمان بالقرآن واتباع
الحق بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ
بالتسليم او يبلغ سلام الله تعالى اليهم ويبشرهم
بسعة رحمته وتفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا
بانهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك
ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعزز ولا يذل ويبشر من
الله تعالى بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الاخرة وقال
عطا نزلت فى الخلفاء الاربع وجماعة من الصحابة
وقيل الاية على اطلاقها فى كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن
الخطاب واعتذر من مقالته التى تقدمت وقال ما
اردت الا الخير فنزلت وقيل ان قوما جاءوا الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم

يرد عليهم شيأ فانصرفوا فنزلت **انه من عمل منكم**
سوأ اى سوء كان ملتبسا **بجهالة** اى عمله وهو جاهل
وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل
ما يعدى الى الضرر فى العاقبة وهو علم بذلك اوظن
فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير
ومنه قول الشاعر

على انها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا

والثانى انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة
ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شئ حتى يعلم حاله
وكيفيته وقيل انها نزلت فى عمر رضى الله تعالى عنه
حين اشار بلجاجة الكفرة الى ما سألوه ولم يعلم انها مفسدة
وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم انه بفتح الهمزة
على انه بدل من الرحمة والباقون بالكسر على انه تفسير الشأن
ثم تاب اى رجع **من بعده** اى بعد ارتكابه ذلك
السوء **واصلح** عمله **فانه** اى الله **غفور له رحيم**
به وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الهمزة على تقدير لام
المغفرة له والباقون بالكسر **وكذلك** اى ومثل ذلك
التفصيل الواضح وهو تفصيل احوال الطوائف الاربع
الاولى المطبوع على قلوبهم وهم من فى اية والذين
كذبوا بايتنا والثانية المرجو اسلامهم وهم من فى اية
وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم والثالثة

المطيعون

المطيعون وهم من في اية ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشى والرابعة الداخلون في الاسلام
لكنهم لا يحفظون حدوده وهم من في اية واذا جاءك
يؤمنون باياتنا فقل نفصل اى نبين الايات اى ايات
القران في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم
والاوابين ولتستبين سبيل اى طريق المجرمين
قرا ابو بكر وشعبة وحمزة والكسائى بالياء بعد اللام
على التذكير اى وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم
القيامة اذا صاروا الى النار والباقون بالتاء على الخطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم اى وليظهر لك الحق يا محمد
ويتبين لك سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له وقرا
نافع سبيل بنصب اللام والباقون بالرفع قل يا محمد
لهؤلاء المشركين انى نهيت ان اعبد الذين تدعون اى
تعبدون من دون الله وهى الاصنام التى يعبدونها
او ما تدعونها الهة اى تسمونها لان الجمادات اخس من
ان تدعا وقوله تعالى قل لا اتبع اهوائكم تاكيد لقطع
اطماعهم وبيان لبعد اضلالهم وان ما هم عليه هوى
وليس بهدى قد ضللت اذا اى ان اتبعت اهواءكم
فانا ضال وما انا من المهتدين اى وما انا من المهدى في
شى اى لانكم كذلك كل انى على بينة اى بيان من
ربى اى معرفته وانه لا معبود سواه وقد كذبتم به

اى بزى حيث اشركتم به غيره **ما عندى ما تستعجلون**
به اى العذاب الذى استعجلوه بقولهم فامطر علينا
حجارة من السما ان اى ما **الحكم** فى ذلك وغيره **الا لله** فهو
يفصل بين المختلفين ويقضى بانزال العذاب متى شا
يقص الحق قرا نافع وابن كثير وعاصم بضم القاف وصاد
مهملة مشددة مع الرفع ومعناه يقول الحق لان كلما
اخبر به فهو حق والباقون بسكون القاف وضاد
معجمة مخففة مع الكسر اى انه تعالى يقضى القضا الحق
وهو **خير الفاصلين** اى الحاكمين **قل لو ان**
عندى اى فى قدرتى ومكنتى **ما تستعجلون به** اى
من العذاب **لقضى الامر بينى وبينكم** اى لانفصل ما
بينى وبينكم بانزاله عاجلا بما تستعجلون به من
العذاب غضبا لربى ولكنه عند الله تعالى **والله اعلم**
بالظالمين اى ما تستحقونه من العذاب والوقت الذى
يستحقون فيه **وعنده** سبحانه وتعالى **مفاتح الغيب** اى
خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل
به الى المغيبات مستعار من المفاتيح الذى هو جمع مفتح
بالكسر وهو المفتاح **لا يعلمها الا هو** وهى الخمسة التى
فى قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الاية كما رواه البخارى
فيعلم اوقاتها وما فى تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها
على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه دليل

علم انه

على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما يحدث
في البر والبحر قدم البر لان الانسان اكثر ملابسة له
بما فيه من القرار والمدن والمفاوز والجبال والحيوان
والنبات والمعادن وغير ذلك واخر البحر لان احاطة
العقل باحواله اقل وقال مجاهد البر المفاوز والقفار
والبحر القرار والامصار التي على الانهار وقوله تعالى
وما تسقط من ورقة اي ورقة من يد الا يعلمها مبالغة
في احاطة علمه تعالى بالجزئيات وقوله تعالى ولا حبة
في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة
واختلف في الحبة فقيل هي من هذا الحب المعروف تكون
في بطن الارض قبل ان تنبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة
في اسفل الارض واختلف في معنى الرطب واليابس
فقال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال
عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحي
وباليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع
الاشياء اما رطبة واما يابسة فان قيل جميع هذه الاشياء
داخلة تحت قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا
هو فلم افرد هذه الاشياء بالذكر اجيب بانه تعالى ذكرها
اولا بجملة ثم فصل بعضا من ذلك الاجمال ليدل بها على
غيرها وقوله تعالى الا في كتاب مبين فيه قولان احدهما
انه علم الله الذي لا يغير ولا يبدل والثاني انه اللوح

المحفوظ لان الله تعالى كتب فيه علم ما يكون وما قد كان
قبل ان يخلق السموات والارض فهو على الاول بدل من
الاستئناف الاول بدل الكل وعلى الثانى بدل الاشتمال
وهو الذى يتوفاكم بالليل اى يقبض ارواحكم عند النوم
ويعلم ما جرحتم اى كسبتم بالنهار ثم يبعثكم اى
يوقظكم يرد ارواحكم فيه اى النهار فان قيل لم خص
الليل بالنوم والنهار بالكسب مع ان ذلك يقع فى غيرهما
اجيب بان ذلك جرى على الغالب ليقضى اجل
مسمى اى ليبلغ المستيقظ اخر اجله المسمى له فى الدنيا
ثم اليه مرجعكم بالموت والبعث ثم ينبئكم بما كنتم
تعملون فيجازيكم به وهو القاهر مستعليا فوق
عباده لان من قهر شيا وغلبه فهو مستعل عليه اما قهره
للمعدوم فبالتكوين والايجاد واما قهره للموجود فبالافناء
والافساد بنقل الممكن من العدم الى الوجود تارة ومن
الوجود الى العدم اخرى ويقهر النور بالظلمة والظلمة
بالنور والنهار بالليل والليل بالنهار الى غير ذلك من ضروب
الكائنات وصنوف الممكنات ويرسل عليكم ملائكة
حفظة اى تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابى
حاتم السجستانى انه كان يكتب عن الاصمعى كل شى تلفظ
به من فوايد العلم حتى قال فيه اثبت شيبة الحفظة
تكتب لفظ اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب

فان

فان قيل الله تعالى غنى عن كتبة الملائكة فما فائدتها
اجيب بان فيها لطفا للعباد لانهم اذا علموا ان الله
رقيب عليهم والملائكة موكلون بهم يحفظون عليهم
اعمالهم ويكتبونها فى صحايف تعرض على رؤس الاشهاد
فى مواقف القيامة كان ذلك زجرا لطيفا عن القبيح له
وابعدا عن السوء حتى اذا جاء احدكم الموت توفته
رسلنا اى ملك الموت واعوانه وهم لا يفرطون اى لا
يتصرفون فيما يؤمرون وقيل ملك الموت وحده فذكر
الواحد بلفظ الجمع وجاء فى الاخبار ان الله تعالى جعل الدنيا
بين يدى ملك الموت كالمايدة الصغيرة فيقبض من
ها هنا ومن ها هنا فاذا كثرت عليه الارواح يدعوها
فتستجيب له فان قيل قال الله تعالى فى اية اخرى الله
يتوفى الانفس حين موتها وفى اخرى قل يتوفاكم ملك
الموت الذى وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع
اجيب بان المتوفى فى الحقيقة هو الله تعالى ملك
فاذا حضر اجل العبد امر الله تعالى ملك الموت ان يقبض
روحه وملك الموت اعوان من الملائكة يامرهم بنزع
روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الحلقوم
تولى قبضها ملك الموت بنفسه فحصل الجمع بين الايات
وقال مجاهد هما من اهل بيت شعورا مدرا الا ويدخله ملك
الموت يطوف بهم كل يوم مرتين وقرا حمزة بعد فاتوفته

بالغ مالك على التذكير والباقون بالتاء على التانيث وسكن
السين من رسلنا ابو عمرو ورفعها الباقون ثم ردوا
اى الخلق الى الله اى الى حكمه وجزائه مولاهم اى
سيدهم ومدبر امورهم كلها الحق اى الثابت الولاية
وكل ولاية غيره ولايته عدم الا له الحكم اى القضاء
النافذ فيهم فلا حكم عليه وهو اسرع الحاسبين يحاسب
الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من ايام الدنيا الحديث بذلك
لانه لا يحتاج الى فكرة رويه وعقد يد يحاسب خلقه
بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض قل يا
محمد لاهل مكة من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اى من
الخسف فى البر والغرق فى البحر او من شدايدهما
استعيرت الظلمة لمشاركتها فى الهول وابطال الابصار
فقيل للهول الشديد يوم مظلم ولغيره يوم ذو كواكب
وقيل حمله على الحقيقة اولى وظلمة البر هى ما اجتمع
من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة البحر وظلمة
الرياح العاصفة والامواج القايلة فيحصل من ذلك
ايضا الخوف الشديد من الوقوع فى المهالك والمقصود
ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد
لا يرجع الانسان فيها الا الى الله تعالى لانه هو القادر
على كشف الكروب وازالة الشدايد وهو المراد من قوله
تدعونه تضرعا اى علانية وخفية اى سرا وقوله

تعالى

تعالى لئن اللام لام القسم على ارادة القول اى يقولون
والله لئن انجيتنا من هذه اى الظلمات والشدايد
لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة والشكر
هو معرفة النعمة مع القيام بحقها لمن انعم بها اى لنكونن
من المومنين وقرا حمزة والكسائى انجانا بحذف الثانى
والف بعد الجيم بدل الياء ليوافق قوله تعالى تدعونه
واما لها حمزة والكسائى والباقون بالتاء بعد الياء
قل الله ينجيكم منها اى تلك الظلمات والشدايد
وقرا هشام وعاصم وحمزة والكسائى بفتح النون الاولى
وتشديد الجيم والباقون بسكون النون وتخفيف
الجيم ومن كل كرب اى غم سوى ذلك ثم انتم تشركون
اى تعودون الى شركة الاصنام معه التى لا تضر ولا
تنفع ولا توفون بالعهد وانما الوضع تشركون موضع
لا تعبدون تنبيها على ان من اشرك فى عبادة الله
تعالى فكانه لم يعبده قل لهم هو القادر على ان يبعث فى
كل وقت يريده عليكم فى تلك الحالة عذابا من فوقكم بارسال
الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح
وعاد وثمود وقوم لوط واصحاب الفيل او من تحت
ارجلكم بالغرق والخسف كما فعل بفرعون وقارون
وعن ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم السلاطين
او من تحت ارجلكم العبيد السوء وقال الضحاك من

فوقكم اى من قبل كباركم او من تحت ارجلكم اى من اسفل
منكم او يلبسكم اى يخلطكم شيعا اى فرقا ويشب
قلوبكم الاهواء المختلفة بقتل بعضكم بعضا وروى لما
نزلت هذه الاية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا
من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك
اعوذ بوجهك او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض اى بالقتال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اهون او ايسر
وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال سالت ربى طويلا
ان لا يهلك امتى بالغرق فاعطانيها وسالته ان لا يهلك
امتى بالسنين فاعطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم
بينهم فمنعنيها وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم
سال الله تعالى ثلاثا فاعطاه اثنين ومنعه واحدة
سأله ان لا يسلط على امته عدوا من غيرهم يظهر
عليهم فاعطاه ذلك وسأله ان لا يهلكهم بالسنين
فاعطاه ذلك وسأله ان لا يجعل باس بعضهم على بعض
فمنعه ذلك انظر يا محمد كيف نصرف اى نبين لهم
الايات الدالة على قدرتنا لعلهم يفقهون اى
يعلمون ان ما هم عليه باطل فيرجعون عليه وكذب
به اى القرآن او العذاب قومك اى الذين من جنسهم
ان يقعوا بجميع امرك وسيروا بسبيا ذلك فان

القبيلة

القبيلة اذا ساد احدها عزت به فان عزه عز
وشرفه شرفها ولا سيما اذا كان من بيت الشرف
ومعدن السيادة واذا سفل احدها انتقصت به
غاية الاهتمام وسترت عيوبه مهما امكنها فان عار
لاحق بها فهو من عظيم التوبيخ لهم ودقيق
التقريع لهم وزاد ذلك بقوله وهو اى والحال انه
الحق اى الثابت الذى لا يضع التكذيب به ولا
يمكن زواله قل لهم لست عليكم بوكيل اى حفيظ
وكل الى امركم فاجازيكم او امنعكم من التكذيب انما
انا منذر والله الحفيظ لكل نبا اى خبر اخبركم
به من هذه الاخبار مستقر اى وقت يقع ويستقر
ومنه عذابكم وسوف تعلمون صحة ذلك عند
وقوعه اما فى الدنيا واما فى الاخرة وفى ذلك تهديد
لهم واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا اى القران
بالاستهزاء والتكذيب فاعرض عنهم اى فاتركهم
ولا تجالسهم حتى يخوضوا فى حديث غيره اى حتى
يكون خوضهم فى غير الايات والاستهزاء بها وذكر
الضمير على معنى الايات لانها القران والخطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ليكون
اولغيره اى واذا رايت ايها الانسان واما فيه
ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة ينسينك

الشيطان اى قعدت معهم ثم تذكرت فلا تقعد بعد
الذكرى اى التذكر لهذا النهى مع القوم الظالمين
اظهر موضع الاضمار تعميما ودلالة على الوصف الذى
هو سبب الخوض وروى ان المسلمين قالوا لئن كنا
نقوم كلما استهزوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس
بالمسجد ونطوف فنزل وما على الذين يتقون الله
من حسابهم اى الخائضين من شئ اى شئ مما
يحاسبون عليه اذا جالسوهم من زيدة للتاكيد
ولكن عليهم ذكرى اى تذكرة لهم ووعظ ومنعوهم
من الخوض وغيره من القبائح وتظهر كراهتها
وقال سعيد بن جبير ومقاتل هذه الاية منسوخة
بالاية التى فى سورة النساء وهى قوله تعالى وقد نزل
عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها
الاية وذهب الجمهور الى انها محكمة لا نسخ فيها لانها
خبر والخبر لا يدخله النسخ ولانه انما اباح لهم
القعود معهم بشرط التذكرة والموعظة لعلهم
يتقون الخوض فى الايات وذر الذين اتخذوا دينهم
اى الذى كلفوه لعبا ولهوا باستهزائهم به وغرتهم
الحياة الدنيا اى خدعتهم وتلعب حبها على قلوبهم
فاعرضوا عن دين الحق اى فاتركهم وتبال بتكذيبهم
واستهزائهم وهذا يقتضى الاعراض عنهم وهو قبل

الامر

الامر بالقتال ثم نسخ ذلك الاعراض باية السيف وذكر اى
وعظ به اى القران الناس ان اى كراهة ان تبسل نفس
اى تسلم الى الهلاك بما كسبت اى بسبب ما عملت واصل
الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته
لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قربه
وهذا بسل عليك اى حرام ليس لها من دون الله اى
غيره ولى اى ناصر ولا شفيع يمنع عنها العذاب
وان تعدل اى تلك النفس لاجل التوصل الى الفكاك
كل عدل اى وان تفد كل فدا والعدل الفدية لانها تعادل
المفدى لا يوخذ منها ما تفدى به اوليك اى الذين
عملوا هذه الاعمال البعيدة عن الخير الذين ابسلوا اى
سلموا الى العذاب بما كسبوا اى بسبب اعمالهم القبيحة
وعقايدهم الزايغة لهم شراب من حميم اى ما هو فى
غاية الحرارة ولهم عذاب اليم اى مولم بما اى بسبب
ما كانوا يكفرون اى هم بين ما يغلى يتجرجر فى بطونهم
ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل يا محمد لهولا
المشركين الذين دعوك الى دين ابايهم اندعوا اى نعبد
من دون الله اى غيره ما لا ينفعنا اى بعبادته
ولا يضرنا اى بتركها وهو الاصنام ونرد على اعقابنا
اى نرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله الى التوحيد
ودين الاسلام كالذى استهوته اى اضلته الشياطين

فى الارض حالة كونه حيران تائها ضالا لا يهتدى
لوجهة ولا يدرى كيف يسلك وقرا حمزة بعد الواو فى
استهوته بالف مالة على التذكير والباقون بالتاء على
التانيث ورفق ورئس راحيران بحال فى عنه له اى المستهوى
اصحاب اى رفقة يدعونه الى الهدى اى الى الطريق
المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر يقولون
له ائتنا فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للانكار وجملة
التشبيه للحال من ضمير نرد وهذا مثل ضربه الله لمن
يدعو الى عبادة الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ومن يدعوا
الى عبادة الله عز وجل الذى يضر وينفع يقول مثلهما
كمثل رجل فى رفقته ضل به الغيلان والشياطين عن
الطريق المستقيم فجعل اصحابه من اهل رفقته يدعونه
اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل الغيلان
يدعونه اليهم فبقى حيران لا يدرى اين يذهب فان اجاب
الغيلان ضل وهلك وان اجاب اصحابه اهتدى وسلم
قل لهم ان هدى الله اى الذى هو الاسلام هو الهدى
وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين اى
بان نخلص العبادة له لانه المستحق للعبادة لا غير
وقوله تعالى وان اقيموا الصلاة واتقوه عطف على لنسلم
اى للاسلام واقامة الصلاة لان فيهما ما يقرب الى الله
وروى ان عبد الرحمن بن ابى بكر دعى اباه الى عبادة ه

الاوثان

الاوثان فنزلت فان قيل اذا كان هذا واردا في شان ابي
بكر رضي الله تعالى عنه فكيف قيل للرسول صلى الله عليه
وسلم قل اندعوا اجيب بان ذكر اظهارا للاتحاد الذي كان
بينه صلى الله عليه وسلم وبين المومنين خصوصا الصديق
رضي الله تعالى عنه **وهو الذي اليه** لا الى غيره بعد بعثكم
من الموت **تحشرون** يوم القيامة فيجزيكم باعمالكم **وهو الذي**
خلق السموات والارض على عظمتهما **بالحق** اي بسبب
اقامة الحق وقيل خلقهما بكلامه الحق الذي هو قوله كن
وهو دليل على ان كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه المخلق
بمخلوق **واذكر يوم يقول** الله للمخلق **كن فيكون**
اي فهو يكون وهو يوم القيامة يقول للخلق قوموا حيا
قوله تعالى **الحق** اي الصدق الواقع لا محالة **وله الملك**
يوم ينفخ في الصور اي النفخة الثانية من اسرافيل
وانما اخبر سبحانه وتعالى عن ملكه يومئذ وان كان الملك
له سبحانه وتعالى في كل وقت في الدنيا والاخرة لانه لا
منازع له يومئذ فانه من كان يدعي الملك من الجبابرة
والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال
ملكهم فاعترفوا ان الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع
له فيه وعلموا ان الذي كانوا يدعونه من الملك الدنيا
غرور وباطل تنبيه العلماء في الصور المذكور في الاية
فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة اهل اليمن وقال

مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة
هذا القول ما روى ان اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه
وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه وروى انه صلى
الله عليه وسلم قال كيف انتم وقد التقم صاحب القرن القرن
وحنا جبهته واصغا سمعه ينتظر ان يؤمر فينفخ فكان
ذلك ثقل على الصحابة فقالوا كيف نعمل يا رسول الله او
كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله
توكلنا وقال ابو عبيد الصور جمع صورة النفخ فيها
احياؤها والاول اصح لما مر فى الحديث ولاجماع اهل
السنة ان المراد بالصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل
نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب عالم الغيب
والشهادة اى ما غاب وما شوهد فلا يغيب عن علمه
تعالى شئ وهو الحكيم اى فى جميع افعاله وتدبيره خلقه
الخبير بباطن الاشياء كظاهرها بكل ما يعملونه من
خير او شر واذ قال ابراهيم لابيه ازر اختلف العلماء
فى لفظة ازر فقال مجاهد ازر اسم ابى ابراهيم وهو
تارخ ضبطه بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة وقال
البخارى فى تاريخه الكبير ابراهيم بن ازر وهو فى
التوراة تارخ فعلى هذا يكون لابى ابراهيم اسمان
ازر وتارخ مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد
فيحتمل ان يكون اسمه ازر وتارخ لقب له وبالعكس

فالله

فالله سماه ازر وانما كان عند النسابين والمورخين
اسمه تارخ ليعرف بذلك وكان ازر ابو ابراهيم من كوثى
وهى قرية من سواد الكوفة وقال سعيد بن المسيب
ومجاهد ازر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبده وانما
سماه بهذا الاسم لان من عبد شيأ او احبه جعل اسم
ذلك المعبود او المحبوب اسما له فهو كقوله تعالى يوم
ندعو كل اناس بامامهم وقيل معناه واذ قال ابراهيم
لابيه يا عابد ازر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه والاول اصح لان ازر اسم ابى ابراهيم لان
الله تعالى سماه به واخرج البخارى فى افراده ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام اباه
ازر يوم القيامة على وجه ازر قترة وغبرة الحديث فسماه
النبى صلى الله عليه وسلم ازر ايضا ولم يقل اباه تارخ كما
نقل عن النسابين والمورخين فثبت بهذا ان اسمه
الاصلى ازر لا تارخ وكان اهل تلك البلاد وهم
الكنعانيون يعتقدون الاهية النجوم فى السماء والاصنام
فى الارض فيجعلون لكل نجم صنما فاذا اراد والتقرب
الى ذلك النجم عبدوا ذلك الصنم ليشفع لهم عند ذلك
النجم فقال ابراهيم منكرا عليه منبها له على ظهور فساد
ما هو مرتكبه اتتخذ اى اتكلف نفسك الى خلاف ما
تدعو اليه الفطرة الاولى بان تجعل اصناما الهة

اى تعبدوها وتخضع لها ولا تنفع فيها ولا تضر اذ ارأى
وقومك اذ فى تعاقكم على هذا فى ضلال اى بعد عن
الصراط المستقيم مبين اى ظاهر جدا بديهة العقل
مع مخالفته لكل نبى بناه الله تعالى من ادم عليه السلام
فمن بعده وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباء
بالسكون وكذلك اى ومثل هذا التبصير العظيم الشأن
نرى ابراهيم اى نبصره وهى حكاية حال ماضية
ملكوت السموات والارض اى عجايبها وبدايعها
والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة كالرهبوت
والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة وقال ابن
عباس خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد
ابن جبير يعنى ايات السموات والارض وذلك انه اقيم
على صخرة وكشف له عن السموات حتى راى العرش
والكرسى وما فى السموات من العجايب وحتى راى مكانه
فى الجنة فذلك قوله تعالى وليكون اى ارينا اجره فى الدنيا معناه
اريناه مكانه فى الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر
اسفل الارضين وراى ما فيهما من العجايب وروى عن
سلمان ورفعه بعضهم عن على قال لما راى ابراهيم
ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على فاحشة
فدعا عليه فهلك ثم ابصر اخر فاراد ان يدعو عليه
فقال الرب تبارك وتعالى يا ابراهيم انك رجل مجاب

الدعوة

الدعوة فلا تدعوا على عبادى قائما انا من عبدى على
ثلاث خلال اما ان يتوب الى فاتوب عليه واما ان اخرج
منه نسمة تعبدنى واما ان يبعث الى فان شئت
عفوت عنه وان شئت عاقبته وفى رواية فان تولى فان
جهنم من ورايه وقال قتادة ملكوت السموات الشمس
والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار وقيل
اى هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لان ذلك لا يدرك
الا بالعقل قارينا ه ذلك ليستدل به على توحيدنا وليكون
من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب
التامل بعد زوال الشبهة لان الانسان فى اول الحال لا ينفك
عن شبهة فاذا كثر الدلايل وتوافقت صارت سببا
لحصول اليقين والطمانينة فى القلب وزالت الشبهة
عند ذلك قال ابن عباس فى وليكون من الموقنين جلى له
الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شى من اعمال
الخلايق فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب عاد الله تعالى
ذلك لا تستطيع هذا فرده الله تعالى كما كان قبل ذلك فلما
جن عليه الليل اى دخل فيه راى كوكبا قال هذا
ربى فلما افل اى غاب قال لا احب الافلين وذلك ان
ابراهيم صلى الله عليه وسلم ولد فى زمن نمرود بن
كنعان وكان النمرود اول من رفع التاج على راسه
ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا

له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض
ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا
ذلك في كتب الانبيا وقال السدي ان نمرود راى في منامه كان
كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما
ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعى السحرة والكهنة
فسالهم فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة
فيكون هلاكك وهلاك ملكك واهل بيتك على يديه
فامر بذبح كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة وامر
بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا فاذا
حاضت المراة خلا بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجا
في الحيض فاذا طهرت حال بينهما فرجع ازر فوجد امراته
قد طهرت فواقعها فحملت بابراهيم قال محمد بن اسحاق
بعث نمرود الى كل امراة حبلى بقربه يحبسها عنده الا ما
كان من امر ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت صغيرة
لم يعرف الحبل ببطنها وقال السدي خرج نمرود بالرجال
الى العسكر ونحاهم عن العسكر خوفا من ذلك ثم بدت
له حاجة الى المدينة ولم يامن عليها احدا من قومه الا
ازر فبعث اليه واقسم عليه ان لا يدنو من اهله فقال
ازر انا اشح على دينى من ذلك فاوصاه بحاجته فدخل
المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت على اهلي فنظرت
اليهم فلما نظر الى ام ابراهيم لم يتمالك حتى واقعها فحملت

بابراهيم قال ابن عباس لما حملت امرابراهيم به قال
الكهان لنمرود ان الغلام الذى اخبرناك قد حملت امه
الليلة فامر نمرود بذبح الغلمان قال محمد بن اسحاق لما
وجدت امرابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة وكانت
قريبة منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام واصلحت
من شانه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة
ورجعت الى بيتها وكان تختلف اليه فتنظر ما فعل
فتجده يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع
عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا وقال محمد بن
اسحاق كان ازر قد سال امرابراهيم عن حملها فقالت
ولدت غلاما فمات فصدقها وكان اليوم على ابراهيم
فى الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم
فى المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه اخرجينى
فاخرجته عشاء فنظر وتفكر فى خلق السموات والارض
وقال ان الذى خلقنى ورزقنى واطعمنى وسقانى لربى
تعالى اله غيره ثم نظر فى السماء فراى كوكبا فقال هذا ربى
ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما افل قال لا
احب الافلين فلما راى القمر بازغا ابتدا فى الطلوع
قال هذا ربى فاتبعه بصره فلما افل قال لئن لم
يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين وقيل انه كان
فى السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع

عشرة سنة قال بعض اهل التفسير فلما شبه ابراهيم
وهو في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن
ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت اسكت فسكت
ثم رجعت الى زوجها فقالت الغلام الذي كنا نحدث
انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته
بما قال فاتاه ابوه فقال يا ابتاه من ربي قال امك
قال فمن رب ابي قال انا قال فمن ربك قال نمرود
قال فمن رب نمرود فلطمه وقال اسكت فلما اخرج
من السرب وجن عليه الليل راى المشتري قد طلع
وقيل الزهرة وكانت تلك الليلة في اخر الشهر فتاخر
القمر فيها فراى الكوكب فقال لذلك وهذا ذلك جار على
ظاهر او سوله جرى بعضهم على الاول وقالوا كان
ابراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله
تعالى فلم يضره ذلك وايضا كان ذلك في طفولية قبل
قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا والاصح الثاني اذ لا يجوز
ان يكون لله رسول لم يات على عليه وقت من الاوقات
الا وهو يعده موحدا وبه عارفا ومن كل معبود سواه
بريا ثم قالوا في تاويله اوجه احدها وهو الاصح ان
ابراهيم ذكر ذلك على وجه الاحتجاج عليهم بقوله هذا
ربي اي في زعمكم فلما غاب قال لو كان آلها لما غاب كما
قال تعالى ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك

له ابراهيم ع

وبزعمك

وبزعمك وكما اخبر عن موسى انه قال وانظر الى الهك
اى فى زعمك فلما افل قال لا احب الافلين فضلا عن
عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب يقتضى الامكان
والحدوث وينافى الالوهية فلم يفجع فيهم ذلك فلما راى
القمر بازغا قال لهم هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى
ربى اى يثبتنى على الهدى لانه لم يكن معتقدا
والانبياء لم يزالوا يسالون الله الثبات على الايمان
وكان ابراهيم يقول واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام
فلما راى الشمس بازغة اى عند طلوع النهار قال لهم
هذا ربى هذا اكبر اى من الكواكب والقمر ولم يقل
هذه مع ان الشمس مونثة لانه اراد هذا الطالع او
رده الى المعنى وهو الضياء والنور لانه راه اضوا من
النجم والقمر او ذكره لتذكير خبره فلما افلت اى غربت
وقويت عليهم الحجة فلم يرجعوا قال يا قوم انى برئ
مما تشركون بالله من الاصنام والاجرام المحدثة
المحتاجة الى محدث التى تجعلونه شركا لخالقها والوجه
الثانى من التاويل انه قال ذلك على وجه الاستفهام
تقديره اهذا ربى كقوله تعالى افان مت فهم الخالدون
اى انهم الخالدون وذكره على وجه التوبيخ منكرا
لفعلهم والوجه الثالث انه اراد ان يستدرجهم بهذا
القول ويعرفهم خطاهم ويجعلهم ومثل هذا من ورد

على قوم يعبدون صنما فاظهر تعظيمه فالزموه حتى
صدروا في كثير من الامور عن رايه الى ان دهمهم عدو
فشاوروه في امره فقال الراى ان تدعوا هذا الصنم
حتى ينكشف عنا ما اصابنا فاجتمعوا حوله
يتضرعون فلما تبين لهم انه لا يسمع ولا يدفع دعاهم
الى ان يدعوا الله فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يجدون
فاسلموا فان قيل لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ
وكلاهما انتقال حال الى حال اجيب بان الاحتجاج
بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب والظاهر
خلاف قومه وتبرا من شركهم وقالوا له من تعبدانت
اظهر ما هو عليه من الحق بقوله انى وجهت وجهى اى
اخلصت قصدى وحرفت عبادتى للذى فطر
السموات والارض اى خلقهما وابتدعهما وهو الله
تعالى حنيفا اى مائلا الى الدين القويم عن كل دين
يخالفه واصل الحنيف الميل وهو عن طريق الضلالة
الى طريق الاستقامة وقيل الحنف هو الذى يستقبل
الكعبة بصلاته وما انا من المشركين تبرا من الشرك
الذى كان عليه قومه اى وما انا منكم ولا اعدنى عدادكم
بشئ اقارفكم به وحاجه قومه اى خاصموه فى التوحيد
وهددوه بالاصنام ان تصيبه بسوء اى لم ترجع عن
الكلام فيها قال اتحاجونى اى اتجادلونى فى الله

اى

اى وحدانيته وقرا نافع وابن عامر بتخفيف النون
وهى نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القرا
والباقون بالتشديد وقد اى والحال انه قد هدانى
الى توحيده ومعرفته ولا اخاف ما تشركون به شيا
وذلك ان ابراهيم لما رجع الى ابيه وصار من الشباب
بحالة سقط عنه طمع الذباحين اى ذباحين نمرود
وضمه ازر الى نفسه وجعل ازر يصنع الاصنام ويعطيها
لابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم وينادى
من يشترى ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها
احد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصوب روسها
وقال اشربى استهزا بقومه وما هم فيه حتى فشى
استهزاوه بها فى قومه واهل قريته قالوا له احذر
الاصنام فانا نخاف ان تمسك بخبل او جنون لعيبك
اياها فقال انما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر
وهو قوله الا ان يشا ربى شيا وهذا استثنا منقطع
معناه لكن ان شا ربى شيا من المكروه يصيبنى فيكون
لانه قادر على النفع والضر وانما قال ابراهيم ذلك
لاحتمال ان الانسان قد يصيبه فى بعض حالاته وايام
عمره ما يكرهه فلو اصابه مكروه نسبوه الى الاصنام
فنفى هذه الشبهة بذلك وسع ربى كل شى علما اى
احاط علمه بكل شى عن علمه افلا تتذكرون اى يقع منكم تذكير

فتميزوا بين الحق والباطل فالقادر والعاجز وكيف
اخاف ما اشركتم به اى الاصنام وهى لا تبصر
ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ولا تخافون انتم انكم اشركتم
بالله وهو تعالى حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه
اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور
والعاجز والقادر الضار النافع ما لم ينزل به لرعبادته
عليكم سلطانا اى حجة وبرهانا وهو القادر على كل
شئ فاى الفريقين اى حزب الله وحزب ما اشركتم
ولم يقل فاينا تفهيما للمعنى احق بالامن اى الموحدون
او المشركون ان كنتم تعلمون من الاحق اى ان كان
لكم علم فاخبرونى عما سالتكم عنه والاحق بذلك هم
الموحدون فاتبعوهم قال تعالى قاضيا بينهما الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اى يخالطوا ايمانهم
بشرك روى انه لما نزلت هذه الاية شق ذلك على
المسلمين فقالوا يا رسول الله فاينا لم يظلم نفسه
فقال ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا الى ما قال لقمان
لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم اولئك
الموصوفون بما ذكر لهم الامن اى من العذاب المؤبد
وهم مهتدون وقوله تعالى وتلك مبتدا ويبدل منه
حجتنا وهى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله
تعالى فلما جن عليه الليل وهم مهتدون ومن قوله

احتاجوا اليه والخبر **اتيناها ابراهيم** اى رشدناه
لها حجة **على قومه** ثم انه سبحانه وتعالى لما تفضل على
خليله صلى الله عليه وسلم برفعه على قومه قال تعالى
نرفع درجات من نشاء فى العلم والحكمة وقراءة ابن عامر وحمزة
والكسائى بتنوين التاء والباقون بغير تنوين **ان ربك**
حكيم فى صنعه فيرفع من يشاء ويخفض من يشاء **عليم**
بخلقه فهو الفعال لما يريد **ووهبنا له** اى ابراهيم
اسحاق اى ابناله **ويعقوب** اى ابنا لاسحاق فهو
ابن ابنه **كلا** منهما ومن ابيهما **هدينا** اى الى سبيل
الرشاد ووفقناه الى طريق الحق والصواب **ونوحا**
هدينا اى **من قبل** اى قبل ابراهيم **ومن ذريته**
اى نوح لا ابراهيم لانه تعالى ذكر فى جملتهم يونس
ولوطا ولم يكونا من ذرية ابراهيم وقيل الضمير لابراهيم
ويكون ذلك من باب التغليب فان التغليب سايغ شايع
فى انتساب العرب **داود** وهو ابن ايشا هدينا اه
وكان ممن اتاه الله الملك والنبوة **وسليمان** هو ابن
داود وهما اللذان بنيا بيت المقدس بامر الله تعالى
داود بخطه وتاسيسه وسليمان بكماله وتشييده
وايوب هو ابن اموص بن رزاح بن روم بن عيصا بن
اسحاق بن ابراهيم **ويوسف** هو ابن يعقوب بن
اسحاق بن ابراهيم فان قيل لم قدم ايوب على يوسف

مع ان يوسف اقرب منه اجيب بانه قدمه للمناسبة
بينه وبين سليمان لان كلا منهما ابتلي باخذ كل ما في يده
ثم رده الله تعالى اليه وموسى وهو ابن عمران بن يصهر
ابن يافث بن لاوى بن يعقوب وهارون هو اخو
موسى اكبر منه بسنة صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين وكذلك كما جزينا ابراهيم على توحيده وصبره
على اذى قومه نجازي من رفعنا درجته ووهبنا له اولادا
انبيا نجزي المحسنين على احسانهم وزكريا هو ابن
ادن بن برخيا وقرا حمزة والكسائي بغير همز
والباقون بالهمز ويحيى هو ابن زكريا وعيسى هو
ابن مريم بنت عمران والياس قال ابن مسعود هو
ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرايل قاله
البغوي والصحيح انه غيره لان الله تعالى ذكره في
ولد نوح وادريس جد ابي نوح وهو الياس بن
ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران
كل منهم من الصالحين اي الكاملين في الصلاح وهو
الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسماعيل هو
ابن ابراهيم انما اخر ذكره الى هذا لانه ذكر اسحاق وذكر
اولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب اخر
ذكر اسماعيل الى هنا واليسع هو احطوب بن العجوز
وقرا حمزة والكسائي بتشديد اللام وسكون الياء

والباقون

والياقوت بسكون اللام وفتح الياء ويونس هو ابن متى
ولوطا هو ابن هارون اخي ابراهيم وكلا منهم فضلنا
على العالمين اي بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من
عداهم من الخلق من انس وملك ويستدل بهذه
الاية من يقول ان الانبيا افضل من الملايكة
وقوله تعالى ومن اباىهم وذرياتهم واخوانهم
عطف على كلا لوتوحا ومن للتبعيض اي وفضلنا
بعض اباىهم وبعض ذرياتهم واخوانهم لان اباء بعضهم
كانوا مشركين وعيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان
في ذرية بعضهم من كان كافرا كابن نوح وقوله تعالى
واجتبيناهم اي اخترناهم عطف على فضلنا او هدينا
وهديناهم اي وارشدناهم الى صراط مستقيم هو
الدين الحق ذلك اي الذي هو اليه هدى الله يهدي
به من يشا من عباده سوا كان له اب يعلمه او
كان له من يحمله على الضلال امر لا فوسبحانه وتعالى
هو المتفضل بالهداية ولو اشركوا اي ولو فرض
اشراكهم كهؤلاء الانبيا بعد علو درجتهم وفضلهم
لحبط عنهم اي لفسد وسقط ما كانوا يعملون
اي لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها
اولئك الذين اتيناهم الكتاب اي اولئك الذين
سميناهم من الانبيا وهم ثمانية عشر نبيا اعطيناهم

الكتاب فالمراد بالكتاب الجنس والحكم اى العمل المتقن
بالعلم والنبوة اى وشرفناهم بالنبوة والرسالة ه
فان يكفر بها اى بهذه الثلاثة هؤلاء اهل مكة الذين
انت بين اظهرهم فقد وكلنا بها اى وفقنا للايمان
بها في القديم بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين كالموكل
الرجل بالمشى ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه
واختلف في ذلك القوم قال ابن عباس هم الانصار ه
واهل المدينة وقال الحسن وقتادة هم الانبياء الثمانية
عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال
والدليل عليه قوله تعالى اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وقال عطا العطاردى هم الملايكة
ونظر فيه لان اسم القوم لا يطلق الا على بنى ادم
وقيل هم الفرس وقيل هم المهاجرون والانصار
واستظهره وقال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم
سواء كان ملكا او نبيا او صحابيا او تابعا والمراد
بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول
الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست
هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسى بهم جميعا
فليس فيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم متعبد
بشرع من قبله واستدل بعض العلماء بهذه الاية
انه صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء عليهم الصلاة
والسلام

والسلام قال وبيانه ان جميع الخصال وصفات
الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال
على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل
مجاهدة في الله عز وجل وكان اسحاق ويعقوب من
اصحاب الصبر على البلاء والمحن وداود وسليمان
من اصحاب الشكر على النعمة كما قال تعالى اعملوا آل
داود شكرا وكان ايوب صاحب صبر على البلاء كما قال
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وكان يوسف
قد جمع بين الخاتين اى الصبر والشكر وكان موسى
صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة
وكان زكريا ويحيى وعيسى وايليا س من اصحاب
الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق
وكان يونس صاحب تضرع واحسان ثم ان الله
تعالى امر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقتدى
بهم وجمع جميع الخصال المحمودة والمتفرقة فثبت
بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم افضل الانبيا
لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة
في جميعهم انتهى وقرا حمزة والكسائي بحذف الهاء في
الوصل وحركها بحركة تخت استه ابن عامر ومد
على الهاء ابن ذكوان بخلاف عنه وسكن الهاء الباقون
في الوصل واما الوقف فجميع القرا يثبتون الهاء ويسكنونها

قل يا محمد لاهل مكة لا اسالكم عليه اى القران او التبليغ
اجرا اى لا اطلب على ذلك جعلا ان هو اى ما القران
او التبليغ الا ذكرى اى عظة للعالمين اى الانس
والجن وما قدروا اى اليهود الله حق قدره اى
ما عرفوه حق معرفته او ما عظموه حق عظمته اذ
قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه فى
القران ما انزل الله على بشر من شى قال سعيد بن
جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف
من احبار اليهود وورد ساهم يخاصم النبى صلى الله
عليه وسلم بمكة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
انشدك بالله الذى انزل التوراة على موسى اما تجد
فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا
سمينا والحبر بالفتح والكسر وهو افصح العالم بتحبير
الكلام والعلم وتحسينه قاله الجوهرى فغضب فقال
والله ما انزل الله على بشر من شى فقال له قومه
ويلك ما هذا الذى بلغنا عنك فقال انه اغضبنى فنزعوه
وجعلوا مكانه كعب ابن الاشرف وقال السدى نزلت
فى فنحاص بن عازوراء وهو قايل هذه المقالة وقال
ابن عباس رضى الله عنهما قالت اليهود يا محمد
انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل
الله من السماء كتابا قال الله تعالى قل لهم من انزل

الكتاب

الكتاب اى التوراة الذى جاء به موسى اى الذى
انتم تزعمون التمسك بشرعه حال كون الكتاب نورا
اى ذا نور اى ضياء من ظلمة الضلالة وهدى اى ذا
هدى للناس يفرق به بين الحق والباطل من دينهم
وذلك قبل ان يبدل ويغير تجعلونه قراطيس اى تكتبونه
فى دفاتر مقطعة تبدونها اى تظهرون ما يجبون
اظهاره منها وتخفون كثيرا اى ما كتبوه فى القراطيس
وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم
وما اخفوه ايضا اية الرجم وكانت مكتوبة عندهم
فى التوراة وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء فى المواضع
الثلاثة على الغيبة حملا على ما قالوا وما قدروا
والباقون بالتاء على الخطاب وتضمن ذلك توبيخهم
على سوء جهلهم للتوراة وذمهم على تجزيئها بابدا
بعض ما كتبوه واخفاء بعض لا يشتهونه وقوله تعالى وعلمتم اى على لسان
محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
خطاب لليهود اى علمتم زيادة على ما فى التوراة
وبيانا لما التبس عليكم وعلى اباكم الذين كانوا اعلم
منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل
اكثر الذى هم فيه يختلفون يذكرهم النعمة فيما عليهم
على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لمن

امي من قريش وقوله تعالى قل الله انزله راجع الى
قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اى
فان اجابوك بان الله انزله فذاك والا فقل انت الله
انزله اذ لا جواب غيره ثم ذرهم اى اتركهم في خوضهم
اى باطلهم يلعبون اى يستهزؤن ويسخرون وفيه
وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ
بآية السيف وهذا اى القرآن كتاب انزلناه مبارك
اى كثير الخير والبركة دائم النفع يبتغي المؤمنين بالثواب
والمغفرة ويزجرهم عن القبيح والمعصية واصل البركة
النماء والزيادة وثبوت الخير مصدق الذي بين يديه
اى قبله من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الانبياء
لانها تشتمل على التوحيد والتنزيه لله تعالى وعلى
البشارة والنذارة فثبت بذلك كونه القراءة مصدقا
لجميع الكتب المنزلة وقوله تعالى ولتنذر قراءة شعبة
بالياء على الغيبة اى لينذر الكتاب والباقون بالتاء على
الخطاب اى ولتنذر يا محمد ام القرى اى اهل مكة وسميت
ام القرى لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم
واعظم القرى شانا ولبعض المجاورين
لمن يلقى في بعض الغربات رحلة ٭ قام القرى ملقى رحال وشان
وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول
بيت وضع للناس ومن حولها اى جميع البلاد والقرى

التي

التى حولها شرقا وغربا والذين يومنون بالاخرة
يومنون به لان من صدق بالاخرة خاف العاقبة ولا
يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يومن بالنبى
والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الصلاة من
وتخصيص الصلاة فى قوله وهم على صلاتهم يحافظون
لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن حافظ عليها كانت
لطفا له فى المحافظة على اخواتها ومن اى لا احد
اظلم ممن افترى اى اختلق على الله كذبا فزعم ان
الله بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسى او اختلق
على الله احكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه او قال اوحى الى
ولم يوح اليه شى قال قتادة نزلت فى مسيلمة الكذاب
من بنى حنيفة وكان يسجع ويتكهن فادعى النبوة
وزعم ان الله تعالى اوحى اليه وكان قد ارسل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم رسولين فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتشهدان اى مسيلمة نبى قالا نعم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل
لضربت اعناقكما وعن ابى هريرة رضى الله تعالى
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا
نايم اذا وتيت خزائن الارض فوضع فى يدى سواران
من ذهب فكبرا على واهمانى فاوحى الله الى ان
انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين اللذين انا

بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة مسيلمة الكذاب
وفي لفظ الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأيت في المنام كان في يدي سوارين فأولتهما كذابين
يخرجان بعدي يقال لاحدهما مسيلمة صاحب اليمامة
والعنسي صاحب صنعا وقوله صلى الله عليه وسلم
فأوحى الله الي انا نفخهما بالحاء المهملة ومعناه الوحي
والدفع من نفخت الدابة برجلها ويروى بالخاء المعجمة
من النفوخ وهو قريب من الاول فاما مسيلمة الكذاب
فانه ادعى النبوة في اليمامة وتبعه قومه من بني حنيفة
وقتل في خلافة ابي بكر قتله وحشي قاتل حمزة
وكان يقول قتلت خير الناس يعني حمزة وقتلت شر
الناس يعني مسيلمة الكذاب قتل الاول وهو كافر
وقتل الثاني وهو مسلم واما الاسود العنسي بالنون
ويقال له ذو الخمار بن ادعى النبوة باليمن في اخر عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل في حياته صلى الله
عليه وسلم قبل موته بيومين واخبر صلى الله عليه وسلم
اصحابه بقتله قتله فيروز الديلمي فقال صلى الله
عليه وسلم فاز فيروز بقتل الاسود العنسي ومن قال
سأنزل مثل ما انزل الله قال السدي نزلت في
عبد الله بن ابي سرح وكان قد اسلم وكان يكتب للنبي
صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى عليه صلى الله عليه وسلم

سميعا

سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا املى عليه عليما
حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين املاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق
الانسان فتبارك الله احسن الخالقين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اكتبها هكذا فنزلت فشك
عبد الله بن ابي سرح وقال لئن كان محمد صادقا فقد
اوحي اليه مثل ما اوحي اليه فارتد عن الاسلام ولحق
بالمشركين ثم رجع بعد ذلك الى الاسلام فاسلم قبل
فتح مكة حين نزل صلى الله عليه وسلم بمر وقال ابن
عباس ومن قال سانزل مثل ما انزل الله يريد المستهزئين
وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلما
وقد دخل في حكم هذه الاية كل من افترى على الله كذبا
في ذلك الزمان وبعده لان خصوص السبب لا يمنع
عموم الحكم ولو ترى يا محمد اذ الظالمون حذف مفعوله
لدلالة الظرف عليه ولو ترى الظالمين المذكورين
في غمرات اي شدايد الموت من غمره الماء اذا غشيه
فاستعير للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم
اي بقبض ارواحهم كما يقتضي الملائم لتربيه لا يفارقه
او بالعذاب او الضرب يضربون وجوههم وادبارهم
يقولون لهم تعنيفا اخرجوا انفسكم الينا لنقبضها

فان قيل انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فما
فايدة هذا اجيب بانهم يقولون لهم اخرجوها كرها
لان المومن يحب لقا الله بخلاف الكافر وقيل يقولون
لهم خلصوا انفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك
فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص
انفسهم من العذاب في ذلك الوقت اليوم تجزون
عذاب الهون اى الهوان بما كنتم تقولون على الله غير
الحق اى كادعا الولد والشريك له ودعوى النبوة
والايحا كذبا وكنتم عن اياته تستكبرون اى تتكبرون عن
الايمان بها وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا
ويقال لهم انا بعثوا للحساب والجزا لقد جيتمونا
فرادى اى منفردين عن الاهل والمال والولد وساير
ما انمرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي
زعمتم انها شفعا وكم وهو جمع فرد والالف للتانيث
ككسالى وفي هذا تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا
هممهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وافنوا
اعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم ذلك شيا
يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا
كما خلقناكم اول مرة اى حفاة عراة غرلا روى عن
عايشة رضى الله تعالى عنها انها قرات هذه الاية
فقالت يا رسول الله واسوءتاه ان الرجال والنسا

يحشرون

يحشرون جميعا فينظر بعضهم الى سوءة بعض فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لكل امرء منهم يومئذ
شان يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النسا
الى الرجال وروى عنها انها سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا
اى غير مختونين وفى رواية زيادة على ذلك بهما قال
الجوهرى وغيره اى ليس معهم شئ قالت عائشة
فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر اشد ان
يهمهم ذلك وتركتم ما خولناكم اى ما فضلنا به
عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم
اى فى الدنيا فما اغنى عنكم ما كنتم منه تستكثرون
فيقال لهم تبجيحا ما نرى معكم شفعاءكم اى الاصنام
الذين زعمتم انهم فيكم اى فى استحقاق عبادتكم شركا
اى لله وقوله تعالى لقد تقطع بينكم قراه نافع
وحفص والكسائى بنصب النون اى لقد تقطع ما
بينكم من الوصل والباقون بالرفع اى لقد تقطع
وصلكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل
والفصل وضل اى ذهب عنكم ما كنتم تزعمون اى
من انها شفعاءكم او ان لا بعث ولا جزا ان الله فالق
اى شاق الحب اى النبات والنوى اى عن النخل

وقيل المراد الشق الذى فى الحنطة والنواه والحب جمع
الحبة وهو اسم لجميع البزور والحبوب من البر والشعير
والذرة وكلما لم يكن له نوى والنوى جمع نواه وهى كل ما
لم يكن حبا كالتمر والمشمش وغيرهما وقال الضحاك فالق
الحب والنوى يعنى خالق الحب والنوى يخرج الحى من
الميت اى كالانسان من النطفة والطاير من البيضة
ومخرج الميت من الحى كالنطفة من الانسان والبيضة
من الطاير تنبيه مخرج معطوف على فالق كما قاله
الزمخشرى ويصح عطفه على يخرج لان عطف الاسم المشابه
للفعل على الفعل صحيح كعكسه وهو عطف الفعل على الاسم
الشبيه بالفعل كقوله تعالى ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله قرضا حسنا فاقرضوا معطوف على المصدقين
لشبهه بالفعل لكونه اسم فاعل ومخرج شبيه بالفعل
لكونه اسم فاعل وقرا نافع ومفضل وحمزة والكسائى
بتشديد اليا والباقون بالتخفيف ذلكم المحيى المميت
هو الله الذى تحق له العبادة فانى اى فكيف
تؤفكون اى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله
الذى هو خالق الاشيا كلها وقوله تعالى فالق الاصباح
مصدر بمعنى الصبح اى شاق عمود الصبح وهو اول
ما يبدوا من النهار عن ظلمة الليل او شاق ظلمة
الاصباح وهو الغبش الذى عليه فى اخر الليل وجاعل

الليل

الليل سكنا اى يسكن فيه الخلق راحة لهم قال ابن
عباس ان كل ذى روح يسكن فيه لان الانسان
قد انتشب نفسه فاحتاج الى زمان يستريح فيه م
ليسكن فيه عن الحركة وذلك هو الليل وقرأ عاصم
وحمزة والكسائى بنصب العين واللام والالف قبل
العين على الماضى حملا على معنى المعطوف عليه
فان فالق بمعنى فلق والباقون بكسر العين ورفع
اللام والف قبل العين وقوله تعالى والشمس والقمر
والشمس والقمر منصوبان باضمار فعل دل عليه جاعل
الليل اى وجعل الشمس والقمر حسبانا اى حسابا
للاوقات او الباء محذوفة وهو حال من مقدر اى يجريان
بحسبان كما فى اية الرحمن وقوله تعالى ذلك اشارة
الى ما تقدم ذكره فى هذه الاية من الاشياء التى خلقها
بقدرته وكمال علمه وهو المراد بقوله تقدير العزيز
العليم فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم
اشارة الى كمال علمه وهو الذى جعل اى خلق لكم
النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر اى فى
ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما
للملابسة او فى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات
على الاستعارة وهو اقراد لبعض منافعها بالذكر بعد
ما اجملها بقوله لكم ومن منافعها انها زينة للسما

كما قال تعالى ولقد زينا السما الدنيا ومنها رمى الشياطين
كما قال تعالى وجعلنا هارجوما للشياطين قد فصلنا
اى بينا الايات اى الدالات على قدرتنا وتوحيدنا
لقوم يعلمون اى يتدبرون فانهم المنتفعون
به وهو الذى انشاكم اى خلقكم من نفس واحدة
اى من ادم عليه الصلاة والسلام فهو ابو البشر كلهم
وحوا مخلوقة منه وعيسى ايضا لان ابتدا خلقه من مريم
وهى من بنات ادم فثبت ان جميع البشر من ادم عليه
السلام فمستقر ومستودع اى فمستقر فى الرحم
ومستودع فى القبر الى ان يبعث او فمستقر فى ارحام
الامهات ومستودع فى اصلاب الاباقال سعيد بن جبير
قال لى ابن عباس هل تزوجت قلت لا قال اما انه ما كان
مستودع فى ظهرك فسيخرجه الله عز وجل او فمستقر
فى الرحم ومستودع فوق الارض قال تعالى ونقر فى الارحام
ما نشا او فمستقر على وجه الارض ومستودع عند الله
فى الاخرة او فمستقر فى القبر ومستودع فى الدنيا وكان
الحسن يقول يا ابن ادم انت وديعة فى اهلك يوشك
ان تلحق بصاحبك او فمستقر فى القبر ومستودع فى
الجنة او النار قال تعالى فى صفة الجنة حسنت مستقرا
وفى صفة النار وسات مستقرا وقرا ابن كثير وابو عمرو
بكسر القاف على اسم فاعل والمستودع مفعول اى فمنكم

قار ومنكم مستودع لان الاستقرار من الله تعالى دون
الاستيداع لان الاستقرار في الاصلاب او فوق الارض
لاصنع للعبد فيه بخلاف الاستيداع في الارحام او تحت
الارض والباقون بالنصب قد فصلنا الايات لقوم
يفقهون اى يفهمون ما يتعالى لهم ذكر مع ذكر النجوم
يعلمون لان امرها ظاهر وذكر مع تخليقهم بنى ادم
يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم
بين احوال مختلفة دقيق غامض الى استعمال فطنة
وتدقيق نظر وهو الذى انزل من السماء ماء اى مطرا
ونحوه من السحاب او من جانب السماء وقيل ان الله
ينزله من السماء الى السحاب ثم من السحاب الى الارض
فاخرجنا به اى بالماء او ذلك النبات حيث لم يقل
فاخرج على وفق انزل بنبات كل شئ اى من شئ
ينبت وينمو من جميع اصناف النبات فالسبب واحد
وهو الماء والمسببات صنوف متفرقة كما قال تعالى تسقى
بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا
منه اى من النبات او الماء خضرا اى شيأ اخضر يقال
له اخضر وخضر مثل اعور وعور والاخضر هو جميع
الزروع والبقول الرطبة نخرج منه اى الخضر حبا متراكبا
اى تركب بعضه بعضا كسنابل الحنطة والشعير والارز
والذرة وقوله تعالى ومن النخل خبر مقدم ويبدل منه

من طلعها وهو اول ما يخرج منها والمبتدا قنوان اى
عراجين دانية اى قريبة من التناول يتناولها القائم
والقاعد او قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على
ذكرها عن مقابلها وهى البعيدة لدلالتها عليها كقوله
تعالى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد فاكتفى بذكر احدهما
وحكمة تخصيص دانية بالذكر زيادة النعمة فيها وقوله
تعالى وجنات عطف على نبات كل شئ اى واخرجنا
به بساتين من اعناب وقوله تعالى والزيتون والرمان
عطف ايضا على نبات اى واخرجنا به شجر الزيتون
والرمان مشتبها وغير متشابه قال قتادة معناه
مشتبها ورقها مختلف ثمرها لان ورق الزيتون يشبه
ورق الرمان وقيل مشتبها فى النظر مختلفا فى الطعم
والله سبحانه وتعالى ذكر فى هذه الاية اربعة انواع من
الشجر بعد ذكر الزرع وقدم الزرع على سائر الاشجار
لان الزرع غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذا مقدم على
الفواكه وقدم النخل على غيرها لان ثمرها يجرى مجرى
الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس فى غيرها من
الاشجار قال بعضهم وليس لنا انثى من الشجر تحتاج
الى ذكر غير النخل اى فى تطييب ثمرها وذكر العنب عقب
النخل لانه من اشرف انواع الفاكهة ثم ذكر عقبه
الزيتون لما فيه من البركة والنفع ثم ذكر بعده الرمان

لما فيه

لما فيه من المنافع ايضا انظروا اى المخاطبون نظر
اعتبار الى ثمره قرا حمزة والكسائى بضم الثاء واليم
والباقون بالنصب وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة
وخشب اذا اثمر اى حين يبدو من كمامه ضعيفا
قليل النفع او عدمه وانظروا الى ينعه اى الى ادراكه
اذا ادرك وحان قطفه كيف يصير ذا نفع ولذة والمعنى
انظروا نظر استدلال واعتبروا كيف اخرج الله
هذه الثمرة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة الباسقة
وهو قوله تعالى ان فى ذلكم لايات اى دلالات على
قدرته تعالى على البعث وغيره فان حدوث الاجناس
المختلفة والانواع المتشتتة من اصل واحد ونقلها من
حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها
ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه
عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده وخص المؤمنين
بالذكر بقوله لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بها
بخلاف الكافرين ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به
والرد عليه فقال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن اى
الشياطين لانهم اطاعوهم فى عبادة الاوثان فجعلوها
شركاء لله فان قيل لله مفعول ثان لجعلوا وشركاء مفعول
اول وبدل منه الجن فما فايدة التقديم اجيب بان
فايدته استعظام ان يتخذ لله شريك من جن او انس

او ملك فلذلك قدم اسم الله تعالى على الشركا وقيل المراد
بالجن الملايكة بان عبدوهم وقالوا الملايكة بنات الله
وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم وقال الكلبي
نزلت في الزنادقة اثبتوا الشركة لابليس في الخلق
فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام
وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب
فيقولون هو شريك الله في تدبير هذا العالم فما كان
من خير فمن الله وما كان من شر فمن ابليس تعالى
الله عن قولهم علوا كبيرا وقوله تعالى وخلقهم حال
بتقدير قد والضمير اما ان يعود الى الجن فيكون المعنى
والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله عز وجل
محدث مخلوق واما ان يعود الى الجاعلين لله شركا
ويكون المعنى وجعلوا لله الذي خلقهم شركا لا يخلقون
شيا وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكا
لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى خالق لجميع
ما في الكون فامتنع ان يكون لله شريك في ملكه وخرقوا
قراه نافع بتشديد الرا والباقون بالتخفيف اي اختلقوا
له بنين وبنات بغير علم وهو قول اهل الكتابين
في المسيح وعزير وقول قريش في الملايكة يقال خلق
الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسيل الحسن
عنه فقال كلمة غريبة كانت العرب تقولها كان الرجل

اذا كذب

او اكذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد
خرقها والله سبحانه تنزيها له وتعالى عما يصفون بان
له شريكا او ولدا بديع السموات والارض اى مبتدعها
من غير سبق مثال سبق ورفع بديع على الخبر والمبتدا
محذوف اى هو بديع او على الابتداء والخبر اى يكون له ولد
اى من اين يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها
الولد لان الولد لا يكون الا من صاحبة انثى وخلق كل
شئ اى من شانه ان يخلق وهو بكل شئ عليم لا يخفى
عليه خافية وفي الاية استدلال على نفي الولد من
وجوه الاول انه مبدع السموات والارض وهي اجسام
عظيمة من جنس ما يوصف بالولادة لكونها مخلوقة لا
يستقيم ان توصف بالولادة لاستمرارها وطول
مدتها ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا
الثاني ان الولادة لا تكون الا من ذكر وانثى مجانسين
وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان يكون له صاحبة فلم
تصح الولادة والثالث انه ما من شئ الا وهو خالقه
والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شئ
والولد انما يطلبه المحتاج وقوله تعالى ذلكم اشارة
الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا وقوله
تعالى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اخبار
مترادفة ويجوز ان يكون البعض في خبر الله تعالى

بدلا او صفة لان الله تعالى اول وليس بصفة والبعض خبرا
وقوله تعالى فاعبدوه مسبب عن مضمون ذلكم كان
من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل
شئ وكيل اى وهو مع تلك الصفات مالك لكل شئ من
الارزاق والاعمال رقيب على الاعمال فيجازى عليها لا تدركه
الابصار جمع بصر وهى حاسة النظر وقد يقال للعين
من حيث انها محلها والادراك احاطة بكنه الشئ وحقيقته
وتمسك بظاهر هذه الاية قوم من اهل البدع وهم
الخوارج والمعتزلة وبعض المرجية وقالوا ان الله تعالى
وتعالى لا يراه احد من خلقه واى رؤية مستحيلة عقلا
لان الله تعالى اخبر ان الابصار لا تدركه وادراك البصر
عبارة عن الرؤية اذ لا فرق بين قولك ادركته ببصرى
ورايته ببصرى فثبت بذلك ان لا تدركه الابصار
يعنى لا تراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب
اهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفى
الجنة واستدلوا لمذهبهم باشياء من الكتاب والسنة
واجماع الصحابة ومن بعدهم من السلف فمن الكتاب
قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ففى هذه
الاية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة
وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعى
رضى الله تعالى عنه حجب قوما بالسخطة وهو الكفر فثبت

ان قوما

ان قوما يرونه بالطاعة وهي الايمان وقال مالك رضي الله
تعالى عنه لو لم ير المومنون ربهم يوم القيامة لم يعير
الله تعالى الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وهي الزيادة مفسرة بالنظر الى الله
تعالى يوم القيامة ومن السنة ما روي عن جرير بن
عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال كنا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال
انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون
في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل
طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد
ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومنها ان ناسا
قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة
البدر اي هل تشكون قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانكم ترونه كذلك وعن ابي رزين العقيلي رضي
الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا
به يوم القيامة قال نعم قلت وما اية ذلك من خلقه
قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا
به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق
الله اي القمر فالله اعظم واجل واحتج اهل السنة ايضا
على جواز روية المومنين ربهم يوم القيامة بقول كليم

الله موسى عليه السلام رب ارنى انظر اليك اذ لا يسأل
نبى ما لا يجوز او يمتنع وقد علق الله تعالى الرؤية على
استقرار الجبل بقوله تعالى فان استقر مكانه فسوف
تراني واستقرار الجبل جائز والمعلق على الجائز جائز واما
قول المتمسكين بظاهر الآية وان الادراك بمعنى الرؤية
ممنوع لان الادراك هو الوقوف على كنه الشيء والاحاطة
به والرؤية المعاينة وقد تكون المعاينة بلا ادراك
قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام قال اصحاب
موسى انا لمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد راوا
قوم موسى ولم يدركوهم فنفى موسى عليه السلام
الادراك مع ثبوت الرؤية فالله تعالى يجوز ان يرى من غير
ادراك ولا احاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط بمقاله تعالى
ولا يحيطون به علما فنفى الاحاطة مع ثبوت العلم قال
سعيد بن المسيب لا تحيط به الابصار وقال عطا
كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به وقال ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا
وهو يرى في الاخرة وظاهر هذا التسوية بين الادراك
والرؤية ويدل على هذا التخصيص قوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله ناظرة مقيد
بيوم القيامة ويكون هذا جمعا بين الآيتين و هو
يدرك الابصار اى يراها او يحيط به علما فلا يخفى

عليه

عليه شئ ولا يفوته شئ وهو اللطيف الخبير قال ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما اللطيف بأوليائه الخبير
بهم وقال الزهرى اللطيف الرفيق بعباده وقيل
اللطيف الموصل الشئ بالرفق والدرك وقيل اللطيف
الذى يمشى العباد ذفن بهم ليلا يخجلوا قد جاءكم
بصائر جمع بصيرة اى حجج من ربكم تبصرون بها
الهدى من الضلالة والحق من الباطل فمن ابصر اى
عمل بالادلة فلنفسه اى خاصة ابصاره لانه خلصها
من الضلال الى الهدى ومن عمى اى لم يهتد بالادلة
فعليها اى خاصة عماه لانه يضل فلا يضر الا نفسه
وما انا عليكم بحفيظ اى برقيب لاعمالكم وانما انا
منذر والله تعالى هو الرقيب عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم
عليها وكذلك اى كما بينا ما ذكر نصرف اى نبين الايات
من حال الرجال فى المعانى المتنوعة سالكين من وجوه
البراهين بما يفوت القوى ويعجز القدر ليعتبروا
ولئلا يقولوا اعتذارا عن ظهور عجزهم دارست قرا ابن
كثير وابو عمرو بالف بين الدال والراى ذاكرت اهل
الكتاب والباقون بغير الف اى درست كتب الماضين
وجئت بهذا منها وقرا ابن عامر بفتح السين وسكون
التاء من الدروس اى هذه الايات التى نتلوها علينا
قديمة قد درست وامحت كتقادم اساطير الاولين

وقيل اللام فيه لام العاقبة اى عاقبة امرهم ان يقولوا
دارست اى قرات على غيرك وقيل قرات كتب اهل الكتاب
كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
ولنبينه اى الايات وذكر الضمير لانها فى معنى القران
كانه قيل وكذلك نصرف القران او القران وان لم يجر له
ذكر لكونه معلوما والى التبيين الذى هو مصدر الفعل
كقولهم ضربته زيدا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
به وقوله تعالى اتبع خطاب للنبى صلى الله عليه
وسلم اى اتبع يا محمد ما اوحى اليك اى القران فالزم
العمل به ثم اكد مدحه بقوله من ربك اى المحسن اليك
بهذا البيان وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض اكد
به ايجاب الاتباع لما فيه كلمة التوحيد من التمسك
بحبل الله والاعتصام والاعراض عما سواه وقول
البيضاوى او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا فى
الالوهية مبنى على جواز تاكيد الجملة الفعلية بالاسمية
وهو نادر واعرض عن المشركين ولا تختل باقوالهم
ولا تلتفت الى رايهم ومن جعله منسوخا بآية السيف
حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله ايمانهم
وعدم اشراكهم ما اشركوا وهذا نص صريح فى ان
شركهم كان بمشيئة الله تعالى خلافا للمعتزلة فى
قولهم لم يرد الله من احد الكفر والشرك والاية رد عليهم

وما جعلناك

وما جعلناك عليهم حفيظا اى رقيبا فتجازيهم باعمالهم وما
انت عليهم بوكيل اى فتجبرهم على الايمان وهذا قبل الامر
بالقتال ولا تسبوا الذين يدعون اى يعبدونهم من دون
الله وهى الاصنام اى ولا تذكروا الهتهم التى يعبدونها
بما فيها من القبايح فيسبوا الله عدوا اى اعتداء وظلما
بغير علم اى جهلا منهم بالله وبما يجب ان يذكر به روى
انه صلى الله عليه وسلم كان يطعن فى الهتهم فقالوا
لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك فنزلت
وقال السدى لما حضرت ابا طالب الوفاة قالت قريش
انطلقوا فلندخل على هذا الرجل قبل ان ينهى عنا
ابن اخيه فانا نستحى ان نقتله بعد موته فتقول
العرب كان يمنعه عمه فلما مات قتلوه فانطلق ابو
سفيان وابو جهل وابى بن خلف ومعهم جماعة الى
ابى طالب فقالوا يا اباطالب انت كبيرنا وسيدنا وان
محمدا قد اذانا والهتنا فنحب ان تدعوه وتنهاه عن ذكر
الهتنا وندعه والهه فطلبه وقال هولاء قومك وبنو
عمك يقولون تريدان تدعنا والهتنا وندعك والهك
وقد انصفك قومك فاقبل منهم فقال النبى صلى
الله عليه وسلم ارايتكم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطى
كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم قال
ابو جهل وابيك لنعطينكها وعشرة امثالها فما هى

قال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال ابو طالب قل
غيرها يا ابن اخي فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها فقالوا
فقالوا لتكفن عن سبك الهتنا او لنشتمنك ومن يامرك
فنزلت وقيل كان المسلمون يسبون اصنام الكفار فنهوا لئلا يكون
سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة
اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فانها يودي الى
الشر شر وكذلك اى كما زينا لهؤلاء ما هم عليه من عبادة
الاوثان وطاعة الشيطان بالحرمان واكذلك زينا
لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم
منه وحملهم عليهم توفيقا وتخذيلا وفي هذه الاية
دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا الايحسن
من الله تعالى خلق الكفر وتزيينه فهو الفعال لما يريد
لا يسئل عما يفعل ثم الى ربهم مرجعهم في الاخرة
فينبئهم بما كانوا يعملون في الدنيا فيجازيهم به واقسموا
اى كفار مكة بالله جهد ايمانهم اى غاية اجتهادهم فيها
لئن جاءتهم اية اى مما اقترحوها ليؤمنن بها روى
ان قريشا قالوا يا محمد انك تخبرنا ان موسى كان معه
عصى يضرب بها الحجر فينفجر منه الماء اثنتي عشرة عينا
وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فاتنا من الايات
حتى نصدقك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اى شيء تحبون قالوا اجعل لنا الصفا ذهبا

وابعث

وابعث لنا بعض اموانتا حتى نسأله عن احق
ما تقول امر باطل وارنا الملايكة يشهدون لك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض
ما تقولون تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت
لنتبعنك اجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يومنوا فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله ان يجعل
الصفا ذهبا فجاء جبريل عليه السلام فقال يا رسول
الله ما شئت ان شئت اصبح ذهبا ولكن ان لم يصدقوا
ليعذبنهم الله وان شئت تركتهم حتى يتوب
تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب
تائبهم فنزلت قال الله تعالى قل انما الآيات
عند الله ينزلها كيف يشاء وانما انا نذير وما يشعركم
اى وما يدريكم ايها المسلمون بايمانهم اذا جاءت فانهم
كانوا يتمنون بمجئ الآية طمعا في ايمانهم اى انتم لا تدرون
ذلك انها اذا جاءت لا يومنون لما سبق في علمي وقرا
ابو عمرو بسكون الراء وروى عن الدوري اختلاس الضم
وكسر الهمزة من انها ابن كثير وابو عمرو على الابتدا
وقال اتم الكلام عند قوله تعالى وما يشعركم والباقون
بالفتح فهي بمعنى لعل وهو شايع في كلام العرب ايت
السوق انك تشتري لنا شيا بمعنى لعلك ومنه قول

عدى بن زيد
اعاذل ما يدريك ان منيتى، الى ساعة فى اليوم او فى ضحى غد
اى ولعل منيتى وقرا ابن عامر وحمزة لا يومنون بالتا
خطابا للكفار والباقون بالياء على الغيبة ونقلب افيدتهم
اى ونحول قلوبهم عن الحق فلا يفقهونه ونقلب
ابصارهم عن الحق فلا يبصرونه فلا يومنون
لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان
بقيت على الكفر كما لم يومنوا به اى بما انزل من الايات
اول مرة اى التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل انشقاق القمر وغيره من المعجزات الباهرات
وقيل معجزات موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلاة
والسلام كقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتى موسى
من قبل وروى عن ابن عباس ان المراة الاولى دار
الدنيا اى لو ردوا من الاخرة الى الدنيا فنقلب افيدتهم
وابصارهم عن الايمان كما لم يومنوا فى الدنيا قبل مماتهم
كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ونذرهم اى
نتركهم فى طغيانهم اى ضلالهم يعمهون اى يترددون
متحيرين لانهم بهم هداية المتقين ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة وكلمهم الموتى كما اقترحوه وحشرنا اى
جمعنا عليهم كل شى قبلا قرا نافع وابن عامر بكسر
القاف وفتح الباء اى معاينة فشهدوا بصدقك والباقون

بضم

بضم القاف والباء جمع قبيل اى فوجا فوجا ما كانوا
ليؤمنوا لما سبق فى علم الله وقوله تعالى الا ان يشاء
الله استثناء منقطع اى لكن ان شاء الله ايمانهم
فيؤمنون او استثناء من اعم الاحوال اى لا يؤمنون فى
حال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم ولكن اكثرهم
يجهلون اى انهم لو اتوا بكل اية لم يؤمنوا فيقسمون
باسه جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند
الجهل الى اكثرهم لان بعضهم معاند مع ان مطلق الجهل
يعمهم فيشمل المعاند ولكن اكثر المسلمين يجهلون
انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الاية طمعا فى ايمانهم
وكذلك اى ومثل ما جعلنا لك اعداء من كفار الانس
والجن جعلنا لكل نبى اى ممن كان قبلك عدوا
ويبدل شيطانا اى مردة الانس والجن وفى هذا
دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله تعالى
وخلقه يوحى اى يوسوس بعضهم اى الشياطين
من النوعين الى بعض زخرف القول اى يموهه
من الباطل غرورا اى لاجل ان يغروهم بذلك
ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اى هذا الذى اباناك
به من عداوتهم وما تفرع عليها وفى هذا دليل ايضا
فذرهم اى اترك الكفرة على اى حالة اتفقت وما
يفترون من الكفر وغيره مما زين لهم وهذا قبل الامر

بالقتال وقوله تعالى ولتصغى عطف على غرورا ان جعل
علة اى ولتميل ميلا قويا اليه اى الزخرف الباطل
افئدة اى قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة اى ليس في
طبعهم الايمان بها لانها غيب وهم لبلادتهم واقعون
مع وهمهم ولذلك استولت عليهم الدنيا التى هى من
اصل الغرور او متعلق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا
لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا واللام
لام العاقبة وهو قول الزمخشرى فى كشافه ان اللام
للصيرورة وليرضوه اى الزخرف الباطل انفسهم
وليقترفوا اى يكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام
فيما قبوت عليها ونزل لما قالوا مشركوا قريش للنبى
صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار
اليهود وان شئت من اساقفة النصارى لتخبرنا عنك
بما فى كتابهم من امرك افغير الله اى قل لهم يا محمد
افغير الله ابتغى اى اطلب حكما اى قاضيا بينى وبينكم
وهو الذى انزل اليكم الكتاب اى الاعجل المعجز وهو هذا
القرآن الذى هو تبيان لكل شئ مفصلا اى مبينا
فيه الحق من الباطل والذين اتيناهم الكتاب اى المعهود
انزاله من التوراة والانجيل والزبور يعلمون انه منزل
من ربك بالحق لما عندهم به من البشائر فى كتبهم ولما
له من موافقتهم فى كل الاحكام المحكمة والمواعظ الحسنة

وكثرة

وكثرة ذكر الله على وجوه ترقق القلوب وتفيض
الدموع وتقدع الصدور مع ما يزيد به فى كتبهم
من التفصيل بما يفهم المعارف الالهية والمقامات
الصوفية فى ضمن الاحكام السياسية وانما وصف
جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن
بادنى تامل وقيل المراد مومنوا اهل الكتاب كعبد الله
ابن سلام واصحابه وقرا ابن عامر وحفص بفتح التون
وتشديد الزاى والباقون بسكون التون وتخفيف
الزاى فلا تكونن يا محمد من الممترين اى الشاكين
فى ان علما الكتاب يعلمون ان هذا القران وانه منزل
من عند الله وقيل فلا تكونن فى شك مما قصصنا
فيكون من باب التحريض فانه صلى الله عليه وسلم
لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان فى الظاهر للنبى صلى
الله عليه وسلم الا ان المراد به غيره اى فلا تكونن ايها
الانسان السامع لهذا القران فى شك انه منزل من عند
الله لما فيه من الاعجاز الذى لا يقدر على مثاله الا الله
تبارك وتعالى وتمت كلمات ربك اى بلغت الغاية اخبار
واحكامه ومواعيده وقرا عاصم وحمزة والكسائى بغير
الف بين الميم والتاء والباقون بالالف صدقا فى الاخبار
والمواعيد لا يقدر احد ان يبدى فى شىء منها خدشا
بتخلف ما فيه عن مطابقة الواقع وعدلا اى فى الاقضية

والاحكام ونصبهما على التمييز وتحتمل الحال والمفعول له
لا مبدل لكلماته بنقص او خلف بل كلما اخبرت به فهو
كائن لا محالة رضى وسخط من رضى وسخط من سخط وقيل
المراد بالكلمات القرآن لا مبدل له لا يزيد فيه المغيرون
ولا ينقصون وهو السميع لكل ما يقال العليم بكل ما يفعله
وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله
اى دينه وكان اهل الارض كانوا على الضلالة وقيل الارض
مكة وذلك ان المشركين جادلوا النبى صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين فى اكل الميتة قالوا للمسلمين انكم تزعمون انكم
تعبدون الله فكيف تاكلون ما قتلتم وما تاكلون مما
قتل ربكم فنزلت وقيل لا تطعهم فى اعتقاداتهم
الفاسدة فانك ان تطعهم يضلوك عن سبيل الله
اى يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم علل
ذلك بقوله ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباهم كانوا على الحق وان ما
هم الا يخرصون اى يكذبون على الله عز وجل
فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان
وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونحو ذلك ان
ربك هو اعلم اى لا غير اعلم اى عالم من يضل عن
سبيله وهو اى لا غيره اعلم اى عالم بالمهتدين
فيجازى كلا منهم بما يستحقه وقوله تعالى فكلوا مما

ذكر

ذكر اسم الله عليه مسبب عن ارتكاب اتباع المضلين
الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما
ذكر اسم الله تعالى على ذبحه ولا تاكلوا مما ذكر عليه اسم
غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين
اى ان كنتم محققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله
عليه فان الايمان يقتضى استباحة ما احله الله
تعالى واجتناب ما حرمه وما لكم اى فاى غرض
لكم فى ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح
وقد فصل اى بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم فى اية
حرمت عليكم الميتة تفصيلا واضح البيان ظاهر
البرهان وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم الفا
وكسر الصاد والباقون بفتحهما وقرا نافع وحفص بفتح
الحا والراء والباقون بضم الحا وكسر الرا الا ما اضطررتم
اليه اى مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة
وان كثيرا من الذين يجادلونكم فى اكل الميتة ويحتجون
عليكم فى ذلك بقولهم كيف تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون
ما قتل ربكم ليضلون باهوائهم اى بما تهوى
انفسهم من تحليل الميتة وغيرها وقرا عاصم وحمزة
والكسائى بضم الياء والباقون بفتحها بغير علم يعتمدونه
فى ذلك وقيل المراد بذلك عمرو بن لحى فانه اول من غير
لانه اول من بحر البحاير وسيب السوايب واباح

المبينة وغيرهن ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان ربك
هو اعلم بالمهتدين اى الذين تجاوزوا الحق الى الباطل
والحرام الى الحلال وذروا اى اتركوا ظاهر الاثم وباطنه
اى ما اعلنتم وما اسررتم به من الذنوب كلها وقيل
المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وبباطنه افعال
القلوب فيدخل فيه الحسد والكبر والعجب وارادة
الشر للمسلمين ونحو ذلك وقيل ظاهر الاثم الزناة في
الحوانيت وباطنه المراة يتخذها الرجل صديقة
فيأتيها سرا ان الذين يكسبون الاثم في الدنيا
بارتكاب المعاصي سيجزون في الاخرة بما كانوا يقترفون
اى يكسبون وظاهر هذا النص يدل على عقاب
المذنب ومذهب اهل السنة انه اذا لم يتب فهو في
خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفى عنه بفضله
اما اذا تاب من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب فان
التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا تاكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه قال ابن عباس الاية في تحريم الميتات
وما في معناها من المخنقة وغيرها وقال عطا
الاية في تحريم الذبايح التي كانوا يذبحونها على اسم
الاصنام واختلف اهل العلم في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر
اسم الله تعالى فذهب قوم الى تحريمها سواء تركت التسمية
عمدا او نسيانا وهو قول ابن سيرين والشعبي ه

واحتجوا

واحتجوا بظاهر الآية وذهب قوم الى حلها مطلقا يروى
ذلك عن ابن عباس وهو قول الشافعي واحمد
وذهب قوم الى انه ان ترك التسمية عامدا لم تحل وان
ناسيا حلت وهو مذهب مالك ومن قال بالاباحة
مطلقا قال المراد من الآية الميتات وما ذكر على غير
اسم الله بدليل قوله تعالى وانه لفسق ما لم يذكر
عليه اسم غير الله كما قال تعالى في آخر السورة قل
لا اجد فيما اوحي الي محرما الى قوله او فسقا اهل لغير
الله والضمير لما ويجوز ان يكون لله كل الذي دل
عليه لا تاكلوا واحتجوا ايضا في اباحتها بما روى البخاري
في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قالوا
يا رسول الله ان هنا اقواما حديث عهدهم بشرك
يأتوننا بلحمان فلا ندري يذكرون اسم الله عليها
امر لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا فلو كانت التسمية
شرطا للاباحة لكان الشك في وجودها مانعا من اكلها
كالشك في اصل الذبح وان الشياطين ليوحون اي
يوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم في تحليل
الميتة بقولهم ياكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون
ما قتله الله وهذا يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم
اي باستحلال ما حرم انكم لمشركون اي مثلهم في
الشرك قال الزجاج فيه دليل على ان كل من احل شيئا

بما حرم الله او حرم شيئا مما احل الله فهو مشرك او من
كان ميتا اى من الكفر فاحييناه اى بالايمان وانما
جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحى صاحب
بصيرة يستدل به الى رشده ولما كان الايمان يهدى الى
الفوز العظيم والحياة الابدية وقرانا فع بتشديد
الياء والباقون بالتخفيف وجعلنا له نورا يمشى به
فى الناس اى يتبصر به الحق من غيره وهو الايمان ه
وقال قتادة هو كتاب الله القران بينة من الله مع
المومن بها يعمل وبها ياخذ واليها ينتهى كمن مثله
اى كمن هو فى الظلمات فشل زايدة ليس بخارج منها وهو
الكافر اى ليس مثله نزلت هذه الاية فى حمزة بن عبد
المطلب رضى الله تعالى عنه وابى جهل بن هشام
وذلك ان ابا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من
قنصه وبيده قوس وحمزة لم يومن بعد فاقبل
غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يقوله يا ابا
يعلى ما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسفه الهتنا
وخالف ابانا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون ه
الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله وقيل فى عمر بن الخطاب او عمار بن
ياسر وابى جهل كذلك اى كما زين للمومنين ايمانهم

زين

زين للكافرين ما كانوا يعملون اى من الكفر والمعاصى
قال اهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه
قوله تعالى زينا لهم اعمالهم وقالت المعتزلة المزين هو
الشيطان ورد بالاية المذكورة وكذلك اى كما جعلنا فساق
مكة اكابرها جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها اى عظماءها
والاكابر جمع اكبر كافضل وافاضل واسود واساود
وذلك سنة الله تعالى انه جعل فى كل قرية اتباع الرسل
ضعفاءهم كما قال فى قصة نوح انؤمن لك واتبعك
الارذلون وجعلنا فساقهم اكابرهم ليمكروا فيها بالصد
عن الايمان وذلك انهم جلسوا على طريق مكة اربع
نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم يقولون لكل من يقدم اياكم وهذا الرجل فانه
كاهن ساحر كذاب فكان هذا مكرهم وما يمكرون الا
بانفسهم لان وبال ذلك يحيق وما يشعرون اى وما لهم
نوع شعور بذلك واذا جاءتهم اى اهل مكة اية على
صدق النبى صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن به
حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله اى من النبوة وذلك
ان الوليد بن المغيرة قال للنبى صلى الله عليه وسلم
لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لانى اكبر منك
سنا واكثر منك مالا فنزلت وقال مقاتل نزلت فى ابى
جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى

ق

اذا صرنا كفرس رهان قالوا من انبى يوحى اليه
والله لا نرضى الا ان تينا وحى كما ياتيه وقوله تعالى
الله اعلم حيث يجعل رسالته استيناف للرد عليهم
بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضايل
نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبى
لرسالاته من علم انه يصلح لها وحيث منصوب بفعل
عليه اعلم لان افعل التفضيل لا ينصب المفعول
به اى يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها
وهو لا ليسوا اهلا لها وقرا ابن كثير وحفص بنصب
الراء ورفع الهاء ولا الف قبل التاء على التوحيد والباقون
بكسر التاء والهاء والف قبل التاء على الجمع سيصيب
الذين اجرموا بتقولهم ذلك صغار اى ذل
وهوان عند الله يوم القيامة وقيل بتقدير
من عند الله وعذاب اى مع الصغار شديد
اى في الدنيا بالقتل والاسر وفي الاخرى بالنار بما
اى بسبب ما كانوا يمكرون من صدهم الناس
عن الايمان وطلبهم ما لا يستحقونه فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام بان يقذف في
قلبه نورا فينفسح له ويقبله ولما نزلت هذه
الاية سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح
الصدر فقال نور يقذف الله في قلب المؤمن فينشرح

له

له قلبه وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم
الإنابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل لقي الموت ومن يرد اى الله
ان يضله يجعل صدره ضيقا اى عن قبول الايمان
حتى لا يدخله وقرا ابن كثير بسكون الياء والباقون
بتشديدها مع الكسر وقوله تعالى حرجا قراه
نافع وابو بكر بكسر الراء اى شديد الضيق والباقون
بالفتح وصفا للمصدر وفي الاية دليل على ان جميع
الاشياء بمشيئة الله وارادته حتى ايمان المومن
وكفر الكافر كانما يصعد في السما اى يشق عليه
الايمان كما يشق عليه صعود السما شبه مبالغة
في ضيق صدره بمن زاول ما لا يقدر عليه وقرا
ابن كثير بسكون الصاد وتخفيف العين من غير
الف بعد الصاد وقرا شعبة بتشديد الصاد
وتخفيف العين والف بعد الصاد بمعنى يتصاعد
كذلك اى مثل ما جعل الله الرجس على من اراد
ضلاله من اهل هذا الزمان يجعل الله الرجس
اى العذاب او الشيطان اى يسلطه على الذين
لا يومنون وقال الزجاج الرجس في الدنيا اللعنة
وفي الاخرة العذاب وهذا اى الدين الذي انت عليه
يا محمد صراط اى طريق ربك مستقيما لا عوج فيه

ونصبه على الحال المؤكدة للجملة والعامل فيها معنى
الاشارة قد فصلنا اى بينا الايات لقوم يذكرون
فيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال اى يتعظون
فيعلمون ان القادر على كل شئ هو الله عز وجل وان
كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه
وانه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل
بهم وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون لهم اى
المتذكرين دار السلام هى الجنة واضافها لنفسه
فى جميع المفسرين لان السلام كما قال الحسن هو الله
تعالى تشريفا لها وتحيتهم فيها سلام او اراد بها
دار السلامة عند ربهم اى ذخيرة لهم عنده
لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم اى المتكفل بتولى
امورهم ولا يكله الى احد سواه بما اى بسبب ما
كانوا يعملون من الاعمال الصالحة التى كانوا
يتقربون بها فى الدنيا واذكر يا محمد يوم نحشرهم
جميعا اى لا نترك منهم احدا وقرا حفص بالياء والبا
قون بالنون وقوله تعالى يا معشر الجن فيه حذف
تقديره ويقال لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة
والمراد من الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس
اى من اضلالكم واغوائهم حتى صار الكثير اتباعكم
وقال اولياؤهم اى الذين اطاعوهم من الانس

ربنا

ربنا استمتع بعضنا ببعض اى انتفع الانس بتزيين
الجن لهم الشهوات والجن بطاعة الانس لهم
وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا اى الى ذلك الاستمتاع
كان الى اجل معين ووقعت محدود ثم ذهب وبقيت
الحسرة والندامة قال الحسن الاجل الموت وقيل هو
وقت البعث للحساب فى القيامة قال الله
تعالى على لسان الملائكة لهؤلاء الذين استمتع
بعضهم ببعض من الجن والانس النار مثواكم
اى ماواكم خالدين فيها اى الى ما لا اخر له فالخبر
من جنس العمل الا ما شاء الله اى من الاوقات التى
ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد روى انهم
يدخلون واديا فيه من الزمهرير فقد روى انهم
ما يميز بعضهم اوصالهم من بعض فيتعادون ويطلبون
الرد الى الحميم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول قدر
مدة بقائهم ووقوفهم للحساب وقال ابن عباس
الاستثناء رجع الى قوم سبق علم الله انهم يسلمون
فيخرجون من النار قال البقوى بمعنى من على هذا
ان ربك حكيم فى صنعه عليم بعواقب امور
خلقه وما هم صائرون اليه وكذلك اى كما سلطنا
عصاة الانس والجن بعضهم ببعض نولى من
الولاية بعض الظالمين بعضا اى نلى بعضهم روى عن

ابن عباس فی تفسیرها هو ان الله تعالی اذا اراد
بقوم خیرا ولی امرهم خیارهم واذا اراد بقوم شرا
ولی امرهم شرارهم **بما** ای بسبب ما **کانوا یکسبون**
من الکفر والمعاصی **یا معشر الجن والانس الم یاتکم**
رسل منکم ای من مجموعکم وهم الانس اذ الرسل منهم
خاصة ولکن لما جمع الجن مع الانس فی الخطاب ذلک
ونظیره قوله تعالی یخرج منهما اللؤلؤ والمرجان مع ان
ذلک یخرج من الملح دون العذب او ان رسل الجن
نذرهم الذین یسمعون کلام الرسول فیبلغون
قومهم کما قال تعالی واذ صرفنا الیک نفرا من الجن
الایة وتعلق بظاهر الایة قوم فقالوا یبعث الرسل
من الثقلین رسل من جنسهم **یقصون علیکم**
ایاتی ای یخبرون بما اوحی الیهم من ایاتی الدالة
علی توحیدی وتصدیق ورسلی **وینذرونکم لقاء**
یومکم هذا ای ویحذرونکم لقاء عذابی فی یومکم
هذا وهو یوم القیامة **قالوا شهدنا علی انفسنا**
ای اعترفنا بان الرسل قد اتتهم وبلغتهم رسالات
ربهم وانذروهم لقاء یومهم هذا وانهم کذبوا الرسل
ولم یؤمنوا بهم وذلک حین شهدت علیهم جوارحهم
بالشرک والکفر قال الله تعالی **وغرتهم الحیاة الدنیا**
ای انما کان ذلک بسبب انهم غرتهم الحیاة الدنیا

وما لوا

وما لوا اليها وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
اى فى الدنيا فان قيل كيف اقروا على انفسهم بالكفر
فى هذه الاية وجحدوا فى اية اخرى وهى قولهم
والله ربنا ما كنا مشركين اجيب بتفاوت الاحوال
والمواطن فى ذلك اليوم المتطاول فيقرون فى
بعضها ويجحدون فى بعض اخر فان قيل لم كرر
شهادتهم على انفسهم اجيب بان الاولى حكاية
لقولهم كيف يقولون وكيف يعترفون والثانية
ذم لهم على سوء نظرهم وخطار ايهم فانهم اعترفوا
بالحياة الدنيوية واللذات المحرجة واعترضوا عن
الاخرة بالكلية كان حتى كان عاقبة امرهم ان
اضطروا بالشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام
للعذاب المخلد تحذير للسامعين عن مثل حالهم
ذلك اى ارسال الرسل ان اى لاجل ان لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم اى بسبب ظلم الكفرة
واهلها غافلون اى لم ينتهوا برسول يبين لهم
ولكل اى من العالمين بطاعة او معصية درجات
اى جزاء ما عملوا اى من خير وشر ان كان خيرا فخير
وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها
فى الارتفاع والانخفاض كتفاضل الدرج وما ربك
بغافل عما يعملون اى عن شى يعمله احد من الفريقين

بل هو عالم بكل كمي من ذلك وبما يستحقه العامل من
ثواب او عقاب - وقرا ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب
على الغيبة والباقون بالياء على الغيبة وربك الغني
اى الغنى المطلق عن كل عابد وعبادته فليعمل به
العاملون لنفع نفسه او ضرها ذو الرحمة اى
التجاوز عن خلقه فمن رحمته ارسال الرسل وتاخير
العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون
ان يشا يذهبكم يا اهل مكة بالاهلاك فقد
وعيد وتهديد لهم ويستخلف من بعدكم اى بعد
اهلاككم ما يشا اى خلقا غيركم امثل واطوع
منكم كما انشاكم من ذرية اى نسل قوم اخرين
اذهبهم لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح
عليه السلام وكما انشاكم ابتداكم رحمة لكم انما توعدون
من مجى الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب
يوم القيامة لات لاحالة وما انتم بمعجزين اى
فائتين عذابنا قل يا محمد لقومك من كفار قريش يا قوم
اعملوا على مكانتكم اى حالتكم التى انتم عليها انى عامل
على حالتى التى انا عليها والمعنى انتهوا على كفركم
وعداوتكم لى فانى ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم
والتهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد فسوف
تعلمون غدا فى القيامة من موصولة مفعول

العلم

العلم تكون له عاقبة الدار اى العاقبة المحمودة في
الدار الاخرة ام انتم انه لا يفلح اى لا يسعد الظالمون
الكافرون وجعلوا اى كفار مكة لله مما ذرا اى خلق
من الحرث اى الزرع والانعام نصيبا فقالوا هذا
لله بزعمهم وهذا لشركائنا وذلك ان المشركين كانوا
يجعلون لله من حروثهم وانعامهم وثمارهم وسائر
اموالهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما جعلوه لله صرفوه
الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام انفقوه
على الاصنام وخدمها فان سقط شيء من نصيب
الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها
محتاجة وكان اذا هلك او انقص شيء مما جعلوه لله
لم يبالوا به واذا هلك شيء مما جعلوه للاصنام جبروه
بما جعلوه لله فذلك قوله تعالى فما كان لشركائهم اى
ما جعلوه لها من الحرث والانعام فلا يصل الى الله اى
لجهته فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على
الضيفان وما كان لله فهو يصل الى شركائهم وفي
قوله تعالى مما ذرا تنبيه على فرط جهالتهم فانهم
اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه
عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله تعالى بزعمهم
تنبيه على ان ذكر ما اخترعوه لم يامرهم الله تعالى
به وقرا الكسائي برفع الزاي والباقون بالنصب

سا اى بيس مايحكمون حكمهم هذا وكذلك اى ومثل
مازين لجميع المشركين تضييع اموالهم والكفر بهم
شركاؤهم زين كثير من المشركين قتل اولادهم
اى بالواد وخشية الاملاق شركاؤهم من الجن او من
السدنة اى الخدمة وقرا ابن عامر بفتح الزاى
والياء ونصب لام قتل وكسر دال اولادهم وشركاؤهم
بالواو مضمومة الهمزة على انه فاعل وقرا ابن عامر بضم
الزاى وكسر الياء ورفع لام قتل ونصب دال اولادهم
وشركائهم بالياء مكسورة الهمزة باضافة القتل اليه
مفصولا بينهما بمفعوله قال البيضاوى تبعا للزمخشرى
وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورة الشعر
انتهى وقد انكر جماعة على الزمخشرى فى ذلك بان القراة
المذكورة صحيحة متواترة وتركيبها صحيح فى العربية
فلا يجوز الطعن فيها ولا فى ناقلها قال التفتازانى ره
وهذا على عادته يطعن فى متواتر القرات السبع ه
ويسند الخطا تارة اليهم كما هنا وتارة الى الرواة عنهم
وكلاهما خطا لان القرات متواترة وكذا الروايات
عنهم واطال فى بيان ذلك وقال ابن مالك فى كافيته
اضافة المصدر الى الفاعل منفصلا بينهما بمفعولى
المصدر جايزة فى الاختيار اذ لا محذور فيها مع ان الفاعل
جزء من عامله فلا يضر فصله واضافة القتل الى الشركا

لانهم

لامرهم ليردوهم اى ليهلكوهم بذلك الفعل الذى امروهم
به والارداء فى اللغة وقال ابن عباس ليردوهم فى النار
وليلبسوا اى وليخلطوا عليهم دينهم قال
ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك فى دينهم وكانوا على
دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فوضعوا
لهم هذه الاصنام وزينوها لهم ولو شاء الله الجميع
الاشياء بمشيئته وارادته فذرهم اى اتركهم يا محمد
وما يفترون اى وما يختلقون من الكذب على الله فان
الله لهم بالمرصاد وفى ذلك تهديد لهم وقالوا
اى المشركون سفها وجهلا هذه اشارة الى قطعة
من اموالهم جعلوها لالهتهم انعام وحرث حجر اى
حرام يحجر عليه لا يصل احد اليه وهو وصف
يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لان حكمه
حكم الاسماء غير الصفات لا يأكلها اى لا يأكل منها
الا من نشاء اى من خدمة الاوثان والرجال دون
النساء بزعمهم اى لا حجة لهم فيه وانعام حرمت ظهورها
فلا يركبونها كالبحائر والسوائب والحوامى وانعام
لا يذكرون اسم الله عليها اى عند ذبحها وانما كانوا لا
يذكرون عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها
ولا يركبونها لفعل خير لان العادة لما جرت بذكر
الله على الخير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير ونسبوا

ما فعلوه الى الله تعالى افتراء عليه اى اختلاقا فلو كذبا
انه امر بها سيجزيهم اى بوعد صادق لا اخلف
فيه بما اى سبب ما كانوا يفترون وقالوا ما فى بطون
هذه الانعام اى اجنة البحائر والسوائب وقوله
تعالى خالصة حال لذكورنا اى خاصة بهم دون
الاوثان كما قال تعالى ومحرم على ازواجنا اى النسا
وحذف الهاء من محرم اما حملا على اللفظ او تخفيفا
لان المراد بخالصة المبالغة وان يكن اى ما فى بطونها
ميتة فهم فيه شركا اى الذكور والاناث فيه سوا
اى ان ما ولد منها حيا فهو للذكور دون الاناث وما
ولد منها ميتا اكله الذكور والاناث جميعا وقرا ابن
عامر وشعبة بالتانيث فى تكن والباقون بالتذكير
وقرا ابن كثير وابن عامر ميتة بالرفع على ان تكن
تامة والباقون بالنصب على انها ناقصة سيجزيهم
الله وصفهم اى سيكافيهم على وصفهم بالكذب على
الله بالتحليل والتحريم انه اى الله حكيم فى صنعه
عليم بخلقه قد خسر الذين قتلوا اولادهم
سفها اى جهلا بغير علم نزلت فى ربيعة ومضر
وبعض من العرب من غيرهم كانوا يدفنون البنات
احيا مخافة السبى والفقر وكان بنو كنانة لا يفعلون
ذلك وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة

العلم

العلم بل عدوه بان الله هو رزاق اولادهم لان
الجهل كان غالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولهذا سموا جاهلية وسبب
هذا الخسران ان الولد نعمة عظيمة انعم الله تعالى بها
على الوالد فاذا تسبب في ازالة هذه النعمة وابطالها
فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والاخرة اما
خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازالة
ما انعم الله تعالى به عليه واما خسارته في الاخرة
فقد استوجب بذلك العذاب العظيم وقرا ابو عمرو
وابن عامر بتشديد التاء والباقون بالتخفيف وحرموا
ما رزقهم الله وتفضل به عليهم رحمة لهم من تلك
الانعام والغلات بغير شرع وكانتفع بوجه افتراء
اى تعمد الكذب على الله وهذا ايضا من اعظم
الجهالة لان الجراة على الله والكذب عليه من اعظم
الذنوب والكبائر ولهذا قال تعالى قد ضلوا اى في
فعلهم عن الحق والرشاد وما كانوا مهتدين اى الى
طريق الحق والصواب في فعلهم روى عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما انه قال اذا سرك ان تعلم جهل
العرب فاقرا ما فوق الثلاثين وما ئة في سورة
الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها
الى قوله وما كانوا مهتدين وروى عن مهدى بن

يموت امه قال سمعت ابا رجا العطاردى يقول
كنا نعبد الحجر فلا نجد حجرا احسن منه القينا ه
واخذنا الاخر واذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب
ثم جينا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به فاذا دخل
شهر رجب قلنا نتقل الاسنة فلا ندع رمحا فيه
حديدة ولا سهما فيه حديدة الا نزعناه فالقيناه
شهر رجب وهو الذى انشا اى خلق جنات اى
بساتين معروشات اى مبسوطات على الارض
كالبطيخ والقثاء وغير معروشات بان ارتفعت
على ساق كالنخل وشجر الرمان وقال الضحاك
كلاهما فى الكرم خاصة لان منه ما يعرش بان يبقى
على وجه الارض منبسطا ومنه ما لم يعرش بان
يرتفع على ساق وقيل المعروشات ما عرشه الناس
فى البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره
وغير المعروشات هو ما انبته الله تعالى فى
البرارى والجبال من كرم او شجر وانشا النخل والزرع
مختلفا اكله اى ثمره وحبه فى الهيئة والطعم
منها الحلو والحامض والجيد والردى والضمير
للزرع والباقى مقيس عليه او للنخل والزرع داخل
فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير كل
ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن

كذلك

كذلك عند الانشاء وقرا نافع وابن كثير بجزم الكاف
والباقون بالرفع والزيتون والرمان متشابها اى
ورقهما وغير متشابه اى فى طعمهما وقيل متشابهين
فى المنظر مختلفين فى الطعم ولما ذكر الله تعالى ما
انعم به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على
انواع الثمار ذكر ما هو المقصود الاصلى وهو الانتفاع
بها فقال تعالى كلوا من ثمره اى كل واحد من ذلك اذا
اثمر اى ولو قبل نضجه وهذا امر اباحة واما قوله
تعالى واتوا حقه يوم حصاده فالامر فيه للوجوب
والاية مدنية والحق هو الزكاة المفروضة والامر
بانيانها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخره
عن اول وقت يمكن فيه الايتاء وليعلم ان الوجوب
بالادراك لا بالتنقية وقيل الاية مكية والزكاة
انما فرضت بالمدينة فالحق ما كان يتصدق به على
المساكين يوم الحصاد وكان ذكر واجبا حتى نسخه
افتراض العشر ونصف العشر وقرا حمزة والكسائى
برفع التاء والميم من ثمره والباقون بنصبهما وقرا ابو
عمرو وابن عامر وعاصم بفتح الحاء حصاده والباقون
بكسرها ومعناهما واحد ولا تسرفوا اى باعطائكله
فلا يبقى لعيالكم شيء روى ان ثابت بن قيس صرم
خمسمائة نخلة وقسمها فى يوم واحد ولم يترك لاهله

شيا فنزلت انه لا يحب المسرفين اى المتجاوزين
ما حد لهم وفى ذلك وعيد وزجر عن الاسراف فى كل
شى قال مجاهد الاسراف ما قصرت به عن حق
الله تعالى وقال لو كان ابو قبيس ذهبا لرجل انفقه
فى طاعة لم يكن مسرفا ولو انفق درهما او مدا فى معصية
كان مسرفا وقوله تعالى ومن الانعام عطف على جنات
اى وانشأ من الانعام حمولة اى صالحة للحمل عليها
كالابل الكبار والبغال وفرشا اى لا تصلح للحمل كالابل
الصغار والعجاجيل والغنم سميت فرشا لانها كالفرش
للارض لدنوها منها وقيل هو ما ينسج من وبره
وصوفه وشعره الفرش كلوا مما رزقكم الله اى
مما احله لكم من هذه الانعام والحرث ولا تتبعوا
خطوات الشيطان اى طرائقه فى التحليل والتحريم
من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية وقرا قنبل
وابن عامر وحفص والكسائى بضم الطاء والباقون
بالسكون انه اى الشيطان لكم عدو مبين اى
بين العداوة وقوله تعالى ثمانية ازواج اى اصناف
بدل من حمولة وفرشا والزوج لغة الفرد اذا كان
معه اخر من جنسه لا يتميز عنه فيطلق لفظ
الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر
زوج وللانثى زوج من الضأن زوجين اثنين

اى ذكرا وانثى وقرا ابن كثير وابو عامر بفتح العين
والباقون بالسكون والمعز والمعزى جمع لا واحد
له من لفظه وهى ذوات الشعر من الغنم وقال
البغوى جمع الماعز معيز وجمع الماعزة معاعز قل يا
محمد لمن حرم ذكور الانعام تارة وانا ثها تارة ونسبوا
ذلك لله آلذكرين من الضان والمعز حرم الله
عليكم ام الانثيين منهما امما اى الحرم منهما اشتملت
اى انضمت عليه ارحام الانثيين ذكرا كان او
انثى نبئوني اى اخبروني بعلم عن كيفية ذلك
بامر معلوم من جهة الله تعالى على تحريم ما حرمتم
ان كنتم صادقين فى دعواكم والاستفهام للانكار
والمعنى من اين جا التحريم فان كان من قبل الذكورة
فجميع الذكور حرام وان كان من قبل الانوثة فجميع الاناث
حراما ومن قبل اشتمال الرحم فالزوجان حرام فمن
اين التخصيص تنبيه اتفق القرا على انه فى همزة
الوصل وهى التى يبتدا بها فى الاستفهام ولام التعريف
وجهان وهما البدل والتسهيل والبدل هو مدها
مبدلة والتسهيل هو ان يقصرها مسهلة ومن
الابل اثنين ذكرا وانثى ومن البقر اثنين كذلك قل
يا محمد لهولا الذين اختلفوا جهلا وسفها آلذكرين
حرم الله عليكم ام الانثيين منهما امما اى امر حرم

ما اشتملت اى انضمت عليه ارحام الانثيين ذكرا
كان او انثى ام كنتم شهدا اى بل كنتم اذ وصاكم به
شهدا اى شهدا اى حاضرين اذ وصاكم الله بهذا حين
وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تقرون بنبى فلا طريق
لكم الى معرفة امثال ذلك الا بالمشاهدة والسماع
فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله
تعالى ولما احتج عليهم بهذه الحجة وبين انهم لا سند
لهم فى ذلك قال تعالى فمن اى لا احد اظلم ممن افترى
اى تعمد على الله كذبا كعمرو بن لحى فانه اول من حرم
البحائر وسيب السوائب وغيرو دين ابراهيم عليه
السلام ويدخل فى هذا الوعيد كل من كان على طريقته
او ابتدع شيا لم يامر الله به ورسوله ونسب ذلك
الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص به
فكل من ادخل فى دين الله ما ليس منه فهو داخل
فى هذا الوعيد ليضل الناس بغير علم ان الله لا
يهدى القوم الظالمين اى لا يرشدهم ولا يوفق من
كذب عليه واضاف اليه ما لم يشرع لعباده ولما
بين سبحانه وتعالى فساد طريقة اهل الجاهلية
وما كانوا عليه من التحريم والتحليل من عند انفسهم
واتباع اهوائهم فيما احلوه وحرموه من المطعومات
اتبعه ببيان الصحيح فى ذلك وبين ان التحريم

والتحليل

والتحليل لا يكون الا بوحي سماوي وشرع نبوي
فقال تعالى قل يا محمد لهؤلاء الجهلة الذين يحللون
ويحرمون من عند انفسهم لا اجد فيما اوحي الي محرما
اي طعاما محرما مما حرمتموه فائدة فيما اوحي
الي في مقطوعة من ما في الرسم على طاعم اي طاعم
كان ذكرا وانثى يطعمه اي يتناوله اكلا او شربا
او دواء او غير ذلك الا ان يكون اي ذلك الطعام
ميتة وهو كل ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية
وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة تكون بالتانيث
والباقون بالتذكير ورفع ميتة ابن عامر على
ان كان هي التامة وعلى هذه القراءة يكون قوله تعالى
او دما مسفوحا عطفا على ان مع ما في حيزه اي
الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا
كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه
اي الخنزير رجس اي نجس فالضمير عائد على
المضاف اليه لان اللحم دخل في قوله ميتة وحينئذ
ففي الاية دلالة على نجاسة الخنزير وهو حي فلحمه
وكذا سائر اجزائه بطريق الاولى ثم ان رايت
البقاعي في تفسيره جرى على ذلك وقوله تعالى او
فسقا اهل لغير الله به اي ذبح على اسم غيره عطف
على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل تنبيه

ظاهر الآية ان المحرمات محصورة في هذه الاربعة
وانه لا يحرم شيء من سائر المطعومات والحيوانات
غيرها وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير
وما ذبح على غير اسم الله تعالى ويروى ذلك عن ابن
عباس وعائشة وسعيد بن جبير رضي الله تعالى
عنهم لانه ثبت انه لا طريق الى معرفة المحرمات
الا بوحي وثبت ان الله تعالى نص في هذه الآية
على هذه الاربعة اشياء وقال تعالى في سورة البقرة
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
به لغير الله وانما تفيد الحصر فصارت هذه الآية
المدنية مطابقة للآية المكية في الحكم ولكن الذي
ذهب اليه جمهور العلماء ان التحريم لا يختص بهذه
فقط بل المحرم ما كان بنص كتاب او سنة وقد ورد
السنة بتحريم اشياء غير ذلك منها تحريم لحم الحمر الاهلية
وكل ذي ناب من السباع او مخلب من الطيور
وورد النهي عن اكل الهر واكل ثمنه ويحرم ايضا
كل ما امر بقتله كالحداة والغراب الابقع او نهي عن
قتله كالهدهد والخطاف وما لا نص فيه بتحريم
او تحليل او يدل على احدهما كالامر بالقتل والنهي
عنه ان استطابه عرب ذوي يسار وطباع سليمة
حال رفاهية حل وان استخبثوه فلا يحل فان

اختلفوا

اختلفوا فى استطابته فاتبع الاكثر فان استووا
فقريش لانهم قطب العرب وفيهم الفتوة فان اختلفت
اولم يحكم بشئ اعتبر الاشبه به من الحيوانات فان
استوى الشبهان اولم يوجد ما يشبهه فحلال
لهذه الاية وما جهل اسمه عمل بتسمية العرب له
مما هو حلال او حرام ولما حرم الله تعالى هذه
الاشياء اباح اكلها عند الاضطرار بفعله تعالى فمن
اضطر اى حصل له جوع خشى منه التلف
غير باغ اى على مضطر مثله ولا عاد اى ولا
متجاوز قدر الضرورة وقرأ نافع وابن كثير وابن
عامر والكسائى بضم النون فى الوصل والباقون
بالكسر فان ربك غفور لا يؤاخذه بالاكل رحيم
به حيث اباح له ذلك وعلى الذين هادوا اى اليهود
واليهود علم على قوم موسى عليه السلام وسموا
به استقاما من هاد واى مالوا اما عن عبادة
العجل واما عن دين موسى عليه السلام او من
هاد اذا رجع من خير الى شر او من شر الى الخير لكثرة
انتقالهم من مذاهبهم وقيل لانهم يتهودون اى
يتحركون عند قراءة التوراة وقيل معرب من يهود
ابن يعقوب بالذال المعجمة ثم نسب اليه فقيل يهودى
ثم حذف الياء فى الجمع فقيل يهود حرمنا اى بسبب

عليهم كل ذى ظفر اى ما هو كالاصبع للانسان ذى من دابة
او طير وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا
حرم عليهم فعم التحريم كل ذى ظفر بدليل كونه تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لكم ومن البقر والغنم اى التى هو ذوات الاظلاف
حرمنا عليهم شحومهما اى الصفايف والمراد شحم
الجوف وهو الثروب قال الجوهرى هو شحم قد غشى
الكرش والامعاء قيل ثم استثنى من الشحوم ما
ذكره بقوله الا ما حملت ظهورهما اى الاما علق بالظهر
والجنب من داخل بطونهما او الحوايا اى ما حملته
الحوايا وهى الامعاء التى هو متعاطفة ملوية جمع
حوية فوزنها فعايل كسفينة وسفاين وقيل
جمع حاوية او حاويا لتفاعلها فهو فواعل او ما
اختلط اى من الشحوم بعظم فشحم الالية
فان ذلك لا يحرم عليهم روى انه صلى الله عليه وسلم
قال عام الفتح وهو بمكة ان الله ورسوله حرم
بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول
الله ارايت شحوم الميتة فانها تطلى بها السفن
ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا
هو حرام اى بيعها قال صلى الله عليه وسلم عند
ذلك قاتل الله اليهود ان الله تعالى لما حرم عليهم

شحومها

شحومهما الجملوم اما ذابوه ثم باعوه واكلوا ثمنه
ذلك اى التحريم العظيم وهو تحريم الطيبات
جزيناهم به ببغيهم اى بسبب جاورتهم
الحدود وانا لصادقون اى فى الاخبار عما حرمنا
عليهم وغيرنا بغيهم فان كذبوك اى اليهود يا محمد
فيما اخبرناك به عنهم فقل لهم ربكم ذو رحمة
واسعة اى بتاخير العذاب عنكم فلم يعاجلكم
بالعقوبة فى فكل تلطف يدعاهم الى الايمان ولا يرد
باسه اى عذابه عن القوم المجرمين اذا جاء
وقته وقيل ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو
باس للمجرمين وقوله تعالى سيقول الذين
اشركوا اخبار عن مستقبل وقوع مخبره يدل على
اعجازه ولما الزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما
كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه
الله قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا ابآؤنا ولا حرمنا
من شئ اراد وا ان يجعلوا قولهم لو شاء الله ما
اشركنا حجة لهم على اقامتهم على الشرك وقالوا
ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن فيه
حتى لا نفعله فلولا انه رضى ما نحن فيه واراده
منا وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك فقال الله
تعالى تكذيبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم

من كفار الامم الخالية حتى ذاقوا باسنا اى عذابنا
ويستدل اهل القدر بهذه الاية يقولون انهم
لما قالوا لو شاء الله ما اشركنا كذبهم الله ورد عليهم
فقال كذلك كذب الذين من قبلهم واجاب اهل
السنة بان التكذيب ليس في قوله لو شاء الله ما
اشركنا بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم ان الله
امرنا بها ورضي ما نحن عليه كما اخبر تعالى عنهم في
سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها ابانا والله امرنا بها فالرد عليهم في هذا كما
قال تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء والدليل على
ان التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم لو شاء الله
ما اشركنا قوله تعالى كذب الذين من قبلهم
بالتشديد ولو كان كذلك خبرا من الله عن كذبهم
في قولهم لو شاء الله ما اشركنا لقال كذب الذين
من قبلهم بالتخفيف وكان ينسبهم الى الكذب لا
الى التكذيب وقال الحسين بن الفضل لو ذكروا
هذه المقالة تعظيما واجلالا لله تعالى ومعرفة
منهم لما عابهم بذلك لان الله تعالى قال ولو شاء
الله ما اشركوا وقال تعالى وما كانوا ليؤمنوا الا ان
يشاء الله والمؤمنون يقولون ذلك ولكنا المشركين
قالوا اتكذيبا وتحريصا وجدلا من غير معرفة بالله

وبما يقولون

وبما يقولون نظيره قوله تعالى وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم قال الله تعالى ما لهم بذلك من
علم ان هم الا يخرصون وقد علم من ذلك ان امر الله
تعالى بمعزل عن مشيته وارادته فانه مريد لجميع
الكائنات غير آمر بجميع ما يريد وعلى العبد انه
يتبع امره وليس له ان يتعلق بمشيته كان مشيته
لا تكون عذرا لاحد قل يا محمد لهؤلاء المشركين القا
ئلين
ماذكر هل عندكم ايها الجهلة من علم اى من امر
معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم من تحريم
ما حرمتم وان الله راض بشرككم فتخرجوه لنا
اى فتظهروه لنا وتبينوه لنا كما بينا لكم خطأكم
ان اى ما تتبعون فى ذلك الا الظن اى فيما انتم
عليه ولا علم عندكم وان انتم الا تخرصون اى وما انتم
فى ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل
قل لهم حين عجزوا عن اظهار الحجة فلله الحجة
البالغة اى التامة على خلقه بانزال الكتب
وارسال الرسل قال الربيع بن انس لا حجة لاحد
عصى الله واشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة
على عباده فلو شاء الله هدايتكم لهداكم اجمعين
ولكنه لم يشأ ذلك بل شاء هداية بعض وضلال
بعض اخر نوقع ذلك على الوجه الذى شاءه لا يسئل

يليه

عما يفعل قل لهم هلم اى احضروا شهداكم الذين
يشهدون انكم ان الله حرم هذا اى ما تقدم من
تحريمهم الاشياء على انفسهم ودعواهم ان الله
امرهم به وهلم اسم فعل لا يتصرف يستوى فيه
الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمونث عند
الحجازيين وعند بنى تميم فعل مونث ويثنى ويجمع
فان شهدوا اى فان تجرؤا على الشهادة كذبا
فلا تشهد معهم اى فاتركهم ولا تسلم لهم فانهم
على ضلال وليست شهادتهم مستندة الا الى
الهوى ولا تتبع اهوا الذين كذبوا بايتنا انما
وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان تكذيب
الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون
الا مصدقا بها ولا تتبع اهوا الذين لا يومنون بالاخرة
التى هى اثر الجزاء فانهم لوجوزوها ما اخبروا على
ذلك وهم بربهم يعدلون اى يشركون فيجعلون
له عديلا قل لهم تعالوا اى اقبلوا على اتل اى
اقرا ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيا وذلك
انهم سالوا وقالوا اى الذى حرم الله فامر الله
تعالى نبيه ان يبين لهم ذلك فان قيل ما معنى
قوله تعالى حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به والمحرم
هو الشرك لا ترك الشرك اجيب بان موضع

ان رفع

ان رفع اى هوان لاتشركوا وقيل نصب واختلفوا
فى وجهه فقيل معناه حرم عليكم ان لاتشركوا
والاصلة كقوله تعالى ما منعك ان لاتسجد اى ما
منعك ان تسجد وقيل تم الكلام عند قوله حرم ربكم
ثم قال عليكم ان لاتشركوا به شيأ على وجه الاغرا
وقال الزجاج يجوز ان يكون هذا محمولا على المعنى
اى اتل عليكم تحريم الشرك ويجوز ان يكون على
معنى اوصيكم ان لاتشركوا **وبالوالدين احسانا**
اى فاحسنوا بهم احسانا ووضعه موضع النهى
عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك
الاساءة فى شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما **ولا**
تقتلوا اولادكم من املاق اى من اجل فقر تخافونه
والمراد بالقتل واد البنات وهن احياء وكانت
العرب تفعل ذلك فى الجاهلية فنهاهم الله تعالى
عن ذلك وحرمه عليهم وقوله تعالى **نحن نرزقكم**
واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلونه لاجله
واحتجاج عليهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق
الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد
وتربيته والاتكال فى امر الرزق على الله **ولا تقربوا**
الفواحش اى سايرالمعاصى **ما ظهر منها وما بطن**
اى علانيتها وسرها وقيل المراد الزنا علانيته

وسره وكان اهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية
ولا يرون به باسا في السر فحرم الله عز وجل الزنا
في السر والعلانية واجاب الاول بان السبب اذا
كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم ثم صرح
بالقتل لشدة امره بالتخصيص بعد التعميم فقال
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله عليكم قتلها الا
بالحق وهي التي ابيح قتلها بردة او قصاص او زنا بعد
احصان وهو الذي يوجب الرجم او نحو ذلك قال
صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد
ان لا اله الا الله وانى رسول الله الا باحدى ثلاث
الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه
المفارق للجماعة وقوله تعالى ذلكم اشارة الى ما
ذكر مفصلا وصاكم به اى امركم به وأوجبه عليكم
لعلكم تعقلون اى تتدبرون ما في هذه التكاليف
من الفوائد والمنافع فان كمال العقل هو التدبر ولا
تقربوا مال اليتيم اى بنوع من انواع تمل فيه
او فيره الا بالتي اى بالخصلة التي هي احسن
بماله كحفظه وتنميته وتثميره وليستمر ذلك حتى
يبلغ اشده وهو سن يبلغ به اوان حصول عقله
عادة وهو البلوغ بالسن او الاحتلام او علم يحصل
به رشده وقيل الاشد من الثمانى عشر الى الثلاثين

سنة

سنة وقيل الى اربعين وقيل الى ستين **واوفوا** اى
اتوا **الكيل والميزان بالقسط** اى العدل من غير
تزيد ولا افراط **لانكلف نفسا الا وسعها** اى
طاقتها فى ايفاء الكيل والميزان لم يكلف المعطى اكثر
ما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضى باقل من
حقه حتى لا تضيق نفسه عليه بل امر كل واحد
منهما بما يسعه مما لا حرج عليه فيه وذكره عقب
الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما فى وسعكم
وما وراء الوسع معفو عنه **واذا قلتم** اى فى حكم او
شهادة او غير ذلك **فاعدلوا** فيه بالصدق **ولو كان**
المقول له او عليه **ذا قربى** اى من ذوى قرابتكم
وبعهد الله اوفوا اى ما عهد اليكم من ملازمة
العقل وتادية احكام الشرع **ذلكم** اى الذى ذكر فى
هذه الايات **وصاكم** بالعمل **به لعلكم تذكرون** اى
تتعظون فتاخذون بما امركم به وقرا حمزة
والكسائى بتخفيف الذال والباقون بالتشديد **وان**
هذا الذى وصيتكم به **صراطى مستقيما** والاشارة
فيه الى ما ذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد
والنبوة وبيان الشريعة وقرا ابن عامر بتخفيف
النون والباقون بالتشديد وبكسر الهمزة حمزة
والكسائى على الاستيناف وفتحها الباقون وتقدم

على تقدير اللام وفتح الباء من صراطي يا عامر وسكنها
الباقون وتقدم مذهب قنبل في الصراط بالسين
ومذهب خلف في اشمام الصاد فاتبعوه اي بغاية
جهدكم لانه الجامع للعباد على الحق الذي فيه كل خير
ولا تتبعوا السبل اي الطرق المخالفة لدين الاسلام
فتفرق فيه حذف احدى التاءين اي فتميل بكم اي
هذه الطرق المضلة عن سبيله اي طريقه التي
ارتضاها لعباده وبه اوصى ذلكم اي الامر العظيم
من اتباعه وبما كرر به لعلكم تتقون الضلال
والتفرق عن الحق روى انه صلى الله عليه وسلم
خط خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا
عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل
منها شيطان يدعو اليه وقرأ ان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ثم آتينا موسى الكتاب اي التوراة
فان قيل ثم للتنزيب وآتينا موسى الكتاب كان قبل
مجيء القرآن اجيب بان ثم لترتيب الاخبار اي ثم
اخبركم اني آتينا موسى الكتاب فدخل ثم لترتيب
الخبر لا لتاخير النزول وقوله تعالى تماما حال
اي لم ينقص الكتاب عما يصلح شيئا على الوجه الذي
احسن اي الذي هو بالاحسان فاثبت الحسن وجمعه
بما بين من الشرع وبما حمى طوائف اهل الارض به

من الاهلاك

من الاهلاك التام روى ان الله تعالى لم يهلك قوما
هلاكا عاما بعد نزول التوراة وقيل تماما على المحسنين
ثم قوم موسى فيكون الذى بمعنى من اى على من
احسن من قومه وكان فيهم محسن ومسيى وقيل
الذى احسن هو موسى اى اتما ما للنعمة عليه
لاحسانه بالعبادة والذى بمعنى ما اى ما احسن
وقوله تعالى وتفصيلا عطف على تماما اى وبيانا
لكل شئ اى يحتاج اليه فى الدين وهدى اى
فيه هدى من الضلالة ورحمة اى انزاله عليهم
رحمة لهم لعلهم بلقاء ربهم اى بالبعث والجزاء
يؤمنون اى ليكون حالهم بعد انزال الكتاب لما يرون
من حسن شرايعه وفخامة كلا معوجلة لامرء
حال من يرجو ان يجدد الايمان فى كل وقت بلقاء به
وليذكروا ما انعم به عليهم من اخراجهم من مصر
من العبودية والرق وهذا اى القرآن كتاب اى
عظيم انزلناه اليكم يا بنى انكم حجة عليكم مبارك
اى كثير الخير والنفع والبركة فاتبعوه اى اتبعوا
ما فيه من الاوامر والنواهى والاحكام واتقوا الكفر
لعلكم ترحمون اى بواسطة اتباعه وهو العمل
بما فيه ثم بين تعالى المراد من انزاله فقال ان اى
كراهة ان تقولوا انما انزل الكتاب اى التوراة

والانجيل على طايفتين من قبلنا اى اليهود والنصارى
وان كنا اى وقد كنا وان هى المخففة من الثقيلة
ولذلك دخلت اللام الفارقة بينها وبين النافية
فى خبر كان اى وانه كنا عن دراستهم قراتهم لكتابهم
قراة مردودة لغافلين اى لا نعرف حقيقتها ولا
ثبت عندنا حقيقتها ولا هى بلساننا او تقولوا اى
ايها العرب لم نكن عن دراستهم غافلين بل كنا
عالمين بها ولكنه لا يجب اتباع الكتاب الا على المكتوب
اليه فلم نتبعه ولو انا اهلنا لما اهلوا له حتى
انزل علينا الكتاب اى جنسه لكنا اهدى منهم
اى لما لنا من الاستعداد بوفور العقل وحدة الاذهان
واستقامة الافكار واعتدال الامزجة والاذعان
للحق فقد جاكم بينة من ربكم اى القران فيه بيان
وحجة واضحة تعرفونها على لسان رجل منكم تعرفون
انه اولاكم بذلك وهدى من الضلالة لمن تدبره
ورحمة اى وهو رحمة ونعمة انعم بها عليكم فتاملوا
فيه واعملوا به فمن اى لا احد اظلم ممن كذب
بايات الله وصدف اى اعرض عنها فضل
واضل سنجزى الذين يصدفون عن اياتنا
ولا يتوبون سوء العذاب اى شدته بما كانوا
يصدفون اى بسبب اعراضهم هل ينظرون اى

ما ينظر

ما ينظر هؤلاء المكذبون الا ان تاتيهم الملائكة
اى لقبض ارواحهم او بالعذاب وقرا حمزة والكسائى
بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التانيث او ياتى
ربك اى امره بالعذاب او ياتى بعض ايات اى
علاماته ربك الدالة على الساعة كطلوع الشمس
من مغربها وعن حذيفة والبراء ابن عازب كنا
نتذاكر الساعة اذ طلع علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا كنا نتذاكر الساعة
فقال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات
الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا
بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع
الشمس من مغربها وياجوج ومأجوج ونزول
عيسى ونارا تخرج من عدن يوم ياتى بعض
ايات ربك وهو طلوع الشمس من مغربها كما فى
حديث الصحيحين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
امنت من قبل صفة نفسا او نفسا لم تكن
كسبت فى ايمانها خيرا اى طاعة لا ينفعها توبتها
قال صلى الله عليه وسلم يد الله بسيطتان لمسئ
الليل ليتوب بالنهار ولمسئ النهار ليتوب بالليل
حتى تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا

مسيرة عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع
الشمس من قبله وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة
اذا خرجت فلا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل
الدجال والدابة وطلوع الشمس من المغرب قل انتظروا
بعض هذه الاشيا انا منتظرون ذلك وحينئذ لنا
الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم اي بدلوه
فامنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال صلى
الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى
على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة
وتفرقت امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها
في الهاوية الا واحدة رواه ابو داود والترمذي والحاكم
وصححاه وفي بعض الروايات قالوا من هم يا رسول
الله قال ما انا عليه واصحابي وقرا حمزة بتخفيف
الراء والف قبلها والباقون بتشديدها ولا الف
وكانوا شيعا اي فرقا مختلفة وهم اليهود
والنصارى في قول مجاهد وقتادة كاهل الكتاب
فانهم ابتدعوا في دينهم بدعا وصلتهم الى تكفير
بعضهم بعضا فامنوا ببعض الانبيا وكفروا ببعض
وكالمجوس الذين فرقوا دينهم باعتقادهم ان الاله
اثنان النور والظلمة وعبدوا الاصنام والنجوم

وجعلوا

وجعلوا لكل نجم قسما يتوسل به في زعمهم اليه وقيل
هم اهل البدع والشهوات من هذه الامة روى انه صلى
الله عليه وسلم قال لعائشة يا عائشة ان الذين فارقوا
دينهم وكانوا شيعا هم اهل البدع واصحاب الاهوا
من هذه الامة وعن العرباض بن سارية قال صلى
الله عليه وسلم بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصبح فوعظنا موعظة ذرفت منها العيون ووجلت
منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كانها موعظة
مودع فاوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع
والطاعة وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم
منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل
بدعة ضلالة وروى ان احسن الحديث كتاب
الله واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
وشر الامور محدثاتها لست منهم في شئ اى من السوال
عنهم فلا تتعرض لهم انما امرهم الى الله يتولى جزاهم
ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون فيجازيهم به وهذا
منسوخ بآية السيف من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها اى عشر حسنات امثالها فضلا من
الله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ان

جزاه قضية للعدل وهم لا يظلمون اى بنقص الثواب
وزيادة العقاب وما ذكر فى اضعاف الحسنات هو
اقل ما عد من الاضعاف فقد قال صلى الله عليه وسلم
اذا احسن احدكم اسلامه فكل سنة يعملها يكتب
له بعشر امثالها الى سبعماية ضعف وكل سيئة
يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل وقال صلى
الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من جا بالحسنة
فله عشر امثالها وازيد ومن جا بالسيئة فله
سيئة مثلها واغفر ومن تقرب منى شبرا تقربت
منه ذراعا ومن لقينى بقراب الارض خطيئة لا
يشرك بى شيا لقيته بمثلها مغفرة وقال صلى
الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى اذا اراد
عبدى ان يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى
يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من
اجلى فاكتبوها له حسنة وان عملها فاكتبوها
بعشر امثالها الى سبعماية ضعف وقال ابن عمر رضى
الله تعالى عنهما الاية فى غير الصدقات من الحسنات
فاما الصدقات فانها تضاعف سبعماية ضعف قل
يا محمد لهولا المشركين من قومك انى هدانى ربى
الى صراط مستقيم بالوحى والارشاد الى ما نصب
من الحجج وقرا نافع وابو عمرو بفتح اليا والباقون

بالسكون

بالسكون دينا بدل من محل الى صراط مستقيم
والمعنى وهداني صراطا كقوله تعالى ويهديك
صراطا مستقيما قيما اى مستقيما وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو بفتح القاف وكسر الياء مشددة
والباقون بكسر القاف وفتح الياء مخففة على انه
مصدر نعت به وكان قياسه قويما فاعل لاعلال
فعله كالقيام وقوله تعالى ملة ابراهيم عطف
بيان لدينا اذ الملة بالكسر الدين وان فرق بينهما
بان الملة لا تضاف الا الى النبي الذي تسند اليه
والدين لا يختص اضافته بذلك وقوله تعالى
حنيفا حال من ابراهيم اى مائلا من الضلالة الى
الاستقامة والعرب تسمي كل من حج او اختتن حنفا
تنبيها على انه دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وقوله تعالى وما كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم
من المشركين رد على كفار قريش لانهم يزعمون
انهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم
لم يكن من المشركين قل يا محمد ان صلاتي ونسكي اى
عبادتي من حج وغيره ومحياي ومماتي اى وما انا
عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة
او طاعاتي الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية
والتدبير والحياة والممات انفسهما وقرا نافع ومحياي

بسكون الياء بخلاف عن ورش اجراء للوصل مجرى
الوقف والباقون بالفتح وفتح الياء من عماتي نافع
وسكنها الباقون لله رب العالمين لا شريك له
في ذلك وبذلك امرت اي بهذا التوحيد امرت وانا
اول المسلمين اي من هذه الامة لان اسلام كل نبي
متقدم على اسلام امته وقرأ نافع بمدا قبل الهمزة
المفتوحة وقالون بالمد والقصر لانها عنده مدة
منفصل والباقون بلا مد اصله قل يا محمد لهؤلاء
الكفار من قومك اغير الله ابغي اي اطلب ربا اي
الها فاشركه في عبادتي وهذا جواب عن دعائهم
له الى عبادة الهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي
ربا غيره وهو رب كل شيء وكل من دونه مربوب ليس
في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل افغير الله
تأمروني اعبد ايها الجاهلون ولا تكسب كل نفس
ذنبا الا عليها اي اثم الجاني عليه لا على غيره وقوله
تعالى ولا تزر اي ولا تحمل نفس وازرة اي اثمة وزر
نفس اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون في الدنيا يتبين
الرشد من الغي والحق من المبطل وهو الذي جعلكم
خلائف الارض جمع خليفة لان محمدا صلى الله عليه وسلم

خاتمة

خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم وخلف بعضهم
بعضا فيها او هم خلفاء الله تعالى في ارضه يملكونها
ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض درجات
في الشرف والرزق ليبلوكم اى ليختبركم فيما
اتاكم اى اعطاكم ليظهر المطيع منكم والعاصي
غاية في تكتيب مقطوعة من ما تحاتري ان ربك
سريع العقاب لمن عصاه لان ما هو آت قريب
ولانه يسرع اذا اراده وانه لغفور للمؤمنين
رحيم بهم وصف تعالى العقاب ولم يضفه الى
نفسه ووصف ذاته تعالى بالمغفرة وضم اليه
الوصف بالرحمة وأتى ببنا المبالغة واللام المؤكدة
تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض
لكثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح
فيها فلنسأل الله العظيم ان يسامحنا ويغفر
زلاتنا ولا يؤاخذنا بسوء افعالنا وان يفعل ذلك
بوالدينا واقاربنا واصحابنا وجميع المسلمين ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال المؤلف
رحمه الله تعالى ورضي عنه وقد تم تفسير بعض
معاني الربع الاول من كلام ربنا العظيم بحمد
الله وعونه وحسن توفيقه امين وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وكرم تسليما

وكان الفراغ من كتابة تفسير هذا الربع
المبارك يوم السبت في تسع خلت
من شهر ذي الحجة الحرام الذي
هو من شهور سنة ١١٨٦
من الهجرة النبوية
على صاحبها
افضل
الصلاة
والسلام

BUSAC

(186a)
103

x-rite ColorChecker® Color Rendition Chart